

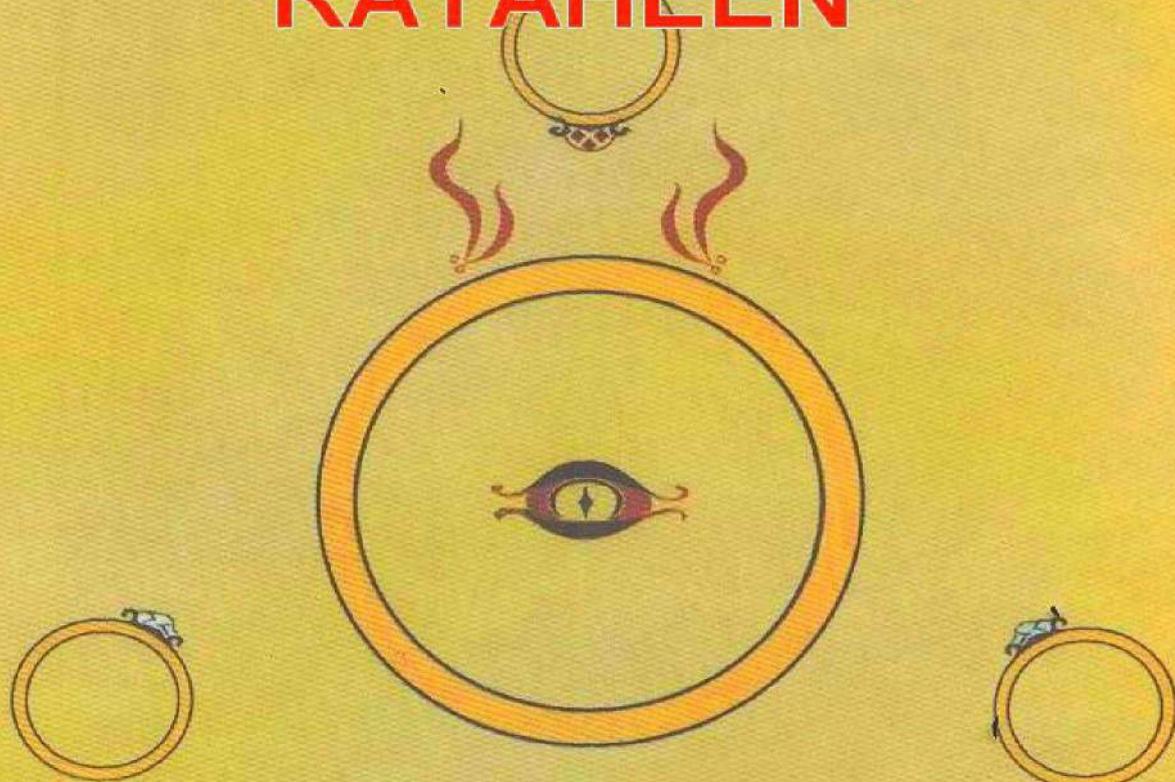
www.ibtesama.com/vb

نسخه معالجه  
وصححه وردنه

# الْفَاتِحَةُ الْمُبَارَكَةُ

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

[www.rewity.com](http://www.rewity.com)  
^RAYAHEEN^



# الْفَاتِحَةُ الْمُبَارَكَةُ



①

منتديات مجلة الابتسامة

التحويل لصفحات  
فردية والمعالجة  
فريق العمل يقسم  
تحميل كتب مجانية

بقيادة  
\*\* معرفتي \*\*

[www.ibtesama.com/vb](http://www.ibtesama.com/vb)  
منتديات مجلة الإبتسامة

شكراً لأختنا الغالية رياحين  
التي قامت بسحب الكتاب  
وأختنا الغالية أملني  
التي أكملت الصفحات الناقصة

العنوان : سيد الخواتم - رفقة الخاتم - ج 1  
تأليف : جيئه آر آر تولكين  
ترجمة : فرج الله سيد محمد  
إشراف عام : داليا محمد إبراهيم

Original English title: The Lord of the Rings: The Fellowship of the Ring.  
Copyright The Fellowship of the Ring © The Trustees of The  
J.R.R Tolkien 1967 Settlement, 1954, 1966.  
All rights reserved.

Published by Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution  
upon arrangement with HarperCollins Publishers Limited  
of 77-85 Fulham Palace Road, London W6 8JB.

ترجمة كتاب The Lord of the Rings: The Fellowship of the Ring  
للطباعة والنشر والتوزيع - بترخيص من شركة HarperCollins Publishers Limited

يحظر طبع أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب سواء النص أو الصور بأية  
وسيلة من وسائل تسجيل البيانات، إلا بإذن كتابي صريح من الناشر.



الطبعة 1 ، يناير 2009	رقم الإيداع: 19313	الترقيم الدولي: 977-14-4114-0
مركز التوزيع :	المركز الرئيسي :	الجريدة العامة :
18 شارع كامل سدلى - القاهرة	80 المنطقة الصناعية الرابعة - 6 أكتوبر	21 شارع أحمد عرابي - المؤتمرين - الجيزة
تلفون: 02 25908895 - 25909827	تلفون: 02 38330289 - 38330287	تلفون: 02 33472864 - 33466434
فاكس: 02 25903395	فاكس: 38330296	فاكس: 33462576
طرع المنشورة :	طرع الإسكندرية :	طرع العجمى :
13 شارع المستشفى الدولى التخصصى - متفرع من شارع عبدالسلام عارف - مدينة العلام تليفون: 050 2221866	408 03 5462090	408 03 5462090



ثلاثة خواتم لملوك الجن تحت السماء ،  
سبعة لسادة الأقزام في أيها منهم الحجرية ،  
تسعة للبشر الفانين المحتوم عليهم بالموت ،  
واحد لسيد الظلام في عرشه المظلم  
في أرض موردور حيث ترقد الأشباح .  
واحد يحكمها جميعاً ، واحد يجدها جميعاً ،  
خاتم واحد يجمعها جميعاً وفي الظلمة يوحدها  
في أرض موردور حيث ترقد الأشباح .



## المحتويات

ملاحظات على النص

مقدمة للطبعة الثانية

تمهيد - عن الهوبيتين، وعن أشياء أخرى

الكتاب الأول

25	الفصل الأول: حفلة طال انتظارها
52	الفصل الثاني: شبح الماضي
80	الفصل الثالث: الثلاثة صحبة
106	الفصل الرابع: طريق مختصر إلى عيش الغراب
121	الفصل الخامس: كشف النقاب عن المؤامرة
135	الفصل السادس: الغابة العجوز
152	الفصل السابع: في منزل توم بومباديل
166	الفصل الثامن: ضباب على مرتفعات التلال الجنائزية
183	الفصل التاسع: عند لافتة حانة الفرس الواثب
200	الفصل العاشر: سترايدار
215	الفصل الحادى عشر: سكين في الظلام
240	الفصل الثاني عشر: الهروب إلى المخاضة
	الكتاب الثاني
265	الفصل الأول: لقاءات كثيرة
290	الفصل الثاني: مجلس إلروند
329	الفصل الثالث: الخاتم يذهب جنوباً
357	الفصل الرابع: رحلة في الظلام
388	الفصل الخامس: جسر خزاد ذوم
402	الفصل السادس: ثورثورين
427	الفصل السابع: مرأة جندريل
444	الفصل الثامن: وداع ثورين
459	الفصل التاسع: النهر العظيم
477	الفصل العاشر: فض الصحبة



## ملاحظات على النص

«سيد الخواتم» غالباً ما يطلق عليها - خطأ - ثلاثة، في حين أنها في حقيقة الأمر رواية واحدة، تكون من ستة كتب بالإضافة إلى الملاحق، وتشمل أحياناً في ثلاثة أجزاء.

الجزء الأول - «رفقة الخاتم»، نشر في بريطانيا، ونشرته شركة جورج آن آند أونين في لندن (London firm George Allen & Unwin) في 29 يونيو 1954؛ وتبع هذه الطبعة طبعة أمريكية في 21 أكتوبر من نفس السنة، نشرتها شركة هوتون ميلفلين في بوسطن (Houghton Mifflin Company of Boston). وقد عانى تولكين في إنجازه للجزء الأول مما أصبح مشكلة مستمرة بالنسبة له: أخطاء الطباعة والجمع، بما في ذلك «تصويبات» حسنة التية لاستخدامه الخاص أحياناً. تشمل هذه «التصويبات» تغيير dwarves إلى elfish، وdwarfs إلى farther، وnasturtiums إلى nasturtians وtry to say إلى try and say. وبالنسبة لتولكين (elvin) إلى elven. في عمل مثل «سيد الخواتم»، يتضمن لغات مختلفة، وتسميات ومصطلحات مبنية ببناء دقيقاً، فإن الأخطاء والتضاربات تعيق فهم وتقدير القراء الجادين - وقد كان تولكين قراء كثيرون كهؤلاء منذ البداية المبكرة جداً فصاعداً. حتى قبل نشر الجزء الثالث، والذي تتضمن الكثير من المعلومات التي لم تُنشر حتى الآن من اللغات المختلفة ونظم الكتابة، وقد تلقى تولكين رسائل كثيرة من قراء كتبت بهذه النظم، بالإضافة إلى استفسارات عديدة بشأن نقاط استخدامها الأكثر دقة.

أما الجزء الثاني - «البرجان» - فقد نشر في إنجلترا في 11 نوفمبر 1954، وفي الولايات المتحدة في 21 أبريل 1955. وفي ذات الوقت كان تولكين يعمل للوفاء بوعده قطعه على نفسه في المقدمة التي صدر بها الجزء الأول: أن «فهرساً بالأسماء، والكلمات الغريبة» سوف يظهر في الجزء الثالث. وكما خطط في الأصل، فإن هذا الفهرس كان سيحتوي على معلومات بشأن تاريخ وأصول اللغات، وعلى وجه الخصوص لغات الجن، مع معجم كبير بالمد福德ات. وقد ثبت أن ذلك هو السبب الرئيسي في تأخير نشر الجزء الثالث، والذي لم يتضمن في النهاية أي فهرس على الإطلاق، ولم يكن به سوى اعتذار من الناشر لعدم وجود الفهرس. لأن تولكين كان قد تخلى عن العمل فيه بعد فهرسة الجزأين الأول والثاني، حيث ظن أن حجمه ومن ثم كلفته سيكونان مدمرتين.

وأخيراً ظهر الجزء الثالث - «عودة الملك» - في إنجلترا في 20 أكتوبر 1955 وفي الولايات المتحدة في 5 يناير 1956. مع ظهور الجزء الثالث، نشرت رواية «سيد الخواتم» كاملة، وظل نص طبعتها الأولى دون تغيير لمدة عقد في الواقع. (قام تولكين ببعض تصويبات قليلة بسيطة، ولكن هناك المزيد من الأخطاء التي دخلت في «رفقة الخاتم» في طبعته الثانية عندما قام الطابع، وقد وزع مجموعة حروف الطباعة بعد الطباعة الأولى، بإعادة تضييد الكتاب دون أن يعلم المؤلف أو الناشر بذلك).

في 1965، ومن منطق ما بدا في ذلك الوقت أنه مشاكل في حقوق الطبع والنشر في الولايات المتحدة، قامت شركة طباعة أمريكية تطبع الأغلفة الورقية بطباعة «سيد الخواتم» طبعة غير مرخصة وغير مدفوع لها أي جعلاة للمؤلف. وبالنسبة لتلك النسخة التي طبعتها شركة Ace Books)، فإن

نص المرد أعيد تضييه، وبهذا تم إدخال أخطاء مطبعية جديدة؛ ومع ذلك – فإن الملاحق أعيد تسخها ضوئياً من النسخة الورقية، وظلت متوافقة معها.

وببدأ تولكين العمل في مراجعته الأولى للنص وذلك حتى يمكن لنسخة منقحة ومعتمدة حدثاً أن تتفاوت بنجاح في السوق الأمريكية. وقد نشرت هذه المراجعة الأولى في أمريكا في كتاب، حيث نشرتها شركة بالانتايون بوكس (Ballantine Books) في أكتوبر 1965. بالإضافة إلى المراجعات في النص نفسه، قام تولكين باستخدام مقدمة جديدة بدلاً من مقدمته الأصلية. وقد كان سعيداً بإزالة المقدمة الأصلية؛ وكتب في نسخته المنقحة عنها: «إن خلط المسائل الشخصية الحقيقة (كما تفعل المقدمة) «بآيات» القصة، خطأ كبير». كما أضاف تولكين أيضاً إضافة إلى التمهيد، كما أضاف فهرساً – ليس الفهرس المفصل الخاص بالأسماء الذي وعد به في الطبعة الأولى، ولكن، بدلاً من ذلك، أضاف فهرساً بسيطاً ليس به سوى الأسماء وإشارات إلى الصفحات. علامة على ذلك، في هذا الوقت تمت مراجعة الملاحق مراجعة كبيرة.

تلقي تولكين نسخه من طبعة بالانتايون في أواخر يناير 1966، وفي أوائل فبراير دون في يومياته أنه «قد عمل لبعض ساعات في الملاحق في طبعة بالانتايون ووجدت المزيد من الأخطاء أكثر مما توقعت في البداية». وقام بعد ذلك سريعاً بإرسال عدد صغير من المزيد من المراجعات إلى بالانتايون بشأن الملاحق، بما في ذلك الإضافة المعرفة جيداً الآن الخاصة بـ«إستلا يولجن» بصفتها زوجة مريادوك في شجرة العائلة في الملحق ج. معظم هذه المراجعات، التي دخلت بشكل متعدد في الطبعتين الثالثة والرابعة (يونيو وأغسطس 1966) من الجزء الثالث، والتي لم يتم إدخالها دائمًا بالشكل الصحيح (مبيبة بذلك المزيد من التشويش في النص)، لم تصل بحال من الأحوال إلى التسلسل الرئيسي للمراجعة في الطبعة البريطانية للمجلدات الثلاث ذات الغلاف المقوى، وظلت فترة طويلة شيئاً شاداً. كتب تولكين ذات مرة، فيما يتصل بتقديم «سيد الخواتم»، إنه ربما يكون قد أخفق في المحافظة على ترتيب ملاحظاته؛ يبدو أن هذا الفرع الخاطئ في المراجعة مثال على ذلك الخلط في الترتيب فيما يحتمل.

ظهر النص المنقح أول ما ظهر في بريطانيا في «الطبعة الثانية» للمجلدات الثلاث ذات الغلاف المقوى، من آن آند أنونين في 27 أكتوبر 1966. ولكن كانت هناك مشاكل مجدداً. على الرغم من أن المراجعات التي أرسلها تولكين إلى أمريكا عن النص نفسه كانت متاحة للاستخدام في الطبعة البريطانية الجديدة، إلا أن مراجعاته الشاملة للملاحق ضاعت بعد إدخالها في طبعة بالانتايون. وقد اضطررت شركة آن آند أنونين لإعادة تضييد الملاحق باستخدام النسخة كما هي منشورة في طبعة بالانتايون الأولى. ولم تتضمن هذه مجموعة تولكين الصغيرة الثانية من المراجعات التي أرسلها إلى بالانتايون؛ ولكنها، وهو الأمر الأكثر أهمية، تضمنت عدداً كبيراً من الأخطاء والمذوقات، والتي لم يكتشف الكثير منها إلا بعد وقت طويل من ذلك. وهكذا، في الملاحق، فإن التدقير الشديد لنص الطبعة الأولى والطبعات المعاد طباعتها التي صحت بعد ذلك بكثير من الطبعة الثانية بعد ضروريًّا للتحقق مما إذا كان أي تغيير خاص في هذه الطبعة من فعل المؤلف أم أنه عن طريق الخطأ.

في أمريكا، ظهر النص المنقح في نسخة ذات غلاف مقوى في الطبعة المكونة من ثلاثة أجزاء التي نشرتها شركة هوتون ميلفلين في 27 فبراير 1967. ومن الواضح أن هذا النص قد أعد باستخدام

الأوقيت الفوتوغرافي من طبعة 1966 لأن آند أنوين ذات الغلاف المقوى المكونة من ثلاثة أجزاء، وهكذا فإنها متناسقة معها. ويعيدها عن الطباعة الأولى لهذه الطبعة الثانية هوتون ميلفلين، التي يظهر فيها تاريخ 1967 على صفحة العنوان، فإنه لم يظهر أي تاريخ على أي من مرات إعادة الطبع. وبعد الطباعة الأولى لهذه الطبعة، التي تحمل إشعار حق الطبع والنشر لسنة 1966، فإن تاريخ حق الطبع والنشر تغير إلى 1965 ليتطابق مع البيان الموجود في طبعة بالاتنانين. وقد سبب هذا التغيير قدراً كبيراً من التشويش لأمناء المكتبات والباحثين الذين حاولوا تصنيف تسلسل النشر لهذه الطبعات.

وفي ذات الوقت، أمضى تولكين صيف 1966، ليقوم بالمزيد من المراجعة على النص. في شهر يونيو علم أن أي مزيد من المراجعات كان قد فات أوانه ليضاف في الطبعة الثانية لعام 1966 لأن آند أنوين، ودون في يومياته ما يلى: «ولكنني أحارو أن أكمل عملي [في المراجعات] - لا يمكنني أن أتركه بينما هو في عقلي بالكامل. لقد ضاع الكثير جداً من الوقت في عملي كله من جراء هذا القطع المستمر للخيوط». كانت هذه آخر مجموعة مراجعات رئيسية قام بها تولكين نفسه في النص خلال حياته. (تم إدخال بعض التعديلات الصغيرة من جانب تولكين في طبعة عام 1969 الهندية ذات الغلاف الورقي المكونة من مجلد واحد). وقد أضيفت في المرة الثانية من إعادة الطبع (1967) للطبعة الثانية للعجلات الثلاثة ذات الغلاف المقوى لأن آند أنوين. تتضمن المراجعات نفسها في الغالب تصويبات للتسميات والمصطلحات ومحاولات تنسيق استخدامها في جميع الأجزاء الثلاثة.

توفي جيه. آر. تولكين في عام 1973. أرسل ابنه الثالث والمنفذ لوصيته الأدبية، كريستوفر تولكين، بمجموعة كبيرة من التصويبات الإضافية للأخطاء المطبعية، وبصفة أساسية في الملحق والالفهرس، إلى آند أنوين لاستخدامها في طبعاتهم في 1974. كان معظم هذه التصويبات تصويبات طباعية، ومتماشية مع الغرض الذي صرخ به والده في النسخ التي قام هو نفسه بمراجعةها.

ومنذ عام 1974، أرسل كريستوفر تولكين تصويبات إضافية، حيث كانت هناك أخطاء قد تم اكتشافها، إلى الناشرين البريطانيين لـ «سيد الخواتم» (آن آند أنوينون، وفيما بعد آند هايمن، والآن هاربر柯وليتز)، الذين حاولوا أن يكونوا يقطن الضمير في المهمة المستحيلة للحفاظ على السلامة النصية في أي طبعات من «سيد الخواتم» يكونون قد قاموا بطبعاتها. ومع ذلك، ففي كل مرة كان يعاد في التتصيد للطبع في شكل جديد (على سبيل المثال - الطبعات العديدة ذات الغلاف الورقى في إنجلترا في السبعينيات والثمانينيات)، كانت تدخل فيها أعداد كبيرة من الأخطاء المطبعية، على الرغم من ملاحظة بعض هذه الأخطاء في بعض الأوقات وتصويبها في مرات طباعة لاحقة. ومع ذلك، خلال هذه السنوات، فإن الطبعة البريطانية ذات الغلاف المقوى للأجزاء الثلاثة احتفظت بأعلى درجة من السلامة النصية.

في الولايات المتحدة، ظل نص طبعة بالاتنانين ذات الغلاف الورقى دون تغيير منذ أن أضاف تولكين مراجعاته القليلة في عام 1966. ظل النص في جميع طبعات هوتون ميلفلين دون تغيير من 1967 وحتى 1987، عندما قامت هوتون ميلفلين باستخدام الأوقيت الفوتوغرافي للطبعة البريطانية وقتها ذات الغلاف المقوى للأجزاء الثلاثة حتى يقوم بتحديث النص المستخدم في طبعاتها. في مرات إعادة الطبعة هذه، تم إضافة عدد من التصويبات الأخرى (أشرف عليها كريستوفر تولكين)، وأدمج

فرع المراجعة الشارد لبالنتاين (بما في ذلك إضافة «إستلا بولجر») في الفرع الرئيسي للتحرر النصي. بداية من 1987، تضمنت طبعات هوتون ميلف林 أيضاً نسخة سابقة من هذه الـ «ملاحظات على النص»، التي تحتوي على بعض الأخطاء الطفيفة والتيسيرات بناء على ما فهمت وقتها أنه صحيح. هذه المراجعة «للملحوظات على النص»، تم إعدادها لطبعه معاد تصديرها من «سيد الخواتم» (تنشر في أساق عديدة)، تحل محل وتنسخ النسخة السابقة.

كما أن هذه الطبعة الجديدة تحتوي أيضاً على عدد من التصويبات الجديدة (أشرف عليها مجدداً كريستوفر تولكين)، بالإضافة إلى فهرس هنئ من جديد للأسماء ومراجع الصفحات. بالنسبة لهذه النسخة، وهي «أفضل نسخة ممكنة»، فإن نص «سيد الخواتم» يتم إدخاله على الحاسوب الآلي، الأمر الذي من شأنه أن يسمح باتساق أكبر للنص في الطبعات المستقبلية. وقد قال راينر أوين، الذي كان ناشر تولكين لمعظم حياته، متذمراً أنه كطفل، فإنهم كانوا يخبرونه، كحافظ لتحسين معرفته الدينية، «أن دار نشر الجامعة ستدفع خمسة جنيهات لأي شخص يكتشف خطأ طباعياً في واحد في أناجيلها المعتمدة. لم أسمع قط عن أي شخص قد كسب هذه الثروة الصغيرة، ولكنني غالباً ما كنت أتخيل مكافأة متساوية تعرض بعد ثلاثة قرون من الطبعة الأولى من «سيد الخواتم». سوف يستغرق الأمر وقتاً طويلاً كهذا على الأقل لتحقيق الكمال الطباعي».

ربما يكون ذلك حقاً، ولكن هذه الطبعة الجديدة تخطو خطوة عملاقة هامة باتجاه هذا الكمال، بالإضافة إلى تحقيق تناسق مرغوب فيه في النص في الأنساق المتعددة التي تتم طباعتها بها.

التاريخ النصي لرواية «ملك الخواتم»، ببساطة في صورتها المنشورة، عبارة عن شبكة واسعة ومعقدة. في هذه الملاحظات المختصرة، لم أقدم سوى لمحة بسيطة من التسلسل والبناء الشاملين. يمكن العثور على المزيد من التفاصيل حول المراجعات والتصويبات التي تم إدخالها على مدى السنين في النص المطبوع من «ملك الخواتم»، ووصف أكثر اكتمالاً لتاريخ نشر الرواية، في «جي. آر. آر. تولكين: ببليوجرافيا وصفية»، لكتابها واين جي. هاموند، بمساعدة دودلاس إيه. أندرسون (1993). بالنسبة لأولئك المهتمين بمشاهدة التطور التدريجي لرواية «ملك الخواتم» بداية من مسوداتها الأولى إلى شكلها المنشور، فإنهن أنتجهم بشدة بالاطلاع على ما كتبه كريستوفر تولكين في الأجزاء من السادس إلى التاسع في سلسلته «تاريخ الأرض الوسطى: عودة الشبح» (1988)؛ و«خيانة آيزنجارد» (1989)؛ «حرب الخاتم» (1990)؛ و«هزيمة ساورون» (1992). تحتوي هذه الأجزاء على نظرة سريعة شاملة على نمو وتطور هذه الرائعة الفنية المتطرفة، التي لا مثيل لها في تاريخ الأدب. وأخيراً، لا بد من أن أقر بعظم السرور بالمساعدة الودود والتعاون الذي نقىته على مدى سنين كثيرة لكل من كريستوفر تولكين وواين جي. هاموند.

دوglas إيه. أندرسون

إيشاكا، نيويورك

أبريل 1993

## مقدمة للطبعة الثانية

زادت هذه الحكاية فيما تسرده من قصة، إلى أن أصبحت تارِيْخاً لحرب الخاتم العظيمة، وتضمنت لمحات كثيرة من التاريخ الأكثر قدماً مع ذلك الذي سبقها. لقد كانت البداية بعد كتابة «الهوبيري» مباشرة، وقبل نشره في عام 1937؛ ولكنني لم أكمل هذه التتمة، لأنني كنت أود أولاً أن أكمل وأرب الميشلوجيا والأساطير الخاصة بالأيام الخوالي، التي كانت تتشكل لبعض سنوات. لقد كنت أرغب في أن أفعل ذلك لإرضائي أنا، وكان لدى القليل من الأمل أن ينال العمل اهتمام أشخاص آخرين، وعلى وجه الخصوص حيث إنه كان في المقام الأول لغويًا في إيحائه وقد يدئ من أجل تقديم الخلفية «التاريخية» للغات الجن.

عندما قام أولئك الذين طلبُت منهم المشورة والرأي بأن صحووا لي «المقليل من الأمل إلى لا أمل»، عدت إلى التتمة، تشجعني الطلبات التي وصلتني من القراء بشأن المزيد من المعلومات فيما يتصل بالهوبيريين ومقامراتهم. ولكن النصّة كانت قد سُحبَت بشكل لا يقاوم باتجاه العالم الأكثر قدماً، وأصبحت سرداً، كما كانت، ل نهايتها وانقضائها قبل حكاية بدايتها ووسطها. لقد بدأت العملية في كتابة «الهوبيري»، والتي كان فيها بالفعل بعض الإشارات إلى المسألة الأكثر قدماً: إلروند، وجوندولين، والجن الأعلى، والأوركيون<sup>(1)</sup>، بالإضافة إلى لمحات جاءت دون طلب من أشياء أخرى أو أعمق أو أكثر ظلاماً من سطحها: دورين، وموريَا، وجندلف، والساحر، والخاتم. لقد تم اكتشاف مدى أهمية هذه اللمحات وعلاقتها بالتاريخ القديمة العصر الثالث ووصوله إلى ذروته في «حرب الخاتم».

أما أولئك الذين طلبو المزيد من المعلومات حول الهوبيريين فقد حصلوا عليها أخيراً، ولكن كان عليهم أن يتذمروا وقتاً طويلاً لأن كتابة «ملك الخواتم» سارت على فترات متقطعة خلال السنوات من 1936 إلى 1949، وهي فترة كانت لدى قيّها مهام كثيرة لم أهملها، واهتمامات أخرى كثيرة كمتعلم وكمعلم التي كانت كثيراً ما تستحوذ علىي. ولقد زاد التأخير - بالطبع - أيضاً بسبب اندلاع الحرب في عام 1939، وهي السنة التي لم تكن المقصة في نهايتها قد وصلت بعد إلى نهاية الكتاب الأول. على الرغم من الظلمة التي حلّت في السنوات الخمس التالية، فإني وجدت أن القصة لا يمكن تركها الآن برمتها، ورحت أسيء فيها بتناول، وكان ذلك في معظمِه يجري ليلاً، ومع ذلك توقفت عند قبر بالين في موريَا. عند هذه النقطة توقفت لفترة طويلة. ومضى عام تقريباً بعد ذلك حتى واصلت مسيرة الكتابة ووصلت إلى نوتنغهورين وانتهت العظيم في وقت متأخر من عام 1941. في السنة التالية، كتبت المسودات الأولى من المادة التي تشكل حالياً الكتاب الثالث، وبدايَات الفصلين الأول والثالث من الكتاب الخامس؛ وهناك بينما كانت المنارات تومنض في أنورين، ووصلت ثيودين إلى وادي هاروديل، توقفت. أخفقت البصيرة ولم يكن هناك وقت للتفكير.

وكان أن حدث خلال عام 1944، عندما تركت النهايات السافية والأشياء المربيكة الخاصة بحرب كان يجب عليّ أن أجربها، أو على الأقل أن أخبر عنها، أرغمت نفسي أن أعالج رحلة فرودو إلى

(1) Orc - يجب أن تبقى كما هي دون ترجمة (المترجم).

موردور. هذه الفصول، والتي أصبحت أخيراً الكتاب الرابع، كتبت وأرسلت كسلسلة إلى ابني، كريستوفر، الذي كان عندها في جنوب أفريقيا مع القوات الجوية الملكية. ومع ذلك، استغرق الأمر خمس سنوات أخرى قبل أن تصل الحكاية إلى نهايتها الحالية؛ في ذلك الوقت غيرت منزلتي، ومقعدي، وكلتي، وعلى الرغم من أن الأيام كانت أقل ظلمة فإنها لم تكن أقل عنااء وكذا. عند ذلك عندما كانت «النهاية» قد جاءت أخيراً، كان يجب مراجعة القصة كاملة، وفي حقيقة الأمر أعيد كتابتها بشكل كبير لنوراء. وكان ينبغي طباعتها، وإعادة طباعتها: يواسطني؛ لقد كانت كلفة الطباعة المحترفة التي يقوم بها أشخاص يعملون بأصابعهم العشرة تفوق إمكانياتي.

وقد قرأت «ملك الخواتم» من جانب أشخاص كثرين منذ أن ظهرت أخيراً في شكل مطبوع؛ وإنني أود أن أقول شيئاً هنا بالإشارة إلى الآراء أو التخمينات الكثيرة التي تلقيتها أو التي قرأتها فيما يتصل بدوافع القصة ومعاناتها. كان الدافع الرئيسي رغبة القصاص في أن يجرب يده في قصة طويلة حقاً من شأنها أن تستحوذ على انتباه القراء، وتمتعهم، وتبهجهم، وفي بعض الأوقات قد تثيرهم أو تحركهم بعمق. وكدليل، لم يكن لدى سوى مشاعري بشأن ما هو مثير للإعجاب أو محرك، وقد كان الدليل بالنسبة للكثرين مخططاً غالباً بشكل حتمي. إن بعض الذين قرأوا الكتاب، أو قاموا بحال من الأحوال بمراجعةه، وجدوا أنه ممل، أو سخيف، أو تافه؛ وليس لدى من سبب يجعلني أشكى، حيث إن لي آراء شبيهة فيما يتصل بأعمالهم، أو فيما يتصل بأنواع الكتابات التي يفضلونها بشكل واضح. ولكن حتى من وجهات نظر الكثرين الذين تمعنوا بالقصة هناك الكثير الذي لا يرضي. وربما لا يكون من الممكن في قصة طويلة إرضاء الجميع في كل النقاط، ولا عدم إرضاء أي شخص في نفس النقاط؛ لأنني أجد من خلال الخطابات التي تلقيتها أن الفرات أو الفصول التي هي مشوهة بالنسبة للبعض إنما هي كلها مستحسنات خاصة من جانب آخرين. أما القارئ الأكثر انتقاداً في الجميع، وهو أنا نفسي، يجد الآن الكثير من المثالب، الصغيرة والكبيرة، ولكن نظراً لكونه - لحسن الحظ - غير ملتزم بحال من الأحوال سواء بمراجعة الكتاب أو بكتابته مرة أخرى، فإنه سيمر فوق كل هذه المثالب في صمت، باستثناء مثابة لاحظها آخرون: الكتاب قصير أكثر من اللازم.

أما بالنسبة لأي معنى داخلي أو «رسالة»، فيليس لها أي دلالة في نية المؤلف. إنها ليست مجازية ولا موضوعية. بينما راحت القصة تكبر، فإنها ألت بجذورها (في الماضي) وطرحت فروعها غير متوقعة؛ ولكن موضوعها الرئيسي قد حسم من البداية بالاختيار الحتمي للخاتم ليكون الحلقة بينها وبين «الهويتي». الفصل الجوهرى «شبح الماضي»، واحد من الأجزاء الأكثر قدماً في القصة. لقد كتب قبل أن يكون نذير 1939 قد أصبح كارثة لا يمكن تجنبها بوقت كبير، ومن تلك النقطة كانت القصة ستتطور عبر نفس الخطوط على وجه الضرورة، لو أن تلك الكارثة قد أمكن تفاديها. إن مصادرهاأشياء موجودة في الذهن قبل وقت طويل، أو في بعض الحالات كانت مكتوبة بالفعل، ولم يعدل سوى القليل منها أو لم يجر عليها أي تعديل على الإطلاق من جراء الحرب التي بدأت في عام 1939 أو عوافها.

الحرب الحقيقة لا تشبه الحرب الأسطورية في عمليتها أو في نتيجتها. فإذا كانت قد أوجّت بتطوير الأسطورة أو وجهت تطويرها، ففي هذه الحالة بكل تأكيد كان الخاتم سيتم الاستيلاء عليه

واستخدامه ضد ساوروون؛ لم يكن ساوروون نبياد ولكن يستعبد، وما كانت باراد دور لتدمير ولكن تحمل. أما سارومان، لما فشل في حيادة الخاتم، فقد كان - في تشويش وخيانات الزمن - سيد في موردور الحلقات المفقودة في أبحاثه التي قام بها في علم الخاتم، وقبل أن يمضي وقت طويل لكان قد صنع خاتماً عظيماً خاصاً به كان بإمكانه به أن يستخدمه لتحدي حاكم الأرض الوسطى المصمم ذاتياً. في ذلك الصراع، كان الطرفان كلاهما سيكرهان الهوبيتين ويحترقانهم: إنهم ما كانوا ليعيشوا طويلاً حتى كعبيد.

هناك ترتيبات أخرى يمكن وضعها وفقاً لأنواع أو رفى أولئك الذين يحبون الإشارة المجازية أو الموضوعية. ولكنني أكره من كل قلبي المجاز في كل صورة، وكثيراً ما كنت كذلك منذ أن كبرت وأصبحت على وعي كافٍ لاكتشاف وجوده. إنني أفضل التاريخ كثيراً، سواء كان حقيقياً أو مختلفاً، مع إمكانية تطبيقاته المتعددة على فكر وخبرة القراء. أعتقد أن الكثريين يخاطرون ما بين «إمكانية التطبيق» و «المجاز»؛ ولكن أحدهما يسكن في حرية القارئ، بينما الآخر يسكن في الهيمنة التي يقصدها الكاتب.

لا يمكن لأي كاتب - بالطبع - أن يظل غير متأثر بالكلية بخبرته، ولكن الطرق التي تستخدم بها بذور القصة تربة هذه الخبرة معددة إلى أبعد الحدود، ومحاولات تحديد العملية إنما هي تخمينات في أفضل ما يمكن من الأدلة التي تكون غير كافية وبمهمة. كما أنه من الخطأ، على الرغم من أنه جذاب بطبيعته، عندما تتدخل حياة كل من المؤلف والناقد، افتراض أن حركات الفكر أو أحداث الأزمان المشتركة بين الاثنين كانت بالضرورة التأثيرات الأكثر قوة. ينبغي على الواحد حقاً أن يأتي تحت ظل الحرب ليشعر شعوراً كاملاً وتأملاً بظلمها واضطهادها؛ ولكن مع مرور السنين، يبدو أنه غالباً ما ينسى أن مداهنة عام 1914 لك في الشباب لم تكن تجربة أقل بشاعة من التورط في عام 1939 والأعوام التالية. ومع حلول عام 1918 كان كل أصدقائي الحميمين باستثناء واحد فقط منهم قد ماتوا. أو لتأخذ مسألة أقل وطأة: لقد افترض البعض أن «استكشاف المقاطعة» يعكس الموقف في إنجلترا في الوقت الذي كنت فيه أنهى قضتي. إنه ليس كذلك. إنه جزء ضروري من الحبكة، كان متصوراً منذ البداية، على الرغم من أنه قد عدل في الحدث بشخصية سارومان حسبما تطورت في القصة بدون - يمكنني القول - أي أهمية مجازية أو مرجعية سياسية معاصرة من أي نوع. وهي لها في الواقع الأمر بعض الأساس في التجربة، على الرغم من أنه طفيف (لأن الموقف الاقتصادي كان مختلفاً تماماً)، ويعود إلى الوراء بكثير. البلد الذي كنت أعيش فيه في الطفولة كان يُدمَر على نحو جائر قبل أن أبلغ العاشرة، في أيام كانت فيها السيارات أشياء نادرة (لم أر سيارة قط) وكان الرجال لا يزالون يقومون ببناء خطوط السكك الحديدية في الضواحي. رأيت حدثاً في جريدة صورة لما وصلت إليه من تهالك طاحونة الذرة التي كانت في وقت من الأوقات مزدهرة إلى جوار حوضها التي كانت تبدو لي منذ زمن طويل مهمة جداً. إنني لم أحب قط نظرات الطحان الشاب، ولكن والده، الطحان العجوز، كانت تحيته سوداء، ولم يكن اسمه سانديمان.

تصدر «ملك الغواصات» الآن في طبعة جديدة، وقد تم انتهاء الفرصة لمراجعتها. تم تصويب عدد من الأخطاء والتقصيات التي لا تزال قائمة في النص، وكانت هناك محاولة لتقديم معلومات بشأن

عدة نقاط قليلة أثارها القراء اليقظون. لقد أخذت في الاعتبار كل تعليقاتهم واستفساراتهم، وإذا كان يبدو أن بعضها قد أغفل، فإن ذلك ربما يكون مرجعه إلى أنني لم أستطع أن أحافظ على مدوناتي وملحوظاتي مرتبة؛ ولكن الكثير من الاستفسارات لا يمكن الرد عليها إلا بمزيد من الملاحق، أو حقيقة عن طريق إنتاج جزء إضافي يتضمن الكثير من المادة التي لم أضفها في الطبيعة الأصلية، وعلى وجه الخصوص المزيد من المعلومات اللغوية المفصلة. وفي ذات الوقت، فإن هذه الطبعة تقدم تصديراً، وإضافة إلى التمهيد، وبعض الملاحظات، وفهرساً بأسماء الأشخاص والأماكن. هذا الفهرس كامل من حيث القصد فيما يتصل بالعناصر ولكن ليس فيما يتصل بالمراجع، حيث إنه بالنسبة للغرض الحالي، كان من الضروري تقليل حجمه. أما الفهرس الكامل، الذي يستخدم كاملاً الاستخدام المادة التي أعدتها لي السيدة ن. سميث، فهي تخص بالأحرى المجلد الإضافي.



## تمهيد

### ١

### من الهوبيتين

هذا الكتاب يختص بشكل كبير بالهوبيتين<sup>(١)</sup>، ويستطيع القارئ من صفحاته أن يكتشف الكثير من سماتهم والقليل من تاريخهم. كما أنه يمكن إيجاد المزيد من المعلومات في المختارات من [الكتاب الأحمر لمنطقة الحدود الغربية] (The Red Book of the Shire) والذي نشر بالفعل، تحت عنوان الهوبيتي (The Hobbit). وقد تم استقاء القصة من الفصول الأولى من [الكتاب الأحمر]، التي ألفها بيلبو نفسه، الهوبيتي الأول الذي أصبح مشهوراً في العالم قاطبة، وأطلق عليه اسم [الذهب والعودة مجدداً] (There and Back Again)، حيث إن هذه الفصول تحكي عن رحلته إلى الشرق وعودته: مغامرة ضمت فيما بعد كل الهوبيتين في الأحداث العظيمة لذلك العصر والتي نرويها هنا.

بيد أن الكثريين قد يرعبون في معرفة المزيد عن هذا الشعب اللافت للنظر من البداية، في حين أن البعض ربما لا يكون لديهم الكتاب الذي كتب أولاً تقدم لهؤلاء القراء بعض ملاحظات قليلة بشأن النقاط الأكثر أهمية تم جمعها من معارف الهوبيتين، كما يتم استرجاع المغامرة الأولى في اختصار.

الهوبيتون أناس غير قضوليّين بيد أنهم شعب قديم، وكانوا أكثر عدداً فيما مضى مما هم عليه اليوم؛ ونظراً لأنهم كانوا يحبون السلام والهدوء والأرض المحرّثة جيداً: فقد كان مسكنهم المفضل ريفاً جيد الترتيب ومزروعاً جيداً. إنهم لا يفهمون، ولم يفهموا، أو يحبوا الآلات التي تكون أكثر تعقيداً من كير الحداد، أو الطاحونة المائية، أو النول اليدوي، على الرغم من أنهم كانوا مهراً في استخدام الأدوات. حتى في الأيام القديمة فإنهم كانوا - كقاعدة - يرتابون من «الكبار»، مثلما يطلقون علينا، والآن فإنهم يتبنّوننا في فزع وبات من الصعب العثور عليهم. حاسة السمع لديهم حادة، وأبصارهم قوية، وعلى الرغم من أنهم يميلون إلى البدانة ولا يسيرون سريعاً دون داع، فإنهم - مع ذلك - رشيقون وخفيقون في حركاتهم. لقد امتلكوا منذ البداية فن الاختفاء سريعاً وفي صمت، عندما يأتي الكبار والذين لا يرغبون في مقابلتهم يمرّون بهم بخطى ثقيلة؛ وقد طوروا هذا الفن حتى بات من الممكن أن يظهر بالنسبة للإنس سحراً. ولكن

(١) The Hobbits (المترجم)

الهوبيتين - في واقع الأمر - لم يدرسوا السحر من أي نوع فقط ، وإنما ترجع مراوغتهم بشكل أساسى إلى مهارة متحرفة جعلتها الوراثة والممارسة ، والصداقة الحميمة مع الأرض ، غير قابلة للمحاكاة من جانب الأجناس الأكبر حجماً والأقل براعة.

ونظراً لأنهم قوم صغيرو الحجم ، أصغر من الأقزام : فإنهم أقل قوة وامتلاء في الجسم ، أي حتى عندما لا يكونون في واقع الأمر أكثر قصراً . وأطوالهم متغيرة ، إذ تتراوح بين قدمين وأربعة أقدام من مقاييسنا . ونادراً ما يصل طولهم الآن إلى ثلاثة أقدام ؛ ولكنهم تضاءلوا ، كما يقولون ، وفي الأيام القديمة كانوا أكثر طولاً . وحسبما ورد في الكتاب الأحمر ، فإن باندوبراس تووك (الثور المز مجر<sup>(1)</sup>) ، ابن آيزنجريم الثاني ، كان طوله أربعة أقدام ونصف وكان يستطيع أن يركب حصاناً . ولم يتفوق عليه في ذلك في كل سجلات الهوبيتين إلا اثنان فقط من الشخصيات الشهيرة في الماضي ؛ ولكن هذه المسألة الغريبة يتم التعامل معها في هذا الكتاب .

أما بالنسبة لـهوبيتي المقاطعة<sup>(2)</sup> ، الذين تتصل بهم هذه الحكايات ، ففي أيام سلامهم ورخائهم كانوا شعياً سعيداً . كانوا يرتدون ملابس براقة ، حيث كانوا مغرمين بشكل ملحوظ باللونين الأصفر والأخضر ؛ ولكنهم نادراً ما كانوا يلبسون أحذية ، حيث إن أخماس أقدامهم كانت متينة كالجلد وقوية وكانت مغطاة بشعر مجعد كثيف ، يشبه كثيراً شعر رءوسهم ، وكانت على وجه العموم بنية اللون . وهكذا ، فإن الحرفة الوحيدة التي كانوا قلما يمارسونها فيما بينهم كانت صناعة الأحذية ؛ ولكن كانت لهم أصابع طويلة و Maherة وكانوا يستطيعون صناعة أشياء أخرى كثيرة نافعة وجميلة . كانت وجوههم - كفاعدة - ذات طبيعة جيدة أكثر من كونها جميلة ، وعريضة ، وكانت أعينهم براقة ، وخدودهم حمراء ، وكانت لهم أفواه مبالغة إلى الضحك ، كما كانوا ميللين إلى الأكل والشرب . وكانوا يضحكون ، ويأكلون ، ويشربون كثيراً وبحماسة ، حيث كانوا مغرمين بالـمزج البسيطة في جميع الأوقات ، ويتناولون ست وجبات في اليوم (عندما يمكنهم الحصول على هذه الوجبات) . كانوا مضيافين كرماء وكانوا يتنهجون بالحفلات ، وبالهدايا التي كانوا يقدمونها بسخاء ، ويتقبلونها بتلهف .

ومن الواضح حقاً أنه على الرغم من البعد والاغتراب في وقت لاحق ، فإن الهوبيتين أقرب لنا: أكثر قرباً لنا من الجن ، أو حتى من الأقزام . في الماضي ، كانوا يتكلمون لغة البشر ، بطريقتهم الخاصة ، وكانتوا يحبون ويكرهون نفس الأشياء تقريباً

(1) Bandobras Took (Bullroarer) - البندوبراس تووك - الثور المز مجر - [Bullroarer] مكونة من [Bull] و معناها ثور؛ و [roarer] وهذه مشتقة من الفعل [roar] و معناه - يهدأ ، يزمر ، يزار . (المترجم)

(2) The Shire (المترجم)

مثل البشر. ولكن لم يعد بالإمكان اكتشاف مدى علاقتنا بهم على وجه التحديد. تعود بداية الهوبيتين إلى الأيام الخوالي في الماضي البعيد التي ضاعت الآن أو نسيت. لم يعد هناك من أحد سوى الجن يحفظ بأي سجلات عن ذلك الزمان المنقضي، وتنطلق تقاليدهم بشكل كامل تقريرياً بتاريخهم، الذي يُنذر أن يظهر البشر فيه، ولا يذكر الهوبيتين على الإطلاق. بيد أنه من الواضح أن الهوبيتين - في الواقع الأمر - عاشوا في هدوء وسلام في الأرض الوسطى لسنوات طويلة كثيرة قبل أن يدرك وجودهم أي شعب آخر. ولما كان العالم فوق ذلك كله مليئاً بالمخلوقات الغريبة التي لا حصر لها، فإن هؤلاء القوم صغار الحجم كانوا يبدون قليلاً الأهمية جداً. ولكن في أيام بيليو، وفي أيام خلفه فرودو، فإنهم أصبحوا فجأة، دونما رغبة منهم، مهمين ومشهورين على السواء، وصاروا مصدر قلق لمجالس الحكماء والعظماء.

تلك الأيام، العصر الثالث للأرض الوسطى، مضى عليها زمن طويل، وقد تغير شكل كل الأرضي؛ بيد أن المناطق التي عاش الهوبيتون فيها عندئذ كانت بلا شك هي نفسها مثل تلك المناطق التي لا يزالون باقين فيها على قيد الحياة: شمال غرب العالم القديم، شرق البحر. ولم يحفظ الهوبيتون في أيام بيليو بأي معلومات عن موطنهم الأصلي. كان حب التعلم (بخلاف معرفتهم بالأنساب) أكثر من كونه عاماً بينهم، ولكن لا يزال هنالك عدد قليل في الأسر الأكبر عمراً يدرسون كتبهم، بل ويجمعون التقارير عن الأزمنة الماضية والأراضي البعيدة من الجن، والأقزام، والبشر. لم تبدأ سجلاتهم إلا بعد استيطانهم في المقاطعة، ولا تكاد أساطيرهم الأكثر قدماً تعود إلى الوراء إلى أكثر من أيام التجوال لديهم. ومن الواضح، مع ذلك، من هذه الأساطير ومن الأدلة المجموعة من كلماتهم وعاداتهم الغربية، أن الهوبيتين مثلهم مثل شعوب كثيرة أخرى كانوا قد انتقلوا في الماضي البعيد باتجاه الغرب. أما حكاياتهم الأولى الممعنة في القدم فيبدو أنها تلقي نظرة على وقت كانوا يسكنون فيه في الوديان العليا لنهر أندوين، بين الحواف البارزة للغابة الخضراء العظيمة<sup>(1)</sup> والمجال الضبابية<sup>(2)</sup>. أما عن سبب قيامهم فيما بعد بالعمل الشاق والخطير المتمثل في عبور الجبال إلى إريادور، فإن هذا لم يعد أكيداً. تحكي قصصهم عن تكاثر البشر في الأرض، وعن ظل حل بالغابة، بحيث أصبحت مظلمة وأصبح اسمها الجديد الغابة المظلمة<sup>(3)</sup>.

(1) Greenwood the Great .

(2) Misty Mountains .

(3) Mirkwood – الكلمة مكونة من مقطعين (Mirk) و معناها «مظلم»؛ و (wood) و معناها «غابة»؛ وبهذا يكون معنى الاسم (وهو مكان هنا) – الغابة المظلمة. (المترجم)

و قبل عبور الجبال ، كان الهوبيتون قد أصبحوا بالفعل منقسمين إلى ثلاثة سلالات مختلفة بعض الشيء: ذوو الأقدام المشعرة<sup>(1)</sup>، والـ «ستوريين»<sup>(2)</sup>، و ذوو البشرة السمراء<sup>(3)</sup>. كانت بشرة ذوي الأقدام المشعرة أكثر دكناً، وكانوا أصغر حجماً، وأقصر قامة، ولم تكن لهم لحى ولم يكونوا يرتدون أحذية؛ كانت أيديهم وأرجلهم دقيقة و رشيقه؛ وكانوا يفضلون الأرض الجبلية وجوانب التلال. كان المستوريون أكثر امتلاءً، وأشد بنياناً؛ كانت أقدامهم وأيديهم أكبر حجماً، وكانوا يفضلون الأرضي المسطحة وجوانب الأنهر. أما ذوو البشرة السمراء ف كانوا أجمل بشرة وكذلك أجمل شعراً، وكانوا أطول قامة وأكثر نحافة من الآخرين؛ كانوا عشاقاً للأشجار والغابات.

أما ذوو الأقدام المشعرة ف كان بينهم وبين الأقزام في الأزمنة الماضية الكثير، وعاشوا طويلاً في التلال السفجية للجبال. ورحلوا باتجاه الغرب في وقت مبكر، وراحوا يتجلولون في الإريادور بعيداً وصولاً إلى تل الريح<sup>(4)</sup> في حين كان الآخرون لا يزالون في أرض التيه<sup>(5)</sup>. وقد كانوا النوع الأكثر طبيعية وأكثر تمثيلاً للهوبيتين، والأكثر عدداً بكثير. كانوا هم الأكثر ميلاً للسكن في أنفاق وحفر.

ظل المستوريون يعيشون طويلاً على ضفاف نهر أندوين العظيم، وكانوا أقل تحفظاً مع البشر. جاءوا إلى الغرب وراء ذوي الأقدام المشعرة، واتخذوا مسار لاودووتر نحو الجنوب؛ وهناك عاش الكثيرون منهم طويلاً بين ثارباد<sup>(6)</sup> وحدود دونلاند<sup>(7)</sup> قبل أن يرحلوا إلى الشمال مرة أخرى.

أما ذوو البشرة السمراء، وهم الأقل عدداً، ف كانوا فرعاً شمالياً. كانوا أكثر وداً مع الجن مما كان عليه الهوبيتون الآخرون، وكانتوا يتمتعون بمهارة في اللغة وفي الغناء، أكثر من مهاراتهم في الحرف؛ وفي الماضي كانوا يفضلون الصيد على الحرش والزرع. عبروا الجبال شمال ريفنديل وهبطوا إلى نهر النبع الأشيب<sup>(8)</sup>. في إريادور امتنعوا

(1) - وهي صيغة تحولت من اسم قديم (hairfoot) و معناها: (one with hairy feet) - أي، شخص أقدامه مكسوة بالشعر. (المترجم)

(2) - وهم هوبيتون أشد بنياناً - والكلمة (Stoor) معناها (large, strong) - أي كبير أو قوي؛ ولم يوصي المؤلف بترجمة الكلمة. بل أوصى بكتابتها صوتياً (المترجم)

(3) - وهي مكونة من (fallow + hide) وتعني جلد / بشرة سراء. (المترجم)

(4) - و معناها (Hill of the Wind) - حسب المؤلف - أي تل الريح. (المترجم)

(5) - الكلمة غير موجودة في الإنجليزية ولكن فيها إشارة إلى الفعل (wander astray) أي يضل أو يتبوه في سيره (المترجم)

(6) - و معناها (The Crossing Place) أي مكان العبور، أو المعبر. (المترجم)

(7) - المنصر (dun) - معناه (dark, dusky, dull-hued) - أي مظلم أو كثيب، فيكون الاسم يعني الأرض المظلمة (المترجم)

(8) - مكونة من جزأين (pale grey + spring, source) - وبهذا تكون أقرب ترجمة لها (نهر ألين الأشيب) (المترجم)

سريعاً مع الأنواع الأخرى التي سبقتهم، ولكن لما كانوا أكثر جرأة وأكثر ميلاً للمغامرة إلى حد ما، فإنهم في الغالب كانوا يوجدون قادة وزعماء بين قبائل ذوي الأقدام المشعرة أو الستوريين. حتى في زمن بيلبو، فإن سلالة ذوي البشرة العمراء القوية كانت لا تزال تلاحظ بين الأسر الأكثر ارستقراطية، مثل التوكينين<sup>(1)</sup> وسادة بكلاند<sup>(2)</sup>.

في الأراضي الغربية باريادور، بين الجبال الضبابية وجبال لون<sup>(3)</sup>، وجد الهوبيتيون كلاماً من الإنسان والجن. وفي حقيقة الأمر، لاتزال بقية باقية تسكن هناك من الدونادانين، ملوك الإنس (البشر) الذي جاءوا عبر البحر من الأراضي الغربية؛ ولكنهم كانوا يتضاءلون سريراً وكانت أراضي مملكتهم الشمالية تنداعى في مناطق كثيرة وإلى مدى بعيد وتحول إلى دمار. كانت هناك مساحة يمكن استباقها للقادمين الجدد، وقيل أن يمضي زمن طويل بدأ الهوبيتيون الاستيطان في جماعات منتظمة. وقد اختفت معظم مستعمراتهم الأولى منذ زمن طويل ونسخت في أيام بيليو؛ ولكن لا تزال واحدة من المستعمرات التي أصبحت مهمة قائمة، على الرغم من تحذير حجمها؛ كانت هذه المستعمرة في البري<sup>(4)</sup> وفي غابة تشت<sup>(5)</sup> التي ترقد في الجوار، على بعد حوالي خمسين ميلاً إلى الشرق من المقاطعة.

لقد كان في هذه الأيام المبكرة - بلا شك - أن تعلم الـهـوـبـيـتـيـون الكتابة وبدأوا يكتبون بطريقة الدونادانيين، الذي كانوا قد تعلموا - بدورهم - قبل زمن طويل فن الكتابة من الجن. وفي تلك الأيام أيضاً نسوا أي لغات كانوا قد استعملوها من قبل، وراحوا يتحدثون للأبد باللغة الدارجة<sup>(6)</sup>، اللغة الغربية<sup>(7)</sup> كما كانت تسمى، التي كانت شائعة عبر بلدان الملوك من أرنور إلى جوندor، وحول جميع سواحل البحر من بلفالاس إلى لون. بيد أنهم احتفظوا بكلمات قليلة خاصة بهم، بالإضافة إلى أسماء شهورهم وأيامهم، ومخزون كبير من الأسماء الشخصية من الماضي.

في هذا الوقت تقريرياً، أصبحت الأسطورة بين ال هوبيتين في البداية تاريخاً مع حساب للسنين. لأنه كان في السنة رقم ألف وستمائة وواحد من العصر الثالث أن خرج

## The Took (1)

**The Masters of Buckland (2)** -- كلمة Buckland مكونة من مقطعين (Buck) حيوان - الطبي أو الوعل؛ وكلمة (land) أي أرض، أو بلد. (المترجم).

— ويوصي المؤلف بعدم ترجمة الجزء الثاني من الكلمة وكتابه صوتيًا (المترجم) Mountains of Lune (3)

(4) Bree - اسم قديم، معناه ممات، في لغة أكثر قدماً؛ يظل كما هو دون ترجمة - حسب المؤلف (المترجم)

(5) - الكلمة مكونة من جزأين وكلاهما يعني doow ويعرضي الكاتب بترجمة كلمة «wood» فقط والإبقاء على كلمة Chet دون ترجمة (المترجم)

(6) Common Sheep – ويقصد بها اللغة الإنجليزية المستعملة، أو لغة الترجمة على وجه العموم – ولذا فإن الترجمة (اللغة الدارجة أو الشائعة) هي الأقرب صحة لها. (المترجم)

Westron (7) - وهي مشتقة من الكلمة *West* - أي غربي، أو غريبة (المترجم)

الأخوان من ذوي البشرة السمراء، مارتشو وبلانكو، من البرى؛ ولما كانوا قد حصلوا على تصريح من الملك الأعلى في فورنوسٌ<sup>(1)</sup>، فإنهم عبروا نهر برانديوم الأسمى مع مجموعة كبيرة من أتباع من الهوببيتين. مرروا فوق جسر الأقواس الحجرية، الذي بُني في أيام قوة مملكة الشمال، وقد أخذوا كل الأرض التي تقع وراء الجسر ليسكنوا فيها، بين النهر والمرتفعات البعيدة. كل ما كان مطلوباً منهم هو أن يحافظوا على الجسر العظيم في حالة جيدة، وكذلك كل الجسور والطرقات الأخرى، ويساعدوا رسل الملك، ويقروا بسيادته وسلطانه.

وهكذا بدأ حساب المقاطعة، لأن سنة عبور نهر برانديوسين (مثلاً حول الهوببيتون باسم) أصبحت هي السنة الأولى للمقاطعة، وتم حساب كل التواريخ التالية بداية منها. وفي الحال، وقع الهوببيتون في حب مع أرضهم الجديدة، وظلوا هناك، وسرعوا مرروا مرة أخرى من خارج تاريخ الإنس والجن. في حين أنه كان لا يزال هناك ملك، فإنهم كانوا يالاسم رعاياه، ولكنهم كانوا - في حقيقة الأمر - يحكمهم زعماؤهم ولم يكونوا يتدخلون على الإطلاق في الأحداث التي تقع في العالم الخارجي. وقد أرسلوا إلى المعركة الأخيرة في فورنوسٌ مع سيد أنجمور الساحر بعض رمأة الأسماء ليساعدوا الملك، أو هكذا أكدوا بالدليل، على الرغم من عدم قيام أي سجلات للبشر بتسجيل ذلك. ولكن في تلك الحرب، انتهت مملكة الشمال؛ وبعد ذلك أخذ الهوببيتون الأرض وصارت ملكاً لهم، واختاروا من بين زعمائهم قائداً عسكرياً<sup>(2)</sup> لتكون في يده سلطة الملك الذي مضى. وهناك لمدة ألف سنة، لم تقفهم الحروب إلا قليلاً، وازدهروا وتکاثروا بعد الوباء الأسود (عام 37 من حساب المقاطعة) حتى كارثة الشتاء الطويل والمجاعة التي تبعتها. بعد ذلك هلك الكثير من الآلاف، ولكن أيام المجاعة (1158-60) كانت في ذلك الوقت من هذه الحكاية قد انقضت منذ زمن طويل وقد أصبح الهوببيتون مجدداً معتادين على المزيد. كانت الأرض شريرة وعطفة، وعلى الرغم من أنها كانت قد هجرت منذ زمن طويل عندما دخلوها هم. وكانت من قبل جيدة الحرش والزرع، وهناك كانت لملك في وقت من الأوقات مزارع كثيرة، وأراض مزروعة بالذرة، وكرمات العنب، والغابات.

(1) (Fornost for) (tso + (htron) (ssertrof) - القلعة / الحصن الشمالي [موقع] <http://en.wikipedia.org/wiki/Fornost> [المترجم])

وكما تحكي سجلات جوندور، فإن هذا الملك كان أرجلباً الثاني<sup>(\*)</sup>، رقم عشرين في الخط الشمالي، والتي انتهت مع أرقيندوي بعد ثلاثة سنة من ذلك. وهكذا، فإن سنوات العصر الثالث في حساب الجن والدواتانيين يمكن التوصل إليها بإضافة 1600 إلى تواريخ حساب المقاطعة.

(\*) Argeleb - ومعناها Lord of Silver سيد الفضة [موقع] <http://en.wikipedia.org/wiki/Argeleb> [المترجم]

(2) Thain - القائد العسكري التقليدي للهوببيتين في المقاطعة [موقع] <http://en.wikipedia.org/wiki/Thain> [المترجم]

وصل امتدادها إلى أربعين فرسخاً من المرتفعات القصوى إلى جسر نهر براندي واين، وخمسين فرسخاً من المستنقعات الشمالية إلى المستنقعات في الجنوب. وأطلق الهوبيتيون عليها اسم المقاطعة، لتكون بمثابة منطقة السلطة الخاصة بقائدهم العسكري، ومنطقة عمل جيد الترتيب والتنظيم؛ وهناك في ذلك الركن اللطيف من العالم، راحوا يعملون بكد واجتهاد في عملهم الحيائى جيد الترتيب والتنظيم، وراح انتباهم للعالم الخارجي يقل أكثر فأكثر حيث كانت الأشياء الشريرة تتحرك فيه، إلى أن وصلوا إلى الاعتقاد بأن السلام والوفرة كانا القاعدة في الأرض الوسطى وحق لكل الأشخاص العقلاة. لقد نسوا أو أغفلوا ذلك القليل الذي سبق أن عرفوه عن الحراس، وأعمال أولئك الذين جعلوا سلام المقاطعة الطويل ممكناً.

ولم يكن الهوبيتيون في أي وقت من الأوقات مولعين بالحرب، ولم يدخلوا في حرب مطلقاً فيما بينهم. في الأيام الغابرة، بالطبع، كانوا يضطرون غالباً للحرب للحفاظ على أنفسهم في عالم صعب؛ ولكن في وقت بلييو كان ذلك تاريخاً قدماً جداً. المعركة الأخيرة، قبل أن تبدأ هذه القصة، وفي الواقع المعركة الوحيدة التي وقعت على الإطلاق داخل حدود المقاطعة، كانت تقع خارج نطاق الذاكرة الحية: معركة الحول الخضراء، عام 1147 من تقويم المقاطعة، التي قام باندوبراس توكوك فيها بغزو الأوركيين. حتى الطقس أصبح أكثر اعتدالاً، والذئاب التي كانت كثيراً ما تأتي من الشمال للأفتراس والسلب في فصول الشتاء القارصة والمصحوبة بالثلوج أصبحت الآن حكاية يحكىها الأجداد. ولذلك، على الرغم من أنه كان لا يزال هناك بعض مخازن من الأسلحة في المقاطعة، فإنها كانت تستخدم في الغالب كذكريات، تعلق فوق مواد التدفئة أو على الجدران، أو تجمع في متحف في مايكل ديلفينج<sup>(1)</sup>. كان يطلق عليها اسم دار الماثومات<sup>(2)</sup>، لأن أي شيء لم يكن له استخدام مباشر لدى الهوبيتيين، ولكنهم لم يكونوا يرغبون في التخلص منه، كانوا يطلقون عليه اسم «ماثوم»<sup>(3)</sup>. كانت مساكنهم تمثل إلى أن تصبح مزدحمة إلى حد ما بالماثومات، وكانت الكثير من الهدايا التي كانت تمر من يد إلى يد من هذا النوع.

ومع ذلك، لقد جعلت الراحة والسلام هذا الشعب عنيداً ومتيناً بشكل لافت للنظر.

(1) Michel Delving – المدينة الرئيسية في المقاطعة، واسمها يعني (large excavation) – أي الحفرة الكبيرة (المترجم)

(2) Whitfoot – Will Whitfoot – رغبة أو إرادة؛ Whitfoot – مكونة من Whi – وهي اختصار لكلمة White – ومعناها أبيض، وكلمة foot – معناها قدم – (المترجم)

(3) Mathom – أوصى المؤلف بترجمتها دون ترجمة. ويطلقها الهوبيتيون على أي شيء ليس له استخدام مباشر عند الهوبيتيين، ولكنهم لم يكونوا يخلون عنه. وربما يكون معناها في الإنجليزية القديمة precious thing, treasure – أي شيء ثمين أو كنز؛ وبهذا يمكن الإشارة إلى التسمية بـ «دار الثاقبان» (المترجم)

لقد كان من الصعب ترويهم أو قتلهم – إذا وصل الأمر إلى ذلك؛ وكانوا – ربما – مغرمين بشكل لا يعرف المال أو التعب بالأشياء الجيدة ليس على أقل تقدير لأنه يمكنهم، عندما يوضعن في هذا الموقف، أن يتخلوا عنها، ويمكنهم التعايش في الظروف الخشنة التي يتعرضون لها من جراء الحزن أو الخصوم أو الطقس بطريقة أذلت أولئك الذين لم يكونوا يعرفونهم جيداً وكانوا لا يتجاوزون في نظرتهم إليهم بطونهم ووجوههم جيدة التغذية. وعلى الرغم من أنهم كانوا متواينين في الدخول في أي شجار، وفي قتل أي كائن حي على سبيل اللهو، فإنهم كانوا شجاعاً في المواجهة الحرجة، وذلك لأنهم كانوا حادى النظر ولا يخطئون أهدافهم. ليس فقط بالأقواس والرماح. لو أن أي هوبيني اتحنى ليقادى حجراً، فإنه سينجح جيداً في الاختفاء سريعاً، مثله في ذلك مثلما تعرف جيداً جميع الحيوانات التي تجتاز أراضي غير معروفة.

كان جميع الهوبينيين يعيشون أصلاً في حفر في الأرض، أو هكذا كانوا يعتقدون، وفي مثل هذه المساكن كانوا لا يزالون يشعرون بالراحة بأقصى درجاتها؛ ولكن مع مرور الوقت فإنهم اضطروا لاستخدام صور أخرى من المساكن. وفي حقيقة الأمر، ففي المقاطعة في أيام بيلبو، كقاعة، لم يحافظ على هذه العادة القديمة سوى الهوبينيين الأكثر غنى والأفراد الأكثر فقرًا. أما الهوبينيون الأكثر فقرًا فقد دأبوا على السكنى في أوكرار من النوع الأكثر بدائية، مجرد حفر في واقع الأمر، وليس لها سوى نافذة واحدة، أو بدون نوافذ على الإطلاق؛ في حين أن الآثرياء منهم مازالوا ينشئون أنواعاً أكثر رفاهة من الحفر البسيطة التي كانت تصنع في الماضي. ولكن الواقع المناسبة لمثل هذه الأنفاق الكبيرة، المتشعبـة (سميالز<sup>(1)</sup>) – كما كانوا يسمونها) لم تكن توجد في كل مكان؛ وفي السهول المنبسطة وفي المناطق المنخفضة بدأ الهوبينيون، حيث كانوا يتکاثرون، في البناء فوق الأرض. حقيقة، حتى في المناطق شديدة التحدّر والتلال وفي القرى الأكثر قدمًا، مثل قرية هوبينون<sup>(2)</sup> أو تکبار<sup>(3)</sup>، أو في المدينة الرئيسية في المقاطعة، ما يكل دلفنج فوق المرتفعات البيضاء، كان هناك وقتها الكثير من المنازل من الخشب، أو الطوب، أو الحجر. وكانت هذه تلقى حظوة على وجه الخصوص من جانب الطهانين والحدادين وصناع الحال وصناع عربات النقل، وغيرهم من هذا النوع؛ لأنهم حتى عندما كانت تكون لديهم حفر ليعيشوا فيها، فإن الهوبينيين قد اعتادوا لزمن طويل في بناء سقائف وورش.

(1) أوصى المترجم بتركها دون ترجمة، حيث إنها كلمة خاصة بالهوبينيين، ومعناها حجر أو جار؛ ربما تكون قرية من الكلمة الإنجليزية القديمة (smygel) التي لها نفس المعنى. وقد ألمح أن نفس العنصر (smygel) يوجد في الاسم الأصلي لجولام (Sméagol) [سميجول]. (المترجم)

(2) Hobbiton – هي قرية الهوبينيين (المترجم)

Tuckborough (3)

وقد قيل إن عادة بناء بيوت المزارع، والحظائر، قد بدأت بين سكان مرتفع ماريش<sup>(1)</sup> إلى جوار نهر براندي ولين، حيث كان هوببيتو هذا الربع، الربع الشرقي<sup>(2)</sup>، أكبر حجماً وذوى أرجل ثقيلة إلى حد ما، وكانوا يلبسون أحذية الأقزام في الطقس الموحل، ولكنهم كانوا معروفين بكونهم ستوربين في جزء كبير من سلالتهم، كما ظهر ذلك حقاً من اللحية الخفيفة التي كان الكثيرون منهم يطلقونها في ذوقهم. لم يكن أي هوببيتي من ذوي الأقدام المشعرة أو من ذوي البشرة السمراء يطلقون أدنى أثر من لحي. في الواقع الأمر، فإن سكان الماريش، وكذلك سكان بكلاند، شرق التهر، التي شغلوها بعد ذلك، أتوا في معظمهم فيما بعد إلى المقاطعة من الأجزاء البعيدة في الجنوب؛ ولا يزال لهم أسماء غريبة وكلمات غريبة لا توجد في أي مكان آخر في المقاطعة.

من المحتمل أن حرف البناء، مثل العديد من الحرف الأخرى بجانبها، قد تم استئثارها من الدونادانيين. ولكن ربما يكون الهوببيتون قد تعلموها مباشرة من الجن، معلمى الإنس في شبابهم. وذلك نظراً لأن جن العشيرة العليا لم يكونوا قد هجروا بعد الأرض الوسطى، وفي أماكن أخرى يمكن الوصول إليها من المقاطعة. لا يزال بالإمكان رؤية ثلاثة أبراج بناها الجن من عصر لا يمكن تذكره على تلال الأبراج فيما وراء الحدود الغربية. وهي تسطع على بعد في ضوء القمر. كان أكثرها طولاً أكثرها بعضاً، حيث يقف بمفرده فوق رابية خضراء. وقد قال هوببيتيو الرابع الغربي<sup>(3)</sup> أن الواحد يمكنه أن يرى البحر من فوق قمة هذا البرج؛ ولكن لم يعرف فقط عن أي هوببيتي أنه صعدها. في الواقع، هوببيتون قليلاً لم يحدث مطلقاً أن رأوا البحر أو أبحروا على ظهره، وهوبيتون أقل - مع ذلك - حدث أن عادوا ليحكوا ذلك. كان معظم الهوببيتون ينظرون حتى إلى الأنهر والقوارب الصغيرة ببالغ شك وريبة، ولم يكن يستطيع الكثيرون منهم العوم. وبينما تطاولت أيام المقاطعة، فإنهم راحوا يتحدثون بشكل أقل كثيراً مع الجن، وأصبحوا يخافونهم، ولا يتقون في أولئك الذين لهم تعاملات معهم؛ وأصبح البحر كلمة خوف فيما بينهم، وعلامة على الموت، وكانوا يديرون وجوههم بعيداً عن التلال في الغرب.

ربما تكون حرف البناء قد أنت من الجن أو الإنس، ولكن الهوببيتون استخدموها بطريقتهم الخاصة. وهم لم يعتادوا على الأبراج. كانت منازلهم في العادة طويلة، ومنخفضة، ومرية. كانت الأنواع الأكثر قدماً - في الواقع - لا تزيد على محاكاة

(1) المستنقع: الكلمة الأصلية التي استخدمها المؤلف هي (Marish) ومعناها في الإنجليزية المستخدمة هو (marsh) - وتعني بالعربية مستنقعاً أو سبخة. (المترجم)

(2) Eastfarthing - المعنى الأصلي لكلمة (Farthings) في اللغة الإنجليزية هو (الجزء الرابع «أي ربع بنس») - والإشارة هنا إلى أقسام المقاطعة (Shire) الأربع. وهذا فإن Eastfarthing تعني الربع الشرقي. (المترجم)

(3) Westfarthing - المعنى الأصلي لكلمة (Farthings) في اللغة الإنجليزية هو (الجزء الرابع «أي ربع بنس») - والإشارة هنا إلى أقسام المقاطعة (Shire) الأربع. وهذا فإن Westfarthing تعني الربع الغربي. (المترجم)

مبنيّة من الأنفاق الكبيرة المتشعبّة (سميالز<sup>(1)</sup>)، مسقوفة بالعشب الجاف أو القش، أو مطلّة بالعشب الأخضر، ولها جدران متقدّحة بعض الشيء. بيد أن هذه المرحلة كانت تنتهي إلى الأيام الأولى للمقاطعة، وقد تغيّر بناء الهوبيتّين منذ زمن طويل؛ وتحسن بالأدوات، التي تعلّموها من الأفراز أو اكتشفوها هم بأنفسهم. وقد كان تفضيلهم للنوافذ الدائرية، بل وحتى الأبواب الدائرية، هو الخصوصية الفريدة الرئيسيّة المتبقّية من فن العمارة الهوبيتي.

كانت منازل وحفر هوبيتّي المقاطعة في الغالب كبيرة، وتسكنها أسر كبيرة. (كان بيلبو وفرودو باجيتز بصفتهمما أعزّ بين استثنائيّين جداً في ذلك، كما كانوا أيضاً في طرق أخرى كثيرة، مثل صداقتهما مع الجن). وأحياناً، كما هي الحال مع التوكينيين الذين كانت لهم أنفاق كبيرة متشعبّة (سميالز)، أو أفراد البرانديكَ الذين كانوا يسكنون براندي هول، فقد عاشت أجيال كثيرة من الأقارب في سلام (نبي) معاً في منزل واحد توارثوه من الأسلاف مكون من عدة أنفاق. وقد كان كل الهوبيتّيون – على أية حال – متماسكين في عشائر وكانوا يحسبون صلات قرابتهم بدقة عظيمة. من المهم عند التعامل مع الهوبيتّين أن نذكر من الذي يمت بصلة قرابة إلى من، ومن أي درجة. وسوف يكون مستحيلًا في هذا الكتاب أن نضع شجرة عائلة تتضمّن حتى الأفراد الأكثر أهميّة من الأسر الأكثر أهميّة في الوقت الذي تحدث عنه هذه الحكايات. حيث إن أشجار النسب في نهاية الكتاب الأحمر عبارة عن كتاب صغير في حد ذاتها، وسوف يجدها الكثيرون، باستثناء الهوبيتّين، كئيبة إلى أبعد حد. كان الهوبيتّيون يسرّون بمثل هذه الأشياء، إذا كانت دقيقة: كانوا يحبون أن يكون لديهم كتب بها أشياء يعرّفونها بالفعل، موضوعة بأمانة دون أي تناقضات فيما بينها.

## 2

**عن عُشَرِ الغليون**

هناك شيء آخر مدهش بشأن الهوبيتّين الذين عاشوا في الماضي يتّبعي أن نذكره هنا، عادة مذهلة: كانوا يشربون أو يستنشقون، من خلال غليونات مصنوعة من طين أو خشب، دخان أوراق الأعشاب المحترقة، التي كانوا يطلقون عليها اسم عشب الغليون أو الورقة، وهي ضرب من التبغ (النيكوتيني). هناك قدر كبير من العموش بحيط بأصل هذه العادة الفريدة، أو «الفن» مثلاً كان يفضل الهوبيتّيون تسميتها. كل ما يمكن اكتشافه عنها في الماضي جمعه معاً مريادوك براينديكَ (والذي عُرف فيما بعد

باسم سيد بَكْلَاند)، وحيث إنه هو وتبعه الربع الجنوبي<sup>(1)</sup> يلعبان دوراً في التاريخ الذي يتو ذلك، فإن ملاحظاته في مقدمة كتابه (علم الأعشاب في المقاطعة)<sup>(2)</sup> يجب اقتباسها؛ حيث يقول:

«هذا هو الفن الوحيد الذي يمكننا بكل يقين أن نزعم أنه اختراع خاص بنا. من غير المعروف متى بدأ الهوبيتيون لأول مرة يدخنون، حيث أن كل الأساطير وتاريخ الأسر تسلم بذلك؛ كان سكان المقاطعة على مر العصور يدخنون العديد من الأعشاب، بعضها أكثر تعفناً وبعضها أكثر حلاوة. ولكن كل السجلات تتفق على أن توبيولد هورنبلوار من لونجبوتون<sup>(3)</sup> في الربع الجنوبي أول من زرع عشبة الغليون في حدائقه في أيام آيزنجريم الثاني، في سنة 1070 من تقويم المقاطعة تقريباً. ولا يزال أفضل الأعشاب المزروعة محلياً يأتي من هذا المكان، وعلى وجه الخصوص الأنواع المعروفة الآن باسم ورقة لونجبوتم<sup>(4)</sup>، وتوبي العجوز<sup>(5)</sup>، والنجم الجنوبي<sup>(6)</sup>.

«ولم يسجل الوقت الذي عثر فيه توبي العجوز على النبات، لأنه لم يخبر أحداً بذلك حتى يوم وفاته. كان يعرف الكثير عن الأعشاب، ولكنه لم يكن رحالة. يقال إنه في شبابه كان يذهب كثيراً إلى البري، على الرغم من أنه بكل يقين لم يذهب قط إلى أبعد من ذلك خارج المقاطعة. وهكذا فإنه من المحتمل تماماً أن يكون قد تعلم ما تعلمه عن هذا النبات في البري، حيث إنه ينمو الآن - على أية حال - جيداً في المنحدرات الجنوبية من التل. ويُزعم هوبيتيو البري أنهم كانوا أوائل المدخنين في الواقع لعشب الغليون. وهم يزعمون - بالطبع - أنهم قد فعلوا كل شيء قبل سكان المقاطعة، الذين يطلقون عليهم «المستعمرون»؛ ولكن زعمهم في هذه الحال - فيرأى - يتحمل أن يكون صحيحاً. ومن المؤكد أن يكون قن تدخين العشب الحقيقي قد انتشر من البري في القرن الأخيرة بين الأقزام وغيرهم من الشعوب الأخرى، الجوالين، أو السحرة، أو الطوافين، وهم لا يزالون يمرون جيئةً وذهاباً عبر هذا الملتقى القديم للطرق. وهكذا فإن مقر ومركز هذا الفن إنما يوجد في حانة البري القديمة، الفرس الواثب، التي كانت تديرها أسرة بَتْرِبِير منذ زمن يقع خارج نطاق السجلات.

«ومع ذلك، فإن الملاحظات التي سجلتها في رحلاتي الكثيرة جنوباً قد أقنعني أن

(1) Southfarthing – المعنى الأصلي لكلمة (Farthings) في اللغة الإنجليزية هو (الجزء الرابع «أي ربع بنس») – والإشارة هنا إلى أقسام المقاطعة (Shire) الأربع. وهكذا فإن Southfarthing تعني الربع الجنوبي. – (المترجم)

Herblure of the Shire (2)

Tobold Hornblower of Longbottom (3)

Longbottom Leaf (4)

Old Toby (5)

Southern Star (6)

الشعب نفسه ليس أصلياً في أجزائنا من العالم، ولكنه أتى من الشمال من أندوين الأدنى، إلى حيث كان قد جلب، فيما أشك، عبر البحر بشر الأراضي الغربية. وهو ينمو بكثافة في جوندور، وهو هناك أكثر ثراء وأكبر حجماً منه في الشمال، حيث لا يمكن العثور عليه مطلقاً في البرية، ولا يزدهر إلا في الأماكن الدافئة المحمية مثل لونجبوتون. يطلق عليه أهل جوندور من البشر اسم *الجالينات الحلوة*<sup>(1)</sup>، ولا يقدرونها إلا لرائحة أزهاره. ومن هذه الأرض، لابد أنه قد نقل عبر الطريق الأخضر خلال القرون الطويلة بين قدم إنديل وبين أيامنا. ولكن حتى الدونادانيين من مسكن جوندور ينسبون إليها ذلك: *الهوبينون* هم أول من وضعه في غليونات. بل إن السحرة أنفسهم لم يفكروا في البداية في ذلك قبل أن نفكر فيه نحن. على الرغم من أن أحد السحرة كنت أعرفه قد أخذ ذلك الفن منذ زمن طويل، وأصبح ماهراً فيه متلماً هو ماهر في كل الأشياء الأخرى التي وضعها في ذهنه».

## 3

**عن نظام المقاطعة**

كانت المقاطعة مقسمة إلى أربعة أرباع، وكانت هذه الأجزاء يطلق عليها الربع الشمالي، والربع الجنوبي، والربع الشرقي، والربع الغربي؛ وقد قسم كل من هذه بدوره إلى عدد من الأراضي الخاصة بالعائلات، والتي لا تزال تحمل أسماء بعض الأسر الرئيسية الكبيرة، على الرغم من أنه وقت هذا التاريخ لم يعد لهذه الأسماء وجود إلا في أسماء هذه الأراضي الخاصة بالعائلات والمملوكة بوضع اليد. لا يزال معظم التوكينين تقريباً يعيشون في أرض التوكينين، ولكن لم يكن ذلك صحيحاً بالنسبة للأسر كثيرة أخرى، مثل *الباجينز*<sup>(2)</sup> أو *البوفينين*<sup>(3)</sup>. وخارج الأرباع كانت هناك الحدود الشرقية والغربية: أرض *بكلاند* (ص. 96)؛ وأضيفت المنطقة الحدودية الغربية<sup>(4)</sup> إلى المقاطعة في عام 1462 من تقويم المقاطعة.

لم يكن في المقاطعة في ذلك الوقت أي «حكومة». كانت الأسر في غالب الأمر تقوم بتدبير شؤونها الخاصة. كان زرع الطعام وأكله يشغل معظم وقتهم. وفي شئون أخرى كانوا - كقاعدة - كرماء وليسوا جشعين، ولكنهم كانوا راضين ومعتدلين، بحيث كانت الممتلكات، والمزارع، والورش والحرف الصغيرة تميل إلى أن تظل دون تغيير لعدة أجيال.

Sweet glenas (1)

The Bagginses (2)

The Boffins (3)

— ومعناها (borderland) أي المنطقة الحدودية الغربية (المترجم) (4)

وبالطبع فقد ظل قائماً التقليد القديم الخاص بالملك الأعلى في فورنورست، أو المدينة الشمالية الحصينة<sup>(1)</sup> كما كانوا يسمونها، بعيداً في شمال المقاطعة. ولكن لم يكن هناك أي ملك لمدة ألف سنة تقريباً، بل وحتى أطلال مدينة الملك الشماليّة الحصينة فقد غطّاها الشعب. بيد أنّ الهوبتيين لا يزالون يقولون عن الشعوب البرية والأشياء الشريرة (مثل الغيلان<sup>(2)</sup>) أنها لم تسمع عن الملك. لأنّهم كانوا ينسبون إلى الملك في الماضي كل قوانينهم الضروريّة؛ وفي العادة كانوا يحتفظون بقوانين حرية الإرادة، لأنّها كانت القواعد (حسبما كانوا يقولون)، وقد كانت قدّيمة وعادلة على السواء.

ولقد كانت عائلة التوكين - حقاً - بارزة لزمن طويلاً؛ لأن منصب القائد العسكري قد انتقل إليهم (من الأولدبكين<sup>(3)</sup>) منذ بعض عصور مضت، وقد حمل الزعيم التوكى هذا اللقب منذ ذلك الحين. كان القائد العسكري هو سيد المجلس الشعبي في المقاطعة، وقائد التجمع العسكري في المقاطعة والقوات المسلحة الهوبتينيّة، ولكن حيث إن التجمع العسكري والمجلس الشعبي لم يكونا ينعقدان إلا في أوقات الطوارئ، الأمر الذي لم يعد يحدث، فإن منصب القائد العسكري<sup>(4)</sup> لم يعد أكثر من منزل شرفية. وفي حقيقة الأمر، كانت الأسرة التوكوكية لا تزال تناول احتراماً خاصاً، لأنّها ظلت كثيرة العدد وثرية إلى حد بعيد على السواء، وكانت تعيل إلى أن تنتج في كل جيل شخصيات قوية لهم عادات فريدة بل وعندهم نزعة خاصة إلى المغامرة. ومع ذلك، فإنّ الصفات الأخيرة كانت عند ذاك تُطاق (في الأغنياء) أكثر من قبولها على العموم. ومع ذلك فقد بقيت عادة الإشارة إلى رئيس العائلة باسم التوكوكى، وكذلك إضافة رقم إلى اسمه إذا لزم الأمر: مثل آيزنجريم الثاني، على سبيل المثال.

المُسْنُوْلُ الْحَقِيقِيُّ الْوَحِيدُ فِيِّ الْمَقَاطِعَةِ فِيِّ ذَلِكِ الْوَقْتِ كَانَ عَمَدَةُ مَايَكَلَ دَلْفِنْجُ (أوِّ الْمَقَاطِعَةِ)، الَّذِي كَانَ يُخْتَارُ كُلَّ سِبْعَ سَنَوَاتٍ فِيِّ الْمَهْرَجَانِ الْحَرِّ فِيِّ الْمَرْتَفَعَاتِ الْبَيْضَاءِ فِيِّ يُونِيُّو وَيُولِيُّو<sup>(5)</sup>، أَيِّ فِيِّ مِنْتَصِفِ الصِّيفِ. وَبِصَفَّتِهِ الْعَمَدَةِ، فَإِنَّ مَهْمَتَهِ الْوَحِيدَةِ تَقْرِيْبًا كَانَتْ أَنْ يَتَرَأَسَ الْمَادَبَ، الَّتِي تَقَامُ فِيِّ الْعَطَلَاتِ فِيِّ الْمَقَاطِعَةِ، وَالَّتِي كَانَتْ تَحْدُثُ فِيِّ فَتَرَاتِ مُتَكَرَّرَةٍ. وَلَكِنَّ مَنَاصِبَ مدِيرِ الْبَرِيدِ وَمَسْنُوْلِ الْمَقَاطِعَةِ الْأَوَّلِ قد أُضِيَّفَتْ إِلَيْهِ مِنْصَبَ الْعَمَدَةِ، وَبِهَذَا فَإِنَّهُ كَانَ يَدِيرُ كُلَّ مِنْ خَدْمَةِ الرُّسْلِ، وَالْحَرَاسَةِ. كَانَتْ هَذِهِ خَدْمَاتُ الْمَقَاطِعَةِ الْوَحِيدَةِ، وَكَانَ الرُّسْلُ هُمُ الْأَكْثَرُ عَدْدًا، وَالْأَكْثَرُ اِشْغَالًا

(1) – Norbury – وَمَعْنَاهَا (fortified town) – أي المدينة / البلدة الشمالية الحصينة.

(2) – Troll – وَمَعْنَاهَا الأَصْلِيُّ – قَزْمٌ أَوْ جِيَارٌ خَرَافِيٌّ يَسْكُنُ الْكَهْوَفَ أَوْ يَقْعُدُ تَحْتَ الْأَرْضِ (في الميثولوجيا الإسكندرافية) (قاموس المورد) (المترجم)

(3) – Oldbuck – الْمَقْطَعُ الثَّانِي مِنْهَا buck معناه وَعَلٌ أَوْ ظَبٌ. (المترجم)

(4) – The Thainship

(5) – Lithe – هُوَ الْأَسْمَاءُ الْقَدِيمَةُ لِكُلِّ مِنْ شَهْرِيِّ يُونِيُّو وَيُولِيُّو (المترجم)

من الاثنين. وبالتأكيد لم يكن الهوبتيون جميعهم متعلمين، باستثناء أولئك الذين كانوا يكتبون باستمرار إلى أصدقائهم (ومجموعة مختارة من أقاربهم) الذين كانوا يعيشون على بعد مسافة تزيد على مسيرة فترة ما بعد الظهيرة.

كان اسم مسئولي المقاطعة هو الاسم الذي يطلقه الهوبتيون على شرطتهم، أو أقرب مساواً لذلك كان لديهم. ولم يكن لديهم بالطبع أي أزياء موحدة رسمية (مثل هذه الأشياء لم تكن معروفة تماماً)، لم يكن هناك سوى ريشة في قبعاتهم؛ وكانوا من الناحية العملية ضباطاً لمنع الماشية من الدخول في الحقول، أكثر من كونهم رجال شرطة، وكانتوا مهتمين بشكل أكبر بالحيوانات الضالة أكثر من اهتمامهم بالأشخاص الضالين. لم يكن في المقاطعة سوى اثنى عشر واحداً فقط منهم، ثلاثة في كل ربع، للعمل الداخلي. كان يتم استخدام مجموعة أكبر إلى حد ما، تختلف عند الحاجة، في «مراقبة الحدود»، والتأكد من أن الدخلاء من أي نوع، صغيراً كان أم كبيراً، لا يشكلون أي مصدر إزعاج أو أذى.

في الوقت الذي بدأت فيه هذه القصة، فإن حرس الحدود، متلماً كان يُطلق عليهم، كانوا قد زادوا زيادة كبيرة. كانت هناك تقارير كثيرة وشكاوى من أشخاص غرباء ومخلوقات غريبة تجوس حول الحدود، أو فوق الحدود: العالمة الأولى أن كل شيء لم يكن هادئاً كما ينبغي أن يكون، وقد كان دائماً في حكايات وأساطير الماضي البعيد. قليلاً هم أولئك الذين أغاروا هذه العالمة أي انتباه، بل وحتى بيبلو نفسه لم يكن لديه أي فكرة عما كانت تتندر به هذه العالمة. مضت ستون سنة منذ أن خرج في رحلته التي لا تنسى، وكان كبير السن حتى بالنسبة للهوبتيين، الذين كان من النادر أن تصل سنهم مائة سنة؛ ولكن ظل الكثير بشكل واضح جداً باقياً من الثروة الكبيرة التي أحضرها معه عندما عاد من هذه الرحلة. ولم يفتش لأحد أحد - حتى فرودون نفسه، «ابن أخيه» المفضل - مدى ما جلب معه إن كان كثيراً أو قليلاً. ولا يزال يحتفظ بالخاتم الذي عثر عليه سراً.

## 4

**الغثور على الخاتم**

متلماً وردت الحكاية في كتاب (الهوبتي)، فقد جاء إلى باب بيبلو في يوم من الأيام الساحر العظيم، جنديف الأشيب، ومعه ثلاثة عشر قزماً: ولم يكونوا - في الواقع - سوى ثورين أو كنثيلاد، سليل الملوك ورفاقه الاثني عشر الذين كانوا في المنفى. وخرج معهم في رحلته، ولدهشته هو نفسه الدائمة، في صباح يوم من إبريل، حيث كانت السنة عندها 1341 من تقويم المقاطعة، في مهمة الكنز العظيم، ذخائر الأقزام الخاصة بالملوك تحت الجبل، أسفل إربور في الوادي، بعيداً في الشرق. ونجحت

المهمة، وتم تدمير التنين الذين كان يحرس الكنز. ومع ذلك، قبل أن يُكسب كل شيء، نشبت معركة الجيوش الخمسة، وذبح ثورين، وفعلت أعمال كثيرة مشهورة، وما كان الأمر ليكون له أهمية تذكر في التاريخ اللاحق، أو ما كان ليحظى بأكثر من ملاحظة في الحوليات الطويلة للعصر الثالث، لو لا «حادثة» وقعت في الطريق. هوجمت المجموعة من جانب الأوركيين في شعب جبلي عال في الجبال الضبابية وهم يسيرون باتجاه أرض التيه؛ وهكذا حدث أن فقد بيلبو لبعض الوقت في أنفاق الأوركيين المظلمة في الأعماق تحت الجبال، وهناك، بينما كان يتحسس دون جدوى في الظلام، وضع يده على خاتم، يرقد على أرضية النفق. ووضع الخاتم في جيشه. بدا الأمر وقتها مجرد حظ.

ولما حاول بيلبو أن يعثر على طريق، ذهب إلى أسفل إلى جذور الجبال، حتى لم يكن بإمكانه أن يذهب أكثر من ذلك. عند قاع النفق كانت ترقد بحيرة باردة بعيدة عن الضوء، وعند جزيرة الصخرة في الماء كان يعيش جولام. كان مخلوقاً صغيراً مقرزاً: كان يجده قارباً صغيراً يقدميه المقاطحتين الكبيرتين، وينظر محدقاً بعينين شاحبتين مضيئتين ويصطاد السمك الأعمى بأصابعه الطويلة، ويأكله شيئاً. كان يأكل أي كان حي، حتى الأوركيين، إذا استطاع أن يمسك بأي أوركي ويختنه دون مقاومة. كان يمتلك كنزاً سرياً وصل إليه منذ عصور طويلة، عندما كان لا يزال يعيش في الضوء: خاتم من ذهب كان يجعل من يلبسه غير مرئي. لقد كان الشيء الوحيد الذي يحبه، «شيئه الثمين»، وكان يتحدث إليه، حتى عندما لا يكون معه. لأنه كان يحتفظ به مختبئاً في مكان آمن في حفرة في جزيرته، إلا عندما كان يقوم بالصيد أو التجسس على أوركيي الأنفاق.

ربما كان سيهاجم بيلبو في الحال، لو أن الخاتم كان معه عندما تقابلاً، ولكنه لم يكن معه، وكان الهوبيتي يمسك في يده سكيناً من سكاكين الجن، كان يستخدمها كسيف. ولذلك كسباً للوقت، فإن جولام تحدي بيلبو في لعبة الغاز، قائلاً إنه إذا سأله سؤالاً ولم يستطع بيلبو أن يخمن حله، فإنه سيقتله ويأكله؛ ولكن إذا غلبه بيلبو، فإنه سيفعل ما يرغب فيه بيلبو: سوف يقوده إلى طريق خارج الأنفاق.

وحيث إن بيلبو كان قد تاه في الظلام، ولم يكن بإمكانه أن يواصل سيره أو يعود، فإنه قبل التحدي؛ وراح كل منهما يسأل الآخر عدة ألغاز. في النهاية، فاز بيلبو في اللعبة، عن طريق الحظ (فيما يبدو) أكثر من كونه بالذكاء؛ حيث كان قد تحدى أخيراً للبحث عن لغز ليطرحه، وصاحت بصوت عال، وقد جاءت يده على الخاتم الذي كان قد عثر عليه ونسقه: ماذا لدى في جيبي؟ ولم يستطع جولام الإجابة عن هذا السؤال، على الرغم من أنه طلب ثلاثة تخمينات.

ويختلف الخبراء، وهذا حقيقي، فيما إذا كان ذلك السؤال الأخير مجرد «سؤال» وليس «لغزاً» وفقاً للقواعد الصارمة للعبة؛ ولكن يتفق الجميع أنه بعد قوله وبعد محاولة تخمين الإجابة فإن جولام يكون ملزماً بالوفاء بوعده. وضغط عليه بيلبو ليحافظ على كلمته ويقي بها؛ وذلك لأنه خطر بفكرة أن هذا المخلوق الفرز قد يكون كاذباً، حتى ولو كانت هذه الوعود مقدسة، وكان الجميع يخشون أن يحتشوا فيها في الماضي باستثناء الأشياء الأكثر شراً. ولكن بعد أن أمضى عصوراً بمفرده في الظلام، كان قلب جولام أسود، وكانت الخيانة فيه. وانزلق بعيداً، وعاد إلى جزيرته، التي لم يكن بيلبو يعرف عنها شيئاً، ليس بعيداً في المياه المظلمة. وهناك، حسب ظنه، كان يرقد خاتمه. كان جائعاً وفتها، وغاضباً، وما دام «شيئه الثمين» معه فلم يكن ليخشى أي سلاح على الإطلاق.

ولكن الخاتم لم يكن في الجزيرة؛ لقد ضاع منه، لقد اختفى. لقد بعثت صرخته قشعريرة في ظهر بيلبو، على الرغم من أنه لم يكن يفهم بعد ما حدث. ولكن جولام حمن تخميناً مفاجئاً أخيراً، بيد أنه كان متاخراً جداً. وصاح: «ماذا لديه في جيوبه؟ كان الضوء في عينيه مثل شعلة خضراء وهو ينطلق مسرعاً عائداً لقتل الهوبتي ويسترد «شيئه الثمين» منه. وفي الوقت المناسب تماماً رأى بيلبو الخطر الذي يحيط به، وطار على نحو أعمى وبتهور صاعداً الممر بعيداً عن الماء؛ ومرة أخرى أنقذه حظه. لأنه بمجرد أن راح يجري وضع يده في جيوبه، وانزلق الخاتم في هدوء في إصبعه. وهكذا فإن جولام مر به دون أن يراه، وراح يحرس الطريق بالخارج، مخافة أن يهرب «اللص» منه. وتبعه بيلبو في حذر وحرص، وهو يسير عبر الطريق، ويسب ويلعن، ويتحدث مع نفسه عن «شيئه الثمين»؛ وقد حمن بيلبو من ذلك الحديث أخيراً الحقيقة، وعاد إليه الأمر في الظلمة: لقد وجد هو نفسه الخاتم العجيب كما وجد فرصة للهرب من الأوركيين ومن جولام.

وأخيراً توقيتاً مقابل فتحة غير مرئية كانت تقود إلى البوابات الدنيا للأنيق، في الجانب الشرقي من الجبال. وهناك جثم جولام متربقاً، يت sham ويتنصل؛ وقد أغري بيلبو بذبحه بسيفه، ولكن الشفقة منعه من ذلك، وعلى الرغم من أنه احتفظ بالخاتم، الذي كان يتمثل فيه أمله الوحيد، فإنه لم يستخدمه لمساعدته في قتل ذلك المخلوق التعيس في وضع غير موات. في النهاية، استجتمع كل شجاعته، وقفز فوق جولام في الظلام، وطار بعيداً عبر الممر، وتطارده صيحات عدوه وهو يصرخ بكلمات الكراهية واليأس: لص، لص! باجيتنزي! إننا نكرهه للأبد<sup>(1)</sup>!

والآن فإنها حقيقة غريبة أن هذه ليست هي القصة التي حكها بيلبو لأول مرة

(1) في معظم حديث جولام عن نفسه، فإنه يستخدم صيغة الجمع. (الترجم)

لرفاقه. حيث حكى لهم أن جولام كان قد وعده أن يعطيه هدية، لو أنه فاز باللعبة؛ ولكن عندما ذهب جولام ليحضرها من جزيرته فإنه وجد أن الكنز قد اختفى: خاتم سحري، كان قد أعطى له منذ زمن طويل في عيد ميلاده. وختن بيليو أن ذلك كان هو نفس الخاتم الذي وجده، ولما كان قد فاز باللعبة، فقد كان بالفعل ملكه بحكم حقه الشخصي. ولكن كونه في مكان ضيق، لم يقل عنه أي شيء، وجعل جولام يريه طريق الخروج، مكافأة له بدلاً من الهدية. سجل بيليو هذه الحكاية في ذكرياته، ويبدو أنه لم يقم مطلقاً بتغييرها بنفسه، ولا حتى بعد مجلس إلرون. ومن الواضح أنها لا تزال تظهر في الكتاب الأحمر الأصلي، مثلاً ظهرت في نسخ وأوراق عديدة. ولكن الكثير من النسخ تحتوي على القصة الحقيقة (كبديل)، مستقاً - بلا شك - من مذكرات كتبها فرودو أو ساموايز، حيث عرف كل منهما الحقيقة، على الرغم من أنه يبدو أنهما كانوا غير راغبين في حذف أي شيء كتبه الهوبيتي العجوز نفسه.

بيد أن جندلف لم يصدق حكاية بيليو الأولى، بمجرد أن سمعها، وظل فضولياً للغاية بشأن الخاتم. وأخيراً، عرف القصة الصحيحة من بيليو بعد كثير من الأمثلة، الأمر الذي وتر صداقتها البعض الوقت؛ ولكن الساحر كان يبدو أنه يعتقد أن الحقيقة مهمة. على الرغم من أنه لم يقل ذلك لبيليو، فإنه أيضاً كان يظن أنه من المهم، والمقلق، اكتشاف أن الهوبيتي الطيب لم يقل الحقيقة من البداية: الأمر الذي يتأتى مغايراً لعادته تماماً. إن فكرة «الهدية» لم تكن اختراعاً هوبيتاً محضاً، مع ذلك. لقد أوحى بها لبيليو، حسب اعترافه، حديث جولام الذي سمعه عفواً؛ لأن جولام - في الواقع - كان يطلق على الخاتم «هدية عيد ميلاده»، مرات كثيرة. كما أن جندلف أيضاً رأى ذلك غريباً ومثار ريبة؛ ولكنه لم يكتشف الحقيقة في هذا الأمر لمدة سنوات كثيرة أخرى، كما سترى من هذا الكتاب.

وعن مغامرات بيليو الأخيرة هناك الكثير الذي يحتاج إلى أن يُقال هنا. بمساعدة الخاتم هرب من الحراس الأوركيين عند البوابة وانضم مجدداً إلى رفاقه. لقد استخدم الخاتم مرات كثيرة في مهمته، وبصفة رئيسية في مساعدة أصدقائه؛ ولكنه احتفظ به سراً وقتاً طويلاً قدر استطاعته. بعد عودته إلى دياره، لم يتحدث عنه أبداً مرة أخرى لأي أحد، باستثناء جندلف وفرودو؛ ولم يعرف أي أحد آخر في المقاطعة بوجوده، أو هكذا اعتقاد هو. لم يطلع سوى فرودو على وصف رحلته الذي كان يكتبها.

كان بيليو يعلق سيفه ستينج فوق المدفأة، أما معطفه الذي كان درعاً رائعاً، هدية الأقزام من كنز التنين، فقد أعاره لمتحف، إلى دار الماثومات (الفنانين) في مايكل دلفنج في حقيقة الأمر. ولكنه احتفظ في درج لديه في منزل باج إيند بالمعطف القديم وغطاء الرأس اللذين كان يلبسهما في أسفاره؛ أما الخاتم، فقد ظل في جيبيه، مؤمناً في سلسلة دقيقة.

وعاد إلى موطنه في باج إيند في الثاني والعشرين من يونيو في سنته الثانية والخمسين (عام 1342 من تقويم المقاطعة)، ولم يحدث أي شيء ملحوظ جداً في المقاطعة حتى بدأ السيد باجيز الإعدادات لاحتفالات عيد ميلاده المائة والاثني عشر (عام 1401 من تقويم المقاطعة). عند هذه النقطة يبدأ هذا التاريخ.

## ملاحظات على سجلات المقاطعة

في نهاية العصر الثالث، فإن الدور الذي لعبه الهوببيتون في الأحداث العظيمة التي أدت إلى إضافة المقاطعة في المملكة المعاد توحيدها أيقظ فيهم اهتماماً أكثر انتشاراً في تاريخهم؛ وتم جمع وتسجيل الكثير من عاداتهم وتقاليدهم، حيث ظلت حتى ذلك الوقت شفهية بصفة أساسية. كما أن الأسر الأكبر كانت معنية أيضاً بالأحداث في المملكة على وجه العموم، ودرس الكثير من أفرادها تواريختها وأساطيرها القديمة. مع نهاية القرن الأول من العصر الرابع كانت هناك مكتبات عديدة في المقاطعة يمكن الوقوع عليها وكانت تحتوي على الكثير من الكتب والسجلات التاريخية.

كانت أكبر مجموعة من هذه المجموعات فيما يحتمل في الأبراج السفلية<sup>(1)</sup>، وفي الأنفاق الكبيرة المتشعبة (سماليز) العظيمة، وفي بهو براندي هول. تم استخلاص هذا الوصف أساساً لنهاية العصر الثالث من الكتاب الأحمر لمنطقة الحدود الغربية. أهم مصدر لتاريخ حرب الخاتم سمي بهذا الاسم لأنه حفظ طويلاً في الأبراج السفلية، موطن الأبناء الجميلين<sup>(2)</sup>، حكام منطقة الحدود الغربية. وكان في الأصل يوميات بيلبو الخاصة، التي أخذها معه إلى ريفنديل. وأحضرها فرودو مرة أخرى إلى المقاطعة، بالإضافة إلى الكثير من الأوراق السائية من الملاحظات، خلال 1420-14 من تقويم المقاطعة، فقد ملأ صفحاتها تقريراً بوصفه للحرب. ولكن الحق معها، وحفظ معها، ربما في حقيقة حمراء واحدة، المجلدات الثلاثة الكبيرة، وقد غلت في جلد أحمر، التي أعطاها له بيلبو كهدية وداع. وقد أضيف إلى هذه المجلدات الأربع في منطقة الحدود الغربية مجلد خامس يحتوي على التعليقات، والأنساب، ومسائل أخرى عديدة ذات صلة بأفراد صحبة الخاتم من الهوببيتين.

لم يتم الاحتفاظ بالكتاب الأحمر الأصلي، ولكن تم نسخ الكثير من النسخ منه، وعلى وجه الخصوص المجلد الأول، لاستخدام سلأن أبناء السيد سام وايز. بيد أن النسخة الأكثر أهمية، لها تاريخ مختلف. تم الاحتفاظ بها في الأنفاق الكبيرة المتشعبة

Undertowers (1)

(2) Fairbairns - وهي صورة أخرى لكلمة (Fairchild) - حيث Fair معناها جميل/ جميلة، و child معناها طفل/ ابن. (المترجم)

(سميالز) العظيمة، ولكنها كتبت في جوندور، من المحتمل بناء على طلب ابن حميد برجرين، واقتصرت في عام 1592 من تقويم المقاطعة (172 من التقويم العادي). وقد أضاف ناسخها الجنوبي هذه الملاحظة: أنهى فندجيل، كاتب الملك، هذا العمل في الشهر الرابع من عام 172. وهو نسخة طبق الأصل بكل تفاصيل كتاب القائد العسكري في ميناس تيريث. كان ذلك الكتاب نسخة، نسخت بناء على طلب الملك إلسا، من الكتاب الأحمر لبريانث، وقد أحضره له القائد العسكري برجرين عندما عاد إلى جوندور في الشهر الرابع من السنة 64.

وهكذا فإن كتاب القائد العسكري كان النسخة الأولى التي نسخت من الكتاب الأحمر وتضمنت الكثير الذي حذف أو فقد فيما بعد. في ميناس تيريث أضيفت إليه المزيد من الحواشي التفسيرية، والكثير من التصويبات، وعلى وجه الخصوص في الأسماء، والكلمات، والاقتباسات بلغات الجن؛ كما أضيف إليه نسخة مختصرة من تلك الأجزاء من حكاية أراجورن وأروين<sup>(1)</sup> التي تقع خارج وصف الحرب. وقد ذكر أن الحكاية الكاملة قد كتبها برهير، حفيد القهرمان فرمير، بعد بعض الوقت من وفاة الملك. ولكن الأهمية الرئيسية لنسخة فندجيل تكمن في أنها وحدتها تحتوي على «ترجمات بليلو من لغة الجن» كلها. وقد وجد أن هذه المجلدات الثلاثة عمل يتمتع بمهارة عظيمة وعلم عظيم، استخدم فيه، بين 1403 و1418، جميع المصادر المتاحة له في ريفنديل، الحياة والمكتوبة على السواء. ولكن حيث إنها كانت قليلاً ما تستخدم من جانب فرودو، حيث إنها كانت متعلقة بشكل كلي بالأيام الخوالي، فلم يرد المزيد عنها هنا.

منذ أن أصبح مريادوك وبرجرين رئيسي أسرهما العظيمة، وفي نفس الوقت محافظين على علاقتهما بكل من روغان وجوندور، فإن المكتبات في باكليري وناكبور واحتوت على الكثير مما لم يظهر في الكتاب الأحمر. في بهو براندي هول، كانت هناك أعمال كثيرة تتناول إريادور وتاريخ روغان. ألف بعضاً من هذه أو بدأها مريادوك نفسه، على الرغم من أنه في المقاطعة لم يكن يذكره أحد إلا لكتاب (علم الأعشاب في المقاطعة)<sup>(2)</sup>، وكتابه حساب السنين<sup>(3)</sup> والذي ناقش فيه علاقة التقاويم في المقاطعة وفي البري بالتقاويم في كل من ريفنديل، وجوندور، وروغان. كما أنه كتب أيضاً بحثاً قصيراً بعنوان الكلمات والأسماء القديمة في المقاطعة<sup>(4)</sup>، يظهر اهتماماً خاصاً في اكتشاف علاقة «كلمات المقاطعة» مثل ماثوم، وعناصر أخرى في أسماء الأماكن، مع لغة الروهيريميين.

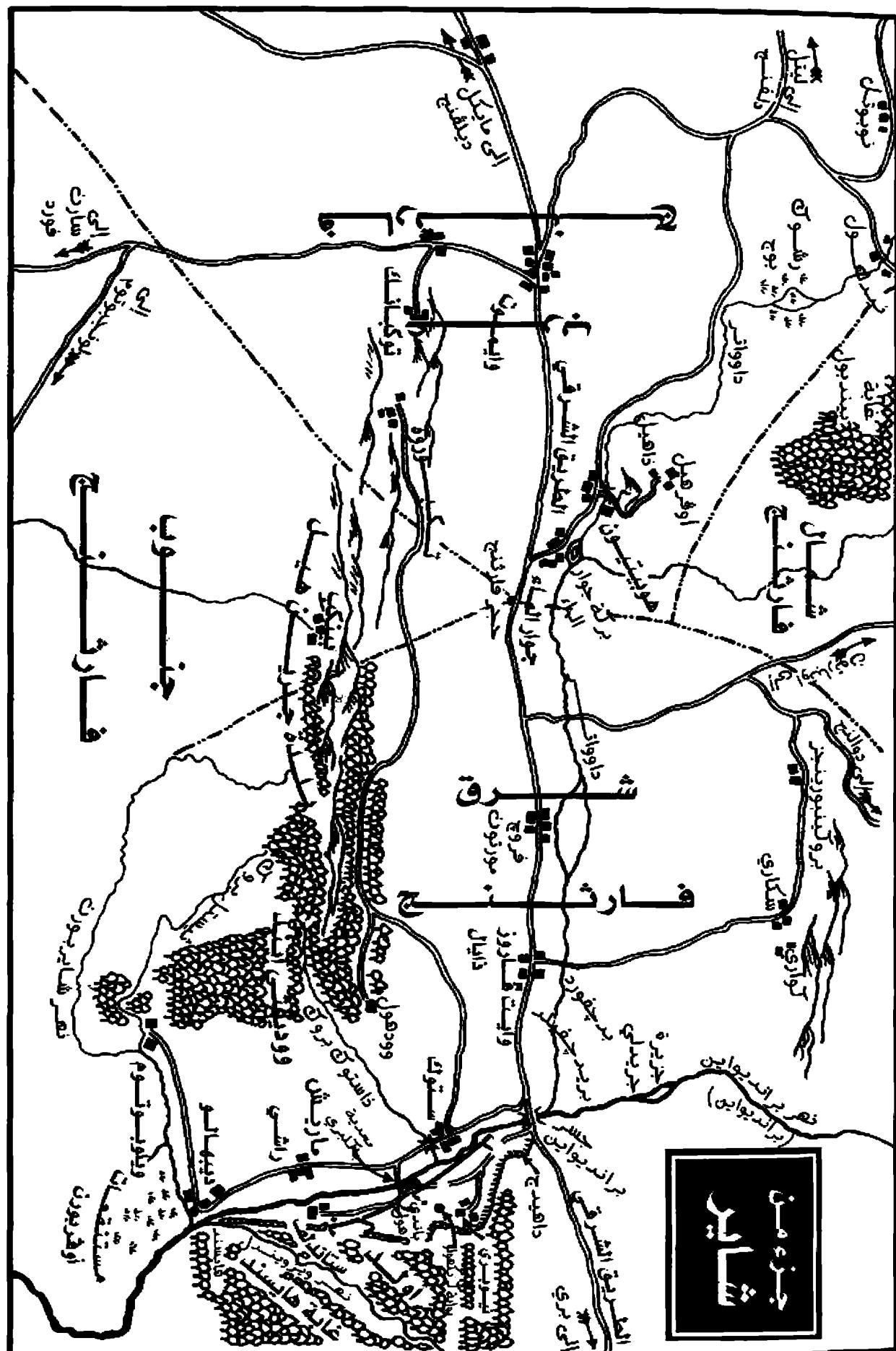
The Tale of Aragorn and Arwen (1)

Herblore of the Shire (2)

Reckoning of Years (3)

Old Words and Names in the Shire (4)

وفي الأنفاق الكبيرة المتشعببة (سميالز) فإن الكتب كانت ذات اهتمام أقل بالنسبة لمسكان المقاطعة، على الرغم من أنها أكثر أهمية بالنسبة للتاريخ الأكبر. لم يكتب أي منها برجرين، ولكنه هو وخلفه جمعوا الكثير من المخطوطات التي كتبها كتبة من جوندور: وبصفة أساسية نسخ أو ملخصات من توارييخ أو أساطير ذات صلة بالنديل وورشه. ولم يكن بالإمكان العثور على مواد مستفيضة لتاريخ نومينور ونشوء ساورون إلا هنا في المقاطعة. وربما يحتمل أن تكون «قصة السنين» قد جمعت معاً في الأنفاق الكبيرة المتشعببة (سميالز)، بمساعدة المادة التي جمعها مريادوك. على الرغم من أن التوارييخ المذكورة في الغالب حدية، وعلى وجه الخصوص العصر الثاني، فإنها تستحق الاهتمام. من المحتمل أن يكون مريادوك قد تلقى مساعدة ومعلومات من ريفنديل، التي زارها أكثر من مرة واحدة. وهناك، على الرغم من أن إلروند قد رحل، فقد ظل أبناءه طويلاً، بالإضافة إلى بعض من قوم الجن الأعلى. ويقال إن سلبورن ذهب لسكن هناك بعد رحيل جلدريل؛ ولكن ليس هناك أي مسجل يذكر اليوم الذي لجأ فيه أخيراً إلى المرافق المظلمة، ومعه ذهب آخر ذكرى حبة للأيام الخوالي في الأرض الوسطى.



# الكتاب الأول

---

## الفصل الأول

### حفلة طال انتظارها

عندما أعلن السيد بيليو باجينز<sup>(1)</sup> من باج إيند<sup>(2)</sup> أنه سيحتفل قريباً بعيد ميلاده الحادي عشر بعد المائة في حفلة فخمة وبهيجية على نحو استثنائي، كان هناك الكثير من الحديث والإثارة في قرية هوبيتون<sup>(3)</sup>.

كان بيليو غبياً جداً، وغريباً جداً، وكان مثار حديث وإعجاب المقاطعة<sup>(4)</sup> كلها على مدى ستين سنة، منذ اختفائه الملافت للنظر وعودته غير المتوقعة. أما الترويات التي أحضرها معه من أسفاره ورحلاته فقد صارت الآن أسطورة محلية، وقد دأب العامة على الاعتقاد – ومهما يكن ما قد ي قوله كبار السن – أن التل في باج إيند كان مليئاً بالأنفاق المحشوة بالكنوز. وإذا لم يكن ذلك كافياً للشهرة، فقد كان هناك حماسه الشديد الطويل الذي يعجب الجميع به. ومضى الزمان، ولكن يبدو أنه لم يكن له أي أثر على السيد باجينز. عندما كان عمره تسعين سنة، كان كبير الشبه جداً به عندما كان عمره خمسين سنة. وعندما كان عمره الحادية والتسعين، بدأوا يطلقون عليه «المحفوظ جيداً»؛ بيد أنه كان من الأفضل أن يُطلق عليه «الذي لم يتغير» فذلك كان من شأنه أن يكون أقرب إلى الهدف. كان هناك البعض الذين هزوا رءوسهم واعتبروا أن ذلك كان شيئاً جيداً أكثر من اللازم؛ كان يبدو أنه من غير العدل أن يمتلك (فيما يبدو) شخص واحد شباباً أبداً وكذلك (حسبما يظن الجميع) ثروة لا تنفد.

كانوا يقولون: «كل ذلك سوف يكون لزاماً أن يدفع له ثمن. هذا ليس طبيعياً، وسوف يترتب عليه مشكلات!».

ولكن لم تقع المشكلات حتى الآن؛ وحيث إن السيد باجينز كان سخياً بماله، فإن معظم الناس كانوا على أتم الاستعداد لأن يغفروا له غرائبه وحظه الطيب السعيد. وظل على علاقات طيبة مع أقاربه يتبادل معهم الزيارات (باستثناء – بالطبع – الساكنين

(1) الاسم بالإنجليزية كما ورد في الرواية? Baggins ، وهو نسبة إلى Bag End ، وهي مكونة من جزأين (Bag) – ومعناها حقية أو طريق أو زقاق مسدود؛ و(End) – ومعناها نهاية؛ وهكذا فإن العبارة قد تعنى «نهاية الحقيقة» أو «نهاية الزقاق المسدود»، وأطلق المؤلف اسم (Bag End) على منزل بيليو. (المترجم)

(2) انظر ملاحظة (1) (المترجم)

(3) اسم القرية هو (Hobbiton)، وهو نسبة إلى (الهوبيتين) الذين كانوا يعيشون فيها. وقد أوصى مؤلف الملحمه بعدم ترجمة الاسم (Hobbit)، حيث أنه لم يشق من أي كلمة إنجليزية معروفة. ولكنه أوصى بترجمة (Hobbiton)

بحيث تعطى معنى اسم القرية التي كان الهوبيتيون يعيشون فيها. (قرية هوبيتون، أو قرية الهوبيتين) (المترجم)

(4) الكلمة الأصلية التي استخدمها المؤلف هي (Shire)، وقد ذكر أنه نظراً لوجود الكلمة في اللغة الإنجليزية الحديثة، فلا بد من ترجمتها. (المترجم)

باجينز<sup>(1)</sup>، كما كان له الكثير من المعجبين المخلصين من بين الهوبيتين من أسر فقيرة وغير ذات أهمية. ولكنه لم يكن له أصدقاء حميمون مقربون، إلى أن بدأ بعض من أبناء عمومته الصغار يكبرون.

كان أكبر أبناء عمه هؤلاء - وكان كذلك المفضل المحبوب لدى بيلبو - فرودو باجينز. عندما كان عمر بيلبو الحادية والستين، فإنه تبنى فرودو ليكون وريثاً له، وأحضره ليعيش معه في باج إيند؛ وهكذا فإن آمال أفراد الساكفيل باجينز قد انهارت وخابت. وتصادف أن كان عيد ميلاد بيلبو وفرودو في نفس اليوم، الثاني والعشرين من سبتمبر. تحدث بيلبو إلى فرودو ذات يوم وقال له: «فرودو، يا ولدي، من الأفضل أن تأتي وتعيش هنا». وواصل بيلبو قائلاً: «وفي هذه الحالة يمكننا أن نقيم حفلات عيد ميلادنا معاً». في هذا الوقت، كان فرودو لا يزال في العشرينات من عمره، مثلما كان الهوبيتون يطلقون على الأفراد غير المسؤولين في العشرين من عمرهم ما بين الطفولة والبلوغ في سن الخامسة والثلاثين.

ومضت اثنتا عشرة سنة أخرى. وكان الباجينزيون في كل سنة يقيمون حفلة عيد ميلاد مشتركة بهية وبهيجية في باج إيند؛ ولكنه بات مفهوماً الآن أن هناك شيئاً ما غير عادي تماماً يجري التخطيط له في ذلك الخريف. كان عمر بيلبو وقتها الحادية عشرة بعد المائة، 111، وهو رقم غريب إلى حد ما، وعمر جدير بالاحترام للغاية بالنسبة لهوبيتي (التووكى العجوز<sup>(2)</sup> نفسه لم يبلغ من العمر سوى 130 سنة)؛ وكانت سن فرودو وقتها ستبلغ الثالثة والثلاثين، 33، وهو رقم مهم: «تاريخ بلوغه».

وبدأت الألسنة تتحرك في قرية الهوبيتين وفي قرية مجاورة الماء<sup>(3)</sup>؛ وسررت شائعة الحدث القادم في شتى أنحاء المقاطعة. وأصبحت شخصية السيد بيلبو باجينز وتاريخه من جديد الموضوع الرئيسي للأحاديث والحوارات؛ وفجأة وجد الأشخاص الأكبر سنًا ذكرياتهم الماضية مطلوبة بشكل مرحب به.

لم يحظ أي أحد بجمهور كبير منبه أكثر من هام جامجي<sup>(4)</sup> العجوز، والمعرف لدى العامة باسم العجوز (الجافر). كان يجري أحاديثه الطويلة المسيبة في حانة أجمة اللبلاب<sup>(5)</sup>، وهي حانة صغيرة على طريق مجاورة الماء؛ وكان يتحدث بشيء من الثقة،

(1) Sackville-Baggins – وهو يشبهين الباجينزيين، ولكنهم أكثر أرسقراطية منهم؛ وكلمة (Sack) هنا لها معنى قريب من الكلمة (Bag) – إذ تعني أيضاً حقيقة أو كسا. (المترجم)

(2) التووك Took: اسم مجهول الأصل. ويجب - حسب المؤلف - أن يظل كما هو في أي ترجمة. كما أن الأسماء الشخصية المنصلة به يجب أن تظل كما هي: مثل - Peregrin، Paladín، Bandobras، Adelard، Paladin، Bywater.

(3) Bywater (مجاورة الماء): - اسم قرية، أخذت اسمها من كونها تقع إلى جوار الحوض الواسع الكبير الذي يقع في مجاري النهر الرئيسي في المقاطعة (Shire).. . وأنهى المؤلف بترجمته. (المترجم)

(4) Ham Gamgee – على حسب المؤلف، يجب ترك الاسم كما هو، لعدم وجود معنى له في اللغة الإنجليزية.

(5) – Ivy Bush (المترجم)

حيث إنه كان يرعى الحديقة في باج إيند لمدة أربعين سنة، وقد كان يساعد هولمان<sup>(1)</sup> العجوز في نفس الوظيفة قبل ذلك. والآن، وحيث إنه هو نفسه قد بدأ يكبر في السن، وبدأت مفاصله تتباس، فإن أصغر أبنائه - سام جامجي<sup>(2)</sup> - كان هو الذي يقوم بهذه الوظيفة بشكل أساسي. وكان كل من الأب والأبن على صلة طيبة وصديقة مع بيلبو وفرودو. كانوا يعيشان في التل نفسه، في رقم 3 باجشوت رو<sup>(3)</sup>، أسفل باج إيند مباشرة. أعلن جافر قائلاً: «السيد بيلبو، هوبيتي، لطيف جداً، يجيد الحديث جيداً، كما اعتدت أن أقول عنه دائماً». وكان ذلك حقيقةً وصحيحاً تماماً؛ حيث إن بيلبو كان يتمتع بأدب جم معه، وكان يناديه بقوله: «سيدي هامفاست»، وكان يستشيره دائماً بشأن زراعة الخضراوات - في مسألة «الجذور»، وعلى وجه الخصوص البطاطس، وكان ينظر إلى الجافر على أنه المرجع الأساسي من جانب الجميع في المنطقة المجاورة (بمن فيهم هو نفسه).

وسأل نوكيس العجوز من مجاورة الماء قائلاً: «ولكن، ماذا عن هذا الشخص المسمى فرودو الذي يعيش معه؟» «اسمها باجينز، ولكنه أكثر من نصف فرد من البرانديك<sup>(4)</sup>، كما يقولون. ما يحرّن هو أنه لماذا يذهب أي باجينز من قرية الهوبيتين للبحث عن زوجه بعيداً هناك في بكلاند<sup>(5)</sup>، حيث الأشخاص هناك في غاية الغرابة». وتدخل دادي توفوت<sup>(6)</sup> (جار الجافر في المنزل المجاور تماماً) قائلاً: «وليس من عجب أنهم في غاية الغرابة، إذا عاشوا على الجانب الخاطئ من نهر براندي واين، وفي مقابل الغابة العجوز مباشرة. إنه مكان مظلم سيء، إذا صدقت نصف الحكايات التي حكىت عنه».

ورد عليه جافر قائلاً: «أنت على صواب، يا دادي! ليس لأن البرانديكيين من البكلاند يعيشون في الغابة العجوز؛ ولكن لأنهم جنس غريب، فيما يبدو. فإنهم يطوفون بمراكمهم هذا النهر الكبير - وهذا طبيعي. وما يدعوه للعجب قليلاً أن المشاكل تأتي من ذلك، في رأيي. ولكن ليكن ما يكون، السيد فرودو هوبيتي لطيف وشاب تمنى أن تقابلها وتراه. إنه يشبه السيد بيلبو كثيراً، وفي أكثر من مجرد المظاهر. وعلى أية حال فقد كان أبوه من الباجينزيين. كان السيد دروجو باجينز، هوبيتياً مهذباً ومحترماً؛ لم يكن هناك الكثير أبداً ليحكى عنه، إلى أن غرق».

(1) Holman. ربما يكون الاسم مشتقاً من (<hole-man>) - وقد يكون معناها (رجل الجحور) (المترجم)

(2) Sam Gamgee - (المترجم)

(3) Bagshot Row - الاسم الذي أطلق على صفات «الجحور أو الفجوات أو الحفر» المصغيرة أسفل باج إيند.. وقد سمي بهذا الاسم نسبة للأنفجار الذي حدث لنطاق الحفر الذي خرج أثناء حفر باج إيند، وقد تكون نتيجة لهذا الانفجار الحدائق والجدران الطينية للمساكن الأكثر تواضعاً. - (المترجم)

(4) Brandybuck - (المترجم)

(5) Buckland - (المترجم)

(6) Daddy Twofoot - ومعناها الأب ذو القدمين - (المترجم)

صاحت أصوات عديدة معاً: «غرق؟». لقد سمعوا هذه الشائعة، ومعها شائعات أكثر شرّاً من قبل، بالطبع؛ ولكن الهوبتيين لديهم ولع وشغف بتاريخ الأسرة، وكان على أتم الاستعداد لسماع ذلك مجدداً.

وقال الجافر: «حسناً، هكذا يقولون. وكما ترون: فإن السيد دروجو قد تزوج من الآنسة بريمولا برانديك. كانت ابنة خال السيد بيلبو من الدرجة الأولى (وكانت أمها أصغر بنات التوركي العجوز)؛ وكان السيد دروجو ابن ابن خاله. وهكذا، فإن السيد فرودو كان ابن خاله وابن ابن خاله، عندما يتحول إلى أي من الجانبين - كما يقول المثل - إذا كنت تتبعني وتفهم ما أقول. وكان السيد دروجو يقيم في براندي هول<sup>(1)</sup> مع حماه، السيد العجوز دروجو، كما كان يفعل في الغالب بعد زواجه (حيث كان مولعاً ولعاً شديداً بأصنافه من الطعام)، وكان جوربادوك العجوز يقدم طاولة طعام عظيمة وسخية)، وكان يذهب في قاربه في نهر براندي ولين؛ وغرق هو وزوجته، وكان السيد فرودو المسكين طفلاً صغيراً وقتها».

قال السيد نوكيس: «لقد سمعت أنهما ذهبا في قاربهما بعد العشاء على ضوء القمر، وقد كان وزن دروجو هو الذي أغرق القارب».

وقال سانديمان، طحان قرية الهوبتيين: «وسمعت أنها هي التي دفعته في الماء، وهو شدها وراءه إلى الماء».

رد الجافر - الذي لم يكن يحب الطحان كثيراً - قائلاً: «لا يجب عليك أن تنتص إلى كل ما تسمعه، يا سانديمان. ليس هناك أي داع للخوض في حديث الدفع والشبح. القوارب خداعة تماماً بما يكفي بالنسبة لأولئك الذين يجلسون في سكون دون النظر بعيداً إلى سبب المشكلة. وعلى أية حال: فقد كان هناك السيد فرودو الذي ترك يتيناً وغرييناً وحيداً، إذا جاز لنا القول، بين هؤلاء الأشخاص غريبي الأطوار من بكلاند، والذي تربى وكبر على أية حال في تل براندي. مكان نظامي للتربية، من كل الوجوه. السيد جوربادوك العجوز لم يكن له على الإطلاق عدد من الأقارب يقل عن مائتين في المكان. لم يفعل السيد بيلبو عملاً أكثر عطفاً منه عندما أحضر الولد ليعيش بين أناس مهذبين».

«ولكني أعتقد أنها كانت صدمة شديدة لهؤلاء الأفراد من الساكفيل باجينز. لقد اعتدوا أنهم سيأخذون باح إيند، في ذلك الوقت الذي انطلق فيه واعتدوا أنه قد مات. وبعد ذلك يعود ثانية ويأمرهم بالخروج والغادرة؛ ويعود هو ليعيش أكثر وأكثر، ولا يبدو عليه أنه قد كبر يوماً واحداً، نعمنى له السعادة والبركة! وفجأة فإن يقدم وريثاً

(1) – من الممكن ترجمتها (صالحة البراندي) – (المترجم)

له، وقد تمت جميع الأوراق بالشكل المناسب والصحيح. لن يرى أفراد الساكنين باجتاز منزل باج إيند من الداخل أبداً الآن، أو أننا نأمل أنهم لن يتمكنوا من ذلك». وقال غريب زائر في زيارة عمل من مايكل دلفنج<sup>(1)</sup> في الربع الغربي<sup>(2)</sup>: «أسمعهم يقولون إن هناك قدراً كبيراً من المال مدموساً في مكان بعيد. إن قمة تلكم بأكملها مليئة بالأنفاق المكشدة بصناديق الذهب والفضة، والمجوهرات، على حسب ما سمعته بتردد».

وأجابه جافر قائلاً: «وهكذا فإنك سمعت أكثر مما يمكنني أن أتحدث به. فأنا لا أعرف شيئاً عن المجوهرات. السيد بيلبو حر في ماله، ولا يبدو أن هناك أي نقص في المال؛ ولكنني لا أعرف شيئاً عن صناعة الأنفاق. لقد رأيت السيد بيلبو عندما أتي إلى هنا عائداً، منذ ستين سنة مضت، عندما كنت صغيراً. عندها لم يكن قد مضى علىّ كثيراً في التمهن على يد هولمان العجوز (حيث كان هو ابن عم أبي)، ولكنه جاء بي إلى باج إيند لأساعده في إبعاد الناس ومنعهم من المشي في الحديقة والعبث فيها أثناء انعقاد البيع. وفي وسط ذلك كله، صعد السيد بيلبو التل ومعه فرس صغير (سيسي) وبعض الحقائب الضخمة ومجموعات من الأدراج. إبني لا أشك أنها كانت في غالب الأمر مليئة بالكنز الذي عثر عليه في أجزاء غريبة، حيث يوجد هناك جبال من الذهب، حسبما يقولون؛ ولكن لم يكن هناك العدد الكافي من الأنفاق. ولكن ابني سام سوف يعرف الكثير من ذلك. فهو يدخل ويخرج في باج إيند. إنه مجنون بقصص الأيام الخوالي، كما أنه يستمع إلى جميع قصص وحكايات السيد بيلبو. لقد علمه السيد بيلبو الحروف - لا أقصد أي أذى، كما ترى، وأتمنى ألا يترب على ذلك أي ضرر أو أذى.

«أقول له «الجن والتنين!». الكرنب والبطاطس أفضل بالنسبة لي ولك. لا ترك نفسك تنغمس في عمل من هم أفضل منه، وإلا فسينتهي بك الأمر في ورطة أكبر منه بكثير، هكذا أقول له. وقد أقول ذلك لآخرين»، قال ذلك وهو ينظر إلى الغريب وإلى الطحان.

ولكن الجافر لم يقنع مشاهديه ومستمعيه. لقد كانت أسطورة ثروة بيلبو الآن راسخة بشكل كبير للغاية في عقول الأجيال الأصغر سنًا من المهوبيتين.

ورد عليه الطحان مجادلاً، وهو يعبر عن رأي شائع: «آه، ولكنه من المحتمل بشكل كاف أنه قد أضاف إلى ما أحضره معه في البداية. إنه يمكنه بعيداً عن موطنه

(1) Michel Delving – تُعني باللغة الإنجليزية الحفار، أو الشخص الذي يبحث عن المعلومات وينقب عنها، وهو اسم مناسب لهذا الشخص الذي يتواجد في المكان في عمل. – (المترجم)

(2) Westfarthing – المعنى الأصلي لكلمة (Farthings) في اللغة الإنجليزية هو (الجزء الرابع «أي ربع بنس») – والإشارة هنا إلى أقسام المقاطعة (Shire) الأربعة. وهكذا فإن Westfarthing تُعني الربع الغربي. – (المترجم)

كثيراً.. وانظر إلى الأشخاص الغرباء الذين يزورونه: أقزام يأتون إليه في الليل، وهذا الساحر العجوز الرحالة - جنْدَلْف، وغيرهم كثيرون. يمكنك أن تقول ما تريده، أيها الجافر، ولكن باج إيند مكان غريب، كما أن سكانه أشخاص غرباء أيضاً».

ورد عليه الجافر رداً سريعاً، بل وقد كره الطحان أكثر من العادي: «ويمكنك أن تقول ما تحب، عن أشياء لا تعرف عنها أكثر مما تعرف عن ركوب القوارب، يا سيد سانديمان. وإذا كان ذلك غريباً، فإنه يمكننا أن نتحمل المزيد بعض الشيء من هذه الغرابة في هذه الأجزاء. فهناك البعض من ليسوا بعيدين عن هنا لا يقدمون كأساً من البيرة لصديق، إذا كانوا يعيشون في مسكن ذي جدران ذهبية. ولكنهم يفعلون الأشياء بالشكل الصحيح في باج إيند. ابتنا سام يقول إن الجميع سوف يدعون للحفلة، وسوف تكون هناك هدايا، هل تدرك ذلك، هدايا للجميع - هذا الشهر ذاته، وكما هو».

كان ذلك الشهر هو شهر سبتمبر، وقد كان لطيفاً مثلما تمنى أن يكون. بعد يوم أو يومين من ذلك انتشرت شائعة (من المحتمل أن يكون سام الذكي هو الذي بدأها) عن أنه ستكون هناك ألعاب نارية - ألعاب نارية، الأكثر من ذلك، مثلما لم ير أبداً في المقاطعة على مدى قرن من الزمان تقريباً، في الواقع الأمر منذ أن مات التووكي العجوز.

ومرت الأيام واقترب اليوم. وجاءت شاحنة غريبة الشكل محملة بصناديق غريبة الشكل تندفع إلى قرية الهوبيتين ذات مساء وراحت تصدع التل في جهد إلى باج إيند. وأطل الهوبيتون المفروعون من الأبواب المضاءة بالمصابيح لينظروا إليها فاغربين أفواههم. كان يقودها شخص غريب الأطوار، يغني أغاني غريبة: أقزام ذوو لخي طويلة وأغطية رأس عميقه. بقى عدد قليل منهم في باج إيند. في نهاية الأسبوع الثاني في شهر سبتمبر، جاءت عربة صغيرة (كارينة) عبر مجاورة الماء من اتجاه جسر براندي واين في وضح النهار. كان يقودها رجل عجوز بمفرده. كان يرتدي قبعة زرقاء طويلة مدبية، ومعطفاً طويلاً رمادياً، ولاسة فضية اللون. كانت لحيته طويلة بيضاء، وكان حاجبه كثيفين لدرجة أنها كانا ييرزان خارج حافة القبعة التي كان يرتديها. جرى أطفال الهوبيتين الصغار وراء العربة في كل أنحاء قرية الهوبيتين وصعوداً على التل. كانت بها حمولة من الألعاب النارية، كما خمنوا وكان تخمينهم صحيحاً. وعند الباب الأمامي لبيت بيليو، بدأ الرجل العجوز يفرغ الحمولة: كانت هناك حزم كبيرة من الألعاب النارية من جميع الأنواع والأشكال، وكان على كل منها بطاقة عليها حرف أحمر كبير وحرف الجن الروني.

كانت هذه علامة جنْدَلْف، بالطبع، وكان الرجل العجوز هو جنْدَلْف الساحر، والذي كانت سمعته في المقاطعة تعزى في الأساس إلى مهارته في الألعاب النارية،

والدخان، والأضواء. كان عمله الحقيقي أكثر صعوبة وخطورة بكثير، ولكن سكان المقاطعة لم يكونوا يعرفون شيئاً عنه. فقد كان بالنسبة لهم مجرد مظهر من «مظاهر الجذب» في الحفلة. ومن ثم بهجة وإثارة الأطفال الهوبيتين. وراحوا يصيرون «G for Grand» [حرف جي]. اختصار الكلمة «Grand» - عظيم]، وراح الرجل العجوز يتسم. كانوا يعرفونه بالنظر، على الرغم من أنه لم يكن يظهر في قرية الهوبيتين إلا من وقت لآخر ولم يكن يبقى بها طويلاً؛ ولكنهم لم يروا هم ولا أي أحد آخر سوى أكبر كبرائهم، عرضاً من عروض الألعاب النارية خاصة - فقد كانت هذه العروض الآن ضرباً من الماضي الأسطوري.

وعندما انتهي الرجل العجوز - يساعدته بيلبو وبعض الأقزام - من تفريغ العربية، قدم بيلبو بعض البنسات كهدايا؛ ولكنه لم تكن أي مفرقة أو لعبة نارية في المتناول، مما خيب أمل المشاهدين.

وصاح فيهم جنلوف: «اجروا بعيداً الآن، سوف ترون الكثير منها عندما يحين الوقت». وبعدها اختفى في الداخل مع بيلبو، وأغلق الباب. وراح الهوبيتون الصغار يخدرون في الباب دون جدوى لفترة من الوقت، وبعدها انطلقوا بعيداً، وهم يشعرون بأن يوم الحفلة لن يأتي أبداً.

وفي الداخل في باج إيند، كان بيلبو وجنلوف يجلسان إلى جوار النافذة المفتوحة لغرفة صغيرة ينظران للخارج نحو الغرب إلى الحديقة. كانت فترة ما بعد الظهيرة مشرقة وهادئة. كانت الورود تتوجه حمرة، وكانت نباتات أبو خنجر تتدلى على جميع الجدران الطينية وتطل نحو الداخل من التواذ الدائرية.

قال جنلوف: «كم تبدو مشرقة حديقتك!».

رد عليه بيلبو قائلاً: «نعم. إنني مغرم بها حقاً، ومغرم كذلك بكل ما في المقاطعة القديمة العزيزة؛ ولكني أعتقد أنني أحتج إلى إجازة». «تعنى أنك تريد موافلة خطتك إذن؟».

«نعم، أقصد ذلك. لقد قررت ذلك منذ شهور مضت، ولم أغير رأيي في ذلك».

«حسن جداً. لا جدوى في قول المزيد. تمسك بخطتك - خطتك بالكامل، قرارك - وإنني أتمنى أن تسير إلى الأفضل، لك، ولنا جميعاً».

«أتمنى ذلك. على أية حال إنني أريد أن أمتّع نفسي يوم الخميس، وأنال بعض الكاهنة والمتّعة».

قال جنلوف، وهو يهز رأسه: «من الذي سيضحك، إنني أتساءل؟».

رد عليه بيلبو قائلاً: «سوف ترى».

وفي اليوم التالي جاء العديد من العربات صاعدة القل، ولا يزال هناك المزيد

منها. ربما كان هناك بعض الحديث المتذمر المكتوم عن «التعامل محلياً»، ولكن في هذا الأسبوع بدأت الطلبات تتهدر خارجة من باج إيند على كل نوع من أنواع المؤن، أو السلع، أو وسائل الترف، التي يمكن الحصول عليها في قرية الهوببيتين أو مجاورة الماء أو أي مكان في الجوار. أصبح الناس متحمسين؛ وبدأ يحسبون الأيام في الروزنامة؛ وراحوا يراقبون ساعي البريد في تلهف وشوق، آملين في الحصول على الدعارات.

و قبل أن يمضي وقت طويل، بدأت الدعوات تنهال عليهم، واكتظ مكتب بريد قرية الهوببيتين، وغمر مكتب بريد مجاورة الماء، وكانت هناك حاجة إلى طلب سعة بريد متطوعين. كان هناك موكب متصل منهم يصعد التل، يحمل المئات من العبارات المؤدية التي تعني كلها: شكرأ، سوف آتى بكل ثأكيد.

و ظهرت لاقفة على بوابة باج إيند: من نوع الدخول لأي غرض غير الحفلة. حتى أولئك الذين كان لهم - أو ظاهروا بأنهم كان لهم - شأن في الحفلة نادراً ما كان يُسمح لهم بالدخول. كان ييلبو منشغلًا: يكتب الدعوات، ويضع العلامات على الردود، ويعلّب الهدايا، ويقوم ببعض الإعدادات الخاصة له هو. ومنذ أن وصل جندل، فإنه ظل مختفيًا عن الأنظار.

استيقظ الهوببييون ذات صباح ليجدوا الحقل الكبير، إلى الجنوب من باب ييلبو الأمامي، مغطى بالحبال والأعمدة لنصب الخيام والسرادات. قطع مدخل خاص في ضفة النهر يؤدي إلى الطريق، وتم بناء ملم عريض وبوابة بيضاء كبيرة. كانت عائلات الهوببيتين الثلاثة من باجشوت رو، المجاورة للحقل، مهتمة بشكل كبير للغاية وكانت مثار حسد على وجه العموم. وتوقف الجافر جامجي العجوز حتى عن التظاهر أنه يعمل في حديقته.

و بدأت الخيام تُنصب. كان هناك سرادق كبير بشكل خاص، كبير لدرجة أن الشجرة التي كانت في الحقل كانت داخله تماماً، وكانت تقف شامخة بالقرب من النهاية، على رأس الطاولة الأساسية. عُلقت الفوانيس على كل فروعها. وكان لا يزال هناك شيء واحد (بالنسبة للهوببيتين) وهو إنشاء مطبخ مفتوح في الهواء الطلق في الركن الشمالي من الحقل. وصل سيل من الطهاة، من كل حانة، ومن كل مطعم، من على بعد أميال، وصلوا جميعاً ليكملا الأقزام والأشخاص الآخرين غربيي الأطوار الذين استقروا في باج إيند. ووصلت البهجة والإثارة ذروتها.

عند ذلك تبدى الجو بالغيوم. كان ذلك يوم الأربعاء، مساء الحفلة. كان القلق شديداً. وبعدها بزغ فجر الخميس، الثاني والعشرين من سبتمبر، بالفعل. وأشارت الشمس وارتقت عالياً، واختفت السحب، وانتشرت الرأيات والأعلام، وبدأ المرح والمعنة.

أطلق عليها بيليو باجينز اسم حفلة، ولكنها في الواقع الأمر كانت مجموعة من مظاهر المتعة والترفيه اجتمعت في مظهر واحد. في الواقع الأمر دُعى كل من كان يعيش قريباً. أهل عدد قليل جداً على سبيل الخطأ، ولكن بما أنهم أتوا مثل الآخرين، فإن ذلك لم يهم. كما دُعى أيضاً العديد من الأشخاص من أجزاء أخرى من المقاطعة، بل كان هناك عدد قليل من أشخاص من خارج الحدود. كان بيليو يقابل الضيوف (وغيرهم من لم يدعوا) عند البوابة الجديدة البيضاء شخصياً. كان يقدم الهدايا للجميع على الإطلاق - حيث كان هناك أولئك الذين خرجموا ثانية من طريق خلفي وعادوا مرة أخرى من البوابة. يقدم الهوببيتون هدايا لأناس آخرين في أعياد ميلادهم هم. ليست هدايا غالية جداً، كقاعدة، وليس على نحو مسرف وبيذخ مثلاً هي الحال في هذه المناسبة؛ ولكنه لم يكن نظاماً سيئاً. في الواقع الأمر، في قرية الهوببيتون وفي قرية مجاورة الماء كان كل يوم على مدى العام عيد ميلاد شخص ما، ولذلك فإن كل فرد من الهوببيتون في هذه الأجزاء كانت لديه فرصة عادلة للحصول على هدية واحدة على الأقل كل أسبوع. ولكنهم لم يملوا بذلك أو يساموه أبداً.

في هذه المناسبة، كانت الهدايا جيدة على نحو غير عادي. كان الأطفال الهوببيتون مسرورين لدرجة أنهم نسوا الأكل لبعض الوقت. كانت هناك لعب لم يرها مثيلاً من قبل، كلها جميلة وبعضاها ساحر بشكل واضح. كان الكثيرون منها قد طلب في الواقع قبل عام من ذلك اليوم، وأنت من الجبل، ومن الوادي<sup>(1)</sup>، وكانت من صنع الأقزام حقاً.

عندما تم الترحيب بجميع الضيوف، وصار الجميع أخيراً داخل البوابة، كانت هناك الأغاني، والرقصات، والموسيقى، والألعاب، وبالطبع الطعام والشراب. كانت هناك ثلاثة وجبات رسمية: الغداء، والشاي، والعشاء. ولكن الغداء والشاي تميزاً بشكل أساسي بحقيقة أنه في تلك الأوقات كان جميع الضيوف جالسين وكانوا يأكلون معاً. أما في جميع الأوقات الأخرى كان هناك مجرد أشخاص كثيرين يأكلون ويشربون - بشكل مستمر من وقت الضحى وحتى الساعة السادسة والنصف، عندما بدأ الألعاب النارية.

كانت الألعاب النارية من جنديف: لم يكن هو الذي أحضرها فحسب، بل كان هو الذي صممها وصنعاها؛ وكذلك الآثار الخاصة، وقطع المسرح، وأسراب الصواريخ، كل ذلك أطلقه هو. ولكن كان هناك أيضاً توزيع سخي للمفرقعات، والمواد المتفجرة، والمفرقعات متعددة الطبقات، والألعاب النارية التي تحرق ببطء، والمشاعل، وشموع الأقزام، ونافورات الجن، وألعاب الجن النارية، وقصف الرعد<sup>(2)</sup>. كانت كلها رائعة. لقد تحسن فن جنديف مع تقدمه في العمر.

(1) الراوي هنا - Date. (المترجم)

(2) كل هذه أنواع من الألعاب النارية، منها ما هو معروف، ومنها ما هو غير معروف، ولم يمكن العثور عليه في أي لغات حية. (المترجم)

كانت هناك صواريغ مثل سرب من الطيور المنطلقة المتلائمة التي تغنى بأصوات حلوة عذبة. كانت هناك أشجار حضراء ذات جذوع من الدخان القاتم: كانت أوراقها مفتوحة وكأن ربيعاً كاملاً يفتح في لحظة، وكان يتسلط من على فروعها المشرقة ورود متوجدة تقع على الهوبيتين المذهولين، وتخفي مطلقة رائحة حلوة قبل أن تمس وجوههم التي تتظر إلى أعلى. كانت هناك أسراب من الفراشات تطير في تألق وبريق إلى الأشجار؛ كانت هناك أعمدة من النيران الملونة التي كانت ترتفع في السماء وتتحول إلى نسور، أو سفن شراعية، أو أسراب من طائر التم المطلق في الجو؛ كانت هناك عاصفة رعدية حمراء ووابل من المطر الأصفر؛ كانت هناك غابة من الرماح الفضية التي كانت تندفع فجأة في الهواء مع صرخة مثل جيش مُعد للمعركة، وتعود ثانية إلى الماء مع صوت هسيس مثل صوت مائة ثعبان قاتل. وكانت هناك أيضاً مفاجأة أخرى، على شرف بيلبو، وقد أذهلت الهوبيتين على نحو استثنائي فائق، كما كان يريد جنَّدَلْ لها. انطلقت الأضواء. وصعد دخان عظيم لأعلى. وأخذ الدخان شكل جبل يراه الناظر من بعيد، وبدأ يتوجه عند القمة. وانطلقت منه ألسنة لهب حضراء وقزمية. وخرج طائراً من الدخان تنين أحمر ذهبي – ليس بحجم تنين حي، ولكنه كان مثل تنين حي بشكل مرروع: وخرجت النار من فكيه، وكانت عيناه متوجهتين؛ كان هناك صوت زئير، وقد أصدر صوت أزيز ثلاث مرات فوق رءوس الحشود المجتمعية. وانحنوا جميعاً، بل وسقط الكثيرون منهم على وجوههم. ومر التنين مثل قطار سريع، وتحول إلى حركة بهلوانية، وانفجر فوق مجاورة الماء مصدرًا لتفجيراً يصك الآذان.

قال بيلبو: «هذه هي إشارة العشاء!» وتلاشى الألم والذعر في الحال، وقفز الهوبيتون الذين كانوا راكعين خوفاً ووقفوا على أقدامهم. كان هناك عشاء رائع للجميع؛ للجميع باستثناء أولئك الذين دعوا إلى حفلة العشاء العائلي الخاص. وقد عقد هذا العشاء في السرادق الكبير الذي تتوسطه الشجرة الكبيرة. اقتصرت الدعوات على 12 دستة (عدد كان الهوبيتون يسمونه كذلك «قروصة»)، على الرغم من أن الكلمة لم تكن تعتبر ملائمة لاستخدامها مع الأشخاص)؛ وتم اختيار الضيوف من بين جميع الأسر التي كانت تربط بيلبو وفروعها بها قرابة، مع إضافة عدد قليل من أصدقاء خصوصيين من غير الأقارب (مثل جنَّدَلْ). ضمت حفلة العشاء الكثير من الشباب من الهوبيتين، وكانوا حاضرين بإذن من آبائهم؛ لأن الهوبيتين كانوا متساهلين مع أولادهم في مسألة السهر حتى وقت متأخر، وعلى وجه الخصوص عندما تكون هناك فرصة لحصولهم على وجبة مجانية. كانت تربية صغار الهوبيتين تستند الكثير من الطعام.

كان هناك الكثير من الباجينزيين، والبوفينز، وكذلك الكثير من أفراد التوك، والبرانديك؛ كان هناك العديد من أفراد الجراب<sup>(1)</sup> (أقارب جدة بيلبو باجينز)، والعديد من أفراد التشوب<sup>(2)</sup> (أقارب جدته من التوك)؛ ومجموعة مختارة من أفراد البروز<sup>(3)</sup>، وأفراد البولجر<sup>(4)</sup>، وأفراد الرئيس جيردل<sup>(5)</sup>، وأفراد البراود فووت<sup>(6)</sup>. كان بعض هؤلاء مرتبطين بصلة قرابة مع بيلبو بعيدة جداً، وكان بعض منهم لم يُر في قرية الهوبيتين على الإطلاق تقريراً، حيث كانوا يعيشون في أماكن نائية من المقاطعة. لم ينس أفراد الساكفيل باجينز. كان أوثو وزوجته لوبيليا حاضرين. لم يكونا يحبان بيلبو، وكانتا يكرهان فرودو، ولكن بطاقة الدعوة كانت عظيمة للغاية، فقد كتبت بماء الذهب، لدرجة أنهما شعراً أنه كان من المستحيل أن يرفضا الدعوة. علاوة على ذلك، فإن ابن عمهم - بيلبو - كان متخصصاً في الطعام على مدى سنين وانتشرت طاولة طعامه بسمعة طيبة جداً.

كان جميع الضيوف البالغ عددهم مائة وأربعة وأربعين ضيفاً يتوقعون وليمة مرضية، على الرغم من أنهم بالأحرى كانوا خائفين من الحديث الذي سيلقيه مضيفهم بعد العشاء (وهو بند لا مفر منه). كان بيلبو ميالاً إلى ترديد مقطوعات مما كان يطلق عليه شعراً، وفي بعض الأحيان، بعد كأس أو كأسين، يمكن أن يلمح إلى المغامرات السخيفة لرحلته الغامضة. لم يكن الضيوف محبطين: فقد فازوا بوليمة مرضية جداً ولطيفة، في الواقع الأمر كانت وليمة فائقة القدر والضخامة: غنية، ووفيرة، ومتعددة، وطويلة. لقد انخفضت مشتريات المؤن إلى لا شيء تقريراً في المقاطعة في الأسبوع التالي؛ ولكن حيث إن حفلة بيلبو قد أفرغت محتويات معظم المتاجر والمخازن، والمستودعات، تقريراً، على بعد أميال حول قرية الهوبيتين، فإن ذلك لم يهم كثيراً.

(1) Grubbs (المترجم)

(2) Chubbs - نسبة إلى كلمة (Chubby) ومعناها بدين الجسم. (المترجم)

(3) Burrowses - التسمية مأخوذة من كلمة (Burrow) ومعناها حجر أو ملجاً، وهكذا يمكن ترجمتها «الأفراد من سكان الجحور» (المترجم)

(4) Bolgers - كلمة من ألفاظ الهوبيتين، وتترك دون ترجمة. (المترجم)

(5) Bracegirdle - الاسم مكون من brace ومعناها «حملة البتطلون»؛ وgirdle ومعناها «حزام أو مشد» للوسط. وأطلقت هنا نظراً لما كان لدى الهوبيتين من ميل للسمنة، ومن ثم كانوا يحتاجون إلى ربط أحزمتهم وتنبيتها. (المترجم)

(6) Brockhouse - الاسم مكون من جزأين Brock ومعناها الغرير؛ وهو حيوان ثديي قصير القوائم يحتقر في الأرض أو جرة يسكن فيها؛ وكلمة house معناها بيت أو مسكن. (المترجم)

(7) Goodbodies - الاسم مكون من جزأين good ومعناها جيد، وbodies ومعناها أجسام. (المترجم)

(8) Hornblower - و معناها نافخي الأبواق، وقد تكون عادة إلى مسمى مهني معروف عند الهوبيتين. (المترجم)

(9) Proudfoots - الاسم مكون من duorp وهي صفة معناها هنا ضخم، و foot و معناها قدم.. (المترجم)

بعد الوليمة (تقريراً) أتي الخطاب . ومع ذلك ، كان معظم الضيوف الحاضرين الآن في حالة مزاجية تسمح بالتحمل ، في هذه المرحلة المبهجة التي أسموها «ملء الأركان» . كانوا يرشفون مشروباتهم المفضلة ، ويقضمون أطعمة اللذيفة ، وقد نسوا مخاوفهم . كانوا مستعدين للاستماع لأي شيء ، وللتصفيق والصياح عند كل نقطة يتوقف فيها المحدث .

وبدأ بيلبو خطابه: أهلي الأعزاء ، ونهض قائماً في مكانه . وراحوا يصيرون «اسمعوا! اسمعوا! اسمعوا!» وراحوا يكررونها في مجموعات مثل الكورال ، حيث بدا أنهم كانوا هم أنفسهم كارهين لسماع نصيحتهم . وترك بيلبو مكانه وذهب إلى مقعد أسفل الشجرة المضيئة ووقف عليه . ووقع ضوء المصايبخ على وجهه المشرق المبتسم؛ وتوهجه الأزرار الذهبية على صدريته الحريرية المطرزة . كانوا كلهم يرونـه واقفاً ، وهو يلوح بيده في الهواء ، واليد الأخرى وضعها في جيب بنطلونـه .

وبدأ من جديد: أعزائي الـbaginـzـiesـ وـthe－v－inesـ؛ أعزائي التـwo－k－iesـ والـbr－a－nd－iesـ، والـgr－a－b－iesـ، والـsh－o－b－iesـ، والـbro－z－iesـ، والـhe－r－n－bl－o－w－or－sـ، والـbol－gr－， والـbr－e－sـ جـir－d－lـ، والـgo－d－bo－d－i－zـ، والـbro－c－h－a－o－sـ، والـbra－o－d－f－o－o－t－sـ . صالح هوبيتي عجوز من آخر السرادق قائلـاً: «براودفـيـت»<sup>(1)</sup> . كان اسمـه بالطبع بـra－o－d－f－o－o－t－، وكان جـi－r－a－ جـدـاـ بالـاـسـ؛ كانت قدـماـه كـبـيرـتـينـ، ومـكـسوـتـينـ بالـشـعـرـ بشـكـلـ غـيـرـ عـادـيـ، وـكـانـتـ كـلـتـاهـماـ عـلـىـ الطـاوـلـةـ .

وـكـرـرـاـ بـil－b－o－: بـra－o－d－f－o－o－t－sـ . وـوـاـصـلـ خـطـابـهـ: وـكـذـلـكـ أـعـزـائـيـ منـ السـاكـفـيلـ باـجـi－n－zـ الذين أـرـحـبـ بـعـودـتـهـمـ أـخـيـرـاـ إـلـىـ بـاـجـ i－n－dـ . الـيـوـمـ عـيـدـ مـيـلـادـيـ الـحـادـيـ عـشـرـ بـعـدـ الـمـائـةـ: عـمـرـيـ الـيـوـمـ مـائـةـ وـأـحـدـ عـشـرـ عـامـاـ! وـصـاحـ الـحـضـورـ: رـائـعـ! رـائـعـ! عـيـدـ مـيـلـادـ سـعـيـدـ!ـ، وـرـاحـواـ يـضـرـبـونـ عـلـىـ الطـاوـلـاتـ فـيـ مـرـحـ وـفـرـحـ . كانـ بـil－b－o－ يـسـيرـ فـيـ روـعـةـ . هذهـ كانتـ نوعـيـةـ الـأـشـيـاءـ التـيـ كـانـواـ يـحـبـونـهاـ: قـصـيـرـ وـوـاـضـحـةـ .

وـوـاـصـلـ بـil－b－o－ خـطـابـهـ: أـتـمـنـىـ أـنـ تـكـوـنـواـ جـمـيـعـاـ مـسـتـمـتعـينـ مـثـلـيـ . صـيـحـاتـ تـصـكـ الآـذـانـ . وـصـيـحـاتـ مـنـ نـعـمـ (وـلـاـ)ـ . ضـوـضـاءـ الـأـبـوـاقـ وـالـقـيـرـ، وـالـm－z－a－m－i－r－، وـالـf－l－o－t－، وـغـيـرـهـاـ مـنـ الـآـلـاتـ الـمـوـسـيـقـيـةـ . كانـ هـنـاكـ - حـسـبـماـ قـيـلـ -ـ الـكـثـيرـ مـنـ صـغـارـ الـهـوـبـيـتـيـنـ حـاضـرـيـنـ . سـحـبـتـ المـئـاتـ مـنـ الـآـلـاتـ الـمـوـسـيـقـيـةـ . كانـ مـعـظـمـهاـ يـحـمـلـ الـعـلـامـةـ<sup>(2)</sup> DALEـ عليهـ؛ـ وـالـتـيـ لـمـ تـعـنـ الـكـثـيرـ بـالـنـسـبـةـ لـمـعـظـمـ الـهـوـبـيـتـيـنـ،ـ وـلـكـنـهـمـ اـنـقـفـواـ جـمـيـعـاـ أـنـهـاـ كـانـتـ آـلـاتـ رـائـعـةـ .ـ كـانـتـ تـتـضـمـنـ آـلـاتـ،ـ صـغـيـرـةـ،ـ وـلـكـنـهـاـ فـائـقـةـ الصـنـعـةـ وـذـاتـ أـنـغـامـ سـاحـرـةـ

(1) *Proudfoot* – كما سبقت الإشارة مكونة من *Proud* و *foot* – الجمع الصحيح للأخريرة هو *feet*، أما *bilbo* فجمعها على أنها *feets*، ولذلك جاءه الصوت من الغليق يتصوب له هذا الخطأ. (المترجم)

(2) الوادي – (المترجم)

وفاتنة. حقاً، في أحد الأركان فإن بعضاً من صغار الترولك والبرانديك، معتقدين أن العم بيلبو قد انتهي من خطابه (حيث إنه ببساطة قال كل ما كان ضروريأ)، نهضوا الآن وكونوا أوركسترا ارتجالية، وبدأوا لحتا راقصاً مرحأ. صعد السيد إيفرارد ترولك، والأنسة ميليلولوت برانديك على طاولة وفي أيديهما أحراش وبدأ يرقصان رقصة الحلقة الدائرية: رقصة جميلة، ولكنها عنيفة وقوية إلى حد ما.

ولكن بيلبو لم يكن قد انتهى من خطابه. أمسك بوقاً كان بيده شاب بالقرب منه، وأطلق ثلاث صفارات عالية منه. وسكتت الضوضاء. وواصل كلامه في صياح: لن أبقيكم كثيراً. (وجاءت الصيحات من جميع الحاضرين). لقد جمعتكم جميعاً لغرض ما في نفسي. كان هناك شيء ما في الطريقة التي قال بها هذه العبارة خلف انتباعاً لدى الحضور. كان هناك صمت تام تقريباً، ونصب واحد أو اثنان من الترولك لينصتوا بانتبااه شديد.

في الواقع الأمر، لثلاثة أغراض! أولاً وقبل كل شيء، لأخبركم أنتي مغرم بشكل غامر بكم جميعاً، وأن مائة وإحدى عشرة سنة فترة زمنية قصيرة جداً لأعيشها بين أولئك الهوببيتين الممتازين والجديرين بالإعجاب. (وجاءت صيحات استحسان هائلة). إنني لا أعرف نصفكم على النحو الجيد الذي أحبه؛ كما أنتي أحب أقل من نصفكم نصف الحب الذي يستحقونه. كان هذا غير متوقع وظنعوا بعض الشيء. كان هناك تصفيق قليل متاثر، ولكن كان معظمهم يحاولون إبراز التصفيق لينظروا إذا كان قد ارتفع إلى مستوى المديح.

وثانياً، لأحتفل بعيد ميلادي. (الصيحات ترتفع مجدداً). يجب على أن أقول عيد ميلادنا. لأنه بالطبع كذلك عيد ميلاد وريثي وابن أخي، فرودو. لقد وصل سن البلوغ والنضج وحان الوقت لحصوله على ميراثه اليوم. بعض تصفيق فاتر الحماس من الكبار؛ وبعض الصيحات العالية تردد «فرودو! فرودو! فرودو الكبير الرائع» وقد جاءت من الصغار. وعبس وجه أفراد الساكفيل باجينز، وراحوا يتساءلون في استغراب عن عبارة «حان الوقت لحصوله على ميراثه».

وصل عدتنا جميعاً إلى مائة وأربعة وأربعين. لقد تم اختيار أعدادكم بحيث تناسب ذلك الرقم الإجمالي الضخم: قروصة، إذا جاز لي أن أستخدم هذا التعبير. لم تصدر أي صيحات. كان ذلك سخيفاً. شعر الكثيرون من ضيوفه، وعلى وجه الخصوص الساكفيل باجينز، بالإهانة، حيث شعروا أنهم قد دعوا فقط ليكملوا العدد المطلوب، مثل البضاعة في صندوق. «قروصة، حقاً! تعبير سوقي».

كما أنها كانت - إذا جاز لي أن ألمح إلى التاريخ القديم - مناسبة احتفال بوصولي في عربة تسير بسرعة كبيرة في إيسجاروث على البحيرة الطويلة؛ على

الرغم من أن حقيقة عيد ميلادي قد هربت من ذاكرتي في ذلك الوقت. كان عمري وقتها إحدى وخمسين سنة فقط، ولم يكن عيد الميلاد يبدو مهماً جداً. كانت الحفلة رائعة جداً، مع ذلك، على الرغم من أني كنت مصاباً بدور برد حاد وقتها، على ما ذكر، ولم أستطع سوى أن أقول *[thag you very much]*<sup>(1)</sup> أشكركم شكراً جزيلاً. أما الآن فإنني أكررها بشكل أكثر صواباً: أشكركم شكراً جزيلاً على مجيككم إلى حفلتي المتواضعة الصغيرة. صمت طويلاً. خافوا جميعهم أن تكون هناك أغنية أو بعض الشعر على وشك أن تتردد؛ وقد أصابهم الملل والضجر. لماذا لم يتوقف عن الكلام ويدعهم يشربون نخبه؟ ولكن بيلبو لم يُعنِ أو يسمعهم الشعر. بل توقف عن الكلام للحظة.

وواصل كلامه: ثالثاً، وأخيراً، أود أن أعلن عليكم هذا الإعلان. ونطق بالكلمة الأخيرة بصوت عال جداً وفجأة لدرجة أن الجميع نهضوا واقفين - من استطاع منهم. يؤسفني أن أعلن لكم - على الرغم من قوله أن مائة وإحدى عشرة سنة مدة قصيرة جداً لقضائهما بينكم - هذه هي النهاية. سوف أذهب. إنني راحل. الآن. إلى اللقاء!

ونزل من على المنصة واختفى. كان هناك ويمض ضوئي يذهب بالأبصار، وأغلق جميع الضيوف أعينهم. وعندما فتحوها لم يكن بيلبو موجوداً ولم يكن بالإمكان رؤيته في أي مكان. مائة وأربعة وأربعون هوبيتاً مذهولين جلسوا في الأماكن غير قادرین على الكلام. أنزل أودو براؤدفروت العجوز قدمه من على الطاولة وضرب بها الأرض. وبعدها صمت تام، إلى أن حدث فجأة، بعد عدة أنفاس عميقه، وبدأ كل باجينزي، وبوفني، وتووكى، وبرانديكي، وجرابي، وتشوبى، وبروزي، وبلوجري، وأفراد البريس جيردل، والبروكهاوس، والجودبوديز، والهورنبلوزور، والبراؤدفروت، بدأوا الكلام في نفس الوقت.

كان هناك اتفاق تام أن النكتة كانت سيئة للغاية، وأنه كانت هناك حاجة إلى المزيد من الطعام والشراب لعلاج الضيوف من الصدمة والإزعاج. كانت عبارة «إنه مجنون. دائمًا كنت أقول ذلك» على ما يحتمل أكثر تعليق شائع مشترك. حتى التووكبيين (مع استثناءات قليلة) نظروا إلى تصرف بيلبو على أنه سخيف. وحتى هذه اللحظة، فإن معظمهم سلم جدلاً بأن اختفاءه لم يكن شيئاً أكثر من مزحة سخيفة.

ولكن روري برانديك العجوز لم يكن متاكداً من ذلك. فلم يستطع العمر المتقدم، ولا العشاء الهائل، أن يحجب ملكاته وذكاءه، وقال لزوجة ابنه، إيسمرالدا<sup>(2)</sup>: «هناك شيء ما مشكوك فيه في ذلك، يا عزيزتي! أعتقد أن هذا الباجينزي المجنون قد انطلق

(1) *Thank you very much* ولكنها قالتها بهذه الطريقة لأنه كان مصاباً بالبرد. (المترجم)

(2) Esmeralda

مرة أخرى. هذا الأحمق العجوز السخيف. ولكن لماذا القلق؟ إنه لم يأخذ الأطعمة والمأون معه». وصاح بصوٌت عالٌ منادياً على فرودو ليرسل النبيذ مرة أخرى. كان فرودو هو الشخص الوحيد من بين الحضور الذي لم يقل شيئاً. جلس في صمت لبعض الوقت إلى جوار مقعد بيلبو الخالي، وتجاهل كل الملاحظات والأسئلة. لقد استمتع بالنكتة، بالطبع، على الرغم من أنه كان على علم بالتفاصيل. لقد وجد صعوبة في منع نفسه من الضحك على المفاجأة الغاضبة للضيوف. ولكنه شعر في نفس الوقت بأنه في ورطة كبيرة: أدرك فجأة أنه كان يحب الهوببي العجوز حباً جماً. وواصل معظم الضيوف أكلهم وشربهم ومناقشة التصرفات الغريبة التي يتصرفها بيلبو باجينز، في الماضي والحاضر؛ ولكن أفراد العاكفيل باجينز كانوا قد رحلوا بالفعل في غضب. لم يكن فرودو يريد أن يكون له أي شيء آخر فيما يتصل بالحفلة. وأعطى أوامر بتقديم المزيد من النبيذ؛ وبعد ذلك نهض وشرب كأسه في صمت شارباً نخب بيلبو، وخرج في هدوء من السرادق.

أما بالنسبة لبيلبو باجينز، حتى عندما كان يلقي حديثه، فإنه كان يتحسس الخاتم الذهبي في جيشه: خاتمه السحري الذي احتفظ به سراً لسنوات عديدة. وبينما كان ينزل من على المنصة، وضعه في إصبعه، ولم يره أي هوببي في قرية الهوببيين مرة أخرى بعد ذلك.

مشى في خفة عائداً إلى مسكنه، ووقف للحظة ينصلت بابتسامة إلى الضجيج الذي يأتي من السرادق وإلى أصوات المرح والعربدة في أجزاء أخرى من الحفل. وبعدها دخل مسكنه. خلع ملابس الحفلة، وطوى معطفه الحريري المطرز، ولفه في ورق شفاف، ووضعه في مكانه. بعد ذلك ارتدى بسرعة بعض الملابس غير المهندمة، وربط حول وسطه حزاماً من الجلد متهرئاً. وعلق على الحزام سيفاً قصيراً في غمد جلدي أسود بالـ. وأخرج من درج مغلق، تفوح منه رائحة كرات النقالين، معطفاً قديماً وقلنسوة<sup>(1)</sup>. كانت موضوعة في الدرج المغلق وكأنما كانت ثمينة جداً، ولكنها كانت مرقعة وملطخة لدرجة أنه كان يصعب تخمين لونها الأصلي: ربما كان لونها أخضر داكناً. وكانت ملابس كبيرة أكثر من اللازم بالنسبة له. وبعدها ذهب إلى غرفة مكتبه، وأخرج من صندوق خزنة كبيرة حزمة ملفوفة في قطع قماش قديمة، ومخطوطة مجلدة بالجلد؛ وأخرج أيضاً ظرفاً كبيراً منتفضاً. وحشر الكتاب والحزمة أعلى حقيبة ثقيلة كانت موجودة هناك، وقد كانت ممثلة تقريباً. وأسقط الخاتم الذهبي في الظرف، وكذلك سلسلته الجميلة، وبعد ذلك أغلق الظرف، ووضع عليه عنوان

(1) غطاء الرأس (المترجم)

فرودو. في البداية، وضعه في المغطّف، ولكنه أخرجه فجأة وحشره في جيده. في تلك اللحظة، فتح الباب، ودخل جنلوف بسرعة.

قال له بيلبو: «مرحبا بك. كنت أسأل نفسي إن كنت ستأتي».

ورد عليه الساحر، وهو يجلس في مقعد، «إنني سعيد أن أجده مريئاً».

«كنت أود أن أقاوم وأتحدث معك كلمات قليلة أخرى. أعتقد أنك تشعر بأن كل شيء قد انتهى على نحو فائق الروعة وحسب الخطة؟».

رد عليه بيلبو قائلاً: «نعم، إنني أشعر بذلك. على الرغم من أن هذا الوبيض كان مفاجئاً: لقد أذهلني تماماً، ناهيك عن الآخرين. إضافة صغيرة منك، فيما أعتقد؟».

«لقد كان ذلك بالفعل. لقد احتفظت بهذا الخاتم سراً على نحو حكيم طوال هذه السنوات، وبذا لي أنه كان من الضروري أن نعطي الضيوف شيئاً آخر من شأنه أن يبدو تفسيراً لاختفائكم المفاجئ».

وضحك بيلبو قائلاً: «ومن شأنه أن يفسد المزحة. إنك شخص فضولي عجوز، ولكنني أتوقع أنك تعرف الأفضل، كالعادة».

«نعم، هو كذلك – عندما أعرف أي شيء. ولكنني لا أشعر أنني متأكد جداً بشأن هذا الأمر برمتها. وقد وصل الأمر الآن إلى نقطته النهاية. لقد نلت مزحتك، وأفزعتك أو أسأت إلى معظم معارفك وأقاربك، وأعطيت المقاطعة بكلامها شيئاً تحدثت عنه لمدة تسعة أيام، أو ربما لمدة تسعة وتسعين يوماً أخرى. هل هناك المزيد ست فعله؟».

«نعم، هناك المزيد. أشعر أنني بحاجة إلى إجازة، إجازة طويلة جداً، كما أخبرتك بذلك من قبل. ربما تكون إجازة دائمة: إنني لا أتوقع أنني سأعود. في الواقع الأمر، إنني لا أقصد أن أعود، وقد قمت بكل الترتيبات لذلك».

«لقد كبرت سنني، يا جنلوف. لا أحب ذلك، ولكني بدأت أشعر بذلك في أعماق أعماق قلبي. «المحفوظ جيداً»<sup>(1)</sup> فعلاً! قالها بصوت ينم عن غضب وازدراء. «لماذا، أشعر بأنني نحيل جداً، أشعر كأنني تمددت، إذا كنت تعلم ما أقصد: مثل الزيد الذي فُرد على قدر كبير من الخبز أكثر من اللازم. لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. إنني بحاجة إلى تغيير، أو شيء من هذا القبيل».

نظر جنلوف بفضول وبانتباه إليه، وقال في استغراق: «لا، لا يبدو ذلك صحيحاً. لا، على كل حال أعتقد أن خطتك من المحتمل أنها هي الأفضل».

«حسناً، لقد عقدت العزم واتخذت قراراً، على أية حال. أريد أن أرى الجبال مرة أخرى، يا جنلوف – الجبال؛ وبعد ذلك أجد مكاناً ما يمكنني أن أستريح فيه. في

(1) إشارة إلى ما كانوا يطلون عليه لما يتمتع به من صحة جيدة، وأنه لم يتغير. (المترجم)

هدوء وطمأنينة، دون وجود الأقارب الذين يحومون حولي، ومجموعة من الزوار الملعونين يقفون على جرس الباب. ربما أجد مكاناً ما حيث يمكنني أن أنهي كتابي فيه. لقد فكرت في نهاية لطيفة له: وعاش في سعادة بعد ذلك حتى آخر أيامه». وضحك جندل. «أتمنى أنه يفعل ذلك. ولكن لن يقرأ الكتاب أحد، مهما تكن نهايته».

«آه، ربما يقراءونه، بعد سنوات. لقد قرأ فرودو بعضاً منه بالفعل، على القدر الذي وصل إليه الكتاب. سوف تتضع عينك على فرودو، أليس كذلك؟».

«نعم، سوف أفعل – سوف أضع كلنا عيني عليه، بقدر ما أستطيع أن استغنى عنهما».

«سوف يأتي معي، بالطبع، إذا طلبت منه ذلك. في الواقع الأمر عرض على ذلك ذات مرة، قبل الحفلة مباشرة. ولكنه لا يريد ذلك فعلاً – مع ذلك. أريد أن أرى الصحاري والقفار مرة أخرى قبل أن أموت، والجبال؛ ولكنه لا يزال يحب المقاطعة، بغالباتها وحقولها وأنهارها الصغيرة. ينبغي أن يكون في راحة هنا. إنني أترك كل شيء له، بالطبع، باستثناء بعض الأشياء القليلة. أتمنى أن يكون سعيداً، عندما يعتاد على حياته الخاصة وحده. حان الوقت لأن يصبح سيد نفسه الآن».

رد عليه جندل قائلاً: «كل شيء؟ الخاتم كذلك؟ لقد لاقفت على ذلك، تتذكرة ذلك».

رد عليه بيلبو في تلعثم: «حسناً، آه.. آه.. نعم، أعتقد ذلك». «أين هو؟».

قال له بيلبو في نفاذ صبر: «في ظرف، إذا كان لزاماً أن تعرف. هناك في المعطف. حسناً، كلا! ها هو ذا في جيبي!» – قالها في تردد وتلعثم. «أليس هذا غريباً الآن؟» – قالها هامساً لنفسه في صوت خفيض. «ولكن على أيّة حال، لم لا؟ لماذا لا يجب أن يبقى هناك؟»؟

ونظر جندل إلى بيلبو مرة أخرى بشدة، وكان هناك ومض في عينيه، وقال له في هدوء: «أعتقد يا بيلبو، أنه يجب على أن أتركه ورائي. ألا تريد أنت ذلك؟».

«حسناً، نعم – ولا. والآن حان الوقت، لا أحب أن أفارقك على الإطلاق ، إذا جاز لي القول. كما أنني في الحقيقة لا أرى سبباً لضرورة ذلك. لماذا تريد مني ذلك؟» – سأل هذا السؤال، وهناك تغيير فضولي جاء في نبرة صوته. كان حاداً مليئاً بالشك والضيق. «أنت دائمًا تصايرني بشأن خاتمي؛ ولكنك لم تصايرني أبداً بشأن أشياء أخرى لدى في رحلتي».

ورد عليه جندل قائلاً: «لا، ولكن كان يجب على أن أصايرك. إنني أردت الحقيقة. كان ذلك مهمًا. الخواتم السحرية – حسناً، سحرية؛ وهي نادرة وغريبة. لقد

كنت مهتماً مهنياً بخاتمك، يمكنك القول؛ ولا أزال مهتماً به. أود أن أعرف أين هو، إذا كنت ستخرج في تجوالك مرة أخرى. وكذلك أعتقد أنك احتفظت به وقتاً طويلاً كافياً جداً. لن تحتاج إليه بعد ذلك أبداً، يا بيلبو، إلا إذا كنت أنا مخطئ حقاً».

واصطبغ وجه بيلبو باللون الأحمر، وكان هناك ضوء غاضب في عينيه. تصلب وجهه اللطيف. وصاح: «لم لا؟ وما هو شأنك في ذلك، على أية حال، أن تعرف ما الذي أفعله بأشيائي الخاصة؟ إنه يخصني وحدي. أنا الذي وجده. لقد جاء إلى».

وقال له جنلوف: «نعم، نعم. ولكن ليس هناك داع لأن تغضب».

ورد بيلبو قائلاً: «إذا كنت غاضباً، فإن هذا خطوك أنت. إنه يخصني، أقول لك.

يخصني. شيئاً الثمين. نعم، شيئاً الثمين».

وظل وجه الساحر وقوراً ولطيفاً، ولم يكن هناك سوى رجفة في عينيه العميقتين أظهرت أنه كان خائفاً، بل ومذعوراً في الواقع الأمر. وقال له: «لقد أطلق عليه هذا الاسم من قبل، ولكنك لم تكن أنت الذي أطلقته عليه».

«ولكني أقولها الآن. ولم لا؟ حتى ولو كان جولام قد قال الشيء نفسه ذات مرة من قبل. فإن الخاتم ليس يخصه الآن، إنه يخصني أنا. وسوف أحافظ به، أقول لك».

ونهض جنلوف واقفاً. وتحدث في صرامة وعبوس، وقال له: «ستكون أحمق إن أنت احتفظت به، يا بيلبو. أنت تجعل ذلك أكثر وضوحاً مع كل كلمة تقولها. لقد استولى عليك إلى أبعد الحدود. دعه يمضي واتركه! وبعدها يمكنك أن تمضي أنت نفسك، وأن تكون حرراً». رد عليه بيلبو في عناد وإصرار: «سوف أفعل كما أختار وأذهب حسبما أحب وأريد».

قال له جنلوف: «الآن، الآن، يا عزيزي الهوبيتي! لقد كنا صديقين طوال حياتك الطويلة، وأنت مدین لي بشيء ما. هيا! لتفعل مثلاً وعدت: تخل عنك واتركه!»

صاح فيه بيلبو: «حسناً، إذا كنت ت يريد أنت خاتمي، فقل ذلك! ولكنك لن تأخذه. لن أتخلى عن شيئاً الثمين أبداً، أقول لك». وامتدت يده في سرعة إلى مقبض سيفه الصغير. وومضت عيناً جنلوف، وقال له: «سوف يكون دورى لأن أغضب في الحال. إذا قلت ذلك مرة أخرى، فسوف أغضب. وعندئذ سوف ترى جنلوف الأشيب دون معطف». وخطا خطوة باتجاه الهوبيتي، وبدا أنه راح يصير أكثر طولاً وت Rooneyاً وخطورة؛ وملأ ظله الغرفة الصغيرة.

وتراجع بيلبو بعيداً نحو الجدار، وهو يتنفس في صعوبة، وكانت يده قابضة على جيبيه. ووقفا برهة في مواجهة بعضهما، وراح هواء الغرفة يحدث وخزاً خفيقاً. وطلت عيناً جنلوف مركرة على الهوبيتي. وفي بطء استرخت يداه، وبدأ يرتعد.

وقال: «لا أدرى ما الذي أصابك هكذا، يا جنلوف. لم تكن مثل هذا من قبل أبداً.

لماذا كل هذا؟ إنه ملكي، أليس كذلك؟ أنا الذي وجدته، وكان من الممكن أن يقتلني جولام، لو لم أكن قد احتفظت به. إنني لست لصاً، أياً كان ما قاله». وأجابه جندلُف قائلًا: «لم أقل مطلقاً إنك لص. كما أنتي لست لصاً أيضاً. أنا لا أحاول سرقتك، ولكن أحاول مساعدتك. أتمنى أن لو وثقت فيَّ، كما اعتدت من قبل». واستدار بعيداً، ومر الظل. وبدا أنه يتحول ثانية إلى رجل عجوز أشيب، منحني الظهر، ومعتل.

ووضع بيلبو يده على عينيه، وقال: «أنا آسف. ولكنني شعرت بغرابة شديدة. ومع ذلك فسوف يكون من قبيل الراحة حال من الأحوال إلا أزعج نفسي به أكثر من ذلك. لقد تمت سيطرته على عقلي كثيراً جداً في الفترة الأخيرة. لقد شعرت أحياناً أنه كان مثل عين تنظر إلى وترابقني. وأنني أريد دائماً أن أضعه في يدي وأختفي، إلا تعرف ذلك؛ أو أسأله إن كان سليماً، وأخرجه لأتأكد من ذلك. حاولت أن أضعه في صندوق وأغلق عليه، ولكني وجدت أنني لا يمكنني أن أستريح دون أن يكون في جيبي. أنا لا أعرف السبب. ولا يبدو أنني قادر على عقد عزمي بهذا الشأن».

قال له جندلُف: «في هذه الحالة، ثق بقراري وعقلي. لقد عقدت العزم تماماً. امض بعيداً واتركه وراءك. توقف عن املاكه له. أعطه لفرودو وسوف أعتني أنا به<sup>(١)</sup>. ووقف بيلبو للحظة متوتراً ومترددًا. وتنهد في هذه اللحظة وقال بشيء من الجهد: «حسناً. سوف أتخلى عنه». وبعدها هز كتفيه، وابتسم على نحو كثيف وحزين بعض الشيء. «على أية حال، فقد كان ذلك كل ما كانت هذه الحالة بشأنه، في الواقع: أن نعطي الكثير من هدايا عيد الميلاد، ونجعل التخلي عنه أكثر سهولة في نفس الوقت. وفي النهاية، لم يجعل ذلك الأمر أكثر سهولة على الإطلاق، ولكن سيكون الأمر مدعاة للرثاء أن أضيع كل استعداداتي. سوف يفسد ذلك المزحة».

قال جندلُف له: «نعم، سوف يقضى ذلك على الشأن المهم الوحيد الذي رأيته في هذا الأمر».

رد بيلبو قائلًا: «حسناً جداً. إنه يذهب إلى فرودو مع كل ما تبقى». وتنفس نفساً عميقاً. «والآن يجب علىَّ أن أبدأ رحلتي فعلاً، وإلا فإن شخصاً آخر سوف يمسك بي. لقد قلت الوداع، ولا أحتمل أن أفعل ذلك مرة أخرى». وأخذ حقينته وتحرك باتجاه الباب.

قال له الساحر: «لا يزال الخاتم معك، في جيبي».

وصاح بيلبو قائلًا: «حسناً، هو معي فعلًا وكذلك وصيتي وجميع مستنداتي الأخرى أيضاً. من الأفضل أن تأخذ كل شيء وتسلمه نيابة عنِّي. سوف يكون ذلك أكثر أمانًا».

(١) الضمير هنا يشير إلى [فرودو] (المترجم)

قال له جَنْدُلْفُ: «كلا، لا تُعْطِي الخاتم لي. ضعه في المعطف. سوف يكون أمّنا بالقدر الكافي هناك، حتى يأتي فرودو. سوف أكون في انتظاره». وأخرج بيلبو الظرف، ولكن عندما كان على وشك أن يضعه إلى جوار الساعة، ارتعشت يده متراجعة، وسقط الظرف على الأرض. وقبل أن يهم بالتقاطه، انحنى الساحر وأمسك به ووضعه في مكانه. ومرت توبّة من الغضب بسرعة شديدة على وجه الهوبيتي مرة أخرى. وفجأة تركت التوبة مكانها لنظره من الارتياح والضحك.

وقال: «حسناً، انتهي الأمر. والآن أنطلق أنا!».

وخرج إلى الردهة. واختار بيلبو عصاً المفضلة من على الحامل؛ وأطلق صافرة بعد ذلك. خرج ثلاثة أقزام من ثلاثة غرف مختلفة حيث كانوا مشغولين. وسأل بيلبو: «هل كل شيء جاهز؟ هل تم حزم كل شيء ووضع بطاقات عليه؟». وأجابوه قائلين: «كل شيء».

«حسناً، لنبدأ الرحلة إذن!» وخرج من الباب الأمامي.

كانت ليلة لطيفة، وكانت السماء السوداء منقطة بالنجوم. نظر لأعلى، يستنشق الهواء؛ وقال «يا لها من متعة! يا لها من متعة أن تنطلق في الترحال ثانية، تنطلق وبعدها على الطريق مع الأقزام! هذا ما كنت أتوق إليه حقاً، على مدى سنوات! إلى اللقاء»، ونظر إلى بيته القديم وانحنى أمام الباب. «إلى اللقاء يا جَنْدُلْفُ!».

«إلى اللقاء، الآن، يا بيلبو. اعن بنفسك! أنت كبير بالشكل الكافي، ولعلك تكون حكيمًا بالشكل الكافي».

«اعتن بنفسك! لا شيء يهمني: لا تقلق بشائي! إنني سعيد الآن مثلاً كنت من قبل تماماً، وهذا ينم عن الشيء الكثير. ولكن الوقت قد حان. هأنذا أشعر بالبهجة الغامرة أخيراً». وبعدها في صوت منخفض، وكأنما يحدث نفسه، راح يغنى في هدوء في الظلام:

الطريق يسير إلى الأبد،  
من عند الباب حيثما ابتدأ،  
والآن بعيداً الطريق قد مضى،  
ويجب على أن أتبعه إن أستطع،  
أطارده بأقدام متلهفة  
حتى يختلط مع طريق منه أكبر  
حيث تتلاقي الطرق والرحلات العديدة  
وإلى أين المسير عندها؟ لا أستطيع أن أقول.

وتوقف، وساد صمت للحظة. وبعدها ودون أن ينبع بكلمة أخرى استدار بعيداً عن الأصوات والأصوات في الحقول والخيام، وتبعه في سيره رفاقه الثلاثة ولفوا حول الحديقة، وراحوا يجرون عبر الممر المنحدر الطويل. وقفز فوق مكان منخفض في سياج الشجيرات عند القاع، وانطلق إلى المروج، ومر في الليل مثل حفيض الرياح تنطلق بين الحشائش.

وظل جنديل لبره يحدق وراءه في الظلمة، وقال في صوت رقيق «إلى اللقاء، عزيزي بيلبو - حتى نلتقي في المرة القادمة!» وعاد بعدها ودخل البيت. وجاء فرودو في الحال بعد ذلك، ووجده جالساً في الظلام، مستغرقاً في التفكير، وسألته: «هل ذهب؟».

وأجا به جنديل: «نعم، لقد ذهب أخيراً».

رد عليه فرودو قائلاً: «أتمنى - أقصد، كنت أتمنى حتى هذا المساء أن الأمر كان فقط مزحة. ولكنني كنت أعرف في أعماق نفسي أنه كان ينوي أن يمضي فعلاً. لقد اعتاد أن يمزح دائماً بشأن الأشياء المهمة الخطيرة. أتمنى أن لو عدت سريعاً جداً، فقط لأراه ينطلق في رحلته».

ورد جنديل قائلاً: «أعتقد أنه في الحقيقة كان يفضل أن ينسى من بيننا في هدوء في النهاية. لا تزعج نفسك أكثر من اللازم. سوف يكون على ما يرام - الآن. لقد ترك طرفاً لك. ها هو ذا هناك!».

وأخذ فرودو الظرف من المعطف، وحدق فيه، ولكنه لم يفتحه.

قال له الساحر: «سوف تجد وصيته وجميع مستنداته فيه، فيما أعتقد. أنت سيد منزل باج إيند الآن. وأعتقد كذلك أنك ستجد خاتماً ذهبياً».

وقال فرودو متعجبًا: «الخاتم! هل ترك لي هذا؟ أتعجب من السبب. ومع ذلك، فقد يكون ذافائدة».

قال له جنديل: «ربما، وربما لا. لو كنت مكانك، فلن أستخدمه. ولكن احتفظ به سراً، واحتفظ به في أمان! والآن سوف أذهب للنوم».

وبصفته سيد باج إيند، فإن فرودو شعر أنها مهمته المؤلمة أن يودع ضيوفه. وكانت هناك الآن شائعات قد سرت في كل أرجاء الحقل عن أحداث غريبة، ولكن فرودو لم يزد على أن قال: بدون شك كل شيء سيتضيق في الصباح. وعند منتصف الليل تقريباً، جاءت العربات من الأشخاص المهمين. جاءت مسرعة واحدة تلو الأخرى، ممثلة بالهولبيتين ممثلين البطون ولكنهم غير راضين. وجاء عمال الحداائق حسب الترتيبات، ونقلوا في عربات اليد أولئك الذين تخلعوا في غفلة أو عن قصد.

وَمَرَتِ اللَّيْلَةُ فِي بَطْءٍ، وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ. وَنَهَضَ الْهَوَّبِيَّيُونَ مُتَّاخِرِينَ بَعْضَ الشَّيْءِ. وَمَضَى الصِّبَاحُ. وَجَاءَ النَّاسُ وَبَدَعُوا (وَفَقًا لِلأَوْامِرِ) فِي تَنْظِيفِ السَّرَادِقَاتِ وَالْطَّاوِلَاتِ وَالْمَقَاعِدِ، وَالْمَلاَعِقِ وَالسَّكَاكِينِ وَالزَّجاَجَاتِ وَالْأَطْبَاقِ وَالْفَوَانِيسِ، وَالشَّجَرَاتِ الْمَزَهَرَةِ فِي صَنَادِيقِ، وَالْفَتَاتِ وَأُورَاقِ الْمَفْرَقَاتِ، وَالْحَقَائِبِ الْمَنْسِيَّةِ وَالْقَفَارَاتِ وَالْمَنَادِيلِ، وَالْطَّعَامِ الَّذِي لَمْ يَؤْكِلْ (شَيْءٌ صَغِيرٌ جَدًّا). وَبَعْدَ ذَلِكَ جَاءَ عَدْدٌ مِنْ أَشْخَاصٍ أَخْرَى غَيْرِ الضَّيْوفِ مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْيَشُونَ أَوْ يَقِيمُونَ فِرِيبَا. وَمَعَ مَنْتَصِفِ النَّهَارِ، عَنِّدَمَا خَرَجَ حَتَّى أُولَئِكَ الَّذِينَ أَكْلُوا أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ، كَانَ هُنَاكَ حَشْدٌ كَبِيرٌ فِي بَاجِ إِينِدَ، غَيْرُ مَدْعَوِينَ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا غَيْرَ مُتَوَقِّعِينَ.

كَانَ فَرُودُو يَنْتَظِرُ عَلَى السَّلْمِ، وَهُوَ يَبْتَسِمُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَبْدُو مُتَعِبًا بَعْضَ الشَّيْءِ وَقَلْقًا. رَحِبَ بِجَمِيعِ الزُّوَارِ، وَلَكِنَّ لَمْ يَكُنْ لَدِيهِ مَا يَقُولُهُ أَكْثَرُ مِنْ ذِي قَبْلِ. كَانَتْ كُلُّ إِجَابَاتِهِ عَلَى السَّائِلِيْنَ بِسِيَطَةٍ كَهُذِهِ: «لَقَدْ ذَهَبَ السَّيِّدُ بِيلُوبُو بِاجِينِزْ بَعِيدًا، بَعِيدًا إِلَى حِيثِ يُمْكِنُنِي أَنْ أَعْرِفَ، لِلْأَبْدِ». أَمَا بَعْضُ الزُّوَارِ فَقَدْ دَعَاهُمْ لِلدخولِ، حِيثُ إِنْ بِيلُوبُو كَانَ قَدْ تَرَكَ لَهُمْ «رِسَالَةً».

فِي دَاخِلِ الرَّدَدَةِ، كَانَتْ هُنَاكَ كُومَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْطَّرُودِ وَالصَّنَادِيقِ وَبَعْضِ قَطْعِ الْأَنَاثِ. كَانَتْ هُنَاكَ بَطاَقَةٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا. كَانَتْ هُنَاكَ بَطَاقَاتٌ عَدِيدَةٌ مِنْ هَذَا التَّوْعِيمِ خَاصَّ بِ«أَدِيلَارَدْ تُوُوكَ»، لَهُ خَصِيْصًا، مِنْ بِيلُوبُو؛ عَلَى شَمْسِيَّةِ. وَحَمَلَ أَدِيلَارَدُ الْعَدِيدَ مِنَ الْهَدَایَا الَّتِي لَمْ تَكُنْ عَلَيْهَا بَطَاقَاتِ.

خَاصَّ بِ«دُورَا بِاجِينِزْ» فِي ذَكْرِي مَرَاسِلَاتِ طَوِيلَةِ، مَعَ كُلِّ الْحُبِّ مِنْ بِيلُوبُو؛ عَلَى سَلَةٍ كَبِيرَةٍ لِلْقَمَامَةِ، كَانَتْ دُورَا أَخْتَ دَرُوجُو وَأَكْبَرُ أَنْثَى عَلَى قِيدِ الْحَيَاةِ مِنْ أَقْارِبِ بِيلُوبُو وَفَرُودُو؛ كَانَ عُمْرُهَا تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ عَامًا، وَقَدْ كَتَبَتْ كُمِيَّاتٍ هَائلَةٍ مِنَ النَّصَائِحِ الْجَيْدةِ عَلَى مَدِي نَصْفِ قَرْنِ.

خَاصَّ بِ«مِيلُو بِرُوزْ»، أَتَمْنِي أَنْ يَكُونَ مَفِيدًا نَافِعًا، مِنْ بِ. بِ.؛ عَلَى قَلْمَ حِبرٍ وَمَحْبِرَةٍ. لَمْ يَكُنْ مِيلُو يَرِدُ عَلَى الْخَطَابَاتِ أَبَدًا.

خَاصَّ بِاستِخْدَامِ أَنْجِيلِيكَا، مِنَ الْعِمَّ بِيلُوبُو؛ عَلَى مَرَآةٍ مَحْدُبَةٍ مَدُورَةٍ. كَانَتْ فَتَاهَةً شَابَةً مِنَ الْبَاجِينِزِيَّيْنَ، وَكَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَكْثَرُ مِنَ الْلَّازِمِ أَنَّهَا تُعْتَبَرُ وَجْهَهَا حَسْنَ الشَّكَلِ.

خَاصَّ بِمَجْمُوعَةِ هُوْجُو بَرِيسْ جِيرَدَلِ، مِنَ مَتَبْرَعِ؛ عَلَى صَنْدُوقِ كَتَبِ (فَارِغِ). كَانَ هُوْجُو مُسْتَعِيرًا كَبِيرًا لِلْكَتَبِ، وَكَانَ أَسْوَأُ مِنَ الْمَعْتَادِ فِي إِرْجَاعِهَا.

خَاصَّ بِ«لُوبِيلِيا سَاكَفِيلْ بِاجِينِزْ»، كَهْدِيَّةٍ؛ عَلَى صَنْدُوقِ مِنَ مَلَاعِقِ فَضِيَّةِ. كَانَ بِيلُوبُو يَعْتَقِدُ أَنَّهَا أَخْذَتْ عَدْدًا كَبِيرًا مِنَ مَلَاعِقِهِ، عَنِّدَمَا كَانَ مَسَافِرًا فِي رَحْلَتِهِ السَّابِقَةِ. كَانَتْ لُوبِيلِيا تَعْرِفُ ذَلِكَ جَيْدًا. عَنِّدَمَا وَصَلَتْ فِي وَقْتٍ مَتَّاخِرٍ مِنَ الْيَوْمِ، اسْتَوْعَيْتَ هَذِهِ الرِّسَالَةِ فِي الْحَالِ، وَلَكِنَّهَا أَخْذَتْ أَيْضًا الْمَلَاعِقَ. هَذِهِ فَقْطُ مَجْمُوعَةٌ صَغِيرَةٌ مُخْتَارَةٌ مِنْ

الهدايا المجمعة. لقد ازدحم مسكن بيلبو كثيراً بأشياء كثيرة على مدى حياته. كانت هذه عادة ومتلاً في مساكن الهوبيتين أن تكون مزدحمة ومكتظة بالأشياء: والتي كانت عادة تقديم هدايا أعياد ميلاد كثيرة مسئولة عنها بشكل كبير. وليس ذلك - بالطبع - نظراً لأن هدايا أعياد الميلاد كانت دائماً جديدة؛ كان هناك شيء أو شيئاً من (الماثومات) نسي الجميع وجود استخدام لها قد دارا في كل المنطقة؛ ولكن بيلبو في العادة كان يقدم هدايا جيدة، وكان يحتفظ بتلك الهدايا التي كانت تقدم له. صارت الحفرة (المسكن) القديمة منظماً قليلاً الآن.

كانت هناك بطاقة على كل هدية من هدايا الوداع، كتبها بيلبو بنفسه، وكان العديد منها له مغزى، أو يتم عن مزحة. ولكن - بالطبع - معظم الأشياء تم إعطاؤها لأشخاص حيث تكون هناك حاجة إليها عندهم أو تكون مرغوباً فيها لديهم. حصل الهوبيتون الفقراء - وعلى وجه الخصوص أولئك الذين هم من باجشوت رو - على هدايا ذات قيمة جيدة بالنسبة لهم. حصل جافر جامي العجوز على جوالين من البطاطس، ومعول جديد، وصدرية صوفية، وزجاجة من المرهم لعلاج المفاصل. حصل روري برانديك العجوز - في مقابل الكثير من كرم الضيافة - على دستة من زجاجات النبيذ أولد واينيارد<sup>(1)</sup>: وهو النبيذ أحمر قوى من ساوث فارذينج (الربع الجنوبي)<sup>(2)</sup>، وهي ناضجة تماماً الآن، حيث إن والد بيلبو هو الذي كان قد وضعها. وصفح روري عن بيلبو تماماً، وأقر أنه رفيق رئيسي بعد الزجاجة الأولى.

كان هناك الكثير من كل شيء ترك لفرودو. وبالطبع، كل الكنوز الأساسية، وكذلك الكتب، والصور، وأثاث أكثر مما هو كاف، كل ذلك ترك في حوزته. ومع ذلك، لم تكن هناك أي علامة أو إشارة إلى مال أو مجوهرات: لم يتم تقديم بنس واحد أو خرزة زجاجية واحدة كهدايا.

كان وقت فرودو مرهقاً جداً بعد ظهر ذلك اليوم. سرت شائعة كاذبة أن مقتنيات المنزل كلها كانت توزع بالمجان بسرعة مثل سريان النار في الهشيم؛ وقبل أن يمضي وقت طويل كان المكان مكتظاً بالأشخاص الذين لم يكن لهم شأن أو عمل هناك، ولكن لم يمكن إبعادهم وإخراجهم. وتمزقت البطاقات، واختلطت، ونشبت المشاجرات. وحاول بعض الأشخاص أن يقيموا بعض المبادرات والصفقات في الصالة؛ وحاول بعض آخر أن يسرقوا أشياء صغيرة لم تكن معطاة لهم، أو أي شيء كان يبدو أنه غير مرغوب فيه أو لم يكن يراقبه أحد. اندلعت البوابة بعربات وعجلات اليد.

(1) Old Winyards – اسم مكان ومعناها (*the Old Vineyards*) كرمات العنب القديمة. (المترجم)

(2) Southfarthing – المعنى الأصلي لكلمة (*Farthings*) في اللغة الإنجليزية هو (الجزء الرابع «أي ربع بنس») – والإشارة هنا إلى أقسام المقاطعة (*Shire*) الأربع. وهذا فإن *Southfarthing* تعني الربع الجنوبي. – (المترجم)

وفي وسط الضجيج والزحام وصل أفراد الساكافيل باجينز. أوى فرودو إلى الفراش لوقت قصير وترك صديقه ميري برانديك يحرس الأشياء. عندما طلب أوثو بصوت عال أن يرى فرودو، فإن ميري أذعن له في أدب.

قال له: «إنه متوعك قليلاً. إنه يستريح».

ردت لوبيلبا قائلة: «تفصد أنه مختبئ. على أية حال نحن نريد أن نراه، ومصممون أن نراه. فقط اذهب وأخبره بذلك!».

وتركتهما ميري في الصالة لوقت طويل، وكان لديهما الوقت ليكتشفا هدية الوداع الخاصة بهما من الملاعق. ولم تحسن الهدية حالتها المزاجية. وفي النهاية، اصطحبهما ميري إلى حجرة المكتب. كان فرودو جالساً على طاولة وكان أمامه الكثير من الورق. كان يبدو متوعكاً وكارها - ليرى أفراد الساكافيل باجينز على أية حال؛ وقام واقفاً، وهو يبعث في شيء ما في جيده. ولكنه تحدث بأدب جم.

كان أفراد الساكافيل باجينز عدوانيين إلى حد ما. وبدأ الاثنان يساومان بشكل سيئ (كما هي الحال بين الأصدقاء) على أشياء عديدة ثمينة وغير موجود عليها بطاقات. عندما رد عليهما فرودو أن الأشياء الموجهة من قبل بيلبو فقط هي التي يتم تقديمها كهدايا، فإنها قالا إن الأمر يرمته مشكوك فيه تماماً.

قال أوثو: «شيء واحد فقط واضح بالنسبة لي، وهو أنك تتربيح جيداً بشكل استثنائي من وراء ذلك. إنني مصر على رؤية الوصية».

كان من الممكن أن يكون أوثو وريث بيلبو، لولا تبني فرودو. وقرأ الوصية بإمعان وزفر بصوت مسموع. لقد كانت واضحة وصححة جداً - لسوء الحظ (طبقاً للأعراف القانونية للهوبيتين، التي تقضي - على سبيل المثال لا الحصر - بوجود سبعة توقيعات للشهود بالحبر الأحمر).

وقال لزوجته: «هزمنا مرة أخرى! وبعد انتظار ستين سنة. ملاعق؟ هراء!» وأظهر عصيائه أمام فرودو ورغمًا عنه مضى مسرعاً في غضب. ولكن لوبيلبا لم تكن من النوع الذي يمكن التخلص منه بسهولة. بعد وقت قليل خرج فرودو من حجرة مكتبه ليرى كيف كانت تسير الأشياء، ووجدها لا تزال في المكان، تتفحص الأركان والزوايا، وتتدق على الأرضيات. واصطحبها في حزم وشدة إلى خارج المبنى، وبعد أن حررها من عدة أشياء صغيرة (بيد أنها قيمة جداً) كانت قد سقطت بطريقة ما داخل شمسيتها. بدا وجهها كما لو كانت في نوبة احتضار تفك في ملاحظة ساحقة حقاً تترك بها المكان؛ ولكن كل ما وجدته لتقوله، أن استدارت للخلف على السلم، وقالت:

«سوف تعيش حتى تندم على ذلك، أيها الرفيق الشاب! لم لم تذهب أنت أيضاً؟ هذا ليس مكانك؛ أنت لست من الباجينزيين - أنت - أنت من البرانديكيين!».

قال فرودو وهو يغلق الباب وراءها: «هل سمعت هذا، يا ميري؟ كانت هذه إهانة، إذا كانت تحب ذلك».

قال له ميري برانديك: «لقد كانت مدحأ وإطراء، ومع ذلك - بالطبع - هذا غير صحيح». وبعد ذلك ذهبا حول المسكن، وقاما بطرد ثلاثة من صغار الهوبيتين (اثنين من البوفينيين، وواحد من البولجر) كانوا يصنعون حفرًا في جدران قبو. كما حدثت مشادة بين فرودو وسانتشو براودفوت الصغير (حفيض أودو براودفوت)، الذي كان قد بدأ الحفر في الخزانة الأكبر، حيث كان يعتقد أنه كانت هناك آثار. لقد أثارت أسطورة ذهب بيليو كلاً من القصوٌ والأمل؛ لأن الذهب الأسطوري (الذي تم الحصول عليه بشكل غامض سري، إن لم يكن قد تم الحصول عليه من حرام بشكل مطلق) - كما يعرف الجميع - فهو ملك لأي شخص يجده - ما لم يتوقف البحث.

عندما وجد فرودو سانتشو وتغلب عليه ودفعه للخارج، فإنه ألقى بنفسه على مقعد في الصالة في تهالك، وقال: «لقد حان الوقت لأن نغلق المتجر، يا ميري. أغلق الباب، ولا تفتحه لأي أحد اليوم، حتى ولو أحضروا كيشا حربياً<sup>(1)</sup>». وبعد ذلك ذهب لينعش نفسه بكأس من الشاي.

لم يك يجلس، حتى جاء طرق خفيض على الباب الأمامي. وفكرا قائلًا: «من الأكثر احتمالاً أنها لوبيليا مرة أخرى. لا بد أنها قد فكرت في شيء حظير فعلًا، وقد عادت مرة أخرى لتقوله. يمكن لذلك أن ينطر».

واستمر يشرب شايه. وتكرر الطرق، وأصبح أعلى صوتاً، ولكنه لم يأبه بالأمر. وفجأة أطل رأس الساحر من النافذة.

قال له: «إن لم تدعني أدخل، يا فرودو، فإنني سوف أنسف بابك ليقع على حفرتك مباشرة، وأدمره وأبعثه عبر التل».

وصاح فرودو: «عزيزي جنلوف! نصف دقيقة!» وجرى خارجاً من غرفته إلى الباب. «تفضل! تفضل! كنت أعتقد أنها لوبيليا».

«في هذه الحالة، أصفح عنك. ولكنني رأيتها منذ وقت مضى»، كانت تقود عربة حنطور متوجهة إلى مجاورة الماء ووجهها يمكن أن يختر اللبن الجديد ويجمده».

«لقد جعلتني أتجدد بالفعل تقريراً. بكل أمانة، لقد كنت أحاول مع خاتم بيليو. كنت أتوق إلى أن أختفي».

قال له جنلوف وهو يجلس: «لا تفعل ذلك! احترس من هذا الخاتم من فضلك، يا فرودو! في الحقيقة، الأمر في جزء منه يتعلق بأنني جئت لأقول لك كلمة أخيرة بهذا الشأن».

(1) Battering ram - الكيش: ألة حربية كان القدماء يستعملونها لفك أسوار المدن المحاصرة (قاموس المورد) - (المترجم)

«حسناً، ماذا عن ذلك؟».

«ما الذي تعرفه أنت بالفعل؟».

«فقط الذي أخبرني به بيلبو. لقد سمعت قصته: كيف وجده، وكيف استخدمه: أقصد في رحلته».

رد عليه جنلوف: «إنني أتساءل، أي قصة».

قال له فرودو: «أوه، ليس ما أخبره للأقزام ووضعه في كتابه. لقد أخبرني القصة الحقيقة بعد أن جئت لأعيش هنا مباشرة. قال لي إنك رحت تزعجه حتى أخبرك، ولذلك كان من الأفضل أن أعرف أنا أيضاً. قال لي: ليست هناك أسرار بيننا يا فرودو، ولكن هذه الأسرار يجب ألا تذهب إلى أبعد من ذلك. إنه يخصني على أية حال».

وقال جنلوف: «هذا شيء ممتع. حسناً، وماذا كان رأيك في الأمر كله؟».

«إذا كنت تعنى، تفريح كل شيء عن «هدية»، حسناً، اعتقدت أن القصة الحقيقة أكثر احتمالاً بكثير، ولم أستطع أن أرى المغزى في تغييرها على الإطلاق. على أية حال، كان الأمر غير متافق جداً مع بيلبو أن يفعل ذلك؛ وقد اعتقدت أن الأمر كان غريباً وشاذًا إلى حد ما».

«وهكذا كنت أعتقد أنا. ولكن الأشياء الغريبة قد تحدث لأشخاص يكون لديهم مثل هذه الكنوز – إذا استخدموها. ليكن هذا تحذيراً لك لأن تكون حريضاً جداً معه. ربما يكون به قوى أخرى أكثر من مجرد قوة جعلك تخفي عندما ترغب».

قال له فرودو: «لا أفهم».

وأجابه الساحر: «ولا أنا أيضاً. ببساطة إنني بدأت أتعجب بشأن المقام، وخاصة منذ الليلة الماضية. ليست هناك حاجة للقلق. ولكن إذا أخذت نصيحتي فسوف تستخدمناهداً جداً، أو لا تستخدمناه على الإطلاق. على الأقل، فإنني أرجوك ألا تستخدمناه بأي طريقة من شأنها أن تثير الحديث أو تثير الشكوك. وأقول لك مجدداً: احتفظ به في أمان، واحتفظ به سراً!».

«أنت غامض جداً! ما الذي تخاف منه؟».

«لست متأكداً، ولذلك فلن أقول أكثر من ذلك. ربما أستطيع أن أخبرك بعض الشيء عندما أعود. سوف أنطلق في الحال: وهكذا فإن هذا وداع الآن». ونهض من مكانه.

وصاح فرودو: «في الحال. لماذا، اعتقدت أنك ستبقى هنا لمدة أسبوع على الأقل. كنت أتطلع إلى مساعدتك».

«إنني كنت أنوي ذلك – ولكنه كان يجب على أن أغير رأيي. ربما أبعد لفترة من الوقت؛ ولكنني سأعود وسأراك مرة أخرى، بسرعة قدر ما أستطيع. انتظرني عندما

تراني ! سوف أسلل في هدوء . لن أزور المقاطعة بشكل صريح مرة أخرى . لقد وجدتُ أنني قد صرت غير مرغوب في بعض الشيء . يقولون إنني مصدر ضجر وإزعاج ومزعج للأمن والهدوء . بعض الناس في الواقع يتهمونني بخطف بيلبو بطريقة خفية ، أو ما هو أسوأ من ذلك . إذا كنت تريده أن تعرف ، هناك من المفترض مؤامرة بيني وبينك للاستيلاء على ثروته » .

وصاح فرودو متعجبًا : « بعض الناس . تقصد أوثو ولوبيليا . يا للفطاعة ! يمكنني أن أمنهم باج إيند وكل شيء آخر ، إذا استطعت أن أستعيد بيلبو وأنطلق معه متوجلاً في البلدان . إنني أحب المقاطعة . ولكنني بدأت أتمنى - على أيام حال - أن لو أنني قد ذهبت كذلك . إنني أتساءل إن كنت سأراه أبداً مرة أخرى » .

قال جنلوف : « وهذا ما أتمناه أنا كذلك . وأتساءل عن أشياء أخرى كثيرة . إلى اللقاء الآن ! اعتن بنفسك ! ترقب حضوري ، وخاصة في الأوقات غير المتوقعة ! إلى اللقاء ! ». وودعه فرودو إلى الباب . ولوح بيده تلویحة أخيرة ، ومشى منطلاقاً بسرعة مذهلة ، ولكن فرودو كان يعتقد أن الساحر العجوز كان منحني الظهر بشكل غير عادي ، تماماً كما لو كان يحمل ثقلاً عظيماً على ظهره . كان المساء يقترب ، واختفى جسده المغطى بمعطف في الشفق . لم يره فرودو مرة أخرى لفترة طويلة من الزمن .

## الفصل الثاني

### شبح الماضي

لم يخدم الكلام في تسعة أيام أو حتى في تسعة وسبعين يوماً. استمرت مناقشة الاختفاء الثاني للسيد بيلبو باجينز في قرية الهوبيتين، وفي الحقيقة في كل مكان في المقاطعة، لمدة عام ويوم، وحسبها الناس أكثر من ذلك. أصبحت قصة تحكى إلى جانب موقد التدفئة لصغار الهوبيتين؛ وفي النهاية – أصبح الباجينزى المجنون، الذى اعتاد أن يختفى بمجرد قرعة وومضة ضوء ويعاود الظهور بحقائب من المجوهرات والذهب، شخصية أسطورية مفضلة وعاش طويلاً جداً بعد أن نُسيت جميع الأحداث.

ولكن في ذات الوقت، فإن الرأي العام في الجوار كان أن بيلبو، الذى كان مخبولاً بعض الشيء دائماً، أصيب بالجنون النام في نهاية الأمر، وهرب إلى السماء. وهناك بدون شك سقط في بركة أو نهر وانتهى نهاية مأساوية، ولكنها لا تقاد تكون في غير أنها. ووضع اللوم في معظمها على جنده.

كانوا يقولون: «لو أن هذا الساحر اللعين يترك فرودو الصغير وشأنه، فإنه قد يستقر ويتمكن لديه إحساس الهوبيتين وحواسهم». وبالنسبة لكل الأعين، فإن الساحر ترك فرودو وشأنه، واستقر، ولكن تكون حس الهوبيتى لديه لم يكن ملحوظاً جداً في الواقع الأمر، فإنه بدأ في الحال يأخذ سمعة بيلبو من حيث غرابة الأحوال والأطوار. كان يرفض الذهاب إلى المأتم؛ وفي العام التالي أقام حفلة في الذكرى الثانية عشرة بعد المائة لبيلبو، وأطلق عليها وليمة المائة واثني عشر. ولكن ذلك كان دون الحد، لأن عدد المدعويين كان عشرين ضيقاً؛ وكانت هناك العديد من الولائم التي أمطرت السماء فيها طعاماً وشراباً، كما يقول الهوبيتيون.

أصيب بعض الناس بالصدمة إلى حد ما؛ ولكن فرودو حافظ على هذا التقليد المتمثل في إقامة حفلة عيد ميلاد بيلبو عاماً بعد عام حتى اعتادوا على ذلك. قال إنه لا يعتقد أن بيلبو قد مات؛ وعندما سأله: «أين هو إذن؟»، هز كتفه.

وعاش وحيداً، متّماً فعل بيلبو؛ ولكن كان له عدد كبير من الأصدقاء الطيبين، وخاصة من بين شباب الهوبيتين (ومعظمهم من أحفاد التووكى العجوز) الذين كانوا مغربين – عندما كانوا أطفالاً – بيلبو، وكانوا يتزدادون على باج إيند كثيراً. كان فولوك بوفين وفريديجار بولجر اثنين من هؤلاء؛ ولكن صديقه المقربين كانوا برجرين تووك (وكانوا ينادونه في العادة باسم بيبين)، وميري براندييك (وكان اسمه الحقيقي مريادوك)، ولكن نادراً ما كان الناس يتذكرون هذا الاسم). راح فرودو يتجول في

كل المقاطعة معهما؛ ولكن في معظم الأحيان كان يتجلو بمفرده، ولدهشة الأشخاص العاقلين الحسامين كان يرى أحياناً بعيداً عن موطنها يمشي في التلال والغابات تحت أضواء النجوم. ظن ميري وبيبي أنه زار الجن في وقت من الأوقات، مثلاً فعل بيلبو من قبل.

وببدأ الناس - مع مضي الوقت - يلاحظون أن فرودو أيضاً ظهرت عليه علامات «الحفظ» الجيد: من الخارج - احتفظ بمظهر هوبيني قري ومليء بالطاقة والحيوية على خلاف أنداده تماماً. وراح الناس يقولون: «بعض الناس يأخذون الحظ كله»، ولكنهم لم يبدوا النظر إلى ذلك على أنه كان غريباً إلا عندما اقترب فرودو من العمر الأكثر رزانة وقارأ في العادة - وهو سن الخمسين.

بل إن فرودو نفسه، بعد الصدمة الأولى، وجد أن كونه سيد نفسه، وكذلك كونه السيد الباجينزى من باج إند كان لطيفاً جداً لمنزل باج إيند، أمراً يدعوه للسرور. على مدى بعض السنين كان سعيداً جداً ولم يساوره أي قلق بشأن المستقبل. ولكن الذي كان نصف مجهول بالنسبة له هو أن الأسى والندم على أنه لم يذهب مع بيلبو كان في ازدياد مستمر. وجد نفسه يتساءل في بعض الأوقات، وخاصة في الخريف، بشأن الأرضي البرية، والرؤى الغريبة للجبال التي لم يرها أبداً وهي تزوره في أحلامه. بدأ يقول لنفسه: «ربما سأعبر أنا نفسي النهر في يوم من الأيام». وكان النصف الآخر من عقله يرد على ذلك دائمًا بقوله: «ليس بعد».

وهكذا استمر الأمر على هذا المنوال، حتى انقضت الأربعينيات من عمره، وكان عند ميلاده الخمسين يقترب: كان الرقم خمسين رقمًا شعر هو أنه مهم (أو نذير سوء) بحال من الأحوال؛ كان ذلك - على أية حال - أن بيلبو، في هذه السن، انتابته روح المغامر فجأة. نظر في الخرائط، وراح يتساءل عما يرقد وراء حواجزها: الخرائط التي صنعت في المقاطعة كانت في الغالب تُظهر فراغاً أبيضاً فيما وراء حدودها. وراح في التجوال والتطواف في الحقول أكثر وأكثر مع نفسه فقط؛ وكان ميري وأصدقاؤه الآخرون يراقبونه في قلق. في الغالب كان يرى يمشي ويتحدث مع عابري السبيل الغرباء الذين بدءوا يظهرون في ذلك الوقت في المقاطعة.

كانت هناك شائعات عن أشياء غريبة تحدث في العالم الخارجي؛ وحيث أن جنديف لم يظهر في ذلك الوقت أو يرسل رسالة لسنوات عديدة، فإن فرودو جمع كل الأخبار التي استطاع جمعها. الجن، الذين يندر أن يمشوا في المقاطعة، صاروا يرون الآن وهم يمرون باتجاه الغرب عبر الغابة في المساء، وهم يمرون ولا يعودون؛ ولكنهم كانوا يغادرون الأرض الوسطى ولم يعودوا مهتمين بمشاكلها. بيد

أنه كان هناك أقزام على الطريق، بأعداد غير عادية. الطريق الشرقي – الغربي القديم الذي كان يقطع المقاطعة حتى نهايتها عند المرافق المظلمة، وقد استخدموها الأقزام دائماً في طريقهم إلى مناجمهم في الجبال الزرقاء. وكانتوا هم المصدر الرئيسي للأخبار عن الأجزاء البعيدة بالنسبة للهوببيتين – إذا أرادوا أي أخبار: وكقاعدة كان الأقزام يقولون القليل ولم يكن الهوببيون يسألون أكثر من ذلك. ولكن الآن بات فرودو كثيراً ما يقابل أقزاماً غرباء من بلدان بعيدة، يبحثون عن ملاذ لهم في الغرب. كانوا قلقين، وكانوا يتحدثون في همس عن «العدو» وعن «أرض موردور».

ذلك الاسم كان الهوببيون يعرفونه في أساطير الماضي المظلم فقط، كظل في خلفية ذكرياتهم؛ ولكنه كان مقلقاً ونذير سوء. كان يبدو أن القوة الشريرة في الغابة المظلمة قد طردت للخارج من قبل المجلس الأبيض ليس إلا لتعاود الظهور بقوة أكبر في حصن «موردور» القديمة. لقد أعيد بناء «برج الظلام»، كما يقال. ومن هناك، كانت القوة تنتشر بعيداً وباسطاع، وبعيداً باتجاه الشرق والجنوب كانت هناك حروب وخوف متدام. راح الأوركيون يتكاثرون وتزيد أعدادهم مجدداً في الجبال. كان الغيلان بالخارج، لم يعودوا أغياء، ولكنهم صاروا دهاء ومسلحين بأسلحة مخيفة. وكانت هناك تلميحات وإشارات تتعدد همساً عن مخلوقات أكثر فطاعة من كل هذه المخلوقات، ولكن لم يكن لها أسماء.

القليل من ذلك كله – بالطبع – وصل آذان الهوببيتين العاديين. ولكن حتى أكثرهم صممماً، وأكثرهم عزلة بدعوا يسمعون قصصاً غريبة؛ وأولئك الذين كان عملهم يأخذهم إلى الحدود كانوا يرون أشياء غريبة. أظهرت المحادثة التي جرت في «التنين الأخضر» عند «مجاورة الماء»، ذات مساء في الرابع عن السنة الخمسين لفرودو، أنه حتى في القلب المستريح المطمئن في المقاطعة، كانت تسمع وتتردد الشائعات، على الرغم من أن معظم الهوببيتين كانوا يسخرون منها.

كان سام جامجي جالساً في ركن بالقرب من النار، وكان يجلس قبالته تيد سانديمان، ابن الطحان؛ وكان هناك العديد من الهوببيتين الريفيين يستمعون إلى حديثهما.

قال سام: «هناك أشياء غريبة نسمعاها هذه الأيام، أريد أن أتأكد».

رد عليه تيد: «نعم. هناك أشياء غريبة، إذا أنتست إليها. ولكني أسمع الحكايات التي تحكي بجوار المدفأة وقصص الأطفال في البيت، عندما أريد ذلك».

ورد عليه سام سريعاً: «ليس هناك من شك، أنك تستطيع ذلك، وإنني أعتقد أن

هناك الكثير من الحقيقة في هذه الحكايات أكثر مما نظن. من الذي اخترع الحكايات على أية حال؟ خذ الثنائيين الآن».

رد عليه تيد: «لا، شكرًا. لن أفعل. سمعت حكايات عنهم عندما كنت صغيراً، ولكن ليس هناك ما يدعو إلى تصديق هذه الحكايات الآن. هناك «تنين» واحد في مجاورة الماء الآن، وهذا تنين أخضر» قالها، وضحك كل الموجودين.

وقال سام وهو يضحك مع الباقيين: «حسناً. ولكن ماذا عن «الرجال الشجريين»، هؤلاء العمالقة، إذا جاز لك أن تطلق عليهم؟ إنهم يقولون إن واحداً أكبر من الشجر رأوه هناك بعيداً خلف المستنقعات الشمالية ليس بعيداً عنها بكثير». «من الذين تتحدث عنهم؟».

«ابن عمي هال واحد من هؤلاء. إنه يعمل عند السيد بوفين في أوفرهيل ويصعد إلى نورث فاردينغ للصيد. لقد رأى واحداً من هؤلاء».

«يقول إنه رأى واحداً، ربما. ابن عمك هال يقول دائمًا إنه رأى أشياء؛ وربما يرى أشياء ليست موجودة».

«ولكن هذا الرجل كان كبيراً مثل شجرة الدردار، وكان يمشي - يمشي سبع ياردات في الخطوة الواحدة، تماماً كما لو كانت هذه بوصة واحدة».

«في هذه الحالة فإنني أراهن أنها لم تكن بوصة. من المحتمل، أن ما رأاه كان شجرة دردار».

«ولكن هذه الشجرة كانت تمشي، أقول لك؛ وليس هناك شجرة دردار في المستنقعات الشمالية».

فرد عليه تيد: «في هذه الحالة، لا يمكن أن يكون هال قد رأى شجرة دردار». وارتفع بعض الضحك والتصفيق: بدا أن الموجودين اعتقدوا أن تيد قد أحرز نقطة.

قال سام: «الأمر سواء، لا يمكن أن تذكر أن آخرين بالإضافة إلى هالفاست قد رأوا مخلوقات غريبة تعبر المقاطعة - تعبر المقاطعة، هل تدرك ذلك؟ هناك الكثيرون الذين أعيدوا عند الحدود. لم يكن حرس الحدود مشغولين من قبل أكثر منهم الآن».

«وقد سمعت أنه يقال إن الجن يتحركون باتجاه الغرب. إنهم يقولون إنهم ذاهبون إلى الموانئ، خارجين بعيداً إلى ما وراء الأبراج البيضاء». هز سام يده في غموض: لم يكن هو أو هم يعرفون كم كانت المسافة إلى البحر، بعد الأبراج القديمة إلى ما وراء الحدود الغربية للمقاطعة. ولكن كان هناك تقليد قديم أنه على البعد هناك كانت توجد

المرافق المظلمة، والتي أبحرت منها في وقت من الأوقات إحدى عشرة سفينة، ولم ترجع أبداً.

وقال سام، وكأنه يغنى الكلمات، وهو يهز رأسه في حزن ووفار. «إنهم يبحرون، يبحرون، يبحرون في البحر، ذاهبون نحو الغرب، ويتركوننا». ولكن تيد ضحك.

رد سام في استغراق قائلاً: «حسناً، لا أعلم». كان يعتقد أنه رأى ذات مرة جنّياً في الغابة، ولا يزال يأمل أن يرى المزيد منهم في يوم من الأيام. ومن بين كل الأساطير التي سمعها في سني عمره الأولى فإن هذه الأجزاء من الحكايا، والقصص التي يذكرها جزئياً، عن الجن كما عرفها الهوبيتيون، فإنها دائمًا ما كانت تشيره على نحو هو الأكثر عمقاً؛ وقال: «وهناك أناس - حتى في هذه الأجزاء - يُعرفون باسم «الأناس الجميلين» ويحصلون على الأخبار منهم. هناك السيد باجينز الآن، الذي أعمل عنده. أخبرني أنهم كانوا يبحرون وأنه يعرف قليلاً عن الجن. وكذلك السيد بيلبو العجوز، فقد كان يعرف أكثر: كم كانت كثيرة هي الأحاديث التي كانت لي معه عندما كنت صغيراً».

رد تيد قائلاً: «آه، كلّاهما معتوهان. على الأقل بيلبو العجوز كان معنوها، وفروعه في طريقه للعنة. إذا كان ذلك هو المصدر الذي أخذت منه الأخبار، فإنك لن تكون بحاجة أبداً إلى الهراء. حسناً، أيها الأصدقاء، إنني منطلق إلى البيت. لشرب تخلكم!» وشرب كأسه وخرج في صخب.

جلس سام في صمت ولم ينبع ببنت شفة. كان لديه الكثير ليفكر فيه. وذلك لشيء واحد، كان هناك الكثير عليه أن يفعله هناك في حدقة باح إيند، وسوف يكون يومه غداً مشغولاً جداً، إذا صفا الطقس. الحشائش تنمو سريعاً. ولكن كان في ذهن سام أكثر من مجرد أعمال الحديقة. وبعد برهة تنهد، ونهض وخرج.

كان الوقت في أوائل شهر إبريل، وكانت السماء الآن تأخذ في الصفاء بعد مطر غزير. وغابت الشمس، وكانت أمسية باردة شاحبة في طريقها إلى التلاشي في هدوء الليل. ومشي إلى البيت أسفل النجوم المبكرة عبر قرية الهوبيتيين وفي طريقه صادعًا النمل، وهو يصفر برفق وفي استغراق.

لقد كان في ذلك الوقت تماماً عندما ظهر جندل مرة أخرى بعد طول غياب. لقد غاب لمدة سنوات ثلاث بعد الحفلة ولم يره أحد. وبعدها قام بزيارة قصيرة لفروعه، وبعد أن نظر إليه نظرة جيدة غادر مرة أخرى. في خلال السنة التالية أو المستين التاليتين كان يظهر بشكل أكثر تكراراً نوعاً ما، كان يأتي على نحو غير متوقع بعد

الغسق، ويذهب دون سابق إنذار قبل شروق الشمس. لم يكن ينافس شئونه الخاصة ورحلاته، وكان يجد مهتماً بشكل أساسياً بالأخبار الصغيرة عن صحة فرودو وأعماله.

وفجأة انقطعت زياراته. انقضى ما يزيد على تسع سنوات منذ أن رأى فرودو أو سمعه في آخر مرة، وببدأ فرودو يعتقد أن الساحر لن يعود أبداً وقد تخلى عن كل اهتمام له بالهوببيتين. ولكن في ذلك المساء، بينما كان سام يمشي في طريقه للبيت وكان الشفق على وشك الزوال، جاءت النفرة التي كانت في وقت من الأوقات مألوفة على نافذة حجرة المكتب.

رحب فرودو بصديق العجوز بدهشة وبفرحة غامرة. نظراً لاشتانت إلى بعضهما طويلاً بإيمان.

قال جندلف: «آه، حسناً، آها؟ تبدو كما أنت يا فرودو!».

ورد عليه فرودو قائلاً: «وأنت كذلك»، ولكنه في قراره نفسه كان يرى أن جندلف قد صار أكبر سنًا وأكثر هماً. وضغط عليه للحصول على الأخبار عنه وعن العالم الفسيح، وفي الحال استغرقاً في الكلام، وسهراً حتى وقت متأخر جداً من الليل.

في صباح اليوم التالي، بعد إفطار متأخر، كان السائح يجلس مع فرودو إلى جوار نافذة حجرة المكتب المفتوحة. كانت النار في المدفأة متقدة ومستمرة، ولكن الشمس كانت دافئة، وكانت الريح في الجنوب. كان كل شيء يبدو نمراً، وكانت الخضرة الجديدة للربيع تضيء في الحقول وعلى أطراف أفرع الشجر.

كان جندلف يفكر في الربيع، قبل ثمانين عاماً تقريباً من ذلك الوقت، عندما خرج بيلبو هارباً من باج إيند دون منديل. ربما كان شعره أكثر بياضاً مما كان عليه وقتها، وربما كانت لحيته وحاجباه أكثر طولاً، ووجهه أكثر تجعداً من فرط الهم والحكمة؛ ولكن عينيه كانتا لامعتين كما كانتا في أي وقت مضى، وكان يدخن وينفث حلقات الدخان بنفس القرفة والاستمتعان.

راح الآن يدخن في صمت، لأن فرودو كان جالساً في سكون، مستغرقاً في التفكير. حتى في ضوء الصباح، كان يشعر بالظل المظلم للأخبار التي جلبها جندلف معه. وأخيراً كسر حاجز الصمت؛ وقال:

«في الليلة الماضية، بدأت تخبرني أشياء غريبة عن خاتمي، يا جندلف. ثم توقفت، لأنك قلت أن مثل تلك الأمور من الأفضل أن تترك حتى ضوء النهار. إلا تعتقد أنه من الأفضل أن تنهي ذلك الآن؟ تقول إن الخاتم خطير، أكثر خطراً بكثير مما أظن. على أي نحو هو خطير؟».

رد عليه الساحر قائلًا: «خطير بطرق عديدة. إنه أكثر قوة بكثير مما تجرأت أنا على الإطلاق أن أفكّر فيه في بادئ الأمر، قوي جدًا لدرجة أنه في النهاية يمكن أن يتغلب تماماً على أي شخص من الجنس الفاني يمتلكه. إنه هو الذي سيمتلكه».

«في منطقة إريجيون منذ زمن طويل، جرت صناعة الكثير من الخواتم الجنية، خواتم سحرية متلماً تطلقون عليها، وقد كانت - بالفعل - متعددة الأنواع: كان بعضها أكثر قوة، وبعضها أقل قوة. كانت الخواتم الأقل مجرد محاولات في الصناعة قبل أن تصير كاملة النمو وناضجة، وبالنسبة لصانعى الجن فقد كانت مجرد تقاهات - ولكنها مع ذلك بالنسبة لعلى خطيرة بالنسبة للأجناس الفانية. وأما «الخواتم العظيمة»، «خواتم السلطة»، فقد كانت خطرة للغاية».

«أي شخص فان يا فرودو يمتلك واحداً من الخواتم العظيمة هذه، لا يموت، ولكنه لا تقدم به السن ولا يحصل على المزيد من الحياة، فهو ببساطة يستمر في العيش حتى تكون آخر دقيقة في حياته أخيراً تعباً. وإذا استخدم الخاتم كثيراً ليجعل نفسه غير مرئي، فإنه يتلاشى: يصبح في النهاية غير مرئي تماماً، ويمشي في الشفق تحت عين قوة الظلام التي تحكم الخواتم. نعم، عاجلاً أو آجلاً - آجلاً، إذا كان هو قوياً أو إذا كان غرضه طيباً أول ذي بدء، ولكن لا القوة ولا الغرض الطيب سوف تدوم - وسوف تلتهمه قوة الظلام عاجلاً أو آجلاً».

رد فرودو قائلًا: «يا للفطاعة!» وساد صمت طويل مرة أخرى. وجاء صوت سام جامجي يشذب المرجة الخضراء في الحديقة.

وتساءل فرودو أخيراً قائلًا: «ما طول المدة التي كنت تعرف فيها ذلك؟ وكم كان قدر ما يعرفه بيلبو؟».

رد عليه جنْدُلْفَ قائلًا: «لم يكن بيلبو يعرف أكثر مما أخبرك به، أنا متأكد من ذلك. لم يكن - بكل تأكيد - ليعطيك أي شيء كان يعتقد أنه سيكون خطراً عليك، حتى لو كنت وعدته أنا بأن أعتني بك. كان يرى أن الخاتم جميل جداً، ومفيد جداً عند الحاجة؛ وإذا كان ثمة شيء على غير ما يرام أو غريب، فإنه هو نفسه. فقد قال إن الخاتم «راح يستولي على عقله»، وكان دائم الفلق بشأنه؛ ولكنه لم يشك أن الخاتم نفسه هو الذي يقع عليه اللوم. على الرغم من أنه اكتشف أن هذا الشيء كان بحاجة إلى الاعتناء به؛ لم يكن يبدو دائماً بنفس الحجم أو الوزن؛ كان ينكحش أحياناً، وأحياناً أخرى يتمدد بطريقة غريبة، وربما يسقط فجأة من إصبع كان فيه ضيقاً».

رد فرودو قائلًا: «نعم، نبهني إلى ذلك في خطابه الأخير، ولذلك فإنني ملحقت به دائماً في سلسلته».

رد جَنْدَلْف بقوله: «منتهي الحكمة. ولكن فيما يتصل بحياته الطويلة، فإن بيبلو لم يعز ذلك أبداً إلى الخاتم على الإطلاق. فقد اعتقد أن ذلك يرجع إليه هو كليّة، وكان فخوراً بذلك. على الرغم من أنه صار قلقاً وخائفاً. [أشعر بأنني نحيل جداً، أشعر كأنني تمددت] – حسب قوله هو. وهذه علامة على سيطرة الخاتم عليه».

وسأله فرودو مجدداً: «ما طول المدة التي كنت تعرف فيها ذلك كله؟».

رد عليه جَنْدَلْف: «كنت أعرف؟» لقد عرفت الكثير مما لا يعرفه إلا الحكماء، يا فرودو. ولكن إذا كنت تقصد «ما كنت أعرفه عن هذا الخاتم»، حسناً، فمازالت لا أعرف، يمكنني قول ذلك. هناك اختبار آخر يلزمني القيام به. ولكنني لم أعد أشك في تخميني.

وذكر بينه وبين نفسه «متى كانت أول مرة بدأت أخمن فيها؟»، وراح يفتش في مؤخرة الذاكرة. «لأرى – لقد وجد بيبلو خاتمه في العام الذي ساق فيه المجلس الأبيض قوة الظلام من الغابة المظلمة، قبل معركة الجيوش الخمسة مباشرة. وقع عندها ظل على قلبي، على الرغم من أنني لم أكن قد عرفت ما كنت أخاف منه. كنت كثيراً ما أسأله عن الطريقة التي تصادف أن وجد بها جولام خاتماً عظيماً، بشكل بسيط كما كان – كان ذلك واضحاً على الأقل من البداية. وبعد ذلك سمعت قصة بيبلو الغريبة عن كيفية «فوزه» به، ولم أستطع أن أصدقها. <sup>لـ</sup>عندما استخرجت في النهاية الحقيقة منه، رأيت في الحال أنه كان يحاول أن يضع حقه في الخاتم خارج نطاق أي شك. وهذا يشبه كثيراً جولام فيما يخص «هدية عيد ميلاده». كانت الكذبات متشابهتين كثيراً جداً، الأمر الذي أراحتني. لقد كان في الخاتم – بكل وضوح – قوة مؤذية تأخذ في العمل وإثبات أثرها على من يحتفظ به في الحال. كان هذا هو أول تحذير حقيقي تلقيته بأن الأمور لم تكن على ما يرام. أخبرت بيبلو كثيراً أن مثل هذه الخواتم من الأفضل تركها دون استخدام؛ ولكنه كان يستاء من قوله، وكان يغضب في الحال. كان هناك القليل بخلاف ذلك يمكن أن أفعله. لم يكن بإمكانني أن آخذ الخاتم منه دون أن أقترب ضرراً أعظم؛ ولم يكن لدى حق على أية حال في أن أفعل ذلك. لم يكن بإمكانني سوى أن أشاهد وأترقب. ربما كان من الممكن أن أستشير سار ومان الأبيض، ولكن كان هناك شيء ما يعيقني دائمًا».

وتساءل فرودو: «من هو؟ لم أسمع به من قبل أبداً».

ورد عليه جَنْدَلْف: «ربما لم تسمع به. الهوبيتون ليسوا – أو لم يكونوا من اهتماماته. ولكنه عظيم بين الحكماء. إنه رئيس الطائفة التي أنتمي إليها ورئيس المجلس. معرفته عميقه، ولكن كبرياته كبير معها، وكان يغضب كثيراً ويستاء من أي تدخل. العلم الخاص بالخواتم الجنية، العظيمة والصغيرة، كانت دائرة اهتماماته. لقد درسها طويلاً، وهو

يبحث عن أسرار صنعتها المفقودة؛ ولكن عندما جرت مناقشة الخواتم في المجلس، فإن كل ما أفسأه وكشفه لنا عن معرفته بالخواتم وعلمه بها كان على خلاف مخاوفي. ولذلك نامت هواجي - ولكن في قلق وخوف. ومع ذلك واصلت المراقبة والترقب.

«وبدا كل شيء على ما يرام مع بيليو. ومرت السنون. نعم، مررت السنون، ولكنها بدت أنها لم تتمسه. لم تبد عليه أي علامة من علامات تقدم العمر. ووقيع في نفسي ظل الشك ثانية. ولكنني قلت لنفسي: «على أية حال، فإنه ينحدر من عائلة عرفت بطول العمر من ناحية أمها. لا يزال هناك وقت بعد. انتظر!».

«وانتظرت. حتى الليلة التي غادر فيها منزله. وقتها قال أشياء، وفعل أشياء، ملائتني بخوف لا يمكن لأي كلمات يقولها سار ومان أن تسكته. عرفت أخيراً أن هناك شيئاً شريراً وقاتلأً يجري تنفيذه. وقد أمضيت معظم السنين منذ ذلك الحين في تكشف حقيقة ذلك».

وسائل فرودو في قلق: «لم يكن هناك أي ضرر دائم تم، أليس كذلك؟ استطاع أن يكون على ما يرام في الوقت المناسب، أليس كذلك؟ استطاع أن يستريح، هذا ما أقصد».

ورد عليه جندلف بقوله: «شعر بأنه أفضل في الحال. ولكن هناك قوة واحدة فقط في هذا العالم التي تعرف كل شيء عن الخواتم وعن آثار الخواتم؛ وبقدر ما أعرف فليعن هناك أي قوة في العالم تعرف كل شيء عن الهوبيتين. من بين الحكماء، أنا الشخص الوحيد المتخصص في علم الهوبيتين: فرع غامض من المعرفة، ولكن مليء بالمفاجآت. يمكن أن يكونوا في نفس لين الزبد، ولكن أحياناً يكونون بنفس قساوة وصلابة جذور شجرة عجوز. أعتقد أنه من المحتمل أن يقاوم بعضهم الخواتم لوقت أطول بكثير مما يمكن أن يصدقه الحكماء. لا أرى أنك بحاجة للقلق على بيليو والخوف عليه.

بالطبع، كان يملك الخاتم لسنوات طويلة، واستخدمه، ولذلك فإن الأمر قد يستغرق وقتاً طويلاً حتى يزول تأثير الخاتم عليه - قبل أن يكون أماناً بالنسبة له أن يراه مرة أخرى، على سبيل المثال. وإنما، فإنه ربما يعيش لسنوات، في سعادة تامة: كل ما هناك أنه يثبت عندما افترقا - هو والخاتم. لأنه تركه في النهاية من تلقاء نفسه: وهذه نقطة مهمة. لا، لم أكن قلقاً بشأن عزيزي بيليو على الإطلاق، بمجرد أن ترك هذا الشيء. إنه أنت الذي أشعر بالمسؤولية تجاهه.

«منذ أن غادر بيليو، كنت قلقاً بشكل كبير عليك، وعلى الهوبيتين الفاتئن، السذج، عديمي الحيلة هؤلاء. ستكون ضربة موجعة للعالم، إذا تغلبت القوة الشريرة على المقاطعة؛ إذا تم استبعاد كل أفراد البلوجر، والهور بلاور، والبوفينيين، والبريس جيردل الطيبين المرحين الأغبياء، والباقيين غيرهم، تاهيك عن البايجينزيين السذج».

وارتجف فرودو، وسأل: «ولكن لماذا سوف نُستعبد؟ ولماذا يريد هو مثل أولئك العبيد؟».

ورد عليه جنلوف قائلاً: «أقول لك الحقيقة، أعتقد أنه حتى اليوم - حتى اليوم، تلاحظ ذلك - لقد أهمل تماماً وجود الهوبيتين. يجب أن تكونوا ممتنين بذلك. ولكن سلامتك قد تحققت، إنه لا يحتاج إليكم - لديه المزيد والمزيد من الخدم المفیدين - ولكنه لن ينساكم مرة أخرى. والهوبييون كعبيد بؤساء من شأنهم أن يرضوه أكثر بكثير من الهوبيتين السعداء والأحرار. هناك شيء من قبيل الحقد والانتقام».

ورد فرودو: «الانتقام؟ الانتقام لماذا؟ ما زلت لا أفهم ما شأن ذلك كله ببليبو وبـ أنا، وخاتمنا».

قال له جنلوف: «بل له كل الشأن في كل ذلك. أنت لا تعرف الخطر الحقيقي بعد؛ ولكنك سترى. لم أكن أنا نفسي متأكداً منه عندما كنت هنا في آخر مرة؛ ولكن حان الوقت لأن أتكلم. أعطني الخاتم لحظة».

أخرج فرودو الخاتم من جيب بنطلونه، حيث كان مشبوكاً في سلسلة معلقة في حزامه. فك الخاتم، وناوله للساحر في بطة. بدا الخاتم فجأة ثقيلاً جداً، وكأنما هو أو فرودو كانوا كارهين أن يلمسه جنلوف.

أمسك جنلوف الخاتم في يده. كان يبدو أنه مصنوع من الذهب الخالص الأصم، وسأل فرودو: «هل تستطيع أن ترى أي علامات عليه؟».

رد عليه فرودو قائلاً: «لا. ليست هناك أي علامات عليه. إنه بسيط تماماً غير مزخرف، ولا يظهر عليه أبداً أي خدش أو علامة تدل على أن أحدها قد لبسه». «حسناً الآن، انظر». ولدهشة فرودو واتزعاجه، فإن الساحر رمى به فجأة في وسط ركن متوجع من النار. وأطلق فرودو صرخة وراح يبحث عن الملقط؛ ولكن جنلوف منعه من ذلك.

وقال له في صوت أمر، وهو ينظر إلى فرودو نظرة سريعة من أسفل حاجبيه كثيفي الشعر: «انتظر!».

لم يظهر على الخاتم أي تغيير ظاهري. بعد برهة، نهض جنلوف، وأغلق المصاريغ خارج النافذة، وشد الستائر. أصبحت الغرفة مظلمة وساكنة، على الرغم من أن صوت مقص سام، وهو أقرب الآن إلى النافذة، كان يسمع على نحو خافت يأتي من الحديقة. ووقف الساحر للحظة ينظر إلى النار؛ وبعدها انحنى وأخرج الخاتم إلى المدفأة بالملقط، والتقطه في الحال. كان فرودو يلهث عندها.

قال له جنلوف: «إنه بارد تماماً. خذه!» وتلقاه فرودو على كفه المنكمشة: بدا الخاتم كأنه قد صار أكثر سمكاً وأكثر وزناً من ذي قبل.

قال له جَنْدَلْف: «أمسك به في يدك . وانظر إليه بإمعان!».

وعندما فعل فرودو ذلك ، رأى خطوطا دقيقة ، أكثر دقة من أدق حركة قلم ، تجري عبر الخاتم كله ، من الخارج للداخل: خطوط من النار ، كانت تبدو بشكل حروف النص الآتي:

حَسْبُ دُرْجَةِ الْجَنِّيِّ بِعَيْنِ دُرْجَةِ الْجَنِّيِّ  
حَسْبُ دُرْجَةِ الْجَنِّيِّ بِعَيْنِ دُرْجَةِ الْجَنِّيِّ

كانت تلمع على نحو حاد وثاقب ، ولكنها كانت بعيدة ، كما لو كانت من عمق كبير.

قال له فرودو في صوت مرتعش: «لا يمكنني أن أقرأ هذه الحروف».

ورد عليه جَنْدَلْف قائلاً: «كلا . ولكنني أنا أستطيع . هذه الحروف بلغة الجن ، من صيغة قديمة ، ولكن اللغة هي لغة موردور ، والتي لن أنطق بها هنا . ولكن هذه الكلمات باللغة الدارجة التي نعرفها هي ما يقال ، قريبة من ذلك بالشكل الكافي:

خاتم يجلبها جميعاً وفي الظلمة يوحدها

إنهم فقط سطران من الشعر من قصيدة معروفة منذ أمد طويل في علم الجن:

تحت السماء ، ثلاثة خواتم لمملوك الجن ،  
سبعة منها لсадة الأقزام في قصورهم الحجرية ،  
وتسعة للبشر الفنانين المحظوم عليهم بالموت ،  
واحد لسيد الظلام في عرشه المظلم  
في أرض موردور حيث تقع الظلال .  
وخاتم يحكمها جميعاً ، خاتم يجدها جميعاً ،  
خاتم يجلبها جميعاً ، وفي الظلمة يوحدها  
في أرض موردور حيث تقع الظلال .

وتوقف ، وبعدها قال ببطء في صوت مستغرق: «هذا هو الخاتم السيد ، الخاتم الذي يحكمها جميعاً . هذا هو الخاتم الذي فقده منذ عصور مضت ، مما أضعف قوته بشكل كبير . إنه يريد بشكل ملح – ولكن يجب ألا يحصل عليه».

جلس فرودو في صمت دون أن يحرك ساكنًا. بدا الخوف وكأنه يمد يدًا ضخمة، مثل سحابة مظلمة ترتفع في الشرق وتنسج وتبعد كأنها سوف تتبعه. وقال متتممًا: «هذا الخاتم. كيف، كيف، بحق السماء جاء إلي؟».

وقال جندلف: «آه، هذه قصة طويلة جدًا، ترجع بداياتها إلى السنوات المظلمة، التي لا يتذكرها الآن سوى أساطير العلم والمعرفة. إذا أردت أن أخبرك كل هذه الحكاية، فإنه ينبغي علينا أن نجلس هنا حتى يكون قد مر الربيع وجاء الشتاء.

«ولكني أخبرتك الليلة الماضية عن ساوران العظيم، ملك الظلام. الشائعات التي سمعتها صحيحة: لقد نهض فعلاً مجدداً وترك حصنـه في الغابة المظلمة وعاد إلى حصنـه القديم في برج موردور المظلم. بل إنكم قد سمعتم أنتم الهوبـيتـيون هذا الاسم، مثل ظل على حدود القصص القديمة. دائمـاً بعد هزيمة وفترة راحة، يأخذ الظل شكلاً آخر ويـكـبر مرة أخرى».

رد فرودو قائلاً: «أتمنى لو لم يحدث ذلك في وقتـي».

وقال له جندلف: «وأنا كذلك، وكذلك جميع أولئك الذين يعيشون ليروا هذه الأوقـات. ولكن القرار في ذلك لا يعود إليـهم. كل ما يجبـ علينا أن نقررـه هو ما الذي نفعـه بالوقـت الذي نـعطيـ إياهـ. وبالفعلـ، يا فرودـوـ، إن وقتـنا على وشكـ أن يـصبحـ أسـودـ. العـدوـ يـقوـيـ بشـكلـ سـريعـ. خطـطـهـ بـعـيدـةـ جـداـ -ـ فيـ رـأـيـيـ -ـ عنـ كـوـنـهاـ نـاضـجةـ،ـ ولكنـهاـ أـخـذـةـ فيـ النـضـجـ.ـ إـنـتـاـ سـنـكـونـ فيـ وـرـطـةـ كـبـيرـةـ.ـ سـوـفـ تـكـونـ وـرـطـةـ شـدـيدـةـ بـالـنـسـبةـ لـنـاـ،ـ لـوـ لـمـ يـكـنـ مـنـ أـجـلـ هـذـهـ الفـرـصـةـ المـرـوـعـةـ التـيـ لـاـ بـدـ مـنـ اـفـتـاصـهـاـ.

«لا يـزالـ العـدوـ يـنقـصـهـ شـيءـ وـاحـدـ لـيـعـطـيهـ القـوـةـ وـالـمـعـرـفـةـ حتـىـ يـتـغلـبـ عـلـىـ كـلـ مـقاـومـةـ،ـ وـيـكـسرـ الدـافـعـاتـ الـأـخـيـرـةـ،ـ وـيـغـطـيـ كـلـ الـأـرـاضـيـ فـيـ ظـلـمـةـ ثـانـيـةـ.ـ يـنقـصـهـ الـخـاتـمـ الـأـوـحـدـ.

«الـثـلـاثـةـ،ـ أـجـمـلـهـاـ جـمـيـعاـ،ـ خـبـائـهاـ سـادـةـ الـجـنـ عـنـهـ،ـ وـلـمـ تـلـطـخـهـ يـدـهـ.ـ سـبـعـةـ يـمـلـكـهـ مـلـوكـ الـأـقـزـامـ،ـ وـلـكـنـهـ اـسـتـعـادـ تـلـاثـةـ مـنـهـاـ،ـ أـمـاـ الـأـخـرـىـ فـقـدـ اـبـتـلـعـتـهـ التـانـينـ.ـ وـأـعـطـيـ تـسـعـةـ مـنـهـاـ لـرـجـالـ فـانـينـ،ـ بـهـمـ كـبـرـيـاءـ وـعـظـمـةـ،ـ وـهـكـذـاـ إـنـهـ أـوـقـعـهـ فـيـ شـرـاكـهـ.ـ مـنـذـ زـمـنـ طـوـيلـ فـإـنـهـمـ وـقـعواـتـحـتـ سـيـطـرـةـ الـخـاتـمـ الـأـوـحـدـ،ـ وـأـصـبـحـواـ أـشـيـاـخـ الـخـاتـمـ،ـ ظـلـالـ تـحـتـ ظـلـهـ الـعـظـيمـ،ـ خـدـامـهـ الـأـكـثـرـ فـظـاعـةـ.ـ مـنـذـ زـمـنـ طـوـيلـ.ـ لـقـدـ مـضـتـ سـنـوـاتـ عـدـيـدةـ مـنـذـ أـنـ مـشـيـ التـسـعـةـ خـارـجـ الـبـلـادـ.ـ وـلـكـنـ مـنـ يـدـريـ؟ـ وـبـيـنـمـاـ يـنـمـوـ الـظـلـ مـرـةـ أـخـرىـ،ـ فـإـنـهـمـ أـيـضاـ قـدـ يـمـشـونـ مـرـةـ أـخـرىـ.ـ وـلـكـنـ عـلـىـ رـسـلـكـ!ـ لـنـ نـتـحدـثـ عـنـ هـذـهـ الـأـشـيـاءـ حتـىـ فـيـ صـبـاحـ الـمـقـاطـعـةـ.

«وهكذا فإن الأمر الآن كما يلي: التسعة جمعها لنفسه؛ والسبعة أيضاً، أو بطريقة أخرى تم تدميرها. الثلاثة لا تزال مخبأة. ولكن هذا لم يعد يزعجه. إنه لا يحتاج إلا إلى الخاتم الأوحد؛ لأنَّه صنع ذلك الخاتم بنفسه، إنه خاتمه، وترك جزءاً كبيراً من قوته السابقة الخاصة تنتقل إليه، حتى يمكنه أن يسيطر على كل الآخرين. إذا استطاع أن يسترده، فإنه في هذه الحالة سوف يسيطر عليها جميعاً، وحيثما كانت، حتى الثلاثة، وكل ما شُغل به سوف يُفتشي، وسوف يكون أكثر قوة من أي وقت مضى».

«وهذه هي الفرصة المروعة، يا فرودو. لقد اعتقد أنَّ الخاتم الأوحد قد دُمر؛ إن الجن قد دمروه، كما كان يجب أن يحدث. ولكنه يعرف الآن أنَّ الخاتم لم يُدمر، وأنَّه قد وجد. ولذلك فإنه يبحث عنه، يبحث عنه، وكل فكره متصل به عليه. إنه أمله الكبير، وخوفنا الكبير».

وصاح فرودو قائلاً: «لماذا، لماذا لم يتم تدميره؟ وكيف حدث أنْ فقدَه العدو، طالما كان بهذه القوة، وطالما كان الخاتم ثميناً بهذا القدر بالنسبة له؟».

وقبض على الخاتم في يده، كما لو كان قد رأى أصابع سمراء تمتد لتمسك به. رد عليه جندل ف قائلاً: «لقد أخذ منه. كانت قوة الجن التي تقاومه أكبر وأعظم من ذِّي زمن طويل؛ ولم يكن كل البشر قد أبعدوا عنهم. هب رجال الأرض الغربية لمساعدتهم ونجدتهم. هذا فصل من التاريخ القديم ربما يكون من المفيد استرجاعه؛ لأنَّه كان هناك وقتها حزن أيضاً، وظلام مجتمع، ولكن كانت هناك شجاعة عظيمة، وأعمال عظيمة لم تذهب هباء. ربما ذات يوم أخبرك القصة بالكامل، أو تسمع القصة تُروى بالتفصيل من قبل واحد يعرفها أفضل المعرفة».

«ولكن بالنسبة لهذه اللحظة، حيث إنَّ معظمكم يحتاجون إلى معرفة كيف وصل هذا الشيء إليك، وهذا من شأنه أن يكون قصة كافية، فهذا كل ما سأقوله. لقد كان جيل جالاد، ملك الجن، وإنديل الأرض الغربية، هو الذي هزم ساوران، على الرغم من أنهم هم أنفسهم هلكوا في أثناء ذلك؛ وقطع ابن إيسيلدو وإنديل الخاتم من يد ساوران وأخذَه لنفسه. وبعد ذلك قُهر ساوران وطارت روحه واختفت لسنوات طويلة، حتى تشكلت روحه مرة أخرى في الغابة المظلمة».

«ولكن، ضاع الخاتم. سقط في النهر العظيم، نهر أندوين، واختفى. حيث إن إيسيلدور كان يسير نحو الشمس عبر الضفاف الشرقية للنهر، وبالقرب من حقول جلادين، هاجمه الأوركيون ساكنو الجبال من مكمن، وذبحوا كل أفراده تقريباً. فقر هو في الماء، ولكن الخاتم سقط من إصبعه بينما كان يسبح في الماء، وبعد ذلك رأه الأوركيون وقتلواه بالسهام».

وتوقف جنديل عن الكلام، ويعدها قال: «وهناك في برك المياه الداكنة وسط حقول جладين، خرج الخاتم من نطاق المعرفة والأسطورة؛ بل إن الكثير جداً من تاريخه لم يعد معروفاً جداً إلا بعد قليل فقط، ولم يستطع مجلس الحكماء أن يكتشف المزيد منه. ولكن أخيراً يمكنني أن أوصل الحكاية، فيما أعتقد».

«بعد زمن طويل من ذلك، عاش على ضفاف النهر العظيم على حافة أرض التيه شعب صغير ماهر اليددين، هادئ القدمين. أعتقد أنهم كانوا من نوع الهوبيتين؛ أقرباء لآباء آباء الـ «ستورين»، لأنهم كانوا يحبون النهر، وكانوا غالباً ما يسبحون فيه، أو يصنعون قوارب صغيرة من البوص. كان من بينهم أسرة تتمتع بسمعة طيبة، لأنها كانت كبيرة وأكثر ثراءً من معظمهم، وكانت تحكمها جدة القوم، التي كانت صارمة وحكيمة في المعرفة القديمة، مثل تلك التي كانت لديهم. كان أكثر أفراد هذه الأسرة حباً للبحث والتحقيق، وذا عقل محب للاستطلاع والتعلم، شخص اسمه سميغول. كان مهتماً بالجذور والبدايات؛ كان يغوص في البرك العميق؛ كان يدفن نفسه تحت الأشجار والنباتات النامية؛ كان يحفر الأنفاق تحت الروابي الخضراء، وانقطع عن النظر إلى أعلى إلى قمم التلال، أو أوراق الأشجار، أو الورود المتفتحة في الهواء؛ كان رأسه وعيناه تنظران للأجل».

«كان له صديق يدعى ديجول، من نوع مشابه له، عيناه أكثر حدة ولكنه لم يكن بنفس السرعة والقوة. ذات مرة، أخذوا فارياً وذهبوا عبر حقول جладين، حيث كانت هناك مساحات كبيرة من زهور السوسن ونباتات البوص المزهرة. هناك، خرج سميغول، وراح يتلصص عبر الضفاف ولكن ديجول جلس في القارب وراح يصطاد. وفجأة، أخذت سمكة سنارته، وقبل أن يتبيّن حقيقة الأمر، فإن السمكة جذبته من القارب ووجد نفسه في الماء، في الواقع. وبعد ذلك ترك خيط سنارته، نظراً لأنه اعتقد أنه رأى شيئاً ما يلمع في قاع النهر؛ وحبس نفسه وأمسك به».

«بعد ذلك، صعد إلى أعلى الماء يتحقق، وقد غطت الحشائش رأسه وبيده حفنة من الوحل؛ وراح يعوم نحو ضفة النهر. وانظروا ماذا وجد؟! عندما غسل الوحل من يده، كان هناك خاتم ذهبي جميل في يده؛ كان يلمع وييرق في الشمس، لدرجة جعلت قلبه سعيداً. ولكن سميغول كان يشاهده من وراء شجرة، وبينما كان ديجول يحدق بإعجاب وفرح في الخاتم، جاء سميغول خلسة من ورائه؛ وقال له من فوق كتفيه:

«أعطنا ذلك، يا ديجول، يا حبيبي».

فرد عليه ديجول متسائلاً: «لماذا؟».

قال له سميغول: «لأنه عيد ميلادي، يا حبيبي، وأنا أريده لعيد ميلادي».

فرد عليه ديجول قائلاً: «هذا لا يهمني. لقد أعطيتك هدية بالفعل، أكثر مما أستطيع. لقد وجدت هذا، وسوف أحفظ به لنفسي».

فرد عليه سميوجول قائلاً: «أوه، هل أنت حقاً، يا حبيبي؟»، وأمسك بتلابيب ديجول وراح يخنقه، لأن الذهب كان يبدو برأفًا للغاية، جميلاً جداً. وبعدها وضع الخاتم في إصبعه.

«لم يكتشف أي أحد على الإطلاق ما الذي حدث لديجول؛ لقد قُتل بعيداً عن مقامه، وقد خبئ جثته بكل دهاء ومكر. ولكن سميوجول عاد وحده؛ ووجد أنه لم يكن بإمكان أحد من أسرته أن يراه، عندما كان مرتدياً الخاتم. كان مسروراً جداً باكتشافه، وخباءه؛ واستخدمه في اكتشاف الأسرار، وراح يستخدم ما لديه من معرفة في استخدامات ملتوية وخبيثة. أصبح حاد العينين، وثاقب الأذنين، بالنسبة لكل ما كان مؤذياً أو ضاراً. لقد أعطاه الخاتم قوة وفقاً لقوامه ومنزلته. وليس من المفترض العجب على ما صار إليه؛ حيث أصبح غير محظوظ من جميع أقاربه ومعارفه، وبات الجميع يحتبسوه (عندما يكون مرئياً). كانوا يركلونه، وكان هو بعض أقدامهم. راح يسرق؛ وراح يتجلو مدمداً ومتمنماً مع نفسه، ويقرقر في زوره. ولذلك فإنهم أطلقوا عليه اسم جولام، وكان هو يلعنهم، وطلبوا منه أن يرحل بعيداً عنهم؛ ولما كانت جثته ترغلب في السلام، فإنها نفته من الأسرة، وأخرجته بعيداً عن مسكنها.

راح يتجلو ويطوف وحيداً، ييكى قليلاً لقصوة العالم، وسافر عبر النهر، إلى أن جاء إلى جدول كان يتدفق من الجبال، وانطلق في ذلك الطريق. راح يصطاد البسمك في برك الماء العميق بأصابع غير مرئية ويأكله شيئاً. ذات يوم، كان الجو حاراً جداً، وبينما كان منحنياً فوق بركة، فإنه شعر بنار تحترق في مؤخرة رأسه، وجاء ضوء باهر متألق من الماء وألم عينيه المبللتين.

وتعجب لما يحدث، لأنه كان قد نسي كل شيء عن الشمس تقريباً. وبعد ذلك، ولآخر مرة، فإنه نظر لأعلى وهز قبضته ملوحاً بها تجاه الشمس.

«ولكنه بينما كان يخفض عينيه، يرى أعلى قمم الجبال الضبابية، من حيث كان يتدفق جدول الماء. وقال لنفسه فجأة «لا بد أن الجو سيكون بارداً وظليلأً هناك أسفل تلك الجبال. لن يكون بإمكان الشمس أن تراني هناك. لا بد أن جذور هذه الجبال جذور حقيقة فعلاً؛ لا بد أنه ستكون هناك أسرار عظيمة مدفونة، لم تُكتشف منذ البداية».

«ولذلك، فإنه ارتحل في الليل صاعداً باتجاه الأرضي الجبلي، ووجد كهفَّاً صغيراً كان الجدول المظلم يجري منه؛ وراح يشق طريقه متسللاً مثل يرقة إلى قلب التلال،

واختفى ولم يعد يعرف عنه شيء على الإطلاق. واختفى الخاتم في الظلال معه، بل حتى العلامة، عندما بدأت قوته تنمو مرة أخرى، فإنه لم يستطع أن يعرف أي شيء منها».

وصاح فرودو: «جولام! جولام؟ هل تعني أن ذلك هو نفسه المخلوق جولام الذي قابله بيبلو؟ يا له من شيء مقرز!».

ورد عليه الساحر قائلاً: «أعتقد أنها قصة حزينة، ومن الممكن أن تكون قد حدثت الآخرين، حتى لبعض الهوبيتين الذين عرفتهم».

رد عليه فرودو ببعض الحدة والانفعال: «لا يمكنني أن أصدق أن جولام كانت له صلة بالهوبيتين، مهما تكن هذه العلاقة بعيدة. يا لها من فكرة بغية!».

رد عليه جنديف بقوله: «ومع ذلك، فهذا صحيح. إنني أعرف عن أصولهم - على أية حال - أكثر مما يعرفه الهوبيتون أنفسهم. بل إن قصة بيبلو توحى بالقرابة. كان هناك قدر كبير في خلفية عقولهم وذكرياتهم متشابهاً للغاية. كان يفهم كل منهم الآخر جيداً على نحو رائع ولافت للنظر، أفضل بكثير جداً مما يمكن أن يفهمه أي هوبيتي، على سبيل المثال، قزم، أو فرد من الأوركين، أو حتى جنى. فكر في الأحاجي والألغاز التي كان يعرفها كلاهما، شيء واحد فقط».

قال له فرودو: «نعم. على الرغم من أن بعض الأقوام بالإضافة إلى الهوبيتين يسألون أحاجي وألغاز، ومن نفس النوع إلى حد كبير. الهوبيتون لا يغشون. كان جولام ميالاً للغش طوال الوقت. كان ببساطة يحاول تجريد بيبلو من دفاعاته. بل أستطيع القول إن ذلك كان يسلّي ويمتع خبطه وجهه للإيذاء - أن يبدأ لعبة قد تنتهي بتزويدك بضحية سهلة، ولكنه إذا خسر، فإن ذلك لن يؤذيه».

وقال جنديف: «بكل أسف، فإن ذلك في منتهى الصواب. ولكن كان هناك شيء آخر أيضاً في ذلك، فيما أعتقد، لم تره أنت بعد. حتى جولام لم يتم تدميره تماماً. لقد ثبتت أنه أقوى حتى مما كان يمكن أن يظنه أحد الحكماء - كما يحتمل أن يكون هوبيتياً من الهوبيتين. كان هناك جزء من عقله لا يزال ملكاً له، وكان الضوء يأتي من خلاله، كما لو كان شقاً في الظلمة: ضوء خارج من الماضي. كان شيئاً ساراً فعلاً - فيما أعتقد - أن تسمع صوتناً جيداً عطوفاً مرة أخرى، يجلب ذكريات الريح، والأشجار، والشمس على العشب، وتلك الأشياء المنسية».

«ولكن ذلك - بالطبع - من شأنه أن يجعل الجزء الشرير منه أكثر غضباً في نهاية الأمر - ما لم يتم إخماده وقهقهة. ما لم يتم شفاؤه». وتنهد جنديف. «وبكل أسف! هناك أمل صغير في ذلك بالنسبة له. ولكن هذا لا يعني عدم وجود أي أمل. كلا، ليس على

الرغم من أنه امتلك الخاتم طويلاً جداً، بقدر ما يمكنه هو تقريراً أن يعود بذاكرته للوراء وينذرك. لأنه مضى زمن طويل منذ أن لبسه كثيراً: في الظلمة السوداء، تدر أن تكون هناك حاجة إليه. بكل تأكيد إنه لم «يتلاش» أبداً. إنه نحيل وقوى مع ذلك. ولكن الشيء كان ينهش في عقله - بالطبع - وقد أصبح العذاب لا يطاق تقريراً ولا يتحمل.

«جميع «الأسرار الكبيرة» تحت الجبال، اتضح أنها مجرد ليلة خاوية: لم يكن هناك شيء أكثر من ذلك يمكن اكتشافه، لم يكن هناك شيء جدير بأن يفعل، فقط الأكل القدر المسترق المسروق والتذكرة البغيض. لقد دمر تماماً. كره الظلمة، وكراه الضوء أكثر منها: كره كل شيء، وكراه الخاتم أكثر من كرهه لكل شيء».

وأسأله فرودو قائلاً: «ماذا تقصد؟ بالتأكيد كان الخاتم ثميناً وكان هو الشيء الوحيد الذي يعني به؟ ولكنه إذا كان قد كرهه، فلماذا لم يتخلص منه، أو يذهب بعيداً ويتركه؟».

قال له جندلف: «ينبغي عليك أن تفهم يا فرودو بعد كل ما سمعته. كان يكرهه ويحبه، كما كان يكره نفسه ويحبها. لم يستطع أن يتخلص منه. لم تكن هناك من إرادة تُركت له في الأمر.

«خاتم القوة يعتني بنفسه يا فرودو. فقد ينزلق هو في خيانة وغدر، ولكن صاحبه لا يتركه أبداً. على أقصى تقدير، فإنه يلعب بفكرة تمريره إلى شخص آخر ليقوم على الاهتمام به - وهذا يحدث فقط في مرحلة مبكرة، عندما يبدأ في الإمساك بإحكام لأول مرة. ولكن بقدر ما أعرف، فإن بيلبو وحده، في تاريخ الخاتم، قد تجاوز الأمر خارج نطاق اللعب على الإطلاق، وقد فعل ذلك حقاً. إنه كان بحاجة إلى كل مساعدتي، أيضاً. وحتى، والأمر كذلك، لم يكن بالإمكان على الإطلاق أن يتخلى عنه، أو يطرحه جانباً ويتخلص منه. لم يكن جولاً يا فرودو الذي يقرر الأشياء ولكنه كان الخاتم هو الذي يقرر ذلك. وتركه الخاتم».

وقال له فرودو: «ماذا، في الوقت المناسب لمقابلة بيلبو؟ ألم يكن أي فرد من الأفراد ملائماً لذلك وأفضل؟».

قال له جندلف: «الأمر ليس هزلاً. ليس بالنسبة لك. لقد كان ذلك هو أغرب حدث في تاريخ الخاتم بأسره حتى الآن: وصول بيلبو في ذلك الوقت بالتحديد، ولبسه الخاتم في يده، على نحو أعمى ومتهور - في الظلمة.

«كانت هناك أكثر من قوة واحدة تمارس عملها. كان الخاتم يحاول العودة إلى سيده. لقد انزلق من يد إيسيلدور وخانه؛ وبعد ذلك عندما ستحت أمامه الفرصة فإنه أمسك ديجول المسكين، وقتله؛ وبعد ذلك جولاً، وقد افترسه. لم يكن بإمكانه أن

يستخدمه أكثر من ذلك: كان صغيراً ووضيقاً للغاية؛ ومادام معه فإنه لم يكن ليغادر بركته العميقة مرة أخرى. وهكذا الأمر الآن، عندما استيقظ سيده مرة أخرى وراح يرمل فكره المظلم الشرير من الغابة المظلمة، فإنه هجر جولام. لم يكن ذلك إلا ليلقته شخص غير محتمل - كأكثر ما يكون عدم الاحتمال - يمكن تخيله: بيليو، من المقاطعة!

«وراء ذلك، كان هناك شيء آخر يمارس عمله، فوق كل تدبير من صانع الخاتم. لا يمكنني أن أسوق ذلك بشكل أكثر وضوحاً من أن أقول أن بيليو كان مقصوداً ليجد الخاتم، ولم يكن ذلكقصد من صانع الخاتم. وفي هذه الحالة، فإنك أنت أيضاً كنت مقصوداً أن تأخذه ومتلكه. وقد تكون تلك فكرة مشجعة».

وقال له فرودو: «إنها ليست كذلك. على الرغم من أنني غير متأكد أنني أفهمك. ولكن كيف عرفت كل ذلك عن الخاتم، وعن جولام؟ هل أنت تعرف كل شيء حقاً، أم أنك لا تزال تخمن؟».

ونظر جنديل إلى فرودو، وعيشه متلاطئاً، ورد عليه قائلاً: «أعرف الكثير وقد تعلمت وعرفت الكثير. ولكن لن أشرح لك كل أفعالي. إن تاريخ إلينديل، وإيسيلدور والخاتم الأوحد معروف لجميع الحكماء. لقد ظهر أن خاتمك هو الخاتم الأوحد من خلال الكتابة النارية فقط، بصرف النظر عن أي دليل آخر».

وقطعاً فرودو متسائلاً: «ومتى اكتشفت ذلك؟».

رد عليه الساحر في حدة قائلًا: «الآن فقط، في هذه الغرفة. لقد عدت من رحلات غامضة وبحث طويل لأقوم بهذا الاختبار النهائي الأخير. إنه البرهان الأخير، والآن فإن كل شيء واضح للغاية. التوصل إلى الجزء الخاص بجولام، ووضعه في الفجوة المفقودة في التاريخ، أحتاج إلى بعض التفكير. ربما كان من الممكن أن أبدأ بالتخمينات بشأن جولام، ولكنني لا أخمن الآن. إنني أعلم. لقد رأيته».

وتساءل فرودو في تعجب واندهاش: «رأيت جولام؟».

«نعم. الشيء الواضح الذي يجب فعله، بالطبع، إذا استطاع الشخص ذلك. لقد حاولت منذ زمن طويل؛ ولكنني نجحت في ذلك أخيراً».

«وبعد ذلك ما الذي حدث بعد أن هرب بيليو منه؟ هل تعرف ذلك؟».

«ليس بشكل واضح جداً. الذي أخبرتك إياه هو الذي كان جولام راغباً في إخباري به طوعية - على الرغم من أنه - بالطبع - لم يكن بالطريقة التي نقلته بها. جولام كذاب، ويجب عليك أن تُغرين كلماته. على سبيل المثال، فإنه أطلق على الخاتم «هدية عيد ميلاده»، والتزم بذلك وصمم عليه. قال إنه جاء إليه من جدته، التي كان لديها

الكثير من الأشياء الجميلة من هذا النوع. قصة سخيفة. ليس لدى من شك أن جدة سميゴول كانت أمّا رئيسية، شخصية عظيمة بطريقها، ولكن الحديث عن امتلاكها لخواتم جنية كثيرة كان ضرباً من السخف، أما أن تعطى هذه الأشياء الثمينة كهدايا، فقد كان ذلك أكذوبة. ولكنها أكذوبة بها ذرة من الحقيقة.

راح قتل ديجوول ينتاب جولام ويطارده، وقد قام بصنع دفاع له، وراح يردد «لشیئه الشمین» مرات ومرات مراراً وتكراراً، بينما كان يفرض العظام في الظلام، إلى أن صدق هو ذلك تقريباً. كان عيد ميلاده. كان ينبغي على ديجوول أن يعطيه الخاتم. لقد ظهر الخاتم من قبل تماماً حتى يكون هدية. لقد كان هدية عيد ميلاده، وهكذا، وهكذا.

«واحتملته بقدر ما استطعت، ولكن الحقيقة كانت مهمة على نحو ملح للغاية، وفي النهاية كان يجب على أن أكون قاسياً وصارماً. وضفت الخوف من الفار فيه، وانتزعت القصة الحقيقية منه، قطعة قطعة، ومعها الكثير من سيلان أنفه وزمرةه. كان يعتقد أنه أسيء فهمه وأسيء استخدامه. ولكن عندما أخبرني تاريخه في نهاية الأمر، حتى الوصول إلى نهاية لعبة اللغز وهروب بيلبو، فإنه لم يزد في قوله أي شيء أكثر من ذلك، باستثناء تلميحات غامضة. كان هناك خوف آخر يضغط عليه أعظم بكثير من خوفي. وغمغم أنه سوف يستعيد ملكه مرة أخرى. وسوف يرى الناس إن كان سيتحمل الرجل، وأن يساق إلى حفرة وبعدها يُسلب. صار لدى جولام أصدقاء جيدون، أصدقاء جيدون، وأقوباء جداً. يمكنهم أن يساعدوه. وسوف يدفع الباجينزي ثمن ذلك. كان ذلك تفكيره الرئيسي. كان يكره بيلبو ويلعن اسمه. بل الأكثر من ذلك، كان يعرف من أين هو».

وسأله فرودو: «ولكن كيف اكتشف ذلك وعرفه؟».

«حسناً، بالنسبة للأسم، فإن بيلبو بغباء أخبر جولام عن نفسه؛ وبعد ذلك لم يكن من الصعب أن يكتشف بلده، بمجرد أن عاد جولام وخرج. نعم، لقد خرج. لقد ثبت أن تشوقه للخاتم أقوى من خوفه من الأوركيين، بل وحتى من الضوء. بعد عام أو عامين ترك الجبال. كما ترى، على الرغم من أنه كان لا يزال مقيداً برغبته في الخاتم، فإن الخاتم لم يعد يلتهمه ويفترسه؛ لقد بدأ (جولام) يعود إلى الحياة وينشط قليلاً. شعر أنه كبير، أكبر جداً، ولكن أقل جيناً وخوفاً، وكان جائعاً بشكل قاتل.

«الضوء، ضوء الشمس والقمر، لا يزال يخافه ويكرهه، وسوف يظل دائماً على ذلك، في رأيي؛ ولكنه كان ماكراً. وجد أنه يستطيع أن يختبئ من ضوء النهار وضوء القمر، وراح يشق طريقه في خفة حركة وسرعة وبهدوء في جوف الليل البهيم مستعيناً بعينيه الباردتين الواهنتين، ويصطاد أشياء صغيرة مراعية أو غافلة. وصار أكثر قوة وأكثر جرأة بالطعام الجديد والهواء الجديد. ووجد طريقه إلى الغابة المظلمة - غابة ميركود - كما يمكن للشخص أن يتوقع».

وَسَأَلَهُ فِرْوَادُو: «وَهُلْ هَذَا هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي وَجَدَتِهِ أَنْتَ فِيهِ؟».

أَحَابَهُ جَنْدَلْفُ قَائِلًا: «رَأَيْتَهُ هُنَاكَ، وَلَكِنْ قَبْلَ ذَلِكَ كَانَ يَتَجَولُ فِي أَماْكِنَ بَعِيدَةَ مُتَبَعِّدًا خَطَّى بِبِلْبُو وَرَاصِدًا خَطَّ سِيرَهُ. كَانَ مِنَ الصَّعُبِ مَعْرِفَةُ أَيِّ شَيْءٍ مِّنْهُ عَلَى وَجْهِ الْيَقِينِ، لِأَنَّ حَدِيثَهُ كَانَ تَقَاطِعَهُ طَوَالِ الْوَقْتِ اللَّعْنَاتُ وَالْتَّهَدِيدَاتُ. كَانَ يَقُولُ: «مَا الَّذِي لَدِيهِ فِي جَيْوَبِهِ؟ لَنْ يَقُولُ، لَيْسَ ثَمِينًا. غَشَاشٌ مُحْتَالٌ صَغِيرٌ. لَيْسَ سُؤَالًا مُنَاسِبًا. لَقَدْ غَشَ وَاحْتَالَ أَوْلَأَ، لَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ. لَقَدْ كَسَرَ الْقَوَاعِدَ. كَانَ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَخْرِجَهُ مِنْهُ غَصْبًا، نَعَمُ الثَّمِينَ. وَسَوْفَ تَفْعَلُ ذَلِكَ، الثَّمِينُ!»<sup>(1)</sup>.

«هَذِهِ عَيْنَةٌ مِّنْ حَدِيثِهِ. لَا أَعْتَدَ أَنْكَ تَرِيدَ الْمُزِيدَ مِنْهُ. لَقَدْ مَرَّتْ بِي أَيَّامٌ مَرْهَقَةٌ وَكَئِيَّةٌ مِّنْهُ. وَلَكِنْ مِنْ خَلَالِ بَعْضِ التَّلَمِيَّاتِ الَّتِي قِيلَتْ بِطَرِيقَةٍ عَرَضِيَّةٍ بَيْنَ زَمْجَرَاهُ، فَقَدْ اسْتَطَعْتُ حَتَّى أَنْ أَسْتَنْجَ أَنْ قَدَمِيهِ الْمَحْشُوتَيْنِ قَدْ أَخْذَتَاهُ أَخْيَرًا إِلَى إِسْجَارُوثُ، بَلْ أَخْذَتَاهُ إِلَى شَوَّارِعِ الْوَادِيِّ<sup>(2)</sup>، وَهُوَ يَسْتَرِقُ السَّمْعَ وَيَخْتَلِسُ النَّظَرَاتَ. حَسَنًا، سَافَرْتُ أَخْبَارَ الْأَحْدَاثِ الْعَظِيمَةِ إِلَى أَماْكِنَ بَعِيدَةَ وَإِلَى أَبْعَدِ مَدِيَّ فِي أَرْضِ التَّيِّهِ، وَقَدْ سَمِعَ الْكَثِيرُونَ اسْمَ بِبِلْبُو وَعَرَفُوا مِنْ أَيْنَ هُوَ. لَمْ نَجِعْ رَحْلَتَنَا فِي الْعُودَةِ إِلَى مَوْطَنِهِ فِي الْغَرْبِ سَرَا بِحَالٍ مِّنَ الْأَحْوَالِ. كَانَتْ أَذْنَا جُولَامَ الْحَادِهَ سَتَّلَمَ فِي الْحَالِ مَا كَانَ يَرِيدُهُ».

وَسَاءَلَ فِرْوَادُو: «حَيْنَذُ، لَمَّا لَمْ يَتَبَعِ بِبِلْبُو أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَمَّا لَمْ يَأْتِ إِلَى الْمَقَاطِعَةِ؟».

رَدَ عَلَيْهِ جَنْدَلْفُ قَائِلًا: «آهُ، وَالآنْ جَنَّتَا إِلَى بَيْتِ الْقَصِيدِ. أَعْتَدَ أَنْ جُولَامَ حَاوَلَ ذَلِكَ. انْطَلَقَ فِي رَحْلَتِهِ وَجَاءَ عَائِدًا بِاتِّجَاهِ الْغَرْبِ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى النَّهَرِ الْعَظِيمِ. وَلَكِنْ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ غَيْرَ اتِّجَاهِهِ. أَنَا مُتَأْكِدٌ أَنَّ الْمَسَافَةَ لَمْ تَرُوعْهُ أَوْ تَنْبَطِ منْ عَزِيمَتِهِ. كَلَا، شَيْءٌ مَا غَيْرَ ذَلِكَ جَرَهُ بَعِيدًا. هَكَذَا يَعْتَدِي أَصْدَقَائِيِّ، أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَبَعُونَهُ مِنْ أَجْلِيِّ».

«كَانَتْ تَتَبَعُهُ جَنَّةُ الْغَابَةِ أَوْلَأَ، مَهْمَةً سَهْلَةً بِالنَّسْبَةِ لَهُمْ، لِأَنَّ مَسَارَهُ كَانَ لَا يَرِزَّالُ جَدِيدًا وَقَطْهَا. قَادَهُمْ عَبْرَ الْغَابَةِ الْمَظْلَمَةِ (غَابَةُ مِيرِكُوُود)، وَبَعْدَهَا عَادَ خَلَالَهَا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ لَمْ يَمْسُكُوا بِهِ قَطُّ. كَانَتِ الْغَابَةُ مَلِيَّةً بِالشَّائِعَاتِ عَنْهُ، بَلْ كَانَتْ هُنَاكَ حَكَائِيَّاتٌ مَرْوِعَةٌ بَيْنَ الْحَيْوَانَاتِ وَالْطَّيْورَ. قَالَ سَكَانُ الْغَابَةِ وَالْحَطَابُونَ إِنَّهُ كَانَ هُنَاكَ رَعْبٌ جَدِيدٌ بِالْخَارِجِ، عَفْرِيتٌ يَشْرُبُ الدَّمَ، كَانَ يَتَسلَقُ الْأَشْجَارَ وَيَجِدُ الْأَعْشَاشَ؛ كَانَ يَرْحَفُ إِلَى الْحَقْرِ لِيَجِدُ الصَّغَارَ؛ كَانَ يَتَسَلَّلُ عَبْرَ النَّوَافِذِ لِيَجِدُ أَسْرَةَ الصَّغَارِ.

(1) الثَّمِينُ، - كَلِمًا أَطْلَقُهَا جُولَامُ (سَمِيجُول) فَإِنَّهُ يُشَيرُ بِهَا إِلَى الْخَاتَمِ، فَهُوَ يَطْلُقُ عَلَيْهِ (my precious) أَوْ (precious) - وَقَدْ أَثْرَتْ تَرْجِمَةَ الْكَلِمَةِ / الْعِبَارَةِ (الثَّمِينُ) أَوْ (الشَّيْءُ الثَّمِينُ) حَسْبَمَا يَسْمَعُ بِهِ السَّيَاقُ؛ وَلَمْ أُنْتَرِجَهَا (الْخَاتَمُ الثَّمِينُ، أَوْ الْغَالِي) حَتَّى أَحَافِظَ عَلَى نَفْسِ الْدَّرِجَةِ مِنَ الْأَبْيَامِ الَّتِي قَصَدَهَا الْمُؤْلِفُ، حِيثُ لَمْ يَذْكُرْ الْخَاتَمَ صِرَاطَهُ. (المُتَرَجِّمُ)

لُكْن عند الحافة الغربية من الغابة المظلمة، ابتعد الأثر. سار باتجاه الجنوب الغربي وعبر إلى خارج مدى بصر جن الغابة، وفقد. وبعد ذلك، ارتكبَ أثنا خطأ كبيراً. نعم، يا فرودو، وليس هو الخطأ الأول؛ على الرغم من خوفي من أن يثبت أنه كان أسوأ خطأ. وتركـت الأمر يكون. تركـته يذهب؛ لأنه كان لدى الكثير غير ذلك على أن أفكـر فيه في ذلك الوقت، ولا أزال أثقـ في علم ومعرفة سارومان.

«حسناً، كان ذلك منذ سنوات مضت. لقد دفعت ثمن ذلك منذ ذلك الحين بالعديد من الأيام المظلمة والخطيرة. كان المسار طويلاً وبارداً عندما سرت فيه مرة أخرى، بعد أن غادر بيليو من هنا. وكان من الممكن أن يكون بحثي بلا جدوى ويضيع سدى، لو لا المساعدة التي حصلـت عليها من صديق لي: أراجون، أعظم رحالة وصياد في هذا العصر في العالم. قمنا معاً بالبحث عن جولام في كل مكان في أرض التيه، دون أمل، ودون نجاح. ولكن في النهاية، عندما فقدـت الأمل في المطاردة وتخلـت عنها وتوجهـت إلى أجزاء أخرى، تم العثور على جولام. عاد صديقي من الأخطار الجسيمة وقد أحضر معه المخلوق التعيس.

ما كان يفعله، لم يقلـه. كل ما فعلـه أن راح يبكي ويناديـنا بالقسـاء، وكان في حجرـته أكثر من جولام<sup>(١)</sup>؛ وعندما ضغطـنا عليه فإنه راح يعوي وانكمـش خوفـاً، وراح يفرـك يديـه الطويلـتين، ويلـعـق أصابـعـه كما لو كانت تؤلمـه، كما لو كان قد تذـكر بعض التعـذـيب القديـم. ولكن للأسـف، ليس هناك أي شـكـ محتمـل: لقد شـقـ طريقـه البـطـيء المتـسلـل، خطـوة خطـوة، وميـلاً مـيلاً، نحو الجنـوب، وفي النـهاـية إلى أرض مورـدور».

سـادـ الغـرـفةـ صـمتـ ثـقـيلـ. كان فـروـدوـ يـسمـعـ صـوتـ ضـربـاتـ قـلـبهـ. حتىـ بالـخـارـجـ، كانـ كـلـ شـيـءـ مـاـكـنـاـ. لمـ يـعدـ يـسمـعـ أيـ صـوتـ لـمـقـصـاتـ سـامـ الآـنـ.

وواصلـ جـنـدـلـفـ حـدـيـثـهـ قـائـلاـ: «نعم، إلىـ مـورـدورـ. للـأـسـفـ! تـجـذـبـ مـورـدورـ إـلـيـهاـ كلـ الأـشـيـاءـ الشـرـيرـةـ، وـكـانـتـ قـوـةـ الـظـلـامـ عـاقـدـةـ كـلـ عـزـمـهاـ وـتـصـمـيمـهاـ عـلـىـ أنـ تـجـمـعـ كـلـ هـذـهـ الأـشـيـاءـ الشـرـيرـةـ هـنـاكـ. سـوـفـ يـتـرـكـ خـاتـمـ الـعـدـوـ عـلـامـتـهـ، أـيـضاـ، سـوـفـ يـتـرـكـهـ قـابـلاـ لـلـاستـدـاعـ. وـكـانـ الـقـوـمـ جـمـيعـهـ يـهـمـسـونـ عـنـدـهـاـ مـتـحـدـثـينـ عـنـ الـظـلـالـجـدـيدـ فـيـ الجنـوبـ، وـكـراـهـيـتـهـ لـلـغـرـبـ. كـانـ هـنـاكـ أـصـدـقاـوـهـ الرـانـعـونـ، الـذـيـنـ سـيـسـاعـدـونـهـ فـيـ اـنـتـقامـهـ!

المـغـفـلـ الحـقـيرـ! فـيـ تـلـكـ الـأـرـضـ، سـوـفـ يـتـعـلـمـ الـكـثـيرـ، أـكـثـرـ بـكـثـيرـ مـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ مـرـيـحاـ لـهـ. وـعـاجـلاـ أـوـ آـجـلاـ، بـيـنـمـاـ هوـ يـنـسـلـ مـتـلـصـصـاـ، وـمـحـدـقـاـ مـتـطـفـلاـ، عـلـىـ الـحـدـودـ، فـإـنـهـ سـيـتـمـ الـإـمسـاكـ بـهـ، وـأـخـذـهـ لـفـحـصـهـ. كـانـتـ هـذـهـ هـيـ الـطـرـيقـةـ، حـسـبـ تـوـقـعـيـ. عـنـدـمـاـ تـمـ العـثـورـ عـلـيـهـ، قـدـ كـانـ هـنـاكـ بـالـفـعـلـ لـمـدـةـ طـوـيـلةـ، وـكـانـ فـيـ طـرـيقـ عـودـتـهـ. فـيـ رـحـلـةـ

(١) إـشـارـةـ إـلـىـ صـوـتـ الغـرـبـ الذـيـ يـشـبـهـ الـقـرـفـةـ (urgel)ـ وـهـيـ كـلـمـةـ تـمـثـلـ جـزـءـاـ مـنـ اـسـمـهـ. (المـتـرـجـمـ)

معينة من الأذى والضرر. ولكن ذلك لا يهم كثيراً الآن. فقد وقع أسوأ ما يمكن أن يحدثه من أذى.

«نعم، بكل أسى! فقد علم العدو عن طريقه أن الخاتم الأوحد قد وجد مرة أخرى. إنه يعرف أين وقع إيسيلدور. وهو يعرف أين وجد جولام خاتمه. إنه يعرف أنه خاتم عظيم، لأنها منح الحياة الطويلة. وهو يعرف أنه ليس واحداً من الخواتم الثلاثة، لأنه لم يحدث قط أن فقدت هذه الثلاثة، ولا تتحمل أي شر. وهو يعرف أنه ليس واحداً من الخواتم السبعة، أو التسعة، لأنها تم تفسيرها وتحديدها. وهو يعرف أنه هو الخاتم الأوحد. وقد سمع، أخيراً، فيما أعتقد، عن الهوبيتين والمقاطعة».

«المقاطعة» - ربما يكون يبحث عنها الآن، إن لم يكن قد اكتشف بالفعل أين تقع. في الحقيقة يا فرودو، إنني أخشى أنه بل ربما فكر أن اسم الياجيري الذي لم يكن أحد يعني به أو يلاحظه طويلاً قد أصبح مهمًا».

وصاح فرودو: «ولكن هذا فظيع! أسوأ بكثير من أسوأ ما تخيلته من تلميحياتك وتحذيراتك. يا جنلوف، يا أفضل الأصدقاء، ما الذي يجب عليَّ أن أفعله؟ لأنني الآن خائف فعلاً. ما الذي يجب عليَّ أن أفعله؟ يا للأسف أن بيلبو لم يطعن ذلك المخلوق الحقير، عندما كانت الفرصة سانحة أمامه!».

«يا للأسف؟ لقد كانت الشفقة هي التي منعت يده. الشفقة، والرحمة: عدم الضرب دون حاجة. وقد كوفي أفضل مكافأة يا فرودو. ليكن ثابتاً لديك أنه أخذ قدرًا قليلاً جداً من الشر، وهرب في النهاية، لأنه بدأ ملكيته للخاتم على هذا النحو. بشفقة».

قال له فرودو: «أنا آسف. ولكنني خائف؛ ولا أشعر بأي شفقة تجاه جولام». قاطعه جنلوف قائلاً: «إنك لم تره».

قال له فرودو: «كلا، ولا أريد أن أراه. لا أستطيع أن أفهمك. هل ت يريد أن تقول إنك أنت والجان تركتموه يعيشون بعد كل هذه الأعمال الفظيعة؟ والآن وعلى أية حال فهو سيء مثله مثل أي فرد من الأوركيين، وهو عدو تماماً. إنه يستحق الموت».

«يستحقه! يمكنني القول إنه يستحقه فعلاً. الكثيرون ممن يعيشون يستحقون الموت. وبعض أولئك الذين يموتون يستحقون الحياة. هل يمكنك أن تعطيهم إياها؟ في هذه الحال، لا تكن متلهفاً أكثر من اللازم على إعطاء الموت في الحكم. لأنه حتى الحكماء غاية الحكم لا يمكنهم أن يروا كل النهايات. ليس لدى الكثير من الأمل أن جولام يمكن شفاؤه قبل أن يموت، ولكن هناك فرصة في ذلك. وهو مرتب بمصير الخاتم. قلبي يقول لي إن لديه دوراً ما لا يزال عليه أن يلعبه، سواء كان خيراً أو شراً، قبل النهاية؛ وعندما يأتي ذلك، فإن شفقة بيلبو قد تحكم مصير الكثيرين - مصيرك أنت على

الأقل: على أية حال، فإننا لم نقتله: إنه عجوز وبائس جداً. أو دعه جن الغابة السجن، ولكنهم يعاملونه بعطف بقدر ما يمكن أن يجدوه في قلوبهم الحكيمة».

وقال فرودو: «ومع ذلك، حتى لو لم يستطع بيلبو أن يقتل جولام، أتمنى أنه لم يحتفظ بالخاتم. أتمنى أنه لم يجده قط. وأتنى لم أحصل عليه أبداً! لماذا تركتني أحافظ به؟ لماذا لم تجعلني أرميه بعيداً، أو، أو أدمره؟».

قال له الساحر: «أدعك؟ أجعلك؟ ألم تكن تنقصت إلى كل ما قلته لك؟ أنت لا تفكّر فيما تقول. ولكن فيما يتصل برميء بعيداً، فقد كان هذا خطأ واضحاً؛ فهذه الخواتم لديها طريقة في جعل نفسها يتم العثور عليها. لو وقع في أيدي شريرة، فإنه كان من الممكن أن يفعل شيئاً مستطيراً. والأسوأ من ذلك كله، ربما كان قد وقع في أيدي العدو. في الواقع الأمر، فإنه كان سيقع في أيدي العدو؛ لأن هذا هو الخاتم الأوحد، وهو يبذل كل ما لديه من قوة للعثور عليه أو سحبه إليه.

«بالطبع يا عزيزي فرودو، كان خطراً عليك؛ وقد أزعجني هذا كثيراً. ولكن كان هناك الكثير جداً معرضاً للخطر، لدرجة أنه كان علىي أن أتجشم بعض المخاطر - على الرغم من أنه، عندما كنت بعيداً، لم يكن هناك يوم واحد في المقاطعة لم تكن المقاطعة فيه محروسة بعيون يقظة. وما دامت لم تستخدم الخاتم فقط، فإنتي لا أعتقد أنه<sup>(1)</sup> سيكون له تأثير دائم عليك، وليس في الشر، ولن يكون له تأثير طويل جداً على أية حال. ويجب عليك أن تتذكر أنه منذ سنوات تسع مضت، عندما رأيتكم للمرة الأولى، كنت مازلت لا أعرف إلا القليل على وجه اليقين».

صاح فرودو مرة أخرى قائلاً: «ولكن لماذا لا تدمر الخاتم، كما تقول أنت إنه كان يجب أن يُدمر منذ زمن طويلاً؟ إذا كنت قد أردتني أن أفعل ذلك، أو حتى أرسلت لي رسالة بذلك، لكنني تخلصت منه».

«هل كنت ستفعل ذلك؟ وكيف كنت ستفعل ذلك؟ وهل حاولت مطلقاً فعل ذلك؟».

«كلا. ولكنني أعتقد أن بإمكانني أن أدقه بمطرقة أو أذيه».

فقال له فرودو: «حاول! حاول الآن!».

أخرج فرودو الخاتم من جيبه مرة أخرى ونظر إليه. كان يبدو عندها بسيطاً غير مزخرف وأملس، دون أي علامة أو رسم أو صورة يمكن أن تُرى عليه. بدا الذهب جميلاً وخلصاً جداً، وتذكر فرودو في مدى غنى لونه وجماله، ومدى روعة تدويره. كان شيئاً جديراً بالإعجاب، وثميناً بكل ما في الكلمة من معنى. عندما أخرجه من جيبه، كان ينوي أن يقذفه بقوة إلى أكثر جزء من النار حرارة وسخونة. ولكنه وجد

(1) الضمير يشير إلى الخاتم (المترجم)

الآن أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك، إلا بصراع شديد. وزن الخاتم في يده، وهو متعدد، ومجبر على نفسه على تذكر كل ما أخبره به جندلوف؛ وبعد ذلك بشيء، من جهد العزيمة والإرادة اتخذ حركة، كما لو كان سيرميه بعيداً - ولكن وجد أنه وضعه في جيبي مرة أخرى.

ووضح جندلوف في تجهم. «هل رأيت؟ أنت كذلك - بالفعل - يا فرودو لا يمكنك أن تتركه يذهب بسهولة، ولا أن تدمره. ولا يمكنني أن «أجعلك» تفعل ذلك - إلا باستخدام القوة، الأمر الذي يمكن أن يدمر عقلك. ولكن فيما يتصل بكسر الخاتم، فإن القوة غير ذات جدوى في ذلك. حتى لو أخذته وضربته بمطرقة ضخمة، فإنها لن تكسر فيه سناً واحداً. لا يمكن تحطيم الخاتم بيديك أو بيديّ.

وبالطبع، فإن نارك المصغيرة لن تستطيع أن تذيب حتى الذهب العادي. لقد مر هذا الخاتم بها دون أن تحدث به أي تلف، بل ودون أن يسخن. ولكن ليس هناك كير حداد أو صائغ في هذه المقاطعة يمكن أن يغيره على الإطلاق. بل إن سنادين وأفران الأقزام لا يمكنها أن تفعل ذلك. لقد قيل إن نار التنين يمكن أن تذيب خواتم السلطة، ولكن ليس هناك أي تنين الآن على ظهر الأرض تكون النار فيه ساخنة بالقدر الكافي؛ كما لم يكن هناك أي تنين على الإطلاق، ولا حتى أنكالاجون الأسود<sup>(1)</sup>، الذي كان يمكنه أن يلحق الضرر بالخاتم الأوحد، الخاتم الحاكم، لأن ذلك الخاتم صنعه ساورون نفسه.

«هناك طريقة واحدة فقط: أن تجد شقوق الهلاك في أعماق أوروديون<sup>(2)</sup>، جبل النار، وترمي الخاتم فيها، إذا كنت ترغب حقاً في أن تدمره، أن تضعه بعيداً عن متناول العدو إلى الأبد».

وصاح فرودو قائلاً: «إنني أتمنى حقاً أن أدمره! أو، حسناً، أجد من يدمره، أنا لم أخلق للمهام الخطرة. أتمنى أن لم أكن رأيت الخاتم قط! لماذا جاء إلى؟ لماذا وقع الاختيار على أنا؟».

رد عليه جندلوف قائلاً: «مثل هذه الأسئلة لا يمكن الإجابة عنها. يمكنك أن تكون على يقين أن عدم ملكية الآخرين له نابع عن ميزة لديهم: كما أنه ليس لقوه أو حكمة، الحال من الأحوال. ولكنك اخترت، ويجب عليك - بناء على ذلك - أن تستخدم هذه القوة وهذا القلب والذكاء مثلما ينبغي عليك».

«ولكن لدى القليل جداً من هذه الأشياء! أنت حكيم وقوى. هلا أخذت الخاتم؟».

(1) Ancalagon the Black - كلمة Ancalagon قد تعنى «طائر التم ذا الفكين الحديدين» وهي هنا التنين المدمر - (المترجم)

(2) Orodruin - Mount Doom - جبل الهلاك، وهو عبارة عن بركان. (المترجم)

وصاح جندلُف، وقد هب واقفاً على ساقيه: «كلا! بهذه القوة، لا بد أنه ستكون لدى قوة عظيمة ومرهبة للغاية. وفوق ذلك سوف يكون للخاتم على سلطان وقحة أعظم وأكثر فتكاً». وومضت عيناه، وأضاء وجهه كما لو كانت هناك نار بداخله. «لا تحاول إغرائي! لأنني لا أرغب أن أصبح مثل سيد الظلام نفسه. ولكن طريق الخاتم إلى قلبي هي عن طريق الشفقة، الإشراق على الضعف، والرغبة في القوة لفعل الخير. لا تحاول إغرائي! لا أجرؤ أن أخذه، ولا حتى أن أحافظ به آمناً، دون استخدام. سوف تكون الرغبة في استخدامه قوية للغاية بحيث تتغلب على قوتي. سوف تكون لدى حاجة كبيرة إلى استخدامه. هناك أحذار جسام تترbusن بي».

ودهب إلى النافذة، وجذب الستائر والمصاريع. وعاد ضوء الشمس إلى الغرفة مرة أخرى. ومر سام عبر الممر الطويل بالخارج وهو يصفر. وراح الساحر يقول وهو يستدير إلى فرودو: «والآن، فإن القرار يقع في يدك أنت. ولكنني سوف أساعدك دائماً». ووضع يده على كتف فرودو. «سوف أساعدك على حمل هذا العبء، مادام يقع عليك تحمله. ولكن يجب علينا أن نفعل شيئاً في الحال. العدو يتحرك».

وساد صمت طويلاً. وجلس جندلُف مرة أخرى وراح ينفث الدخان من غليونه، كما لو كان قد غرق في الفكر. بدت عيناه مغلقتين، ولكنه كان من أسفل الجفتين يشاهد فرودو ويراقبه في تركيز شديد. حدق فرودو في شدة في جمرات النار الحمراء في المدفأة، حتى ملأت حاسة إبصاره بالكامل، وبدا أنه ينظر لأسفل إلى آبار عميقه من النار. كان يفكر في شفوق الهلاك الأسطورية ورعب الجبل النارى.

وتكلم جندلُف أخيراً وقال: «حسناً! فيم تفكرون؟ هل قررت ما الذي ست فعله؟».

ورد عليه فرودو وهو يعود إلى نفسه من الظلمة، ليجد - لدهشه - أن الدنيا لم تكن ظلاماً، وكان يستطيع أن يرى من النافذة الحديقة التي يضيئها ضوء الشمس، قائلاً: «كلا! أو ربما نعم. بقدر ما أستطيع أن أفهم ما قلته أنت، أعتقد أنه يجب على أن أحافظ بالخاتم وأحرسه، على الأقل في الوقت الحالي، أياً كان ما يمكن أن يفعله لي».

قال له جندلُف: «أياً كان ما يمكن أن يفعله، سيكون بطيناً، بطيناً لإلحاق الشر، إذا أحافظت به لهذا الغرض».

وقال له فرودو: «أتمنى ذلك. ولكن أتمنى أن لو وجدت حافطاً آخر أفضل مني حالاً. ولكن في ذات الوقت يبدو أنني خطر، خطر بالنسبة لجميع من يعيشون قريباً مني. لا يمكنني أن أحافظ بالخاتم وأبقى هنا. يجب على أن أغادر باج إيند، أغادر المقاطعة، وأترك كل شيء وأمضي بعيداً». وتنهد.

«إبني أحب أن أنقذ المقاطعة - لو استطعت - على الرغم من أنه كانت هناك أوقات فكرت فيها أن السكان أغبياء ومتبلدو الحس للغاية بحيث لا تؤثر فيهم الكلمات، وقد

شعرتُ أن زلزالاً أو غزواً من الثنائيين ربما يكون مفيدةً بالنسبة لهم. ولكن لا أعتقد أني أحب ذلك. أشعر أنه مادامت المقاطعة ترقد هنالك آمنة ومسترحة، فإنني سأجد التجوال ممكناً احتماله بشكل أكبر: سوف أعرف أن هناك، في مكان ما، مكاناً لقدم راسخة، حتى لو لم تستطع قدمي أن تقف وتتصمد هناك مرة أخرى.

«بالطبع، لقد فكرتُ أحياناً في الذهاب بعيداً، ولكن تصورتُ ذلك كنوع من الإجازة، سلسلة من المغامرات مثل مغامرات بيلبو أو أفضل، تنتهي في طمأنينة وسلام. ولكن هذا سيكون معناه النفي، هروب من الخطر إلى خطر، أجره ورائي. وأفترض أنه يجب عليَّ أن أذهب بمفردي، إذا كان لي أن أفعل ذلك وأنقذ المقاطعة. ولكنني أشعر أنني صغير جداً، وأنني مجتث الجذور تماماً، وحسناً - يائس. العدو قوي وفظيع للغاية».

لم يخبر جندلف، ولكن بينما كان يتحدث، كانت هناك رغبة كبيرة تعتلج في صدره - أن يتبع بيلبو، بل وربما أن يجده مرة أخرى. كانت الرغبة قوية للغاية لدرجة أنها تغلبت على خوفه: كان يمكنه تقريباً أن يجري بعيداً في ذات المكان والزمان عبر الطريق دون قبعة، كما فعل بيلبو في صباح مشابه منذ زمن طويل.

وقال له جندلف متعجباً: «يا عزيزي فرودو، إن الهوبيتين في الحقيقة مخلوقات مذهلة، كما قلتُ لك من قبل. يمكنك أن تتعلم كل ما هو موجود هنالك عنهم لتعرف طرقهم في شهر واحد، ومع ذلك، بعد مائة سنة، لا يزال بإمكانهم مباغتك في لمح البصر إذا لزم الأمر. لم أتوقع أن أحصل على هذه الإجابة، ولا حتى منك أنت. يبدو أن بيلبو لم يخطئ في اختياره لخلفه، على الرغم من أنه فكر قليلاً عن مدى ما سيثبت من أهمية ذلك. يؤسفني أن أقول لك إنك على صواب. لن يستطيع الخاتم أن يظل مختبئاً في المقاطعة أكثر من ذلك كثيراً؛ ولأجلك أنت، ولأجل الآخرين كذلك، سوف يتحتم عليك أن تذهب، وترك اسم ياجينز وراءك. لن يكون هذا الاسم أميناً إن أخذته معك، إلى خارج المقاطعة أو في العالم الفسيح في البرية. سوف أعطيك اسم ترحال. عندما تذهب، ليكن اسمك السيد أندرهيل».

«ولكني لا أعتقد أنك بحاجة لأن تذهب وحدك. وعلى الأخص إذا كنت تعرف شخصاً يمكن أن تثق به، ويمكن أن تكون لديه الرغبة في أن يذهب ليكون بجوارك - وتكون أنت راغباً في أن تأخذه معك في مخاطر مجهولة. ولكن إذا بحثت عن رفيق لك، فلن حذراً في اختيارك! ولكن حذراً فيما تقول، حتى لأخلص أصدقاءك الحميمين! العدو له جواسيس كثيرة وطرق كثيرة للتنصت».

وقف، كما لو كان ينصت إلى شيء ما. أدرك فرودو أن كل شيء كان ساكناً جداً، في الداخل والخارج. وتسلل جندلف إلى أحد جانبي النافذة. وبعد ذلك،

في حركة سريعة ومفاجئة قفز على عتبة النافذة، وطعن بذراعه بكل قوة للخارج وبعدها لأسفل. كان هناك صوت عالٌ حاد، وانتصب شعر سام جامجي المجد ومال نحو إحدى أذنيه.

وقال جندلف: «حسناً، حسناً، لتسنم لحيتي! أهو سام جامجي؟ والآن ما الذي كنت تفعله؟».

وتحدى سام قائلاً: «يرعاك الرب يا سيد جندلف، يا سيدتي. لا شيء! على الأقل كنت على وجه الضبط أقوم بتشذيب حاجز الحشائش أسفل النافذة، إذا كنت تتبعوني». وأخذ مقصه، ورفعه أمامه كدليل على ما يقول.

وقال جندلف في جهama: «أنا لا أتابعك. لقد مضت فترة طويلة منذ آخر مرة سمعت فيها صوت مقصك. كم مضى من الوقت وأنت تسترق السمع؟».

«استرق السمع، يا سيدتي؟ أنا لا أتابعك، عفوك يا سيدتي. ليس هناك أي استراق للسمع في باج إيند، وهذه حقيقة».

«لا تكن أحمق! ما الذي سمعته، ولماذا كنت تنصت؟» ومضت عيناً جندلف، وانتصبت حواجه بخشونة مثل الأشواك.

وصاح سام وهو يرتجف: «سيد فرودو، يا سيدتي! لا تدعه يؤذيني، يا سيدتي! لا تدعه يحولني إلى أي شيء غير طبيعي! سوف يحزن والدي العجوز حزناً شديداً: أنا لا أضمر أي أذى، أقسم بشرف، يا سيدتي!».

قال له فرودو، وهو لا يكاد يستطيع أن يمنع نفسه من الضحك، على الرغم من أنه هو نفسه كان منهشاً ومتعبراً: «إنه لن يؤذيك. هو يعرف، متلماً أعرف أنا، أنك لا تضمر أي أذى. الأمر ببساطة، تحدث، وأجب عن أسئلته بطريقة مباشرة!».

ورد عليه سام وهو يرتجف قليلاً: «حسناً يا سيدتي. سمعت قدراً لم أستطع أن أفهمه بالشكل الصحيح، عن عدو، وخواتم، والسيد بيلبو، سيدتي، والتنانين، وجبل ناري، و - وجن، يا سيدتي. كنت أنصت لأنني لم أستطيع أن أمنع نفسي من ذلك، إذا كنت تعلم ما أعنيه. الرب يحفظني، يا سيدتي، ولكنني أحب الحكايات من هذا النوع. وأصدقها أيضاً، مهما يكن ما يمكن أن يقوله تيد. الجن، يا سيدتي! أحب بكل شوق أن أراهم يا سيدتي. ألا تستطيع أن تأخذني لأرى الجن، يا سيدتي، عندما تذهب؟».

وفجأة ضحك جندلف، وصاح «تعال إلى الداخل»، ومد ذراعيه ورفع سام المذهول، ومقصه، وقصاصات الحشائش، وكل شيء، وأخذه عبر النافذة نحو الداخل وأوقفه على الأرض؛ وقال له: «أخذك لترى الجن، نعم»، ونظر إلى سام في تدقيق وإمعان، ولكن بابتسامة توّممض في وجهه. «وهكذا فقد سمعت أن السيد فرودو ذا布 بعيداً».

«سمعت يا سيدى . وهذا هو السبب الذى يخنقنى: الذى سمعته أنت فيما يedo . حاولت ألا أنسى يا سيدى ، ولكن خرج ذلك رغما عنى: كنت منز عجا للغاية» . وقال فرودو في حزن: «لا يمكن منع ذلك يا سام». وفجأة أدرك أن الطيران بعيدا عن المقاطعة سوف يعني مرات وداعا أكثر الما من مجرد قول إلى اللقاء أو الوداع للأشخاص المريحين ووسائل الراحة والعزاء المألوفة في باح إيند. «سوف يتحم على أن أذهب . ولكن؟ - وهناك نظر إلى سام بامعان وتفحص - «إذا كنت فعلا تهتم بشأنى ، فإنك سوف تحافظ على هذا سرا مطلقا . هل تفهم ذلك؟ إذا لم تحافظ على هذا السر ، بل إنك حتى لو تقوهـت بكلمة واحدة مما سمعته هنا ، ففي هذه الحالة ، فإنـني أمل أن يقوم جندـلـف بـتحـويـلـكـ إلى ضـفـدـعـ مرـقـطـ ، ويـمـلـأـ الـحـديـقةـ كلـهاـ بـثـعـابـينـ العـشـبـ» . وخر سام على ركبـتيـهـ ، وهو يـرـتجـفـ؛ فـقـالـ لـهـ جـنـدـلـفـ: «ـانـهـضـ ياـ سـامـ . لـقـدـ فـكـرـتـ فـيـ شـيـءـ أـفـضـلـ مـنـ ذـلـكـ . شـيـءـ يـغـلـقـ فـمـكـ ، وـيـعـاقـبـكـ بـالـشـكـلـ الـمـنـاسـبـ عـلـىـ اـسـتـرـاقـكـ لـلـسـمـعـ . سـوـفـ تـذـهـبـ مـعـ السـيـدـ فـرـودـوـ!ـ» .

وصرـخـ سـامـ ، وـهـوـ يـقـفـزـ مـثـلـ كـلـبـ دـعـىـ إـلـىـ نـزـهـةـ مشـىـ: «ـأـنـاـ ياـ سـيـدـيـ!ـ» وـصـاحـ قـائـلاـ: «ـأـنـاـ أـذـهـبـ وـأـرـىـ الـجـنـ وـكـلـ ذـلـكـ!ـ ياـ فـرـحـيـ وـياـ سـعـدىـ!ـ» ، وـبـعـدـهـاـ انـفـجـرـ فـيـ الـبـكـاءـ .

## الفصل الثالث الثلاثة صحبة

قال له جنلوف: «ينبغي عليك أن تذهب في هدوء، وينبغي عليك أن تذهب سريعاً». مضى أسبوعان أو ثلاثة، ولم يأت فرودو بأي إشارة تدل على أنه يستعد للذهاب. وعارضه قائلاً: «أعرف». ولكن من الصعب أن أفعل الشيئين معاً. إذا اخفيت مثل بيلبو تماماً، فإن الحكاية ستنتشر في كل المقاطعة في لمح البصر».

فرد عليه جنلوف قائلاً: «بالطبع، يجب عليك ألا تخفي! لن يفلح ذلك على الإطلاق! قلت سريعاً، ولم أقل في الحال. إذا كان بإمكانك أن تفك في أي طريقة للتسلل خارج المقاطعة دون أن يعرف ذلك بصفة عامة، فإن ذلك سيكون مستاهلاً لبعض التأخير. ولكن يجب عليك ألا تتأخر أكثر من اللازم».

وسأله فرودو قائلاً: «ماذا عن الخريف، في يوم ميلادنا أم بعده؟ أعتقد أن بإمكاني أن أقوم ببعض الترتيبات مع حلول ذلك الوقت».

وإحقاقاً للحق، فإنه كان كارها جداً لأن يبدأ الرحلة، أما وقد جاء وقت الجسم واتخاذ القرار. كان منزل باجarend يبدو مسكنًا أكثر جاذبية مما كان عليه على مدى سنين، وكان يريد أن يستمتع بأكبر قدر ممكن من آخر صيف له في المقاطعة. عندما جاء الخريف، فإنه عرف أن جزءاً من قلبه - على الأقل - سوف يفكر بارتياح في الترحال، تماماً مثلما كان يفعل في ذلك الفصل. لقد عقد عزمها بالفعل بينه وبين نفسه على المغادرة في عيد ميلاده الخمسين: عيد ميلاد بيلبو المائة والثامن والعشرون. كان ذلك اليوم يبدو على أية حال اليوم المناسب الذي يبدأ فيه رحلته ويتبعه. كان الخروج وراء بيلبو وتبعه شغل الشاغل، كما كان هو الشيء الوحيد الذي جعل فكرة المغادرة محتملة. فكر قليلاً بقدر المستطاع في الخاتم، وفي المكان الذي يتحمل أن يقوده إليه في النهاية. ولكنه لم يبح بكل أفكاره لجنلوف. لقد كان دائماً من الصعب الكشف عما يخمنه الساحر.

نظر إلى فرودو وابتسم، ثم قال: «حسناً جداً. أعتقد أن ذلك سوف يفي بالغرض، ولكن يجب ألا يتأخر الأمر أكثر من ذلك. القلق ينتابني جداً. وفي ذات الوقت، عليك بالحذر والحيطة، ولا تدع أي تلميحة تخرج منك عن المكان الذي ستذهب إليه! وتأكد من أن سام لن يتكلم بشيء. فلو أنه فعل ذلك، فإنتي سوف أحوله فعلاً إلى ضفدع».

قال له فرودو: «أما بالنسبة للمكان الذي سأذهب إليه، فإنه سيكون من الصعب اليوح بذلك، لأنني أنا نفسي ليس لدي فكرة واضحة بهذا الصدد بعد».

ورد عليه جنلوف قائلاً: «كفاك سخفاً. أنا لا أحذرك من ترك عنوان في مكتب البريد! ولكنك تغادر المقاطعة - وهذا يجب ألا يُعرف، حتى تكون قد غادرت وابتعدت كثيراً. ويجب عليك أن تذهب، أو على الأقل أن تنطلق، إما نحو الشمال، وإما نحو الجنوب، وإما نحو الغرب، وإما نحو الشرق، ويجب - بكل تأكيد - ألا يُعرف الاتجاه».

رد عليه فرودو قائلاً: «لقد كنت منشغلًا للغاية بأفكار مغادرة باج إيند، وتوديع الآهالي، لدرجة أنتي لم أفكّر قط في مسألة الاتجاه. سواء بالنسبة للمكان الذي سأذهب إليه، أو وسيلة السفر في الرحلة؛ وما هي مهمتي في الرحلة. لقد ذهب بيبلو ليعثر على كنز هناك، وسوف يعود مرة أخرى؛ ولكنني أذهب لأفقد كنزاً، ولن أعود، بقدر ما أرى وأفهم».

رد عليه جنلوف قائلاً: «ولكنك لا ترى بعيداً جداً. ولا أنا كذلك. قد تكون مهمتك العثور على شفوق الهلاك، ولكن هذه المهمة قد تكون لآخرين: لا أدرى. على أية حال، أنت غير مستعد لذلك الطريق الطويل بعد».

قال له فرودو: «غير مستعد فعلاً! ولكن في ذات الوقت ما المسار الذي سوف أسلكه؟».

رد عليه جنلوف قائلاً: «نحو الخطر؛ ولكن بدون تهور زائد، وبدون أن يكون ذلك بشكل مباشر أكثر من اللازم. إذا كنت ت يريد نصيحتي، فاتجه إلى ريفنديل<sup>(1)</sup>. لن تكون هذه الرحلة خطيرة للغاية، على الرغم من أن الطريق أقل سهولة مما كان عليه، وسوف يصبح أكثر سوءاً كلما انقضت السنة».

وقال له فرودو: «ريفنديل! جيد جداً: سوف أذهب نحو الشرق، وسوف أخذ طرقي إلى ريفنديل. سوف أخذ سام معي ليزور الجن؛ سيكون مسروراً وسعيناً بذلك». كان يتحدث بلا مبالاة؛ ولكن قلبه تحرك فجأة برغبة في أن يرى منزل إلروند هاف إلفين<sup>(2)</sup>، ويستنشق هواء ذلك الوادي العميق حيث لا يزال الكثيرون من أقوام الجن يسكنون هناك في أمن وطمأنينة.

ذات مساء، في فصل الصيف، وصل خبر مذهل إلى أجمة البلاب، والذين الأخضر. لقد نسي العمالقة ونذر السوء على حدود المقاطعة، حيث كانت هناك أمور أكثر أهمية: كان السيد فرودو يقوم ببيع منزل باج إيند - في الواقع الأمر كان قد باعه بالفعل - إلى أحد أفراد الساكفيل باجينز!

وقال البعض: «باعه بسعر كبير، كذلك». وقال آخرون: «باعه بسعر مخفض،

(1) Rivendell - و معناها باللغة الانجليزية الدارجة (Cloven-dell) - أي الوادي الصغير المشقوق. (المترجم)

(2) Halfelven - الاسم مكون من شفين (Half) ومعناها نصف؛ و (elven) - ومعناها جن. (المترجم)

وهذا هو الأكثر احتمالاً عندما تكون السيدة لوبيليا هي المشتري». (كان أوثو قد توفي قبل سنوات من ذلك، عن عمر 102 سنة، وهو عمر النضج، ولكنه العمر الحزين). لقد كان السبب وراء قيام السيد فرودو ببيع مسكنه الجميل، أكثر تداولاً على الألسنة ومناقشة من السعر نفسه. عدد قليل منهم اعتنق النظرية – التي كانت تدعمها إيماءات السيد باجينز نفسه وتلميحاته – القائلة بأن المال كان ينعد: كان سيعادر قرية الهوبيتين ويعيش في هدوء وطمأنينة على عائدات البيت هناك في بِكْلَانْد بين أقاربه من البرانديك. وأضاف بعضهم: «بعيداً عن أفراد الساكفيل باجينز بقدر ما يمكن». ولكن فكرة الثروة الطائلة للباجينزيين الذين عاشوا في باج إيند كانت راسخة للغاية لدرجة أن معظم الأشخاص وجدوا أنه من الصعب تصديق ذلك، أصعب من أي سبب آخر من عقل أو جنون يمكن أن يوحى به خيالهم، فكان ذلك بالنسبة لمعظمهم ينم عن مكيدة شريرة – بيد أنها خفية – من جانب جندلف. على الرغم من أنه ظل هادئاً، ولم يكن يخرج أو يتوجول في النهار، فقد كان معروفاً جداً أنه كان «مخبياً في منزل باج إيند». ولكن – مع ذلك – فإن الانتقال قد يكون مناسباً مع مكائد سحره، لم يكن هناك أدنى شك في هذه الحقيقة: سيعود فرودو باجينز إلى بِكْلَانْد.

وقال فرودو: «نعم، سوف أنقل في هذا الخريف. ميري برانديك يبحث عن مكان صغير لطيف لي، أو ربما منزل صغير».

في حقيقة الأمر، لقد اختاره بمساعدة ميري واحتوى منزله صغيراً في كريكهولو<sup>(1)</sup> في الريف وراء قرية بِكْلَانْد<sup>(2)</sup>. راح يتظاهر أمام الجميع – باستثناء سام – أنه سيستقر هناك ويقيم بشكل دائم. لقد أوحى له بهذه الفكرة قراره الاتجاه نحو الشرق؛ حيث إن بِكْلَانْد كانت على الحدود الشرقية للمقاطعة، وحيث إنه عاش هناك في طفولته، وهكذا فإن عودته إليها ستبدو معقوله على الأقل.

ظل جندلف في المقاطعة لما يزيد على الشهرين. وبعد ذلك، ذات مساء، في نهاية شهر يونيو، بعد أن تم ترتيب خطة فرودو نهائياً، مباشرة، أعلن فجأة أنه سوف ينطلق في ترحاله مرة أخرى في صباح اليوم التالي؛ وقال: «فقط لفترة قصيرة من الوقت. ولكنني سأنطلق إلى ما وراء الحدود الجنوبية لأحصل على بعض الأخبار، إذا استطعت. لقد مكثت بلا عمل لفترة أطول مما ينبغي».

(1) Crickhollow – اسم يتكون من جزأين – (hollow) – ومعناها هنا (منخفض صغير في الأرض؛ أو حتى وادي صغير)؛ وكلمة (crick-)، وهذه لا تترجم. وهكذا تكون الترجمة (وادي أو منخفض كريك [كريكمولو]) (المترجم)

(2) Bucklebury – اسم قرية رئيسية في بِكْلَانْد. وتتكون من جزأين (bury-bury) وهي تقابل في الإنجليزية القديمة (burg) ومعناها مدينة محصنة؛ وكلمة (buck)؛ ومعناها (ظبي). وهكذا يكون اسم القرية (مدينة الظبيان [المحصنة]) (المترجم)

كان يتحدث في لا مبالاة، ولكن كان يبدو لفرودو أنه قلق بعض الشيء، وسأله: «هل ثمة شيء قد حدث؟».

«حسناً، كلا؛ ولكن سمعت شيئاً معيناً جعلني قلقاً وأحتاج إلى النظر فيه. إذا اتضحت لي في نهاية الأمر - أنه من الضروري أن تطلق في رحلتك في الحال، فإنني سأعود فوراً، أو على الأقل أرسل لك برسالة بهذا الشأن. وفي ذات الوقت، عليك الالتزام بخطتك؛ ولكن عليك أن تتخلى المزيد من الحذر والحيطة أكثر من أي وقت مضى، وعلى وجه الخصوص فيما يتصل بالخاتم. دعني أقل لك، وأؤكد عليك، مرة أخرى: لا تستخدمه!».

وانطلق مع الفجر، وقال: «ربما أعود في أي يوم. وعلى أقصى تقدير، فإنني سأعود لحضور حفلة الوداع. أعتقد - فوق كل شيء - أنك قد تحتاج إلى صحبتي في الطريق».

في بداية الأمر، كان فرودو قلقاً ومنزعجاً بشكل كبير، وكان يتساءل كثيراً عما يمكن أن يكون جنديلاً قد سمعه؛ ولكن قلقه تلاشى تدريجياً، ونسى في الطقس الجميل مخاوفه لفترة من الوقت. لقد ندر أن ترى المقاطعة بهذا الجمال في الصيف، أو بهذا التراء في الخريف، في أي عام من الأعوام: كانت الأشجار محملة بشمار التفاح، وكان العسل يقطر في أقران العسل، وكانت أغواض الازلة طويلة وممتلئة.

كان الخريف قد بدأ بالفعل وانقضى منه جزء عندما بدأ القلق يساور فرودو بشأن جنديلاً مرة أخرى. انقضى سبتمبر ولم تصل أي أخبار عنه بعد. واقتربت حفلة عيد الميلاد، والانتقال، أكثر، بيد أنه لم يأت بعد، أو حتى يرسل برسالة. بدأ منزل باج إيند يصبح منشغلًا. جاء بعض أصدقاء فرودو ليبيقوا معه ويساعدوه في حزم أمتعته: كان بينهم فريدجارد بلوجر، وفولكر بوفين، وبالطبع كان هناك صديقاه الخصوصيان - بيبين تووك وميري براندييك. وقاموا فيما بينهم بقلب المكان رأساً على عقب.

في العشرين من سبتمبر، انطلقت عربتان (كاريتة) محملتان إلى بكنلاند، تنقلان الأثاث والأمتعة التي لم يقم فرودو ببيعها إلى منزله الجديد، عن طريق جسر براندي واين. وفي اليوم التالي، أصبح فرودو قلقاً حقاً، وراح يراقب وصول جنديلاً بشكل مستمر. ويزغ فجر يوم الخميس، يوم ميلاده، صافياً وجميلاً مثلما كان منذ زمن طويل في حفلة بيلبو العظيمة. بيد أن جنديلاً لم يظهر بعد. في المساء، أقام فرودو حفلة الوداع: كانت صغيرة إلى حد ما، لم يكن هناك سوى العشاء له ولمساعديه الأربع؛ ولكنه كان قلقاً ولم يكن يحس بأنه في الحالة المزاجية المناسبة للاحتفال. لقد كانت فكرة مفارقه الوشكية لأصدقائه الشباب ثقيلة الوطاء على قلبه وترهقه. وراح يتساءل كيف سيمكنه أن يخبرهم بذلك؟

بيد أن الهوبيتين الأربع الذين كانوا أصغر سنًا كانت روحهم المعنوية مرتفعة، وفي الحال أصبحت الحفلة مرحة وممتعة، على الرغم من غياب جنلوف عنها. كانت غرفة الطعام خالية إلا من طاولة ومقاعد، ولكن الطعام كان جيداً، وكان هناك نبيذ جيد: لم يتم بيع نبيذ فرودو ضمن عملية البيع التي تمت لأفراد الساكفيل باجينز.

بينما كان فرودو يشرب كأسه، وكانت هذه آخر قطرة من نبيذ واينياردز<sup>(1)</sup> قال: «مهما يكن مما يحدث لباقي أشيائي، عندما يضع أفراد الساكفيل باجينز أيديهم عليها، فإنني على أي حال وجدت بيئاً جيداً لهذا!».

وعندما غنو الكثير من الأغاني، وتحدثوا عن الكثير من الأشياء التي كانوا قد فعلوها معاً، شربوا نخب عيد ميلاد بيليو، وشربوا نخبه هو وفرودو معاً وفقاً لما اعتاد عليه فرودو. بعد ذلك خرجوا ليشموا الهواء، ويستمتعوا بمنظر التحوم، وبعدها ذهبوا للنوم. انتهت حفلة فرودو، ولم يأت جنلوف.

في صباح اليوم التالي، كانوا مشغولين بتبعة عربة أخرى بما تبقى من الأمتعة. تولى ميري أمر ذلك، وانطلق في العربة مع فاتي<sup>(2)</sup> (أي - فريدجارت لوجر). وهنا قال ميري: «ينبغي أن يذهب أحدهنا إلى البيت ويدفعه قبل أن تصل أنت. حسناً، أراك في وقت لاحق - بعد غد، إذا لم تتم في الطريق!».

عاد فولوكو إلى البيت بعد العشاء، ولكن ببيين مكت بعده. كان فرودو قلقاً ومتخوفاً يتسمع - دون جدو - لصوت جنلوف. قرر أن ينتظر حتى الغروب. بعد ذلك، إذا كان جنلوف يريده على نحو ملح، فإنه سوف يذهب إلى كريكمولو، بل وربما يذهب إلى هناك قبله. وذلك لأن فرودو كان ذاهباً مشياً على قدميه. فقد كانت خطته أن يمشي من قرية الهوبيتين إلى معدية بكلبيري، متتوياً السير في تودة وعلى مهل؛ لأن المتعة وإلقاء نظرةأخيرة على المقاطعة كانا مثلاًهما مثل أي سبب آخر.

قال وهو ينظر إلى نفسه في مرآة غطاءها التراب في الصالة التي كانت نصف خالية: «كما أنتي سوف أدرُّب نفسي بعض الشيء». فهو لم يعش كثيراً منذ فترة طويلة، وفي رأيه فإن صورته في المرأة كانت ضعيفة وشاحبة.

بعد الغداء، جاء أفراد الساكفيل باجينز، لوبيليا وابنها ذو الشعر الرملي اللون، لوثنو، الأمر الذي كان مزعجاً لفرودو. قالت لوبيليا وهي تدخل: «أخيراً صار منزلنا!». لم يكن ذلك من دواعي الأدب؛ كما أنه لم يكن صحيحاً تماماً، لأن بيع باج إيند لم يكن ليدخل حيز التنفيذ حتى منتصف الليل. ولكن من الممكن الصفح عن لوبيليا: لقد كانت مضطرة للانتظار حوالي سبعة وسبعين عاماً، أكثر مما كانت تتمنى في يوم

(1) Old Winyards - اسم مكان ومعناها (the Old Vineyards) كرمات العنب القديمة. (المترجم)

(2) Fatty - و معناها الشخص السمين (المترجم)

من الأيام، لينتول إليها منزل باج إيند؛ وهاهي الآن قد بلغت المائة من العمر. على أية حال، لقد جاءت لترى وتأكد أن ثمة شيئاً معاً دفعت ثمنه لم يأخذ أحد؛ كما أنها جاءت ترید المفاتيح. استغرق الأمر وقتاً طويلاً لإرضائهما؛ لأنها أحضرت معها قائمة كاملة وراحت تتفحصها مباشرة وفي الحال. وفي النهاية، فإنها رحلت ومعها لوثو والمفتاح الإضافي والوعد بأن المفتاح الآخر سوف يتركه لها فرودو في منزل أسرة جامجي في باجشوت رو. راحت تتحدث بطريقة تعبر عن غضبها وسخطها، وأظهرت بكل وضوح أنها تعتقد أن أسرة جامجي قادرة على العبث بالبيت أثناء الليل. لم يقدم لها فرودو أي كوب من الشاي.

شرب هو شايه مع بيбин وسام جامجي في المطبخ. لقد أعلن رسميًّا أن سام سوف يذهب إلى بِكْلَانْد «حتى يقوم على خدمة السيد فرودو، ويعتنى بحديقه الصغيرة»؛ وهو ترتيب وافق عليه واستحسن الجافر، على الرغم من أنه لم يكن عزاء له عن أن تكون لوبيليا جارته.

قال فرودو، وهو يميل بمقعده للخلف: «آخر وجية لنا في باج إيند!». وتركوا غسل الأطباق والمواعين تقوم به لوبيليا. حزم بيбин وسام الحزم الثلاثة التي كانت معهما وقاما بتكييفها في مدخل المنزل. خرج بيбин ليمشي للمرة الأخيرة في الحديقة. واختفى سام.

وغربت الشمس. بدا منزل باج إيند حزيناً وشاحباً وغير مرتب. راح فرودو يتجول في الغرف المألوفة، ورأى ضوء الشمس يختفي على الجدران، والظلال تزحف خارجة من الأركان. وراح الظلام يزحف في بطء نحو الداخل. وخرج، ومشى إلى البوابة، في أسفل الممر، وبعد ذلك واصل السير لمسافة قصيرة إلى هيل رود (طريق التل). كان يتوقع - إلى حد بعيد - أن يرى جَنْدَلْف يأتى مسرعاً خلال الغسق.

كانت السماء صافية، وكانت النجوم ساطعة متلائمة، وقال بصوت عال: «ستكون الليلة ليلة جميلة. هذا شيء جيد بالنسبة للبداية. أشعر برغبة في المشي. لا أحتمل البقاء هنا والانتظار أكثر من ذلك. سوف أبدأ، ولا بد أن يتبعني جَنْدَلْف». واستدار ليعود، وبعد ذلك توقف؛ لأنه سمع أصواتاً هناك بالقرب منه عند الركن مباشرة عند نهاية باجشوت رو. كان أحد هذه الأصوات - بكل تأكيد - صوت الجافر العجوز؛ أما الصوت الآخر فقد كان صوتاً غريباً وبغيضاً بعض الشيء. لم يستطع أن يتبيّن ما يقوله الصوت الثاني، ولكنه كان يسمع إجابات جافر وردوده، والتي كانت حادة وعالية بعض الشيء. كان الرجل العجوز يبدو متضايقاً ومتزعجاً.

«كلا. السيد باجينز ذهب. ذهب هذا الصباح، وذهب ابني سام معه: على أية حال فإن كل أمتعته ذهبت. نعم، باع كل شيء وذهب. هذا ما أقوله لك. لماذا؟ لماذا - هذا

شيء ليس من شأني، أو شأنك أنت. إلى أين؟ هذا ليس سراً على الإطلاق. لقد انقل إلى بُكْلِيرِي أو مكان ما آخر، بعيداً هناك. نعم الأمر كذلك، طريقة منظمة. أنا نفسي لم أذهب بعيداً بهذا القدر أبداً؛ إنهم أناس غرباء في بُكْلَانْد. كلا، لا يمكنني أن أعطي أي رسائل. طابت لي تلك!».

وراحت الخطوات تبعد عبر التل. وتساءل فرودو في غموض عن السبب الذي جعله يشعر براحة كبيرة أنهم لم يأتوا إلى أعلى التل، وفكرا قائلاً: «لقد سئمت الأسئلة والفضول فيما يتصل بأفعالى والتدخل فيها، فيما أعتقد. يا لهم من أشخاص فضوليين كلهم! كان لديه ميل جزئي أن يذهب ويسأل الجافر عنمن كان ذلك السائل؛ ولكنه تردد سواء كان ذلك للأفضل أو للأسوأ، واستدار ومشى سريعاً عائداً إلى باج إيند.

كان بيبين جالساً على حزمه الأمتעה التي حزمها في مدخل المنزل. لم يكن سام هناك. دخل فرودو داخل الباب المظلم، ونادى: «يا سام! حان الوقت!».

وجاءته الإجابة من مكان بعيد في الداخل: «في الطريق إليك يا سيدى!»، وجاء بعد الإجابة مباشرة سام نفسه، وهو يمسح فمه. كان يودع برميل البيرة في القبو. وسأل فرودو: «كل شيء جاهز يا سام؟».

«نعم يا سيدى. سوف أظل لوقت قصير الآن، يا سيدى».

وأغلق فرودو الباب الدائرى بالقفل، وأعطى المفتاح لسام، وقال له: «اجر بهذا ياسام إلى بيتك! وبعد ذلك اقطع ياجشوت رو، وقابلنا بأقصى سرعة ممكنة عند البوابة في الطريق الذى يقع وراء حقل العشب. إننا لن نذهب عبر القرية الليلة. هناك الكثير جداً من الآذان المنتصبة والعيون المحدقة التى ترصدنا». وجرى سام بأقصى سرعة لديه.

وقال فرودو: «حسناً، والآن ها نحن أولاء ننطق أخيراً!». ووضعا حقائهما على أكتافهما، وأخذَا عصيهما، وسارا حول ناصية الشارع نحو الجانب الغربي من باج إيند. «إلى اللقاء!» - قالها فرودو وهو ينظر إلى التواذن المظلمة الشاحبة. لوح بيده، وبعدها استدار (في الاتجاه الذى سار فيه بيبلو، لو أنه كان يعرف ذلك) وأسرع يتبع بيريجرين (بيبين) عبر طريق الحديقة. وقفزا فوق المكان المنخفض في السياج الذى كونته الشجيرات عند القاع، وأخذَا الطريق إلى الحقول، وهما يمرقان في الظلمة مثل الحفيث في العشب. وعند سفح التل، على جانبه الغربي، وصلا إلى فتحة البوابة على طريق ضيق. وهناك توقفا وقاما بضبط أحزمة الحقائب. في هذه اللحظة، ظهر سام، وهو يهرول بسرعة ويتنفس بصعوبة؛ كانت حقيبته الثقيلة مرفوعة عاليًا على كتفيه، وقد وضع على رأسه حقيبة طويلة عديمة الشكل من اللباد، أطلق عليها قبعة. في الظلمة الحالكة، كان يبدو وثيق الشبه جداً بقزم.

قال لهما فرودو: «إنني واثق من أنكم أعطيتماني أثقل حقيبة. إنني مشغول على الواقع، وكل أولئك الذين يحملون بيوبتهم على ظهورهم».

فرد سام في قوة ولكن دون صدق: «في استطاعتي أن آخذ المزيد يا سيدي. إن حمي خفيف إلى حد ما».

ورد بيبيين قائلاً: «كلا، لا يمكنك ذلك، يا سام. إن حمله مناسب له. ليس لديه شيء سوى ما أمرنا أن نحرمه له. لقد ركن إلى الكسل في الفترة الأخيرة، وسوف يشعر بأن الوزن أقل ثقلًا عندما يمشي بعض الشيء حاملاً ما لديه من متعة».

«لتكن طيباً وعطوفاً مع هوبيني المسكين العجوز» - قالها فرودو وضحك، وواصل كلامه قائلاً: «سوف أكون نحيلًا مثل عصا من الصفصاف، أنا واثق من ذلك، قبل أن أصل إلى بَكلاند. ولكنني كنتُ أمزح فيما قلتُ. أظنُ أنك أخذتَ أكثر من حصتك يا سام، وسوف أنتبه لذلك في المرة القادمة التي نحرم أمتعتنا فيها». وأخذ عصاه مرة أخرى، وراح يقول: «حسناً، كلنا نحب المشي في الظلمة، ولذلك دعونا نطو بعض الأميال وراء ظهورنا قبل أن يحين وقت النوم».

وأخذوا الطريق نحو الغرب، بغية السير في طريق قصير مختصر. وبعد ذلك تركوا الطريق وداروا يساراً سائرين في هدوء مرة أخرى في الحقول. ساروا في طابور واحد عبر سياجات الشجيرات، وحدود الأيك ذات الأشجار الصغيرة، وغمره الليل بظلمته. كانوا في معاطفهم السوداء غير مرئيين تماماً كما لو كان لديهم جمِيعاً خواتم سحرية. وحيث إنهم كانوا جميعاً من الهوبيتين، وكانوا يحاولون أن يلزموا الصمت، فإنه لم يصدر عنهم أي ضوضاء يمكن أن يسمعها أحد حتى الهوبيتون أنفسهم، حتى الأشياء البرية في الحقول والغابات لم تك تلحظ مرورهم.

وبعد مضي بعض الوقت، عبروا وادي الماء، إلى الغرب من قرية الهوبيتين، عن طريق جسر ضيق مصنوع من ألواح الخشب. كان جدول الماء هناك لا يزيد على كونه شريطاً أسود متعرجاً، تحيط به أشجار الماء المائلة. وبعد ميل أو ميلين آخرين نحو الجنوب عبروا في عجلة الطريق الكبير من جسر براندي واين؛ كانوا في أرض الترولك، ولما مالوا نحو الجنوب الشرقي، أخذوا الطريق إلى ريف جرين هيل. وعندما بدءوا يصعدون أول منحدراته، نظروا للوراء ورأوا المصاصيح في قرية الهوبيتين بعيدة جدًا تبتلاً في وادي الماء اللطيف. وبعدها احتفى بسرعة في طبقات الأرض التي غطتها الظلام، وتبعتها قرية مجاورة الماء إلى جوار بركتها رمادية اللون. عندما خلفوا وراءهم ضوء آخر مزرعة بعيداً، ييزغ بين الأشجار، استدار فرودو للخلف ولوح بيده مودعاً.

وقال في هدوء: «ترى هل سأنتظر إلى أسفل، إلى ذلك الوادي، مرة أخرى؟». حين ساروا لمدة ثلاثة ساعات، فإنهم جلسوا ليستريحوا. كانت الليلة صافية، وباردة، وملئية بالنجوم، ولكن كانت خيوط صغيرة من الضباب - مثل الدخان - تزحف صاعدة جنبات التل من جداول المياه والمروج الخضراء العميقه. صنعت أشجار البتولا المكسوة بكساء رقيق، والتي كانت تتمايل مع الريح الخفيفة فوق رءوسهم، شبكة سوداء في مقابل السماء الشاحبة. وتناولوا وجبة عشاء اقتصادية جداً (بالنسبة للهوبيتين)، وبعدها واصلوا سيرهم من جديد. وفي الحال جاءوا إلى طريق ضيق، راح يسير بهم صعوداً وهبوطاً، ويبيت لونه إلى اللون الرمادي وهو يختفي في الظلمة التي تقدمهم: الطريق إلى وودهول، وستوك، ومعدية بكلبيري. وسار بهم صاعداً بعيداً عن الطريق الرئيسي في وادي الماء، وعرج على ضواحي التلال الخضراء باتجاه وودي إيند<sup>(1)</sup>، وهي ركن قفر في الإيست فارذينج<sup>(2)</sup>.

بعد مدة قصيرة، اندفعوا بسرعة إلى طريق مشقوق على نحو عميق بين الأشجار الطويلة التي كانت أوراقها الجافة تتحرك محدثة حفيقاً في الليل. كانت الليلة مظلمة. في بداية الأمر كانوا يتحدثون، أو يذكرون لحناً في صوت خافت معاً، حيث أصبحوا الآن بعيداً عن الآذان الفضولية. بعد ذلك مشوا في صمت، وبدأ بيدين يتخلّف وراءهما. وفي النهاية، عندما بدءوا يصعدون منحدراً عالياً، توقف وتناءب؛ وقال:

«إنني نعسان للغاية، لدرجة أنني سأقع على الطريق. هل ستتأمون على أرجلكم؟ إننا في منتصف الليل تقريباً».

ورد عليه فرودو قائلاً: «فكرة أنك تحب العشي في الظلام. ولكننا لسنا على عجلة كبيرة من أمرنا؛ حيث إنّ ميري يتوقع وصولنا في أي وقت بعد يوم غد؛ ولكن هذا يعطينا يومين آخرين تقريباً. سوف تتوقف في أول مكان ملائم نمر به».

وقال له سام: «الريح في الغرب. إذا ذهبنا إلى الجانب الآخر من هذا التل، فسوف نجد مكاناً محجوباً من الرياح ودافأ بالشكل الكافي يا سيدي. هناك غابة من التوب أمامنا مباشرة، إذا كنت على صواب فيما أذكر». كان سام يعرف الأرض جيداً في نطاق عشرين ميلاً من قرية الهوبيتين، ولكن كان هذا هو الحد الأقصى لجغرافيته.

فوق قمة التل مباشرة، وصلوا إلى منطقة غابة التوب. وتركوا الطريق، ليذهبوا إلى ظلمة الأشجار المعيبة برائحة الراتنج، وراحوا يجمعون الأخشاب الميتة وأكواز الصنوبر ليقودوا ناراً. وفي الحال، كان لديهم نار جميلة يطفق لها في سعادة، عند

(1) Woody-end – النهاية ملتفة الأشجار؛ قاموس المورد (المترجم)

(2) Eastfarthing – المعنى الأصلي لكلمة (Farthings) في اللغة الإنجليزية هو (الجزء الرابع «أي ربع بنس») – والإشارة هنا إلى أقسام المقاطعة (Shire) الأربع. وهكذا فإن Eastfarthing تعني الرابع الشرقي. – (المترجم)

قعر شجرة تُنوب ضخمة، وجلسوا حولها لفترة قصيرة، حتى بدأت رءوسهم تتحني من النعاس. وبعد ذلك، لما كان كل واحد منهم في زاوية من جذور الشجرة العظيمة، تأفعوا بمعاطفهم وبطاطينهم، وفي الحال استغرقوا في النوم. لم يُضيّعوا أي ساعات؛ حتى فرودو لم يعد يخاف أي شيء بعد؛ لأنهم كانوا لا يزالون في قلب المقاطعة. جاء عدد قليل من المخلوقات ونظروا إليهم عندما خمدت النار. توقف ثعلب مار كان يقوم بعمل خاص به لعدة دقائق وتشم المكان؛ وفكر في نفسه قائلاً:

«أفراد من الهوبيتين! حسناً، وماذا بعد؟ لقد سمعت عن أفعال غريبة في هذه الأرض، ولكن ندر أن أسمع عن شخص من الهوبيتين ينام خارج منزله تحت شجرة. ثلاثة من الهوبيتين! هناك شيء ما غريب إلى أبعد الحدود وراء ذلك». وقد كان محقاً تماماً فيما فكر، ولكنه لم يكتشف أي شيء أبداً بهذا الخصوص أكثر من ذلك. وجاء الصباح، شاحباً وبارداً. استيقظ فرودو أولاً، ووجد أن جذراً من جذور الشجرة قد كون تجويفاً في ظهره، وأن رقبته كانت متصلة. وفكر في نفسه قائلاً: «المشي للملائكة! لماذا لم أركب عربة؟»، مثلاً ما كان يفعل دائماً في بداية أي مهمة يقوم بها. وراح يقول: «وكل الفرش الجميلة المصنوعة من الريش التي كنت أنام عليها بعثتها لأفراد الساكفيل باجينز! ستكون جذور الأشجار هذه جيدة ومناسبة بالنسبة لهم». وتمطى، وصاح في رفيقه: «استيقظاً، أيها الهوبيتان! إنه صباح جميل».

رد عليه بيبين، وهو ينظر من فوق حافة بطانته بعين واحدة: «وما الجميل فيه؟ يا سام، ليكن الإفطار جاهزاً الساعة التاسعة والنصف! هل قمت بتسخين مياه الاستحمام؟».

قفز سام من مكانه، وكان يبدو عليه أقصى درجات التعجب، وقال: «كلا يا سيدي، لم أفعل بعد، يا سيدي!».

نزع فرودو البطاطين من على بيبين ودحرجه في المكان، وبعد ذلك مشى نحو حافة الغابة. بعيداً نحو الشرق، كانت الشمس تشرق حمراء اللون خارجة من طبقات الضباب الكثيفة التي تغطي العالم. ومع لمسة الذهب والحمرة، فإن أشجار الخريف بدت وكأنها تبحر دون جذور في بحر وهمي. كان يجري أسفل منه بقليل، نحو اليسار، الطريق منحدراً الأسفل نحو حفرة وبعدها اخترى.

وعندما عاد كان سام وبيبين قد أعدا ناراً جيدة، وصاح بيبين: «الماء! أين الماء؟». رد عليه فرودو قائلاً: «أنا لا أحفظ بالماء في جيوبتي».

فرد بيبين، وهو منشغل بإعداد الطعام والأكواب: «ظننا أنك ذهبت لإيجاد بعض الماء. من الأفضل أن تذهب الآن».

فرد فرودو قائلاً: «يمكنكم أن تأتيا أنتما أيضاً، وتحضرا كل زجاجات الماء».

كان هناك جدول مياه عند سفح التل، ملئوا زجاجاتهم وكذلك غلاية التخيم التي تخصهم عند شلال صغير حيث كانت المياه تسقط من ارتفاع بضعة أقدام من فوق بروز صخري لصخربني اللون. كان الماء بارداً مثل الثلج؛ وراحوا يرشون الماء وينفثونه وهم يغسلون وجوههم وأيديهم.

عندما انتهي طعام الإفطار، وحزموا أمتعتهم كلها من جديد، كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة، وكان اليوم قد بدأ يصبح لطيفاً وحاراً. هبطوا المنحدر، وبعدها عبروا الجدول حيث غاص أسفل الطريق، وبعدها صعدوا المنحدر التالي، وبعدها صعدوا ثم هبطوا مجموعة أخرى من قمم التلال؛ ومع حلول ذلك الوقت بدت معاطفهم، وبطاطينهم، وما معهم من مياه، وطعام، وغير ذلك من الأمتنة، حملأ ثقيلاً فعلاً.

كان مشي اليوم واعداً بأنه سيكون عملاً حاراً ومرهقاً. بيد أنه بعد بعض الأميال لم يعد الطريق يتعرج صعوداً وهبوطاً: صعد إلى قمة جرف عال منحدر في صورة طريق مرتفق متعرج، وبعد ذلك استعد للهبوط لأسفل، لآخر مرة. رأوا أمامهم الأرضي الأقل انخفاضاً منقطة بمجموعات صغيرة من الأشجار التي كانت تذوب في المسافة متحولة إلى سديم غابي بني اللون. كانوا ينظرون عبر وودي إيند<sup>(1)</sup> باتجاه نهر براندي واين. ودار الطريق بعيداً أمامهم مثل الخط؛ وهنا قال بيبين:

«الطريق يسير إلى الأبد، ولكني لا أستطيع السير دون راحة. لقد حان وقت الغداء». وجلس على الجرف على جانب الطريق ونظر بعيداً نحو الشرق إلى السديم، والذي كان يقع النهر وراءه، ونهاية المقاطعة التي قضى فيها كل حياته. وقف سام إلى جواره. كانت عيناه الواسعتان مفتوحتين على اتساعهما؛ لأنه كان ينظر عبر أراض لم يرها أبداً من قبل متطلعاً إلى أفق جديد؛ وراح يسأل:

«هل تعيش الجن في تلك الغابات؟».

رد عليه بيبين قائلاً: «لم أسمع بهذا فقط». كان فرودو صامتاً. كان هو الآخر يحدق عبر الطريق، كما لو لم يكن قد رأه من قبل. وفجأة تكلم، بصوت عال، ولكن كمن كان يتحدث لنفسه، وراح يقول ببطء:

الطريق يسير إلى الأبد،  
من عند الباب حيثما ابتدأ،  
والأن بعيداً الطريق قد مضى،  
ويجب على أن أتبعه إن أستطع،

(1) - النهاية ملتفة الأشجار؛ قاموس المورد (المترجم)

أطارده بأقدام متعبة  
حتى يختلط مع طريق منه أكبر  
حيث تلاقي الطرق والرحلات العديدة  
وإلى أين المسير عندها؟ لا أستطيع أن أقول.

وقال بيبيين بعدها: «تبدو هذه مقطوعة صغيرة من شعر بيليو. أم أنها من تقليداتك؟ إنها لا تبدو مشجعة بحال من الأحوال».

فرد عليه فرودو قائلاً: «لا أدرى. لقد جاءتني في هذه اللحظة، كما لو أتنى نظمتها بنفسى؛ ولكن ربما أكون قد سمعتها منذ زمن طويل. بالتأكيد إنها تذكرنى كثيراً جداً ببيليو في السنوات الأخيرة، قبل أن يرحل. لقد اعتاد كثيراً أن يقول كان هناك طريق واحد؛ وأنه كان مثل نهر كبير: كانت ينابيعه عند كل عتبة باب، وكان كل مسار من مساراته رافداً من روافده. واعتاد أن يقول: «إنه عمل خطير، يا فرودو، أن تخرج من بيتك. إنك تخطو على الطريق، وإذا لم تضبط قدميك وتسيطر عليهما، فإنه لا يعلم أحد إلى أين يجرفك الطريق. هل تدرك أن هذا هو المسار الحقيقي الذى يذهب عبر ميرك وود<sup>(1)</sup>، وقد يأخذك إلى الجبل المهجور إن تركته، أو حتى إلى ما هو أبعد من ذلك وإلى أماكن أسوأ؟». اعتاد أن يقول ذلك عن الطريق الذى يقع خارج الباب الأمامي في منزل باج إيند، وعلى وجه الخصوص بعد أن يكون قد خرج ومشى لمسافة طويلة».

رد عليه بيبيين، وهو ينزع حقيقته: «حسناً، لن يجرفني الطريق إلى أي مكان لمدة ساعة على الأقل. وهذا الآخران حذوه، ووضعوا حقائبهم على حافة الطريق وأرجلهم نحو الخارج في الطريق. وبعد أن أخذوا قسطاً من الراحة، تناولوا غداء جيداً، وبعده المزيد من الراحة.

كانت الشمس آخذة في الانخفاض وكان ضوء ما بعد الظهيرة على الأرض وهم يسيرون عبر التل. لم يقابلوا حتى الآن أي روح تسير على الطريق. لم يكن هذا الطريق يستخدم كثيراً، حيث لم يكن مناسباً للعربات، وكانت حركة المسير إلى وودي إيند<sup>(2)</sup> قليلة. كانوا يسيرون مسرعين مرة أخرى لمدة ساعة أو يزيد، عندما توقف سام للحظة كما لو كان يصيح السمع. كانوا الآن على أرض مستوية، وراح الطريق - بعد كثير من التعرج والالتواء - يسير في خط مستقيم أمامهم عبر أرض عشبية مغطاة بأشجار طويلة، تقع بعيداً عن الغابات التي تقترب منهم.

(1) Mirkwood – الكلمة مكونة من مقطعين (Mirk) و معناها «مظلم»؛ و (wood) و معناها «غابة»؛ وبهذا يكون معنى الاسم (وهو مكان هنا) – القافية المظلمة. (المترجم)

(2) Woody-end – النهاية ملقة الأشجار؛ قاموس المورد (المترجم)

وَقَالَ سَامٌ: «أَسْمَعْ صَوْتَ فَرْسٍ صَغِيرٍ (سِيْسِيْ) أَوْ حَصَانٍ يَأْتِي عَلَى الطَّرِيقِ وَرَاءَنَا». وَنَظَرُوا لِلْخَلْفِ، وَلَكِنْ مَنْعِطَفَ الطَّرِيقِ حَالٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَؤْيَاةِ مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ. وَقَالَ فَرُودُو، «إِنِّي أَسْأَلُ: إِنْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ جَنْدَلْفُ قَادِمٌ وَرَاءَنَا؟». وَلَكِنْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قَوْلِهِ مَا قَالَ، فَقَدْ كَانَ لِدِيهِ شُعُورٌ أَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، وَأَنْتَابَتْهُ رَغْبَةٌ مُفَاجِئَةٌ فِي الْاِخْتِفَاءِ مِنْ أَمَامِ الْخَيَالِ حَتَّى لَا يَرَاهُ وَهُوَ يَمْرُ بِهِمْ.

وَقَالَ عَلَى نَحْوِ اعْتَذَارِيِّ: «قَدْ لَا يَهُمُ ذَلِكَ كَثِيرًا، وَلَكِنْ مِنَ الْأَفْضَلِ أَلَا يَرَانِي أَحَدٌ عَلَى الطَّرِيقِ. وَلَوْ كَانَ الرَّاكِبُ هُوَ جَنْدَلْفُ»؛ قَالَ ذَلِكَ كَفْكُرَةً تَالِيَّةً خَطَرَتْ فِي بَالِهِ، «فَإِنَا مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ نَفَاجِئَهُ مُفَاجِئَةً صَغِيرَةً، حَتَّى نَجْعَلَهُ يَدْفعُ ثُمَّ تَأْخِيرَهُ الْكَبِيرَ». دَعَوْنَا نَخْتَفُ عَنِ الْأَنْظَارِ!».

وَجَرَى الْاِتَّشَانُ الْآخِرَانِ بِسُرْعَةٍ نَحْوِ الْبَيْسَارِ وَنَزَلاَ فِي حَفْرَةٍ صَغِيرَةٍ لَيْسَ بَعِيدَةً عَنْ نَهْرِ الطَّرِيقِ. وَهُنَّاكَ ابْطَحُوهَا جَمِيعًا. اتَّابَ فَرُودُو التَّرْدُدَ لِثَانِيَّةٍ: كَانَ الْفَضُولُ - أَوْ شُعُورُ أَخْرَ - يَتَعَارِكُ مَعَ رَغْبَتِهِ فِي الْاِخْتِفَاءِ. وَصَارَ صَوْتُ الْحَوَافِرِ أَكْثَرَ قَرْبًا. وَفِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ، فَإِنَّهُ أَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي بَقْعَةٍ مِنَ الْعَشَبِ الطَّوِيلِ خَلْفَ شَجَرَةً كَانَتْ تَنْشَرُ ظَلَّهَا عَلَى الطَّرِيقِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ رَفَعَ رَأْسَهُ، وَنَظَرَ فِي حَذَرٍ، فَوَقَّ وَاحِدٌ مِنَ الْجَذُورِ الْضَّخْمَةِ.

هُنَّاكَ حَوْلَ الزَّاوِيَّةِ جَاءَ حَصَانٌ أَسْوَدٌ، لَمْ يَكُنْ فَرْسًا مِنْ أَفْرَاسِ الْهَوَيْبِتَيْنِ وَلَكِنْهُ كَانَ حَصَانًا كَامِلَ الْحَجْمِ؛ وَكَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ رَجُلٌ ضَخْمٌ، كَانَ يَبْدُو أَنَّهُ يَجْثُمُ عَلَى السَّرِّاجِ، مُتَلْفِعًا فِي مَعْطِفٍ أَسْوَدٌ عَظِيمٌ وَقَلْنَسُوَّةٌ، يَحْبِثُ لَمْ يَكُنْ يُرَى مِنْهُ سُوَى حَذَانِهِ الْمُعْلَقِ فِي الرَّكَابِ الْمُرْتَفِعِ؛ كَانَ وَجْهُهُ مَظْلَلًا وَغَيْرَ مَرْئَى.

عَنْدَمَا وَصَلَ الْحَصَانُ إِلَى الشَّجَرَةِ وَكَانَ عَلَى مَسْتَوِيٍّ وَاحِدٍ مَعَ فَرُودُو، تَوَقَّفَ الْحَصَانُ. جَلَسَ الرَّاكِبُ فِي مَكَانِهِ سَاكِنًا مُنْحَنِيَ الرَّأْسِ، كَمَا لَوْ كَانَ يَتَنَصَّتُ. وَمِنْ دَاخِلِ الْقَلْنَسُوَّةِ، جَاءَ صَوْتٌ وَاحِدٌ يَسْحَبُ نَفْسًا كَمَنْ يَحَاوِلُ أَنْ يَتَبَيَّنَ رَائِحةً مَرَاوِغَةً؛ وَرَاحَ الرَّأْسُ يَدُورُ فِي الطَّرِيقِ مِنْ جَانِبِ لَآخِرٍ.

وَاسْتَوَى عَلَى فَرُودُو خَوْفٌ مُفَرِّطٌ مِنْ أَنْ يُكَشَّفَ، وَفَكَرَ فِي الْخَاتَمِ. كَانَ بِالْكَادِ يَجْرُؤُ عَلَى التَّنَفُّسِ، وَلَكِنْ الرَّغْبَةُ فِي أَنْ يَخْرُجَهُ مِنْ جَيْبِهِ أَصْبَحَتْ قَوِيَّةً لِلْغاِيَةِ لِدَرْجَةِ أَنَّهُ بَدَأَ يَحْرُكُ يَدَهُ فِي بَطْءٍ. كَانَ يَحْسَنُ بِأَنَّ كُلَّ مَا عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ هُوَ أَنْ يَضْعِهِ فِي إِصْبَعِهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي أَمَانٍ. وَبَدَتْ نَصِيحةُ جَنْدَلْفَ سَخِيفَةً. لَقَدْ أَسْتَخَدَ بِيلِبُو الْخَاتَمَ؛ وَقَالَ لِنَفْسِهِ، بَيْنَمَا كَانَتْ يَدُهُ تَمَسُّ السَّلِسَلَةِ الْمُعْلَقَةِ مِنْهَا الْخَاتَمُ: «أَنَا لَا أَزَالُ فِي الْمَقَاطِعَةِ». وَفِي هَذِهِ الْلَّهَظَةِ، جَلَسَ الرَّاكِبُ، وَهَزَ عَنْانَ حَصَانِهِ. وَسَارَ الْحَصَانُ لِلْأَمَامِ، كَانَ يَمْشِي الْهَوَيْنِيَّ فِي الْبَداِيَّةِ، وَبَعْدَهَا انْخَرَطَ فِي خَبْبِ سَرِيعٍ.

زَحَفَ فَرُودُو إِلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ وَرَاحَ يَرَاقِبُ الْخَيَالَ، حَتَّى اخْتَفَى بَعِيدًا. لَمْ يَكُنْ

متأنكاً، ولكن بدا له أنه فجأة - قبل أن يختفي عن الأنظار - دار الحصان جانباً وانطلق بين الأشجار التي كانت على اليمين.

«حسناً، في رأيي هذا غريب للغاية، وبكل حق فإنه شيء مقلق ومزعج»؛ كان ذلك ما قاله فرودو لنفسه، بينما كان يمشي باتجاه رفيقيه. ظل بيبين وسام منبطحين على العشب، ولم يريا شيئاً؛ ولذلك فإن فرودو وصف لهما هيئة الخيال وسلوكه الغريب.

«لا أستطيع أن أذكر السبب، ولكني شعرتُ بأنني متأنك من أنه كان يبحث عنِي أو يشم الأخبار عنِي؛ كما أنتي شعرتُ على وجه اليقين أنتي لم أكن أريد أن يكتشفني. لم أر مطلقاً شيئاً كهذا أو أشعر به في المقاطعة من قبل».

ورد عليه بيبين قائلاً: «ولكن ما شأن واحد من الأشخاص الكبار بنا؟ وما الذي يفعله في هذا المكان من العالم؟».

رد عليه فرودو بقوله: «هناك بعض الناس حولنا؛ هناك في ساوث فارذينج<sup>(1)</sup> يعانون المشاكل مع الأشخاص الكبار، فيما أعتقد، ولكني لم أسمع قط عن أي شيء مثل هذا الخيال، وإنني لا أتعجب من أين أتي!».

ومقاطعه سام قائلاً: «استميحك عذراً. أنا أعرف من أين أتي. هذا الخيال الأسود جاء من قرية الهوبيتين، إلا إذا كان هناك أكثر من واحد. كما أنتي أعرف وجهه وأين يذهب».

رد عليه فرودو في حدة، وهو ينظر إليه في ذهول: «ماذا تقصد؟ لماذا لم تتحدث من قبل؟».

«لم أذكر سوى الآن يا سيدي. لقد كان الأمر على هذا النحو: عندما عدت إلى مسكننا مساء أمس بالمفتاح، قال لي والدي: أهلاً يا سام! هذا ما قاله. ظننتُ أنك ذهبت بعيداً مع السيد فرودو هذا الصباح. كان هناك شخص غريب يسأل عن السيد باجينز سيد باح إيند، ولقد ذهب من توه. لقد أرسلته إلى بكتليري. ليس لأن صوته أعجبني. لقد بدا عليه الانزعاج إلى حد بعيد، عندما أخبرته أن السيد باجينز قد غادر بيته القديم إلى الأبد. ولم يعجبه كلامي وأصدر صوتاً كالهسيس في وجهي. جعلني ذلك أرتعش خوفاً. أي نوع من الأشخاص كان ذلك؟ كان ذلك سؤالي للجافر. فرد علي: لا أدرى، ولكنه لم يكن من الهوبيتين. كان طويلاً وأسود الهيئة، وانحنى فوقى. أعتقد أنه كان واحداً من القوم الكبار من أجزاء أجنبية غريبة. كان يتحدث بطريقة غريبة.

«لم أستطع البقاء لأسمع المزيد يا سيدي، حيث إنك كنت في انتظاري؛ ولم أعر أنا نفسِي الأمر الكثير من الانتباه. فقد كبرت سن الجافر، كما أنه عمي إلى حد كبير،

(1) Southfarthing - المعنى الأصلي لكلمة (Farthings) في اللغة الإنجليزية هو (الجزء الرابع «أي ربع بنس»). والإشارة هنا إلى أقسام المقاطعة (Shire) الأربع. وهكذا فإن Southfarthing تعني الربع الجنوبي. - (المترجم)

ولا بد أن الدنيا وقها كانت شبه مظلمة عندما جاء هذا الشخص صاعداً اللئ ووجده يمشي متذمراً عند نهاية باجشوت رو. أتمنى ألا يكون قد تسبب في أي ضرر أو أذى يا سيدتي، وأتمنى ألا أكون أنا نفسي قد تسببت في أي ضرر أو أذى».

فرد عليه فرودو قائلاً: «لا يمكن توجيه اللوم للجافر على أية حال. في حقيقة الأمر لقد سمعته أنا يتحدث إلى شخص غريب، كان يبدو أنه يسأل عنِّي، وكنتُ على وشك أن أذهب وأسأله من كان هذا الشخص. أتمنى أن لو فعلت ذلك، أو أنك قد أخبرتني بهذا الشأن من قبل. ربما كنت قد توخيت المزيد من الحذر على الطريق».

وتدخل بيبين في الحوار قائلاً: «ومع ذلك، ربما لا يكون هناك أي علاقة بين هذا الخيال والشخص الغريب الذي لقي الجافر. لقد غادرا فريدة الهوبيتين في سرية كافية، ولا أتصور كيف استطاع أن يتبعنا».

وقال سام: «وماذا عن الشم يا سيدتي؟ وقال الجافر إنه كان شخصاً أسود».

وغمغم فرودو قائلاً: «أتمنى أن لو انتظرتْ جنديلاً. ولكن ربما كان ذلك سيزيد الأمور سوءاً وحسب».

ورد بيبين، الذي استطاع أن يلقط الكلمات التي غمم بها فرودو: «في هذه الحالة فأنت تعرف - أو خمنت - شيئاً ما عن هذا الخيال؟».

«لا أدرى، وأفضل ألا أحمن أي شيء»، كان رد فرودو عليه.

«حسناً، يا بن العم فرودو! يمكنك الاحتفاظ بسرك في الوقت الحالي، إذا أردتَ أن تكون غامضاً. في ذات الوقت، ما الذي يجب علينا أن نفعله؟ إنتي أريد أن أتناول قليلاً من الطعام والشراب، ولكن - على أية حال - أرى أنه من الأفضل بالنسبة لنا أن نتحرك من هنا. لقد أفلقني حديثك عن الخيالة الذين يتسمون، وذوي الأنوف غير المرئية».

وقال فرودو: «نعم، أرى أننا سنتحرك الآن من هنا، ولكن ليس على الطريق - إذ ربما يعود هذا الخيال، أو يتبعه شخص آخر. ينبغي علينا أن نقطع مسافة أكبر اليوم. لا تزال بـكلاند على بعد أميال من هنا».

كانت ظلال الأشجار طويلة ورفيعة متناثرة فوق العشب، بينما كانوا يبدءون المسير مجدداً. راحوا الآن يسرون على بعد مسافة قصيرة على يسار الطريق، وحاولوا البقاء بمنأى عن الأنظار بقدر المستطاع. ولكن ذلك أعاد حركتهم؛ لأن العشب كان كثيفاً وملقاً في هيئة كتل، وكانت الأرض وعرة غير مستوية، وبدأت الأشجار تتقارب معاً في مجموعات متشابكة.

واختفت الشمس حمراء وراء التلال خلف ظهورهم، ودخل المساء عليهم قبل أن يعودوا إلى الطريق مرة أخرى عند نهاية السهل والذي سار الطريق عليه مستقيماً

لمسافة بعض الأميال. عند هذه النقطة، مال الطريق لليسار وسار هابطا نحو بلاد ييل<sup>(1)</sup> المنخفضة باتجاه ستوك<sup>(2)</sup>; ولكن تفرع منه طريق صغير نحو اليمين، حيث لف عبر غابة من أشجار البلوط العجوزة في طريقه إلى وودهول؛ وهنا قال فرودو: «هذا هو الطريق الذي سنسلكه».

وعلى مسافة ليست بالبعيدة من ملتقى الطرق وصلوا إلى شجرة غاية في الضخامة ملقة على الأرض: كانت لا تزال حية وبها أوراق على الفروع الصغيرة التي نمت حول جذول<sup>(3)</sup> فروعها التي سقطت منذ فترة طويلة؛ ولكنها كانت جوفاء، ويمكن الدخول فيها من خلال شق كبير على جانبها بعيد عن الطريق. وتسلل الهوبيتون راحفين إلى داخلها، وجلسوا هناك على أرضية من الأوراق القديمة والخشب المتعفن. أخذوا قسطاً من الراحة وتناولواوجة خفيفة، وتحديثوا في هدوء وكأنوا ينصتون من وقت لآخر.

كان الشفق يحيط بهم بينما كانوا يعودون زاحفين إلى الطريق. كانت الريح الغربية تنهد في الفروع. كانت الأوراق تهمس. وفي الحال بدأ الطريق يغوص بشكل معندي، ولكنه ثابت في الغسق. وبزغ نجم فوق الأشجار في الشرق الذي غطاه الظلام أمامهم. ذهبوا جنباً إلى جنب وفي خطى منتظمة متناسقة، حتى يحافظوا على معنوياتهم مرتفعة. وبعد فترة من الوقت، حيث ازدادت كثافة النجوم وازداد لمعانها وإشرافها، فإن شعور الفلق والانزعاج تركهم، وتوقفوا عن التنسق لالتقاط أصوات الحوافر. وبدعوا يدندون بصوت خفيض، حيث كانت هذه طريقة الهوبيتين وهم يسرون، وعلى وجه الخصوص عندما يقتربون من البيت ليلاً. بالنسبة لمعظم الهوبيتين، فإنهم يدندون بأغنية العشاء أو أغنية النوم؛ ولكن هؤلاء الأفراد راحوا يدندون أغنية المشي (على الرغم من أنها - بالطبع - كانت دون أي ذكر للعشاء أو النوم). صاغ الكلمات بيليو باجينز، للحن قديم قدم التلال - وعلمه لفرودو بينما كانا يمشيان في طرقات وادي الماء ويتحدثون عن المغامرة.

فوق المدفأة النار حمراء ،  
وتحت السقف يوجد السرير؛  
ولكن أقدامنا لم تتعب بعد ،  
لا يزال يحتمل أن نقى عن المزارية  
شجرة مفاجئة أو وحيدة

(المترجم) – Yale (١)

(المتر جم) - Stock (2)

(3) الجذوں: أصل الشجرة الباقي بعد قطع الجذع (المورد) - (المترجم)

لم يرها أحد قط سوانا.  
شجرة ووردة وورقة وعشبة،  
دعهم يمرؤن! دعهم يمرؤن!

تل وماء تحت السماء،  
لنمر بهم! لنمر بهم!  
ربما لا يزال في الانتظار عند الزاوية  
طريق جديد أو بوابة سرية،  
وعلى الرغم من أننا نمر بهم اليوم،  
فربما جئنا في هذا الطريق غداً  
ونأخذ الطريق الخفي الذي يسير  
نحو القمر أو إلى الشمس  
تفاحة، شوكة، وجوزة وثمرة برقوق،  
دعهم يذهبون! دعهم يذهبون!  
رمل وحجر وبركة وواد،  
الوداع لكم جميعاً! الوداع!

البيت وراءنا، العالم أمامنا،  
وهناك طرق عديدة سنسير فيها  
عبر الظل إلى حافة الليل،  
حتى تسقط النجوم مضطرمة.  
عندما يكون العالم خلفنا والبيت أمامنا،  
سوف نسير عائدين إلى البيت والفراش.  
سديم وشقق، سحاب وظل،  
سوف تتشاهي بعيداً! سوف تتشاهي بعيداً!  
نار ومصباح، ولحم وخبز،  
وبعدها إلى الفراش! وبعدها إلى الفراش!

انتهت الأغنية. وراح بيبيين يغني بصوت عال: «والآن إلى الفراش! والآن إلى الفراش!». «.

وقال فرودو: «هُشْهُشْ! أعتقد أنتي سمعت صوت حوافر مرة أخرى».

وتوقفوا فجأة، ووقفوا في صمت مثل ظلال الشجر، يتৎضتون. كان هناك صوت حوافر في الطريق الضيق، على بعد مسافة وراءهم، ولكنه كان يأتي بطيئاً واضحاً مع الريح. وبسرعة وفي هدوء انسلوا بعيداً عن الطريق، وجروا إلى الظل الأكثر عمقاً أسفل شجر البلوط.

وقال فرودو عند ذلك: «دعونا لا نذهب بعيداً أكثر من اللازم! لا أريد أن يراني أحد، ولكن أريد أن أرى إذا كان هو خيالاً أسود آخر». رد بيبين قائلاً: «حسناً جداً! ولكن لا نفس التشم!».

واقربت الحوافر أكثر. لم يكن لديهم وقت لإيجاد أي مكان يختبئون فيه أفضل من الظلمة العامة أسفل الشجر؛ جثم سام وبيبين وراء جذع شجرة ضخم، في حين زحف فرودو للوراء بضع ياردات نحو الطريق. كان الجو وقتها رماديًّا وشاحباً، خط من الضوء المتلاشي عبر الغابة. كانت النجوم فوقه كثيفة في السماء المعتمة، ولكن لم يكن هناك قمر.

وتوقف صوت الحوافر. وبينما كان فرودو يشاهد ويراقب، فإنه رأى شيئاً أسود يمر عبر الفراغ الأكثر ضوءاً بين شجريتين، وبعدها توقف. كان يبدو مثل ظل أسود لحصان يقوده ظل أسود أصغر. وقف ظل الخيال الأسود قريباً من النقطة التي تركوا الطريق عندها، وراح يميل من جانب إلى آخر. ظن فرودو أنه سمع صوت شم، وأنحنى ظل الخيال الأسود على الأرض، وبعدها بدأ يحيط به.

ومرة أخرى استولت على فرودو الرغبة في أن يلبس الخاتم؛ ولكن هذه الرغبة كانت في هذه المرة أقل من سابقتها. كانت قوية للغاية لدرجة أنه - قبل أن يدرك تقريراً ما كان يفعله - كانت يده تبحث في جيبه عن الخاتم. ولكن في تلك اللحظة، جاء صوت وكأنه مزيج من أغنية وضحك. وارتتفعت أصوات أكثر وضوضأ وسقطت في الهواء الذي كانت تصفيه النجوم. واستقام الشبح الأسود وتراجع. وركب الحصان الشبح وبدأ أنه يختفي عبر الطريق إلى الظلمة على الجانب الآخر. وتنفس فرودو الصعداء مرة أخرى.

وصاح سام في تعجب في همس أحش: «الجن! الجن، يا سيدي!» كان سينفجر خارجاً من بين الأشجار وينطلق نحو الأصوات، لولا أنها أمسكا به وشداه للخلف.

وقال له فرودو: «نعم، إنهم الجن. يمكن للواحد أن يقابلهم أحياناً في وودي إيند<sup>(1)</sup>. إنهم لا يعيشون في المقاطعة، ولكنهم يأتون إليها في الربيع والخريف، من خارج أراضيهم بعيداً إلى ما وراء تلال البرج. إنني ممن أنهم فعلوا ذلك! أنتما لم تريا

(1) - النهاية ملتقى الأشجار؛ قاموس المورد (المترجم)

شيئاً، ولكن ذلك الخيال الأسود توقف هنا بالضبط، وكان بالفعل يزحف باتجاهنا، عندما بدأت الأغنية؛ وما إن سمع الأغنية، حتى انسى بعيداً».

وقال سام، وقد كان مثاراً للغاية بحيث لم يأبه بالراكب نفسه: «ماذا عن الجن؟ لا يمكننا أن نذهب ونراهم؟».

وقال فرودو: «أنصتوا! إنهم قادمون من هذا الاتجاه. كل ما علينا أن نفعله هو أن ننتظر».

واقترب الغناء أكثر. وارتفع صوت أكثر وضوحاً الآن فوق الأصوات الأخرى. كان يغني بلغة الجن الجميلة، التي لم يكن فرودو يعرف منها سوى القليل، أما الآخرين فلم يكونوا يعرفان منها شيئاً. ولكن الصوت - ممزوجاً بالحن - بدا وكأنه يشكل نفسه في فكرهم إلى كلمات لم يفهموها إلا جزئياً. هذه كانت الأغنية كما سمعها فرودو:

سنوايت! سنوايت! سيدتي الفاتنة!  
يا ملكة وراء البحار الغربية!  
يا ضوء يضيء لنا نحن الذين نسير هنا  
وسط عالم تنسجه الأشجار!

جيثنيل! يا إلبرث!  
صافية ان عيناك وعاظر نفسك!  
سنوايت! سنوايت! نحن نغنى لك  
في أرض بعيدة وراء البحر.

أيتها النجوم التي بذرت في السنة المظلمة  
بيد لامعة بواسطتها،  
في حقول عاصفة الآن مشرقة وصادفة  
إننا نرى زهرك الفضي تذروه الريح!

يا إلبرث! جيثنيل!  
لا نزال نذكر، نحن الذين نسكن  
في هذه الأرض البعيدة أسفل الأشجار،  
ضوء نجومك على البحار الغربية.

انتهت الأغنية. وقال فرودو في اندهاش: «هؤلاء جن نبلاء! إنهم يذكرون اسم البرث! قليل من هؤلاء القوم غاية في الجمال نراهم في المقاطعة. ليس هناك الكثير منهم الآن باق في الأرض الوسطى، شرق البحر العظيم. هذه فعلًا مصادفة غريبة!». وجلس الهوببيتون في الظل على جانب الطريق. قبل أن يمضي وقت طويل جاء الجن يهبطون الطريق باتجاه الوادي. مروا ببطء، واستطاع الهوببيتون أن يروا وهج ضوء النجوم في شعرهم وفي أعينهم. لم يكونوا يحملون أي مصابيح، بيد أنهم بينما كانوا يمشون كان يبدو أن هناك وميضاً، مثل ضوء القمر فوق حافة التلال قبل أن يزغ، يقع حول أقدامهم. كانوا الآن صامتين، وبينما مر آخر جني، استدار ونظر باتجاه الهوببيتون وضحك؛ وصاح:

«أهلاً يا فرودو! أنت بالخارج حتى وقت متأخر، أو ربما تكون قد ضللت الطريق؟». وبعدها نادى بصوت مرتفع على الآخرين، وتوقفت الصحبة التي كانت معه وتوقفوا وتجمعوا في حلقة؛ وقالوا:

«هذا رائع حقاً! ثلاثة من الهوببيتون في غابة في الليل! لم نر مثل هذا الشيء منذ أن رحل بيلبو. ما معنى ذلك؟».

ورد عليهم فرودو قائلاً: «معنى هذا، أيها الشعب الجميل، يبدو - بكل بساطة - أننا ذاهبون في نفس الطريق مثلكم. إنني أحب المشي تحت النجوم. ولكنني أرحب بصحبكم».

وضحكوا وقالوا: «ولكننا لسنا في حاجة إلى صحبة أخرى، كما أن الهوببيتون كسالي جداً. وهناك شيء آخر - كيف تعرف أننا نذهب في نفس الطريق مثلكم، وأنتم لا تعرفون وجهتنا؟».

وسألتهم فرودو بدوره: «وكيف عرفتم اسمي؟». فردو عليه قائلين: «إننا نعرف أشياء كثيرة. لقد رأيناك كثيراً من قبل مع بيلبو، مع أنك ربما لم ترنا». وسألهم فرودو: «من أنتم، ومن هو سيدكم؟».

وأجابه قائدتهم، الجني الذي حيَّا أول مرة، قائلاً: «أنا جيلدور. جيلدور إنجلوريون من بيت فينزود. نحن منفيون، وقد رحل معظم أقربائنا منذ زمن طويل ونحن أيضاً لن نبقى هنا الآن إلا لوقت قصير، قبل أن نعود عبر البحر العظيم. ولكن بعضنا من عشيرتنا لا يزالون يقيمون في أمان في ريفنديل. والآن يا فرودو، أخبرنا بما تفعلونه؟ لأننا نرى ظلاماً معيناً من الخوف يسيطر عليكم».

وقاطعه بيبين في لهف قائلاً: «يا أيها الحكماء! أخبرونا عن الخيالة السود!». وقالوا في أصوات منخفضة: «الخيالة السود؟ لماذا تسأل عن الخيالة السود؟».

وردَّ عليهم بيبين قائلاً: «لأن اثنين من الخيالة السود لحقاً بنا اليوم، أو واحد لحق بنا مرتين، ومنذ وقت قصير فقط، انسل بعيداً، بينما كنتم أنتم تفتربون». -

ولم يجب الجن في الحال، ولكنهم تحدثوا معاً في صوت متخفض بلغتهم هم. وفي النهاية استدار جيلدور نحو الهوبيتين وقال: «لن تتحدث عن هذا هذا. نعتقد أنه من الأفضل على الإطلاق بالنسبة لكم أن تأتوا معنا. هذه ليست عادتنا، ولكن في هذه المرة سنأخذكم في طريقنا، وسوف تقيمون معنا هذه الليلة، إذا أردتم». -

ورد بيبين قائلاً: «يا لكم من قوم غاية في الجمال! هذا حظ جيد فوق كل ما أتمناه. أما سام فقد عجز عن الكلام. وقال فرودو وهو ينحني: «إنني شاكر لك فعلًا، يا جيلدور إنجلوريون». وأضاف - ولكن متكلماً بلغة الجن: - «نجم يستطيع في ساعة التقائنا». -

وصاح جيلدور وهو يضحك: «كونوا على حذر أيها الأصدقاء. لا تتحدثوا بأي أسرار! بيننا عالم في اللغة القديمة. لقد كان بيبيو معلمًا جيدًا. مرحباً، يا صديق الجن!» قال ذلك، وهو ينحني لفرودو. وواصل كلامه قائلاً: «تعالوا الآن مع أصدقائكم وانضموا إلى صحبتنا! من الأفضل على الإطلاق بالنسبة لكم أن تمشوا في الوسط حتى لا تضلوا. قد تصابون بالتعب قبل أن تتوقف». -

وسأل فرودو: «لماذا؟ إلى أين تذهبون؟». -

«سوف نذهب هذه الليلة إلى الغابات الموجودة في التلال أعلى وودهول. وهي تبعد بعض الأميال، ولكنكم ستثالون قسطًا من الراحة في نهاية الأمر، وسوف يقصر ذلك رحلتكم في الغد». -

واراحوا الآن يمشون مجدداً في صمت، ومرروا مثل الظلال والأضواء الخافتة؛ لأن الجن (ينفوقون في ذلك على الهوبيتين) يستطعون المشي عندما يريدون دون صوت أو وقع أقدام. وببدأ بيبين على الفور يشعر بالنعاس، وتمايل مرة أو مرتين؛ ولكن في كل مرة كان جنبي طويل بجانبه يمد ذراعه وينقذه من الوقوع. مشى سام إلى جوار فرودو، كما لو كان في حلم، وعلى وجهه تعبر نصفه خوف ونصفه فرح مذهول.

أصبحت الغابة على كلا الجانبين أكثر كثافة؛ كانت الأشجار في هذه الأيام أصغر عمراً وأكثر كثافة؛ وبينما كان الطريق ينحدر لأسفل، ومروراً بطبقة من التلال، كان هناك الكثير من أجمات البندق العميقة على المنحدرات المرتفعة على كلا الجانبين. وأخيراً انعطف الجن نحو جانب الطريق. كان هناك طريق أخضر لا يكاد يكون مرئياً عبر الأدغال على اليمين؛ وتبعوا هذا الطريق وهو يلف بعيداً عائداً إلى أعلى المنحدرات المشجرة إلى قمة مجموعة من التلال كانت تطل على الأرض الأكثر انخفاضاً في وادي النهر. وفجأة خرجوا من ظل الأشجار، وكانت تمتد أمامهم مساحة شاسعة من

العشب، رمادية بسبب الليل. كانت الأشجار تضغط عليه من جوانب ثلاثة؛ ولكن الأرض في الاتجاه الشرقي كانت تنخفض في انحدار شديد، وكانت قمم الأشجار المظلمة، التي كانت نامية عند سفح المنحدر، أسفل أقدامهم. فيما وراء ذلك، كانت الأرض المنخفضة ترقد معتمة ومسطحة تحت النجوم. وفي المتناول وعلى مسافة أقرب، كانت مجموعة صغيرة من المصابيح تلألأ في قرية وودهول.

جلس أفراد الجن على العشب وراحوا يتحدثون معاً في أصوات منخفضة؛ بدا عليهم أنهم لم يعودوا يعيرون انتباهاً لوجود الهوبيتين. لف فرودو ورفاقه أنفسهم في معاطفهم وبطاطينهم، وبدأ التلاعس بياغتهم. ودخل الليل أكثر، وانطفأت المصابيح في القرية. وراح بيدين في النوم، متخذًا من تل صغير وسادة له.

هناك على بعد في الشرق كانت تتأرجح كوكبة الرومیراث، النجوم الشبكية، وراحت في بطيء ترتفع فوقهم طبقات السديم لنجم البورجيل الأحمر، وهو يتوهج مثل جوهرة نار ثمينة. وبعد ذلك عندما تحول الهواء، انقض كل السديم بعيداً مثل حجاب، وعند ذلك ظهرت كوكبة – بينما كانت تصعد حافة العالم – سيف السماء، مينيلاجاور<sup>(1)</sup> بحزامها المتلائى. وانفجر أفراد الجن جمِيعاً في الغماء. وفجأة – تحت الأشجار – انطلقت نار ذات ضوء أحمر.

ونادى الجن على الهوبيتين: «تعالوا! تعالوا! لقد حان الوقت للحديث والمرح!». وجلس بيدين وفرك عينيه. كان يتنفس. وقال جني كان يقف أمامه: «هناك نار في الصالة، وطعام للضيوف الجياع».

في النهاية الجنوبية من المرجة الخضراء، كانت هناك فتحة. هناك كان الغطاء الأخضر يسير حتى الغابة، كان يشكل مساحة واسعة مثل الصالة، مسقوفة بفروع الأشجار. كانت جذوعها العظيمة تعمل كأعمدة تمر أسفل كل جانب. في وسط الصالة كانت هناك نار متوجة من الخشب، وفوق الأعمدة التي تكونت من الأشجار كانت هناك مشاعل بمصابيح من الذهب والفضة تضيء بشكل ثابت ومستمر. تحلق أفراد الجن حول النار على العشب أو على الحلقات المنتشرة من الجذوع القديمة. راح بعضهم يتحرك جيئة وذهاباً حاملين أ��واباً ويصبون شراباً، وأحضر آخرون الطعام على أطباق وصوان مملوئة بأصناف الطعام.

وقالوا للهوبيتين: «هذا طعام متواضع؛ لأننا مقيمون الآن في الغابة الخضراء بعيداً عن قصورنا. إذا حدث في أي وقت ونزلتم علينا ضيوفاً في وطننا، فإننا سوف نحتفي بكم أفضل من ذلك».

(1) (المترجم)

ورد عليهم فرودو بقوله: «إنه يبدو بالنسبة لي جيداً على النحو الكافي لحفظة عيد ميلاد». وبعد ذلك استعاد بيبين ذكريات القليل من طعامهم وشرابهم، وذلك لأن عقله كان ممتلئاً بالضوء الذي يسطع على وجوه أفراد الجن، ووقع الأصوات التي كانت متعددة للغاية وجميلة جداً لدرجة أنه شعر أنه في حلم يقطة. ولكنه تذكر أنه كان هناك خبز، يفوق مذاق رغيف أبيض غاية البياض بالنسبة لشخص يموت جوعاً، وكانت الفاكهة حلوة مثل التوت البري، وأكثر غنى من فاكهة الحدائق التي تجد من يقوم على رعايتها؛ وشرب كأساً كانت مملوءة بشراب زكي الرائحة، بارد مثل فسقية صافية، ذهبي اللون مثل وقت ما بعد الظهرة في الصيف.

لم يستطع سام أن يصف أبداً في كلمات، ولا بصورة في وضوح لنفسه، ما كان يشعر به أو يفكر فيه في هذه الليلة، على الرغم من أنها بقيت عالقة في ذاكرته كواحد من الأحداث الرئيسية في حياته. وكان أقرب ما استطاع أن يحصل عليه ليقوله هو: «حسناً، يا سيدي، لو أتنى استطعت أن أزرع تفاحاً كهذا، فإنني سوف أطلق على نفسي «بستانِي». ولكن ما وصل إلى قلبي ومسه كان هو الغناء، إذا كنتم تعرفون ما أقصد».

جلس فرودو يأكل، ويشرب، ويتحدث في مرح؛ ولكن عقله كان مركزاً بشكل أساسي على الكلمات التي يتحدث بها الجميع. كان يعرف قليلاً من حديث الجن وراح ينصت في تلهف. ومن وقت لآخر، كان يتحدث مع أولئك الذين قاموا بخدمته وشكراً لهم بلغتهم. وكانوا يتسمون في وجهه وقالوا لهم يضحكون: «إنه جوهرة بين الهوبيتين!».

بعد وقت قصير راح ياخذ في النوم، ورفعوه وحملوه إلى تعريشة أسفل الشجر؛ وهناك وضعوه على فراش وثير ونام ما تبقى من الليل. رفض سام أن يترك سيده. عندما ذهب بيبين، فإنه جاء وجلس منكمشاً عند قدمي فرودو، حيث راح ينبع في النهاية وأغلق عينيه. ظل فرودو مستيقظاً لفترة طويلة، يتحدث مع جيلدور.

تحدثوا عن أشياء كثيرة، قديمة وجديدة، وكان فرودو يسأل جيلدور كثيراً عن أشياء تحدث في العالم الفسيح خارج المقاطعة. كانت الأخبار في معظمها حزينة وشوماً: عن الظلمة المتجمعة، وحروب البشر، وهروب أفراد الجن. وأخيراً سأله فرودو السؤال الذي كان أقرب ما يكون لقلبه:

«أخبرني يا جيلدور، هل سبق لك أن رأيت بيلبو مطلقاً منذ أن تركنا؟».

ابتسم جيلدور، وأجا به قائلاً: «نعم. مرتين. ودعنا في نفس هذه البقعة. ولكني رأيته مرة أخرى، بعيداً عن هنا». ولم يقل أكثر من ذلك عن بيلبو، والتزم فرودو الصمت.

وقال جيلدور: «أنت لم تسألني، أو تخبرني عن الكثير فيما يتعلق بك أنت، يا فرودو. ولكنني أعرف قليلاً بالفعل، ويمكنني أن أقرأ المزيد في وجهك وفي الفكرة التي تقع وراء أسئلتك. أنت في طريقك لمقاطعة المقاومة، ومع ذلك فأنت تشك في أنك ستجد ما تبحث عنه، أو تتحقق ما تنويه، أو أنك ستعود على الإطلاق. أليس كذلك؟».

ورد عليه فرودو قائلاً: «هو كذلك، ولكنني فكرت أن ذهابي كان سراً لم يعرفه سوى جندي خادمي الأمين سام». ونظر إلى أسفل عند رجله، حيث كان سام يسخر بصوت معتدل.

وقال له جيلدور: «لن يصل السر إلى العدو من خلالنا».

قال له فرودو: «العدو؟ وهكذا فأنت تعرف السبب في مغادرتي للمقاومة؟» وأجابه جيلدور قائلاً: «أنا لا أدرى السبب في مطاردة العدو لك، ولكنني أعتقد أنه يفعل ذلك، على الرغم من أن هذا يبدو غريباً حقاً بالنسبة لي. وإنني أحذرك أن الخطر الآن أمامك ووراءك، وعلى كلا الجانبين».

«تفقد الخيالة؟ خشيت أن يكونوا خدماً للعدو. من هم الخيالة السود؟».

«ألم يخبرك جندي أي شيء؟».

«في هذه الحالة، أعتقد أنه ليس من شأني أن أقول لك أكثر من ذلك، خشية أن يمنعك الرعب من السير في رحلتك؛ لأن الأمر يبدو بالنسبة لي أنك قد خرجمت في رحلتك في الوقت المناسب تماماً، إذا كنت في الوقت المناسب فعلاً. ويجب عليك الآن أن تسرع، ولا تبقى ولا تلتقي للوراء؛ لأن المقاطعة لم تعد مكان حماية لك».

ورد عليه فرودو متعجباً: «لا يمكنني أن أتصور أي معلومات يمكن أن تكون أكثر رعباً من تلميحاتك وتحذيراتك. أعرف أن الخطر يترصدني، بالطبع؛ ولكنني لا أتوقع أن ألقاه في مقاطعتنا نحن. ألا يستطيع هوبيتي أن يمشي من وادي الماء إلى النهر في أمان وطمأنينة؟».

وقال له جيلدور: «ولكنها ليست مقاطعتك أنت. فقد كان سكان آخرون هنا قبل أن يسكنها الهوببيتون؛ وسوف يسكن هنا آخرون مرة أخرى عندما لا يكون هناك هوبيتون. العالم الفسيح كله حولك: يمكنك أن تحبس نفسك منه وتحيطها بسياج، ولكن لا يمكنك أن تبعده عنك وتدفعه للأبد».

«أعرف - ولكنها كانت تبدو دائماً آمنة ومألوفة. ما الذي يمكنني أن أفعله الآن؟ كانت خطتي هي مقاطعة المقاطعة في سرية، وأن أخذ طريقي إلى ريفنديل؛ ولكن الآن هناك من يراقب خطواتي، قبل أن أصل إلى بقلاند».

قال له جيلدور: «أعتقد أنه لا يزال ينبغي عليك أن تسير على نفس الخطبة. لا أظن أن الطريق سيكون صعباً أكثر من اللازم بالنسبة لشجاعتك. ولكنك إذا رغبت في

نصيحة أكثر وضوحاً، فعلىك أن تسأل جنلوف. أنا لا أعرف سبب فرارك، ومن ثم فلا أعرف بأي وسائل سوف يهاجمك مطاردوك. هذه الأشياء ينبغي أن يعرفها جنلوف. أعتقد أنك ستراه قبل أن تترك المقاطعة؟».

«أتمنى ذلك. ولكن ذلك شيء آخر يجعلني قلقاً. لقد كنتُ أنتظر جنلوف لعدة أيام. كان ينبغي أن يأتي إلى قرية الهوبينيين منذ ليلتين على أقصى تقدير؛ ولكنه لم يظهر أبداً. والآن، فإنني أسأله: ما الذي يمكن أن يكون قد حدث. هل أنتظره؟».

والتزم جيلدور الصمت للحظة، وقال أخيراً: «لا أحب هذه الأخبار. أن يكون جنلوف متاخراً، هذا لا يبشر بخير. ولكن يقال: لا تتدخل في شؤون السحرة، وذلك لأنهم دهاء ويغضبون سريعاً. الخيار في يدك أنت: أن تذهب أو تنتظر».

وأجابه فرودو قائلاً: «ويقال أيضاً - لا تطلب المشورة من الجن، لأنهم سيقولون لا أو نعم».

وضحك جيلدور: «هل هذا القول يكون حقيقة؟ نادراً ما يعطي أفراد الجن نصائح غير حذرة ومدرورة، لأن النصيحة هبة خطيرة، حتى عندما تكون من الحكيم إلى الحكيم، وقد تسير جميع الأمور على نحو سين. ولكن ماذا تrepid أنت؟ لم تخبرني بكل شيء عن نفسك؟ وكيف يمكنني في هذه الحالة أن أختار أفضل من اختيارك؟ ولكنك إذا طلبت النصيحة، فإبني سوف أقدمها لك بحق الصداقة. أعتقد أنه يتحتم عليك الآن أن تذهب في الحال، دون تأخير؛ وإذا لم يأت جنلوف قبل أن تبدأ رحلتك، في هذه الحالة فإبني أنسشك بهذا: لا تذهب بمفردك. لتأخذ معك أصدقاء يمكنكم الوثوق بهم، وراغبين في ذلك. والآن، يجب عليك أن تكون ممتناً، لأنني لا أقدم هذه النصيحة بسعادة. أفراد الجن لديهم متابعيهم الخاصة بهم، كذلك لديهم أحزانهم الخاصة بهم، وهم قليلو الاهتمام بطرائق الهوبينيين، أو أي مخلوقات أخرى تعيش على سطح الأرض. نادراً ما تعبر طرقنا طرقهم بالمصادفة أو عن عمد. في هذه المقابلة، قد يكون هناك أكثر من المصادفة، ولكن الغرض ليس واضحاً لي، وأخاف أن أقول الكثير أكثر من اللازم».

وقال له فرودو: «إنني ممتن لك بعمق، ولكن أرغب في أن تخبرني بوضوح ماهية الخيالة السود. إذا أخذت نصيحتك، فربما لا أرى جنلوف لفترة طويلة، وينبغي علي أن أعرف ما هو الخطير الذي يطاردني».

أجابه جيلدور قائلاً: «ألا يكفي أن تعرف أنهم خدم العدو؟ لنفتر منهم! لا تتحدث معهم بكلمة! إنهم مهلكون. لا تسأل المزيد عنهم! ولكن قلبي ينبعني - قبل أن ينتهي كل شيء - أن فرودو ابن دروجو، سوف يعرف عن الأشياء الفظيعة المهلكة هذه أكثر من جيلدور إنجليزيون. لتحمك البرث!».

وَسَأْلَهُ فِرْوَادُو: «وَلَكُنْ أَينْ يَمْكُنُنِي أَنْ أَجِدُ الشِّجَاعَةَ؟ هَذَا هُوَ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ بِشَكَلٍ أَسَاسِيٍّ».

رَدَ عَلَيْهِ جِيلْدُورُ قَائِلاً: «الشِّجَاعَةُ تَوَجُّدُ فِي أَماَكِنٍ غَيْرِ مُحْتَمَلَةِ. لِيَكُنْ لَدِيكَ أَمْلٌ طَيِّبٌ! لَتَنْتَمُ إِلَيْنَا فِي الصِّبَاحِ، سَوْفَ نَكُونُ قَدْ مُضِيَّنَا؛ وَلَكُنْنَا سَنُرْسِلُ لَكَ رِسَائِنَا عَبْرَ الْأَرْضِيِّ. سَوْفَ يَعْرُفُ الرِّفَاقُ الطَّوَافُونَ عَنْ رَحْلَتِكَ، وَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَدِيهِمْ قُوَّةً أَبِيدِيَّةً سَوْفَ يَكُونُونَ فِي مَرَاقِبِكَ. أَنْتَيِ أَدْعُوكَ صَدِيقَ الْجَنِّ؛ وَأَدْعُوكَ أَنْ تُسْطِعَ النَّجُومَ عَلَى نَهَايَةِ طَرِيقِكَ! نَادِرًا مَا كَانَا نَبْتَهِجُ كُلَّ هَذَا الْابْتَهَاجِ وَالسُّرُورِ بِالْغَرَبَاءِ، وَكَمْ هُوَ جَمِيلٌ أَنْ تَسْمَعَ كَلْمَاتَ مِنَ الْحَدِيثِ الْقَدِيمِ مِنْ شَفَاهِ طَوَافِينَ آخَرِينَ فِي الْعَالَمِ».

شَعْرُ فِرْوَادُو بِالنَّوْمِ يَغْلِبُهُ، بَلْ وَعِنْدَمَا أَنْهَى جِيلْدُورُ كَلَامَهُ، قَالَ: «سَوْفَ أَنَا مَلِكُ الْآنِ». وَأَخْذَهُ الْجَنِّيُّ إِلَى تَعْرِيشَةِ جَوَارِ بَيْبَيْنِ، وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ عَلَى الْفَرَاشِ وَرَاحَ عَلَى الْفَوْرِ فِي سُبَاتٍ عَمِيقٍ خَالِ منِ الْأَحَلَامِ.

لِلْأَنْ

## الفصل الرابع

### طريق مختصر إلى عيش الفراب

في الصباح استيقظ فرودو من نومه متتعشاً. كان يرقد في تعرية مصنوعة بشجرة حية بفروع شبك وتدلى على الأرض؛ كان فراشه من السرخ والعشب، عميقاً وناعماً وذا رائحة غريبة. كانت الشمس تسقط عبر أوراق الشجرة المتبايرة، التي كانت لا تزال خضراء فوق الشجرة. ونهض قافزاً على رجليه، وبعدها خرج من مخدعه.

كان سام جالساً على العشب بالقرب من حافة الغابة. كان بيدين واقفاً يدرس السماء والطقس. لم يكن هناك أي أثر لأفراد الجن.

قال بيدين: «لقد تركوا لنا فاكهة وشريطاً وخبراً. تعال وتناول إفطارك. طعم الخبز جيد مثلما كان ليلة أمس تماماً. لم أكن أريد أن أترك لك أي شيء، ولكن سام أصر على ذلك».

جلس فرودو بجوار سام وبدأ يأكل؛ وسأل بيدين: «ما خطأ اليوم؟». وأجا به فرودو قائلاً: «أن نمشي إلى بلكبيري بأقصى سرعة ممكنة»؛ وبعدها انتبه للطعام.

وسأله بيدين في مرح: «هل تعتقد أننا سنرى أي شيء مثل هؤلاء الخيالة السود؟». في ظل شمس الصباح، فإن احتمال رؤية جيش كامل منهم لم يكن يبدو مزعجاً بالنسبة له. ورد عليه فرودو - وهو كاره لهذه التذكرة - قائلاً: «نعم، من المحتمل. ولكنني أتمنى أن نعبر النهر دون أن يرانا أحد منهم».

«هل توصلت إلى أي شيء بشأنهم من جيلدور؟».

رد عليه فرودو في غموض ومراؤفة: «ليس كثيراً - فقط تلميحات وألغاز».

«هل سألت عن التشميم؟».

رد عليه فرودو وفهم ممتلي: «لم تناقش ذلك».

«كان يجب عليك أن تناقشه. أنا واثق تماماً أن ذلك مهم جداً».

فقال له فرودو في حدة: «في هذه الحالة، أنا واثق تماماً أن جيلدور كان سيرفض تفسير ذلك. والآن انركني في سلام لوقت قصير! لا أريد أن أجيب عن مجموعة من الأسئلة وأنا أتناول طعامي. أريد أن أفكّر!».

فرد بيدين قائلاً: «يا إلهي! على طعام الإفطار؟» ومثني بعيداً نحو حافة العشب الأخضر.

من وجهة نظر فرودو، لم يستطع الصباح المشرق - المشرق على نحو خائن، قال في نفسه - أن يطرد الخوف من المطاردة؛ وراح يتفكر في كلمات جيلدور. جاءه صوت بي بين المرح. كان يجري على العشب الأخضر ويغنى.

وقال لنفسه: «كلا! لا أستطيع! أن أخذ أصدقائي الشباب يمشون معي في المقاطعة، حتى ينالوا من الجوع والتعب، وتنترك حلاوة الطعام والفراش وراءنا. أما أن أخذهم إلى منفي، حيث الجوع والتعب قد لا يكون لهما علاج، فهذا شيء آخر - حتى ولو كانوا راغبين في المجيء معي. هذا الإرث خاص بي أنا وحدي. لا أعتقد أنه ينبغي علي حتى أن أخذ سام». ونظر إلى سام جامجي، واكتشف أن سام كان ينظر إليه؛ وقال:

«حسناً يا سام! ماذا عن ذلك؟ سوف أغادر المقاطعة بأسرع ما أستطيع، بل إنني في الواقع الأمر - قد عقدت العزم الآن ألا أنتظر يوماً واحداً في كريك هولو<sup>(1)</sup>، إذا حصلت على المساعدة في ذلك».

«جيد جداً يا سيدي!».

«لا تزال تنوي المجيء معي؟».

«نعم».

«سيكون ذلك خطيراً جداً يا سام. إنه خطير بالفعل. من المحتمل جداً ألا يعود أي منا ثانية».

فرد عليه سام بقوله: «إذا لم تعد أنت يا سيدي، ففي هذه الحالة، لن أعود أنا، هذا مؤكد». وواصل كلامه: هل تتركه! قالوا لي. قلت لهم: «أتركه! لا أتوى ذلك أبداً. إنني ذاهب معه، إذا صعد إلى القمر، وإذا حاول أي من أولئك الخيالة السود أن يوقفه، فإنه سيكون أمامهم سام جامجي ليصفوا حسابهم معه، قلت لهم ذلك وضحكوا».

«من هم الذين تتحدث عنهم، وعم تتحدث؟».

«أفراد الجن يا سيدي. لقد تجاذبنا بعض أطراف الحديث ليلة أمس؛ ويداً أنهم يعرفون أنك تهرب، ولذلك لم أر فاكدة في إنكار ذلك. قوم رائعون، هؤلاء الجن، يا سيدي! رائعون!».

ورد عليه فرودو قائلاً: «هم كذلك. هل ما زلت تحبهم الآن وقد تعرفت عليهم عن كثب؟».

أجابه سام ببطء: «يبدو أنهم فوق ما أحب وما أكره بعض الشيء، إذا جاز لي أن أقول ذلك. لا يبدو أن رأيي فيهم له أي أهمية. إنهم مختلفون تماماً مما أتوقعه - كبار وصغار جداً، ومرحون وحزانى جداً، كما رأيتم».

(1) Crickhollow - اسم يتكون من جزأين - (hollow) - ومعناها هنا (منخفض صغير في الأرض؛ أو حتى واد صغير)؛ وكلمة (crick)، هذه لا تترجم. وهكذا تكون الترجمة (واد أو منخفض كريك «كريكيولو») (المترجم)

نظرٌ فرودو إلى سام في اندهاشٍ تامٍ، حيث لم يكن يتوقع أن يرى علامة ظاهرية على التغيير الغريب الذي بدا أنه وقع له. لم يكن الصوت يبدو صوت سام جامجي العجوز الذي كان يعرفه. ولكن كان يبدو وكأنه صوت سام جامجي العجوز الحالس أمامه هناك، باستثناء أن وجهه كان مستغرقاً في التفكير على نحو غير عادي؛ وسألَه قائلًا: «هل تشعر بأي حاجة إلى ترك المقاطعة الآن؟ – أما وقد تحققت أمنياتك في أن تراهم بالفعل؟».

«نعم يا سيدي. لا أعرف كيف أقول ذلك، ولكن بعد ليلة أمس أشعر أنني مختلف. أبدو أنني أرى للأمام، بطريقة ما. أعرف أننا سوف نسلك طريقاً طويلاً جداً، إلى الظلام؛ ولكنني أعرف أنني لا أستطيع أن أنظر للوراء. ليس الأمر الآن لأنني لا أريد أن أرى الجن، ولا الثنائيين، ولا الجبال – لا أعرف على وجه الحقيقة ما أريده؛ ولكن هناك شيء ما على أن أفعله قبل النهاية، وهذا يمكنه هناك أمامي، ليس في المقاطعة. لابد أن أسرع غور ذلك، يا سيدي، إذا كنت تفهمي».

«لا أفهمك على الإطلاق. ولكني أفهم أن جندي اختار لي رفيقاً صالحاً. إنني راض. سوف نذهب معاً».

أنهى فرودو إفطاره في صمت. بعد ذلك – بينما كان واقفاً – نظر إلى الأرض أمامه، ونادى على بيبين.

وقال – بينما كان بيبين يجري في اتجاهه: «هل كل شيء جاهز لنبدأ المسير؟ ينبغي علينا أن نبدأ المسير في الحال. لقد نمنا حتى وقت متأخر؛ وهناك أميال كثيرة جداً علينا أن نقطعها». فقال له بيبين: «تفصّل أنك أنت نمت حتى وقت متأخر. لقد استيقظت أنا قبل ذلك بكثير؛ ونحن فقط في انتظارك أنت حتى تنهي طعامك وتفكيرك».

«لقد انتهيت من كلِّيماً الآن. وسوف أتجه إلى معدية بـكـلـبـيرـي في أقصى سرعة ممكنة. لن أحيد عن الطريق، لنعد إلى الطريق الذي تركناه ليلة أمس: سوف أذهب مباشرة عبر هذه الأرض من هنا ونختصر الطريق».

قال له بيبين: «إذن، فأنت ستطير. لن تستطيع أن تختصر أي طريق على قدميك وتذهب إلى أي مكان في هذه الأرض».

فأجابه فرودو قائلًا: «يمكننا أن نختصر الوقت أكثر من الطريق على أية حال. المعدية تقع إلى الشرق من وودهول؛ ولكن الطريق الصعب ينحدر بعيداً نحو اليسار – يمكن أن ترى منحنى الطريق هناك في الشمال. وسيمر حول النهاية الشمالية من المستنقع<sup>(1)</sup> حتى يلتّح بالطريق المعبد من الجسر فوق مستوكم. ولكن هذا يبعد أميالاً عن الطريق. يمكننا أن نوفر ربع المسافة، إذا اخذنا خططاً مستقيمة نحو المعدية من هنا حيث تقف».

(1) المستنقع: الكلمة الأصلية التي استخدمها المؤلف هي (Marish) ومعناها في الانجليزية المستخدمة هو (marsh) – وتعني بالعربية مستقعاً أو سبخة. (المترجم)

وجادله بيبين قائلاً: «الطرق المختصرة تؤدي إلى تأخير أكثر . الريف وعر حولنا، وهناك مستقعات وجميع أنواع الصعوبات هناك في المستنقع - أنا أعرف الأرض في هذه الأجزاء . وإذا كنت أنت فلما بشأن الخيالة السود، فإني لا أرى بحال من الأحوال أن مقابلتهم على الطريق أسوأ من مقابلتهم في غابة أو في حقل من الحقول».

وأجابه فرودو قائلاً: «الأمر أقل سهولة أن تعثر على أشخاص في الغابات والحقول . وإذا كان من المفترض أن تكون على الطريق، فهناك فرصة أنه سيكون هناك من يبحث عنك على الطريق، وليس بعيداً عن الطريق».

ورد عليه بيبين قائلاً: «حسناً! سوف أتبعك في كل مكان - مستقعاً كان أو حفراً . ولكن الأمر صعب! لقد عولت على المرور بحانة جولدين بيرتش في ستوك قبل غروب الشمس . أفضل بيرة في الإيست فارذينج<sup>(1)</sup>، أو هكذا اعتادت أن تكون: لقد مضى وقت طويل منذ أن ذقتها».

فرد فرودو قائلاً: «هكذا حُسم الأمر! الطرق المختصرة تؤدي إلى تأخير أكثر ، ولكن الحانات تزيد التأخير أكثر . وعلى أية حال، ينبغي علينا أن نبعدك عن حانة الجولدين بيرتش . نريد أن نصل إلى بَكْلِبِيرِي قبل حلول الظلام . ما رأيك في ذلك ، يا سام؟».

رد سام قائلاً: «سوف أذهب معك يا سيد فرودو»؛ (على الرغم من هاجس خاص وندم عميق على أفضل بيرة في إيست فارذينج).

فرد بيبين قائلاً: «طالما أتنا سنشق طريقنا كادحين عبر المستنقع وأدغال الورد البري ، فدعونا نذهب الآن!».

لقد كان الجو دائماً حاراً تقريباً مثلاً كان في اليوم الذي يسبقه؛ ولكن كانت السحب قد بدأت في الظهور والارتفاع من ناحية الغرب؛ وكان الجو - من المرجح - سوف يتحول إلى مطر . تجمع الهوبيتيون وتزاحموا أسفل ضفة خضراء مرتفعة واندفعوا نحو الأشجار الكثيفة أسفل منها . لقد تم اختيار مسارهم بأن يغادروا وودهول نحو اليسار ، وأن يسيروا في طريق منحدر عبر الأشجار التي تكاثرت في مجموعات عبر الجانب الشرقي من التلال ، حتى وصلوا إلى السهول الأبعد من ذلك . وبعد ذلك ساروا في خط مستقيم نحو المعدية عبر الريف الذي كان مكشوفاً باستثناء بعض الحفر والسياجات القليلة . قدر فرودو أن أمامهم ثمانية عشر ميلاً عليهم أن يقطعوها في خط مستقيم .

وعلى الفور اكتشفوا أن الأدغال كانت أكثر تقارباً وأكثر تشابكاً مما كانت تبدو عليه . لم يكن هناك أي ممرات بين الشجيرات النامية تحت الأشجار الكبيرة ، ولم يكونوا يسيرون بسرعة كبيرة جداً . وعندما كانوا يناضلون للوصول إلى سفح الجرف ، وجدوا

(1) Eastfarthing - المعنى الأصلي لكلمة (Farthings) في اللغة الإنجليزية هو (الجزء الرابع «أي ربع بنس») - والإشارة هنا إلى أقسام المقاطعة (Shire) الأربع . وهكذا فإن Eastfarthing يعني الرابع الشرقي . - (المترجم)

جدولاً يجري من التلال خلف قاع محفور بعمق وله جوانب متزلقة منحدرة تغطيها من أعلى نباتات العُلّيق. كان يقطع الخط الذي اختاره بشكل مزعج وغريب أكثر ما يكون. لم يكن بإمكانهم القفز فوقه، ولا أن يعبروه على الإطلاق دون أن يتلووا، أو يصابوا بخدوش أو يتلطخوا بالوحش. وتوقفوا، وراحوا يفكرون فيما يفعلونه. فقال بيبيين وهو يبتسم في تجهم: «أولاً تتحققوا!!».

ونظر سام جامجي للوراء. من خلال فتحة في الأشجار استطاع أن يرى قمة الجُرف الأخضر الذي نزلوا من فوقه.

وقال وهو يمسك بذراع فرودو: «انظر!» ونظرت جميعاً، ورأوا على الحافة عاليًا فوق رءوسهم قُبالة السماء حصاناً واقفاً. كان ينحني إلى جواره شخص أسود. وعلى الفور تخلوا عن كل فكرة في الرجوع. وقاد فرودو الطريق، واندفع بسرعة في الشجيرات القصيرة الكثيفة جانب الجدول. وقال بيبيين: «هيو! لقد كان كلانا على صواب! الطريق المختصر صار منحنياً ومترجاً بالفعل؛ ولكن اخذنانا سائراً في الوقت المناسب تماماً. لديك أذن حادة يا سام: هل تسمع أي شيء قادم؟». ووقفوا في سكون، حابسين أنفاسهم تقرباً وهم يصيخون السمع؛ ولكن لم يكن هناك أي صوت لأي مطاردة، وقال سام: «لا أتخيل أنه سيحاول أن ينزل بحصانه إلى هذا الجرف. ولكني أعتقد أنه يعرف أننا هبطنا منه. من الأفضل أن نواصل السير».

لم يكن السير للأمام والتقدم سهلاً بالمرة. كان معهم أمتعة يحملونها، وكانت الأدغال ونباتات العُلّيق غير راغبة في أن تدعهم يمررون خلالها. لقد حجبتهم الحافة التي كانت وراءهم عن البريح، وكان الهواء ساكناً وفاسداً. عندما شققاً طريقهم في النهاية إلى أرض مكشوفة بشكل أكبر، كانوا يشعرون بالحر والتعب وكانت أجسامهم ممتلئة بالخدوش، ولم يعودوا متأكدين من الاتجاه الذي كانوا يسيرون فيه. وغاصت ضفاف الجدول، حيث وصل إلى مستوى السهل المنبسط وأصبح أكثر اتساعاً وأكثر ضحالة، وراح يسير نحو المستنقع والنهر.

وقال بيبيين: «لماذا، هذا هو غدير ستوك! إذا كنا سنحاول ونعود في طريقنا إلى مسارنا الذي كنا نسير فيه، يجب علينا أن نعبر في الحال ونسلك الطريق الصحيح».

و Paxروا الجدول، وأسرعوا فوق مساحات خالية واسعة مكشوفة، نبت فيها نبات الأسل بكثرة، وليس فيها أشجار، على الجانب الآخر. بعد ذلك وصلوا مرة أخرى إلى حزام من الأشجار: أشجار بلوط طويلة، في معظم الأمر، مع وجود بعض شجر الدردار متاثراً هنا وهناك. كانت الأرض مسطحة نوعاً ما، كان هناك القليل من الشجيرات القصيرة التي تنمو أسفل الأشجار الكبيرة؛ ولكن الأشجار كانت متقاربة جداً

بحيث لا يمكنهم أن يروا من خلالها للأمام. كانت الأوراق تهب لأعلى في عصفات ريح مفاجئة، وبدأت نقط من المطر تسقط من السماء المبلدة بالغيوم. بعد ذلك خمدت الريح، وبدأ المطر يهطل. راحوا يسرون في جهد قاطعين الطريق بأقصى سرعة ممكنة، فوق بقع من العشب، وعبر أكواخ كثيفة من الأوراق البالية؛ وكانت الأمطار تددم وتهطل في كل مكان حولهم. لم يتكلموا، ولكن ظلوا يحدقون للوراء، ومن جانب إلى آخر.

بعد نصف الساعة قال بيبيين: «أتمنى أننا لم ندر كثيراً أكثر من اللازم نحو الجنوب، وأننا لا نمشي لمسافة طويلة وسط هذه الأشجار! إنه ليس حزاماً كبيراً - في رأيي - إنه ليس أكثر من ميل واحد في أقصى اتساع له، وكان ينبغي أن تكون قد عبرناه الآن». وقال فرودو: «من غير النافع أن نسير في طريق متعرجة. لن يصلح ذلك الكثير. دعونا نستمر في طريقنا على النحو الذي نسير عليه! إنني غير متأكد أنني أريد أن أخرج إلى الخلاء المكشوف بعد».

ووصلوا سيرهم لمسافة ميلين آخرين تقريباً. وبعدها ومضت الشمس خارجة من السحب المنتاثرة مرة أخرى وبدأ المطر يقل. كان الوقت عندها قد تجاوز منتصف اليوم، وشعروا أنهحان وقت الغداء. توقفوا أسفل شجرة دردار: على الرغم من أن أوراقها كانت تحول للون الأصفر سريعاً فإنها كانت كثيفة، وكانت الأرض أسفل الشجرة جافة إلى حد ما ومجطاة بالظل. وعندما جاءوا لإعداد وجبتهم، وجدوا أن الجن قد ملئوا زجاجاتهم بشراب صاف، لونه ذهبي شاحب: له رائحة عسل التحل المصنوع من عدة أزهار، وكان منعشَاً بشكل رائع. وفي الحال وجدوا أنفسهم يضحكون، وراحوا يصرخون في المطر، وفي الخيالة السود. شعروا أن الأميال القليلة المتبقية ستكون وراء ظهورهم بسرعة في الحال.

أسند فرودو ظهره على جذع الشجرة، وأغلق عينيه. جلس سام وبيبيين بالقرب منه، وبداءوا يتدنو، وبعدها بدءوا يغدون بهدوء:

هُو! هُو! هُو! إلى الزجاجة أذهب  
لأشفي قلبي وأغرق كرببي.  
قد يسقط المطر، وتهب الريح،  
ولا تزال أمامنا أميال كثيرة،  
ولكني سأستلقي تحت شجرة طويلة،  
وأدع السحب تبحر مارة بي.

وبذءوا يرددون الأغنية مرة أخرى بصوت أعلى «هُو! هُو! هُو!» وقفز فرودو على قدميه. جاء صوت نحيب طويل تحمله الريح، مثل صرخة مخلوق شرير ووحيد. ارتفعت، وانخفضت، وانتهت بنبرة عالية حادة. حتى عندما جلسوا ووقفوا، كما لو كانوا قد تجمدوا فجأة، ردت عليهما صرخة أخرى، أضعف وأبعد، ولكن أقل تجميًّا للدم ورعبًا. تلا ذلك هدوء، لم يكسره سوى صوت الريح في أوراق الشجر. وتساءل بيبين أخيرًا، محاولاً الكلام باستخفاف، ولكنه كان يرتجف قليلاً: «وماذا في رأيك كان هذا؟ لو أنه كان طائراً، فإنه طائر لم اسمعه أنا فقط فيمقاطعة من قبل».

ورد عليه فرودو قائلاً: «لم يكن طائراً أو حيواناً. لقد كان نداء، أو إشارة – كانت هناك كلمات في تلك الصرخة، على الرغم من أنني لم أستطع أن أنتقطها وأتبينها. ولكن ليس لأي هوببي مثل هذا الصوت».

لم يقل أحد أكثر من ذلك عن هذا. كانوا كلهم يفكرون في الخيالة، ولكن لم يتحدث عليهم أحد قط. كانوا الآن كارهين سواء البقاء أو الاستمرار في المسير؛ ولكن إن عاجلاً أو آجلاً كان عليهم أن يعبروا الريف المكشوف إلى المعدية، وكان من الأفضل تماماً لهم أن يذهبوا عاجلاً وفي وضح النهار. وفي لحظات قليلة، حملوا أمتعتهم على أكتافهم مرة أخرى وانطلقوا.

قبل أن يمضي وقت طويل، انتهي طريق الغابة فجأة. امتدت أمامهم أراض شاسعة مكسوة بالعشب. والآن صاروا يرون أنفسهم – في واقع الأمر – قد عادوا أكثر جداً من الملائم نحو الجنوب. كانوا يرون – هناك بعيداً فوق السهول – بكليري المنخفض عبر النهر، ولكنه كان في ذلك الوقت على يسارهم. وزحفوا في حذر خارجين من حافة الأشجار، وانطلقوا عبر الأرض المكشوفة بأقصى سرعة ممكنة لديهم.

في البداية، شعروا بالخوف، حيث صاروا بعيداً عن مأوى الأشجار. هناك وراءهم على بعد، كان يقف المكان المرتفع الذي تناولوا فيه إفطارهم. توقع فرودو جزئياً أن يرى الشكل الصغير البعيد لخيال على حافة الظلام قبالة السماء؛ ولكن لم يكن هناك أي علامة على وجود مثل ذلك الشخص. كانت الشمس في ذلك الوقت – وقد راحت أشعتها تهرب من بين السحب المتكسرة، حيث كانت تغوص باتجاه التلال التي خلفوها وراءهم – تشرق ساطعةمرة أخرى. وذهب عنهم ما كان انتابهم من خوف، على الرغم من أنهم كانوا لا يزالون يشعرون بالقلق. ولكن الأرض أصبحت – على نحو مطرد – أكثر ألفة وأكثر ترتيباً. في الحال وصلوا إلى حقول ومروج ظهر أنها

تناول رعاية جيدة: كان هناك سياج من الشجيرات القصيرة، وبوابات، وخنادق للصرف. بدا كل شيء هادئاً ومسالماً، تماماً مثله مثل ركن عادي في المقاطعة. وكانت روحهم المعنوية ترتفع مع كل خطوة يمشونها. واقترب خط النهر أكثر؛ وبدأ الخيالة السود يبدون كأشباح الغابات التي خلفوها وراءهم بعيداً الآن.

ومروا عبر حافة حقل كبير من نبات اللقت، ووصلوا إلى بوابة كبيرة. كان وراء البوابة يجري طريق ضيق محفور، بين سياجات منخفضة موضوعة باحكام باتجاه كتلة بعيدة من الأشجار. وتوقف بيبين؛ وقال:

«أنا أعرف هذه الحقول وهذه البوابة! هذه هي بامفرونج<sup>(1)</sup>، أرض الفلاح ماجوت العجوز. هذه هي مزرعته هناك بعيداً بين الأشجار».

وقال فرودو، وهو يبدو متزوجاً بنفس القدر كما لو كان بيبين قد أعلن أن الطريق الضيق يقود إلى عرين التنين. نظر الآخران إليه في اندھاش.

وسأل بيبين: «ما الخطب بالنسبة ل Mageot العجوز؟ إنه صديق طيب لجميع أفراد برانديك. بالطبع، فإنه مصدر رعب هائل للمعتدين والمنتهكين، ولديه كلاب مسورة، ولكن على أية حال، القوم هناك يسكنون قرب الحدود وعليهم أن يكونوا أكثر تيقظاً». ورد فرودو قائلاً: «أعلم ذلك»، وأضاف في ضحكته خجلة: «ولكن الأمر سيان، إبني خائف منه ومن كلابه. كنت أتجنب مزرعته على مدى سنين وسنين. أمسك بي مرات عديدة وأنا أعتدي على نباتات عيش الغراب، عندما كنت صغيراً في براندي هول. في المرة الأخيرة ضربني، وبعدها أخذني وجعل كلابه يرثني، وقال لهم: «انظروا، يا شباب، في المرة التالية التي يطأ هذا الشخص الحقير فيها قدمه على أرضي، يمكنكم أن تأكلوه.. والآن، ودعوه!» وراحت الكلاب تطاردني طوال الطريق حتى المعدية. لم أتغلب على هذا الرعب المخيف مطلقاً - على الرغم من أن الحيوانات كانت تعرف عملها ولم تكن لتلمسني أبداً في حقيقة الأمر».

وضحك بيبين، وقال: «حسناً، حان وقت التصالح. وخاصة أنك عائد لتعيش في بكلاند. Mageot العجوز رفيق شجاع - إذا تركت عيش الغراب خاصة و شأنه. دعونا نسر في الطريق، وبعدها لن يكون هناك أي تعد من جانبنا. إذا قابلناه، فسوف أقوم أنا بالحديث. إنه صديق ميري، وقد اعتدت أنا أن آتي هنا معه كثيراً في وقت من الأوقات».

(1) *Bamfurlong* - الكلمة مكونة من مقطعين (*Bam*) و معناها (*bean*) أي فول؛ و (*furlong*)، ومعناها (*field*) أي حقل أو أرض مزرعة؛ وهكذا فإن الكلمة كلها تكون بمعنى (أرض الفول / مزرعة الفول - حيث هي مزرعة الفلاح Mageot's farm) (المترجم)

وَسَارُوا عَبْرَ الطَّرِيقِ الضِّيقِ، حَتَّى رَأُوا أَسْقَفًا مِنَ الْقَشْ فَوْقَ بَيْتٍ كَبِيرٍ وَمَبَانِي مَزْرَعَةٍ تَطَلُّ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ الأَشْجَارِ الَّتِي أَمَامُهُمْ! كَانَ أَفْرَادُ عَائِلَةٍ مَاجُوتْ، وَأَفْرَادُ بُودِيفُوْتَسْ مِنْ سْتُوكْ، وَمُعْظَمُ سَكَانِ الْمَسْتَقْعَ، كَانُوا جَمِيعًا سَكَانَ مَنَازِلْ؛ وَكَانَتْ هَذِهِ الْقُرْيَةِ مَبْنِيَّةً بِنَاءً قَوِيًّا مِنَ الْطَّوبِ وَلَهَا جَدَارٌ عَالٌ يَحِيطُ بِهَا. كَانَتْ هَنَاكَ بُوَابَةٌ خَشْبِيَّةٌ عَرِيشَةٌ تَفْتَحُ خَارِجَةً مِنَ الْجَدَارِ إِلَى الطَّرِيقِ الضِّيقِ.

وَفَجَأَةً عَنْدَمَا صَارُوا أَكْثَرَ قَرِبًا، اَنْفَجَرَ عَوَاءُ وَنَبَاحُ مَرْوَعٍ، وَسُمِعَ صَوْتُ عَالٍ يَصْرُخُ وَيَصْبِحُ: «جَرِيبٌ! فَانِجٌ! وَلَفْ! هِيَا، هِيَا يَا شَبَابَ!».

وَتَجَمَّدَ فَرُودُو وَسَامُ فِي مَكَانِهِما، وَلَكِنْ بَيْنَ وَاصِلِ سَيِّرَهِ لِخُطُواتٍ قَلِيلَةٍ. وَفَتَحَتِ الْبُوَابَةِ وَخَرَجَ مِنْهَا ثَلَاثَةُ كَلَابٍ اَنْطَلَقَتْ بِأَقصَى سَرْعَةٍ إِلَى الطَّرِيقِ الضِّيقِ، وَانْدَفَعَتِ نَحْوِ الْمَسَافِرِينَ، وَصَاحَتِ فِي شَرَاسَةٍ. لَمْ تَلَاحِظْ وَجُودَ بَيْنِهِمْ؛ وَلَكِنْ سَامُ اَنْكَمَشَ فِي الْجَدَارِ، فِي حِينِ أَنْ كَلْبَيْنِ يَشْبَهَانِ الدَّئَابِ رَاحَا يَتَشَمَّمَانِهِ فِي رِبَيْةٍ وَشَكِّ، وَكَانَا يَزْمَرَانِ إِذَا هُوَ تَحْرِكٌ. تَوَقَّفَ أَضْخَمُ الْكَلَابِ الْمُتَلَقِّيَّةِ وَأَكْثَرُهُمْ صَرَاوَةً وَشَرَاسَةً أَمَامَ فَرُودُو، وَرَاهُ يَتَخَذُ مَظَهَرًا عَدُوَانِيًّا شَرِسًا.

وَظَهَرَ إِلَيْهِمْ إِلَيْهِ فِي الْبُوَابَةِ هُوَ بَيْتِي عَرِيشَ ضَخْمٌ قَوِيٌّ الْبَنِيةِ وَجَهَهُ أَحْمَرُ دَائِرِيِّ، وَسَأَلَ: «أَهْلًا! أَهْلًا! وَمَنْ يَا تُرَى أَنْتُمْ؟ وَمَاذَا تَرِيدُونَ يَا تُرَى؟».

فَرَدَ بَيْنِهِمْ قَائِلًا: «مَسَاءُ الْخَيْرِ يَا سِيدُ مَاجُوتْ!».

وَنَظَرَ الْفَلاَحُ إِلَيْهِ فِي إِمْعَانٍ، وَقَالَ: «حَسَنًا، إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا سِيدُ بَيْنِهِمْ - السِّيدُ بَرْ جَرِينْ تُوُوكُ، هَذَا صَحِيحٌ!» وَتَغَيَّرَتْ نَظَرَتُهُ مِنْ تَقْطِيَّةٍ إِلَى تَجْهِيمٍ، وَاسْتَمَرَ قَائِلًا: «لَقَدْ مَضَى زَمْنٌ طَوِيلٌ مِنْذَ أَنْ رَأَيْتَكَ أَخْرَى مَرَةً هَنَا. مِنْ حَسْنِ حَظِكَ أَنِّي أَعْرِفُكَ. لَقَدْ خَرَجْتُ إِلَيْهِمْ حَتَّى أَطْلَقَ كَلَابِي عَلَى أَيِّ غَرَبَاءٍ. هُنَاكَ بَعْضُ أَشْيَاءِ غَرِيبَةٍ تَحْدَثُ الْيَوْمَ. بِالْطَّبِيعِ - يَمْرُ بِنَا أَشْخَاصٌ لَا نَأْلَفُهُمْ هَذِهِ الْأَيَّامِ يَتَجَولُونَ فِي هَذِهِ الْأَجْزَاءِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ. بِالْقَرْبِ مِنَ النَّهَرِ كَثِيرًا» - قَالَ ذَلِكَ وَهُوَ يَهْزِي يَدَهُ. ثُمَّ اسْتَمَرَ يَقُولُ: «وَلَكِنْ هَذَا الشَّخْصُ كَانَ أَغْرِبُ شَخْصٍ وَقَعَتْ عَلَيْهِ عَيْنَايِ. لَنْ يَعْبُرْ أَرْضِي دُونَ إِذْنِ مَرَةٍ ثَانِيَّةٍ، إِذَا لَمْ أُسْتَطِعْ أَنْ أَوْفَهُ». وَسَأَلَهُ بَيْنِهِمْ قَائِلًا: «مَنْ هُوَ الشَّخْصُ الَّذِي تَفَصِّدُهُ؟».

وَقَالَ لَهُ الْفَلاَحُ: «إِذْنَ أَنْتَ لَمْ تَرَهُ؟ لَقَدْ مَضَى عَبْرَ الطَّرِيقِ الضِّيقِ نَحْوَ الطَّرِيقِ الْمُعْدِيْدِ مِنْذَ وَقْتٍ قَصِيرٍ. كَانَ شَخْصًا غَرِيبًا وَكَانَ يَسْأَلُ أَسْئَلَةً غَرِيبَةً. وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ تَدْخُلُوا، وَبَعْدَهَا سَوْفَ أَقْصُلُ عَلَيْكُمُ الْخَبَرَ بِشَكْلٍ أَكْثَرَ رَاحَةً. لَدِيْ بعضُ مِنَ الشَّرَابِ جَيْدٌ، إِذَا كُنْتَ أَنْتَ وَأَصْدِقَاؤُكَ تَرَغُبُونَ فِي الشَّرَابِ، يَا سِيدُ تُوُوكُ».

بَدَا وَاضِحًا أَنَّ الْفَلاَحَ سَوْفَ يَخْبِرُهُمْ بِالْمُزِيدِ، إِذَا سُمِحَ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فِي الْوَقْتِ

الذى يناسبه هو، وبطريقه الخاصة، ولهذا فإنهم قبلوا الدعوة جميعاً، وسأله فرودو فى قلق: «وماذا عن الكلاب؟».

وضحك الفلاح، وصاح: «لن يؤذوه إلا إذا أخبرتهم أنا بذلك. تعال يا جريب! فانج! أسرع! أسرع، يا وولف!» وما أراح فرودو وسام، أن الكلاب مشت بعيداً وحررتهم.

قدم بيبين الشخصين الآخرين للصلاح، قائلاً: «هذا هو السيد فرودو باجينز. ربما لا تذكره، ولكنه كان يعيش في براندي هول». وعندما سمع الفلاح اسم باجينز فزع وحدق إلى فرودو تحديقة حادة. اعتقد فرودو للحظة أن الفلاح قد تذكر سرقة عيش الغراب الخاص به، وأنه سوف يطلب من الكلاب أن تودعه. ولكن الفلاح ماجوت أخذه من ذراعه؛ وقال مستغرباً:

«حسناً، إذا لم يكن ذلك أغرب من أي شيء على الإطلاق، هل هذا هو السيد باجينز؟ تفضل بالدخول! لا بد أن نتحدث معاً».

ودخلوا إلى مطبخ الفلاح، وجلسوا إلى جوار النار الكبيرة. أحضرت زوجة السيد ماجوت لهم البيرة في إبريق كبير، وملأت أربع كؤوس كبيرة. كانت شرابة جيداً، ووجد بيبين نفسه قد حصل على تعويض كبير لتركه للجولدين بيرتش. راح سام يرشف كأسه في ريبة. كان لديه سوء ظن فطري بستان الأجزاء الأخرى من المقاطعة؛ وكذلك فإنه لم يكن ميالاً إلى مصادفة أي شخص بسرعة من أولئك الذين ضربوا سيده، مهما يكن قد مضى على ذلك من الوقت.

بعد ملاحظات قليلة عن الطقس والتوقعات الزراعية (التي لم تكن أسوأ من المعتاد)، وضع الفلاح ماجوت كأسه ونظر إليهم كل بدوره.

وراح يقول: «والآن يا سيد بيرجرين، من أين يا ترى أنت قادم، وإلى أين يا ترى تذهب؟ هل كنت قادماً لزيارة؟ لأنه إذا كان الأمر كذلك، فإنك قد مررت من بوابتي دون أن تراني».

ورد عليه بيبين قائلاً: «حسناً، كلا. أخبرك الحقيقة، حيث إنك قد خمنت ذلك، لقد وصلنا إلى الطريق من الناحية الأخرى: لقد وصلنا إلى حقوقك. ولكن ذلك كان عن طريق المصادفة المحضة. لقد ضللنا طريقنا في الغابة، هناك بالقرب من وودهول، محاولين أن نأخذ طريقاً مختصراً إلى المعدية».

فقال له الفلاح: «لو كنت في عجلة من أمركم، لكان الطريق قد خدمكم بشكل أفضل. ولكن لم يكن هذا هو ما يقلقني. لديك الإذن بالمشي في أرضي، لو كان لديك الرغبة في ذلك، يا سيد بيرجرين. وأنت، يا سيد باجينز، على الرغم من أنه - إذا جاز لي التعبير - أنت لا تزال تحب عيش الغراب». وضحك الرجل، وواصل كلامه قائلاً:

«آه، نعم، لقد تذكرتُ الاسم. أتذكر الوقت عندما كان فرودو باجينز الصغير واحداً من أسوأ الأوغاد الصغار في بَكْلَانْد. ولكن لم يكن عيش الغراب الذي كنتُ أفكِّر فيه. لقد سمعتُ الاسم من توبي قبل أن تأتوا أنتم مباشرة. ماذا – في رأيك – سألني ذلك الشخص الغريب؟».

وانظروا في قلق حتى يواصل كلامه، وواصل الفلاح كلامه، وهو يقترب من لب الموضوع في تلذذ بطيء: «حسناً، جاء يركب حصاناً كبيراً أسود ودخل من هذه البوابة، والتي تصادف أن كانت مفتوحة، وجاء إلى بابي مباشرة».

كان الشخص نفسه أسود بالكامل – أيضاً – وكان ملفعاً في معطف وعلى رأسه قلنسوة، تماماً كما لو لم يكن يحب أن يعرفه أحد. وقلتُ لنفسي: «والآن، ماذا هنالك في المقاطعة يريد أن يعرفه؟» إننا لا نرى الكثرين من الأشخاص الكبار هنا على الحدود؛ وعلى أية حال، إنني لم أسمع قط عن أي شخص مثل ذلك الشخص الأسود.

وقلت له وأنا أخرج لملقاته: «طاب يومك، هذا الطريق لا يعود إلى أي مكان، وأياً كان المكان الذي ترید الذهاب إليه، فإن أسرع طريق لك هو أن تعود إلى الطريق الرئيسي». لم تعجبني نظراته؛ وعندما خرج جريباً، فإنه تشم مرة واحدة وتبغ مرة واحدة كما لو كان قد لُدُغ: وأنزل ذيله وراح يعوي وينبح. كان الشخص الأسود يجلس ساكتاً تماماً.

وقال لي، في بطء وكأنه متجمد، وهو يشير نحو الغرب، فوق حقولي: لو تسمح لي بقول ذلك – قال: «هل رأيت باجينز؟» – سألني هذا السؤال بصوت غريب، وانحنى للأمام تجاهي. لم أر أي وجه؛ لأن قلنسوته كانت مدللة لأسفل كثيراً؛ وأحسستُ بقشعريرة ما تسرى في ظهري. ولكنني لم أتبين لماذا جاء يركب حصانه في أرضي بكل هذه الجرأة.

وقلت له: «أغرب من هنا! ليس هناك أي باجينزيين هنا. أنت في الجزء الخطأ من المقاطعة. من الأفضل لك أن تعود إلى الغرب إلى قرية الهوببيين – ولكن يمكنك الذهاب عبر الطريق الرئيسي في هذه المرة».

وأجايني في همس: «لقد ذهب باجينز. إنه قادم. إنه ليس بعيداً. أتمنى أن أجده. إذا مر من هنا فهل ستخبرني؟ سوف أعود إليك ثانية بالذهب».

«فقلت له: «كلا، لن تعود. سوف تعود إلى حيث تسكن، بسرعة كبيرة. إنني أعطيك دقيقة واحدة قبل أن أنادي على كلابي».

وأصدر صوتاً شبيهاً بالهبيس. ربما كان ذلك ضحكاً، وربما لا. بعد ذلك فإنه همز حصانه الضخم باتجاهي مباشرة، وقفزت بعيداً عن طريقه في الوقت المناسب تماماً. وناديت على الكلاب، ولكنه مال بحصانه، وانطلق عبر البوابة ومنها إلى الطريق الضيق نحو الطريق الممهد مثل صاعقة رعدية. ما رأيك في ذلك؟

جلس فرودو للحظة ينظر إلى النار، ولكن كان تفكيره الوحيد منصبًا على الطريقة التي يمكنهم أن يصلوا بها إلى المعدية؛ وتحدت أخيراً وقال: «لا أدرى ماذا أعتقد». وقال ماجوت: «في هذه الحالة سوف أخبرك ما تعتقد وتقول. «كان ينبغي عليك إلا تختلط مع قوم قرية الهوبيتين يا سيد فرودو. الناس غربيو الطباع هناك». وتحرك سام في مقعده، ونظر إلى الفلاح بعين غير ودود. «ولكنك كنت دائمًا شخصاً متهوراً. عندما سمعت أنك تركت أفراد البرانديك وذهبت إلى ذلك العجوز السيد بيلبو، قلت إنك ستعرض للمنافع والمشاكل. تذكر كلماتي، كل هذا جاء من تلك الأفعال الغريبة للسيد بيلبو. يقولون إنه قد حصل على الأموال التي كانت معه بطريق غريبة في مناطق غريبة. ربما يكون هناك بعض من يريدون أن يعرفوا ماذا حدث للذهب والمجوهرات التي تدفنتها في قرية الهوبيتين، على ما أسمع؟».

ولم يقل فرودو أي شيء: كانت التخمينات الماكنة للفلاح فطنة للغاية. وواصل ماجوت كلامه: «حسناً يا سيد فرودو. أنا سعيد بحسن تدبيرك وقرارك العودة إلى بكلاند مرة أخرى. نصحيتك لك: ابق هناك! ولا تختلط بأولئك الأشخاص غربيي الأطوار. سيكون لك أصدقاء في هذه الأجزاء. إذا جاء أي من هؤلاء الأشخاص السود وراءك مرة أخرى، فسوف أتعامل أنا معهم. سوف أقول إنك مت، أو تركت المقاطعة، أو أي شيء من هذا القبيل. وربما تكون ذلك حقيقياً بما يكفي؛ لأنه - من المحتمل - أن من يريدون معرفة أخباره هو السيد بيلبو».

وقال له فرودو، محاولاً تقاضي عين الفلاح ومدققاً في النار: «ربما تكون على صواب».

ونظر إليه ماجوت في استغراق، وقال: «حسناً، أرى أن لديك أفكاراً خاصة بك. ومن الواضح وضوح الشمس أنه ليس مصادفة أن تأتي أنت والخيال إلى هنا في نفس الوقت بعد ظهر اليوم؛ وربما لم تكن الأخبار التي قلتها لك أخباراً عظيمة بالنسبة لك، على أية حال. أنا لا أطلب منك أن تخبرني بما ت يريد أن تحفظ به لنفسك؛ ولكنني أرى أنك في ورطة ما. ربما أنك تفكرين في أن الأمر ليس سهلاً جداً للوصول إلى المعدية دون أن يمسكوا بك؟».

وقال له فرودو: «كنت أفكر في ذلك. ولكن يجب علينا أن نحاول، ونصل إلى هناك؛ ولن يتم ذلك بالجلوس هنا والتفكير؛ ولذلك، فإبني بكل أسف أرى أننا يجب أن نذهب الآن. شكرًا جزيلاً لك حقاً على لطفك! لقد كنت في غاية الرعب منك، ومن كلامك، على مدى ما يزيد على ثلاثين سنة، أيها الفلاح ماجوت، على الرغم من أنك قد تضحك على ذلك. بكل أسف: لقد فقدت صديقاً طيباً. والآن إنني آسف لأن أغادر سريعاً جداً. ولكن ربما أعود مرة أخرى في يوم من الأيام - إذا أتيحت لي الفرصة لذلك».

وقال له ماجوت: «سوف تكون على الرحب والسعة عندما تأتي. ولكن الآن لدى فكرة. الوقت قرابة الغروب بالفعل، وسوف نتناول عشاءنا؛ لأننا في الغالب ننام بعد الشمس مباشرة. فإذا كان بالإمكان أن تبقى أنت والسيد بيرجرين وكلكم جمِيعاً معنا وتأكلوا معنا لقمة، فإننا سنكون سعداء بذلك!».

ورد عليه فرودو قائلاً: «وهكذا يجب علينا أن نفعل! ولكن لا بد أن نمضي الآن في الحال، بكل أسف. حتى الآن، فإن الدنيا ستظلم قبل أن نصل إلى المعدية».

«آه! ولكن انتظر دقيقة! كنتُ سأقول: بعد أن نتناول العشاء معاً، سوف أخرج عربة صغيرة، وسوف أوصلكم جميعاً إلى المعدية. سوف يوفر عليكم ذلك الكثير من الوقت، وربما ينقذكم أيضاً من مشكلة من نوع آخر».

و قبل فرودو الآن الدعوة بكل امتنان، وقد كان ذلك شيئاً مريحاً ومرضياً لكل من بيبين وسام. كانت الشمس بالفعل وراء التلال الغربية، وكان الضوء يضعف. ودخل اثنان من أبناء ماجوت، وبناته الثلاث، ووضع عشاء سخي على طاولة كبيرة. أضيء المطبخ بالشمع، وتم إصلاح النار. راحت زوجة السيد ماجوت تذرع المكان دخولاً وخروجاً. ودخل فرداً آخران من الهوبيتين يسكنان في بيت المزرعة. وفي وقت قصير، جلس أربعة عشر فرداً على الطاولة لتناول العشاء. كان هناك الكثير من البيرة، وكان هناك طبق هائل من عيش الغراب واللحم، بالإضافة إلى الكثير من أطعمة بيت المزرعة الجافة. رقدت الكلاب إلى جوار النار وراحت تنخر القشور والظامان المكسرة. عندما انتهوا من تناول العشاء، خرج الفلاح وابنه ومعهم فانوس وجهاز الـarabia. كانت الدنيا ظلاماً في قناء البيت، عندما خرج الضيوف. ألقوا بأمتعتهم على ظهر العربة وركبوا. جلس الفلاح في مقعد السائق، وضرب فرسه ضخمي البنية بالسوط. وقف زوجته في ضوء الباب المفتوح؛ وصاحت:

«انتبه لنفسك يا ماجوت! ولا تتجادل مع أي غرباء، وعد إلى البيت مباشرة!».

ورد عليها الفلاح «سوف أفعل!» وانطلق بالعربة خارجاً من البوابة. لم يكن هناك وقتها أي نسمة من رياح متحركة؛ كانت الليلة ساكنة وهادئة، وكانت في الجو لسعة برد. ذهبوا دون مصابيح وساروا في طريقهم ببطء. بعد ميل أو ميلين انتهي الطريق الضيق، وقطع خندقاً عميقاً، وصعد منحدراً مرتفعاً ليصل إلى الطريق المعد ذي الحافتين العاليتين.

نزل ماجوت من على العربة، ونظر نظرة متفرضة في كلا الاتجاهين، شمالاً وجنوباً، ولكن لم يكن هناك أي شيء يمكن أن يراه في الظلمة، ولم يكن هناك أي صوت في الهواء الساكن. كانت هناك خيوط رقيقة من سديم النهر معلقة فوق الخنادق، وتزحف فوق الحقول؛ وقال:

«سيصير الضباب كثيناً والظلام دامساً، ولكن لن أضيء فانوسى حتى أدور لأنعود إلى البيت. سوف تسمع أي شيء على الطريق قبل أن تقابله بكثير هذه الليلة».

كانت المسافة من طريق ماجوت وحتى المعدية خمسة أميال أو يزيد. غطى الهوببيتون أنفسهم، ولكن آذانهم كانت مشرعة لالتقاط أي صوت فوق ضرير العجل وصوت حوافر الأفراس البطيء. بدأ العربية بالنسبة لفرودو أبطأ من قواعده. كان بيدين بجواره يحني رأسه نعاساً، ولكن سام كان يحدق للأمام في قلب الضباب المرتفع.

وأخيراً وصلوا إلى المدخل المؤدي إلى طريق المعدية. كان معلماً بعمودين أبيضين طويلين لا حا فجأة على يمينهم. شد الفلاح ماجوت عنان فرسيه، وتوقفت العربية. لم يكادوا ينزعون أغطيتهم ليخرجوا من العربية حتى سمعوا ما كانوا يخشونه جميعاً: حوافر خيل على الطريق أمامهم. كان الصوت قادماً باتجاههم.

قفز ماجوت من على العربية ووقف يمسك برأسى فرسيه، ويحدق للأمام في الظلام الدامس. وجاء الخيال الذي كان يقترب باتجاههم تسمع أصوات حوافر حصانه (كليب - كلوب، كليب - كلوب). كان وقع أصوات الحوافر عالياً في الهواء الساكن المشبع بالضباب.

وقال سام في قلق: «من الأفضل أن تخفي يا سيد فرودو. انزل أنت في العربية وغط نفسك بالبطاطين، وسوف نرسل نحن هذا الخيال إلى المكان الصحيح!» ونزل من على العربية وذهب إلى حوار الفلاح. يجب على الخيالة السود أن يطأوا فوق جسده قبل أن يقتربوا من العربية.

كليب - كلوب، كليب - كلوب. كان الخيال عندهم تقرباً.

ونادى الفلاح ماجوت: «من هناك!» وتوقفت الحوافر المتقدمة على مقربة منهم. اعتقادوا أنه يمكنهم أن يخمنوا في غير تأكيد في هذه الظلمة أنهما رأوا شكلاً أسود ملفعاً بمعطف في الضباب، على بعد ياردة أو اثنتين منهم.

«والآن، ماذا بعد؟»؛ قالها الفلاح وهو يرمي بعنان فرسيه إلى سام ويمشي بخطوات واسعة إلى الأمام. «لا تقدم وتقترب خطوة واحدة! ماذا تريد، وأين تذهب؟».

وقال له الصوت المكتوم: «أريد السيد باجينز. هل رأيته؟». ولكن الصوت كان صوت ميري برانديك. وأزيل الغطاء عن فانوس أسود، ووقع ضوءه على وجه الفلاح المذهول؛ وصاح:

«السيد ميري!».

«نعم، بالطبع! من تعتقد أنتي سأكون؟» – قالها ميري وهو يتقدم للأمام. وبينما خرج من السليم، واستقرت مخاوفهم، بدا فجأة وقد انكمش ليصير بحجم الهوبتيين العادي. كان يركب فرساً، وكان يلف لاسة حول رقبته وفوق ذقنه حتى يحمي نفسه من الضباب.

وقف فرودو خارجاً من العربية ليحييه؛ وقال ميري: «وهكذا، هو أنت ذا أخيراً!» بدأت أسئلإن كنت ستأتي اليوم على الإطلاق، وكنت سأعود في الحال لتناول العشاء. وعندما ملا الضباب والشبورة الجو، عبرت الطريق وركبت حصاني صاعداً باتجاه ستوك لأرى إن كنت قد وقعت في أي حفرة مصرف. ولكنني سعيد ومحظوظ إذا عرفت أي طريق أتيت منه. أين وجدتهم يا سيد ماجوت؟ في بركة البط خاستك؟».

رد عليه الفلاح قائلاً: «كلا، أمسكت بهم يعتدون على أرضي، وأطلقت عليهم كلامي تغريباً، ولكنهم سيخبرونك القصة بالكامل، ليس لدي شك في ذلك. والآن، بإذنك يا سيد ميري ويا سيد فرودو، بإذنكم جميعاً، من الأفضل أن أدور بعربتي وأعود إلى البيت. سوف تزداد السيدة ماجوت قلقاً على قلق مع ازدياد الليلة ظلمة».

وعاد بالعربة للوراء إلى الطريق ودار بها، وقال لهم محيياً: «حسناً، طابت ليلتكم جميعاً. لقد كان يوماً غريباً، بدون شك. ولكن الأمور بخواتيمها؛ على الرغم من أنه ينبغي علينا ألا نقول ذلك حتى نصل إلى أبواب دورنا. لن أنكر أنتي سأكون سعيداً عندما أصل». وأضاء مصابيحه وانطلق في طريقه. وفجأة أخرج سلة كبيرة من تحت المقعد، وقال: «لقد كنت سأنسى تغريباً. السيدة ماجوت أعدت هذه للسيد باجينز، مع خالص تحياتها». وأعطى السلة لهم وانطلق بعربته، تتبعه كلمات شكر جماعية وتحياتليلة طيبة.

شاهدوا حلقات الضوء الشاحبة حول المصايبح وهي تتلاشى في الليلة كثيفة الضباب والسديم. وفجأة صاح فرودو: صعدت من السلة المغطاة التي كان يمسك بها رانحة عيش الغراب.

## الفصل الخامس

### كشف القناع عن المؤامرة

وقال ميري: «والآن من الأفضل أن نذهب نحن كذلك إلى البيت. هناك شيء ما غريب في كل ذلك، فيرأي؛ ولكن لا بد ألا تتعجل ذلك حتى نصل إلى البيت». واستداروا باتجاه طريق المعدية، والذي كان مستقيماً، ومعبداً جيداً، وذا حواف من الحجر الأبيض الناصع. في غضون مائة ياردة أو ما يناظر ذلك، قادهم الطريق إلى ضفة النهر، حيث كانت هناك منصة تحمل خشبية عريضة. كانت هناك معدية كبيرة راسية بجوارها. كانت مرابط الحال البيضاء بالقرب من حافة المياه تلمع في ضوء المصباحين المعلقين على عمودين عاليين. كان السديم وراءهم في الحقول الممتدة المسطحة الآن فوق السياجات الشجرية؛ ولكن المياه أمامهم كانت داكنة اللون، لم يكن هناك سوى عدة خيوط مجعدة قليلة مثل البخار بين أعوداد القصب على الضفة. وبدا الضباب على الجانب الآخر أقل كثافة.

قاد ميري الفرس على مجاز خشبي على المعدية، وتبعه الآخرون. بعد ذلك راح ميري يدفع المعدية ببطء مستخدماً قائماً طويلاً. كان نهر براندي وابن يتدفق في بطء واسع أمامهم. على الجانب الآخر، كانت الضفة عالية منحدرة، وأعلاه طريق متعرج يصعد من المحيط الآخر. كانت المصابيح تتوجه هناك. وكان يلوح وراءهم تل باك هيل؛ وكان يسطع خارجاً منه - عبر أغطية متباينة من السديم - الكثير من النوافذ، صفراء وحمراء. كانت هذه نوافذ براندي هوول، المنزل القديم لأفراد البرانديين.

منذ زمن طويل مضى، عبر النهر جورهينداد<sup>(1)</sup> أو لدبك<sup>(2)</sup>، كبير عائلة الأولدبك، وهي عائلة من أقدم العائلات في المستنقع أو في واقع الأمر في المقاطعة؛ وهذا النهر هو الحد الأصلي للأرض باتجاه الشرق. وقد بنى (وحفر) براندي هوول، وغير اسمه إلى برانديينك، واستقر به المقام هناك. وأصبح سيد ما كان في واقع الأمر بلداً صغيراً مستقلاً. وكبرت عائلته وكبرت، واستمرت تكبر بعد أيامه، حتى شغلت براندي هوول كل التل المنخفض، وكان لها ثلاثة أبواب أمامية، والعديد من الأبواب الجانبية،

(1) Gorthendad - هذه الكلمة من لغة ويلاز، ومعناها (great-grandfather) أي أبو الجد - ولكن المؤلف يرى تركها هكذا دون ترجمة. (المترجم)

(2) Oldbuck - وتكون الكلمة من جزأين كلمة (buck); ومعناها (ظبي أو وعل)؛ وكلمة (Old)، ومعناها عجوز. (المترجم)

وحوالي مائة نافذة. وبعد ذلك، بدأ أفراد البرانديك وأتباعهم الكثيرون في الحفر، وبعدها في البناء، في كل مكان حولهم. كان ذلك هو أصل بكلاند، شريط كثيف السكان بين النهر والغابة العجوز، نوع من المستعمرة من المقاطعة. وكانت قريتها الرئيسية بـبكلينبرى، وكانت تجتمع وتتلاقى في الصناف والمendirات خلف براندى هول.

كان الناس في المستنقع ودودين مع سكان البِلَانْد، وكانت سلطة سيد القصر<sup>(١)</sup> (حسبما كان يُطلق على كبير عائلة برانديك) لا تزال مُعرِّفًا بها من جانب الفلاحين بين ستوك وراثي<sup>(٢)</sup>. ولكن معظم المقيمين في المقاطعة القديمة كانوا ينظرون إلى سكان بِلَانْد على أنهم غربي الأطوار، أنصاف أجانب كما كان الأمر. على الرغم من أنهم لم يكونوا ، في واقع الأمر ، مختلفين جداً عن الهوببيتين الآخرين في الأربعين الأربعة<sup>(٣)</sup>. باستثناء نقطة واحدة: أنهم كانوا مغرمين بالقوارب ، وكان البعض منهم يستطيع العوم . كانت الأراضي في الأصل غير محمية من الشرق؛ ولكن في تلك الناحية بنوا سوراً: السور العالى<sup>(٤)</sup>. وقد زُرِع منذ أجيال كثيرة ، وصار الآن كثيفاً وطويلاً، لأنه كان يلقى رعاية مستمرة . كان يجري بطول الطريق من جسر براندي واين ، في حلقة كبيرة تتحنى لتدور بعيداً عن النهر ، إلى نهاية السور<sup>(٥)</sup> (حيث يتذبذب نهر وِيذِي وِينِدل<sup>(٦)</sup> خارجاً من الغابة إلى نهر براندي واين): يزيد اتساعه على عشرين ميلاً. ولكن - بالطبع - لم يكن ذلك حماية كاملة. كانت الغابة قريبة من السور في أماكن عديدة. كان أفراد البِلَانْد يغلقون أبواب دورهم عند حلول الظلام ، وهذا - أيضاً - لم يكن عادةً في المقاطعة.

تحركت المعدية ببطء عبر الماء، ازداد شاطئ بكلاند قرباً. كان ساعم الفرد الواحد في المجموعة الذي لم يركب النهر من قبل: حياته القديمة تقع هناك وراءه في طبقات السديم، في حين تقع المغامرة الغامضة أمامه. حك رأسه، وللحظة جالت بخاطره أمنية أن لو كان فرودو قد استمر في العيش في هدوء في باج إيند.

ونزل الهوبيتون الأربعه من على المعدية. كان ميرى يقمع بريطها، وكان يسفن

(١) Master of the Hall - أبا زيد حمّتها هذه الفرحة لأنها أقرب ما تكون إلى الصف الذي ضعه المؤلف لها. (المترحم)

Rushey (2)

(3) الأربع الأربعة Four Farthings – المعنى الأصلي لكلمة (Farthings) في اللغة الإنجليزية هو (الجزء الرابع «أي ربع بنس») – والإشارة هنا إلى أقسام المقاطعة (Shire)، حيث كانت مقسمة إلى أربعة أرباع – الشرقي، الغربي، الشمالي، الجنوبي. (المترجم)

- كلمة (hay) هنا تعني (fence) وليس (grass) - أي سور - السور العالى (المترجم) (4)

(٥) نهاية السور - (Hedge's end)، وتقابل في الإنجليزية (hedge's end) (المترجم)

(6) **Withywindle** – اسم نهر، وهو نهر متعرج تحيط به willows (withies) – أي أشجار الصفصاف؛ أما windle فلم تأت في اللغة الإنجليزية (حسب المؤلف). (المترجم)

بالفعل يقود الفرس عبر الطريق، عندما قال سام (الذي كان ينظر للوراء، وكأنه كان يودعمقاطعة) في همس أحش: «انظر خلفك يا سيد فرودو! هل ترى أي شيء؟».

على الساحة البعيدة، أسفل المصايبع البعيدة، لم يستطعوا سوى أن يتبعوا شكلاً واحداً: كان يبدو كصورة سوداء مظلمة نسيها القوم وراءهم. ولكن عندما نظروا، بدت وكأنها تتحرك وتنمايل إلى هذا الجانب وإلى ذاك، كما لو كانت تفتش في الأرض. بعد ذلك راحت تزحف، أو جثمت على الأرض، عائدة إلى الظلام الكالح فيما وراء المصايبع. وتساءل ميري مستغرباً: «أي شيء في المقاطعة ذلك؟».

وقال فرودو: «شيء ما يتبعنا. ولكن لا تسأل أي أسئلة أكثر من ذلك الآن! دعونا نمش بعيداً من هنا في الحال!» وأسرعوا عبر الطريق إلى قمة الضفة، ولكن عندما نظروا وراءهم كانت الضفة البعيدة مغلفة بالسديم، ولم يكن يرى أي شيء.

وقال فرودو: «الحمد لله أنه ليس لديك مراكب على الضفة الغربية. هل تستطيع الخيل أن تعبر النهر؟».

وأجابه ميري قائلاً: «يمكن أن تذهب عشرين ميلاً إلى الشمال من جسر براندي واين – أو ربما تسبح في الماء. على الرغم من أنتي لم أسمع قط عن أي حصان يعبر براندي واين سابحاً. ولكن ما شأن الخيل بذلك؟».

«سوف أخبرك فيما بعد. دعونا ندخل وبعد ذلك يمكننا أن نتحدث».

«حسناً! أنت وبيبين تعرفان طريقكم؛ ولذلك فإنني سوف أركب فرسي وأخبر فاتي بولجر أنكم قادمون. سوف نتفقد الأمر بشأن العشاء وأشياء أخرى».

ورد فرودو قائلاً: «لقد تناولنا عشاءنا قبل ذلك مع الفلاح ماجوت، ولكن يمكننا أن نتناول عشاء آخر».

«سوف تتناوله! أعطني تلك السلة!» قال ميري ذلك، وسار بفرسه للأمام في الظلمة.

كان نهر براندي واين يبعد بعض الشيء عن منزل فرودو الجديد في كرييك هولو. مررًا بـ «بك هيل» وبراندي هول على يسارهم، وفي ضواحي بـ كلييري مرروا بطريق بـ كلاند الرئيسي الذي كان يجري من الجسر. على بعد نصف ميل نحو الشمال عبر هذا الطريق وصلوا إلى طريق يفتح على جانبهم الأيمن. وتبعوا هذا الطريق لمسافة ميلين حيث سار بهم صعوداً وهبوطاً إلى البلدة.

وفي النهاية وصلوا إلى بوابة ضيقة في سياج كثيف. لم يكن يرى أي شيء في الظلمة: كانت تقف في آخر الطريق وسط دائرة كبيرة من العشب الأخضر محاطة

بحزامٍ من الأشجار القصيرة داخل السياج الخارجي. لقد اختار فرودو هذا البيت لأنَّه كان في ركنٍ يبعد عن الطريق في البلدة، ولم تكن هناك أي مساكن قرية منه. يمكن للشخص أن يدخل ويخرج دون أن يلحظ ذلك أحد. لقد بُني منذ زمنٍ طويٍّ، بناءً أفراد البرانديك، لاستخدام الضيوف، أو أفراد الأسرة الذين كانوا يرغبون في الهرب من حياة براندي هول المزدحمة لبعض الوقت. كان منزلًا ريفيًّا عتيق الطراز، يشبه قدر الإمكان منازل الهوببيين: كان طويلاً ومنخفضاً، ولم يكن به طابق علوي؛ وكان سطحه من العشب، ونوافذه دائرة، كان الباب دائرياً كبيراً.

بينما كانوا يمشون عبر الممر الأخضر من البوابة لم يكن هناك أي ضوء مرنٍ؛ كانت النوافذ مظلمة ومغلقة بالمصاريع. دق فرودو على الباب، وفتحه فاتي بولجر. وخرج منه ضوءٌ خفيف. وانسلوا نحو الداخل بسرعة وأغلقوا على أنفسهم وعلى الضوء. كانوا في ردهة واسعة بها أبواب من كلا الجانبين؛ كان أمامهم ممر يسير عائداً عبر وسط البيت.

وسأله ميري وهو يسير عبر الممر: «حسناً، ما رأيك في البيت؟ لقد بذلنا قصارى جهدنا في وقت قصير لنجعله يبدو مثل بيتك. على أية حال قد جئنا أنا وفاني بأخر عربة محملة بالأمس».

ونظر فرودو حوله. إنه يبدو مثل بيته. الكثير من أشيائه المفضلة – أو أشياء بيلبو (كلها كانت تذكره به كثيراً في مواضعها الجديدة) – رُتبت مثلاً كانت في باج إيند تقريراً قدر المستطاع. كان مكاناً لطيفاً، مريحاً، ساراً؛ ووجد نفسه يتمنى أن لو كان حقاً قد قدم إلى هنا ليستقر في عزلة هادئة. بدا من غير العدل أنه عرض أصدقاءه لكل هذه المتاعب؛ وتساءل مرة أخرى عن الطريقة التي سيفشى بها الأخبار لهم، ويخبرهم أنه سوف يكون مضطراً لأن يتركهم قريباً جداً، في الواقع الأمر في الحال. ولكن كان لزاماً أن يفعل ذلك في تلك الليلة بعينها، قبل أن يذهبوا جميعاً للنوم.

وقال لهم في جهدٍ كبير: «إنه رائع. لا أكاد أشعر أنني قد انتقلت من منزلي على الإطلاق».

وعلى المسافرون معاطفهم، وكوموا أمتعتهم على الأرض. قادهم ميري عبر الممر وفتح باباً في النهاية البعيدة. وخرج ضوء النار، وهبة من البخار.

وصاح بيبي: «حمام! يا لسعادتك يا ميريادوك!»

وقال فرودو: «ما هو ترتيب دخولنا؟ «الأكبر أولاً، أم الأسرع أولاً؟ سوف تكون أنت الأخير في الحالتين يا سيدى بيرجرين».

وقال ميري: «ثق بي لأرتُب الأشياء بطريقة أفضل من ذلك! لا يمكننا أن نبدأ

الحياة في كرييك هولو بشجار على الحمامات. في هذه الغرفة، هناك ثلاثة أحواض للاستحمام ووعاء نحاسي مليء بماء مغلي. هناك يشاكيه كذلك، ومماسح للأرجل وصابون. ادخلوا، بسرعة!».

ذهب ميري وفاتها إلى المطبخ في الجانب الآخر من الممر وانشغل الاثنان في الإعدادات النهائية لعشاء متاخر. جاءت تُنفَّ من أغاني متصارعة من الحمام ممزوجة بصوت المياه المتناثرة والصراخ. وارتفع صوت بيبين فجأة فوق كل الأصوات الأخرى بأغنية من أغاني الحمام المفضلة لييلبو.

غنى هنا! للحمام في نهاية اليوم  
يعسل الوحل المتعجب بعيداً!  
المجنون هو الذي لن يغنى:  
ياه! الماء الساخن شيء ممتاز!

ياه! جميل صوت المطر الساقط،  
والجدول الذي يقفز من تل لسهول؛  
ولكن الأفضل من المطر والجداول الرقرقة  
الماء الساخن الذي يدخن ويتبخر.

ياه! الماء البارد قد تصبه عند الحاجة  
في حلق عطشان وتكون سعادة حقاً؛  
ولكن البيرة أفضل، إذا كانا نحتاج للشراب،  
والماء الساخن تصبه على الظهور.

ياه! الماء جميل ذلك الذي يقفز عاليًا  
في نافورة بيضاء تحت السماء؛  
ولكن لم يكن صوت النافورة أبداً حلواً  
مثل صوت تناير المياه الساخنة على قدمي!

كانت المياه تناثر بشكل جنوني، وكانت صيحات فرودو عالية وكأنه يطلب التوقف. كان يبدو أن الكثير من حمام بيبين كان يقلد نافورة تقفز عاليًا.

ذهب ميري إلى الباب، ونادى: «ماذا عن العشاء والبيرة في الحلق؟» وخرج فرودو وهو يجف شعره؛ وقال:

«هناك ماء كثير في الهواء لدرجة أنني قادم إلى المطبخ لأنه به». .

وقال ميري وهو ينظر بالداخل: «يا للهول!»، حيث كانت الأرضية الحجرية تغرق في الماء، وقال: «ينبغي عليك أن تمسح هذه الأرضية وتنظفها قبل أن تأكل يا بيرجرين. أسرع، وإلا فإننا لن نتظرك».

وتاولوا العشاء في المطبخ على طاولة بالقرب من النار. «أعتقد أن ثلاثكم لن تحتاجوا إلى عيش الغراب مرة أخرى» - قال لهم فريديجار ذلك دون الكثير من الأمل.

قال بيبيين صائحاً: «نعم، سوف نحتاج إليه».

وقال فرودو: «إنه يخصني. لقد أعطته لي السيدة ماجوت، ملكة بين زوجات الفلاحين. أبعد يديك الجشتين عنه، وسوف أعطيك أنا منه».

يحب الهوبيتيون عيش الغراب حباً جماً، بل ويتجاوز ولع أكثر الناس الكبار شراسة. وهذه حقيقة نفس الرحلات الطويلة التي كان يقوم بها فرودو الصغير إلى حقول المستنقع المشهورة، والغضب الشديد لما جوت المظلوم. في هذه الأوقات كان هناك الكثير للجميع، حتى وفقاً لمعايير الهوبيتيين أنفسهم. كما كانت هناك أشياء أخرى كثيرة لا تبعها، وعندما انتهوا، حتى فاتي بولجر تنهى رضا. ودفعوا الطاولة للوراء، وسحبوا المقاعد حول النار.

وقال ميري: «سوف تنظف كل شيء فيما بعد. والآن، أخبروني بكل شيء عن ذلك! أعتقد أنكم تعرضتم لمغامرات، الأمر الذي لم يكن عادلاً بدني. أريد سرداً تفصيلياً كاملاً؛ والأكثر من ذلك كله أريد أن أعرف ماذا كان شأن ماجوت العجوز، ولماذا كان يتحدث إلى بهذه الطريقة. لقد بدا وكأنه كان مرعوباً، إذا كان ذلك ممكناً. «لقد كنا جميعاً مرعوبين»؛ قالها بيبيين بعد توقف، وكان فرودو خلال هذا التوقف ينظر إلى النار ولم ينبع بذلت شفة. وقال مكملاً: «وأنت كذلك كان سيعتريك الرعب لو أن خيالة سوداً كانوا في مطاردتك لمدة يومين». «وماذا يكون هؤلاء؟».

وأجابه بيبيين قائلاً: «شخص سود يركبون خيلاً سوداء. إذا لم يكن فرودو يرى أن يتحدث، فسوف أخبرك الحكاية بالكامل من البداية». وعند ذلك قص عليه تفاصيل رحلتهم بدايةً من وقت مغادرتهم لقرية الهوبيتيين. هز سام رأسه مرات عديدة مؤيداً كلامه. وظل فرودو صامتاً.

قال ميري: «كنتُ سأعتقد أنكم كنتم مستمتعين بالرحلة لو لم أر هذا الشكل الأسود

عند الجسر، وسمعت تلك التبرة الغريبة في صوت ماجوت. وماذا - في رأيك - كان ذلك يا فرودو؟».

وقال بيبين: «لقد كان ابن العم فرودو كثوماً جداً ولم يتكلم. ولكن حان الوقت له لأن يتكلم ويُفْشِي ما بصدره. حتى الآن لم نُعط أي شيء نهدي به أكثر من تخمين الفلاح ماجوت أن ذلك له شأن بكنز بيلبو العجوز».

رد فرودو في عجل: «كان ذلك مجرد تخمين. ماجوت لا يعرف أي شيء». ورد ميري قائلاً: «ماجوت العجوز شخص ماكر. هناك الكثير جداً مما يحدث خلف وجهه المستدير، ولا يخرج في حدّيثه. لقد سمعت أنه كان يذهب إلى الغابة العجوز في وقت من الأوقات، وعرف عنه أنه يعرف الكثير من الأشياء الغريبة. ولكن يا فرودو يمكنك على الأقل أن تخبرنا ما إذا كان تخمينه جيداً أم سيراً».

وأجابه فرودو ببطء: «أعتقد أنه كان تخميناً جيداً، بالقدر الممكن بالنسبة له. ذلك له صلة بمخاطر بيلبو القديمة، وهؤلاء الخيالة يبحثون، أو ربما ينبغي أن نقول يفتشون، عنه أو عنى. كما أنتي أخشي - إذا كنتم تريدون العلم - أن هذا ليس مزاحاً على الإطلاق؛ وأنتي لست في أمان هنا أو في أي مكان آخر». ونظر حوله على النوافذ والجدران، كما لو كان خائفاً أنها ستفتح فجأة. ونظر الآخرون إليه في صمت، وتبادلوا نظرات ذات مغزى فيما بينهم.

وهمس بيبين لميري قائلاً: «سوف يأتي التفسير بعد دقيقة». وهز ميري رأسه. «حسناً!»، قالها فرودو أخيراً، وقد جلس في مكانه وجعل ظهره في وضع مستقيم، كما لو كان قد اتخاذ قراراً. «لا يمكنني أن أخفِي الأمر إلى أكثر من ذلك. لدى شيء يجب أن أخبركم به، ولكني لا أدرِي على وجه التحديد كيف أبدأ».

وقال ميري في هدوء: «أعتقد أنه بإمكانني أن أساعدك، وذلك بأن أخبرك أنا بجزء منه».

وقال فرودو، وهو ينظر إليه في قلق: «ماذا تعني؟».

«بساطة - يا عزيزي فرودو العجوز - الأمر هكذا: أنت باس لأنك لا تعرف كيف تقول إلى اللقاء. كنت ترید أن تغادر المقاطعة - بالطبع. ولكن الخطر داهنك أسرع مما كنت تتوقع، والآن أنت تقرر أن تذهب في الحال. وأنت لا ترید ذلك. إننا آسفون جداً لك».

وفتح فرودو فمه وأغلقه مرة أخرى. كان منظره المذهول هزلياً لدرجة أنهم ضحكوا جميعاً. وقال بيبين: «عزيزي فرودو العجوز! هل اعتَدْتَ فعلاً أنك قد خدعتنا جميعاً؟ إنك لم تكن حريراً أو ذكياً بالقدر الكافي تقريراً بالنسبة لذلك! لقد كنت - بكل وضوح - تخطط للمغادرة وترك كل هذه الأشباح التي تتنابك طوال هذه السنتين

منذ شهر إبريل. لقد سمعناك باستمرار تقول مفجعماً: «هل سيحدث أبداً أن أنظر لأسفل في هذا الوادي مرة أخرى، إنني أتساءل»، وأشياء من هذا القبيل. و كنت تظاهر أن مالك قد نفد، و قمت بالفعل ببيع منزلك - منزل باج إيند المحبوب - لأفراد الساكنين باجينز هولاء! وكل هذه الأحاديث السرية المكتومة مع جنديف».

قال فرودو: «يا إلهي! لقد ظننت أنني كنت حريصاً وذكيّاً على السواء. لا أدرى ما الذي يمكن أن يقوله جنديف. هل كل المقاطعة تتحدث عن مغادرتي إذن؟».

قال ميري: «أوه، كلا! لا تقلق بهذا الخصوص! لن يستمر السر طويلاً - بالطبع؛ ولكن في الوقت الحالي - في رأيي - السر غير معروف إلا لنا نحن المتأمرين. على أية حال، يجب عليك أن تتذكر أننا نعرفك جيداً، ونحن في أحوال كثيرة معك. يمكننا في العادة أن نخمن ما تفكّر فيه. لقد عرفت بيبيو كذلك. أقول لك الحقيقة، لقد كنت أراقبك عن كثب شديد منذ أن غادر هو المقاطعة. لقد توقعت أنك ستذهب وراءه عاجلاً أو آجلاً؛ في الواقع الأمر توقعتك أنك ستذهب عاجلاً، وقد كان قلقين جداً في الفترة الأخيرة. لقد كنا مرعوبين من أنك قد تهرب منا، وترحل فجأة، وحدك تماماً مثلما فعل هو. لقد أبقينا أعيننا مفتوحة منذ هذا الربيع، وقمنا بالكثير من التخطيط بسببك أنت. إنك لن تهرب بهذه السهولة!».

وقال فرودو: «ولكن يجب علىي أن أذهب. لا يمكنني أن أمنع ذلك، يا أصدقائي الأعزاء. الأمر باشنس بالنسبة لنا جميعاً، ولكن لا فائدة من محاولتكم إيقائي. حيث إنكم قد خمنتكم كثيراً، أرجوكم ساعدوني ولا تعيقوني!».

وقال له بيبين: «أنت لا تفهم! يجب عليك أن تذهب - ومن ثم يجب علينا نحن أيضاً. سوف نأتي أنا وميري معك: سام رفيق ممتاز، ومن الممكن أن يقفز في حل التفافين لينقذك، إذا لم يطأ على قدميه هو؛ ولكنك ستحتاج إلى أكثر من رفيق واحد في مغامراتك الخطيرة».

وقال فرودو وقد تأثر كثيراً: «أعزائي وأحبابي الهوبيتين! ولكنني لن أسمح بذلك. لقد قررت ذلك منذ أمد طويل أيضاً. أنت تتحدث عن الخطير، ولكنك لا تفهم. هذه ليس رحلة بحث عن كنز، وليس رحلة تذهب وتعود فيها. إنني أفر من خطر مميت إلى خطير مميت».

قال ميري بتصميم: «بالطبع نحن نفهم. وهذا هو السبب الذي جعلنا تقرر المجيء معك. نحن نعرف أن الخاتم ليس ضحكة أو شيئاً سهلاً؛ ولكننا سنبذل قصارى جهدنا لمساعدتك ضد العدو».

قال فرودو، وقد صار مندهشاً تماماً الآن: «الخاتم!». ورد ميري قائلاً: «نعم، الخاتم. يا عزيزي الهوبيتي العجوز، أنت لا تسمع

يُفضول الأصدقاء . لقد عرفت بوجود الخاتم منذ سنتين قبل أن يرحل بيلبو ، في الواقع الأمر؛ ولكن حيث إنه كان من الواضح أنه كان يعتبره سراً ، فإني احتفظت بهذه المعرفة في رأسي ، حتى شكلنا مؤامرتنا . أنا لم أعرف بيلبو - بالطبع - مثلكما أعرفك؛ كنت صغيراً جداً ، كما أنه كان أيضاً حريصاً جداً - ولكنه لم يكن حريصاً بالشكل الكافي . إذا أردت أن تعرف كيف اكتشفت أنا ذلك أول مرة ، فسوف أخبرك الخبر» .

وقال له فرودو في تردد: «استمر!» .

«لقد كان أفراد الساكفيل باجينز هم السقطة التي وقع فيها ، كما يمكن أن تتوقع أنت نفسك . ذات يوم ، قبل عام من الحفل ، تصادف أني كنت أمشي على الطريق ، عندما رأيت بيلبو أمامي . وفجأة على بعد مسافة ظهر أفراد من الساكفيل باجينز ، كانوا قادمين في اتجاهنا . وأبطأ بيلبو من سيره ، وبعد ذلك في سرعة سحرية! اندھست جداً لدرجة أني لم أستطع أن أفك في إخفاء نفسي بطريقة أكثر اعتيادية؛ ولكنني دخلت في المسياح الشجري ومشيت عبر جانب الحقل . كنت أنظر من خلال الشجيرات إلى الطريق ، وبعد أن مر أفراد الساكفيل باجينز ، وكنت أنظر مباشرة إلى بيلبو عندما عاود الظهور مرة أخرى . وقعت عيني على ومضة ذهب وهو يعيد شيئاً إلى جيب بنطلونه .

«بعد ذلك أبقيت عيني مفتوحتين . في الواقع الأمر ، أغلّف أني كنت أجسس عليه . ولكن لا بد أن تقر بأن ذلك كان تأمرياً جداً ، ولكنني كنت في فترة مراهقتي وحسب . لا بد أني الشخص الوحيد في المقاطعة ، بالإضافة إليك يا فرودو ، الذي حدث ورأى الكتاب السري لهذا الرفيق العجوز» .

وصاح فرودو: «لقد فرأت أنت كتابه! يا إلهي في السماوات العليا! أليس هناك شيء آمن؟» .

وقال له ميري: «ليس أمّنا أكثر من اللازم ، ينبغي علىّ أن أقول . ولكنني لم ألق سوي نظرة سريعة خاطفة عليه ، وكان ذلك صعب المنال . لم يكن يترك الكتاب في المتناول أبداً . وإني لأتساءل ما الذي حدث لهذا الكتاب . إنني أود أن ألق نظرة أخرى عليه . هل هو لديك يا فرودو؟» .

«كلا . إنه لم يكن في باج إيند . لا بد أنه قد أخذه بعيداً معه» .

وواصل ميري كلامه: «حسناً ، وكما كنت أقول . احتفظت بمعرفتي لنفسي ، حتى هذا الربيع عندما أصبحت الأشياء خطيرة . عند ذلك كرّنا مؤامرتنا؛ وحيث إننا كنا جادين - أيضاً - وكنا مهتمين فعلاً ، فإننا لم نكن مدغفين أكثر من اللازم . أنت لست شخصاً سهل التعامل معه بشكل كبير ، وجذلـف أسوأ منك . ولكن إذا كنت تريد أن تقدمك لرئيسنا في البحث ، يمكنك أن أقدمه لك» .

«أين هو؟» - سأل فرودو هذا السؤال وهو ينظر حوله، كما لو كان يتوقع أن يخرج عليه من خزانة شخص مقنع وشرير.

وقال ميري: «تقدم يا سام!»؛ ووقف سام بوجه أحمر حتى أذنيه. «ها هو ذا القائم على جمع المعلومات لدينا! وقد قام بجمع الكثير، صدقني في ذلك، قبل أن يتم الإمساك به أخيراً. وبعد ذلك، إذا جاز لي القول، بدا أنه ينظر إلى نفسه بأنه تحت المراقبة، وعالج نفسه».

وصاح فرودو «سام!»، وقد شعر أن الاندهاش لا يمكن أن يصل إلى أكثر من ذلك، ووجد أنه غير قادر تماماً على أن يقرر ما إذا كان قد شعر بالغضب، أو المتعة، أو بالراحة، أو مجرد الغباء.

وقال سام: «نعم يا سيدي! أستميحك عذراً يا سيدي! ولكن لم أكن أقصد أي سوء بالنسبة لك يا سيد فرودو ولا للسيد جنديف في هذا الشأن. إن لديه عقلاً كبيراً - وهذا شيء يجب أن تأخذه في الحسبان - وعندما قلت أنت أنت ستذهب وحدك، قال هو لا! خذ شخصاً آخر معك يمكنك أن تثق فيه».

وقال فرودو: «ولكن لم يكن يبدو أنني أثق بأي أحد».

ونظر سام إليه في حزن. وقال ميري: «الأمر كله يعتمد على ما تريده. يمكنك الوثوق بنا للاحتفاظ بأي أسرار لديك - بطريقة أكثر سرية وكتماناً منك أنت نفسك. ولكن لا يمكنك أن تثق فينا في أن تواجه المصاعب بمفردك، وتذهب دون أن تقول كلمة. نحن أصدقاؤك، يا فرودو. على أية حال: الأمر كله بين يديك الآن، إننا نعرف معظم ما أخبرك جنديف به. إننا نعرف الكثير عن الخاتم. إننا خائفون بشكل مريع - ولكننا سنأتي معك، أو تتبعك مثل كلاب الصيد».

وقال سام: «وعلى أية حال يا سيدي كان ينبغي عليك أن تأخذ بنصيحة أفراد الجن. قال لك جيلدور إنه يجب عليك أن تأخذهم معك ماداموا راغبين في ذلك، ولا يمكنك أن تذكر ذلك».

«أنا لا أنكر ذلك»، قالها فرودو وهو ينظر إلى سام الذي كان يبتسم ابتسامة عريضة آنذاك. «أنا لا أنكر ذلك، ولكن لن أصدق أبداً فيما بعد أنك نائم، سواء كنت تشرخ أم لا. سوف أركل بقدمي بقوة حتى أتأكد من ذلك».

«أنت مجموعة من الأوغاد المخادعين!» - قال ذلك وهو ينابت نحو الآخرين. «ولكن تحظكم الآلهة!» وضحك، وهو ينهض ويلوح بذراعيه: «إنني أسلم. سوف آخذ بنصيحة جيلدور. لو لم يكن الخطر شريراً جداً، لكنت رقصت فرحاً. حتى والأمر كذلك، لا أستطيع أن أمنع نفسي من الفرح؛ أكثر فرحاً مما شعرت به منذ زمن طويل. لقد خفتُ هذا المساء كثيراً».

«جيد، قضى الأمر.. ثلث صيحات للكابتن فرودو ورفاقه!». وصاحوا جميعاً، ورقصوا حوله. وبدأ ميري وبيبين يغنين أغنية، وقد كانوا فيما يبدو قد أعداها لهذه المناسبة.

لقد صيفت الأغنية على نمط أغنية الأقزام التي بدأها بيلبو في مغامرته منذ زمن طويل، وسارت على نفس اللحن واللغمات:

نقول إلى اللقاء للمدفأة والردمة!  
على الرغم من أن الريح قد تهب ويهطل المطر،  
يجب أن نمضي قبل انبلاج الصبح  
بعيداً في الغابات وفوق الجبال العالية.

إلى ريفيندل، حيث لا تزال الجن تسكن  
في تجاويف أسفل الهضبة الغائمة،  
نسير في عجلة عبر المستنقعات والقفار،  
وإلى أين المسير؟ لا نستطيع أن نقول.

الأعداء أمامنا، و الخوف خلفنا،  
تحت السماء سيكون مخدعنا،  
حتى يزول في النهاية كدحنا وكدنا،  
و تنتهي رحلتنا، و تتجه مهمتنا.

يجب أن نمضي! يجب أن نمضي!  
سوف نسير قبل انبلاج الصبح!

وقال فرودو: « رائع جداً ! ولكن في هذه الحالة هناك أشياء كثيرة يجب أن نفعلها قبل أن نذهب للفراش - تحت سقف ، طوال هذه الليلة على أية حال ». ورد بيبين قائلاً: «أوه ! لقد كان ذلك شرعاً ! هل تتوi فعلًا أن تبدأ الرحلة قبل انبلاج الصبح؟». وأجابه فرودو قائلاً: «لا أدرى . إنني أخشى أوائل الخيالة السود ، وإنني لمتأكد أنه من غير الآمن أن نبقى في مكان واحد طويلاً ، وعلى وجه الخصوص في مكان عُرف

أنتي ذاهب إليه. كما أن جيلدور نصحي لا أنتظر. ولكنني أحب أن أرى جنلوف كثيراً. بل، إنتي أعتقد أنه حتى جيلدور كان متزوجاً عندما سمع أن جنلوف لم يظهر أبداً. الأمر كله - في الواقع - يعتمد على شيئين. مدى سرعة وصول الخيالة إلى باكل بيرزي. ومدى سرعة انطلاقنا من هنا. سوف يحتاج ذلك إلى قدر كبير من الإعداد والتحضير».

وقال له ميري: «الإجابة عن السؤال الثاني هي أنه يمكننا أن نطلق من هنا في غضون الساعة. لقد أعددت - في الواقع الأمر - كل شيء. هناك ستة أفراس في إسطبل عبر الحقول؛ كما أن المؤن والعدد كلها تم حزمها وإعدادها، باستثناء بعض ملابس إضافية، والطعام الذي سنأكله والذي يمكن أن يفسد».

وقال فرودو: «يبدو أنها كانت مؤامرة غاية في الكفاءة والإتقان. ولكن ماذا عن الخيالة السود؟ هل سيكون من الآمن أن نبقى يوماً واحداً في انتظار جنلوف؟».

فأجابه ميري قائلاً: «الأمر كله يعتمد على ما يمكن أن يفعله الخيالة ، إذا هم وجدوك هنا. كان ينبغي أن يكونوا قد وصلوا هنا الآن ، بالطبع ، إن لم يكونوا قد أوقفوا عند البوابة الشمالية ، حيث يسير السور عبر صفة النهر ، هذا الجانب من الجسر على وجه التحديد لن يسمح لهم حراس البوابة بالعبور منه في الليل ، على الرغم من أنهم قد يمرقون ويمررون . حتى في وضح النهار ، فإنهم سيحاولون منعهم - فيما أعتقد - على أية حال حتى يمرروا رسالة إلى سيد القصر<sup>(1)</sup>؛ لأنه لن يعجبهم شكل الخيالة أو منظرهم ، وسوف ينتابهم الرعب بكل تأكيد منهم ، ولكن - بالطبع - لا تستطيع بكلاند أن تقاوم هجوماً عنيفاً مصمماً لفترة طويلة . كما أنه من الممكن في الصباح ، أن يسمح بالعبور حتى لخيال أسود يركب فرساً ويسأل عن السيد باجينز . إنه لأمر معروف جيداً على وجه العموم أنك عدت لتعيش في كريك هولو».

وجلس فرودو لوقت قصير مستغرقاً في التفكير؛ وقال في النهاية: لقد عقدت العزم. سوف أبدأ غداً، بمجرد أن يطلع الضوء . ولكنني لن أذهب عن طريق البر: سوف يكون بقاونا هنا أكثر أماناً من ذلك . إذا ذهبت عبر البوابة الشمالية ، فإن رحيلي من بكلاند سيُعرف في الحال ، بدلاً من أن يظل سراً لعدة أيام على الأقل ، حسبما يمكن أن يكون . والأكثر من ذلك ، فإن الجسر والطريق الشرقي القريبين من الحدود سيكونان مراقبين بكل تأكيد ، سواء دخل أي خيال بكلاند أو لا . إننا لا نعرف كم عددهم؛ ولكن هناك اثنان منهم على الأقل ، وربما أكثر من ذلك . الشيء الوحيد الذي يجب أن نفعله هو أن نرحل في اتجاه غير متوقع تماماً».

وهنا قال فريديجار وقد تملكه الرعب: «ولكن هذا ليس له معنى سوى أن نذهب

---

(1) Master of the Hall: رأينا ترجمتها هذه الترجمة لأنها أقرب ما يكون إلى الوصف الذي وضعه المؤلف لها.  
(المترجم)

إلى الغابة العجوز! لا يمكن أن يكون فكرك قد انصرف إلى ذلك. إنها خطيرة مثلاً مثل الخيالة السود».

قال ميري: «ليس على وجه التأكيد. يبدو أن ذلك عمل متغير للغاية، ولكنني أعتقد أن فرودو على حق. هذه هي الطريقة الوحيدة للرحيل من هنا دون أن يتبعنا أحد في الحال. وإذا حالفنا الحظ، فإننا يمكن أن نبدأ بداية رائعة».

وعارضه فريدجارد قائلاً: «ولكن لن يحالفك أي حظ سعيد في الغابة العجوز. لم يكن أحد قط محظوظاً هناك. سوف تتوه. الناس لا يذهبون إلى هناك».

وقال ميري: «أوه، نعم، بل يذهبون. أفراد البرنديك يذهبون - من وقت لآخر عندما تأخذهم النوبة. لنا مدخل خاص. دخل منه فرودو ذات مرة، منذ زمن طويل. دخلت أنا منه مرات عديدة: عادة في وضع النهار بالطبع، عندما تكون الأشجار ناعسة وهادئة إلى حد ما».

وقال فريدجارد: «حسناً، لنفعل ما ترى أنه هو الأفضل! إنني أكثر خوفاً من الغابة العجوز من أي شيء أعرفه: القصص التي تحكي عنها عبارة عن كابوس؛ ولكن صوتي لا يكاد يحسب، حيث إنني لن أذهب في الرحلة. ومع ذلك، إنني سعيد جداً أن واحداً سيقني، شخص يمكنه أن يخبر جندي الذي فعلتموه عندما يأتي، حيث إنني متأكد أنه سيأتي قبل أن يمضي وقت طويل».

حيث إن فاتي بولجر كان مغرماً بفرودو على نحو كبير جداً، فإنه لم تكن لديه الرغبة في ترك المقاطعة، ولا أن يرى ما يقع خارجها. جاءت أسرته من الإيست فاردينينج، من برج فورز<sup>(1)</sup> في بريديج فيلدز<sup>(2)</sup> في واقع الأمر، ولكنه لم يطا أبداً جسر براندي واين. كانت مهمته - وفقاً للخطط الأصلية لمجموعة المتأمرين - أن يبقى بعد أن يذهبوا هم وينتظر مع الأشخاص القضولين، وأن يظل ينتظرون أطول فترة ممكنة قدر استطاعته بأن السيد باجينز لا يزال يعيش في كريك هولو. بل إنه أحضر معه بعض الملابس القديمة للسيد فرودو لتساعده في لعب هذا الدور. لم يفكروا كثيراً في مدى ما يكون عليه هذا الدور من خطر.

«ممتناز!»، قالها فرودو، عندما فهم الخطة. وواصل كلامه قائلاً: «لم يكن بإمكاننا أن نترك أي رسالة لجندي بأي طريقة غير هذه. أنا لا أدرى ما إذا كان هؤلاء الخيالة يستطيعون القراءة أم لا بالطبع، ولكن لم أكن لأخاطر أبداً وأترك رسالة مكتوبة، حيث ربما جاءوا إلى هنا ودخلوا البيت وفتحوا. ولكن إذا كان فاتي راغباً في أن

(1) Budgeford : كانت سكناً أفراد عائلة البولجر Bolger ، فإن العنصر الأول من الكلمة يمكن النظر إليه على أنه تحريف لكلمة bulge أو معناها منتفخ أو ممتليء؛ وبهذا تكون للاسم دلالة على المسنة. (المترجم).

(2) Bridgefields : يمكن ترجمتها حرفيًا - حقول الجسر. (المترجم).

يتحمل المسؤولية في غيابنا جميعاً، وبمكنتي أن أجزم أن جنّدَف يعرف الطريق الذي ذهبنا فيه، فإن المسألة تكون قد حسمت بهذه الطريقة. أول شيء سوف أفعله غداً هو أن أذهب إلى الغابة العجوز».

وقال بيبين: «حسناً، قضي الأمر هكذا. وإنماً فمن الأفضل أن أقوم أنا بمهمتنا بدلاً من أن يقوم بها فاتي، ويجب الانتظار هنا حتى يأتي الخيالة السود». رد فريد جار قائلاً: «انتظر حتى تكون داخل الغابة تماماً. سوف تمنى أن لو كنت قد تخلفت هنا معى قبل هذا الوقت غداً».

ورد ميري قائلاً: «ليس ثمة فائدة من أي جدال بشأن ذلك. لا يزال ينبغي علينا أن ننظم كل شيء ونضع اللمسات النهائية لأمتعتنا، قبل أن نذهب للنوم. سوف أنادي عليكم جميعاً قبل ابلاج النهار».

عندما ذهب فرودو في نهاية الأمر إلى الفراش، فإنه لم يستطع أن ينام لبعض الوقت. كانت ساقاه تؤلمانه. كان سعيداً أنه سيذهب راكباً في الصباح. أخيراً، راح في حلم غامض، بدا فيه أنه يُطل من نافذة عالية على بحر مظلم من الأشجار المتشابكة. كان أسفل منه بين الجذور يأتيه صوت مخلوقات تزحف وتشتم. كان يشعر بيقين أنهم سيعثرون عليه بالشم عاجلاً أو آجلاً.

بعد ذلك سمع ضوضاء تأتي من على بعد. اعتقاد في بداية الأمر أنها ريح عضيمة تهب على أوراق الشجر في الغابة. بعد ذلك عرف أنها لم تكن أوراق الشجر، ولكنه كان صوت البحر البعيد؛ صوت لم يسمعه أبداً وهو مستيقظ، على الرغم من أنه كثيراً ما أزعجه في أحلامه. وفجأة وجد نفسه بالخارج في العراء. لم تكن هناك أي أشجار على الإطلاق. كان في أرض بور مظلمة، وكانت هناك رائحة ملح غريبة في الجو. وعندما نظر لأعلى رأى أمامه برجاً عالياً أبيضاً، يقف وحده على قمة تل عالية. انتابته رغبة عارمة في أن يصعد البرج ويرى البحر. وبدأ يناضل صاعداً قمة التل نحو البرج: ولكن فجأة انسل ضوء من السماء، وكانت هناك ضوضاء رعد صاحبة.

## الفصل السادس الغابة العجوز

استيقظ فرودو فجأة. كانت الدنيا لا تزال مظلمة في الغرفة. كان ميري يقف هناك بشمعة في إحدى يديه، وكان يقرع الباب بقوة بيده الأخرى. «حسناً! حسناً» – قال ذلك فرودو، وهو لا يزال مهتزًا ومتدهشًا.

وصاح ميري: «ما الخطب؟ لقد حان وقت الاستيقاظ. الساعة الآن الرابعة والنصف والجو كثيف الضباب. هيا! ها هو سام يقوم بإعداد الإفطار بالفعل. حتى ببيين استيقظت. سوف أقوم بوضع السروج على الأفراس في الحال، وأحضر الفرس الذي سيقوم بحمل الأمتعة. أبقيت هذا الفاتي<sup>(١)</sup> الكسلان! على الأقل عليه أن يستيقظ ويودعنا».

بعد الساعة السادسة مباشرةً، كان الهوببيتون الخمسة مستعدين لبدء الرحلة. كان فاتي بولجر لا يزال يتثاءب. انسلاوا خارجين من المنزل في هدوء. ذهب ميري في المقدمة وهو يقود فرساً محملًا، وأخذ طريقه عبر طريق طويل كان يسير عبر أية وراء المنزل، وبعد ذلك سار عبر عدة حقول. كانت أوراق الأشجار تلمع، وكان كل غصن يقطر ندى؛ كان العشب رماديًا جدًا من الندى البارد. كان كل شيء هناً، وهناك على الأقل بدأ الضوضاء قريبة وواضحة: الطيور تزقزق في فناء بيت، شخص يغلق باب منزل بعيد.

في سقيفهم، وجدوا الأفراس؛ حيوانات صغيرة قوية من النوع الذي كان الهوببيتون يحبونه، ليس سريعاً، ولكنه جيد في عمل الأيام الطويلة. وركبوا، وفي الحال كانوا يقودون أفراسمهم إلى قلب الضباب الذي بدا أنه يفتح لهم على مضض حتى يمروا ويغلق بطريقة كالحة وراءهم. بعد السير لمدة ساعة، يطأء دون حديث، رأوا السياج يلوح فجأة أمامهم. كان طويلاً ونسجت عليه بيوت العنكبوت.

«كيف سنعبر هذا؟» – تسأله فريد جار.

وقال ميري: «اتبعوني! وسوف ترون». وانعطف نحو اليسار عبر السور، وفي الحال جاءوا إلى نقطة انحني فيها السور نحو الداخل، وسار عبر حافة واد محفور. كان هناك شق صنع على بعد مسافة معينة من السور، وراح يسير منحدراً انحدراً خفيفاً لأسفل إلى الأرض. كان له جدران من الطوب من جميع الجوانب، وكانت ترتفع باطراد، حتى كونت قوساً فجأة وشكلت نفقاً غاص في عمق أسفل السور وخرج في الوادي على الجانب الآخر. وهنا توقف فاتي بلوجر وقال: «مع السلامة يا

(١) Fatty – البدين أو السمين (المترجم)

فرودو! أتمنى ألا تذهب إلى الغابة. كل ما أتمناه ألا تحتاج إلى إنقاذ قبل أن ينقضني اليوم. ولكن، حظاً سعيداً لك - اليوم وكل يوم!».

وقال له فرودو: «إذا لم تكن هناك أي أشياء أكثر سوءاً أمامنا من الغابة العجوز، فإنني سأكون محظوظاً. أخبر جنديك أن يسرع عبر الطريق الشرقي: سوف نعود سريعاً عليه وتذهب بسرعة قدر الإمكان». وصاحوا جميعاً: «مع السلامة!»، وساروا لأسفل عبر المنحدر واختفوا عن أنظار فريدجارد في النفق.

كانت الدنيا مظلمة ورطبة فيه. عند النهاية البعيدة، كانت هناك بوابة من قضبان حديدية كثيفة تعلقها. نزل ميري من على حصانه وفتح البوابة، وعندما مرروا جميعهم عبرها، دفعها حتى يعلقها مرة ثانية. وأغلقت البوابة وصدر عنها صوت رنين، وسمع صوت القفل وهو يغلق. كان الصوت نذير شؤم.

وقال ميري: «هأنتم أولاء! لقد تركتم المقاطعة، وأنتم الآن خارجها، وعلى حافة الغابة العجوز».

وسأل بيبيين: «هل القصص التي تحكي عنها حقيقة؟».

وأجابه ميري قائلاً: «لا أدرى ما القصص التي تقصدها. إذا كنت تقصد قصص البعض العجوز التي كانت مربيات فاتي تحكى لها، عن الغilan والذئاب وأشياء من هذا القبيل، فإبني أقول لا. على أية حال، أنا لا أصدق هذه الحكايات. ولكن الغابة غريبة. كل شيء فيها أكثر كثيراً من حي جداً، أكثر وعيَاً وإدراكاً بما يجري، إذا جاز لي التعبير، من الأشياء في المقاطعة. والأشجار لا تحب الغرباء. إنها تراقبك. وهي في العادة قانعة بمجرد مراقبتك مادام ضوء النهار ساطعاً، ولا تفعل أشياء كثيرة. ومن وقت لآخر فإن الأشجار الأكثر عدواية قد تسقط فرعاً، أو عصاً، أو جذراً، أو تمسك بك ببنية متسلقة فوق سطح الأرض. ولكن في الليل يمكن أن تكون الأشياء خطيرة ومثيرة للخوف إلى بعد الحدود، أو هكذا أخبروني. لم أدخل هنا سوى مرة أو مرتين بعد الظلام، وبعد ذلك أكون قريباً من السور فقط. كنت أعتقد أن كل الأشجار تتهمس مع بعضها البعض، وهي تنقل الأخبار والمؤامرات بلغة غير مفهومة؛ وتنمايل الفروع وتتلامس دون أن تكون هناك ريح. إنهم يقولون إن الأشجار تتحرك فعلاً، ويمكن أن تطوق الغرباء وتحصرهم داخلها. في الواقع الأمر، منذ زمن طويل مضى، هاجموا سور: جاءت الأشجار وغرست نفسها إلى جواره، ومالت عليه. ولكن الهوبيتين جاءوا وقطعوا مئات الأشجار، وصنعوا ناراً هائلة في العراء بالغابة، وأحرقوا كل الأرض في شريط طويلاً شرق السور. بعد ذلك تخلت الأشجار عن الهجوم، ولكنها صارت عدواية جداً. لا تزال هناك أرض فضاء شاسعة ليست بعيدة كثيراً داخل الغابة حيث أضرمت النار الهائلة».

وسأل بيبين: «هل الأشجار وحدها مصدر الخطر؟».

وقال ميري: «هناك أشياء عديدة غريبة تعيش في الأعماق بالغابة، وعلى الجانب البعيد، أو على الأقل سمعت أنا ذلك؛ ولكنني لم أر أي شيء منها قط». ولكن هناك شيء ما يصنع مرات. كلما جاء الواحد داخل ممر منها، فإنه يجد مساراً؛ ولكن يبدو أنها تحول وتتغير من وقت لآخر بطريقة غريبة. ليس بعيداً عن هذا النفق توجد - أو كانت توجد لفترة طويلة من الزمن - بداية ممر واسع جداً يؤدي إلى فُرجة النار المضرمة<sup>(1)</sup>، وبعد ذلك تقرباً في اتجاهنا، نحو الشرق وقليلًا نحو الغرب. هذا هو الممر الذي سوف أحارل أن أتعثر عليه».

ترك الهوبيتيون بوابة النفق في ذلك الوقت وساروا بأفراسمهم عبر الوادي الواسع. على الجانب البعيد كان هناك ممر لا يكاد يتضح يؤدي لأعلى إلى أرض الغابة، يبعد عن السور بحوالي مائة يارد أو قرابة ذلك؛ ولكنه اختفى بمجرد أن وصل بهم تحت الأشجار. كانوا إذا نظروا وراءهم وجدوا خط السور المظلم عبر سوق الأشجار التي كانت بالفعل كثيفة حولهم. وكانوا إذا نظروا أمامهم رأوا جذوع الأشجار ذات الأحجام والأشكال التي لا تعد ولا تحصى: مستقيمة أو منحنية، ملتوية، مائلة، منخفضة ضخمة، أو هزيلة، ناعمة أو كثيرة العقد والأفرع؛ وكانت جميع السوق خضراء أو رمادية مكسوة بالطحالب والزوائد التاممية اللزجة الخشنة.

ميري فقط هو الذي كان يبدو مرحاً، وقال له فرودو: «من الأفضل أن تقود الطريق وتعثر على هذا الممر. لا تدعنا حتى لا يفقد كل منا الآخر، أو ننسى الطريق الذي يقع فيه السور!».

واختاروا طريقاً بين الأشجار، ومشت أفراسمهم تهادى عليه، بكل حرص، متقادمة الجذور الكثيرة الملتقة والمتشابكة. لم تكن هناك أية شجيرات صغيرة نامية تحت الأشجار الكبيرة. كانت الأرض ترتفع باطراد، وبينما كانوا يتقدمون للأمام، بدا أن الأشجار أصبحت أكثر طولاً، وأكثر ظلماً، وأكثر كثافة. لم يكن هناك أي صوت، باستثناء صوت سقوط نقطة من الرطوبة من وقت لآخر عبر الأوراق الساكنة. في هذه اللحظة لم يكن هناك أي همس أو حركة بين الفروع؛ ولكن كان لديهم جميعاً شعور غير مريح بأنهم كانوا مراقبين باستهجان، يتعمق حتى يصل إلى الكره بل حتى العداء. وزاد هذا الشعور بشكل مطرد، حتى وجدوا أنفسهم ينظرون لأعلى بسرعة، أو يحدقون للوراء فوق أكتافهم، كما لو كانوا يتوقعون ضربة مفاجئة.

(1) Bonfire Glade - اسم مكان في الغابة، ونصب المؤلف يترجمه.. (المترجم)

ولم تكن هناك - حتى الآن - أي علامة على وجود ممر، وبدت الأشجار تسد طريقهم بشكل مستمر. وشعر بيبين فجأة أنه لن يستطيع تحمل الأمر أكثر من ذلك، ودون أي تحذير أو إنذار صاح صيحة عالية: «أوى! أوى! لن أفعل أي شيء. فقط اتركوني أمر، هلا تركتموني!».

وتوقف الآخرون مذهولين؛ ولكن الصيحة انخفضت كما لو كانت قد تكتمت بستارة ثقيلة. لم يكن هناك أي صدى أو إجابة على الرغم من أن الغابة بدت وقد صارت أكثر ازدحاماً وأكثر يقطة من ذي قبل.

وقال ميري: «لو كنت مكانك لما صرخت هكذا. لقد تسبب ذلك في ضرر أكثر مما جلب من نفع».

وببدأ فرودو يتساءل إن كان من الممكن إيجاد طريق للمرور فيه، وما إذا كان هو على حق في أنه جعل الآخرين يأتون معه في هذه الغابة المقينة. كان ميري ينظر من جانب آخر، وبدا أنه بالفعل غير متيقن من الطريق الذي يجب أن يسير فيه. ولاحظ بيبين ذلك وقال: «لم يستغرق الأمر منك كثيراً حتى تضيعنا». ولكن في هذه اللحظة، صفر ميري صافرة ارتياح وأشار للأمام وقال:

«حسناً، حسناً! هذه الأشجار تتحرك. هذه هي فُرجة النار المضرمة أمامنا (أو أتمنى أن تكون كذلك)، ولكن الطريق إليها يبدو أنه قد تحرك بعيداً!».

وأصبح الضوء أكثر وضوحاً بينما كانوا يسيرون للأمام. وفجأة خرجوا من الأشجار ووجدوا أنفسهم في منطقة فضاء دائريّة واسعة. كانت هناك سماء فوقهم زرقاء وصافية لدهشتهم، حيث إنهم عندما كانوا في الغابة أسفل سقف الغابة لم يكن بإمكانهم أن يروا الصباح المشرق وانقشاع السديم. ومع ذلك، لم تكن الشمس عالية بالقدر الكافي لتسطع على المنطقة الخالية مقطوعة الشجر، على الرغم من أن ضوءها كان على قمم الشجر. كانت الأوراق كلها أكثر كثافة وأكثر خضراء حول حواف الفُرجة وكانت هناك الكثير من النباتات الطويلة: نباتات الشوكران ذات السوق والذابلة، ومقدونس الغابة، وعشبة النار نمت وكومنت أشجار دردار مثل الزغب، ونبات القرaceous المنتشر والشوك. مكان كثيف موحش: ولكنه بدا حدائق ساحرة ومبهجة بعد الغابة المغلقة.

شعر الهوبيتيون بالشجاعة، ونظروا لأعلى في أمل إلى ضوء النهار المنسع في السماء. على الجانب البعيد من الفُرجة كان هناك كسر في جدار الأشجار، وكان هناك ممر خال وراءه. استطاعوا أن يروه يستمر في السير حتى الغابة، واسعاً في أماكن ومكتشوفاً فوقه، على الرغم من أن الأشجار كانت تتقرب من وقت لآخر وتظلله بغضونها

الداكنة. وساروا بأفراسمهم عبر هذا الممر. كانوا لا يزالون يصعدون تدريجياً، ولكنهم راحوا يسرون الآن بسرعة أكبر كثيراً، وفي حالة مزاجية وشجاعة أفضل؛ لأنه بدا لهم أن الغابة قد لانت لهم، وسوف تدعهم يمرون دون أن تعيقهم بأي حال من الأحوال.

ولكن بعد فترة قصيرة، بدأ الهواء يصبح ساخناً وفاسداً. وراح الأشجار تتقارب مرة ثانية على الجانبين، ولم يعد بإمكانهم مجدداً أن يروا ما أمامهم. وشعروا الآن مجدداً أكثر من أي وقت مضى مدى الحقد الذي تضمره الغابة التي تعصرهم. كانت الدنيا هادئة تماماً لدرجة أنَّ وقع حوافر أفراسهم، وحيف الأوراق الجافة ومن وقت آخر التعبير في الجذور المختبئة، كان يبدو وكأنه صوت ارتطام في آذانهم. حاول فرودو أن يغنى أغنية لتشجيعهم، ولكن صوته راح ينخفض حتى انتهي إلى مجرد غمغمة.

أيها النائدون في الأرض الظلية  
لا تأسوا! على الرغم من أنها مظلمة،  
فالغابات كلها لا بد أن تنتهي في النهاية،  
وتروا الشمس تمر بكم مكسوفة:  
الشمس الغائية، الشمس المشرقة،  
نهاية اليوم، أو بداية.  
سواء شرقاً أو غرباً لا بد للغابات أن تنتهي . . .

تنتهي - حتى وهو يقول هذه الكلمة ضعف صوته حتى تحول صمتاً. بدا الهواء ثقيلاً، وصياغة الكلمات بدت مرهقة ومتعبة. سقط وراءهم مباشرة فرع ضخم من على شجرة عجوز معلقة فوقهم محدثاً ارتطاماً في أرض الممر. بدا أن الأشجار تغلق الطريق أمامهم.

قال ميري: «إنهم لا يحبون هذه الأشياء مثل الانتهاء والذبول. ينبغي ألا أغني أكثر من ذلك في الوقت الحالي. انتظروا حتى نصل إلى الحافة، وبعدها سوف تستدير وتغني لهم غناً جماعياً مثيراً!»

كان يتحدث في ابتهاج، وإذا كان قد شعر بأي قلق عظيم، فإنه لم يد ذلك. لم يجده الآخرون. كانوا مكتفين. كان هناك عباء ثقيل يحثم على قلب فرودو بشدة، وراح في هذه اللحظة يندم مع كل خطوة يخطوها للأمام أنه فكر على الإطلاق في تحدي تهديد الأشجار وخطرها. لقد كان - في حقيقة الأمر - على وشك أن يتوقف ويقترب العودة (إذا كان لا يزال بالإمكان ذلك)، عندما أخذت الأشياء منعطفاً جديداً. وتوقف الممر عن الصعود، وأصبح لفترة قصيرة من الوقت مستوىً تقربياً. وتباعدت الأشجار

المظلمة، واستطاعوا أن يروا أمامهم الممر وهو يسير في طريق مستقيم تقربياً. وكانت تقف أمامهم - ولكن على بعد مسافة ما - قمة تل حضراء، ليس بها أشجار، ترتفع مثل رأس أصلع من الغابة التي تحيط بها من جميع النواحي. كان يبدو أن الممر يسير تجاه هذه القمة مباشرة.

وفي هذا الوقت راحوا يسرعون في تقدمهم مرة أخرى، وهم مسرورون بفكرة الصعود للخارج لفترة قصيرة فوق سقف الغابة. وغاص الممر، وبعد ذلك بدأ يصعد لأعلى مرة أخرى، وقادهم في التهاب إلى سفح جانب التل الشاهق. وهناك ترك الأشجار وأخفى في العشب. كانت الأشجار تحيط بالتل من جميع النواحي مثل شعر كثيف كان ينتهي نهاية حادة في دائرة حول قمة رأس محلقة.

وقاد الهوبتيون أفراسهم لأعلى، وهم يدورون ويدورون حتى وصلوا إلى القمة. هناك وقفوا وراحوا يحدقون فيما حولهم. كان الهواء مشعاً بالوميض وينيره ضوء الشمس، ولكنه كان غائماً، ولم يكن بإمكانهم أن يروا مسافة كبيرة. بالقرب منهم كان السديم قد انشع تقربياً؛ على الرغم من أنه هنا وهناك كان يرقد في تجاويف الشجر، وإلى الجنوب منهم، من خارج طية عميقة يشق طريقه نحو اليمين عبر الغابة، كان الضباب لا يزال يرتفع مثل البخار أو خيوط الدخان الأبيض.

«هذا» - قالها ميري وهو يشير بيده - «هذا هو خط نهر ويندي ويندل<sup>(1)</sup>. إنه يسير خارجاً من المرتفعات ويتدفق نحو الجنوب الغربي عبر وسط الغابة ليلتاح بنهر براندي وابن أسفل نهاية سور<sup>(2)</sup>. إننا لا نريد أن نذهب في هذا الطريق! يقال إن وادي ويندي ويندل هو أغرب مكان في الغابة كلها - المركز الذي تخرج منه كل الغرابة، إذا جاز لي القول».

نظر الآخرون في الاتجاه الذي أشار إليه ميري، ولكنهم لم يستطيعوا أن يروا سوى القليل بخلاف السديم فوق الوادي الرطب العميق؛ وفيما وراء الوادي تلاشى النصف الجنوبي من الغابة عن الرؤية.

راحت درجة حرارة الشمس - في ذلك الوقت - تزيد فوق قمة التل. لا بد أن الساعة كانت وقتها الحادية عشرة؛ ولكن سديم الربيع كان لا يزال يحول بينهم وبين رؤية الكثير في الاتجاهات الأخرى. في الغرب، لم يستطيعوا أن يتبعوا لا خط سور ولا وادي براندي وابن الذي يقع وراءه. أما في اتجاه الشمال، حيث نظروا وكلهم غاية في الأمل، فلم يستطيعوا أن يروا أي شيء يمكن أن يكون خط نهر الشرق العظيم الذي كانوا متوجهين نحوه. لقد كانوا على جزيرة في بحر من الأشجار، وكان الأفق محظوباً.

(1) Withywindle - اسم نهر، وهو نهر متعرج تحيط به willows - أي أشجار الصفصاف؛ أما windle -

فلم تأت في اللغة الإنجليزية (حسب المذلف). (المترجم)

(2) نهاية سور - (Haysend)، وتقابل في الإنجليزية (hedge's end) (المترجم)

في الجانب الجنوبي الشرقي انخفضت الأرض بشكل منحدر جداً، كما لو كانت منحدرات التل قد استمرت في التزول كثيراً جداً أسفل الأشجار، مثل شواطئ الجزيرة التي هي في الحقيقة جوانب جبل يرتفع من قلب مياه عميقة. جلسوا على الحافة الخضراء وأطلوا على الأشجار التي كانت ترقد أسفل منهم، بينما راحوا يتناولون وجبة منتصف النهار. وبينما كانت الشمس ترتفع وتجاوزت وقت الظهيرة، رأوا على بعد كبير في الشرق خطوط المرتفعات الخضراء الرمادية التي كانت ترقد وراء الغابة العجوز على ذلك الجانب. شجاعهم ذلك كثيراً وبعث في نفوسهم البهجة؛ حيث إنه كان من الجيد أن يروا منظر أي شيء وراء حدود الأشجار، على الرغم من أنه لم يكن في نيتهم أن يسلكوا هذا الطريق، إذا كان باستطاعتهم أن يمنعوا ذلك: حيث إن مرتفعات البارو تتمنع بسمعة مشئومة ومنحوسة في أساطير الهوبتيين مثلها مثل الغابة نفسها.

وفي النهاية قرروا مواصلة السير مجدداً. وعادوا الممر - الذي قادهم إلى التل - الظهور مرة أخرى على الجانب الشمالي؛ ولكنهم لم يتبعوه كثيراً قبل أن يصبحوا مدركون أنه كان ينحدر بشكل مستمر نحو اليمين. وفي الحال بدأ يهبط بشكل سريع وخفيناً أنه - في الواقع الأمر - لا بد أن يكون متوجهاً نحو وادي ويندي ويندل؛ وهذا ليس هو الاتجاه الذي كانوا يتمنون أن يسلكوه على الإطلاق. بعلا بعض النقاش والحوار فيما بينهم قرروا ترك هذا الممر المضلل والتوجه نحو الشمال؛ لأنه على الرغم من أنهم لم يتمكنوا من رؤيته من فوق قمة التل، إلا أن الطريق لا بد أنه موجود في هذا الاتجاه، ولن يكون على بعد أميال كثيرة من هنا. وكذلك، فإنه في اتجاه الشمال، وإلى اليسار من الممر، بدت الأرض أكثر جفاً وأكثر اكتشافاً، وهي تصعد المنحدرات حيث كانت الأشجار أقل كثافة، وحلت أشجار الصنوبر والتُّنوب محل أشجار البلوط والدردار وأشجار أخرى غريبة وعديمة الأسماء من الغابة الأكثر كثافة.

في بداية الأمر، بدا اختيارهم جيداً: لقد قطعوا المسافة بسرعة جيدة، على الرغم من أنهم كلما لمحوا الشمس في فُرجة مكشوفة كان يبدو أنهم على نحو غير مبرر قد انحرقوا نحو الشرق. ولكن بعد وقت كافٍ، بدأت الأشجار تتقرب مرة أخرى، تماماً حيثما ظهرت من مسافة وكانتها كانت أقل كثافة وأقل تشابكاً. وبعد ذلك تم اكتشاف طيات عميقة في الأرض على نحو غير متوقع، مثل آثار إطارات عملاقة ضخمة أو خنادق مائية واسعة وطرق مغمورة لم تستعمل منذ زمن وخفتها بنيات العليق. كانت هذه في العادة تقع عبر خط سيرهم مباشرة، ولم يكن بالإمكان عبورها إلا بالسير عبر العليق دخولاً وخروجاً، الأمر الذي كان مصدر تعب وقلق وكان صعباً على أفرادهم. كانوا في كل مرة يصعدون فيها يجدون الوادي مملوءاً بالشجيرات القصيرة الكثيفة

والشجيرات القصيرة المتلبدة النامية تحت الأشجار، وهو لم يكن - بحال من الأحوال - يسلّم نحو اليسار، حيث لم يكن بين لهم إلا عندما يتوجهون نحو اليمين؛ وكان ينبغي عليهم أن يسيراً مسافة ما في القاع حتى يستطيعوا أن يجدوا طريقاً للصعود إلى الجرف التالي. في كل مرة كانوا يتسلقون فيها بشق الأنفس، كانت الأشجار تبدو أكثر عمقاً وأكثر ظلماً؛ وقد كان من الصعب دائمًا إيجاد طريق إلى اليسار وفي اتجاه الصعود لأعلى، وكانوا يجبرون على السير لليمين أو لأسفل.

بعد ساعة أو ساعتين فقدوا كل إحساس واضح بالاتجاه، على الرغم من أنهم كانوا يعرفون جيداً بالقدر الكافي أنهم قد توقفوا عن السير تجاه الشمال على الإطلاق منذ فترة طويلة. كان سببهم معتراضاً، وكانت بساطة يتبعون مساراً اختر لهم - نحو الشرق ونحو الجنوب، إلى قلب الغابة وليس إلى خارجها.

كاد وقت ما بعد الظهيرة ينقضي، عندما تدافعوا وتعذروا في طية كانت أكثر اتساعاً وعمقاً من أي طية قابلوها حتى الآن. كانت شديدة الانحدار جداً وعلقة لدرجة أنه كان من المستحيل الصعود للخروج منها مرة أخرى، سواء للأمام أو للخلف، دون ترك أفراسهم وأمتعتهم وراءهم. وكل ما كان بإمكانهم فعله هو تتبع هذه الطية - لأسفل. وصارت الأرض رخوة، وفي بعض الأماكن سبخة؛ ظهرت التنازع في المنحدرات، وفي الحال وجدوا أنفسهم يتبعون جدولاً كان يسلي ويخر عبر قاع كثير الأعشاب. وبعد ذلك بدأت الأرض في الهبوط بشكل سريع، وأصبح الجدول قوياً وصاخباً، حيث راح يتدفق ويغز في خفة إلى أسفل التل. لقد كان في أخدود عميق معتم يغطيه الأشجار في صورة قوس عالٍ فوقهم.

بعد التعرّف في الطريق لمسافة ما عبر الجدول، فإنهم خرجوا فجأة من الظلام. رأوا ضوء الشمس أمامهم، كما لو كان يأتيهم من خلال بوابة. ولما وصلوا إلى الفتحة، وجدوا أنهم قد شقوا طريقهم لأسفل عن طريق شق في جرف عال شديد الانحدار، منحدر صخري شاهق تقريباً. وعند سفح هذا الجرف كانت هناك مساحة فضاء واسعة من العشب ونبات القصب؛ وعلى بعد مسافة كانوا يرون جرفاً آخر له نفس الانحدار الشاهق تقريباً. كان وقت ما بعد الظهيرة ذهلياً أشرقت الشمس فيه متأخرة يرقد دافئاً وناعساً على الأرض المختبئة في الوسط. في وسط ذلك كله كان هناك نهر مظلم مياهه بنية اللون يتحرك متunganًا في كسل، تحيط به أشجار الصفصاف العتيقة، وتغطيه أشجار الصفصاف في صورة قوس، وتسده أشجار الصفصاف الساقطة، ومرقش بالآلاف من أوراق الصفصاف الذابلة. كان الهواء كثيفاً وثقيلاً بها، يرفرف في لون أصفر أخذه من لون الفروع؛ لأنه كان هناك نسيم دافئ ولطيف يهب

في نعومة في الوادي، وكانت عيدان القصب تحرك مُحدثة حفيفاً، وكانت أغصان الصفصاف لها صرير.

قال ميري: «حسناً، لدى الآن فكرة ما - على الأقل - عن المكان الذي نحن فيه! لقد جئنا تقريراً في الاتجاه العكسي الذي كنا نتوبي السير فيه. هذا هو نهر ويذيب ويندل! سوف أواصل السير وأستكشف المكان».

وعبر خارجاً إلى ضوء الشمس الساطع واختفى في الحشائش الطويلة. وبعد فترة قصيرة عاود الظهور، وقال إن هناك أرضاً صلبة إلى حد ما بين سفح الجرف والنهر؛ وفي بعض الأماكن كانت هناك بعض المروج تسير هابطة إلى حافة الماء؛ وقال: «والأكثر من ذلك، يبدو أن هناك شيئاً ما مثل ممر لل المشاة يسير متعملاً عبر ذلك الجانب من النهر. إذا نحن اتجهنا يساراً واتبعناه، فإننا لزاماً سوف نخرج على الجانب الشرقي من الغابة في النهاية».

وقال بيبيين: «أنا أعتقد ذلك! هذا هو الأمر، إذا سار الطريق هكذا حتى هذه النقطة، ولم يقدنا بكل بساطة إلى مستنقع ويتركنا هناك. من الذي صنع هذا الطريق في رأيك؟ ولماذا؟ إنني واثق أنه لم يكن لمنفعتنا. إنني صرت غاية في الشك في هذه الغابة وكل شيء فيها، وبدأت أصدق الحكايات التي تقال عنها. وهل لديك أي فكرة عن مدى المسافة التي سيتحتم علينا أن نسيرها باتجاه الشرق؟».

ورد عليه ميري فائلاً: «كلا، ليس لدى أي فكرة. لا أعرف على الإطلاق المسافة التي تبعدها عبر نهر الـ «ويذيب ويندل»، أو من الذي يتحمل أنه يأتي هنا كثيراً بما يكفي ليجعله يصنع ممراً مثل هذا بطول النهر. ولكن ليس هناك أي طريق آخر يمكن أن أراه أو أفكر فيه غير هذا».

ولما لم يكن هناك أي شيء آخر للخروج من هذا الموقف، فإنهم كونوا صفاً، وراح ميري يقودهم إلى الممر الذي كان قد اكتشفه. كانت عيدان القصب والخشائش في كل مكان حولهم خضراء مورقة وطويلة، وهي تدور وتتلوي، وهي تختر الأرض الأكثر جودة وثباتاً بين المستنقعات والبرك. وكان الممر يجري هنا وهناك فوق جداول أخرى، تجري عبر أحاديد إلى نهر ويذيب ويندل خارجة من أراضي الغابة العالية، وعند هذه النقطة كانت هناك جذوع أشجار أو حزم من أغصان مقطوعة موضوعة بعناية عبر الطريق.

بدأ الهوببيون يشعرون بالحرارة الشديدة. كانت هناك جيوش من الذباب من جميع الأنواع تطن حول آذانهم، وكانت شمس ما بعد الظهيرة تحرق ظهورهم. وأخيراً، وصلوا فجأة إلى منطقة ظل ضيقة؛ امتدت فروع رمادية عظيمة عبر الممر.

أصبحت كل خطوة للأمام أكثر مقاومة من الأخيرة. بدا النعاس يزحف خارجاً من الأرض ويصعد لأعلى في أرجلهم، ويسقط في رقة من الهواء على رءوسهم وأذانهم. شعر فرودو أن ذقنه ينزل لأسفل، ورأسه يتحني من النعاس. خرّ بيبيين أمامه مباشرة على ركبتيه. وتوقف فرودو، وسمع ميري يقول: «الأمر غير مجد. لا أستطيع أن أسير أي خطوة أخرى دون راحة. لا بد أن أنا سِنة من التوم. الجو بارد تحت أشجار الصفصاف. عدد الذباب أقل!».

لم يعجب ذلك فرودو، وصاح: «هيا! لا يمكن أن ننام بعد. يجب أن نخرج من الغابة أولاً». لكن الآخرين كانوا مستغرقين للغاية لدرجة أنهم لم يأبهوا. وقف إلى جوارهم سام وهو يتثاءب ويغمض عينيه في غباء.

فجأة شعر فرودو نفسه بالنوم يغمره. وأصيب رأسه بدوران ودوخة. لم يكن يبدو آنذاك أن هناك أي صوت في الهواء. توقف الذباب عن الطنين. لم يكن هناك سوى صوضاء لطيفة على حافة السمع، وذبذبة رقيقة كما لو كانت لأنغنية تردد دون الهمس، بدت أنها تتحرك في الأغصان فوقهم. ورفع عينيه التقيلين ورأى شجرة صفصاف ضخمة عجوزاً ذات أوراق زغبة ضاربة إلى البياض، تنحني فوقه. كانت تبدو هائلة، كانت فروعها الممتدة تصعد لأعلى مثل أذرع طويلة لها كثير من الأيدي ذات أصابع طويلة، وكان جذعها العقدي والمليء يفتح في هيئة شقوق وشروخ واسعة راحت تصر بصوت خافت بينما تتحرك الأغصان. كانت الأوراق التي ترفرف قبالة السماء الساطعة تذهله، وسقط على الأرض، ورقد حيثما وقع على العشب.

وجر ميري وبيبيين نفسهما للأمام ورقداً على ظهريهما على جذع شجرة الصفصاف. كانت الشقوق العظيمة وراءهما مفتوحة على اتساعها مثل الأفواه الفاغرة لستقبالهما بينما كانت الشجرة تتمايل وتتصدر. نظراً لأعلى حيث الأوراق الرمادية والصفراء تتحرك في خفة قبالة الضوء والغباء. وأغلقاً عينيهما، وبعد ذلك بما كانا يسمعان كلمات تقربياً، كلمات هادئة، تقول شيئاً عن الماء وعن التوم. وأسلموا نفسهما للسحر وراحَا في نوم عميق عند سفح شجرة الصفصاف الرمادية العظيمة.

رقد فرودو لفترة قصيرة ينضل مع التوم الذي كان يستبد به، وبعد ذلك - مع جهد كبير - ناضل حتى وقف على قدميه مرة أخرى. شعر برغبة جامحة في تناول ماء بارد. نادى على سام متمناً بقوله: «انتظرني يا سام. يجب أن أغسل قدمي لمدة دقيقة».

راح يسير للأمام وكأنه في حلم جزئي تقربياً إلى جانب الشجرة يسير نحو النهر، حيث كانت هناك جذور عظيمة ملتفة تنمو وتدخل في الجدول، مثل التنانين الصغيرة النكدة قد مطرت نفسها لأسفل حتى تشرب. امتطى واحداً من هذه الجذور، ودللي قدميه

الساخنتين في الماء البنى البارد؛ وهناك راح هو أيضاً في النوم وظهره مستند إلى الشجرة.

جلس سام وحك رأسه، وتثاءب فاغرًا فاه مثل كهف كبير. كان قلقاً. لقد أصبح وقت ما بعد الظهيرة متأخرًا، وكان يعتقد أن ذلك النعاس المفاجئ غريب وغير طبيعي. وغمغم مع نفسه قائلاً: «هناك المزيد وراء ذلك أكثر من مجرد الشمس والهواء الدافئ. إنتي لا أحب هذه الشجرة الضخمة العظيمة. لا أثق بها. أصغي إليها وهي تغنى عن النوم الآن! لن يفلح ذلك على الإطلاق!».

وغر نفسه حتى وقف على قدميه، وراح يسير متزنًا ليرى ما حل بأفراسهم. وجد أن اثنين منها قد سارا لمسافة كبيرة عبر الممر؛ ولم يكد يمسك بهما ثانية نحو الأفراس الأخرى، حتى سمع ضوضاء مرتبين؛ كانت المرة الأولى عالية، في حين كانت المرة الثانية منخفضة ولكنها كانت واضحة. كانت إحداها صوت ارتطام شيء ثقيل يقع في الماء؛ في حين كانت الأخرى مثل صوت طقطقة قُفل عندما يغلق باب في هدوء وإحكام.

وعاد سريعاً إلى الضفة. كان فرودو في الماء قريباً من الحافة، وكان هناك جذر شجر عظيم بدا أنه فوقه ويضغط عليه لأسفل في الماء، ولكنه لم يكن يناسب للخروج. أمسك به سام من المعطف الذي كان يرتديه، وسحبه من تحت الجذر؛ وبعد ذلك وبصعوبة كبيرة سحبه إلى الضفة. واستيقظ تقريراً في الحال، وكح، وبقبق.

وقال أخيراً: «هل تعرف يا سام ما حصل، لقد ألت بي هذه الشجرة البغيضة في الماء! لقد شعرت بذلك. التوى الجذر الضخم حولي وألقي بي في الماء!».

وقال له سام: «لقد كنت تحلم يا سيد فرودو - حسبما أتوقع. لا ينبغي أن تجلس في هذا المكان، إذا كنت تشعر بالنوم».

وسأله فرودو: «وماذا عن الآخرين؟ إنتي أسألك عن نوع الأحلام التي يرونها». ودارا حول الجانب الآخر من الشجرة، وبعد ذلك فهم سام معنى الطقطقة التي كان قد سمعها. لقد اختلفا ببيدين. الشق الذي وضع نفسه فيه انغلق، وهكذا فلم يكن بالإمكان رؤية أي شق أو شرخ. وانحشر ميري: هناك شرخ آخر أغلق على وسطه؛ كانت ساقاه بالخارج، ولكن كان باقي جسمه داخل فتحة مظلمة، كانت حوافها ممسكة عليه ومطبقة مثل ك마شة.

راح فرودو وسام يضربان أولاً على جذع الشجرة حيث كان ببيدين يرقد. بعد ذلك حاولا في جنون فتح فكي الشرخ الذي كان يمسك بميري المسكين. كان ذلك عديم الجدوى تماماً.

وصاح فرودو في غضب جامح: «يا له من شيء فظيع ذلك الذي يحدث! لماذا أتينا نحن من الأصل إلى هذه الغابة المروعة؟ أتمنى أن لو كنا قد عدنا جميعاً إلى كرييك هوللو!» وركل الشجرة بكل ما لديه من قوة، غير مكترث بما قد يحدث لقدميه هو. سرت رعشة لا تقاد تحس عبر الساق وصعدت في الفروع؛ وتحركت الأوراق في حفيق وراح تهمس، ولكن في صوت – كان وقتها – ضحاك خافت بعيد.

وسائل سام: «أعتقد أنه ليس معنا فأس في أمتعتنا يا سيد فرودو».

ورد عليه فرودو قائلاً: «لقد أحضرت بلطة صغيرة لقطع حطب الوقود. لن تكون هذه مجدية كثيراً».

وصاح سام: «انتظر دقيقة!»؛ حيث خطرت بباله فكرة أوحى بها له حطب الوقود.  
«من الممكن أن نصنع شيئاً بالنار!».

وقال فرودو في شك وارتياه: «من الممكن أن ننجح في أن نشوّي بيبيين حيَا داخل الشجرة».

وقال له سام في شراسة: «من الممكن أن نحاول أن نؤذى أو نخيف هذه الشجرة - هذا بادئ ذي بدء. وإذا لم تفلتهما وتنتركهما يخرجان، فإنني سوف أقطعها، حتى إذا اضطررت إلى قرضها بأسناني». وجرى باتجاه الأفراس ولم يغب طويلاً حتى عاد ثانيةً ومعه علينا قدح وبلطة.

وقام بسرعة بجمع العُشب الجاف، والأوراق الجافة، وقطع من لحاء الأشجار؛ وكوًما كومة كبيرة من الأغصان المكسرة والعصى المشقوقة والمقطعة. وكوًما ذلك كله على جذع الشجرة على جانب الشجرة البعيدة عن السجينين. وبمحض أن صرَب سام حجر القدح بالصوفان أشتعلَ العُشب الجاف، وصعدت هبة ريح من اللهب والدخان. أخذت الأغصان تطفق. راحت أصابع صغيرة من النار تلعق في لحاء الشجرة العجوز الجاف المتمم ويحرقها. سرت رعشة قوية عبر شجرة الصفصاف بأكملها. بدت الأوراق تهس فوق رءوسهم بصوت من الألم والغضب. وجاءت صرخة عالية من ميري، ومن مكان بعيد داخل الشجرة سمعاً صوت بيبين وهو يصرخ صرخة مكتومة.

وصاح ميري: «أطفئوها! أطفئوها! سوف يعصرني ويقسمني إلى جزأين إن لم تفعلوا. لقد قال لي ذلك!».

وراح ميري يرجوهما بقوله: «أطفئوها! أطفئوها!» بدأت فروع شجرة الصفاصاف تتمايل في عنف. كان هناك صوت كما لو كان صوت ريح ترتفع عالياً وتنشر نحو الخارج إلى فروع كل الأشجار الأخرى المحيطة، كما لو كانوا قد أسقطوا حجر أثفي السبات الهادئ العميق في وادي النيل وحركوا موجات من الغضب التي راحت تسرى

في كل الغابة. وركل سام النار الصغيرة بقدمه وأطfa الشعلة. ولكن فرودو - دون أي فكرة واضحة عن سبب فعله ذلك، وما الذي كان يأمله - جرى عبر الممر وهو يصرخ: النجدة! النجدة! النجدة! بدا له أنه كان بالكاد يسمع صدى صوته الحاد: لقد جرفته ريح الصفاصاف بعيداً عنه وغرق في جلبة من الأوراق، بمجرد أن تركت الكلمات فمه. شعر باليأس والإحباط: تائه ومحبوـل.

وفجأة توقف. كانت هناك إجابة، أو هكذا اعتـدـ هو؛ ولكن بدا أن الإجابة تأتي من ورائه، بعيداً أسفل الممر في الغابة. واستدار وأصـاخـ السـمعـ، وفي الحال لم يكن هناك أي شك لديه: كان هناك شخص ما يعني أغنية؛ صوت عميق سعيد كان يعني بلا اكتـراتـ وفي سـعادـةـ، ولكنه كان يعني كلامـاـ غير مـفـهـومـ:

هـياـ! تـعـالـيـ يا دـولـ السـعـيـدةـ! أـقـرـعـيـ الـجـرسـ  
أـقـفـرـواـ جـمـيـعاـ! وـتـعـلـقـواـ بـأشـجـارـ الصـفـاصـافـ  
تـوـمـ بـوـمـ، تـوـمـ الـمـرـاحـ، تـوـمـ بـوـمـبـادـيلـ

وقف كل من فرودو وسام الآن في مكانهما ساكنيـنـ، يملأـهـماـ أـمـلـ، وـخـوـفـ من خطر جديد لا يـعـرـفـانـهـ. وـفـجـأـةـ من خـارـجـ السلسلـةـ الطـوـلـةـ من الكلـمـاتـ التـيـ لمـ يـكـنـ لها معـنـىـ (أـوـ هـكـذاـ كـانـتـ تـبـدوـ) اـرـتفـعـ الصـوـتـ عـالـيـاـ وـوـاضـحـاـ وـانـفـجـرـ يـعـنـيـ هذهـ الأـغـنـيـةـ:

هـياـ! تـعـالـيـ يا دـولـ السـعـيـدةـ! دـولـ السـعـيـدةـ! يا حـبـيـتـيـ!  
الـرـيـحـ تـسـيرـ فـيـ خـفـةـ وـكـذـلـكـ الـزـرـزـورـ ذـوـ الـرـيشـ.  
هـنـاـ عـبـرـ أـسـفـلـ التـلـ، يـسـطـعـ فـيـ ضـوءـ الشـمـسـ،  
يـنـتـظـرـ عـلـىـ دـرـجـ الـبـابـ ضـوءـ النـجـمـ الـبـارـدـ،  
هـنـاكـ سـيـدـتـيـ الـجـمـيـلـةـ، اـبـنـةـ اـمـرـأـةـ النـهـرـ،  
نـحـيـلـةـ مـثـلـ غـصـنـ الصـفـاصـافـ، أـنـقـىـ مـنـ المـاءـ.  
هـاـ هوـ تـوـمـ بـوـمـبـادـيلـ الـعـجـوزـ وـقـدـ أـحـضـرـ زـنـابـقـ المـاءـ  
يـأـتـيـ جـرـيـاـ إـلـىـ الـبـيـتـ ثـانـيـةـ. هـلـ تـسـمـعـنـهـ يـعـنـيـ؟  
هـياـ! تـعـالـيـ يا دـولـ السـعـيـدةـ! دـولـ السـعـيـدةـ! سـعـيـدةـ أـوـهـ،  
جـوـلـدـ بـيـرـيـ<sup>(1)</sup>، جـوـلـدـ بـيـرـيـ، جـوـلـدـ بـيـرـيـ الصـفـرـاءـ أـوـهـ!  
مـسـكـيـنـ يـاـ رـجـلـ الصـفـاصـافـ الـعـجـوزـ، أـنـتـ تـغـرـسـ جـذـورـكـ بـعـيـداـ!

(1) Tom Bombadil - زوجه توم بومباديل Goldberry

توم على عجلة الآن . سوف يتبع المساء التهار .  
توم ذاهب إلى البيت ثانية وقد أحضر زنابق الماء .  
هيا ! تعالى يا دول السعيدة ! هل تسمعني أغنى ؟

وقف فرودو وسام كما لو كانا قد سحرا . توقفت الريح عن هبوبها . وسكتت الأوراق على الفروع المتصلبة مرة أخرى . كانت هناك أغنية أخرى ، وبعد ذلك فجأة ، قفز ورقص عبر الممر ، وظهرت فوق عيدان القصب قبعة قديمة بالية مع تاج طويل وريشة زرقاء طويلة موضوعة في الطوق . ومع قفزة أخرى وونبة أخرى ظهر أمامهم رجل ، أو هكذا بدا لهم . على أية حال ، لقد كان ضخماً وكبير الوزن للغاية بحيث لا يمكن أن يكون فرداً من الهوبيتين ، إذا لم يكن طويلاً بما يكفي ل يجعله واحداً من الناس الكبار ، على الرغم من أنه كان يصدر ضوضاء مثل واحد منهم ، وهو يتجلو لابساً حذاء ضخماً أصفر ذا رقبة في ساقيه الضخمتين ، ويسير عبر العشب والشجيرات القصيرة هاجماً وكأنه بقرة في طريقها لشرب . كان معطفه أزرق اللون ، ولحيته طويلة رمادية؛ كانت عيناه زرقاء ولا معتين ، وكان وجهه أحمر مثل تقاحة ناضجة ، ولكنه كان مجعداً إلى مائة تجعيدة من الضحك . كان يحمل في يديه على ورقة ضخمة ، كما لو كان يحمل في صينية ، حزمة صغيرة من زنابق الماء البيضاء .

«التجدة !» - صاح فرودو بها وسام وهمما يجريان باتجاهه وأيديهما ممدودة له . وصاح الرجل العجوز : «واو ! واو ! توقفا مكانكم !» ، ومد إحدى يديه ، وتوقفا مكانهما دون حراك ، تماماً كما لو كانوا قد تجمداً في مكانهما . «والآن ، رفاقي الصغار ، إلى أين أنتما ذاهبان ، وأنتما تلهثان مثل الثيران ؟ ما الخطب هنا إذن ؟ هل تعرفان من أكون ؟ أنا توم بومباديل . أخبراني ما مشكلتكم ! توم في عجلة من أمره الآن . لا تسخّوا زنابقي !» .

وصاح فرودو وهو يلهم : «أصدقائي حبسوا في شجرة الصفصاف» .

وصاح سام : «سيدي ميري محشور في شرخ يعصره !» .

«ماذا ؟» - صاح توم بومباديل ، وهو يقفز في الهواء . «رجل الصفصاف العجوز ؟ ليس هناك شيء أسوأ من ذلك ، إيه ؟ يمكن إصلاح ذلك في الحال . أعرف اللحن الخاص به . رجل الصفصاف العجوز الرمادي ! سوف أجده تخاعه ، إن لم يتصرف بطريقة لائقة . سوف أغضي له حتى تتفكك جذوره . سوف أغضي أغنية لتهب الريح وتنطير الأوراق وتباعد الفروع . يا رجل الصفصاف العجوز !» .  
وبعد أن وضع زنابقه على العشب بحرص وحذر ، جرى إلى الشجرة . هناك رأى

قدمي ميري لا تزال محشورتين في الشجرة – أما باقي الجسم فكان قد سُحب أكثر إلى الداخل. وضع توم فمه على الشرخ وبدأ يُغْنِي فيه بصوت منخفض. لم يستطعوا تبين الكلمات التي كان يغُنِيها، ولكن من الواضح أن ميري قد أُوقِظَ. بدأت ساقاه تركلان. وقفز توم بعيداً، وكسر فرعاً كان معلقاً وضرب به جانب شجرة الصفصاف، وقال: «اتركهما يخرجا ثانية، يا رجل الصفصاف العجوز! قيم تفكرا؟ يجب عليك إلا تكون مستيقظاً. لتأكل الطين! احفر عميقاً! اشرب الماء! نم! بومباديل يتحدث!» وبعد ذلك أمسك بقدمي ميري وسحبه للخارج من الشرخ الذي اتسع فجأة.

كان هناك صرير تمزيق، وفتح الشرخ الآخر، وقفز بيدين خارجاً منه، كما لو كان قد ركله أحد ليخرج منه. بعد ذلك، وفي صوت طقطقة عالٌ، انغلق كلا الشرحين سريعاً. وسرت رعشة قوية في الشجرة من جذرها حتى قمتها، وساد صمت كامل. وقال الهوببيتون واحداً بعد الآخر: «شكرا لك!».

وانفجر توم بومباديل بالضحك وقال: «حسناً يا رفافي الصغار!»، وانحنى حتى نظر إلى وجههم. «سوف تأتون إلى البيت معـي! الطاولة محمـلة بـكاملـها، بالـقشـدة الصـفـراء، وكـيزـان العـسل، والـخـبـز الأـبـيـض والـزـبـد. جـوـلـديـريـ فيـ الـانتـظـارـ. لـدـيـنـاـ وقتـ كـافـ لـلـأـسـلـةـ حـوـلـ طـاـوـلـةـ العـشـاءـ. اـتـعـونـيـ بـسـرـعـةـ بـقـدـرـ ماـ تـسـطـعـونـ!» قال ذلك، وأخذ زنايقه من على الأرض، وبعد ذلك بتلويحة من يده ذهب يقفز ويرقص عبر الممر باتجاه الشرق، وكان لا يزال يغني بصوت عال وبكلمات غير مفهومة.

كان الهوببيتون متدهشين جداً، وفي غاية الارتياح، لدرجة أنهم لم يستطعوا الكلام، وتبعوه بسرعة قدر استطاعتهم. ولكن ذلك لم يكن سريعاً بالقدر الكافي. احتفى توم في الحال من أمامهم، وأصبح صوت غنائه أكثر ضعفاً وخفوتاً وأكثر بعداً. وفجأة جاء صوته يطفو عائداً إليهم في نداء عال بهيج!

اقفزوا، أصدقائي الصغار، عبر نهر ويندي ويندل!

توم سوف يذهب أمامكم، عليه أن يوقد الشموع.

تغرب الشمس بعيداً في الغرب: في الحال ستلمسون الطريق.

عندما تسدل ظلال الليل، سيفتح الباب عندها،

وسوف يتلاولا الضوء أصفر من لواح النافذة.

لا تخشوا حار الماء الأسود! لا تباليوا بالصفصاف الأشيب!

لا تخافوا جذراً ولا غصناً! توم سيذهب أمامكم.

هيا الآن! دول السعيد! سوف تكون بانتظاركم!

وبعد ذلك، لم يسمع الهوبيتيون أي شيء. وفي الحال تقرباً بدت الشمس تغيب في الأشجار خلفهم. فكروا في ضوء المساء المائل وهو يتلاً على نهر براندي ولين، ونواخذ باكل بيري وهي تبدأ تتوهج وتلمع بآلاف المصايبح. ظلال عظيمة فرت بهم؛ كانت جذوع وفروع الأشجار معلقة فوق الممر مظلمة ومنذرة بالتهديد والوعيد. بدأت طبقات السديم الأبيض ترتفع وتتحرك بطريقة لولبية على سطح النهر وتطفو حول جذور الأشجار على حدوده. ومن نفس هذه الأرض ارتفع عند أقدامهم بخار مثل الظل وامتزج بالغسق الذي راح يغمر المكان سريعاً.

صار من الصعب تتبع الممر، وكانوا متبعين جداً. بدت أرجلهم ثقيلة مثل الرصاص. سرت ضوضاء ماكرة غريبة عبر الشجيرات الصغيرة وعيadan القصب حولهم من كلا الجانبين؛ وكانوا إذا نظروا لأعلى إلى السماء الشاحبة، كانوا يرون وجوهاً غريبة نكدة مليئة بالعقد كانت تبدو داكنة ومظلمة في الشفق، وكانت تنظر شزاراً وفي خبث إليهم من فوق الجرف العالي وحواف الغابة. بدأوا يشعرون أن هذا البلد بأسره ليس حقيقاً، وأنهم كانوا يتغثرون في حلم مشئوم لا يقود إلى أي استيقاظ. وعندما شعروا أن أقدامهم قد أبطأت السير حتى توقفت تماماً، لاحظوا أن الأرض كانت ترتفع تدريجياً. بدأ الماء يختر. في الظلمة رأوا الوهج الأبيض لزبد الماء، حيث كان النهر يتدفق فوق شلال قصير. وبعد ذلك فجأة وصلت الأشجار إلى نقطة النهاية وتركوا طبقات السديم وراءهم. وخرجوا من الغابة، ووجدوا امتداداً واسعاً من العشب يتجسس أمامهم. كان النهر - وقد صار الآن صغيراً وسريعاً - يقفز في مرح لأسفل ليقابلهم، كان يومض هنا وهناك في ضوء النجوم التي كانت تستطع بالفعل في السماء.

كانت الحشائش تحت أقدامهم سلسة وقصيرة، كما لو كان قد تم جزها وتشذيبها. كانت طنف الغابة وراءهم قد قللت وهذبت مكونة سياجاً شجرياً. كان الممر ممهداً الآن أمامهم، منظماً ومحاطاً بحدود حجرية. وصعد لأعلى إلى قمة هضبة صغيرة كثيرة العشب، كانت آنذاك رمادية اللون في الليلة الشاحبة المليئة بالنجوم؛ وهناك، في مكان لا يزال مرتفعاً فوقهم على منحدر آخر بعيد، رأوا تلاؤ مصابيح المنازل. ونزلوا عبر الممر ثانية، وبعدها صعدوا مرة أخرى، عبر جانب تل مكسو بالعشب، باتجاه الضوء. وفجأة اندفع على نحو متألق وساطع شعاع أصفر كبير من باب كان مفتوحاً. هناك كان منزل توم بومباديل أمامهم، لأعلى، لأسفل، أسفل التل. كان يقف وراءه جرف مرتفع من الأرض رمادي اللون وأجرد، وفيما وراء ذلك، فإن أشكال مرتفعات بارو المظلمة كانت قد طردت بعيداً إلى الليل الشرقي.

وأسرعوا جميعاً للأمام، الهوببيون والأفراس. لقد انزاح عنهم بالفعل نصف ما كانوا فيه من تعب وإرهاق وانزاحت كل مخاوفهم. وجاءتهم أغنية «هيا! تعالي يا دول السعيدة!» تحبيبهم.

هيا! تعالي يا دول السعيدة! اقفزوا يا أحبابي!  
أيها الهوببيون! يا جميع الأفراس! نحن مغرمون بالحفلات.  
والآن، ليبدأ المرح! دعونا نغنّ معاً.

وبعد ذلك جاء صوت آخر صاف، صغير وقديم مثل الربيع، مثل أغنية نهر سعيد يتدفق لأسفل نحو الليل قادماً من صباح مشرق في التلال، جاء يسقط مثل الفضة ليلاقيهم:

والآن ليبدأ الغناء! دعونا نغنّ معاً  
عن الشمس، والنجوم، والقمر، والسديم، والمطر والطقس الغائم،  
الضوء على الورقة ذات البراعم، الندى على الريشة،  
الريح على التل المكشوف، والأجراس على الخانج،  
عيان القصب على البركة الظللية، والزنابق على الماء:  
توم بومباديل العجوز وابنة النهر!

ومع تلك الأغنية كان الهوببيون يقفون على عتبة البيت، وكان هناك ضوء ذهبي يحيط بهم من جميع النواحي.

## الفصل السابع

### في منزل توم بومباديل

خطا الهوببيتون الأربعه فوق العتبة الحجرية العريضة، ووقفوا في أماكنهم ساكنين، وأعينهم تطرف شبه مفتوحة. كانوا في غرفة طويلة واطئة، مملوءة بضوء مصابيح مدلاة من عوارض السقف متمايلة؛ وكانت هناك على طاولة خشبية سوداء مصقولة كثیر من الشموع، طويلة وصفراء، تحترق في وهج ولمعان.

في مقعد، في الجانب البعيد من الغرفة، كانت تجلس امرأة في مواجهة الباب الخارجي. كان شعرها الأصفر الطويل يتدلى على كفيها، كانت ترتدي ثوباً أخضر، أخضر مثل أعواد القصب، وعليه قطرات من الندى مثل الفضة؛ وكان حزامها من الذهب، وله شكل سلسلة من الزنابق مرصع بعيون زرقاء باهتة من ثباتات أذن الفار<sup>(١)</sup>. أما حول قدميها في أوان واسعة من الفخار الأخضر والبني، فكانت تطفو زنابق الماء، لدرجة أنها كانت تبدو وكأنها متوجة في وسط حوض للسباحة.

«ادخلوا، أيها الضيوف الطيبون!» – قالت ذلك لهم، وبينما كانت تتحدث علموا أن الصوت الذي سمعوه يغتني كان هو صوتها الرائق الصافي. واقتربوا لمسافة خطوات قليلة على استحياء وخوف نحو الباب، وبدأوا يتحدون في خضوع، وهم يشعرون بالاندھاش بشكل غريب، كما أحسوا بالجين، مثل قوم، عندما طرقوا باب كوخ يستجدون أهلة أن يعطوهم شربة ماء، فإذا بمن تجبيهم ملكة جن شابة جميلة مرتدية زهوراً حية. ولكن قيل أن يمكنوا من أي شيء، وثبتت في خفة وانطلقت فوق أوراق من الزنبق، وجرت تجاههم وهي تضحك؛ وبينما كانت تجري كان ثوبها يصدر حيفاً رقيقاً مثل الريح على حواف النهر المتينة بالورد.

وقالت لهم، وقد أخذت فرودو من يده: «تعالوا أيها الأشخاص الأعزاء! اضحكوا وكونوا سعداء مسرورين! أنا جولد بيري، ابنة النهر». وبعد ذلك مرت بهم في خفة، وأغلقت الباب، ثم استدارت وأعطت ظهرها للباب، وذراعاها البيضاوانا ممتداتان عبره؛ وقالت: «دعونا نغلق الباب في وجه الليل! فأنتم لا تزالون خائفين، ربما، من الضباب وظلال الأشجار، والماء العميق، وأشياء بريئة متوجهة. لا تخشوا شيئاً؛ لأنكم الليلة تحت سقف توم بومباديل».

ونظر الهوببيتون إليها في عجب؛ ونظرت هي بدورها إلى كل منهم وابتسمت.

<sup>(١)</sup> ويسمى أيضاً (لا تنسى) وهو نبات ذو زهر أزرق فاتح، يعتبر رمزاً للإخلاص والصدقة. (المورد) (المترجم)

وهنا قال فرودو أخيراً - «سيدتي جولد بيري الجميلة!» - وقد شعر بأن قلبه قد تحرك في صدره من الفرح لدرجة أنه لم يستطع الفهم. وقف كما كان يقف أحياناً مبهوراً بأصوات الجن الجميلة؛ ولكن السحر الذي وقع عليه في هذه المرة كان مختلفاً: كانت البهجة أقل حدة، وعلواً، ولكن كانت أعمق وأقرب إلى القلب الفاني، مدهشة رائعة، بيد أنها غريبة. وراح يقول مرة أخرى: «سيدتي جولد بيري الجميلة! الآن، فإن البهجة التي كانت مختبئة في الأغانيات التي سمعناها باقت واضحة لي.

أوه! نحيلة مثل غصن الصفصاف! أوه، أنتي من الماء الرائق!

يا عود قصب عند الحوض الحي! ابنة النهر الجميلة!

يا وقت الرياح ووقت الصيف، والربيع بعد ذلك مرة أخرى!

يا ريحَا على شلال ماء، وبِيا ضحك الأوراق!».

وجأة توقف وتلعثم، حيث غلبه الدهشة عندما سمع نفسه يقول مثل هذه الأشياء.

ولكن جولد بيري ضحكت وقالت:

«مرحباً! لم أسمع أن الناس في المقاطعة لهم السنة بمثيل هذه الحلاوة. ولكنني أرى أنك صديق للجن؛ الضوء الذي يلمع في عينيك، والرنين الذي في صوتك، يخبران بذلك. هذا لقاء سعيد! اجلس الآن، وانتظر سيد المنزل! لن يغيب طويلاً. إنه يقدم الرعاية لحيواناتكم المتعبة».

جلس الهوببيتون في سعادة على كراسي مقاعدها من أوراق الأسل، في حين شغلت جولد بيري نفسها بمائدة الطعام؛ وراحت أعينهم تتبعها في حركتها، حيث إن حسن حركتها الأهيف ملأهم ببهجة هادئة. من مكان ما وراء المنزل جاء صوت الغناء. كانوا بين الفينة والفينية بين عبارات (دول العزيزة)، و(دول السعيدة)، و(اقرع الجرس) يسمعون هذه الكلمات المتكررة:

توم يوم باديل العجوز شخص مرح؛  
معطفه أزرق فاتح، وحذاؤه أبيض.

بعد فترة قصيرة قال فرودو مجدداً: «سيدتي الجميلة! قولي لي، إذا لم يبد سؤالي أحمق، من هو توم يوم باديل؟».

«إنه هو»، قالت جولد بيري ذلك، وهي تكف عن حركاتها الرشيقه وابتسامتها.

ونظر فرودو إليها نظرة تساؤل. فقالت في إجابة عن نظرته المتسائلة: «إنه هو، مثلما رأيته. إنه سيد الغابة، والماء، والتل». «معنى ذلك أن كل هذه الأرض الغريبة ملكه هو؟».

وأجابته، وقد تلاشت ابتسامتها: «ليس كذلك في واقع الأمر». وأضافت في صوت منخفض وكأنها تحدث نفسها: «سوف يكون ذلك في الواقع عيناً تقليلاً. الأشجار والعشب وكل الأشياء التي تنمو أو تحيا في الأرض تختص كل منها بذاتها. توم بومباديل هو السيد. لم يحدث قط أن لمح أحد توم بومباديل العجوز يمشي في الغابة، أو يخوض في الماء، أو يقفز فوق قمم التلال سواء في الضوء أو في الظل. لا يخاف أبداً. توم بومباديل هو السيد».

وفتح باب، ودخل منه توم بومباديل. لم يكن على رأسه الآن قبعة، وكان شعره البني الكثيف متوجاً بأوراق الخريف. وضحك، وذهب إلى جولد بيري، وأخذ بيدها. «هذه سيدتي الجميلة!» - قال ذلك، وانحنى للهوبيتين، وواصل كلامه قائلاً: «هذه هي جولد بيري مكسوة بالكامل باللون الأخضر الفضي وزهور في حزام خصرها! هل المائدة محملة بكل أنواع الأطعمة؟ أرى قشدة صفراء وكيزان العسل، وخبراً أبيض، وزبداء، ولبناً وجبنًا وأعشاباً خضراء وتوتاً ناضجاً تم جمعه. هل هذا كافٍ بالنسبة لنا؟ هل العشاء جاهز؟

وقالت جولد بيري: «هو كذلك، ولكن الضيوف قد لا يكونون مستعدين؟». وصفق توم بيديه وصاح: «توم، توم! ضيوفك متبعون، وأنت قد نسيت تقريرًا! هنا الآن، يا أصدقائي، وسوف يقوم توم بإنعاشكم! سوف تنظرون الأيدي المتسخة، وتغضلون الوجوه المتعبية؛ وتخلصون من معاطفكم الملطخة بالوحول وتمشطون شعركم المعقد!».

وفتح الباب، وتبعوها عبر ممر قصير وفي منعطف دائري. وصلوا إلى غرفة منخفضة ذات سقف منحدر (سقيفة - فيما يبدو - بنيت في النهاية الشمالية من المنزل). كانت جدرانها من الحجر النظيف، ولكن كانت في معظمها مغطاة بفرش خضراء وستائر صفراء مدللة. كانت الأرض مرصوفة، ومفروشة بنبات الأسل الأخضر الغض. كانت هناك أربع مراتب عميقه، كل منها عليها أكواام من البطانيات البيضاء، موضوعة على الأرض على جانب واحد. وعلى الجدار المقابل كانت هناك طاولة طويلة محملة بأحواض فخارية واسعة، وبجانب الطاولة كانت تقف أربعة معلوقة بالماء، بعضه بارد، وبعضه ساخن يغلي. كان هناك شبشب أخضر ناعم موضوع على جوار كل فراش.

قبل أن يمضي وقت طويل، كان الهوبيتون - وقد اغتسلوا وانتشوا - يجلسون إلى مائدة الطعام، اثنان على كل جانب منها، في حين جلس على كل نهاية من نهايتيها

جولد بيري والسيد. كانت وجبة طويلة ومرحة. على الرغم من أن الهوبيتين قد أكلوا، حيث لا يمكن أن يأكل إلا الهوبيتون الجوعى، فلم يكن هناك أي نقص. الشراب الذى كان في أكواب الشراب الذى قدم لهم كان يبدو أنه ماء بارد زلال رائق، ولكنه كان يذهب إلى قلوبهم مثل النبيذ ويسلك أصواتهم. أدرك الضيوف فجأة أنهم راحوا يغنوون في مرح، كما لو كان الغناء أكثر سهولة وطبيعية من الكلام.

وأخيراً نهض توم وجولد بيري ورفعوا الطعام والشراب من على المائدة في خفة ورشاقة. طلب من الضيوف أن يجلسوا في هدوء، فجلسوا في مقاعد، وأعطي كل منهم مسند لقدميه المتعبتين. كانت هناك نار في المدفأة الواسعة أمامهم، وكانت تحرق وترفع منها رائحة حلوة كما لو كانت قد صنعت من شجر التفاح. عندما رُتب كل شيء، أطفئت كل المصايبع في الغرفة، فيما عدا مصباحاً واحداً وشمعتين في كل نهاية من نهايةي رف زجاجة القديل. بعد ذلك جاءت جولد بيري ووقفت أمامهم، وهي تمسك شمعة، وتمنت لهم جميعاً ليلة طيبة ونوماً عميقاً.

وقالت لهم: «لتاموا في سلام وطمأنينة الآن حتى الصباح! لا تغيروا اهتمامكم لأي ضوضاء ليلية! حيث إنه ليس هناك من شيء يمر من الباب أو النافذة هنا سوى ضوء القمر وضوء النجوم والريح التي تهب من قمة التل!» وخرجت من الغرفة يصحبها وبغض وحيف. كان صوت وقع قد미ها مثل جدول ينزل ماؤه في خفة إلى أسفل التل فوق أحجار باردة في الليل الهدائى.

جلس توم لفترة قصيرة إلى جوارهم في صمت، في حين كان كل واحد منهم يحاول أن يستجمع الشجاعة ليوجه سؤالاً من الأسئلة الكثيرة التي كان يريد أن يسألها وهم يتناولون العشاء. واحتشد النوم على جفونهم. وفي نهاية الأمر، تكلم فرودو: «هل سمعتني وأنا أناجي، يا سيدى، أم أن المصادقة الممحضة هي التي جاءت بك في تلك اللحظة؟».

وتحرك توم مثل رجل أوقف من حلم جميل؛ وقال: «إيه! مازا؟ هل سمعتكم تنادي؟  
كلا، أنا لم أسمع: كنت مشغولاً بالغناء. إن ما ساقني إليكم في ذلك الوقت كان محض  
المصادفة، إذا كان ذلك ما تسمونه المصادفة. لم يكن هناك أي تخطيط في ذلك من  
ناحيتي، على الرغم من أنني كنت في انتظاركم. لقد وصلتنا أخبار عنكم، وعلمنا أنكم  
كنتم تائبين في سيركم. لقد خمنا أنكم ستأتون من هذا الطريق، إلى نهر ويندي ويندل.  
رجل الصفاصاف العجوز الأشيب، إنه مُغنٌ رائع؛ ومن الصعب بالنسبة لأفراد صغار  
أن يهربوا من متأهاته الماكرة. ولكن توم كان في مهمة هناك، ولم يكن يجرؤ على  
تأخيرها». وهز توم رأسه كما لو كان النوم يأخذه مرة أخرى، ولكنه واصل حديثه  
بصوت مُغَنٍّ (قىة):

كنت في مهمة هناك: أجمع زنابق الماء،  
الأوراق الخضراء، والزنابق البيضاء لأرضي سيدتي الجميلة،  
هي الأخيرة قبل نهاية العام لأحتفظ بها من الشتاء،  
حتى تزدهر عند قدميها الجميلتين إلى أن يذوب الجليد.  
في نهاية الصيف من كل عام أذهب لأبحث عنها لها،  
في حوض واسع، عميق وصاف، هناك بعيداً عبر نهر ويندي ويندل،  
هناك فهي تنفتح أولاً في الربيع، وهناك تبقى حتى النهاية.  
عند هذا الحوض منذ زمن طويل وجدت ابنة النهر،  
جولد بيري الشابة الجميلة تجلس بين نباتات الأسل.  
كان غناوها وقتها حلواً، وكان يتحقق قلبها!

وفتح عينيه ونظر إليهم بومضة مفاجئة من وهج أزرق:

وقد ثبت نفع ذلك بالنسبة لكم - لأنني الآن  
لن أذهب في أعماق مياه الغابة ثانية،  
ليس وال عمر قد تقدم. كما أنتي لن أمر  
بيت رجل الصفصاف العجوز في ذلك الجانب من الربيع،  
إلا عندما يأتي الربيع السعيد، عندما تأخذ ابنة النهر  
في الرقص عبر ممر الصفصاف لستحم في الماء.

وصمت مرة ثانية، ولكن فرودو لم يستطع أن يمنع نفسه من توجيه سؤال آخر له،  
السؤال الذي كانت لديه أكبر رغبة في الحصول على إجابة له؛ وقال: «أخبرنا  
يا سيدتي عن رجل الصفصاف. ما هو؟ لم أسمع عنه قبل ذلك قط».  
«لا، لا تقل شيئاً عنه» - قال ذلك بيري وبيبين معاً، وقد جلسا فجأة في مكانيهما.  
«ليس الآن! ليس قبل أن يأتي الصباح!».

وقال الرجل العجوز: «حسناً! الآن وقت الراحة. هناك أشياء بغيض سمعها عندما  
يكون العالم في الظل. ناموا حتى ضوء الصباح، استريحوا على الوسادة! لا تغيروا  
انتباهمكم لأي ضوضاء لطيبة! لا تخافوا أي صفصاف رمادي!.. وبكلماته هذه أخذ  
المصباح وأطفأه، وأمسك بشمعة بكلتا يديه وقادهم إلى خارج الغرفة.

كانت مراتبهم ومساندهم ناعمة مثل الوبر، وكانت البطنانيات من الصوف الأبيض. لم يكادوا يضعون أنفسهم على الفرش العميقه ويُشدون عليهم الأغطية الخفيفة حتى راحوا في النوم.

في هدأة الليل، رقد فرودو في حلم دون ضوء. وبعد ذلك رأى القمر البائع يطلع، وفي ضوء القمر لاح أمامه جدار أسود من الصخر، يخترقه قوس أسود مثل بوابة عظيمة. بدا لفرودو أنه قد رفع لأعلى، ولما مر فوق الجدار الحجري، رأى أنه كان دائرة من التلال، وكان داخلها سهل، وفي وسط السهل كانت تقف قبة مستدقة من الحجر، مثل برج واسع لكنها لم تكن من صنع الأيدي. وفوق القمة كان هناك شكل لإنسان. بينما كان القمر يطلع، بدا أنه قد توقف معلقاً فوق رأسه للحظة. وكان شعره الأبيض يتلألأ بينما كانت الريح تحركه. ومن فوق السهل المظلم أسفل منه جاءته أصوات صراخ وحشية، وعواء كثير من الذئاب. وفجأة من ظل، مثل شكل أجنحة عظيمة، عبر القمر. ورفع الشكل ذراعيه وومض ضوء من العصا التي كان يستخدمها. وهبط نمر عظيم واحتمله بعيداً. وصرخت الأصوات وعواه الذئاب. كانت هناك ضوضاء مثل ريح قوية تهب، وكان محمولاً معها صوت حوافر، وعدو، عدو، عدو من الشرق. «الخيالة السود!» - هكذا فكر فرودو بينه وبين نفسه عندما استيقظ، وكان صدى صوت الحوافر لا يزال في عقله. وتساءل إن كانت ستواتيه الشجاعة مرة أخرى ليغادر الأمان الذي يتمتع به داخل هذه الجدران الحجرية. ورقد دون حركة، لا يزال ينصلت، ولكن كان كل شيء عند ذلك صامتاً، وأخيراً استدار وراح في النوم مرة أخرى أو دخل في حلم آخر لم يتذكره.

كان يرقد إلى جانبه بيبين يحلم أحلاماً سعيدة؛ ولكن حدث تغيير في أحلامه واستدار وتأوه. وفجأة استيقظ، أو اعتقد أنه استيقظ، ولكنه كان لا يزال يسمع في الظلام الصوت الذي أزعجه أحلامه: تتبّ - تاب، سكويك: كان الصوت مثل فروع مهتاجة في الريح، أصابع أغصان تخربش الجدار والنافذة: كريك، كريك، كريك. وتساءل إن كانت هناك أشجار صفصف بالقرب من المنزل؛ وبعد ذلك أنتابه شعور مخيف بأنه لم يكن في منزل عادي على الإطلاق، ولكن داخل الصفصف وهو ينصلت إلى ذلك الصوت الجاف الذي كان له صرير وهو يضحك عليه مرة أخرى. وجلس في مكانه، وأحس أن الوسائل الناعمة تستسلم ليديه، ورقد مرة أخرى وقد شعر بالراحة. بدا أنه قد سمع صدى الكلمات في أذنيه: «لا تخافوا من أي شيء! لتناموا في سلام وطمأنينة حتى الصباح! لا تغيروا اهتمامكم لأي ضوضاء ليلية!» وبعدها راح في النوم مرة أخرى.

لقد كان ما سمعه ميري يسقط في نومه الهادئ هو صوت الماء؛ مياه تساب في رقة، وبعد ذلك تنتشر، تنشر دون أي مقاومة حول البيت بكامله وتتحول إلى حوض

مظلم ليس له شطآن. كان يخر تحت الجدران، وكان يرتفع ببطء ولكن بثبات. وفكر في نفسه: «سوف أغرق! سوف تجد المياه طريقها للداخل، وبعد ذلك سوف أغرق». أحس أنه كان يرقد في مستنقع رخو موحّل، ولما هبَّ وأيقَّا، وضع قدمه على ركن من حجر لوحى صلب بارد. عند ذلك تذكر المكان الذي هو موجود فيه ورقد مرة أخرى. بدا أنه يسمع أو يتذكر أنه يسمع: ليس هناك شيء يمر من الباب أو النافذة هنا سوى ضوء القمر وضوء النجوم والريح التي تهب من قمة التل!» وحرك نسيم ضعيف من الهواء الجميل المستارة. وتنفس نفساً عميقاً وراح في النوم مرة أخرى.

وبقدر ما يمكنه أن يتذكر، فإن سام قد نام الليل بطوله في منتهي راحة البال، إذا كانت ألواح الخشب مرتاحه البال<sup>(١)</sup>.

واستيقظ أربعتهم في نفس الوقت، في ضوء الصباح. كان نوم يتحرك هنا وهناك في الغرفة وهو يصغر مثل زر زور. وعندما سمعهم يتحركون، صفق بيديه، وصاح: «مرحى! تعالوا يا أحبابي!» وشد الستائر الصفراء، ورأى الهوببيتون أن هذه الستائر كانت تغطي النوافذ من ناحيتي الغرفة، واحدة تطل نحو الشرق، والأخرى نحو الغرب.

وقفزوا من أماكنهم منتعشين. جرى، فردو إلى النافذة الشرقية، ووجد نفسه ينظر إلى مطبخ حديقة رمادي مما تكون عليه من ندى. لقد توقع جزئياً أن يرى مرحلة تصل لأعلى حتى الجدران، مرحلة كلها منقرضة بآثار الحوافر، في الواقع الأمر، كان هناك خط طويل من اللوبيا على أعمدة حجب عنه الرؤية؛ ولكن أعلى ذلك وفيما وراءه لاح التل مع شروق الشمس. كان صباحاً شاحباً: في الشرق، خلف السحب الطويلة مثل خطوط من الصوف المتسلخ الملطخ باللون الأحمر عند الحواف، كانت ترقد محيطات من الأصياغ الصفراء. كانت السماء تتذر بسقوط مطر؛ ولكن كان الضوء يتسع بسرعة، وبدأت الأزهار الحمراء على اللوبيا تتوهج في مقابل الأوراق الخضراء الندية.

نظر بيدين من النافذة الغربية إلى حوض كبير من السديم، اختفت الغابة تحت سحابة من الضباب. كان الأمر كالنظر من أعلى إلى سقف من السحاب المنحدر. كانت هناك طية أو فناة انكسر عندها السديم إلى عدة ريش وكتل؛ وادي نهر ويدى ويندل. وكان الجدول يجري عبر التل على اليسار واختفى في الظلال البيضاء. وقرباً في المتناول كانت هناك حديقة زهور وسياج من شجر مشذب محبوك باللون الأصفر، وفيما وراء ذلك كانت هناك عشبة رمادية مشذبة لونها شاحب من قطرات الندى المتساقطة عليها، ولم تكن هناك أي شجرة صفصاف يمكن رؤيتها.

(١) هنا إشارة إلى المثل الإنجليزي *to sleep like a log* – أي ينام مثل لوح من الخشب؛ أي ينام نوماً عميقاً (المترجم)

«صباح الخير، أيها الأصدقاء السعداء!» - صاح فيهم توم وهو يفتح النافذة الشرقية واسعاً، وتتفق هواء بارد ينساب نحو الداخل؛ وكانت رائحة رائحة المطر. «أعتقد أن الشمس لن تكشف عن وجهها كثيراً اليوم. لقد كنتُ أمشي بخطى واسعة، أقفز فوق قم التلال، منذ بدأ الفجر، أكتشف عن طريق الشم الريح والطقس، والعشب المبلل تحت قدمي، والسماء المبللة فوقى. أيقظت جولد بيري وهي تغنى تحت النافذة؛ ولكن ليس من شيء يوقظ الهوبيتين في الصباح الباكر. في الليل، الأشخاص الصغار يستيقظون في الظلمة، وينامون بعد أن يأتي الضوء! أفرع الناقوس! استيقظوا الآن، أصدقائي المرحين! انسوا الصخب الليلي! أفرع الناقوس! هنا يا أحبابي! إذا أتيتم في الحال فستجدون إفطاراً على المائدة، وإذا تأخرتم فسيكون نصيحكم العشب وماء المطر!».

ومن نافلة القول - أن تهديد توم لم يهدِّجَ جاداً - جاء الهوبيتون في الحال، وتركوا المائدة متأخرين، ولم يكن ذلك إلا عندما بدأت المائدة تبدو خالية. لم يكن توم ولا جولد بيري هناك. كان يسمع توم في المنزل، وهو يتحرك في المطبخ، ويصعد ويحيط السلام، ويغتني هنا وهناك بالخارج. كانت الغرفة تطل نحو الغرب على الوادي الذي يغلفه السديم، وكانت النافذة مفتوحة. كانت المياه تقاطر من الإفريز المسقوف بالقش. وقبل أن ينتهوا من تناول إفطارهم، تشابكت السحب مكونة سقفاً متواصلاً دون انقطاع، وجاء مطر رمادي متصل يهطل تدريجياً وعلى نحو ثابت.. حجبت الغابة تماماً وراءها ستارتها الداكنة.

بينما كانوا ينظرون من النافذة، جاءهم صوت يحيط في خفة كما لو كان ينساب مع المطر من السماء، صوت جولد بيري النقي وهي تغنى هناك فوقهم. كانوا يسمعون الكلمات، ولكن بدا واضحاً لهم أن الأغنية كانت أغنية مطر، حلوة مثل وابل المطر على التلال الجافة، كانت تحكي حكاية نهر من الربيع في الهضاب إلى البحر بعيداً جداً في الأسفل. وراح الهوبيتون ينصلتون في فرحة وبهجة؛ وكان فرودو سعيداً في قلبه، ولينعم الطقس العطوف بالسعادة؛ لأنَّه أخرهم عن الرحيل. كانت فكرة الذهاب ثقيلة عليه من اللحظة التي استيقظ فيها، ولكنه خمن الآن أنهم لن يذهبوا إلى أبعد من ذلك في هذا اليوم.

واستقرت الريح العلوية في الغرب، وراحت السحب الأكثر دكناً، والأكثر تحملًا بالماء تندحرج مسرعة حتى تنزل مطرها المحمل على الرعوس الجرداء للمرتفعات. لم يكن هناك شيء يمكن رؤيته في كل أنحاء المنزل سوى الماء المتساقط. وقف فرودو قريباً من الباب المفتوح وشاهد الممر الأبيض الطباشيري يتحول إلى نهر صغير من اللبن ويسير يقيق عبر الممر نحو الوادي. جاء توم يجري حول ركن البيت، وهو

يلوح بذراعيه كما لو كان يدفع المطر عن نفسه - وفي واقع الأمر عندما قفز فوق عتبة الباب ، فإنه بدا جافا تماماً ، باستثناء حذائه ذي الرقبة . وخلع الحذاء ، ووضعه في ركن المدفأة . بعد ذلك جلس في أكبر مقعد ونادى على الهوبيتين ليجتمعوا حوله .

وقال لهم : «هذا هو يوم استحمام جولد بيري ، ووقت نظافتها في الخريف . الدنيا مطيرة أكثر من اللازم بالنسبة للهوبيتين - لندعمهم يستريحوا مادام ذلك في استطاعتهم ! إنه يوم جميل للحكايات الطويلة ، للأسئلة والأجوبة؛ ولذلك فإن توم سوف يبدأ الحديث» .

وبعد ذلك قص عليهم الكثير من القصص المهمة ، أحياناً كما لو كان يتحدث إلى نفسه ، وأحياناً ينظر إليهم فجأة بعين زرقاء لامعة تحت حاجبيه الداكنين . وكان صوته في أوقات كثيرة يتحول إلى غذاء ، وكان يخرج من مقعده ويرقص في المكان . حتى لهم حكايات عن النحل والزهر ، وطرائق الأشجار ، والمخلوقات الغريبة في الغابة ، عن الأشياء الشريرة والأشياء الطيبة ، الأشياء الودودة والأشياء غير الودودة ، الأشياء القاسية والأشياء الطيبة ، والأسرار المختبئة تحت نباتات العليق .

وراحوا ينصتون ، وبدأوا يفهمون الكائنات الحية في الغابة ، بعيداً عن أنفسهم ، في واقع الأمر يشعرون بأنفسهم كالغرباء في حين أن جميع الأشياء الأخرى كانت غير غريبة في مواطنها . وكان رجل الصفاصاف العجوز يتحرك باستمرار دخولاً وخروجاً في حديثه يذكره بين الفينة والفينية ، وتعلم فرودو الآن ما يكفي ليرضيه ، في واقع الأمر أكثر مما يكفي؛ لأنها لم تكن معرفة مريحة . لقد كشفت كلمات توم قلوب الأشجار وأفكارها ، والتي كانت في الغالب مظلمة وغريبة ، وملئية بكراهية الأشياء التي تسير في حرية على الأرض ، وتتخر ، وتقضم ، وتكسر ، وتقطع إرباً ، وتحرق: المدمرن والمعنصبون . لم يطلق عليها اسم الغابة العجوز دونما سبب لذلك؛ لأنها كانت في الحقيقة قديمة ، بقايا غابات شاسعة منسية بقيت على قيد الحياة؛ وفيها كان لا يزال يعيش ، في تقدم عمري ليس بأسرع من التلال ، آباء آباء الأشجار ، يتذكرون أوقاتاً عندما كانوا سادة . السنوات التي لا تحصى ملأتهم بالكربلاء والحكمة الراسخة ، وبحد . ولكن لم يكن أي منها أكثر خطراً من الصفاصاف العظيم: كان قلبه متغناً ، ولكن قوته كانت خضراء يانعة ، وكان داهية ، وسيداً للرياح ، وكانت أغنىته وفكره يجريان عبر الغابة على كلا جانبي النهر . كانت روحه الرمادية العطشى تستقي قوتها من الأرض وتنشر مثل خيوط الجذور الدقيقة في الأرض ، وأصابع من أغصان غير مرئية في الهواء ، حتى كان تحت سيطرته كل أشجار الغابة تقريباً من السور إلى المرتفعات .

وفجأة ، ترك توم حديث الكلمات وراح يتنقل ما بين الجدول الشاب ، وفوق

شلالات المياه المتساقطة، وفوق الصخور والأحجار البالية، وبين الزهور في العشب القريب والشقوق المبتلة، ويسير في نهاية الأمر متوجلاً إلى المرتفعات. وسمعوا حكايات عن الجبال العظيمة، والروابي الخضراء، والحلقات الحجرية على التلال وفي تجاويف الوديان بين التلال. كانت النعاج تتغى في قطعاتها. ارتفعت جدران خضراء وجدران بيضاء. كانت هناك قلاع فوق المرتفعات. كان ملوك ممالك صغيرة يتقاولون معاً، وكانت الشمس الشابة تستطع مثل نار على المعدن الأحمر لسيوفهم الجديدة النهمة. كان هناك تصر وهزيمة، وسقطت أبراج، وحرقت قلاع، وارتقت ألسنة اللهب عالياً في السماء. وتكون الذهب في توابيت الموتى من الملوك والملكات؛ وغطتهم الروابي، وأغلقت الأبواب الحجرية، ونمطت الحشائش والعشب فوق الجميع. راحت النعاج تمشي لبعض الوقت وهي تقضم الحشائش، ولكن في الحال باتت التلال خالية مرة أخرى. وجاء ظل من الأماكن المظلمة من على بعد، وتحركت العظام في الروابي. ومشى سكان التلال الجنائزية في الأماكن الخالية مع صليل الخواتم في الأصابع الباردة، والسلسل الذهبية في الريح. راحت الحلقات الحجرية تظهر خارجة من الأرض مثل أسنان مكسورة في ضوء القمر.

ارتجم الهوببيون . بل لقد كانت تسمع شائعة سكان التلال الجنائزية الذين يقطنون مرفقفات التلال الجنائزية فيما وراء الغابة ، حتى في المقاطعة . ولكنها لم تكن حكاية يحب سماعها أي فرد من الهوببيين ، حتى عندما يكونون إلى جوار الموقد الوثير هناك بعيداً . هؤلاء الأربعـة - في ذلك الوقت - تذكروا فجأة ما ساقه ابتهاج هذا المنزل من عقولهم : منزل توم بومباديل مصنوع أسفل هذه التلال المخيفة المرعبة . لقد فقدوا خط حكايتها وتحركوا في قلق ، وهم ينظرون جانباً كل منهم إلى الآخر .

عندما التقطوا كلماته مرة أخرى وجدوا أنه قد تجول عند ذلك إلى مناطق غريبة فيما وراء ذاكرتهم وذكرياتهم وفيما وراء فكرهم وهم متقطعون، إلى أوقات كان العالم فيها أكثر اتساعاً، وكانت البحار تتدفق مباشرة إلى الشاطئ الغربي، ولم يزل توم يستمر ويعود وهو يغتني في ضوء النجوم القديمة، عندما لم يكن مستيقظاً سوى ملوك الجن. وعند ذلك، فجأة، توقف، ورأوا أنه هز رأسه كما لو كان قد نام. وجلس الهوبيتيون في سكون أمامه، وهم مسحورون؛ وبدا كما لو أن الريح - وقد وقعت في قبضة تعويذة كلماته السحرية - قد ذهبت، وأن السحب قد جفت، والنهار قد تراجع، والظلمة قد أتت من الشرق والغرب، وأمتلأت السماء كلها بضوء النجوم البيضاء.

لم يكن بإمكان فرودو أن يعلم ما إذا كان قد مر صباح ومساء يوم أو عدة أيام. لم يشعر بالجوع أو بالعطش، فقد كان فقط ممتلئاً بالعجب. كانت النجوم تستطع عبر

الناذرة وبداً أن صمت العماوات يحيط به من حوله. وتحدث أخيراً من منطلق دهشته وخوفه المفاجئ من هذا الصمت: وسأل هذا السؤال: «من أنت أيها السيد؟».

«ما، ماذَا؟» – رد عليه توم وهو يجلس في مكانه، وعيناه تتلألأ في الظلمة. «الآن تعرف اسمي بعد؟ هذه هي الإجابة الوحيدة. أخبرني، من أنت، أنت وحدك، أنت نفسك وبدون اسم؟ ولكنك شاب وأنا عجوز. الأكبر، هذا هو أنا. هل تستوعبون كلماتي، يا أصدقائي: توم كان هنا قبل النهر وقبل الأشجار، توم يتذكر أي قطرة مطر وأول بلوطة. صنع مرات قبل الناس الكبار، ورأى الناس الصغار يصلون. كان هنا قبل الملوك، والقبور، وسكان الجبال. عندما عبر أفراد الجن باتجاه الغرب، كان توم هنا بالفعل، قبل أن تتحنى البحار. عرف الظلمة التي تقع أسفل النجوم عندما كانت لا تعرف الخوف – قبل أن يأتي ملك الظلام من الخارج».

وبداً أن ظلاً يمر من خلال النافذة، ونظر الهوبيتيون على عجل عبر الألواح الزجاجية. وعندما استداروا مرة أخرى، كانت جولد بيري تقف في الباب خلفهم، يحيط بها الضوء في إطار. كانت تمسك شمعة، وتحيط شعلتها بيدها من تيار الهواء حتى لا تنطفئ، وكان الضوء يتدفق عبرها، مثل ضوء الشمس عندما يتدفق عبر صدفة بيضاء.

وقالت: «لقد انتهي المطر، وهناك مياه جديدة تجري نحو سفح التل، تحت النجوم. دعونا الآن نضحك ونسعد!».

وصاح توم: «ودعونا نتناول الطعام والشراب! الحكايات الطويلة عطشى. والاستماع لفترة طويلة عمل جائع، صباحاً، وظهراً، ومساءً!» ومع هذه الكلمات الأخيرة قفز خارجاً من مقعده، وفي وثبة واحدة أخذ شمعة من رف المدفأة وأضاءها في الشعلة التي كانت جولد بيري تمسك بها.. وبعد ذلك راح يرقص حول المائدة. وفجأة قفز عبر الباب واختفى.

وعاد سريعاً ومعه صينية كبيرة محملة بصنوف الطعام والشراب. بعد ذلك قام توم وجولد بيري بإعداد المائدة، وجلس الهوبيتيون شبه مذهولين وشبه ضاحكين: كانت جولد بيري غاية في الحسن والجمال، وكانت ثبات توم غاية في المرح والغرابة. ولكن بطريقة ما كانوا يبدوان أنهما ينسجان رقصة واحدة، لا يعيق أي منهما الآخر، دخولاً إلى الغرفة وخروجاً منها، وحول مائدة الطعام.. ويسرعاً كبيرة تم ترتيب الطعام والأواني والأضواء في نظام. أخذت الألواح تتوجه بالشمع، ببعضها وصفراء. وانحنى توم محيناً ضيفه. وقالت جولد بيري: «العشاء جاهز». وفي هذا

الوقت رأى الهوبيتون أنها كانت مكسوة كلها بالفضة مع حزام أبيض، وكان حذاؤها مثل درع الأسماك. ولكن توم كان مرتدًا ثياباً زرقاء نظيفة؛ زرقاء مثل نبات أذن الفأر الذي غسله المطر، وكان مرتدًا جورباً أخضر.

كان العشاء أفضل حتى مما سبقه من قبل. كان من الممكن أن يضيع الهوبيتون في ظل سحر كلمات توم وجبة أو عدة وجبات، ولكن عندما يكون الطعام أمامهم يبدون كأنهم لم يتناولوا طعاماً منذ أسبوع. لم يغنووا، بل ولم يتكلموا كثيراً لفترة قصيرة من الوقت، وأغاروا انتباهاً كبيراً للعمل. ولكن بعد وقت حافت قلوبهم وأرواحهم غالباً مرة أخرى، وراحوا أصواتهم تدوي في مرح وضحك.

وبعد أن أكلوا، غنت لهم جولد بيري أغاني كثيرة؛ أغاني بدأت بسعادة ومرح في اللال وراحوا تخفت في نعومة حتى تنتهي في صمت.. وفي فترات الصمت كانوا يرون في عقولهم أحواض مياه وبحاراً أوسع من أي أحواض أو بحار عرفوها، وعندما كانوا ينظرون إليها كانوا يرون السماء أسفل منها والنجوم مثل جواهر في الأعماق. وبعد ذلك تمنت لكل منهم مرة أخرى ليلة طيبة وتركتهم بجوار المدفأة، ولكن توم كان وقتها يبدو مستيقظاً تماماً وأمطراهم بوابل من الأسئلة.

كان يبدو أنه يعرف بالفعل كثيراً عنهم وعن أسرهم، وفي واقع الأمر يعرف الكثير عن كل التاريخ وأعمال المقاطعة التي ترجع إلى أيام لا يكاد يكون لها ذكر بين الهوبيتين أنفسهم. ولم تعد تدهشهم، ولكنه لم يخف عنهم مراً أنه يدين بمعرفته الأخيرة بشكل كبير للفلاح ماجوت الذي كان يبدو أنه ينظر إليه على أنه شخص له أهمية أكبر مما تخيلوا هم أنفسهم. وقال لهم توم: «هناك أرض تحت هاتين القدمين، وطين على أصابعه، وحکمة في عظامه، وكلتا عينيه مفتوحة». وكان واضحًا أيضًا أن توم كانت له تعاملات مع الجن، وكان يبدو - بطريقة ما - أن المعلومات الخاصة برحل فرودو كانت تصله من جيلدور.

في واقع الأمر، كان ما يعرفه توم كثيراً جداً، وكانت أسئلته ماكراً للغاية، لدرجة أن فرودو وجد نفسه يخبره عن بيبلو، وعن آماله هو نفسه ومخاوفه أكثر مما أخير به من قبل حتى جندل نفسة. وهز توم رأسه لأعلى ولأسفل، وومضت عيناه عندما سمع عن الخيالة.

«أرني الخاتم الثمين!» - قال ذلك فجأة في وسط الحكاية.. وقام فرودو - لداعي دهشته هو نفسه - بسحب السلسلة من جيبه، وفك الخاتم وأعطاه لتوم في الحال.

بدأ أنه صار أكبر حجماً وهو يستقر للحظة في يده ذات البشرة البنية. وفجأة وضعه بعد ذلك أمام عينه وضحك. لمدة ثانية تكون لدى الهوبيتين مشهد فاتن كوميدي ومخيف على حد سواء، لعينه ذات اللون الأزرق اللامع وهي تتوه عبر دائرة من

الذهب؟ وبعد ذلك وضع توم الخاتم حول طرف إصبعه الخنصر ووضعه أمام صنوة الشمعة. لم يلاحظ الهوبيتيون للحظة وقوع أي شيء غريب في ذلك. وبعد ذلك لهثوا وهم يتৎفسون. لم تكن هناك أي علامة على اختفاء توم!

وضحك فرودو - وانحنى توم للأمام وأعطاه له مرة أخرى وهو يبتسم. وصرخ فرودو - وانحنى توم للأمام وأعطاه له مرة أخرى وهو يبتسم.

نظر إليه فرودو عن كثب، بل بالأحرى في شك (مثل شخص أعاد حلبة صغيرة لمشعوذ). كان هو نفس الخاتم، أو بدا أنه نفس الخاتم وكان له نفس الوزن؛ حيث إن ذلك الخاتم كان يبدو دائمًا لفرودو أنه ثقيل الوزن بشكل غريب في يده، لكن شيئاً ما دفعه إلى أن يتأكد.

ربما كان متضايقاً بعض الشيء من توم لأنـه بـدا مستخفاً للغاية بشيء حتى جـنـدـلـف نفسه كان يرى أنه مهم بشكل خطير. وانتظر حتى تسـحـحـهـ لـهـ فـرـصـةـ،ـ عـنـدـمـاـ بدـأـ الـكـلامـ يـسـيـرـ مـرـةـ أـخـرـىـ،ـ وـكـانـ تـوـمـ يـخـبـرـهـ بـقـصـةـ سـخـيـفـةـ عـنـ حـيـوـاـنـاتـ الغـرـيرـ وـعـنـ طـرـائـقـهاـ الغـرـيـبـةـ - وبعد ذلك لبس الخاتم.

واستدار ميري نحوه ليقول شيئاً وصرخ صرخة مذعورة، وحيـسـ هـتـافـ تعـجـبـ بـدـاخـلـهـ.ـ كـانـ فـرـودـوـ مـسـرـوـرـاـ (ـبـطـرـيـقـةـ ماـ)ـ:ـ لـقـدـ كـانـ خـاتـمـ هـوـ خـاتـمـهـ دـوـنـ شـكـ؛ـ لـأـنـ مـيـرـيـ كـانـ يـحـدـقـ فـيـ اـنـدـهـاـشـ فـيـ مـقـعـدـهـ،ـ وـمـنـ الـوـاـضـحـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ يـرـاهـ.ـ وـنـهـضـ وـزـحـفـ فـيـ هـدـوـءـ بـعـدـاـ عـنـ جـانـبـ المـوـقـدـ نـحـوـ الـبـابـ الـخـارـجيـ.

«أنت هناك!» - صاح توم، وهو ينظر باتجاهه بـنظـرـةـ كـانـتـ أـشـدـ مـاـ يـكـونـ مـنـ الإـبـصـارـ فـيـ عـيـنـيهـ الـلـامـعـتـينـ.ـ «أـنـتـ!ـ تـعـالـ ياـ فـرـودـوـ،ـ هـنـاكـ!ـ إـلـىـ أـينـ سـتـذـهـبـ؟ـ تـوـمـ بـوـمـبـادـيلـ العـجـوزـ لـمـ يـعـدـ بـهـذاـ العـمـىـ بـعـدـ.ـ اـخـلـعـ خـاتـمـكـ الـذـهـبـيـ!ـ يـدـكـ أـكـثـرـ جـمـالـاـ بـدـوـنـهـ.ـ اـرـجـعـ!ـ اـتـرـكـ لـعـيـنـكـ وـاجـلـسـ إـلـىـ جـوـارـيـ!ـ يـجـبـ أـنـ تـنـتـحـدـثـ لـفـتـرـةـ قـصـيـفـةـ أـخـرـىـ،ـ وـنـتـفـكـرـ فـيـ أـمـرـ الصـبـاحـ.ـ يـجـبـ أـنـ يـعـلـمـكـ تـوـمـ الـطـرـيـقـ الصـحـيـحـ،ـ وـيـمـنـعـ قـدـمـيـكـ مـنـ الـانـزـلـاقـ وـالـتـيـهـ».

وضحك فرودو (محاولاً أن يشعر بالسرور)، وخلع خاتمه وجاء وجلس مرة أخرى. وأخبرهم توم عند ذلك أنه يعتقد أن الشمس ستشرق غداً، وسوف يكون صباحاً سعيداً، وسيكون بدء الرحلة مفعماً بالأمل. ولكن سيكون من الأفضل أن يدعوا رحلتهم في وقت مبكر؛ لأن الطقس في هذه البلدة كان شيئاً حتى توم نفسه لا يمكن له أن يكون وائقاً منه لفترة طويلة، ويتغير أحياناً أسرع مما يمكن أن يغير معطفه؛ وقال: «أنا لست سيداً في الطقس، وليس أحد من يسير على ساقين سيداً له».

وأخذوا بـنـصـيـحـتـهـ قـرـرـواـ أـنـ يـدـعـواـ رـحـلـتـهـ تـقـرـيـباـ نـحـوـ الشـمـالـ مـنـ مـنـزـلـهـ،ـ عـلـىـ مـنـحدـرـاتـ الـمـرـفـعـاتـ الـغـرـيـبـةـ وـالـدـنـيـاـ؛ـ وـرـبـماـ كـانـواـ يـأـمـلـونـ بـهـذـهـ الـطـرـيـقـةـ أـنـ يـقـطـعـوـاـ

الطريق الشرقي في رحلة يوم، وينجتباوا الجبال. ونصحهم بـألا يخافوا، وأن يهتموا فقط بشأنهم الخاص.

«الزموا الحشائش الخضراء. لا تعبثوا أبداً مع الحجر العجوز أو سكان التلال الجنائزية أو تدقوا إلى منازلهم، ما لم تكونوا أشخاصاً أقوىاء لكم قلوب لا تعرف التردد والخوف أبداً!» قال هذا أكثر من مرة.. ونصحهم بأن يمرروا بالتلل الجنائزية الموضوعة فوق القبور من الجانب الغربي، إذا حدث وتصادف أن ساروا بالقرب من أي منها. وبعد ذلك علمهم قصيدة يغنوها، في حالة إذا ما حدث عن طريق سوء الحظ أن وقعوا في أي خطر أو ورطة في اليوم التالي.

هو! توم يوم بومباديل، توم يوم بومباديل!  
بجوار الماء، الغابة والقل، بجوار القصب والصفصاف،  
بجوار النار، والشمس والقمر، أصنع الآن واسمعنا!  
 تعال، توم يوم بومباديل؛ لأن حاجتنا قريبة منا!

وعندما غنوا هذه الأغنية معاً وراءه، ربت على كتف كل منهم وهو يضحك ضحكة، وأخذ الشماعة وقادهم عائدين إلى غرفة نومهم.

## الفصل الثامن

### ضباب على مرتفعات التلال الجنائزية

في هذه الليلة لم يسمعوا أية ضوضاء. ولكن فرودو سمع - سواء في أحلامه أو خارجها، لا يمكنه أن يجزم بذلك - غناء عذباً يجري في عقله: أغنية بدت وكأنها تأتي مثل ضوء شاحب خلف ستار رمادي من المطر، وراح يزداد قوة ليحول ستار كله إلى زجاج وفضة، حتى طوي في النهاية، وفتح أمامه ريف أخضر بعيد مكشوف تحت ضوء الشمس التي راحت تشرق في خفة وسرعة.

وذابت الرؤيا وتحولت إلى يقطة، وإذا بتوم يصفر مثل شجرة مليئة بالطيور، وكانت الشمس بالفعل تنحدر إلى أسفل التل وتمر عبر النافذة. في الخارج، كان كل شيء أخضر وبلون الذهب الباهت.

بعد الإفطار - الذي أكلوه وحدهم أيضاً هذه المرة - استعدوا ليقولوا إلى اللقاء ويودعوا مضيغهم وداعاً ثقيلاً على القلب بقدر ما يمكن في صباح كهذا: بارد، وساطع، ونظيف تحت سماء الخريف الزرقاء زرقة خفيفة والتي غسلتها المطر. جاء الهواء نقىًّا من الشمال الغربي. كانت أفراسهم الهدائة مرحة لعوباً تقريراً، تتشمّم وتتحرك في قلق. خرج توم من المنزل ولوح بقعته ورقص على عتبة الباب، وهو يطلب من الهوبيتين أن يستيقظوا وينطلقوا في رحلتهم ويدهبا بسرعة.

وساروا عبر طريق دار بعيداً من خلف المنزل، وراح ينحدر لأعلى، متوجهًا إلى النهاية الشمالية من حافة التل الذي كان يأخذ ملاداً له أسفل منه. لم يكادوا ينزلقون من على أفراسهم ليقودها لأعلى عبر آخر منحدر عالٍ، حتى توقف فرودو فجأة.

وصاح: «جولد بيري! سيدتي الجميلة، مكسوة كلها بلون أخضر ذهبي! لم نودعها قطُّ ولم نقل لها إلى اللقاء، كما أتنا لم نرها منذ المساء!» كان مغتماً للغاية لدرجة أنه دار للخلف؛ ولكن في تلك اللحظة جاء نداء واضح صاف يتزرق ساقطاً مثل الماء. هنالك على حافة التل كانت تقف وهي تومئ لهم، كان شعرها سائباً يطير في الهواء، وكان يلمع ويتلألأً عندما تسقط عليه الشمس، وومض ضوء مثل ومض الماء على الحشائش المغطاة بالندى، ومض من تحت قدميها وهي ترقص.

وأسرعوا صاعدين آخر منحدر، ووقفوا لاهتين إلى جوارها. وانحنوا، ولكن بتلويحة من ذراعها، طلبت منهم أن ينظروا حولهم، ونظروا من قمة التل على الأرضي في ظل ضوء الصباح. كان الآن واضحاً صافياً ومرئياً من على بعد مثلاً

كان محظياً ومغفلاً بالسديم عندما وقفوا على الهضبة الصغيرة المدوره في الغاية، والتي يمكن الآن رؤيتها وهي ترتفع شاحبة وخضراء من الأشجار المظلمة في الغرب. في هذا الاتجاه، ارتفعت الأرض في سلاسل من تلال محاطة بالأشجار، خضراء، صفراء، خمرية، تحت الشمس، وكان يرقد وراءها وادي نهر براندي وابن. إلى الجنوب، فوق خط نهر ويندي ويندل، كان هناك وميض بعيد مثل زجاج شاحب حيث صنع نهر ويندي ويندل حلقة عظيمة في الأراضي المنخفضة وراح يتدفق بعيداً إلى حيث لا يعلم الهوبتيون عنه شيئاً. وباتجاه الشمال، فيما وراء المرتفعات المتضائلة، راحت الأرض تجري بعيداً في هيئة سهول منبسطة وأراضي منتفخة في ألوان أرضية رمادية وخضراء وشاحبة، حتى تلاشت وتحولت إلى مسافة عديمة الملامح وظليلة. ونحو الشرق، ارتفعت مرتفعات التلال الجنائزية، حافة مرتفعة خلف حافة مرتفعة مع طلوع الصباح، واختفت عن الأنظار متحولة إلى مجرد ضن: لم تكن أكثر من ظن من خيال، وميض بعيد أبيض يمتزج بأهادب المساء، لكنه كان يتحدث إليهم من الذاكرة والحكايات القديمة عن الجبال المرتفعة والبعيدة.

أخذوا جرعة عميقه من الهواء، وشعروا أن قفزة ومجموعات خطوات قليلة واسعة من الممكن أن تحملهم إلى أي مكان يرغبون فيه. لقد بدوا من الجبن أن يسيروا جرياً على جانب فوق الحواف المنهارة للمرتفعات باتجاه الطريق، في حين ينبغي عليهم أن يقذوا، وهم مفعمون بالحيوية مثل توم، فوق الحجارة المدرجة للتلال في خط مستقيم تجاه الجبال.

وتحدث إليهم جولد بيري واجذبت أعينهم وأفكارهم، وقالت لهم: «أسرعوا الآن، أيها الضيوف الجميلون! وتمسكوا بعرضكم! نحو الشمال مع الريح في العين اليسرى وتصحب السعادة خطوات أقدامكم! أسرعوا بينما الشمس مشرقة!» وتوجهت إلى فرودو قائلة: «الوداع يا صديق الجن، كان لقاء سعيداً مرحنا!».

ولكن فرودو لم يجد أي كلمات يرد بها عليها. وانحنى انحاء منخفضاً، وركب على فرسه، وتبعه أصدقاؤه يعدون بيضاء عبر المنحدر المرتفع تدريجياً خلف التل. اختفى منزل توم بومباديل والوادي والغاية عن الرؤية والأنظار. أصبح الهواء أكثر دفناً بين جدران جانب التل الخضراء وبين جانب التل، وارتفعت رائحة العشب قوية وحلوة وهم يستنشقونها. وعندما استداروا للخلف، لما وصلوا قاع تجويف الوادي الأخضر، رأوا جولد بيري، صارت عندها صغيرة ونحيلة مثل زهرة سطع عليها ضوء الشمس قبلة السماء: كانت تقف ساكنة ولا تزال تشاهدهم، وكانت يداها ممدودتين باتجاههم. وعندما نظروا، صاحت نحوهم صيحة واضحة، ورفعت يدها، واستدارت واختفت خلف التل.

ودار طريقهم عبر أرضية تجويف التل، وحول السفوح الخضراء لتل عال منحدر إلى واد آخر أكثر عمقاً واتساعاً، وبعد ذلك فرق حرف تلال أخرى، وهبوطاً عبر أذرع هذه التلال الطويلة، وصعوداً عبر جوانبها الممهدة مرة أخرى، وصعوداً إلى قم تلال جديدة ونزلولاً إلى وديان جديدة. لم يكن هناك أي شجر، أو أي مياه يمكن رؤيتها: كان بلداً من الحشائش والعشب الأخضر اللين القصير، كان الصمت سائداً باستثناء همس الهواء فوق حواف الأرض، والصيحات المرتفعة الوحيدة لطيور غريبة. وبينما كانوا يسرون في رحلتهم، راحت الشمس تصعد في كبد السماء وتزداد سخونة وحرارة. في كل مرة كانوا يصعدون فيها حافة مرتفعة، كان النسيم يبدو وقد أصبح أقل كثافة. عندما وقعت أعينهم على البلد الذي يقع إلى الغرب من الغابة البعيدة فإنه بدا كالدخان، كما لو أن المطر المتساقط يت弟兄 مرة أخرى وتصعد لأعلى من الأوراق والجذور وسطح الأرض. في ذلك الوقت كان هناك ظل يرقد حول الحافة التي تقع في مجال الإيصال؛ ضباب رقيق مظلم كانت الشمس فوقه مثل قبة زرقاء ساخنة وثقيلة.

عند منتصف النهار تقريباً، وصلوا إلى تل كانت قمته واسعة وبسيطة، مثل طبق ضحل وبحافة خضراء محاطة بهضاب صغيرة. في الداخل، لم يكن هناك هواء يتحرك، وبدت السماء قريبة من رءوسهم. وساروا بأفراسهم عبر الطريق ونظروا باتجاه الشمال. وبعد ذلك انتقضت قلوبهم، حيث بدا واضحاً لهم قد ساروا بالفعل أكثر مما كانوا يتوقعون. بكل تأكيد، صارت المسافات كلها الآن ضبابية وخداعية، ولكن لم يكن هناك شك أن المرتفعات كانت في طريقها للانتهاء. كان يمتد أسفل منهم واد طويلاً يسير متعرجاً نحو الشمال، حتى جاء إلى فتحة بين حافتين عاليتين. وفيما وراء ذلك، لم يكن يبدو أن هناك أي تلال. وفي اتجاه الشمال، لمحوا في ضعف خيطاً مظلاماً طويلاً، وقال ميري: «هذا صف من الأشجار، ولا بد أن يكون ذلك علامة على الطريق. كانت هناك أشجار نامية عبره بالكامل لمسافة فراسخ عديدة إلى الشرق من الجسر. يقول البعض إنها زُرعت في الأيام الخوالي».

وقال فرودو: « رائع! إذا سرنا في وقت ما بعد المظهرة هذا وقطعنا مسافة جيدة مثلما فعلنا في هذا الصباح، فإننا سنكون قد غادرنا المرتفعات قبل أن تغرب الشمس وسنعدو بحثاً عن مكان تخيم فيه». ولكن حتى بينما كان يتكلم، فإنه كان يحول نظره نحو الشرق، ورأى أنه في ذلك الجانب كانت التلال أكثر ارتفاعاً وكانت تطل عليهم لأسفل، وكانت كل تلك التلال مكللة بالروابي الخضراء، وفوق بعض منها كانت هناك صخور تشير لأعلى مثل أسنان مثلمة تخرج من لثى خضراء.

كان المنظر مقلقاً بعض الشيء؛ ولذلك فإنهم تحولوا عن المنظر وساروا هابطين

إلىدائرةالجوفاء، في وسط هذه الدائرة، كان هناك حجر وحيد، يقف طويلاً تحت الشمس التي تسقط أعلاه، وفي هذه الساعة لم يكن يلقي بأي ظل. كان عديم الشكل، لكنه كان ذا مغزى: مثل علامة هادية، أو أصبح حارسة، أو بالأحرى مثل علامة تحذير، لكنهم كانوا في ذلك الوقت جائعين، وكانت الشمس لا تزال وقت الظهيرة الخالي من الخوف؛ ولذلك فإنهم وضعوا أحزمتهم وأمتعتهم على الجانب الشرقي من الحجر. كان بارداً، كما لو لم يكن للشمس أي سلطان عليه لتدفنه، ولكن في ذلك الوقت كان ذلك يبدو طيفاً. في هذا المكان والزمان أخرجوا الطعام والشراب، وتناولوا وجية ظهيرة جيدة تحت السماء المفتوحة مثلاً يمكن أن يتمنى أي شخص آخر؛ لأن الطعام أتى من «أسفل.. تحت القل». لقد أعطاهن توم الكثير مما يوفر لهم الراحة طوال اليوم. وراحوا أفراسهم - وقد أنزلوا عنها أحمالهم - تطوف فوق العشب.

السير بأفراسهم على التلال، وأكلهم حتى الشبع، والشمس الدافئة ورائحة العشب، والرقد لفترة طويلة للغاية، ومدهم لأرجلهم ونظرهم إلى السماء فوق أنوفهم؛ كل هذه الأشياء كانت - من المحتمل - كافية لتفسير ما حدث. ومع ذلك، قد يكون ذلك هو الأمر: استيقظوا فجأة وبطريقة مزعجة من نوم لم يقصدوا أن يناموه قط.. كان الحجر القائم بارداً، وكان له ظل طويل شاحب امتد نحو الشمال فوقهم. كانت الشمس - التي كان لونها شاحباً وأصفر مائياً - تتوهج عبر السديم فوق الجدار الغربي لتجويف الوادي مباشرة الذي كانوا يرقدون فيه؛ كان الضباب كثيفاً، وبارداً وأبيض، في الشمال، والجنوب، والشرق، وفيما وراء الجدار. كان الهواء ساكناً، وثقيلاً وفاتراً. كانت أفراسهم تقف متجمعة مع بعضها وروعوها مطأطاة لأسفل.

وقف الهوبيتيون على أرجلهم في ذعر وإنزعاج، وجروا نحو الحافة الغربية. وجدوا أنهم كانوا على جزيرة في الضباب. حتى عندما نظروا في امتعاض نحو الشمس التي كانت في طريقها للغروب، فإنها غابت أمام أعينهم في بحر أبيض، وقفز ظل بارد رمادي لأعلى في الشرق من الوراء. وارتفع الضباب متسلقاً الجدران، وراح يرتفع فوق رءوسهم، وبينما كان يصعد راح ينحني فوق رءوسهم حتى أصبح سقفاً: لقد حبسوا في رواق من السديم عموده المركزي كان الحجر الواقف في قلب المكان. أحسوا كأن مصيدة تعلق حولهم، ولكنهم لم يفقدوا الشجاعة تماماً. كانوا لا يزالون يذكرون المنظر المفعم بالأمل الذي رأوه لخيط الطريق أمامهم، وكانوا لا يزالون يعرفون الاتجاه الذي كان يقع فيه هذا المخيط. على أية حال، تكون لديهم الآن كره عظيم لهذا المكان الأجوف حول الحجر؛ مما لم يترك فيهم أي تفكير في البقاء بذلك المكان. وحزموا أشياءهم بسرعة بقدر ما استطاعت أصابعهم المتجمدة بربما أن تعمل.

وفي الحال كانوا يقودون أفراسهم في صف واحد فوق الحافة هابطين عبر المنحدر المتوجه شماليًا من التل، إلى أسفل في بحر ضبابي. وبينما كانوا يسرون نازلين، أصبح السديم أكثر برودة ورطوبة، ووقف شعرهم مستقيماً دون تجعيد وتذلل فوق جيابهم. عندما وصلوا إلى القاع، كان بارداً للغاية لدرجة أنهم توقفوا وأخرجوا معاطفهم وأغطية رءوسهم، والتي أصبحت في الحال متداة بقطرات ندى رمادية اللون. عند ذلك، ركبوا أفراسهم، وواصلوا سيرهم في بطء، وهم يتحسنون طريقهم بارتفاع الأرض وانخفاضها. كانوا يتوجهون في سيرهم بشكل جيد قدر ما كانوا يخمنون، قاصدين الفتحة التي كانت شبيهة بالبوابة في النهاية الشمالية البعيدة للوادي الطويل والتي رأوها في الصباح. وما إن يصلوا إلى الفجوة ويعبروها، فإن كل ما سيتحتم عليهم فعله هو أن يواصلوا سيرهم على أي نحو مهما يكن في خط مستقيم وكان محظوظاً أنهم في النهاية سيصلون إلى الطريق. لم تذهب أفكارهم إلى ما وراء ذلك، باستثناء أمل منهم في أنه ربما لا يكون هناك أي ضباب فيما وراء المرتفعات.

كان سيرهم بطيناً جداً. وحرصاً منهم على لا ينفصلوا أو يسيراً في اتجاهات مختلفة، فإنهم ساروا في صف واحد، بقيادة فرودو. كان سام وراءه، وبعده كان بيبي، ثم ميري. بدا الوادي متداً إلى ما لانهاية. وفجأة رأى فرودو بارقة أمل. على كل من الجانبين أمامهم بدأت تلوح لهم ظلمة من خلال السديم، وحمن أنهم أخيراً يقتربون من الفجوة الموجودة في التلال، البوابة الشمالية لمرتفعات التلال الجنائزية. لو استطاعوا أن يعبروا هذه الفجوة فسيكونون أحراراً.

«هيا! اتبعوني!» – نادى عليهم من ورائه من فوق كتفه، وراح يحث الخطى للأمام. ولكن سرعان ما تغير أمله وتحول إلى اندهاش وذعر. أصبحت البقع المظلمة أكثر ظلمة، ولكنها انكمشت. . وفجأة، رأى حجرين ضخمين منتصبين كانوا يقان عالياً على نحو مشئوم أمامه ويميلان قليلاً كل منهما نحو الآخر مثل أعمدة باب لا رأس له. لم يستطع أن يتذكر إن كان قد رأى أي عالمة تدل عليهما في الوادي، عندما تنظر من فوق التل في الصباح. لقد مر بينهما قبل أن يدرك تقريراً. . وحتى عندما فعل ذلك بدت الظلمة تحيط به، وشب فرسه وصهل، ووقع من على الفرس. وعندما نظر للوراء، وجد أنه كان بمفرده – لم يتبعه الآخرون.

ونادى: «سام! بيبي! ميري! تعالوا إلى هنا! لماذا لم تواصلوا السير ورائي؟». لم تكن هناك أية إجابة. وانتابه الرعب، وجرى عائداً عبر الصخور وهو يصرخ في جنون: «سام! سام! ميري! بيبي!» وانطلق الفرس في السديم وأختفى. على بعد

مسافة ما، أو هكذا بدا له، ظن أنه سمع صرخة: «هوى! فرودو! هوى!» أكان مصدر الصوت بعيداً باتجاه الشرق، على يساره بينما كان يقف تحت الصخور العظيمة، وهو يحدق ويركز إلى الظلمة. واندفع في اتجاه النداء، ووجد نفسه يصعد في انحدار شديد أعلى التل.

وبينما كان يناضل شacula طريقه في الصعود، نادى مرة أخرى، وظل ينادي بجهون أكثر وأكثر؛ ولكنه لم يسمع أية إجابة لبعض الوقت، وبعد ذلك بدا الصوت خافتًا وبعيداً للأمام وعالياً فوقه. وجاءته الأصوات الواهنة من خارج السديم تنادي: «فرودو! هوى!». وبعد ذلك جاءت صرخة بدت كأنها صرخة استغاثة: النجدة، النجدة! وتكررت كثيراً وانتهت الأصوات بصرخةأخيرة: النجدة! امتدت إلى عویل طويل انقطع فجأة، واندفع للأمام بكل ما استطاع من سرعة باتجاه الصرخات لكن الضوء كان قد ذهب وقتها، وأطبق عليه الليل العالق من جميع النواحي؛ ولذلك بات من المستحيل عليه أن يتتأكد من أي اتجاه، وبدا أنه كان يصعد ويصعد طوال الوقت.

لم يكن هناك سوى التغيير في مستوى الأرض تحت قدميه هو الذي يعلم من خلاله أنه وصل أخيراً إلى قمة الحافة أو التل. كان متعباً، وينصبب عرقاً ولكنه كان متجمداً من البرد. كانت الدنيا ظلاماً حالكاً.

لم يكن هناك أي رد. ووقف ينتصت. وأدرك فجأة أنه كان يحس بالبرد، وأنه كانت هناك ريح في طريقها للهيبوب، ريح جليدية. كان هناك تغيير في الطقس في طريقه للحدود. كان السديم يتدفق أمامه في ذلك الوقت في قطع ومنزق. كان نفسه يدخن، وكانت الظلمة أقل قرباً وكثافة، ونظر لأعلى ورأى باندهاش أن النجوم الخافتة بدأت تظهر فوق رأسه وسط جداول السحب والضباب المنسارعة. وبدأت الريح تهس فوق الحشائش والعشب.

وتذكر فجأة أنه قد سمع صرخة مكتومة، وسار نحو الصرخة.. . وبينما كان يذهب للأمام كان السديم ينطوي لأعلى ويتبعه نحو الجانبين، وكانت السماء ذات التجوم تتكشف. نظر نظرة عند ذلك أظهرت له أنه كان مواجه الجنوب وأنه كان فوق قمة تل دائرة، لا بد أنه قد صعد إليه من الشمال. كانت الريح القارسة تهب قادمة من الشرق. ولاح له على يمينه قبالة النجوم الجنوبية شكل أسود مظلم. كانت هناك رابية ضخمة تقف أمامه.

وصاح ثانية في غضب وخوف على حد سواء: «أين أنت؟».  
 «هنا!» - رد عليه صوت، عميق وفاتر، بدا أنه يخرج من الأرض. «إني في انتظارك!».

فقال فرودو: «كلا!»، ولكنه لم يجر بعيداً. وخارت ركبته، وسقط على الأرض. لم يحدث أي شيء، ولم يكن هناك أي صوت. ونظر لأعلى وهو يرتعش، في الوقت المناسب ليرى شكلأً أسود طويلاً مثل ظل قبة النجوم مباشرة. وانحنى الظل فوقه. ظن أنه كانت هناك عينان باردتان جداً على الرغم من أنها كانتا متقدتين بضوء شاحب جداً أنه يأتي من مكان بعيد ما. بعد ذلك أمسكت به قبضة أكثر قوة وبرودة من الحديد. جمدت اللمسة الجليدية عظامه، ولم يتذكر أي شيء بعد ذلك.

عندما أفاق وعاد إلى نفسه، لم يستطع للحظة أن يسترجع أي شيء ما عدا إحساسه بالخوف. وبعد ذلك فجأة عرف أنه كان سجينًا، لقد صار في منتهي اليأس، لقد كان في تل من التلال الجنائزية. لقد أخذه أحد سكان التلال الجنائزية، وربما كان بالفعل واقعاً تحت التعويذات المخيفة لسكان التلال الجنائزية التي تحدثت عنها الحكايات الخامسة. لم يجرؤ أن يتحرك لكنه رقد في مكانه مثلاً وجد نفسه مستلقياً على ظهره تحت حجر بارد ويداه موضوعتان على صدره.

ولكن على الرغم من أن خوفه كان عظيماً للغاية لدرجة أنه بدا وكأنه جزء من الظلمة نفسها التي كانت تحيط به، فإنه وجد نفسه وهو يرقد على ظهره يفكر في بيلبو باجيتز وفي حكاياته، وعن جريهما معاً في طريق المقاطعة وحديثهما عن الطرق وعن المغامرات. هناك بذرة من شجاعة مختبئة (في الغالب في مكان عميق، هذا حقيقي) في قلب أكثر الهوبيتين بدانة وجينا، في انتظار خطر نهائي ما ويائس ليجعلها تنمو. لم يكن فرودو بديناً ولا جباناً في واقع الأمر، على الرغم من أنه لم يعرف ذلك، فإن بيلبو (وجنلف) كان يرى أنه أفضل هوبي في المقاطعة. اعتقاد أنه وصل إلى نهاية المغامرة، نهاية مريرة، ولكن الفكرة زادت من صلابته. وجد نفسه يتصلب، كما لو كان يستعد ليقفز قفزة نهائية، لم يعد يشعر بحال من الأحوال أنه عاجز مثل فريسة يائسة.

بينما كان يرقد في مكانه، يفكر ويستجمع شتات نفسه، لاحظ في الحال أن الظلمة كانت تتفسخ في بطة.. . كان هناك ضوء باهت مائل إلى الخضراء يزداد من حوله. لم يظهر له في البداية نوع المكان الذي كان فيه؛ لأن الضوء كان يبدو أنه يخرج منه هو نفسه، ومن الأرض التي بجواره، ولم يصل بعد إلى السقف أو الجدار. واستدار، وهناك في الوجه البارد رأى سام وبفين وميري يرقدون جميعاً إلى جواره. كانوا جميعاً على ظهورهم، وبدت وجوههم شاحبة شحوب الموتى، وكانوا مكتسين بثياب بيضاء. كانت ترقد حولهم كنوز كثيرة، من الذهب ربما، على الرغم من أنها في ذلك الضوء بدت باردة وبغيضة. كانت هناك حلٍ دائريٌ فوق رءوسهم، وسلامٌ ذهبيٌ

حول خصورهم، وفي أصابعهم الكثير من الخواتم. كانت هناك سيف إلى جوارهم، ودروع عند أرجلهم. ولكن عبر رءوسهم الثلاثة كان هناك سيف طويل مسلول. وفجأة بدأت أغنية: غمغمة فاترة، ارتفاع وانخفاض. بدا الصوت بعيداً جداً وكثيراً إلى حد لا يمكن قياسه، أحياناً يكون عالياً في الهواء وخافت، وأحياناً أخرى كأنه عوبل منخفض من الأرض. جاءت من التيار عديم الشكل للأصوات الحزينة بل والمرهقة، سلاسل من الكلمات وكانت من آن لآخر تشكل نفسها: كلمات متجمدة، صلبة، باردة، عديمة الرحمة، ويانسة. كان الليل يشكو من الشكوى من الصباح الذي حرم منه، وكان البرد يلعن الدفء الذي كان يتყى إليه. كان فرودو متجمداً من البرد حتى النخاع. وبعد فترة قصيرة أصبحت الأغنية أكثر وضوحاً، وأدرك - مع خوف ورعب في قلبه - أنها قد تحولت إلى تعويذة:

\* \* \*

لتكن اليد والقلب والعظام باردة،  
وليكن النوم بارداً تحت الحجر:  
لا تستيقظوا أبداً على فراش من حجر،  
أبداً، حتى تذبل الشمس، ويموت القمر.  
في الريح السوداء سوف تموت النجوم،  
ولكنهم لا يزالون نائمين هنا على الذهب،  
حتى يرفع سيد الظلام يده  
فرق بحر ميت وأرض ذابلة.

وسمع خلف رأسه صوت طقطقة وكشنط. رفع نفسه على ذراع واحدة، ونظر،رأى - في هذا الوقت - في الضوء الشاحب أنهم كانوا في شيء شبيه بالمر الذي يدور وراءهم حول زاوية. حول الزاوية كان هناك ذراع شخص طويل يتحسس، يمشي على أصابعه باتجاه سام، الذي كان أكثرهم قرباً في رقتهم، وباتجاه مقبض السيف الذي كان يرقد عليه.

في البداية، أحس فرودو كما لو كان قد تحول فعلاً إلى حجر بفعل التعويذة. بعد ذلك خطرت بباله فكرة مجنونة بالهروب. تسائل إن هو ليس الخاتم، فهل سيفقده هذا الشخص ساكن أحد التلال الجنائزية، وربما يجد طريقاً للهروب. فكر في نفسه وهو يجري حراً فوق الحشائش، يحزن على ميري وسام وبيبين، ولكنه هو نفسه هي. سوف يُقر جنديلاً أنه لم يكن هناك أي شيء آخر كان يمكن أن يفعله.

ولكن الشجاعة التي كانت قد أوقفت فيه كانت الآن قوية للغاية: لم يكن ليترك أصدقاءه بهذه السهولة. وارتعد، وراح يتحسس جيده، وبعد ذلك قاوم نفسه مرة أخرى؛ وعندما فعل ذلك، كانت الذراع تزحف وصارت أكثر قرابةً. وفجأة اشتد العزم بداخله، وأمسك بسيف قصير كان يرقد بجواره، وجثأ على ركبتيه وانحنى في وضع منخفض فوق أجساد رفقاءه. لا يدرى بأي قوة قام بجز الذراع التي كانت تزحف لتقترب من رفقاءه، اجتثها بالقرب من المعصم، وانفصلت اليد؛ ولكن في نفس اللحظة تمزق السيف حتى المقابض. كانت هناك صرخة واحتفى الضوء. في الظلام، كانت هناك ضوضاء مزمرة.

وسقط فرودو للأمام فوق ميري، وأحس بيرودة في وجه ميري. وفي الحال، عاد إلى عقله، الذي اختفى منه مع أول قدوم للضباب، جاءت ذكري المنزل الذي كان أسفل التل، وذكرى توم وهو يغنى. تذكر الأغنية التي علمهم إياها توم. في صوت صغير يائس بدأ يقول: هو! توم يومباديل! وبهذا الاسم بدا أن صوته صار قوياً: كان صوتاً كاملاً وحيياً، وراحت الغرفة المظلمة ترجع في صدى كما لو كان قرع الطبول ونفخ الأبواق.

هُوَ! توم يومباديل، توم يومباديل!  
بجوار الماء، الغابة والتل، بجوار القصب والصفصاف،  
بجوار النار، والشمس والقمر، أصنعي الآن واسمعنا!  
تعال، توم يومباديل، لأن حاجتنا قريبة هنا!

كان هناك صمت مفاجئ عميق، كان فرودو يسمع فيه قلبه يخفق. بعد لحظة طويلة بطيئة سمع صوتاً يجيء في غباء؛ وكان الصوت واضحاً ولكنه بعيد كما لو كان يأتي عبر الأرض أو عبر الجدران السميكة:

توم يومباديل العجوز شخص مرح،  
معطفه أزرق فاتح، وحذاؤه أبيض.  
لم يمسك به أحد قط، لأنه توم، هو السيد:  
أغانيه أغاني أكثر قوة، وقدماه أكثر سرعة.

كان هناك صوت عال مدمدم، كما لو كان صوت أحجار تتدحرج وتسقط، وفجأة دخل الضوء، ضوء حقيقي، ضوء النهار الواضح الجلي. ظهرت فتحة مثل باب

منخفض في نهاية غرفة فيما وراء قدمي فرودو؛ وكان هناك رأس توم (القبعة، والريشة، وكل شيء) يتشكل ويحاط بإطار أمام ضوء الشمس، وهي ترتفع بلونها الأحمر خلفه. سقط الضوء على الأرض، وعلى وجوه الهوبيتين الثلاثة الراقدين إلى جوار فرودو. لم يتحركوا، ولكن كان المظهر المرتضى قد تركهم. وبدوا الآن كما لو كانوا مستغرقين في النوم.

وانحني توم، ورفع قبعته، ودخل الغرفة المظلمة، وراح يغنى:

أخرج، أخرج يا ساكن التلة الجنائزية العجوز! تلاش في ضوء الشمس!  
لتذبل مثل السديم البارد، مثل الرياح وهي تعوي،  
أخرج إلى الأراضي القاحلة بعيداً عن الجبال!  
لا تأت أبداً هنا مرة أخرى! اترك تلك الجنائزية خالية!  
ضائعاً ومنسياً، أكثر ظلمة من الظلمة،  
حيث تقف الأبواب موصدة إلى الأبد، حتى يصلح العالم.

مع هذه الكلمات كانت هناك صيحة، وسقط جزء من **لأنهاية الداخلية** للغرفة محدثاً ارتطاماً. بعد ذلك كانت هناك صرخة طويلة متضائلة، تختفي بعيداً على مسافة لا يمكن تخمينها؛ وبعد ذلك صمت.

وقال توم: «تعال، أيها الصديق فرودو! هيا بنا نخرج من هنا إلى العشبة النظيفة! يجب أن تساعدني في حملهم».

وقاما معاً بحمل ميري، وبيبين، وسام. وبينما كان فرودو يغادر التلة الجنائزية للمرة الأخيرة ظن أنه رأى يداً مقطوعة لا تزال تتلوى، مثل عنكبوت مجروح، في كومة من التراب المتتساقط. وعاد توم ودخل مرة أخرى، وكان هناك صوت لكثير من الضرب والسحق. وعندما خرج كان يحمل بين دراعيه حملأاً عظيمًا من الكنوز: أشياء من الذهب، والفضة، والنحاس، والبرونز؛ عقوداً كثيرة وسلال وحلباً مزداناً بالجواهر. وصعد التلة الجنائزية مرة أخرى ووضع كل ذلك فوق القمة في ضوء الشمس.

وقف هناك، وقبيعه في يده والريح تطير شعره، ونظر لأسفل فوق الهوبيتين الثلاثة، الذين وضعوا على ظهورهم على العشبة في الجانب الغربي من الرابية. ورفع يده اليمنى، وقال في صوت واضح وأمر:

استيقظوا الآن أيها الرجال السعداء! استيقظوا وأسمعوا ندائى!  
 القلب الآن دافع والأوصال! الحجر البارد قد سقط،  
 على مصراعيه الباب المظلم مفتوح؛ كسرت اليد الميتة.  
 طار ليل تحت ليل، والباب صار مفتوحا!

ومما أثار فرحة فرودو العارمة أن تحرك الهوبيتون الثلاثة، ومدوا أذرعهم، وفركوا أعينهم، وبعد ذلك قفزوا واقفين فجأة. نظروا حولهم في ذهول، أولاً إلى فرودو، وبعد ذلك إلى توم الذي كان يقف ضخماً مثل الحياة على قمة الثلة الجنائزية، متوجاً ومحزماً بذهب باهت اللون، ويجلجل بحلي صغيرة.

«ما هذا باسم العجب العجاب؟» - بدأ ميري كلامه بذلك، وهو يتحسس الخلية الذهبية التي سقطت على عين واحدة. بعد ذلك توقف، ووقع ظل على وجهه، وأغلق عينيه؛ وقال: «بالطبع، إنتي أتذكر! لقد هاجمنا رجال مدينة كارن دوم ليلاً، وفهرونا. آه! الحرابة في صدرى!» وقبض على صدره؛ وقال وهو يفتح عينيه: «كلا! كلا! ما هذا الذي أقوله؟ لقد كنت أحلم. أين دهبت يا فرودو؟».

رد عليه فرودو قائلاً: «اعتقدت إنتي قد تهت، ولكنني لا أريد أن أتحدث عن ذلك. دعونا نفكر فيما يتحتم علينا أن نفعله الآن! دعونا نواصل رحلتنا!»

وقال سام: «وأنا بهذه الثياب يا سيدي؟ أين ملابسي؟» ورمى حليته، وحزامه، وخواتمه على العشب، ونظر حوله في يأس، كما لو كان يتوقع أن يجد معطفه وجاكته وبنطلونه وملابس الهوبيتين الأخرى ملقاة في مكان ما ليأخذها.

«لن تجد أي ملابس مرة أخرى» - قال له ذلك توم، وهو يقفز لأسفل من فوق الرابية، ويضحك بينما كان يرقص حولهم في ضوء الشمس. كان من الممكن أن يعتقد الواحد أنه لا شيء خطير أو مروع قد حدث؛ وفي الواقع الأمر - ثلاثي الرعب من قلوبهم عندما نظروا إليه، ورأوا الوهج المرح في عينيه.

«ماذا تقصد بذلك؟» - سأله بيدين ذلك السؤال، وهو ينظر إليه، نصف مرتبك ونصف سعيد. «لم لا؟».

ولكن توم هز رأسه، قائلاً: «لقد وجدتم أنفسكم مرة أخرى، حيث خرجتم من الماء العميق. الملابس ليست سوى خسارة بسيطة، إذا هربتم من الغرق. لتكونوا سعداء، يا أصدقائي المرحين، واتركوا الشمس الدافئة تدفئ الآن القلب والأوصال! لترموا هذه الأسمال الباردة بعيداً! اجروا عراة على الحشائش، بينما يذهب توم للصيد!».

وقفز بعيداً، وهو يصفر ويصبح. وعندما نظر فرودو إلى أسفل بعد توم، رأه يجري بعيداً باتجاه الجنوب عبر تجويف الوادي الأخضر بين تلهم والتل التالي، وهو لا يزال يصفر ويصبح:

أنتم! الآن! تعالوا هنا الآن! إلى أين تهيمون؟  
لأعلى، لأسفل، قريباً أم بعيداً، هنا أم هناك أم هناك؟  
آذان حادة، أنف حكيم، ذيل أنيق، وذراع،  
جوارب بيضاء يا رجلي الصغير، ويا حسانى لا مبkin البدن!

وهكذا راح يغنى، ويجري سريعاً، ويلقي قبعته لأعلى ويمسك بها، حتى حجبته طية من الأرض: ولكن كانت صيحته: «أنتم! الآن! تعالوا هنا الآن! تصل إلى أسماعهم لبعض الوقت تحملها الريح، التي تحولت في دائرة باتجاه الجنوب.

بدأ الجو يصبح دافئاً جداً مرة أخرى. راح الهوبيتون يجرؤون في المكان لفترة قصيرة على الحشائش، كما أخبرهم. بعد ذلك رقدوا يستدققون في الشمس وفيهم فرحة أولئك الذين دفعوا فجأة من الشتاء قارس البرودة إلى مناخ ودود لطيف، أو أناس، بعد أن كانوا مرضى وطريحى الفراش لفترة طويلة، استيقظوا في يوم من الأيام ليجدوا أنهم معافون على نحو غير متوقع واليوم لا يزال مجدداً مليئاً بالأمل.

ومع حلول الوقت الذي عاد فيه توم، كانوا يشعرون بالقوة ( وبالجوع). وعادوا الظهور، ظهرت قبعته أولاً، فوق حافة التل، وخلفه جاءت في صف مطیع ستة أفراس: خمسة أفراس خاصتهم بالإضافة إلى واحد آخر. كان الآخر بكل وضوح لمبkin البدن العجوز: لقد كان أكبر حجماً، وأقوى، وأكثر بدانة ( وأكبر سنًا) من أفراسهم هم. لم يقم ميري - الذي كانت الأفراس الأخرى ملكاً له - في الواقع بإعطائهما أيّاً من هذه الأسماء، ولكنها كانت تستجيب لهذه الأسماء الجديدة التي أعطاها لها توم على مدى ما تبقى من حياتها. ونادى عليها توم واحدة واحدة وصعدت فوق الحافة ووقفت في طابور. بعد ذلك انحنى توم للهوبيتين.

وقال لهم: «ها هي ذي أفراسكم، الآن! إن لديها إدراكاً (في بعض الطرق) أكثر منكم أيها الهوبيتون النائمون - إدراك أكثر في أنوفهم. لأنها تشم الخطر أمامها والذي تمثّلون أنتم إليه مباشرة؛ وإذا جرت لتنفذ أنفسها، فإنها في هذه الحالة تجري في الطريق الصحيح. يجب أن تعفوا عنها جميعاً؛ لأنه على الرغم من أن قلوبها مخلصة،

فإن مُجَابَهَة خطر سكان التلال الجنائزي أمر لم يخلقا له. انظروا، ها هم يأتون مجدداً، وهم يحضرُون كل أحمالهم!».

كما ميري وسام وبيبين الآن أنفسهم بملابس احتياطية كانت معهم في «الأمْتَعَة»؛ وفي الحال شعروا بأنهم في غاية الحر، لأنهم كانوا مضطربين لأن يلبسوا بعضًا من الأشياء الأكثر سمكاً والأكثر دفئاً التي أحضروها معهم تحسباً للشتاء القادم.

وسأل فرودو: «من أين أتي ذلك الحيوان الآخر البدن، ذلك لامبكين البدن؟». وقال له توم: «إنه حصاني. صديقي الذي يمشي على أربع؛ على الرغم من أني نادراً ما أركبه، وهو يطوف بعيداً في كثير من الأحيان، حراً فوق جوانب التلال. عندما بقيت أفراسكم معي، تعرفت على لامبكين؛ وشموه في الليل، وبسرعة جروا ليقابلوه. ولكن الآن، حصاني لامبكين الجميل، توم العجوز سوف يركب. هاي! إنه قادم معكم، فقط ليضعكم على الطريق؛ ولذلك فإنه يحتاج إلى فرس. لأنه لا يمكنك أن تتحدى بسهولة مع الهوبيتين الذين يركبون أفراسهم، في حين أنك تمشي على رجلك حاولاً الهرولة إلى جوارهم».

كان الهوبيتون مسرورين لسماع ذلك، وشكروا توم مرات كثيرة؛ ولكنه ضحك، وقال إنهم كانوا جيدين جداً في تصبيع أنفسهم لدرجة أنه لن يشعر بالسعادة حتى يراهم آمنين على حدود أرضه؛ وقال لهم: «لدي أشياء ينبغي أن أفعلها، صناعتي وغنائي، حديثي ومشيي، وحراستي للبلدة. لا يمكن أن يكون توم دوماً قريباً من الأبواب المفتوحة وشروع الصفصاف. توم لديه منزله ليعتنى به، وجولد بيري في الانتظار».

كانت الدنيا لا تزال مبكرة شيئاً ما بحسب الشمس، ما بين التاسعة والعشرة تقربياً، وحول الهوبيتون عقولهم إلى الطعام. كانت آخر وجبة أكلوها هي الغداء إلى جوار الحجر المنتصب في يوم قبل أمس. وأفطروا في ذلك الوقت على ما تبقى معهم مما أدمهم به توم من مؤونة، كان المفترض أن يكون عشاءهم، مع إضافات كان توم قد أحضرها معه. لم تكن وجبة كبيرة (مع أخذ الهوبيتين، والظروف، في الاعتبار)، ولكن شعروا بأنهم أفضل بكثير بسببها. بينما كانوا يأكلون، صعد توم على الرابية، ونظر عبر الكنوز. قام بتجمیع معظم هذه الكنوز في كومة راحت تلمع وتومض على الحشائش؛ وأمرها أن ترقد هناك «متاحة دون مقابل لجميع اللقطاء، أو الطيور، أو الحيوانات، أو الجن، أو الإنسان، وجميع المخلوقات الطيبة»؛ لأن سحر الثالثة الجنائزية - بهذه الطريقة - تكون قد كسرت وتناثر ولن يعود أحد ساكن التلال الجنائزية إليها أبداً. اختار لنفسه من بين هذه الكومة «بروش» مرصعاً بالأحجار

الزرقاء، الكثير منها مظلل مثل زهور الكتان أو أجنحة الفراشات الزرقاء. ونظر إليه طويلاً، كما لو كان قد حرّكته الذكرى، وهو يهز رأسه، ويقول في نهاية الأمر: «ها هي لعبة جميلة لتوم ولسيدته! لقد كانت جميلة تلك التي لبست هذا على كتفها منذ زمن طويل. سوف ترتديها جولد بيري الآن، ولن ننساها!».

واختار لكل واحد من الهوبيتين خنجراً، طويلاً، له شكل الورقة، وماضياً، ويمتاز بمهارة الصنعة الرائعة، مزين بخطوط فولاذية حمراء اللون وذهبية لها أشكال الأفاسي. كانت الخناجر تتلألأً وهو يخرجها من أغمامها السوداء، مصوّعة من معدن غريب، خفيف وقوى، ومرصعة بالكثير من الحجارة النارية. كانت أنصال السيف تبدو - سواء كان ذلك مرجعه لفضيلة في هذه الأغماد أو إلى السحر الذي يرقد في الرابية - وكأن الزمان لم يمسها، ولم تصداً، وحادة، تتلألأً وتتومض في الشمس.

وقال: «السفاكيين القديمة تعتبر طويلاً بما يكفي ليستخدمنها الهوبيتون كسيوف. من الجيد اقتناه الأنصال الحادة، إذا كان سكان المقاطعة سيدhibون شيئاً، نحو الشرق، أو نحو الجنوب، أو بعيداً جداً إلى الظلمة والخطر». بعد ذلك أخبرهم أن هذه الأنصال قد شُكلت منذ سنوات طويلة مضت، حيث قام على صناعتها إنس الأرض الغربية<sup>(١)</sup>: لقد كانوا خصوصاً لملك الظلام، ولكن قهرهم ذلك الملك المفترير - ملك كارن دون في أرض أنجمار.

وغمغم توم قائلاً: «قليلون الآن يتذكرونهم، ومع ذلك لا يزال البعض منهم يطوفون وينجولون، أبناء ملوك متسيون يمشون في وحدة وعزلة، يحرسون من الأشياء الشريرة أشخاصاً غافلين».

لم يفهم الهوبيتون كلماته، ولكن بينما كان يتكلّم، كان لديهم تصور لامتداد السنين امتداداً عظيماً وراءهم، مثل سهل شاسع ظليل كانت تسير فوقه أشكال الرجال بخطى واسعة، وهم طوال ومتوجهون ومعهم سيف لامعة، وفي النهاية أتي واحد به نجمة على جبينه. بعد ذلك تلاشى التصور، وعادوا في عالم تضيئه الشمس. لقد حان الوقت لبدء الرحلة مجدداً. وتجهزوا لرحلة، حيث حزموا حقائبهم وحملوها على أفراسهم. أما أسلحتهم الجديدة، فقد علقوها من أحزمةتهم الجلدية تحت معاطفهم، وهم يشعرون أنها خرقاء جداً، ويتساءلون إن كانت سيكون لها أي استخدام. لم يحدث أي شجار بالنسبة لأي منهم من قبل كواحدة من المغامرات التي يمكن أن يوصلهم إليها هروبيهم.

(١) إنس الأرض الغربية: Men of Westernesse؛ كلمة (Westernesse) معناها (West-land) – أي الأرض الغربية (المترجم)

وأخيراً، بدأت الرحلة. قادوا أفراسهم هابطين التل؛ وبعد ذلك ركبوا الأفراس وراحوا تخب سريعاً عبر الوادي. ونظروا وراءهم ورأوا قمة الرابية القديمة على التل، ومنها راح ضوء الشمس الذي يقع على الذهب يصعد مثل شعلة صفراء. بعدها داروا حول حرف أحد المرتفعات واختفت الشعلة عن الأنظار.

على الرغم من أن فرودو كان ينظر حوله من كل جانب، فإنه لم ير أي علامة على الحجارة العظيمة التي تقف مثل بوابة، وقبل أن يمضي وقت طويل وصلوا إلى الفجوة الشمالية وعبروا من خلالها بأفراسم في سلاسة، وصارت الأرض متراصة لمسافات بعيدة أمامهم. كانت رحلة سعيدة وتوم يوم بديل يسير إلى جوارهم، أو أمامهم، على فرسه لامبكين البدين، الذي كان يمكنه أن يسير بسرعة أكبر مما كان يوحى به محيط جسمه. كان توم يغنى معظم الوقت، ولكن غناه كان في معظمها كلاماً غير مفهوم، وإلا فإنه كان بلغة غريبة غير معروفة للهوبيتين، لغة قديمة كانت كلماتها في الأساس كلمات الاستغراب والابتهاج.

وراحوا يسيرون للأمام باطراد، ولكن في الحال رأوا أن الطريق كان أكثر بعضاً مما تخيلوا. حتى دون وجود ضباب، فإن نومهم في منتصف النهار كان سيحول بينهم وبين الوصول إليه إلى ما بعد حلول الليل في اليوم السابق. لم يكن الخط المظلم الذي رأوه صفاً من الأشجار بل كان صفاً من الشجيرات القصيرة نام على حافة قنطرة عميقه ذات جدار عال على الجانب البعيد. قال توم إن ذلك كان في يوم من الأيام حد مملكة، ولكن كان ذلك منذ زمن طويل جداً. لابد أنه يتذكر شيئاً حزيناً عن ذلك، ولم يقل الكثير.

ونزلوا المرتفع وخرجوا من الخندق الطويل، ومرروا عبر الفجوة الموجودة في الجدار، وبعد ذلك دار توم نحو الشمال مباشرة، وذلك لأنهم كانوا ينبعطون إلى الغرب إلى حد ما. كانت الأرض في ذلك الحين مستوية نوعاً ما، وزاروا من سرعة سيرهم، ولكن الشمس كانت بالفعل في طريقها للغرروب عندما رأوا أخيراً صفاً من الأشجار أمامهم، وعرفوا أنهم قد وصلوا إلى الطريق بعد الكثير من المغامرات غير المتوقعة. وجعلوا أفراسهم تعدو مسرعة فوق الفراسخ الأخيرة المتبقية، وتوقفوا تحت الظلاب الطويلة للأشجار. كانوا فوق قمة حافة منحدرة، ودار الطريق - الذي كان مظلماً في ذلك الوقت حيث كان المساء قد اقترب - بعيداً أسفل منهم. عند هذه النقطة، كان يسير تقربياً من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وعلى يمينهم كان ينخفض بسرعة كبيرة ليصل إلى وادٍ أجوف متسع. كان مليئاً بالأحاجيد وكان يحمل آثاراً كثيرة تدلُّ على مطر كثيف سقط قريباً؛ كانت هناك أحواض وحفر في الصخر مليئة بالماء.

وساروا بأفراسمهم هابطين حافة المنحدر وراحوا ينظرون إلى أعلى وإلى أسفل. لم يكن هناك شيء يمكن رؤيته؛ وقال فرودو: «حسناً، ها نحن أولاء قد وصلنا أخيراً! أعتقد أننا لم نخسر أكثر من يومين بسبب طريقي المختصر عبر الغابة! ولكن ربما يثبت أن هذا التأخير كان مهمًا - ربما يكون قد وضعهم بعيداً عن طريقنا».

ونظر الآخرون إليه. وراح ظل الخوف من الخيالة السود ينتابهم فجأة مرة أخرى. منذ أن دخلوا الغابة، فقد كان تفكيرهم منصبًا بصفة أساسية على العودة إلى الطريق؛ الآن فقط عندما بات الطريق تحت أقدامهم تذكروا الخطر الذي كان يطاردهم، وكان من الأكثر احتمالاً أنه يرقد متربقاً إياهم على الطريق نفسه. ونظروا في قلق للوراء باتجاه الشمس التي كانت في طريقها للغروب ولكن الطريق كان بناءً  
وخلال أيام

وأسأل ببيين في تردد وتلعثم: «هل تعتقد أنه من الممكن أن تكون مطاردين، هذه الليلة؟»

«وأجيابه توم يوم بمباديل قائلًا: «كلا، لعل ذلك لا يكون هذه الليلة، ولا الليلة التالية فيما يحتمل. ولكن لا تنقووا بحدسي؛ لأنني لا يمكن أن أخبركم بذلك خبر اليقين؛ إذ إن معلوماتي تكون قاصرة هناك في الشرق. توم ليس سيداً للخيالة من الأرض السوداء البعيدة جداً عن بلده».

ومع ذلك فإن الهوبيتين تمنوا أن يأتي معهم. كانوا يُحسنون أنه سيعرف كيف يتعامل مع الخيالة السود، إذا كان هناك أي شخص يعرف التعامل معهم. في الحال سوف يكونون منطافعين للأمام إلى أراض غريبة تماماً بالنسبة لهم، وتأتي وراء نطاق ذلك كله باستثناء أساطير المقاطعة الأكثر غموضاً والأكثر بعداً، وفي الشفق المجتمع، فإنهما وجدوا فيهم حيناً للوطن. كانت تسيطر عليهم وحدة عميقة، وإحساس بالضياع. ووقفوا في صمت، كارهين أن يفترقوا الفراق الأخير، ولم يدركوا إلا ببطء أن توم كان يودعهم، ويخبرهم أن يتحلوا بالشجاعة، وأن يسيراً دون توقف حتى يحل الظلام.

«سوف ينصحكم توم نصيحة جيدة، إلى أن ينتهي هذا اليوم (بعد ذلك فإن حظكم أنتم يتبعي أن يذهب معكم وأن يقودكم ويوجهكم)؛ أربعة أميال عبر الطريق، سوف تصلون بعدها إلى قرية، قرية بري تحت تل بري، تطل أبوابها باتجاه الغرب. هناك ستجدون حانة قديمة اسمها الفرس الواثب. بارليمان<sup>(1)</sup> بتربيير هو القائم عليها. هناك يمكنكم أن تمضوا الليلة، وبعد ذلك سوف يأخذكم الصباح سريعاً في طريقكم. اتحلوا بالشجاعة، ولكن كونوا حذرين! احتفظوا بقلوبكم المرحة، وسيروا لتقابلوا حظكم!».

(1) Barliman - مكونة من شقين (barley) ومعناها «الشعير» - وهي كلمة مناسبة لرجل صاحب حانة يقدم النبيذ والشراب؛ و (man) أي رجل - فيكون معنى الاسم «رجل الشعير». (المترجم)

ورجوه أن يأتي معهم على الأقل حتى الحانة ويشرب معهم مرة أخرى؛ ولكنه ضحك ورفض، وقال:

دوله توم تنتهي هنا: إنه لن يعبر الحدود.  
توم لديه منزله ليعنى به، وجولا بيري في الانتظار!

بعد ذلك، استدار، وقدف قبعته في الهواء، وقفز على ظهر لامبكين، وسار فوق الحافة وابعد وهو يغنى لغريب في الغسق.

وصدع الهوبيتون راحوا يشاهدونه إلى أن اختفى عن الانتظار.

وقال سام: «إنني آسف لأن أودع سيدي يومباديل. إنه شخص مدهش ولا غرف في ذلك. أعتقد أننا قد نسير كثيراً فيما بعد ولن نرى شيئاً أفضل، ولا أكثر غرابة. ولكنني لن أنكر أنني سأكون سعيداً لرؤية حانة الفرس الواثب هذه التي تحدث عنها. أتمنى أن تكون مثل حانة التنين الأخضر التي تركناها هناك بعيداً في وطننا! أي نوع من الناس يمكن أن يكون أولئك الذين يعيشون في قرية بري؟».

قال له ميري: «هناك هوبيتون في قرية بري، كما أن هناك أشخاصاً كباراً. أظن أنها ستكون عالية ومرحة بما يكفي. إن حانة الفرس حانة جيدة بكل المقاييس. إن قومي يذهبون إلى هناك من وقت لآخر».

وقال فرودو: «ربما تكون هي كل ما نتمناه، ولكنها خارج المقاطعة على الرغم من ذلك. لا تجعلوا أنفسكم تشعرون بالارتياح العائلي أكثر من اللازم! من فضلكم تذكروا - كلكم - أن اسم باجينز يجب ألا يذكر. أسمى السيد أندرهيل، إذا كانت هناك ضرورة لذكر أي اسم».

وركبوا عند ذلك أفراسهم وانطلقوا في صمت نحو المساء. راح الظلام يحل سريعاً، بينما راحوا هم يتهادون في بطء هابطين التل وبعد ذلك يصعدون مجدداً، حتى رأوا في النهاية أضواء تتوهج على بعد مسافة ما أمامهم.

هناك أمامهم كان يقف تل بري يسد الطريق، كتلة مظلمة مقارنة بالنجوم المغطاة بالعديم؛ وتحت حافته الغربية كانت تستكن قرية كبيرة. وأسرعوا في الحال باتجاهها وليس لديهم رغبة سوى أن يجدوا ناراً، وباباً بينهم وبين الليل.

## الفصل التاسع

### عند لافته حافة الفرس الواثب

كانت قرية البري هي القرية الرئيسية في أرض البري، منطقة صغيرة مأهولة بالسكان، مثل جزيرة في الأرض الخالية حولهم. بالإضافة إلى قرية البري نفسها، كانت هناك قرية ستادل<sup>(1)</sup> على الجانب الآخر من التل، وقرية كومبي في واد عميق يبعد قليلاً نحو الشرق، وقرية آرتشت على حافة غابة تشيتوود. كان يقع حول كل البري والقرى الثلاث بلدة صغيرة من الحقول وغابة مزروعة لا يزيد اتساعها على عدة أميال قليلة.

كان سكان البري ذوي شعربني، وكانوا ضخام البنية، وقصاراً إلى حد ما، ومرحين ومستقلين: لم يكونوا ينتمون لأحد سوى أنفسهم؛ ولكنهم كانوا أكثر وداً وألفة مع الهوبيتين، والأقزام، والجان، وسكان آخرين من العالم المحيطة بهم مما كان (أو مما هم عليه) مع الأشخاص الكبار. وحسب حكاياتهم هم أنفسهم فإنهم كانوا السكان الأصليين وكانتوا هم سلالات البشر الأوائل الذي كانوا أول من جاء إلى غرب العالم الأوسط. نجا قليلون منهم من اضطرابات الأيام الخوالي وظلوا على قيد الحياة؛ ولكن عندما عاد الملوك مرة أخرى فوق البحر العظيم، وجدوا أن سكان البري لا يزالون هناك، وكانوا لا يزالون هناك في ذلك الوقت، عندما تلاشت ذكري الملوك الكبار تماماً.

في تلك الأيام، لم يتخد أي من البشر الآخرين مساكن لهم حتى الغرب، أو في نطاق مائة فرسخ من المقاطعة. ولكن في الأراضي البرية غير المأهولة فيما وراء البري كان هناك طوافون غامضون. أطلق عليهم سكان البري الجوالون، ولم يعرفوا شيئاً عن أصلهم. كانوا أكثر طولاً وأكثر دكتة من سكان البري وكان يعتقد أن لديهم قوى إبصار وسمع غريبة، وأنهم يفهمون لغات الحيوانات والطير. راحوا يطوفون حسب رغباتهم نحو الجنوب، ونحو الشرق بل ووصولاً إلى الجبال الضبابية؛ ولكنهم كانوا في ذلك الوقت قلة وكانت نادراً ما يُرؤون. عندما ظهروا جلبوا أخباراً من أماكن بعيدة، وراحوا يقصون حكايات غريبة منسية وكان الناس ينصتون إليها في تلهف؛ ولكن سكان البري لم يتصادفوا معهم.

كما كانت هناك أيضاً الكثير من عائلات الهوبيتين في أرض البري وزعموا هم أنهم أقدم معمتوطنة من الهوبيتين في العالم، مستوطنة تأسست منذ زمن طويل بل وقبل أن يعبر نهر البراندي وain وتستعمر المقاطعة. وقد عاشوا في الغالب في قرية ستادل

---

(1) – اسم قرية في البري، ومعناها (foundation) – أي أساس أو قاعدة (المترجم)

على الرُّغمِ منْ أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ بَعْضٌ فِي الْبَرِّيِّ نَفْسَهَا، وَخَاصَّةً فِي مَنْهُدَرَاتِ التَّلَالِ الْأَكْثَرِ ارْتِفَاعًا، فَوْقَ مَنَازِلِ الْبَشَرِّ. كَانَ الْقَوْمُ الْكَبَارُ وَالْقَوْمُ الصَّغَارُ (كَمَا كَانَ يُطْلَقُ كُلُّهُمْ عَلَى الْآخَرِ) عَلَى صَلَةِ طَبَيَّةٍ، وَلَمْ يَهْتَمُوا سَوْيَ بَشَّئُونَهُمُ الْخَاصَّةَ بَطْرَقَهُمُ الْخَاصَّةَ، وَلَكِنَّ كَانَ كُلُّ الْطَّرْفَيْنِ يَنْتَظِرُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ بِحَقٍّ عَلَى أَنَّهُمْ أَجْزَاءٌ مَهِمَّةٌ مِنْ قَوْمِ الْبَرِّيِّ. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ وِجُودٍ فِي أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ فِي الْعَالَمِ لِمُثَلِّ هَذَا التَّرْتِيبِ الْفَرِيدِ (بِدِّ أَنَّهُ مُمْتَازٌ).

لَمْ يَكُنْ قَوْمُ الْبَرِّيِّ، الْكَبَارُ وَالصَّغَارُ، أَنْفُسِهِمْ كَثِيرٍ التَّرْحَالُ؛ وَكَانَتْ شَيْءُونَ الْقَرَى الْثَّلَاثُ شَغْلُهُمُ الشَّاغِلُ. وَمِنْ وَقْتٍ لَّاَخْرَ كَانَ الْهَوَيْبِيَّيُّونَ مِنْ قَرْيَةِ الْبَرِّيِّ يَذْهَبُونَ حَتَّى بَكْلَانْدُ، أَوْ حَتَّى الْإِبِيْسَتْ فَارْدِينِجْ؛ وَلَكِنَّ عَلَى الرُّغمِ مِنْ أَنَّ أَرْضَهُمُ الصَّغِيرَةُ لَمْ تَكُنْ أَكْثَرُ بَعْدًا مِنْ مَسِيرَةِ يَوْمٍ نَّحوَ الشَّرْقِ مِنْ جَسْرِ بِرَانِديِّ وَإِنْ، لَمْ يَعْدُ الْهَوَيْبِيَّيُّونَ مِنَ الْمَقَاطِعَةِ الْآنَ يَزْوَرُونَهَا إِلَّا نَادِرًا. يَأْتِي أَهْيَانًا مِنْ وَقْتٍ لَّاَخْرَ فَرِدٌ مِنْ الْبَاكِ لَانْدُ أَوْ التَّوُوكِ مَتْجُولًا إِلَى الْحَانَةِ لِقَضَاءِ لِيْلَةَ أَوْ لِيَلْتَيْنِ، وَلَكِنَّ حَتَّى ذَلِكَ أَصْبَحَ أَقْلَ، وَأَقْلَ اعْتِيَادًا. كَانَ الْهَوَيْبِيَّيُّونَ مِنَ الْمَقَاطِعَةِ يَطْلُقُونَ عَلَى سَكَانِ الْبَرِّيِّ، وَأَيِّ سَكَانٍ أَخْرَيْنَ يَعْشُونَ فِيمَا وَرَاءِ الْحَدُودِ، اسْمُ الدَّخْلَاءِ، وَلَمْ يَأْبُهُوَا بِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا جَدًا، حِيثُ اعْتَبِرُوهُمْ أَغْبَيَاءَ وَغَرَبِيِّ الْأَطْوَارِ. رِبَّمَا كَانَ هُنَاكَ الْكَثِيرُ وَالكَثِيرُ مِنَ الدَّخْلَاءِ مُنْتَشِرِينَ فِي غَرْبِ الْعَالَمِ فِي تَلْكَ الأَيَّامِ أَكْثَرُ مَا كَانَ يَتَخَيلُهُ سَكَانُ الْمَقَاطِعَةِ. وَلَمْ يَكُنْ بَعْضُهُمْ - مَا لَا شَكَ فِيهِ - أَفْضَلُ مِنَ الْمَتَسَوْلِيْنَ، عَلَى اسْتَعْدَادِ لِحَفْرِ حَفَرَةٍ فِي أَيِّ مَنْهُدَرٍ وَيَقْوُنُ فِيهَا فَتَرَةٌ قَدْرُ مَا تَنَاسُبُهُمْ. وَلَكِنَّ فِي أَرْضِ الْبَرِّيِّ، عَلَى أَيَّةِ حَالٍ، كَانَ الْهَوَيْبِيَّيُّونَ مُهَذِّبِينَ وَأَثْرَيَاءَ، وَلَمْ يَكُونُوا فِي بَسَاطَتِهِمْ أَوْ سَذَاجَتِهِمْ أَكْثَرٌ مِنْ مَعْظَمِ أَقْارِبِهِمْ غَيْرُ وَثِيقِيِّ الْقِرَابَةِ فِي الدَّاخِلِ. وَلَمْ يَكُنْ قَدْ نُسِيَّ بَعْدَ أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ وَقْتٌ كَانَتْ فِيهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْحَرْكَةِ ذَهَابًا وَإِيَابًا بَيْنَ الْمَقَاطِعَةِ وَالْبَرِّيِّ. كَانَ هُنَاكَ دَمُ مِنَ الْبَرِّيِّ فِي أَفْرَادِ الْبِرَانِدِيَّيْكَ بِكُلِّ الْمَقَابِيسِ.

يُوجَدُ فِي قَرْيَةِ الْبَرِّيِّ حَوْالِي مَائَةَ مَنْزِلٍ حَجْرِيٍّ لِلنَّاسِ الْكَبَارِ وَأَغْلِبُهَا فَوْقَ الطَّرِيقِ، تَسْكُنُ فِي جَانِبِ التَّلِّ وَلَهَا نَوَافِذٌ تَطْلُّ نَحْوَ الْغَرْبِ. فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ، كَانَتْ هُنَاكَ قَنَةً طَوِيلَةً - تَجْرِي فِي أَكْثَرِ مِنْ نَصْفِ دَائِرَةِ مِنِ التَّلِّ وَتَعُودُ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى - وَبِهَا سِيَاجٌ شَجَرِيٌّ كَثِيفٌ فِي الْجَانِبِ الدَّاخِلِيِّ مِنْهَا. فَوْقَ هَذِهِ الْقَنَةِ كَانَ فَوْقَ الطَّرِيقِ مَمْرُورٌ مَرْتَفَعٌ لِلسَّيْرِ؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ مَسْدُودًا بِبَوَابَةٍ ضَخْمَةٍ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يَخْتَرُقُ السِّيَاجَ الشَّجَرِيِّ عَنْدَهُ. كَانَتْ هُنَاكَ بَوَابَةً أُخْرَى فِي الرَّكْنِ الْجَنُوبِيِّ حِيثُ كَانَ الطَّرِيقُ يَخْرُجُ مِنَ الْقَرْيَةِ. كَانَتْ الْبَوَابَاتَانِ تَغْلِفَانِ مَعَ حَلْوَ اللَّيلِ؛ وَلَكِنَّ كَانَ بَدَاخِلَهُمَا مِبَاشِرَةً مَسَاكِنَ صَغِيرَةً لِحرَاسِ الْأَبْوَابِ.

هناك عبر الطريق، حتى كان يسير نحو اليمن ليدور حول سفح التل، كانت هناك حانة كبيرة. بنيت هذه الحانة منذ زمن طويل عندما كانت حركة المرور على الطريق أكبر بكثير. وذلك نظراً لأن قرية البري كانت تقف عند تقاطع قديم للطرق؛ هناك طريق قديم آخر كان يعبر الطريق الشرقي خارج القناة مباشرة عند النهاية الشرقية للقرية، وفي الأيام الخوالي كان الناس وأقوام آخرون من أطياف شتى يسافرون كثيراً عليه. [غريب كالأخبار من البري] كان لا يزال قوله مأثوراً في الإيست فار ذينج، أتى من هذه الأيام، عندما كانت الأخبار من الشمال والجنوب والشرق تسمع في الحانة، وعندما كان الهوبيتيون من المقاطعة يذهبون كثيراً لسماع هذه الأخبار. ولكن الأرضي الشمالي هجرت منذ زمن طويل، وصار الطريق الشمالي الآن نادر الاستخدام: نبتت فيه الحشائش، وصار سكان البري يطلقون عليه الطريق الأخضر.

كانت حانة البري لا تزال قائمة في مكانها، مع ذلك، وكان صاحب الحانة شخصاً مهماً. كان منزله مكان النقاء للعاطلين، والثرثاريين، والفضوليين من بين السكان، الكبار والصغار، من القرى الأربع؛ ولذا للجوالين وغيرهم من الهايمين على وجوههم، وبالنسبة لأولئك المسافرين (ومعظمهم من الأقزام) الذين لا يزالون يسرون في رحلاتهم على الطريق الشرقي، إلى الجنان ومنها.

كانت الدنيا ظلاماً، وكانت النجوم البيضاء تستطع، عندما أتى فرودو ورفاقه أخيراً إلى ملتقى معبر الطريق الأخضر واقربوا من القرية. أتوا إلى البوابة الغربية ووجدوها مغلقة، ولكن عند باب المسكن الذي كان يقع وراءها، كان هناك رجل جالس. وقف وأيقن فاتوساً ونظر فوق البوابة إليهم في دهشة.

وسألهم في فظاظة: «ماذا تريدون، ومن أين أنتم؟».

رد عليه فرودو قائلاً: «إتنا ذاهبون إلى الحانة الموجودة هنا. إتنا مرتلدون نحو الشرق ولا يمكننا السير إلى أكثر من ذلك هذه الليلة».

وقال حارس البوابة في صوت منخفض كأنما يحدث نفسه: «هوبيتيون! أربعة هوبيتين! والأكثر من ذلك، خارج المقاطعة حسب كلامهم». وراح يدقق فيهم في غموض للحظة، وبعد ذلك وببطء فتح البوابة لهم وتركهم يدخلون بأفراسهم.

وواصل كلامه، بينما توقفوا للحظة عند الباب، قائلاً: «إتنا لا نرى أشخاصاً من المقاطعة في الغالب يسرون على الطريق في الليل. أرجو أن تغفروا لي تساؤلي عن ذلك الشأن الذي يأخذكم بعيداً إلى شرق البري! وما هي أسماؤهم يا ترى، إذا جاز لي السؤال؟».

«أسماؤنا وعملنا هي أمور خاصة بنا نحن فقط، وهذا لا يبدو مكاناً جيداً لمناقشة ذلك» – قال ذلك فرودو في رده عليه، حيث لم تعجبه نظرة الرجل ولا نبرة صوته.

قال الرجل: «عملكم شأن خاص بكم، بلا شك، ولكنه عملي وشأنى أن أسأل أسئلة بعد حلول الليل».

وتدخل ميري في الحوار قائلاً: «نحن هوببيتون من باك لاند، ولدينا الرغبة في السفر والترحال وفي البقاء في الحانة هنا. اسمى ميري برانديباك. هل هذا يكفي لك؟ كان من عادة سكان البري أن يكونوا مهذبين ومحضرين في تعاملهم مع المسافرين، أو ذلك ما سمعته».

قال الرجل: «حسناً، حسناً! لم أقصد أي إهانة. ولكنكم ستجدون - من المحتمل - أن أناساً كثريين أكثر من هاري العجوز عند البوابة سوف يسألونكم أسئلة. هناك أشخاص غربيو الأطوار هنا. إذا ذهبتم إلى حانة الفرس، فإنكم ستجدون أنكم لستم الضيوف الوحيدين».

وتنمى لهم ليلة طيبة، ولم يتحدثوا بشيء أكثر من ذلك؛ ولكن فرودو رأى على ضوء المصباح أن الرجل كان لا يزال ينظر إليهم في ريبة. كان سعيداً أنه سمع البوابة وهي تغلق وراءهم، وهم يسيرون بأفراسمهم للأمام. وتساءل عما جعل الرجل مرتاباً للغاية، وما إذا كان هناك أي شخص يسأل عن أخبار مجموعة من الهوببيتون. هل من الممكن أن يكون ذلك جندي؟ ربما يكون قد وصل، عندما تأخروا في الغابة وفي المرتفعات. ولكن كان هناك شيء ما في نظرة حارس البوابة وفي صوته جعله يشعر بعدم الارتياح.

راح الرجل يتحقق بعد الهوببيتون للحظة، وبعد ذلك عاد إلى منزله. وما إن استدار ظهره، حتى صعد شكل أسود سريعاً فوق البوابة وذاب في ظلال شوارع القرية، وسار الهوببيتون في طريقهم صاعدين منحدراً تدريجياً، وعبروا مجموعة منازل قليلة منفصلة، وتوقفوا خارج الحانة. بدأ المنازل ضخمة وغريبة بالنسبة لهم. ونظر سام إلى الحانة بطوابقها الثلاثة ونوافذها الكثيرة، وشعر بقلبه يخونه، لقد تصور نفسه يقابل عمالقة أطول من الأشجار، بل ومخلوقات أخرى أكثر رعباً، في وقت من الأوقات في رحلته؛ ولكن في هذه اللحظة فإنه كان يجد أن أول مشاهدة له للبشر ومنازلهم العالية كافية تماماً، في الواقع الأمر كثيرة للغاية بالنسبة للنهاية المظلمة ليوم مرهق. وتصور خيانة سوداء يقونون بكمال عذتهم في ظلال قناء الحانة، والخيالة السود ينظرون من نوافذ علوية مظلمة.

وصرخ قائلاً: «نحن بكل تأكيد لن نبقى هنا هذه الليلة، أليس كذلك يا سيدي؟ إذا كان هناك هوببيتون في هذه الأجزاء، فلماذا لا نبحث عن بعضهم من الذين قد يكون لديهم الرغبة في إيوائنا؟ سوف يكون ذلك أكثر راحة وعائلية».

وقال فرودو: «ماذا هنالك من خطأ بشأن الحانة؟ لقد زكاها لنا توم بومباديل. أتوقع أنها ستكون مريحة وعائلية بالشكل الكافي في الداخل».

حتى من الخارج، بدأ الحانة منزلًا لطيفاً للعيون العائلية. لها واجهة على

الطريق، وجناحان يمتدان للوراء على أرض شقت جزئياً من المنحدرات الأدنى من التل، ولذلك فإن نوافذ الطابق الثاني في الخلفية تقع على مستوى واحد مع الأرض. كان هناك قوس عريض يؤدي إلى فناء بين الجناحين، وعلى الناحية اليسرى أسفل القوس كان هناك باب كبير يتم الوصول إليه عن طريق درجات سلم واسعة. كان الباب مفتوحاً وكان الضوء يناسب منه. كان هناك مصباح فوق القوس، وكانت تهتز أسفل منه لاقفة كبيرة: شب فرس أبيض بددين على قائميه الخلفيتين. كان مكتوباً فوق الباب بحروف بيضاء: الفرس الواثب لصاحبها بار ليمان بتربير. ظهرت أصوات خلف ستائر السميكه لكثير من النوافذ الواطئة.

بينما كانوا متربدين في الخارج في الظلمة، بدأ شخص ما يغني أغنية مرحة بالداخل، وانضممت إليه أصوات كثيرة أخرى مرحة بصوت عال في الكورال. راحوا ينصلتون إلى هذا الصوت المشجع للحظة وبعد ذلك نزلوا من على أفراسمهم. انتهت الأغنية وتلتها موجة من الضحك والتصفيق.

وقادوا أفراسمهم أسفل القوس، وتركوها واقفة في الفناء وصعدوا هم درجات السلم. تقدم فرودو وكاد يصطدم برجل قصير بددين أصلع الرأس وأحمر الوجه. كان مرتدياً مريلة بيضاء، وكان ينطلق في جلة خارجاً من باب وداخلاً في باب آخر، وهو يحمل صينية محملة بأباريق ممتنة.

وبدأ فرودو الكلام قائلاً: «هل يمكننا —؟».

«نصف دقيقة، من فضلك!» - رد عليه الرجل في صياح من فوق كتفه، واحتفى في ممعان من الأصوات وسحابة من الدخان. وفي لحظة خرج مرة أخرى، وهو يمسح يده في مريلته.

وقال وهو ينحني: «مساء الخير، يا سيدي الصغير. ما الذي يمكن أن تريده؟». «أسرة لأربعة أفراد، وإسطبل لخمسة أفراش، إذا كان ذلك في الإمكان. هل أنت السيد بتربير؟».

«هذا صحيح! اسمي بار ليمان. بار ليمان بتربير في خدمتك! أنت من المقاطعة، صح؟» - قال ذلك لهم، وبعد ذلك ضرب جبهته فجأة بيده، كما لو كان يحاول أن يتذكر شيئاً ما؛ وصاح: «هوببيتون! والآن بم يذكرني ذلك؟ هل لي أن أسأل عن أسمائكم يا سيدي؟».

قال له فرودو: «السيد تروك، والسيد برانديك، وهذا سام جامي. اسمي أندرهيل». «ها نحن أولاء الآن!» - قال ذلك السيد بتربير، وهو بعض أنامله، وواصل كلامه قائلاً: «لقد ذهبت مرة أخرى! ولكنها ستعود، عندما يكون لدى الوقت لأفكرة. إبني مشغول للغاية؛ ولكني سأرى ما يمكن أن أفعله لكم. في الغالب لا تأتينا مجموعة من

المقاطعة في هذه الأيام ، ويجب أن تعذروني في عدم الترحاب بكم. ولكن هناك حشد كبير وزحام بالفعل في الدار هذه الليلة متلما لم يكن منذ زمن طويل بشكل كاف. إنها لا تمطر أبداً، ولكنها تهطل مطرأ؛ هكذا نقول في البري .

وصاح: «مرحى! نوب! أين أنت، أنت أيها الوغد البطيء ذو القدمين الصوفيين؟ نوب!». .

«في الطريق إليك يا سيدتي!» - وظهر من الباب هوبيتي مرح الهيئة، ولما رأى المسافرين، توقف فجأة ونظر إليهم باهتمام بالغ.

وسأل صاحب المكان: «أين بوب؟ ألا تعرف؟ حسناً لتجده! بسرعة كبيرة! ليس لدى ستة أرجل، ولا ستة أعين! أخبر بوب أن هناك خمسة أفراس يجب وضعها في الإسطبل. يجب أن يجد لها مكاناً بأي حال من الأحوال». وانطلق نوب مسرعاً وعلى وجهه تكشيرة وهو يغمز بعينه.

«حسناً الآن، ما الذي كنت تساوق له؟» - قال ذلك السيد بتربير، وهو يضرب جبهته. «شيء يطرب الآخر، إذا جاز لي التعبير. إبني مشغول للغاية هذه الليلة، رأسي يدور. هناك مجموعة جاءت عبر الطريق الأخضر من الجنوب ليلة أمس - وكان ذلك غريباً بما فيه الكفاية، بادئ ذي بدء. وبعد ذلك هناك صحبة مسافرة معاً من الأقزام ذاهبون إلى الجنوب يأتون هذا المساء. والآن ها أنتم أولاء. لو لم تكونوا هوبيتين، لكن هناك شك في إمكانية توفير سكن لكم. ولكن لدينا غرفة أو اثنان في الجناح الشمالي صنعت خصيصاً للهوبيتين، عندما بني هذا المكان. في الطابق الأرضي متلما هم يفضلون في العادة؛ توافق مستديرة وكل شيء حسبما يحبونه. أتمنى أن تشعروا بالراحة. ستحتاجون إلى عشاء، لا أشك في ذلك. فوراً قدر القدرة الممكنة. من هنا الآن!».

وقادهم في طريق قصير عبر ممر، وفتح باباً، وقال: «هذه ردهة صغيرة لطيفة! أتمنى أن تناسبكم. بإذنكم الآن. إبني مشغول للغاية. ليس هناك وقت للكلام. يجب علي أن أجري. إنه عمل شاق بالنسبة لساقين، ولكني لا أصبح أكثر نحافة. سأعود لرؤيتك مرة أخرى في وقت لاحق. إذا أردتم أي شيء، فدقوا الجرس اليدوي، وسوف يأتي نوب إليكم. إذا لم يأت، فدقوا الجرس ونادوا!».

وأخيراً انطلق مسرعاً، وتركهم يশعرون وكأنهم يلهثون. بدا أنه قادر على التحدث في تيار لا ينتهي من الكلام، ومع ذلك فإنه قد يكون مشغولاً. وجدوا أنفسهم في غرفة صغيرة ومرحة. كانت هناك قطعة من نار لامعة تحترق في المدفأة، وكان أمامها بعض المقاعد الواطئة والمرتبطة. كانت هناك طاولة مستديرة، منشور عليها بالفعل مفرش أبيض، وكان عليها جرس يدوبي كبير. ولكن بوب، الخادم الهوبيتي، جاء يجري في جلبة قبل أن يفكروا في أن يدقوا الجرس بكثير. أحضر شموعاً وصينية مليئة بالأطباق الممتلة.

وأسألهم: «هل تريدون أي شيء لتشريوه أيها السادة؟ سوف أريكم غرف نومكم،

بينما يتم تجهيز العشاء» واستحموا، وبينما كانوا منهمكين في شربهم لكثوس عميقه جيدة من البيرة عندما جاءهما السيد بترير ونوب مرة أخرى. وفي لمح البصر كانت المائدة معدة. كان هناك حساء ساخن، ولحوم باردة، وتوترة التوت الأسود، وأرغفة طازجة، وشرائح من الزبد، ونصف قالب جبن ناضج: طعام جيد بسيط، جيد مثلاً يمكن أن تقدمه المقاطعة، ومرح عائلي بما يكفي لتبييد آخر هواجس لدى سام (والذي ارتأح كثيراً بالفعل من البيرة الممتازة).

ظل صاحب البيت لي بعض الوقت في المكان، وبعد ذلك استعد لترجمتهم؛ وعندما كان عند الباب قال لهم: «لا أدرى إن كنتم تريدون أن تتضموا للمجموعة، بعد أن تتناولوا عشاءكم. ربما يكون من الأفضل أن تذهبوا لفراشكم وتناموا. ومع ذلك فإن المجموعة ستكون سعيدة جداً للترحاب بكم، إذا كنتم ترغبون في ذلك. نحن لا يأتينا دخلاء - مسافرون من المقاطعة، إذا جاز لي التعبير، وأستميحكم عذرًا في ذلك - كثيراً؛ ونحن نود أن نسمع بعض الأخبار، أو أي قصة أو أغنية قد تكون في أذهانكم. ولكن على راحتكم وحسب رغبتكم! دقوا الجرس، إذا احتجتم إلى أي شيء!».

لقد شعروا بغاية الانتعاش والشجاعة في نهاية عشاءهم (حوالى ثلاثة أربع الساعة من الطحن المستمر، لم يعقبها أي كلام غير ضروري) لدرجة أن فرودو، وبيبين، وسام قرروا الانضمام للمجموعة. قال ميري: «إن ذلك يُمْكِن شأنه أن يكون غير ممتع للغاية». سوف أجلس هنا في هدوء إلى جوار النار لبعض الوقت، وقد أخرج في وقت لاحق لأسم الهواء. لتحاذروا في تصرفاتكم، ولا تنسوا أنه من المفترض أنتا هاربون سراً، ولا نزال على الطريق السريع ولسنا بعيداً جداً عن المقاطعة!».

وقال بيبين: «حسناً! لتهتم بنفسك، ولا تنس أن الأمر أكثر أماناً بالداخل!».

كانت المجموعة في حجرة الاستراحة الكبيرة في الحانة. كان الجمع كبيراً ومختلطًا، على حسب ما اكتشف فرودو، عندما اعتادت عيناه على الضوء. كان هذا الضوء يأتي في الأساس من نار متوجة من الحطب، لأن المصايبخ الثلاثة التي كانت معلقة من العوارض كانت خاتمة الضوء، ونصف مختلفة بالدخان. كان بارليمان بترير جالساً بالقرب من النار، يتحدث مع اثنين من الأقزام واحد أو اثنين من الرجال الغرباء. كان فوق المقاعد أشخاص مختلفون: رجال من البري، مجموعة من الهوبيتين المحليين (جالسون يثثرون معاً) عدد قليل آخر من الأقزام، ومجموعة من شخصوص آخرين مبهمين كان من الصعب معرفة أشكالهم في الظلال وفي الأركان.

وبمجرد أن دخل الهوبيتون القادمون من المقاطعة، كان هناك كورال من الترحاب من أفراد أرض البري. حدق فيهم الغرباء - وخاصة أولئك الذين أتوا عبر الطريق الأخضر - في فضول واستغراب. قام صاحب الحانة بتقديم القادمين الجدد إلى أفراد البري، في هدوء للغاية لدرجة أنهم - على الرغم من أنهم التقطوا أسماء

كثيرة – لم يكونوا متأكدين تقريرياً من كانت تخصهم هذه الأسماء. بدا أن أسماء رجال البري جمِيعاً نباتية إلى حد ما (وبالنسبة لسكان المقاطعة غريبة إلى حد ما)، مثل راشلات(1)، وجرووت ليف(2)، وهيدرثوز(3)، وأبل دور(4)، وثيسلول(5)، وفيرنى(6) (ناهيك عن بتربرير(7)). بعض الهوبيتين لهم أسماء شبيهة بذلك. على سبيل المثال، يبدو أن الأشخاص الذين يحملون أسماء مج وورت(8) كثيرون. ولكن معظمهم لهم أسماء طبيعية، مثل بانكس(9)، وبروك هاوس(10)، ولونج هوولز(11)، وساند هيفير(12)، وتنيل(13)، والتي كان يستخدم الكثير منها في المقاطعة. كان هناك كثيرون يحملون اسم أندرهيل(14)، من قرية ستادل، وحيث إنهم لا يستطيعون أن يتخلوا مشاركة اسم دون أن يكون له صلة، فإنهم أخذوا فرودو إلى قلوبهم ليكون ابن عم فقد منذ زمن طويل.

في الواقع الأمر، كان الهوبيتون من البري ودوين وفضوليين، وفي الحال اكتشف فرودو أن هناك حاجة إلى تقديم بعض التفسير لما كان يفعله. وراح يشرح قائلاً: إنه مهتم بالتاريخ والجغرافيا (وهز كثيرون رءوسهم عند سماعهم ذلك)، على الرغم من أنه لم تكن أي من هاتين الكلمتين كثيرتي الاستخدام في لغة البري). قال إنه يفكر في كتابة كتاب (الأمر الذي صحبه ذهول صامت)، وأنه هو وأصدقاؤه يريدون جمع معلومات عن الهوبيتين الذين يعيشون خارج المقاطعة، وعلى وجه الخصوص في الأرضي الشرقية.

(1) Rushlight – شمعة الأسل (المترجم)

(2) Goatleaf – صريمة الجدي (المترجم)

(3) Heathertoes – أصابع الخلنج (المترجم)

(4) Appledore – شجرة التفاح (المترجم)

(5) Thistlewool – صوف الشوك (المترجم)

(6) Ferny – السرخس (المترجم)

(7) Butterbur – بتربرير؛ اسم نبات تستخدم جذوره في علاج الصداع النصفي؛ يحسب موقع ([http://www.mediall.com/news/01\\_2005/01\\_30\\_2005/news\\_3.htm](http://www.mediall.com/news/01_2005/01_30_2005/news_3.htm)) (أوجد الباحثون أن جرعة يومية من جذور نبات المعروف بـ (butterbur) يمكن أن يكون لها تأثير آمن وكبير في الوقاية من الصداع النصفي]. (المترجم)

(8) Mugwort – حبق الراعي؛ ويعرف أيضاً بالشوبلاء وهو نبات عشبي معمر (المعلومات من موقع <http://www.arabic.edu-negev.gov.il/busam/cp/homepage/regFiles/Ear.doc>

(9) Banks – حواب أو ضفاف (المترجم)

(10) Brockhouse – بيت الترير (المترجم)

(11) Longholes – الفجوات الطويلة (المترجم)

(12) Sandbeaver – ساحب الرمل (المترجم)

(13) Tunnely – حفار الأنفاق أسفل التل (المترجم)

(14) Underhill – أسفل التل (المترجم)

عند سماع ذلك، كان هناك كورال من الأصوات العالية. إذا كان فرودو يريد حقاً أن يكتب كتاباً، وكان له الكثير من الأذان، كان لا بد أن يعلم ما يكفي لعدة فصول في دقائق قليلة. وإذا لم يكن ذلك كافياً، فإنهم أعطوه قائمة بالأسماء، تبدأ بـ «بارليمان العجوز هنا»، الذي يمكنه أن يتوجه إليه للحصول على مزيد من المعلومات. ولكن بعد فترة من الوقت، حيث لم يُدْ فرودو أي إشارة على كتابته لكتاب في الحال، عاد الهوببيتون إلى أسئلتهم عن أعمال في المقاطعة. لم يُظْهر فرودو أنه جيد في التواصل والاتصال، وفي الحال وجد نفسه يجلس وحيداً في ركن من المكان، ينصت وينظر حوله.

كان البشر والأقزام يتحدثون في الغالب عن أحداث بعيدة ونقل أخبار من نوع أصبح مألوفاً أكثر من اللازم. كان هناك اضطراب وقلق في الجنوب، وكان يبدو أن البشر الذين أتوا عبر الطريق الأخضر كانوا ينتقلون إلى مكان آخر، باحثين عن أرض يمكنهم أن يجدوا فيها بعض السلام والطمأنينة. كان سكان البري متعاطفين، ولكنهم بكل وضوح لم يكونوا مستعدين لاستيعاب عدد كبير من الأغراط في أرضهم الصغيرة. كان أحد المسافرين شخصاً أحول دمياً يتكلّم بأن الكثيرون والكثير من الأشخاص سيأتون من الشمال في المستقبل القريب؛ وقال بصوت عال: «إذا لم نجد مكاناً لهم، فإنهم سيدعون المكان لأنفسهم. إن لديهم الحق في أن يعيشوا، مثلهم مثل الآخرين». لم يَدِ أن السكان المحليين مسرورون راضون عن هذا التوقع.

لم يعر الهوببيتون الكثير من الانتباه لذلك كله، ولم يَدِ في هذه اللحظة أنه يهم الهوببيتون. الناس الكبار نادراً ما يرجون العثور على مأوى لهم في مساكن الهوببيتون. لقد كانوا أكثر اهتماماً بسام وبيبين، اللذين كانوا في ذلك الحين يشعران بالارتياح والبهجة العائلية، وكانوا يتحدثان في مرح عن الأحداث في المقاطعة. آثار بيبين قدرًا كبيراً من الضحك عندما قص حكاية انهيار سقف فجوة المدينة في بلدة مايكيل ديلفينج<sup>(1)</sup>: لقد دُفِنَ ويل وايتفووت<sup>(2)</sup>، العمدة، وأكثر هوببيتي يدانة في الويسْت فارذينج، في الطباشير، وخرج من تحت الأنقاض مثل قطعة زلايبة معמורה في الدقيق. ولكن كانت هناك أسئلة عديدة سُئلت مما جعل فرودو قلقاً بعض الشيء. أراد أحد سكان أرض البري، وكان يَدِ أن ذهب إلى المقاطعة مرات عديدة، أن يعرف أين يعيش أفراد الأندرهيل وإلى من يمتون بصلة القرابة.

وفجأة لاحظ فرودو أن رجلاً غريب المنظر مسفوغ الوجه بفعل عوامل الطقس، كان يجلس في الطلال قريباً من الجدار، كان ينصت أيضاً في تركيز إلى حديث الهوببيتون.

(1) Michel Delving – المدينة الرئيسية في المقاطعة، واسمها يعني (large excavation) – أي الحفرة الكبيرة (المترجم)

(2) Will Whitfoot – Will – رغبة أو إرادة؛ Whitfoot – مكونة من White – وهي اختصار لكلمة White – ومعناها أبيض، وكلمة foot – ومعناها قدم – (المترجم)

كان أمامه إبريق طویل، وكان يدخن غليوناً طویل الساق مصنوعاً بطريقة غريبة. كانت ساقاه ممدودتين أمامه، وكان يُظهر حذاءه من الجلد اللين الذي كان يناسبه بشكل جيد، ولكن الحذاء كان قد بلغ كثيراً وصار الآن مكسواً بالوحش. كان هناك معطف من قماش أخضر داكن ثقيل عليه آثار السفر ملفوف بإحكام حوله، وعلى الرغم من حر الغرفة، كان يرتدي غطاء رأس ظلل وجهه؛ ولكن كان يرى وميض عينيه وهو ينظر إلى الهوببيين.

«من هذا؟» - سأله فرودو، عندما أتيحت له الفرصة ليهمس إلى السيد بتربير.

«لا أعتقد أنك قدمته لي».

«قدمته؟» - قال ذلك صاحب الحانة في همس جوابي، وهو يغمز عينيه دون أن يدبر رأسه: «أنا لا أعرفه في واقع الأمر. إنه واحد من الأشخاص الطوافين - إننا نسميه الجوالين. إنه نادراً ما يتكلّم: لا ينطق بشيء إلا أنه يمكن أن يقص حكاية نادرة عندما يرحب في الكلام. إنه يختفي لمدة شهر، أو سنة، وبعد ذلك يظهر مرة أخرى. كان يأتي ويذهب كثيراً جداً في الربيع الماضي؛ ولكني لم أره في الفترة الأخيرة. أما عن اسمه الحقيقي الصحيح، فأنا لم أسمع بذلك قط: ولكنه معروف هنا حولنا باسم سترايدار<sup>(1)</sup>. وهو يتحرك في المكان بخطى عظيمة على ساقيه الطويلين؛ على الرغم من أنه لا يخبر أحداً عن السبب الذي يجعله يسرع هكذا. ولكن ليس هناك تفسير للشرق وللغرب، كما نقول في البري، ونقصد بذلك الجوالين وسكان المقاطعة، إذا سمحت لي. من الغريب أن تسأل عنه». ولكن عند هذه اللحظة، نودي على بتربير حيث طلب منه المزيد من الشراب وظللت ملاحظته الأخيرة دون تفسير.

وجد فرودو أن سترايدار كان ينظر في ذلك الوقت، كما لو كان قد سمع أو خمن كل ما قيل. وفي الوقت الحاضر، بتلویحة من يده وهزة رأس، دعا فرودو أن يأتي ويجلس إلى جواره. وعندما اقترب فرودو منه، فإنه رمى غطاء رأسه للخلف من على رأسه، وأظهر رأساً أشعث به شعر أسود ممزوج بالشيب، وفي وجه شاحب متوجه كانت هناك عينان رماديتان.

وقال بصوت منخفض: «يسمعوني سترايدار. أنا سعيد جداً لمقابلتك يا سيدي - أnderhيل، إذا كان بتربير العجوز قد أخذ اسمك بشكل صحيح».

وقال فرودو في صرامة: «هو ذلك تماماً». وشعر بأنه أبعد ما يكون عن كونه مرتاحاً في ظل النظرة الحادة لهاتين العينين الحادتين.

وقال سترايدار: «حسناً يا سيد أnderhيل، لو كنت مكانك، لكان ينبغي علي أن أمنع أصدقاءك من الحديث كثيراً أكثر من اللازم. الشراب، النار، وال مقابلة التي تؤتي

(1) Strider - و معناها واسع الخطى (المترجم)

بالمصادفة، أمور لطيفة بما يكفي، ولكن، حسناً - هذه ليست المقاطعة. هناك أشخاص غريبو الأطوار في الجوار. على الرغم من أنني أقول ذلك على أنه لا ينبغي، قد تظن أنت ذلك؟ وأضاف بابتسامة ساخرة، وهو يرى تحديق فرودو. «والأكثر من ذلك، كان هناك مسافرون أكثر غرابة عبر قرية البري في الفترة الأخيرة» - واستمر في مشاهدته ومراقبته لوجه فرودو.

ورد فرودو نظرته المحدقة، ولكنه لم يقل شيئاً؛ ولم يُشر سترايدار بأي إشارة أخرى. وبدا أن انتباهه قد تركز فجأة على بيبين. وما أثار انزعاج فرودو كثيراً، أنه أدرك أن الشاب التروكي السخيف، وقد تشجع بنجاحه مع العمدة البدين من مايكل ديلفينج، كان يقوم في ذلك الوقت بالفعل بسرد حفلة وداع بيبلو على نحو كوميدي. كان يقوم بالفعل بتقديم محاكاة لخطاب بيبلو، وكان يقترب أكثر من اختفاء بيبلو المذهلة.

وتضليل فرودو. لقد كانت حكاية غير مؤذية بما يكفي بالنسبة لمعظم الهوببيين المحليين، بلا شك: إنها مجرد قصة ظريفة عن أولئك الناس الظرفاء الذين يسكنون بعيداً فيما وراء النهر؛ ولكن البعض (بتزوير العجوز - على سبيل المثال) علموا شيئاً أو اثنين، ومن المحتمل أن يكونوا قد سمعوا شائعات منذ زمن طويل عن اختفاء بيبلو. من شأن ذلك أن يستحضر اسم باجينز في عقولهم، وعلى وجه الخصوص إذا كانت هناك استفسارات في البري عن ذلك الاسم.

وتململ فرودو في مكانه في عصبية، متسائلاً ما الذي يمكن أن يفعله. كان بيبين فيما يedo مستمتعاً كثيراً بالانتباه والاهتمام الذي استحوذ عليه من مستمعيه، وقد أصبح ناسياً تماماً الخطر الذي يتربص بهم. وانتاب فرودو خوف مفاجئ من أنه في حالته المزاجية الحالية قد يذكر الخاتم نفسه؛ ومن شأن هذا أن يكون كارثياً إلى حد بعيد.

وهمس سترايدار في أذنه قائلاً: «الأفضل أن تفعل شيئاً سريعاً».

وهب فرودو واقفاً، ووقف على طاولة، وبدأ الحديث. وتشتت انتباه جمهور بيبين من المستمعين. ونظر بعض الهوببيين إلى فرودو وضحكوا وصفقوا، معتقدين أن السيد أندرهيل قد شرب كثيراً من الشراب لدرجة أنه قد سكر.

وشعر فرودو فجأة بأنه غبي جداً، ووجد نفسه (كما كانت عادته عندما يلقى خطاباً) يتحسس الأشياء الموجودة في جيده بأصابعه. وتحسس الخاتم في سلسلته، وعلى نحو لا يمكن تفسيره انتباه الرغبة في أن يضع الخاتم في إصبعه ويختفي من حرج هذا الموقف السخيف. وبدا له - بحال من الأحوال - كما لو كان الاقتراح قد جاءه من الخارج، من شخص أو شيء في الغرفة. وقاوم الإغراء بكل شدة، وبقبض على الخاتم في يده، كما لو كان يريد أن يمسك به ويمنعه من أن يهرب أو يفعل أي شر أو سوء.

على أية حال لم يوح له ذلك بأي شيء. وتكلم كلمات قليلة مناسبة، كما يمكن أن يقولوا في المقاطعة: إننا جميعاً ممتنون كل الامتنان لعطف استقبالكم لنا، وإنني لأتجرا وأتمنى أن تساعد زيارتي القصيرة في تجديد علاقات الصداقة القديمة بين المقاطعة وبين البري؛ وبعد ذلك تلعم وکح.

كان الجميع في الغرفة الآن ينظرون إليه. وصاح واحد من الهوبيتين: «أغنية!» وصاح جميع الآخرين: «أغنية! أغنية! هيا الآن، يا سيدى، غن لنا شيئاً لم نسمعه من قبل!».

وقف فرودو للحظة فاغرّا فاه من الذهول. وبعد ذلك في يأس بدا أغنية سخيفة كان يبلو مغرماً بها إلى حد ما (وفي الواقع كان فخوراً بها، لأنّه صاغ الكلمات بنفسه). كانت الأغنية عن حانة؛ ومن المحتمل أن يكون ذلك هو الذي جعلها تخطر ببال فرودو في ذلك الوقت تحديداً. وها هي ذي كاملة. ليس هناك سوى كلمات قليلة منها الآن - كقاعدة - التي يتذكرها الناس..

هناك حانة، حانة قديمة سعيدة  
تحت التل الرمادي القديم،  
وهناك يخمرون بيرة بنية للغاية  
لدرجة أن الرجل في القمر نزل هو نفسه  
ذات ليلة ليشرب حتى يمتلىء.

السائب لديه قط سكرأن  
يعرف على كمان ذي خمسة أوتار؛  
ويجري قوسه لأعلى ولأسفل،  
يصرخ في آن عالياً، وفي آن آخر يخر واطئاً،  
وفي آن ينشر في المنتصف.

صاحب البيت لديه كلب صغير  
مغرم بالنكت بشكل كبير؛  
عندما يكون هناك صياح كبير بين الضيوف،  
فإنه يشرع أذنا لسماع كل النكت  
ويضحك حتى يختنق.

-

كما أن لديهم بقرة يقررون  
ذات كبرىاء مثلها مثل أي ملكة؛  
ولكن الموسيقى تدير رأسها مثل الشراب،  
وتجعلها تهتز ذيلها المجدول  
وترقص على العشبنة الخضراء.

وأوه! صفوف الأطباق الفضية  
ومخزن الملاعق الفضية!  
في يوم الأحد هناك زوج مخصوص،  
وهذا يلمعونه بكل عناء  
بعد ظهيرة أيام الأحد.

كان الرجل في القمر يشرب بشراهة،  
وبدأت القطعة تعوي؛  
ورقص طبق على المائدة وملعقة،  
وطفرت البقرة في الحديقة في جنون،  
وراح الكلب يطارد ذيله.

وأخذ الرجل في القمر كأساً آخر،  
وبعد ذلك انطوى تحت مقعده؛  
وهناك نام قليلاً وحلم بالشراب،  
حتى صارت النجوم في السماء شاحبة،  
وكان الفجر في الهواء.

قال السائن لقطه السكران:  
«أحسنت القمر البيضاء،  
إنها تصهل وتعض على شكريتها الفضية؛  
ولكن سيدهم قد كان وأغرق كل حواسه،  
وسوف تشرق الشمس في الحال!».

ولذلك عزف القطة على كمانه أغنية هاي ديدل ديدل،  
أغنية راقصة توقظ الموتى:  
وقصر النغمة وعزف بقوسه وأسرع،  
في حين هز صاحب البيت الرجل الموجود في القمر:  
وقال: «إنها بعد الثالثة!».

ودحرجو الرجل في بطء لا على التل  
وارسلوه إلى القمر،  
في حين راحت خيله تعدوا على قوائمها الخلفية،  
وجاءت البقرة تطفر مثل الغزال،  
وجرى طبق مع الملعقة.

وراحت الكمان الآن تعزف أسرع أغنية ديدل - دام - ديدل؛  
وببدأ الكلب في الزئير،  
ووقفت البقرة والخيل على رءوسها؛  
وقفز الضيوف جميعهم من أسرتهم  
وراحوا يرقصون على الأرض.

وراحت خيوط الكمان تعزف في صوت مدو ورنان!  
وقفرت البقرة فوق القمر،  
وضحك الكلب الصغير ليرى هذا المرح،  
وانطلق طبق السبت جارياً  
بملعقة يوم الأحد الفضية.

وانطوى القمر الدائري خلف التل  
بينما رفعت الشمس رأسها.  
لم تك تصدق عينيها<sup>(١)</sup> الناريتين  
لأنه على الرغم من أن الدنيا كانت نهاراً، فلدهشتها  
ذهبوا جميعاً إلى فرشهم للنوم!

(١) الجن (والهوبيتون) يستخدمون ضمير المؤنث العاقل دائمًا مع الشمس.

وكان هناك تصفيق عال وطويل. فقد كان صوت فرودو جيداً، وداعبت الأغنية خيالهم. وصاحوا قائلين: «أين بارلي العجوز؟ ينبغي أن يسمع هذه. يجب أن يعلم بوب قصة عزف الكمان، وبعد ذلك سوف نرقص». وطلبو المزيد من الشراب، وبدعوا يصيرون: «لتسمعنا إياها مرة أخرى، أيها السيد! هيا الآن! مرة أخرى!».

وجلوا فرودو يشرب شراباً آخر، وبعد ذلك يبدأ أغنيته مرة أخرى، بينما انضم إليه الكثيرون منهم؛ وذلك لأن اللحن كان معروفاً جداً، وكانوا أذكياء في التقاط الكلمات. وكان الآن دور فرودو في أن يشعر بالرضا عن نفسه. وراح يثبت فوق الطاولة فرحاً؛ وعندما وصل للمرة الثانية إلى «وقفت البقرة فوق القمر»، ففز في الهواء في نشاط بالغ للغاية؛ إلا أنه هوى، في سقطة شديدة، واصطدم بصينية مليئة بالأباريق، وانزلق، وتدرج من على الطاولة مع اصطدام ولعنه وارتظام! فتح جميع النظارة أفواههم على اتساعها بالضحك، وتوقفوا فجأة في صمت فاغرين أفواههم؛ لأن المغني اختفى. تلاشى بكل بساطة، كما لو كانت الأرض قد انشقت وابتلعته دون أن يترك حفرة وراءه!

وحق المهوبيون المحليون في اندهاش وذهول، وبعد ذلك قفزوا على أقدامهم وصرخوا منادين على بارليمان. ابتعد جميع الحضور بعيداً عن بيبين وسام، اللذين وجنا نفسيهما قد تركا بمفردهما في ركن من المكان، وراحو ينظرون إليهما في ريبة وشك من على بعد. كان واضحاً أن كثيراً من الناس كانوا ينظرون إليهم الآن على أنهم رفاق ساحر رحالة له قوى وأغراض غير معروفة. ولكن كان هناك واحد من أرض البري داكن البشرة، كان واقفاً ينظر إليهم وعلى وجهه تعبر فطن ونصف ساخر، الأمر الذي جعلهم يشعرون بعدم الارتياح الشديد. وانسل - عندئذ - خارجاً من الباب، وتبعه الرجل الجنوبي الأحوال: كان الاثنان يتهمسان معاً كثيراً خلال لقاء. كما خرج هاري - حارس البوابة - بعدهم مباشرة.

شعر فرودو بأنه أحمق. حيث إنه لم يعرف ما الذي يفعله بعد ذلك؛ زحف بعيداً أسفل الطاولات إلى الركن المظلم إلى جوار سترايدار، الذي كان يجلس دون حراك، ولم يجد عليه أي علامة على أفكاره. انحنى فرودو للوراء على الجدار وخلع الخاتم. كيف حدث ووصل الخاتم إلى إصبعه، لا يعرف ذلك. كل ما يمكنه أن يفترضه هو أنه كان يبعث به في جيده عندما كان يغنى، وأن الخاتم - بحال من الأحوال - انسل في إصبعه عندما حاول أن يستند على يده في حركة عنيفة مفاجئة لينفذ نفسه من السقوط. وتساءل للحظة إن كان الخاتم نفسه قد خدعه؛ ربما يكون الخاتم قد حاول أن يكشف عن نفسه استجابة لرغبة ما أو أمر ما كان يشعر به في الغرفة. لم يعجب فرودو نظرات الأشخاص الذين خرجنوا. «حسناً؟» - قال ذلك سترايدار، عندما ظهر فرودو مرة أخرى. «لماذا فعلت ذلك؟

إنه أسوأ من أي شيء كان يمكن أن يفعله أصدقاؤك! لقد أخطأت خطأً فاضحاً: لقد وضعت قدماك في الوحل أو الغائط! أو بالأحرى هل يجب أن أقول وضعت إصبعك؟»<sup>(١)</sup>.

وقال له فرودو، وقد تضايق وانزعج: «لا أدرى ماذا تقصد؟».

فأجابه سترايدار قائلاً: «أوه، نعم، أنت تعلم ما أقصد، ولكن من الأفضل أن تنتظر حتى يحمد الصياغ والضجيج. وبعد ذلك – من فضلك – يا سيد باجينز، أريد أن أتحدث معك على انفراد».

«عن ماذا؟» – سأله فرودو، متاجهلاً الاستخدام المفاجئ لاسمي الحقيقي.

وأجابه سترايدار، وهو ينظر في عينيه: «مسألة لها قدر من الأهمية – لكني. ربما تسمع شيئاً ما لمصلحتك».

وقال له فرودو، محاولاً أن يظهر أنه غير مكترث بشيء: «حسناً جداً، سوف أتحدث معك في وقت لاحق».

وفي ذات الوقت كان هناك جدل ونقاش إلى جوار المدفأة. جاء السيد بتربيير يجري، وكان يحاول أن ينصلت إلى روايات عديدة عن الحدث في نفس الوقت.

وقال شخص هوبيتي: «لقد رأيته يا سيد بتربيير، أو على الأقل لم أره، إذا كنت ت يريد أن تفهم ما أعنيه. لقد اخترقي فجأة وتلاشى في الهواء، بطريقة مجازية».

وقال صاحب الحانة، وهو ينظر في ارتباك وحيرة: «أنت لا تقول يا سيد مجوورت!».

ورد عليه مجوورت قائلاً: «نعم أقول. وإنني أعي ما أقول، بل والأكثر من ذلك».

وقال بتربيير وهو يهز رأسه: «هناك خطأً ما في مكان ما. كان هناك الكثير من الكلام واللغط عن ذلك السيد أندرهيل واختفائِه المفاجئ تماماً بل وتلاشيه، حسبما يكون أكثر احتمالاً في هذه الغرفة».

وصاحت أصوات عديدة: «حسناً، أين هو الآن؟».

«كيف لي أن أعرف؟ إننا ترحب بذهابه إلى أي مكان يريد، طالما كان سيدفع في الصباح. هناك السيد تووك، الآن: إنه لم يخف ويلاش».

وقال مجوورت في عناد: «حسناً، لقد رأيت ما رأيت، وقد رأيت ما لم أر».

«وأنا أقول إن هناك خطأً ما» – كرر ذلك بتربيير، وهو يأخذ الصينية ويجمع قطع الفخار المتناثرة.

وقال فرودو: «بالطبع هناك خطأ! إنني لم أتلاش. هأنذا! كل ما في الأمر أنني كنت أتحدث بكلمات قليلة مع سترايدار في الركن».

(١) التعبير الاصطلاحي put one's foot in it – معناه أن تخطئ خطأً فاضحاً؛ ولكنه استخدمه هنا ولعب بالكلمتين (finger) و (foot) ولذلك آخرنا أن نضع الترجمة المقابلة للتعبير، ووضعنا ترجمة حرفيّة تقريباً (This expression presumably alludes to setting one's foot down in mud or excrement) المستخدم هنا؛ ويعود هذا التعبير الاصطلاحي إلى نهاية القرن الثامن عشر. (المترجم)

وتقديم للأمام نحو ضوء النار؛ ولكن معظم الحضور تراجعوا للوراء، بل وزاد قلقهم أكثر من ذي قبل. لم يكونوا مقتنيين على الإطلاق بتفسيره أنه زحف بعيداً بسرعة تحت الطاولات بعد أن سقط على الأرض. لقد غادر معظم الهوببيين ورجال البري في تلك اللحظة والحين في غضب جامح، حيث لم يعودوا يتصورون أي إمكانية لأي متعة وتسلية أخرى في ذلك المساء. نظر واحد أو اثنان إلى فرودو نظرة غاضبة ورحلوا متمنيين بكلام غير مفهوم فيما بينهما. أما الأقزام والرجلان أو الرجال الثلاثة الذين ظلوا في أماكنهم، فقد نهضوا وقالوا لصاحب الحانة طابت ليتك، ولكنهم لم يحيوا فرودو ولا أصدقاءه. قبل أن يمضي وقت طويل لم يكن هناك أحد سوى سترايدار، الذي ظل جالساً، دون أن يلحظ أحد وجوده، إلى جوار الجدار.

لم يجد السيد بيتربير قد استاء كثيراً. لقد ظن - على الأرجح كثيراً - أن منزله سوف يمتلىء مرة أخرى في ليال عديدة قادمة، حتى تتم مناقشة اللغز الحالي مناقشة كاملة؛ وسأل: «والآن، ما الذي كنت تفعله يا سيد أندرهيل؟ ترعب زبانتي، وتكسر آنيتي، بألعابك البهلوانية!».

وقال له فرودو: «إنني آسف جداً لأنني سببت لك أي مشكلة. لقد كان ذلك غير مقصود تماماً، أؤكد لك. حادثة غير سارة وتعيسة للغاية».

«حسناً يا سيد أندرهيل! ولكن إذا كنت ستقوم بأي شغلبات أخرى، أو أعمال سحر، أو أيّاً ما يكن، فمن الأفضل أن تحذر الناس مقدماً - وتحذرني أنا. إننا شاكون بعض الشيء هنا بشأن أي شيء يخرج عن صرفاً المعتادة - خارق للطبيعة، إذا كنت تفهموني؛ ونحن لا نعتاد على ذلك فجأة».

«لن أفعل أي شيء من هذا القبيل أبداً يا سيد بيتربير، أعدك بذلك. والآن أعتقد أنني لا بد أن أذهب للفراش. إننا سرحل مبكرين. هلا تأكدت من أن أفراسنا ستكون جاهزة الساعة الثامنة صباحاً للرحيل؟».

«حسناً جداً! ولكن قبل أن تذهب، أريد أن أقول لك كلمة على انفراد، يا سيد أندرهيل. شيء ما عاد إلى ذهني ينبغي عليَّ أن أخبرك إياه. وأتمنى ألا تأخذه على نحو خاطئ. عندما أكون قد انتهيت من شيء أو شيئاً على إنجازهما، فإنني سأأتي إلى غرفتك، إذا كنت راغباً في ذلك ولا تمانع».

«بكل تأكيد!» - رد عليه فرودو؛ ولكن قلبه أصابه الإحباط وخيبة الأمل. وتساءل كم من الأحاديث الخاصة سينخرط فيها قبل أن يأوي إلى فراشه، وما الذي يمكن أن تكشف عنه هذه الأحاديث. هل كان كل هؤلاء الأشخاص متهددين ضده؟ بل وبدأ يشك أن الوجه البدين لبيتربير يخفي وراءه مكائد عدوانية وشريرة.

## الفصل العاشر

### سترايدار

عاد فرودو، وبيبين، وسام، في طريقهم إلى الردهة. لم يكن هناك أي ضوء. لم يكن ميري موجوداً، وقلت النار استعراً. ولم يكتشفوا أن سترايدار قد أتى معهم إلا عندما نفخوا في الجمرات وجعلوها تتوهج وألقوا حزتين من الحطب في النار. كان يجلس هناك في هدوء في مقعد إلى جوار الباب!

قال بيبين: «مرحباً! من أنت، وماذا ترید؟».

وأجابه قائلًا: «يُنادونني سترايدار، وعلى الرغم من أن صديك ربما يكون قد نسي الأمر، إلا أنه وعد أن يتحدث معي على انفراد».

وقال فرودو: «قلت لي إنني ربما أسمع شيئاً في مصلحتي، فيما أعتقد. ماذا لديك ترید أن تقوله؟».

أجابه سترايدار قائلًا: «عدة أشياء. ولكن – بالطبع – ذلك له ثمنه».

وسأله فرودو في حدة: «ماذا تقصد؟».

«لا تنزعج! كل ما أعنيه هو: سوف أخبرك ما أعلم، وأسدي إليك بعض النصائح الجيدة – ولكنني سأحتاج إلى مكافأة لقاء ذلك».

ورد عليه فرودو بقوله: «وماذا سيكون ذلك، من فضلك؟» وانتابه شك الآن أنه قد وقع في يدي وغد محظى، وفكر في انزعاج أنه لم يحضر معه سوى القليل من المال. كل هذا المال لا يكاد يرضي وغداً محظياً، ولن يستطيع أن يستبقي أي جزء منه.

وأجابه سترايدار بابتسامة بطيئة، كما لو كان قد حذر ما كان فرودو يفكر فيه: «ليس أكثر مما تستطيع. بكل بساطة الأمر هكذا: يجب أن تأخذني معك، إلى أن أريد أنا أن أتركك».

ورد عليه فرودو، في اندهاش، ولكن في عدم ارتياح كبير: «أوه، حقاً! حتى لو كنت أحتاج إلى رفيق آخر، فلا ينبغي علىي أن أوفق على أي شيء من هذا القبيل، حتى أعرف قدرًا كبيراً عنك وعن عملك أكثر من ذلك».

وصاح سترايدار، وهو يضع ساقاً على ساق ويميل بظهره للوراء في وضع مريح: «ممتناز! يبدو أنك تستعيد عقلك وحواسك مرة أخرى، وهذا كله جيد وفي الصالح. لقد كنت متهوراً كثيراً حتى الآن. حسن جداً! سوف أخبرك ما أعلم، وأترك المكافأة لك ربما تكون سعيداً أن تمنعني إياها، عندما تكون قد استمعت إلى».

قال له فرودو: «واصل كلامك إذن. ما الذي تعرفه؟».

قال له سترايدار في عبوس: «الكثير جداً؛ أشياء كثيرة شريرة. ولكن فيما يتصل بشأنك —» ونهض وذهب إلى الباب، وفتحه سريعاً ونظر للخارج. بعد ذلك أغلق الباب في هدوء وجلس مرة أخرى؛ وواصل كلامه، متحدثاً في صوت منخفض: «لدي أذنان حادتان، وعلى الرغم من أنه لا يمكنني أن أختفي، فقد أوقعت أشياء كثيرة جامحة وخطيرة ويمكنني في العادة أن أتفادى رؤية الآخرين لي، إذا رغبت في ذلك. والآن، لقد كنت خلف السياج الشجري هذا المساء على الطريق إلى الغرب من قرية البري، عندما خرج أربعة هوبينيون من المرتفعات. لست بحاجة إلى تذكر كل ما قالوه ليومباديل العجوز أو ما قاله كل منهم للأخر، ولكن هناك شيء واحد أثار انتباхи. من فضلكم تذكروا، قال واحد منهم، أن اسم باجينز يجب ألا يذكر. أسمى السيد أندرهيل، إذا كانت هناك ضرورة لذكر أي اسم. لقد أثار ذلك انتباхи كثيراً جداً لدرجة أنني تبعتهم إلى هنا. وتسللت من فوق البوابة وراءهم مباشرة. ربما يكون لدى السيد باجينز سبب حقيقي لترك اسمه وراءه؛ ولكن إذا كان الأمر كذلك، ينبغي عليَّ أن أنسجه هو وأصدقاءه أن يكونوا أكثر حذرًا».

وقال فرودو: «لا أرى ما يبعث به أسمي من اهتمام لدى أي شخص في البري، ولا يزال يتوجب عليَّ أن أعرف لماذا يهمك أسمي. قد يكون لدى السيد سترايدار سبب حقيقي للتجسس واستراق السمع؛ ولكن إذا كان الأمر كذلك، فإنني أنسجه بأن يفسر ذلك». وقال سترايدار وهو يضحك: «إجابة جيدة! ولكن التفسير بسيط: كنت أبحث عن هوبيني يدعى فرودو باجينز. كنت أريد أن أجده سريعاً. لقد علمت أنه كان يغادر المقاطعة، حسناً، وهو سر يهمني ويهم أصدقائي».

«والآن، لا تفهمي خطأ!» صاح بذلك عندما نهض فرودو من مقعده، وقفز سام في عبوس. «سوف أعتني بالسر وأحافظ عليه أكثر مما تفعلون أنت. وهناك حاجة إلى عناية وحذر فعلاً! وما للآمام ونظر إليهم. «كونوا يقظين لكل ظل!» – قال ذلك في صوت منخفض. «لقد مر خيالة سود عبر قرية البري. جاء واحد منهم يوم الاثنين عبر الطريق الأخضر، كما يقولون؛ وظهر واحد آخر فيما بعد، قادماً عبر الطريق الأخضر من الجنوب».

وساد صمت. وتحدث فرودو أخيراً إلى بيبين وسام قائلاً: «كان لا بد أن أخمن ذلك من الطريقة التي حيانا بها حارس البوابة. ويبدو أن صاحب الحانة قد سمع شيئاً ما. لماذا ضغط علينا للانضمام للمجموعة؟ ولماذا – بحق السماء – تصرفنا نحو بمثل ذلك الغباء: كان ينبغي علينا أن نبقى هادئين هنا في الداخل».

وقال له سترايدار: «كان ذلك سيكون هو الأفضل. كنت سأمنع ذهابكم إلى حجرة الاستراحة لو كان بإمكانني ذلك؛ ولكن صاحب الحانة لم يتركني أدخل، أو يأخذ رسالتك ليوصلها لكم».

وببدأ فرودو قائلاً: «هل تعتقد أنه —؟».

«كلا، لا أعتقد أن هناك أي أذى أو ضرر من ناحية بتربير العجوز. الأمر ببساطة أنه لا يجد المتشددين القامضين من أي نوع». ونظر إليه فرودو نظرة مرتقبة. وقال سترايدار وقد لوى شفته وظهرت ميوله غريب في عينيه: «حسناً، مظهره فيه وضاعة إلى حد ما، أليس كذلك؟ ولكنني أتمنى أن يعرف كل منا الآخر بشكل أفضل. وعندما تفعل ذلك، أتمنى أن تفسر لي الذي حدث في نهاية أغنتك. لأن تلك المزحة الصغيرة —». وقاطعه فرودو قائلاً: «كان ذلك مجرد حادثة محضة».

وقال سترايدار: «إنني أتعجب. محض حادثة إذن. لقد جعلت الحادثة وضعك خطيراً».

ورد فرودو قائلاً: «لا يكاد يكون أكثر خطراً مما كان عليه بالفعل. لقد عرفت أن هؤلاء الخيالة يطاردونني؛ ولكن الآن على أي حال يبدو أنهم قد فقدوني ورحلوا بعيداً». قال له سترايدار في حدة: «ينبغي عليك ألا تقول على ذلك! إنهم سيعودون. وهناك آخرون. إنني أعرف عددهم. إنني أعرف هؤلاء الخيالة». وتوقف، وكانت عيناه فاترتين وفاسدين؛ وواصل كلامه قائلاً: «كما أن هناك بعض الأشخاص في البري لا يمكن الوثوق بهم. بيل فيرنى - على سبيل المثال. إن سمعته سيئة في أرض البري، وهناك أشخاص غربيو الأطوار يتربدون على منزله. لابد أنك قد لاحظته بين المجموعة: شخص أسمر ساخر. كان على صلة وثيقة جداً مع واحد من الغرباء الجنوبيين، وخرج معاً بعد «حادثتك» مباشرة. ليس كل أولئك الجنوبيين حسني النوايا؛ أما فيما يتصل بغيرنى، فإنه يمكن أن يبيع أي شيء لأي شخص؛ أو يفعل الأذى مجرد التسلية والمتنة».

وقال له فرودو، وهو لا يزال مصمماً على فهم تلميحات سترايدار: «ماذا سيبيع فيرنى، وما شأن حادثتي معه».

وأجابه سترايدار قائلاً: «أخبار عنك - بالطبع. إن وصف أدائك من شأنه أن يكون مثار اهتمام كبير لدى أشخاص معينين. بعد ذلك فإنه لن تكون هناك حاجة تقريباً لديهم إلى أن يخبرهم أحد باسمك الحقيقي. يبدو لي أنه من المحتمل كل الاحتمال أنهم سيسمعون عنه وتصنفهم أخبار الحادث قبل أن تنقضي هذه الليلة. هل هذا يكفي؟ يمكنك أن تفعل حسبما يحلو لك بشأن مكافأتي: تأخذني كدليل لك أو لا. ولكن يمكنني أن أقول إنني أعرف كل الأراضي ما بين المقاطعة والجبال الضبابية، لأنني تجولت فيها

لسنوات طويلة. إنني أكبر مما أبدو عليه. وقد يثبت لك أنني مفید. سوف يتحتم عليك أن تغادر الطريق المفتوح بعد هذه الليلة؛ لأن الخيالة سوف يراقبونه ليل نهار. قد تهرب من قرية البري، ويسمح لك أن تتقدم بينما تكون الشمس مرتفعة؛ ولكنك لن تذهب بعيداً جداً. سوف يصلون إليك في البرية، في مكان مظلم حيث لا مكان فيه لأي مساعدة أو نجدة. هل ترغب في أن يعثروا عليك؟ إنهم مرعبون!».

ونظر الهوبيتيون إليه، ورأوا في دهشة أن وجهه قد رُسم وكأنه رُسم بالألم، وأن يديه كانتا تقبضان على ذراعي المقعد. كانت الغرفة هادئة جداً وساكنة، وبد الضوء قد أصبح خافتًا. وجلس لفترة قصيرة يعينين غير مبصريتين كما لو كان يمشي في ذكرى بعيدة أو ينصل إلى أصوات في الليل بعيدة جداً.

«هناك!» - صاح بعد لحظة، وهو يمر بيده عبر حاجبه: «ربما أكون أعرف عن هؤلاء المطاردين أكثر مما تعرفونه أنتم. أنتم تخشونهم، ولكن لا تخشونهم بالشكل الكافي، بعد. خداً سوف يتحتم عليكم الهرب، إذا استطعتم. يستطيع سترايدار أن يأخذكم في طرق نادراً ما يطرقها أحد. هل ستأخذونه معكم؟».

وساد صمت ثقيل. لم يدر فرودو جواباً، كان عقله مشتبأ بين الشك والخوف. وقطب جبين سام، ونظر إلى سيده؛ وأخيراً تحدث قائلاً:

«إذنك يا سيد فرودو، إنني أقول لا! هذا المدعاو سترايدار هنا، إنه يحذر ويقول لاحذروا؛ وأنا أواقق على ذلك، ودعونا نبدأ به. إنه يأتي من البرية، وأنا لم أسمع أي خير قط عن أمثال هؤلاء الناس. إنه يعرف شيئاً ما، هذا واضح، وأكثر مما أحب؛ ولكن ليس هذا سبباً يحتم علينا أن نجعله يذهب معنا يقودنا إلى مكان مظلم بعيداً عن أي مساعدة أو نجدة، حسبما قال هو نفسه».

وتعلمل بيبين وبذا أنه غير مرتاح. لم يرد سترايدار على سام، ولكنه أدار عينيه الحادتين باتجاه فرودو. ولمح فرودو نظرته ونظر بعيداً، وقال ببطء: «كلا، أنا لا أواقق. أعتقد أنك تست في واقع الأمر متلماً اخترت أن تبدو. لقد بدأت الحديث معي مثل سكان البري، ولكن صوتك تغير. لا يزال سام محقاً في ذلك: لا أفهم لماذا يجب عليك أن تحذرنا وتطلب منا أن نحتاط، ومع ذلك تطلب منا أن نأخذك معنا وتنق بك. لماذا القناع؟ من أنت؟ ما الذي تعرفه في حقيقة الأمر عن - عن شائي؟ وكيف عرفت ذلك؟».

وقال سترايدر بابتسامة متجهمة: «الدرس الخاص بالانتباه والحذر تعلمنموه جيداً. ولكن الحذر شيء والتردد شيء آخر. لن تصلوا أبداً إلى ريفنديل الآن بمفردكم، ووثوقكم بي هو فرستكم الوحيدة. يجب عليكم أن تتخذوا قراركم. سوف أجيب عن

بعض أسئلتكم، إذا كان ذلك سيساعدكم في اتخاذ القرار. ولكن لماذا يجب عليكم أن تصدقوا حكاياتي، إذا كنتم لا تثقون بي بالفعل؟ ومع ذلك، فها هو ——».

في تلك اللحظة جاء صوت طرق على الباب. وصل السيد بتربيير بالشمع، وكان وراءه نوب ومعه أوان من الماء الساخن. تراجع سترايدار إلى ركن مظلم. قال لهم صاحب الدار، وهو يضع الشمع على الطاولة: «لقد جئت لأقول لكم تصبحون على خير. يا نوب! خذ الماء إلى الغرف!» ودخل وأغلق الباب.

وبدأ كلامه، وهو متعدد وينظر حوله: «الأمر كلّه هكذا. إذا كنت قد تسببت في أي أذى فأنا آسف حقاً. ولكن شيئاً ما يدفع الآخر، مثلاً ستقررون أنتم بأنفسكم؛ وأنا رجل مشغول. ولكن في البداية شيء واحد وبعد ذلك شيء آخر هذا الأسبوع أثار ذاكرتي، كما يقول المثل؛ وأتمنى ألا يكون قد فات الأوان. كما ترون، لقد طلب مني أن أترقب قدوم أفراد من الهوبيتين من المقاطعة، وأنترقب شخصاً اسمه باجينز على وجه الخصوص». وسأل فرودو: «وما شأن ذلك بي؟».

وقال صاحب الدار، على نحو فطن وذكي: «آه! أنت تعرف أفضل معرفة. إنني لن أخونك أبداً؛ ولكنني أخبرتُ أن ذلك الشخص المدعو باجينز سوف يكون اسمه أندرهيل، وقد أعطيتُ وصفاً ينطبق عليك تماماً بالشكل الكافي، إذا جاز لي أن أقول ذلك».

وقال فرودو، مقاطعاً إياه على نحو غير حكيم: «حقاً! دعنا نعرف هذا الوصف إذن!».

قال السيد بتربيير في إجلال: «شخص صغير متين البنيان وخدام أحمران». وضحك بيدين بينه وبين نفسه، ولكن سام نظر في سخط. وواصل السيد بتربيير كلامه قائلاً: «لن يساعدك ذلك كثيراً؛ فهو ينطبق على معظم الهوبيتين، يا بارلي، إنه يقول لي»، واستمر السيد بتربيير في كلامه وهو ينظر إلى بيدين. «ولكن هذا الواحد أطول من البعض، وأكثر جمالاً من معظم الهوبيتين، وبه شق في ذقنه: شخص أنيق وعينه ذكية. أستميحك عذرًا، ولكنه قالها، لست أنا».

وسأل فرودو في لهفة: «هو قالها؟ ومن كان هو؟»

«آه! كان ذلك هو جندلف، إذا كنت تعلم ما أقصد. يقولون إنه ساحر، ولكنه صديق فاضل لي، سواء كان ذلك أم لا. ولكن الآن أنا لا أعلم ما الذي سيتحتم عليه أن يقوله لي، إذا رأيته مرة أخرى: يحيل كل شرابي إلى حامض أو يحيلني أنا إلى كتلة من الخشب، لا عجب في ذلك. إنه متوجّل إلى حد ما. ومع ذلك ما حدث لا يمكن منعه». «حسناً، ما الذي فعلته؟» – قال ذلك فرودو، وقد نفذ صبره بسبب الطريقة البطيئة التي يكشف بها بتربيير عن أفكاره.

وقال صاحب البيت، وقد توقف وراح يقضم أظافره: «ماذا كنت أنا؟ آه، نعم! جنَّدْل العجوز. منذ ثلاثة أشهر مضت جاء إلى عرفي مباشرة دون أن يدق على بابها؛ وقال يا بارلي، سوف أغادر في الصباح. هل يمكنك أن تصنع لي شيئاً؟ فقلت له - فقط قل ما تريده وحسب. وقال هو - إنتي في عجلة، وليس لدى أي وقت أنا نفسي، ولكنني أريد أن أرسل رسالة إلى المقاطعة. هل لديك أي أحد يمكن أن ترسله بالرسالة، وتنق فيه ليذهب بها؟ قلت له - يمكنني أن أجده شخصاً ما، غداً - ربما - أو بعد غد. وقال لي، لكن ذلك غداً .. وبعدها أعطاني خطايا.

«كان معنوناً بشكل واضح بما يكفي» - قال ذلك السيد بتربير، وأخرج خطاباً من جيده، وقرأ العنوان ببطء وبفخر (كان يقدر سمعته كرجل متعلم):

**السيد فرودو باجنير، منزل باج إيت، قرية هوبيتون في المقاطعة**

و صاحب فرودو: «خطاب لي من جندي!».

رد عليه السيد بتربير قائلاً: «آه! معنى ذلك أن اسمك الصحيح هو ياجيتز؟».

وقال له فرودو: «نعم، هو كذلك، ومن الأفضل أن تعطيني هذا الخطاب في الحال، وتفسر لي لماذا لم ترسله أبداً. هذا ما أتيت لتخبرنيه، فيما أعتقد، على الرغم من أنك قد استغرقت وقتاً طويلاً لتصل إلى صلب الموضوع».

وبدا السيد بتبرير المسكين في ورطة؛ وقال: «أنت على حق، يا سيدي، وإنني أتوسل إليك أن تعذرني. وإنني خائف حتى الموت من الذي سيقوله جنديف، إذا ترتب على ذلك أي ضرر أو أذى. ولكنني لم أؤخر الخطاب عن عدم. لقد وضعته في مكان آمن. وبعد ذلك لم أستطع أن أجده أي أحد لديه الرغبة في أن يذهب إلى المقاطعة في اليوم التالي، ولا اليوم الذي يليه، ولم يكن هناك من أحد من العاملين لدى يمكنني الاستغناء عنه؛ وبعد ذلك طرده من عقلي شيء بعد آخر. إنني رجل مشغول. سوف أفعل ما يمكنني أن أفعله لأصلاح ذلك، وإذا كانت هناك أي مساعدة يمكن أن أقدمها، كل ما عليك هو أن تذكر ذلك.

«وبعيداً عن الخطاب ، لم أعد جندي بأقل من ذلك . قال لي يا بارلي ، صديقي هذا من المقاطعة ، ربما يكون في طريقه إلى هناك قبل أن يمضي وقت طويل ، هو وشخص آخر معه . سوف يطلق على نفسه اسم أندرهيل . تذكر ذلك ! ولكن يجب ألا تسأل أي أسئلة . وإذا لم أكن أنا معه ، فربما يكون في ورطة ، وقد يحتاج إلى مساعدة . لتفعل ما بإمكانك أن تفعله من أجله ، وسوف أكون ممتنًا لذلك ، هذا ما قاله لي . وها أنت ذا ، والمشكلة ليست بعيدة كثيراً ، على ، ما يبدو ».

وسائل فرودو: «ماذا تعني؟».

ورد عليه صاحب الدار وقد خض صوته: «هؤلاء الرجال السود. إنهم يبحثون عن باجينز، وإذا كانت نيتهم طيبة، فإنني إذن هوبيتي. كان ذلك يوم الاثنين، وكانت كل الكلاب تتبخ وكل الأوز يزعق. غريب وخارق للعادة، هذا كان وصفي لما حدث. نوب، جاء وأخبرني أن رجلين أسودين كانوا بالباب يسألان عن هوبيتي اسمه باجينز. كان شعر نوب كله منتصباً. أمرت الأشخاص السود أن يمضوا بعيداً، وأغلقت الباب بقوة في وجههم؛ ولكنهم ظلوا يسألون نفس السؤال على طول الطريق إلى قرية آرتشت، حسبما سمعت. وذلك الجوال، سترايدار، كان يسأل أسئلة أيضاً. حاول أن يدخل إلى هنا ليراك، قبل أن تأكل أو تتناول عشاءك، فعل هو ذلك».

وقال سترايدار فجأة، وقد تقدم للأمام نحو الضوء: «لقد فعل! وكان من الممكن تجنب الكثير من المشاكل لو أنك تركتني أدخل له، يا بارليمان». وقفز صاحب الدار في دهشة، وصاح: «أنت! أنت دائمًا تظهر فجأة. ما الذي تريده الآن؟».

وقال له فرودو: «إنه هنا بإذن مني. لقد أتي ليعرض علي مساعدته».

«حسناً، أنت أدرى بشئونك الخاصة، ربما»، قال ذلك بتربيز، وهو ينظر في ارتياح إلى سترايدار. «ولكتي لو كنت في موقفك لما اتفقت مع جوال».

وسأله سترايدار: «في هذه الحالة من الذي كنت ستتفق معه؟ صاحب حانة بدين لا يتذكر سوى اسمه لأن الناس يصرخون فيه مرددين إيه طوال اليوم؟ لا يمكنهم أن يبقوا في حانة الفرس للأبد، ولا يمكنهم العودة إلى وطنهم. هناك طريق طويل أمامهم. هل ستذهب معهم وتدرك عليهم الرجال السود؟».

«أنا؟ أترك البري؟ لا أفعل ذلك إزاء أي مقابل من مال» — قال ذلك السيد بتربيز وهو يبدو مذعوراً حقاً. «ولكن لماذا لا يمكن أن تبقوا هنا في هدوء قليلاً من الوقت، يا سيد أندرهيل؟ ما هي كل تلك المجريات والأحداث الغريبة؟ عما يبحث هؤلاء الرجال السود، ومن أين أتوا، أود أن أعرف؟».

وأجابه فرودو قائلاً: «آسف لا يمكنني أن أشرح لك كل ذلك. إنني متعب وقلق جداً، وتلك حكاية طويلة. ولكن إذا كان يسعك أن تساعدني، ينبغي علي أن أحذرك أنك ستكون في خطر طالما ظلت أنا في منزلك. هؤلاء الخيالة السود: أنا لست متأكداً، ولكنني أعتقد، أخشى أنهم قادمون من —».

قال سترايدار في صوت منخفض: «إتهم قادمون من موردور. من موردور يا بارليمان، إذا كان ذلك له أي معنى لديك».

«احفظنا يا إلهي!» - صاح السيد بتربيير وقد شحب وجهه؛ من الواضح أن الاسم كان معروفاً له. «هذه أسماؤ أخبار وصلت إلى قرية البري طوال حياتي».

وقال فرودو: «إنها كذلك. هل مازلت ترغب في مساعدتي؟».

وقال السيد بتربيير: «أنا كذلك. أكثر من أي وقت مضى. على الرغم من أنني لا أعلم ما الذي يمكن أن يفعله أمثالى أمام ، أمام ——» وتلعثم.

قال سترايدار في هدوء: «أمام الظل في الشرق . ليس كثيراً، يا بارليمان ، ولكن كل شيء صغير يساعد. يمكنك أن تدع السيد أندرهيل يبقى هنا الليلة ، على أنه أندرهيل ، ويمكنك أن تنسى الاسم باجينز ، حتى يبعد بعيداً».

وقال بتربيير: «سوف أفعل ذلك. ولكنهم سيكتشفون أنه هنا دون مساعدة مني ، إنني أخشى ذلك. بكل أسف ، فإن السيد باجينز لفت الانتباه لنفسه هذا المساء ، ولن أقول أكثر من ذلك. إن قصة رحيل ذلك السيد بيلبو قد سمعت قبل هذه الليلة في قرية البري. حتى نوب العامل لدينا كان يخمن بعض التخمينات في عقله البليد؛ وهناك آخرون في البري أسرع في الفهم منه هو».

وقال فرودو: «حسناً لا يمكننا إلا أن نتمنى ألا يعود الخيالة الآن».

وقال بتربيير: «أتمنى ألا يعودوا ، في الواقع. ولكن أشباح أو لا أشباح ، فإنهم لن يدخلوا إلى حانة الفرس بهذه السهولة. لا تلقوا حتى الصباح . نوب لن يتفوّه بكلمة: لن يعبر أبوابي أي رجل أسود ، وأنا أستطيع أن أقف على قدمي . أنا ورجالي سوف نتناوب الحراسة هذه الليلة؛ ولكن من الأفضل على الإطلاق لك أن تناول قسطاً من النوم ، إذا استطعت ذلك».

وقال فرودو: «على أية حال ينبغي إيقاظنا مع الفجر. يجب أن نرحل مبكراً قدر الإمكان. الإقطار الساعة السادسة والنصف ، من فضلك».

قال صاحب الدار: «حسناً! سوف أعتني بطلباتكم. تصبحون على خير ، يا سيد باجينز - أندرهيل ، يجب علىي أن أقول ! تصبحون على خير - الآن ، يا إلهي ! أين السيد برانديك الذي يتبعكم؟».

«لا أدرى» ، رد عليه فرودو في قلق مفاجئ: لقد نسوا ميري تماماً ، وبات الوقت متاخراً. «أخشى أنه بالخارج. لقد قال شيئاً ما عن الخروج ليشم بعض الهواء».

قال السيد بتربيير: «حسناً ، أنت تريد البحث عنه ولا ريب في ذلك: من الممكن أن تكون مجموعتك في عطلة وتستريح! يجب علىي أن أمضي وأغلق الأبواب سريعاً ، ولكنني سأحرص على أن يدخل صديقك عندما يأتي. من الأفضل أن أبعث نوب ليبحث عنه. تصبحون على خير جمِيعاً!» أخيراً خرج السيد بتربيير ، وهو ينظر مرة أخرى في ريبة إلى سترايدار ويهز رأسه. وراح وقع أقدامه يتراجع عبر الممر.

قال سترايدار: «حسناً؟ متى ستفتح هذا الخطاب؟» ونظر فرودو بحرص إلى الختم قبل أن يفظه. بدا بكل تأكيد أنه ختم جنلوف. كتبت في الداخل بخط الساحر الذي كان حسناً ورقيناً على قوته ووضوحته، الرسالة الآتية:

حاتمة الفرس الواثب، البري. يوم منتصف السنة، سنة المقاطعة، 1418

عزيزي فرودو،

وصلتني أخبار سيئة هنا. يجب أن أرحل في الحال. من الأفضل لك أن تغادر باج إيند في الحال، وتخرج من المقاطعة قبل نهاية شهر يوليو على أقصى تقدير سوف أعود بسرعة قدر ما أستطيع؛ وسوف أتبعك، إذا وجدت أنك قد ذهبت. اترك رسالة لي هنا، إذا مررت عبر البري. يمكنك أن تثق بصاحب الدار (بتربير). ربما تقابل صديقاً لي على الطريق: رجلاً، نحيلًا، وأسمراً، وطويلاً، ينادي البعض سترايدار. إنه يعرف مهمتنا وسوف يساعدك. توجه إلى ريفنديل. هناك أتمنى أن تتقابل مرة أخرى. إذا لم آت، فإن إلروند سوف يقدم لك التصح.

المخلص على عجل

جنلوف

ملاحظة: لا تستخدمه<sup>(1)</sup> مرة أخرى، ليس لأي سبب مهما يكن! لا تسافر ليلًا!  
ملاحظة أخرى: تأكد من أنه هو سترايدار الحقيقي . هناك رجال كثيرون غرباء على الطريق. اسمه الحقيقي أراجورن.

كل ما هو ذهب لا يلمع،  
ليس كل من يتجولون تائبين؛  
القديم الذي هو قوي لا يذيل،  
الجذور العميقه لا يصلها الصفيح.  
من الرماد سوف تشتعل نار،  
وسوف ينبع ضوء من الظلام؛  
سيتجدد نصل كان قد كسر،  
ومن فقد تاجه، فسيكون ملكاً مرة أخرى.

(1) الضمير في (تستخدمه) مكتوب بحرف كبير (H)، ربما يكون جنلوف يقصد الخاتم. (المترجم)

ملحظة أخرى: أتمنى أن يرسل بتربيير هذه الرسالة على عجل. إنه رجل جدير بالثقة، ولكن ذاكرته

مثل غرفة الأمعنة:

الأشياء التي نريدها تُدفن دائمًا. وإذا  
نسى، فسوف أشويه.

الوداع!

قرأ فرودو الخطاب، وبعد ذلك مررها إلى بيбин وسام؛ وقال: «فعلاً لقد أفسد بتربيير العجوز أشياء كثيرة! إنه يستحق الشيء. لو أنتي حصلت على هذه الرسالة في الحال، لربما كنا جميعاً في أمان في ريفنديل الآن. ولكن ما الذي يمكن أن يكون قد حدث لجندلف؟ إنه يكتب كما لو كان ذاهباً إلى خطر عظيم».

وقال سترايدار: «لقد كان يفعل ذلك لسنوات كثيرة».

والتقت فرودو وبظر إليه في استغراق واستغراب متسائلاً عن الملاحظة الثانية التي ذكرها جندلف؛ وسأل: «لماذا لم تخبرني أنك صديق جندلف في الحال؟ فقد كان ذلك سيوفر الوقت».

وقال سترايدار: «هل الأمر كذلك؟ هل كان ستصدقني أي أحد منكم حتى الآن؟ أنا لم أعرف شيئاً عن هذا الخطاب. لأن كل ما عرفه أنه كان يجب عليَّ أن أقنعكم بالثقة من دون براهين، إذا كان لي أن أساعدكم. على أية حال، لم أتو أن أخبركم كل شيء عن نفسي في الحال. كان يجب عليَّ أن أدرسكم أولاً، وأنتأكد منكم. لقد وضع العدو شراكاً لي قبل الآن. وقد كنت سأخبركم بأي شيء تسألون عنه، بمجرد أن أتخذ قراراً. ولكني يجب أن أقر؛ وأضاف وهو يضحك صحفة غريبة، «إتنى كنت أتمنى أن تأخذونى معكم من أجلى فقط. الرجل المطارد يتبع من البرية وعدم الثقة ويتوقف إلى الصداقة، ولكن هناك، فإننى أعتقد أن ملامحي ونظراتي تتفق ضدى».

«هي كذلك - عند النظرة الأولى على أية حال»، قال بيбин ذلك وهو يضحك في ارتياح مفاجئ بعد قراءة خطاب جندلف. «ولكنك أنيق مثلك يجب أن تكون الأناقة، كما نقول في المقاطعة؛ وإننى أظن أننا جميعاً سوف نبدو بهذا المنظر بعد أن نرقد لأيام في السجاجات الشجرية والخنادق».

وأجاب: «سوف يستغرق الأمر أكثر من أيام قليلة أو أسبوع أو سنوات من التجوال في البرية ل يجعلك تبدو مثل سترايدار. وإنك ستموت أولاً، إلا إذا كنت مصنوعاً من مادة أكثر صلابة مما تبدو عليه».

وهم بيبين؛ ولكن سام لم تتبط عزيمته، وكان لا يزال ينظر إلى سترايدار في ارتياه؛ وسأل: «كيف لنا أن نعرف أنك أنت سترايدار الذي يتكلّم عنه جنّدُف؟ إنك لم تذكر جنّدُف أبداً، حتى أتى هذا الخطاب. ربما تكون جاسوساً تتحلّ شخصية أخرى، حيث إنه من الواضح لي، أنك تحاول أن تجعلنا نذهب معك. ربما تكون قد تخلصت من سترايدار الحقيقي وأخذت ملابسه، ماذا تقول في ذلك؟».

وأجابه سترايدار قائلاً: «أقول إنك شخص عنيد، ولكن للأسف إجابتي الوحيدة عليك - يا سام جامجي - هي هذه. إذا كنت قد قتلت سترايدار الحقيقي، يمكنني أن أقتلك. وكان يجب أن أقتلك بالفعل دون كثير من الكلام. إذا كنت أبحث عن الخاتم، يمكنني أن آخذه - الآن!».

وقف في مكانه، وبدا أنه ازداد طولاً فجأة. ولمع في عينيه ضوء، عنيف وأمر. ورمي معطفه للوراء، ووضع يده على مقبض سيف كان معلقاً ومختلفاً في جانبه. لم يجرؤوا على الحركة. وجلس سام وفمه مفتوح على اتساعه يحدق فيه في ذهول وغباء. «ولكني أنا سترايدار الحقيقي، لحسن الحظ» - قال ذلك، وهو ينظر إليهم ووجهه قد لآن بابتسمة مفاجئة. «أنا أراجون ابن أراثورن؛ وإذا كان بإمكانني أن أنفذكم مضحياً في سبيل ذلك بحياتي، فإنني سأفعل ذلك».

وساد صمتٌ طويل. وأخيراً تحدث فرودو في تردد؛ وقال: «لقد صدقت أنك كنت صديقاً قبل أن يأتي الخطاب، أو على الأقل تمثّلت ذلك. لقد أخفيتني عدة مرات هذه الليلة، ولكن ليس بالطريقة التي يمكن أن يوقع بها خدم الأعداء الرعب في النفس على الإطلاق، أو هكذا تخيلت أنا. أعتقد أن واحداً من جواسيسه سوف يبيدو أكثر جمالاً ويبيدو أكثر غلظة، إذا كنت تفهم ما أقول».

وضحك سترايدار: «أفهم. أنا أبدو غليظاً وأبدو جميلاً. هل هذا ما تقصّد؟ كل ما هو ذهب لا يلمع، ليس كل من يتجلّلون تائبين».

وسأل فرودو: «هل يعني هذا أن هذه الأبيات تنطبق عليك؟ لم أستطع أن أفهم ما كانت ترمي إليه. ولكن هل علمت أنها كانت في خطاب جنّدُف، إذا لم تكن قد رأيته أبداً؟».

وأجابه سترايدار قائلاً: «كلا أنا لم أكن أعرف. ولكني أنا أراجون، وهذه الأبيات تأتي مع هذا الاسم». واستل سيفه، ورأوا فعلاً أن النصل كان مكسوراً أسفلاً المقبض بمقدار قدم. وقال سترايدار: «ليس له استخدام كثير، يا سام ولكن أزف الوقت عندما تتم صناعته من جديد».

ولم يتفوّه سام بكلمة.

وقال سترايدار: «حسناً، بإذن سام فإننا سنقر بأن هذا الأمر قد حُسم. سوف يكون

سترايدار دليلكم. سوف يكون أمامنا طريق صعب غداً. حتى لو سمع لنا أن نغادر البري دون أي إعاقة، فلن يكون بإمكاننا - تقريراً - الآن أن نغادر دون أن يلاحظنا أحد. ولكنني سأحاول أن أتوه في أسرع وقت ممكن. إنتي أعرف طريقاً أو اثنين خارج أرض البري غير الطريق الرئيسي. وبمجرد أن نتخلص من المطاردة، فإنني سوف أتجه إلى تل الريح<sup>(1)</sup>».

قال سام: «تل الريح؟ ما هذا؟».

«إنه تل، يقع إلى الشمال من الطريق مباشرة، عند نصف المسافة تقريراً من هنا إلى ريفنديل. إنه يشرف على منظر كبير من جميع نواحيه؛ وهناك ستكون أمامنا فرصة للنظر حولنا. سوف يتوجه جنديلاً إلى تلك النقطة، إذا هو تبعنا. بعد تل الريح ستصبح رحلتنا أكثر صعوبة، وسوف يتحتم علينا أن نختار ما بين أخطار عديدة».

وسأل فرودو: «متى كانت آخر مرة رأيت فيها جنديلاً؟ هل تعرف أين هو، أو ماذا يفعل؟».

وبعدت على سترايدار علامات الجد، وقال: «لا أدرى. لقد جئت نحو الغرب معه في الربيع. كنت في الغالب أقوم بمراقبة حدود المقاطعة في السنوات القليلة الماضية، أثناء انشغاله هو في مكان آخر. نادراً ما كان يتركها دون حراسة. آخر مرة تقابلنا فيها كانت في أول مايو: في مخاضة سارن أسفل نهر براندوي واين. وأخبرني أن مهمته معك كانت تسير على ما يرام، وأنك ستببدأ في رحلتك متوجهاً إلى ريفنديل في آخر أسبوع من شهر سبتمبر. وكما عرفت فإنه كان إلى جوارك، لقد ذهبـت في رحلة خاصة بي. وقد كان ذلك شيئاً، حيث إنه بكل وضوح قد وصلـته بعض الأخبار، ولم أكن أنا متاحـاً لتقديم المساعدة».

«إنـي قلق، لأول مـرة منذ أن عـرفـتهـ. كان يـجبـ أن نـتبادلـ الرـسائلـ، حتى ولو لم يـسـتطـعـ أن يـأـتـيـ هوـ بـنـفـسـهـ. عـندـمـاـ عـدـتـ، مـذـ أـيـامـ كـثـيرـةـ، سـمعـتـ الأـخـيـارـ السـيـئةـ. لـقـدـ سـافـرـتـ الأـخـيـارـ بـعـيـداـ وـفـيـ مـحـيـطـ كـبـيرـ أنـ جـنـدـيـلـ قـدـ قـدـ وـأـنـ الـخـيـالـةـ قـدـ شـوـهـدـواـ. أـخـبـرـنـيـ بـذـاكـ سـكـانـ جـيـلـدـورـ مـنـ الـجـنـ؛ـ وـفـيـ وـقـتـ لـاحـقـ أـخـبـرـنـيـ أـنـكـ قـدـ غـادـرـتـ مـنـزـلـكـ؛ـ وـلـكـنـ لـمـ تـكـنـ هـنـاكـ أـيـ أـخـبـارـ عـنـ مـغـادـرـتـكـ لـبـاـكـ لـانـدـ. لـقـدـ كـنـتـ أـرـاقـبـ الـطـرـيقـ الشـرـقـيـ فـيـ قـلـقـ».

وـسـأـلـ فـرـوـدـوـ:ـ «ـهـلـ تـعـنـقـ أـنـ الـخـيـالـةـ السـوـدـ لـهـمـ أـيـ دـخـلـ فـيـ ذـلـكــ أـقـصـدـ فـيـ غـيـابـ جـنـدـيـلـ؟ـ».

وـقـالـ سـتـرـاـيدـارـ:ـ «ـلـاـ أـعـلـمـ أـيـ شـيـءـ آـخـرـ يـمـكـنـ أـنـ يـعـوـقـهـ،ـ مـاـ عـدـاـ الـعـدـوـ نـفـسـهــ.ـ وـلـكـنـ

(1) (Weathertop - و معناها «Hill of the Wind» - أي تل الريح. (المترجم))

لا تيأس! جنّدْلَف أعظم مما تعرفونه أنتم أهل المقاطعة - وكقاعدة لا يمكنك أن ترى سوى نكته وألعابه. ولكن هذا العمل الخاص بنا سيكون مهمتنا العظمى».

وتناءب بيبي، وقال: «أنا آسف، ولكني متعب للغاية. على الرغم من كل هذا الخطر القلق، ينبغي أن أذهب إلى الفراش، أو أنام في المكان الذي أجلس فيه. أين ذلك الشخص السخيف، ميري؟ سيكون ذلك القشة الأخيرة<sup>(١)</sup>، إذا صار حتما علينا أن نخرج في الظلام ونبحث عنه».

في هذه اللحظة سمعوا صوت باب يغلق؛ وبعد ذلك أنت أقدام تجري عبر الممر. ودخل ميري في عجلة بالغة يتبعه نوب. وأغلق الباب في عجلة، ومال عليه. كان يلهث فاقد النفس. وحدقوا فيه في انزعاج لحظة قبل أن يتكلّم وهو يلهث: «لقد رأيتمهم يا فرودو! لقد رأيتمهم! الخيالة السوداء!».

وصاح فرودو: «الخيالة السود! أين؟». «هنا. في القرية. لقد بقى في الداخل لمدة ساعة. وبعد ذلك عندما لم تعد، خرجت للقزه. وعدت مرة أخرى وكتت أقف خارج نطاق ضوء المصباح مباشرة أنظر إلى النجوم. وفجأة ارتجفت وشعرت بأن شيئاً مروعاً كان يزحف بالقرب مني: كان هناك نوع من ظل أكثر عمقاً بين الظلال عبر الطريق، وراء حافة ضوء المصباح مباشرة. وانسل بعيداً إلى الظلام دون صوت. لم يكن هناك حصان.

وسائله سترايدار ، فجأة وفي حدة: «في أي طريق ذهب؟». .

وَجْلَ مِيرِيْ، وَقَدْ لَا حَظٌ وَجُودَ الْغَرِيبِ لِأوَّلِ مَرَّةٍ. وَقَالَ لَهُ فَرُودُوْ: «اسْتَمِرْ! هَذَا صَدِيقٌ لِجَنْدَلْفٍ. سَوْفَ أَشْرَحُ لَكَ فِي وَقْتٍ لَاحِقٍ».

وواصل ميري كلامه قائلاً: «كان يبدو أنه انطلق عبر الطريق، نحو الشرق. حاولت أن أتبعه. ولكنه تلاشى - بالطبع - في الحال تقريرياً؛ ولكنني ذهبت حول الركن ووصلت المشي حتى آخر منزل على الطريق».

ونظر سترايدار إلى ميري باستغراب؛ وقال: «إن لك قلباً قوياً، ولكنه كان غبياً». وقال ميري: «لا أدرى. ليس شجاعاً ولا سخيفاً، فيما أعتقد. بالكاد كان يمكنني أن أمنع نفسي. كنت أبدو مسحوباً بطريقة ما. وعلى أية حال، ذهبت، وفجأة سمعت أصواتاً عند السياج الشجري: صوت كان يتمتم؛ وصوت آخر كان يهمس، أو يميس. لم أستطع أن أسمع الكلمة مما قيل. ولم أزحف وأقترب أكثر من ذلك، كنت على وشك أن أعود، عندما أتي شريرة ورائحتها وفعت على الأرض».

وتدخل نوب في الحوار: «أنا وحديه يا سيدى . السيد بتزير أرسلنى يفانوس لأبحث

(1) إشارة إلى المثل القائل: «القضية التي قصمت ظهر العبر» - (المترجم)

عنه. وذهبَ نازلاً إلى البوابة الغربية، وبعد ذلك عدَّ صاعداً نحو البوابة الجنوبية. قريراً من منزل بيل فيرنى مباشرةً، ظننتُ أنتي سمعت شيئاً ما في الطريق. لم أستطع أن أتحقق منه، ولكنه نظر إلى كما لو كان رجلان ينحدران فوق شيء ما، ويرفعانه. وصرختُ، ولكن عندما وصلتُ إلى البقعة لم أجده أي علامات عليهما، ولم أجده سوى السيد برانديك يرقد على جانب الطريق. كان يبدو نائماً. كان غريباً جداً، وبمجرد أن أيقنته، نهض وجرى عائداً إلى هنا مثل أرنب بري».

وقال ميري: « بكل أسف هذا صحيح، على الرغم من أنتي لا أعلم ما قلت. لقد رأيت حلماً قبيحاً، لا يمكنني أن أتذكره. لقد تقطعت إرباً. لا أدرى ما الذي حل بي». وقال سترايدار: «أنا أعلم. النفس الأسود. لا بد أن الخيالة قد تركوا خيلهم بالخارج، ومرروا عائدين عبر البوابة الجنوبية سراً. سوف يعرفون كل الأخبار الآن، لأنهم زاروا بيل فيرنى؛ وربما كان ذلك الجنوبي جاسوساً أيضاً. شيء ما قد يحدث في الليل، قبل أن نغادر البري».

وقال ميري: «ماذا سيحدث؟ هل سيهاجمون الحانة؟».

قال سترايدار: «كلا، لا أعتقد ذلك. إنهم ليسوا جميعاً هنا بعد. وعلى أية حال، هذه ليست طريقتهم. في الظلام وفي العزلة يكونون أقوى مما يكُونون؛ لن يهاجموا أي منزل على نحو صريح حيث تكون هناك أصواته والكثير من الناس - لا يقع ذلك إلا عندما يأسون، لا يقومون بذلك بينما لا تزال الفراسخ الطوال في إريادور أمامنا. ولكن قوتهم في إيقاع الرعب في النفوس، وهناك البعض في البري بالفعل في قبضتهم. سوف يدفعون هؤلاء التعباء إلى عمل شرير: فيرنى، وبعض الغرباء، وربما حارس البوابة أيضاً. لقد تحدثوا مع هاري عند البوابة الغربية يوم الاثنين. كنت أشاهدهم. كان شاحباً ويرتعش عندما تركوه».

وقال فرودو: «يبدو أن لنا أعداء في كل مكان. ما الذي سنفعله؟».

«ابقوا هنا، ولا تذهبوا إلى غرفكم! إنهم متآكدون أنهم قد اكتشفوا غرفكم. غرف الهوبيتين لها نوافذ تطل نحو الشمال وتكون قريبة من الأرض. سوف نظل جميعاً معاً ونغلق هذا الشباك والباب. ولكن سوف نقوم أنا ونوب بإحضار أمتعتكم».

وعندما ذهب سترايدار، قص فرودو على ميري سريعاً كل ما حدث منذ العشاء. كان ميري لا يزال يقرأ ويتأمل خطاب جنديف عندما عاد سترايدار ونوب.

وقال نوب: «حسناً أيها السادة. لقد قلبت الملابس ووضعنها في وسادة تحت وسط كل سرير. وقمت بمحاكاة رأسك بسجادة بنية صوفية، يا سيد باج — أندرهيل، يا سيدى» — أضاف ذلك بابتسامة عريضة.

وضحك بيبي؛ وقال: «إنه يشبه الأحياء جداً. ولكن ما الذي سيحدث عندما يكتشفون الخدعة؟».

وقال سترايدار: «سوف نفهم. دعونا نتمنى أن نحافظ على موضعنا حتى الصباح». «تصبحون على خير» – قال نوب ذلك وانطلق ليأخذ مكانه في الحراسة على الأبواب. كوموا حقائبهم وأمتعتهم في أرضية الردهة. وضعوا مقعداً واطئاً وراء الباب وأغلقوا التوافذ. ولما نظر فرودو للخارج رأى أن الليل لا يزال صحيحاً. كان المنجل<sup>(1)</sup> يتارجح لاما فوق حواف تل البري. بعد ذلك أغلق المصاريق الداخلية الثقيلة وأحكم قفلها بالمزلاج وسحب المسنثات معاً. وأوقد سترايدار النار وأطفأ كل الشموع.

رقد الهوبيتيون على بطانياتهم وأقدمهم باتجاه الموقد؛ ولكن سترايدار وضع نفسه في المقعد الموضوع قبالة الباب. تحدثوا لفترة قصيرة، لأن ميري كان لا يزال لديه أسئلة عديدة سألها.

قال ميري وهو يقهقه بينما لف نفسه في بطانته: «وقفز فوق القمر! كم هو مخيف منك يا فرودو! ولكن كنت أتمنى أن لو كنت هناك لأرى. إن الأشخاص في قرية البري سوف يناقشون الأمر لمدة مائة سنة من الآن».

«أتمنى ذلك» – قال ذلك سترايدار. وبعد ذلك صمتوا جميعاً، وراح الهوبيتيون واحداً تلو الآخر في النوم.

(1) المنجل Sickle: الاسم الذي يطلقه الهوبيتيون على برج الدب الأكبر Plough أو كوكبة الدب الأكبر Great Bear.

## الفصل الحادي عشر سکین في الظلام

عندما كانوا يستعدون للنوم في الحانة في البري ، كان الظلام يغلف بالك لانه ظل السديم في الوهاد وعبر ضفة النهر . وقف المنزل الموجود في كرييك هولو صامتاً . فتح بولجر البدين الباب في حذر ونظر للخارج . كان هناك شعور بالخوف ينتابه طوال اليوم بشكل متزايد ، وكان غير قادر على أن يستريح أو يذهب للفرارش : كان هناك في هواء الليل الساكن تهدید باعث على الاكتئاب . وبينما كان يحدق في الظلمة ، تحرك ظل أسود تحت الأشجار؛ بدا أن البوابة تفتح من تقاء نفسها وتغلق مرة أخرى دون صوت . تولاه الرعب . وانكمش متراجعاً للوراء ، وللحظة وقف يرتعش في الردهة . وبعد ذلك أغلق الباب وأحكم قفله بالقفل .

وازداد الليل إيجالاً . وجاء الصوت الناعم لخيل تقاد خلسة وفي تسلل عبر الممر الضيق . وتوقفت خارج البوابة ، ودخل ثلاثة أشخاص سود ، مثل ظلال الليل التي تزحف عبر الأرض . ذهب واحد نحو الباب ، وواحد نحو بركن الدار على كل جانب؛ ووقفوا هنالك في أماكنهم ، ساكنين مثل ظلال الأحجار ، بينما واصل الليل زحفه في بطء . كان المنزل والأشجار الساكنة تنتظر في لهاث .

كانت هناك حركة ضعيفة في أوراق الشجر ، وصاحت ديك في مكان بعيد . كانت الساعة الباردة التي تسيق الفجر تمر . وتحرك الشكل الواقف عند الباب . في الظلمة بدون قمر أو نجوم لمع نصل سحب من غمد ، كما لو أن ضوءاً بارداً قد استل من غمده . وكانت هناك ضربة لينة ولكنها ثقيلة وقوية ، وتطاير الباب .

وقال صوت رقيق ومهدد: «افتح ، باسم موردور!».

ومع الضربة الثانية استسلم الباب وسقط للوراء ، وقد انفجرت ألواح الخشب وانكسر القفل . ومرت الأشكال الثلاثة داخلة في خفة وسرعة .

في هذه اللحظة ، بين الأشجار القرية ، رن صوت بوق . شق الليل مثل النار فوق قمة تل .

**استيقظوا! الخوف! النار! الأعداء! استيقظوا!**

لم يكن بولجر البدين عديم الجدوى . بمجرد أن رأى الأشكال السوداء تزحف من الحديقة ، عرف أنه يجب عليه أن يهرب ، أو يهلك . وما كان منه إلا أن جرى ، خارجاً

من الباب الأسود، عبر الحديقة، وفوق الحقول. عندما وصل إلى أقرب منزل، على بعد أكثر من نصف الميل، سقط على عتبة الباب. وكان يصيح: «لا، لا، لا! لا، ليس أنا! أنا لم أخذها!» ومر بعض الوقت قبل أن يستطيع أي أحد أن يفهم كنه ما كان يشرشري به. وأخيراً، أدركوا الفكرة - فكرة أن الأعداء كانوا في بَلَانْد، غزو غريب من الغابة العجوز. وعندئذ لم يضيعوا المزيد من الوقت.

### الخوف! النار! الأعداء!

كان السكان من أفراد البرانديك يطلقون نفير بَلَانْد، الذي لم يُطلق لمدة مائة سنة، لم يطلق منذ أن جاءت الذئاب البيضاء في الشتاء الضاري، عندما تجمد نهر براندي وابن.

### استيقظوا! استيقظوا!

وسمعت على بعد أصوات أبواق تجيب النفير. كان الإنذار ينتشر. فر الشخص السود من المنزل. وترك واحد منهم عباءة هوبتي تسقط على الدرج، وجرى. في الطريق الضيق، انفجرت ضوضاء الحوافر، وتجمعت للعدو السريع، وراحت تذكّر الأرض وتغيب في قلب الظلمة. كل ما كان حول كريك هولو كان عبارة عن أصوات نفير، وأصوات صباح وجري أقدام. ولكن الخيالة السود جروا بخيلهم مثل الريح الهوجاء إلى البوابة الشمالية. لندع الناس الصغار يطلقون نفيرهم! ساورون سوف يتعامل معهم فيما بعد. وفي ذات الوقت، كانت لديهم مهمة أخرى: لقد عرفوا الآن أن المنزل كان خالياً وأن الخاتم قد ذهب. وحملوا بخيلهم على الحراس عند البوابة واقتفووا من المقاطعة.

في بدايات الليل، استيقظ فرودو من نومه العميق، فجأة، كما لو كان قد أزعجه صوت ما أو وجود ما.رأى أن سترايدار كان يجلس متقيطاً في مقعده: ولمعت عيناه في ضوء النار، التي كان يعني بها وكانت تحترق في توهج؛ ولكنه لم يبد أية إشارة أو حركة.

وسرعاً راح فرودو في النوم مرة أخرى؛ ولكن أحلامه أصابها القلق والاضطراب مرة أخرى من جراء ضوضاء الريح ومن الحوافر التي تعدد سريعاً. كان يبدو أن الريح تدور حول المنزل وتهزه؛ وبعيداً سمع صوت بوق يزعق في جموح. وفتح عينيه، وسمع ديكاً يصيح بقوّة في فناء الحانة. كان سترايدار قد سحب الستائر وأرجح المصاريح للوراء بمشبكه كان أول ضوء رمادي للنهار في الغرفة، وكان هناك هواء بارد يأتي عبر النافذة المفتوحة.

وبمجرد أن أيقظهم سترايدار جمِيعاً، فإنه قاد الطريق إلى غرف نومهم. وعندما رأوا الغرف وما حل بها فإنهم كانوا سعداء لسماعهم نصيحته: تم فتح التواوذ من الخارج بالقوة، كانت تتأرجح، وكانت الستائر ترفرف؛ كما كانت الفرش مُبعثرة، والوسائل ممزقة وملقاء على الأرض؛ وقد مزقت السجادة البنية إرباً.

في الحال ذهب سترايدار ليحضر صاحب الدار. بدا السيد بتَّبَرِير المسكين نائماً ومرعوباً. لم يكُن يُغمض عينيه طوال الليل (هكذا قال هو)، ولكنه لم يسمع أي صوت قط. وصاح، وهو يرفع يديه في رعب: «لم يحدث مثل ذلك الشيء فقط في عمري. الضيوف غير قادرین على النوم في أسرتهم، والوسائل الجديدة مزقت بالكامل ومعها كل شيء! ما الذي نحن مقدمون عليه؟».

وقال سترايدار: «أوقات شريرة. ولكن بالنسبة للوقت الحالي يمكن أن تترك في سلام، عندما تكون قد تخلصتَ منها. سوف تغادر في الحال. لا تشغل نفسك بالإفطار: شراب ولقمة ونحن واقعون سوف تفِي بالغرض. سوف نحزم أغراضنا في دقائق قليلة».

وانطلق السيد بتَّبَرِير مسرعاً ليتبيَّن من أن أفراسهم قد أعدتْ، وليرجع لهم «لقطة» يأكلونها. ولكنه عاد في الحال في رعب. لقد اختفت الأفراس! لقد فتحت جميع أبواب الإصطبل في الليل، واختفت الأفراس: ليس فقط أفراس ميزي، ولكن كل حصان آخر وحيوان كان في المكان.

سحقت الأخبار فرودو. أتى لهم أن يأملوا في الوصول إلى ريفنديل سيراً على الأقدام، يطاردهم أعداء راكبون؟ كما أنهم قد يتوجهون إلى القمر. جلس سترايدار في صمت لفترة قصيرة، وهو ينظر إلى الهوبيتين، كما لو كان يزن قوتهم وشجاعتهم. وتحدث أخيراً، في استغراق شديد، كما لو كان قد خمن ما يدور في ذهن فرودو، قائلاً: «لن يكون بإمكان الأفراس أن تساعدنا في الهروب من خيالة يركبون خيلاً. لن نسير بسرعة أقل على الأقدام، وليس في الطرق التي أنتوي أن نسلكها. لقد كنت سأمشي على أية حال. ما يقفني هو الطعام والمخزونات. لا يمكننا أن نعول على الحصول على أي شيء لأنأكله بين هنا وريفنديل، باستثناء ما نأخذه معنا؛ وينبغي علينا أن نأخذ معنا الكثير لتوفره؛ حيث إن ذلك قد يعوقنا، أو يجبرنا على السير في طرق غير مباشرة ملتوية، بعيداً كثيراً عن الطريق المباشر. ما هو الكم الذي نحن مستعدون لحمله على ظهوركم؟».

«كثيراً بقدر ما يتحتم علينا» - قال ذلك بيßen وقلبه خائز بين ضلوعه، ولكنه كان يحاول أن يظهر أكثر قوة مما كان يبدو عليه (أو يشعر به). وقال سام في تحد: «يمكنتني أن أحمل ما يكفي اثنين».

وسأل فرودو: «أليس هناك من شيء يمكن أن يفعل يا سيد بيتربرير؟ ألا يمكننا أن نحصل على فرسين في القرية، أو حتى فرس واحد لحمل الأمتعة؟ لا أفترض أنه بإمكاننا أن نستأجرها، ولكن ربما يكون بإمكاننا الشراء» - قال ذلك مضيفاً في شك، ومتسللاً إن كان باستطاعته ذلك.

وقال صاحب المنزل في حزن: «أشك في ذلك. الفرسان أو الأفراس الثلاثة الموجودة في البري كانت موضوعة في الإصطبل في فنائي، وقد ذهبت. أما بالنسبة للحيوانات الأخرى، أحصنة أو أفراس للجر أو خلاف ذلك، فهناك عدد قليل جداً منها في البري، ولن تكون للبيع. ولكنني سأفعل ما في استطاعتي. سوف أوقف بوب وأرسله ليرى ما يمكن فعله بأسرع ما يمكن».

وقال سترايدار على مضض: «نعم، من الأفضل أن تفعل ذلك. للأسف سوف يتحتم علينا أن نحاول الحصول على فرس واحد على الأقل. ولكن ذلك يعني كل أمل في بدء الرحلة مبكرين، والتسلل في هدوء! وربما تكون قد أطلقنا يوماً لإعلان رحيلنا. لقد كان ذلك جزءاً من خطتهم، بلا شك».

وقال ميري: «هناك قدر قليل من العزاء، وأكثر من قدر صغير، فيما أتمنى: يمكننا أن نتناول الإفطار ونحن ننتظر - ونجلس ونحن نتناوله. دعونا نعثر على نوب!».

في النهاية، كان هناك تأخير لأكثر من ثلاثة ساعات. وعاد بوب بتقرير يقول إنه ليس هناك حصان أو فرس يمكن الحصول عليه تحت أي ظرف من الظروف في الجوار - باستثناء واحد فقط: بيل فيرنى لديه واحد من المحتمل أن يبيعه. وقال بوب: «إنه كائن مسكون عجوز نصف ميت من الجوع، ولكنه لن يبيعه بأقل من ثلاثة أضعاف ثمنه، عندما يدرك موقفكم الذي أنتم فيه، وليس هذا غريباً إذا عرفت بيل فيرنى».

وقال فرودو: «بيل فيرنى؟ أليست هناك خدعة ما؟ ألم يعود الحيوان إليه وعليه كل حاجياتنا، أو يساعدنا في تتبعنا، أو أي شيء من هذا القبيل؟».

وقال سترايدار: «أتمنى لو أعرف. ولكن لا يمكنني أن أتخيل أي حيوان يجري عائداً إليه، عندما يحدث ويهرب منه. أظن أن هذه فكرة من أفكار فيرنى خطرت له فيما بعد: إنها مجرد طريقة لزيادة أرباحه من المسألة. الخطير الرئيسي هو أن الحيوان المسكين من المحتمل أن يكون على عتبة الموت. ولكن لا يبدو أن هناك أي خيار آخر. ماذا يريد مقابلة له؟».

كان سعر بيل فيرنى اثنى عشر بنساً فضياً؛ وكان ذلك في الواقع ثلاثة أضعاف قيمة الفرس على الأقل في تلك الأجزاء. وثبت أنه حيوان نحيل، عنده نقص في التغذية،

ويوقع الكآبة في النفس؛ ولكنه لم يكن يبدو أنه سيختبر في الحال بعد. ودفع السيد بتربيير ثمنه من ماله هو، وعرض على ميري مبلغ ثمانية عشر بنساً أخرى كتعويض للحيوانات التي ضاعت. كان رجلاً أميناً، وحسن الأحوال حسبما كانت الأشياء تقدر في البري؛ ولكن مبلغ ثلاثة بنساً فضلاً كانت ضربة موجعة بالنسبة له، وكون بيل فيرنى قد خدعاً جعل الضربة أصعب في احتمالها.

وفي حقيقة الأمر، فإنه جاء في الجانب الصحيح في النهاية. لقد ظهر فيما بعد أن حساناً واحداً فقط هو الذي سرق بالفعل. وكانت باقي الخيول قد سبقت بعيداً، أو فرت هاربة من الرعب، ووجدت ضالة في أماكن مختلفة من أرض البري. لقد هربت أفراس ميري جملة، وفي النهاية (لما كان لديها قدر كبير من العقل) فإنها أخذت طريقها إلى المرتفعات بحثاً عن لامبكين البدين. ولذلك فإنها وصلت إلى رعاية توم يومباديل لبعض الوقت، وكانت حسنة الحال. ولكن عندما وصلت أخبار الأحداث التي وقعت في البري إلى مسامع توم، فإنه أرسل الجياد إلى السيد بتربيير ، والذي حصل بهذه الطريقة على خمسة حيوانات جديدة بسعر عادل جداً. كان يجب عليها أن تعمل بشكل أكثر مشقة في البري ، ولكن بوب كان يعاملها بشكل جيد؛ ولذلك - على وجه الإجمال - فإنها كانت محظوظة: لقد فانتها رحلة كئيبة وخطيرة. ولكنها لم تذهب أبداً إلى ريفنديل.

و مع ذلك ، في ذات الوقت فإن ما كان السيد بتربيير يعرفه هو أن ماله قد ذهب للأبد سواء في خير أو في شر. وكان لديه مناعب أخرى؛ حيث كان هناك اضطراب كبير بمجرد أن كان باقي التزلاء في الدار خارج فرشهم وسمعوا عن الغارة التي وقعت على الحانة. لقد فقد المسافرون الجنوبيون عدة خيول وألقوا باللائمة على صاحب الحانة بصوت عال ، حتى اكتشف أن واحداً منهم هم قد اختفى في الليل ، وليس أحد سوى رفيق بيل فيرنى الأحوال. وتوجه الشك إليه في الحال.

وقال بتربيير في غضب: «عندما تتصاحبون مع لص خيل ، وتحضرونه إلى منزلي ، ينبغي عليكم جميعاً أن تدفعوا لقاء كل الضرر أنتم أنفسكم لا أن تأتوا وتصرخوا في وجهي. اذهبوا واسألوا فيرنى أين صديقكم الوسيم!» ولكن بدا أنه لم يكن صديق أي أحد ، ولم يستطع أي أحد منهم أن يتذكر متى انضم هذا الشخص إلى مجموعتهم وحفلاتهم .

بعد أن تناول الهوبيتيون إفطارهم ، كان عليهم أن يعيدوا حزم أمتعتهم ، ويحصلوا على المزيد من المؤن للرحلة الأطول التي كانت بانتظارهم الآن. كان الوقت يقارب الساعة العاشرة قبل أن ينطلقوا في رحلتهم أخيراً. ومع هذا الوقت ، كان كل شيء في قرية البري يضج بالإثارة. حيلة اخقاء فرودو؛ ظهور الخيالة السود؛ سرقة

الإسطبلات؟ ولا يقل عن ذلك أخبار انضمام سترايدار الجوال للهوببيين الغامضين، كل ذلك صاغ حكاية من شأنها أن تدوم لمدة سنوات خالية من الأحداث الهامة. تجمع معظم سكان قرية البري وقرية ستادل، بل والكثيرون من قرية كومبني وقرية آرتشت، على الطريق ليروا المسافرين وهو يبدئون رحلتهم. كان النزلاء الآخرون في الحانة بالباب أو يطلون من النوافذ.

غير سترايدار رأيه، وقرر أن يغادر قرية البري سالكاً الطريق الرئيسي. أي محاولة للسير عبر البلدة في الحال فإنها لن تزيد الأمور إلا سوءاً: إن نصف السكان سوف يتبعونهم، ليروا ما الذي يتوون فعله، وينتعوهم من التعدي على ممتلكاتهم.

ودعوا نوب وبوب، استأذنا من السيد بتربير مقدمين له الكثير من الشكر. وقال له فرودو: «أتمنى أن نتقابل مرة أخرى في يوم من الأيام، عندما تكون الأشياء سعيدة ومرحة مرة أخرى. لن أرغب في أي شيء أكثر من البقاء في منزلك في هدوء وطمأنينة لفترة قصيرة من الوقت».

وبعدوا رحلتهم سيراً على الأقدام، قلقين ومحزونين، تحت أعين الجماهير. لم تكن كل الوجوه ودودة، ولا كل الكلمات التي كانت تطلق في صياح تجاههم. ولكن كان يبدو أن جميع سكان أرض البري يهابون سترايدار، وأولئك الذين كان ينظر إليهم كانوا يغلقون أفواههم ويتعدون. مشى في المقدمة مع فرودو؛ وبعدهما جاء ميري وبيبين؛ وجاء سام في المؤخرة يقود الفرس، الذي كان محملاً بكم كبير من أمتعتهم بالقدر الذي سمحت به قلوبهم؛ ولكنه بالفعل كان يبدو أقل اكتئاباً كما لو كان موافقاً على التغيير الذي حدث في مصيره. كان سام يمضغ تفاحة وهو مستغرق في التفكير. كان جيبيه مليئاً بثمرات التفاح: هدية وداع من نوب وبوب. وقال: «تفاح للمشي، وغليون للجلوس. ولكني أظن أنتي سأفقد الاثنين قبل أن يمضي وقت طويل».

لم يعر الهوببيون أي انتباه أو اهتمام للرءوس الفضولية التي كانت تطل عليهم من الأبواب، أو تجحظ فوق الجدار والأسوار، وهم يمرون في طريقهم. ولكن عندما اقتربوا من البوابة البعيدة، رأى فرودو منزلًا مظلماً كانت العناية به سيئة، خلف سياج شجري كثيف: آخر منزل في القرية. في واحدة من النوافذ، لمح وجهاً شاحباً فيه عينان منغوليتان؛ ولكنه اختفى في الحال.

وفكر في نفسه قائلاً: «وهكذا هذا هو المكان الذي يختفي فيه ذلك الجنوبي! إنه يبدو لأكثر من النصف شيئاً بالعفريت».

وفوق السياج، كان هناك رجل آخر يحدق في جرأة. كان حاجبه أسودين غزيرين، وعيانه سوداين ساخرين؛ كان فمه الكبير ملتوياً في سخرية. كان يدخن غليوناً أسود قصيراً. وعندما اقتربوا، أخرجه من فمه وبصق.

وقال: «صباح الخير يا طويل الساقين! راحل مبكراً؟ وجدت لك أصدقاء أخيراً؟»  
وهو سترابيدار رأسه، ولكنه لم يجده.  
وقال للآخرين: «صباح الخير، يا أصدقائي الصغار! أعتقد أنكم تعرفون من الذي  
تصادقتم معه؟ هذا هو عديم الضمير سترابيدار! على الرغم من أنني سمعت أسماء كثيرة  
أخرى ليست جميلة جداً. احترسوا هذه الليلة! وأنت، يا سام، لا تعامل فرسى المسكين  
العجوز معاملة سيئة! باه!» وبصق مرة أخرى.

واستدار سام سريعاً وقال: «وأنت يا فيرتي أبعد وجهك القبيح، وإلا فإنه سيصاب  
بأذى». وفي حركة مفاجئة، سريعة مثل البرق، تركت تقاحة يده وضربيت بيل في  
أنفه مباشرة. ولكنه انحنى بعد فوات الأوان، وجاءت اللعنات والسباب من وراء  
السياح. وقال سام في ندم: «ضييعت تقاحة جيدة» - وواصل سيره.

وأخيراً تركوا القرية وراءهم. وتعب من كانوا يتبعونهم من الأطفال والمتشردين  
واستداروا عائدين عند البوابة الجنوبية. ولما عبروا البوابة، التزموا الطريق لمسافة  
بعض الأميال. ومال الطريق لليسار، وهو ينحدن عائداً إلى خطه المتوجه نحو الشرق  
وهو يدور حول سفح تل البري، وبعد ذلك بدأ يجري في سلاسة نازلاً إلى الريف  
المكسو بالأشجار. كان على يسارهم بعض المنازل ومساكن الهوبيتين من قرية  
سترادر على المنحدرات الجنوبية الشرقية الأكثر تدريجياً في التل؛ وفي الأسفل في  
فجوة واد عميقه بعيدة نحو شمال الطريق، كانت هناك خيوط من دخان متتصاعد كانت  
تظهر على مكان وجود قرية كومبي؛ كانت قرية آرتشت مختفية في الأشجار في  
الوراء.

بعد أن سار الطريق نازلاً لبعض المسافة، وقد ترك تل البري واقترب طويلاً وبنها  
وراءهم، فإنهم جاءوا إلى مجاز ضيق قادهم نحو الشمال. وقال سترابيدار: «هذا هو  
المكان الذي تترك فيه العراء، ونأخذ الطريق تحت غطاء».  
وقال بيبين: «أتمنى ألا يكون «طريقاً مختصراً». فإن آخر طريق مختصراً سلكناه  
كاد أن ينتهي بكارثة تقربياً».

وضحك سترابيدار قائلاً: «آه، ولكن لم أكن أنا معكم. فإن طرق المختصرة،  
القصيرة أو الطويلة، لا تخطئ». وألقى نظرة لأعلى ولأسفل في الطريق. لم يكن  
هناك أي شخص يمكن رؤيته؛ وقاد الطريق سريعاً نازلاً باتجاه الوادي المشجر.

كانت خطته - يقدر ما استطاعوا فهمها دون أن يعرفوا البلد - أن يسيراً باتجاه قرية  
آرتشت أولاً، ولكن ليتحركوا نحو اليمين ويعبروه في الشرق، وبعد ذلك يسيراً في  
خط مستقيم قدر استطاعتهم فوق الأراضي البرية إلى تل الريح. بهذه الطريقة، فإنهم

سوف يقطعون حلة كبيرة من الطريق - إذا سارت الأمور على ما يرام - والذي ينجزني مرة أخرى باتجاه الجنوب لتجنب مستنقعات ماء الذباب<sup>(1)</sup>. ولكن - بالطبع - سوف يتحتم عليهم المرور عبر المستنقعات نفسها، ولم يكن وصف سترايدار لها مشجعاً.

بيد أنه في ذات الوقت، لم يكن المشي كريهاً. في الواقع الأمر، لو لا الأحداث المقلقة المعطلة التي وقعت ليلة أمس، لكانوا قد تمتعوا بذلك الجزء من الرحلة أفضل من أي جزء فيها حتى ذلك الوقت. كانت الشمس ساطعة، صافية بيد أنها حارة للغاية وكانت الأشجار في الوادي ساكنة الأوراق وملائمة بالألوان، وكانت تبدو هادئة وصحية. قادهم سترايدار في ثقة بين طرق كثيرة متقطعة، على الرغم من أنهم لو كانوا قد تركوا لأنفسهم لتاهوا في الحال. كان يأخذ طريقاً متعجلاً به الكثير من المنعطفات والمنحدرات الحادة العائدة، للتخلص من أي مطاردة.

وقال لهم: «بكل تأكيد، سيقوم بيل فيرنى بمراقبة الطريق من النقطة التي غادرنا عندها، على الرغم من أنني لا أعتقد أنه سوف يتبعنا هو نفسه. إنه يعرف الأرض من حولنا جيداً بما يكفى، ولكنه يعرف أنه ليس صنوالي في الغابات. إن ما أخشاه، هو ما قد يخبره للآخرين. لا أفترض أنهم بعيدون كثيراً. إذا فكروا أتنا قد أخذنا طريقاً قاصدين قرية آرتشيت، فإن ذلك سيكون أفضل ما يمكن».

سواء كان بسبب مهارة سترايدار، أو لسبب ما آخر، لم يروا أي إشارة ولم يسمعوا أي صوت لأي كائن حي آخر طوال ذلك اليوم: لا مما يمشي على قدمين، باستثناء الطيور؛ ولا مما يمشي على أربع، باستثناء ثعلب واحد وعدد قليل من السناجب. في اليوم التالى بدعوا يصلكون طريقاً ثابتاً باتجاه الشرق؛ وكان كل شيء لا يزال هادئاً ومطمئناً. في اليوم الثالث من خروجهم من قرية البرى خرجوا من غابة شيشتود. كانت الأرض تنخفض على نحو مطرد، منذ أن داروا إلى جانب من الطريق، ودخلوا الآن بقعة واسعة مسطحة من البلاد، أكثر صعوبة بكثير في الحركة. كانوا وراء حدود أراضي البرى بمسافة كبيرة، إلى الخارج في البرية التي لا توجد بها مسارات أو طرق، وكانوا يقتربون من مستنقعات ماء الذباب.

أصبحت الأرض الآن رطبة، وفي أماكن منها سبخة مستنقعة وكانوا يمرون من مكان إلى آخر ببرك من المياه، ومساحات كبيرة من القصب والأسل مملوءة بتغريد الطيور الصغيرة المختبئة. كان عليهم أن يتلمسوا طريقهم بحرص وعناء لتظل أقدامهم

(1) Midgewater Marshes - الكلمة مكونة من جزأين Midge و معناها ذبابة صغيرة (من ذوات الجناحين) water - ومعناها - ماء. (المترجم)

جافة ويواصلوا سيرهم في المسار الصحيح. في البداية، أحرزوا تقدماً جيداً، ولكن بينما واصلوا طريقهم، أصبح السير أبطأ وأكثر خطورة. كانت المستنقعات مذهلة وغدارة، ولم يكن هناك أي أثر دائم حتى للجوالة بإمكانهم أن يجدوه عبر المستنقعات المتحركة. بدأ الذباب يذهبهم، وكان الهواء ممثلاً بسحب من الذباب الصغير كانت تزحف عبر أكمامهم وبنطلوفاتهم وإلى شعرهم.

وصاح بيبيين: «إنني أوكل حياً! ماء الذباب! هناك ذباب أكثر من الماء!». وسأل سام وهو يحك رقبته: «ما الذي يعيشون عليه عندما لا يمكنهم الحصول على الهوبيتين؟».

لقد أمضوا يوماً تعيساً في هذا البلد الأعزل البغيض. كان مكان تخيمهم رطباً وبارداً وغير مريح؛ ولم تدعهم الحشرات الداغة ينامون. كما كانت هناك أيضاً مخلوقات بغية تناوب القصب وكتل العشب النامية والتي كان يبدو من صوتها أنها أقارب شريرة لصرار الليل. كانت هناك آلاف منها، وكانت تصر في كل المكان من حولهم، نبيك - بربيك، نبيك - بربيك، على نحو لم ينقطع طوال الليل، حتى الهوبيتيون كانوا في هياج تقريراً.

وفي اليوم التالي، اليوم الرابع، كانت الأمور أفضل قليلاً، وكانت الليلة خالية من أسباب الراحة تقريباً كذلك بنفس القدر. على الرغم من أن صراراً الليل (حشرات النبيك بربيك - كما سماها سام) قد تركوها وراءهم، فلا زال الذباب يطاردهم.

وبينما رقد فرودو، حاول - ولكن لم يستطع - أن يغلق عينيه، بدا له أنه جاء من على بعد ضوء في السماء الشرقية: راح يومض ويخبو مرات كثيرة. لم يكن ضوء الفجر، لأن الفجر كان لا يزال متبقياً عليه بعض الساعات وسأل سترايدار الذي كان قد نهض، وكان يقف، وهو يحدق للأمام في الليل: «ما هذا الضوء؟».

وأجا به سترايدار قائلًا: «لا أدرى. إنه يأتي من مسافة بعيدة للغاية بحيث لا يمكن التعرف عليه. إنه مثل البرق الذي يقفز لأعلى من قم التلال».

ورقد فرودو مرة أخرى، ولكنه ظل لفترة طويلة يرى الأضواء الوامضة، وكان بالمخايرة معها يرى شكل سترايدار الأسود الطويل، وهو يقف في صمت ويقظة وحذر. وأخيراً راح في نوم قلق.

لم يكونوا قد ذهبوا بعيداً في اليوم الخامس عندما تركوا آخر يرك ممتدة ومساحات شاسعة من القصب في المستنقعات وراءهم. بدأت الأرض أمامهم ترتفع باطراد مرة أخرى. هناك على البعد باتجاه الشمال، كانوا يرون الآن صفاً من التلال. كان أعلى

تل من هذه التلال على يمين الصف ومفصولاً قليلاً عن التلال الأخرى. كانت قمةه مخروطية، مسطحة قليلة عند الذروة.

قال سترايدار: «تلك هي قمة تل الريح، الطريق القديم، الذي تركناه بعيداً على يميننا، يجري نحو الجنوب من تل الريح ويمر ليس بعيداً عن سفحه. قد نصل إليه مع ظهر الغدوة، إذا ذهبنا باتجاهه مباشرة في خط مستقيم. أعتقد أنه من الأفضل أن نفعل ذلك».

وأسأله فرودو: «ماذا تقصد؟».

«أقصد: عندما نصل إلى هناك، ليس من المؤكد ما الذي سنجده. إنه متاخم للطريق».

«ولكن بكل تأكيد كنا نتفق أن نجد جنداً مختلفاً هناك؟».

«نعم؛ ولكن الأمل ضعيف. إذا أتي من هذا الطريق، فإنه قد لا يمر عبر البرية، وهكذا فإنه ربما لا يعرف ما الذي نفعله. وعلى أية حال، إذا لم نصل إلى هناك معاً بضربة حظ، فإننا سنفقد بعضنا؛ لن يكون الانتظار هناك لفترة طويلة آمناً بالنسبة له أو بالنسبة لنا. إذا لم يتمكن الخيالة من العثور علينا في البرية، فمن المحتمل أن يتوجهوا إلى تل الريح بأنفسهم. إنه يطل على مساحة كبيرة من حوله. في الواقع، هناك طيور كثيرة وحيوانات في هذا البلد يمكن أن ترانا، ونحن نقف هنا، من فوق قمة ذلك التل. ليست كل الطيور يمكن الوثوق بها، وهناك جواسيس آخرون أكثر شرّاً منها».

ونظر الهوبيتيون في قلق إلى التلال البعيدة. نظر سام للأعلى في السماء الشاحبة، وهو يخشى أن يرى صقوراً ونسوراً تحلق فوقهم بعيون لامعة شريرة؛ وقال: «إنك تجعلني أشعر بعدم الراحة والوحشة، يا سترايدار!».

وأسأله فرودو: «ماذا نتصحّنا أن نفعل؟».

وأجابه سترايدار ببطء، كما لو لم يكن متأكداً تماماً: «أعتقد، أعتقد أن أفضل شيء هو أن نذهب مباشرة نحو الشرق من هنا بقدر ما نستطيع، متوجهين إلى صف التلال، وليس إلى تل الريح. هناك يمكننا أن نأخذ ممراً أنا أعرفه يجري عند سفح هذه التلال؛ سوف يأخذنا إلى تل الريح من الشمال وبشكل أقل تعرضاً. بعد ذلك فإننا سنرى ما هو مقدور علينا أن نراه».

طوال ذلك اليوم كانوا يسيرون عبر الطريق، حتى حل المساء البارد والمبكر. أصبحت الأرض أكثر جفافاً وأكثر قحلاً، ولكن السديم والأبخرة كانت تقع وراءهم على المستنقعات. كانت هناك مجموعة طيور كثيرة قليلة تصيح وتصرخ، حتى غابت الشمس الدائيرية الحمراء ببطء مختفية في الظلال الغربية؛ بعد ذلك حل صمت أجوف. راح الهوبيتيون يفكرون في الضوء الناعم لغروب الشمس وهو يطل عليهم من النوافذ المرحة لمنزل باج إيند هناك بعيداً.

عند نهاية اليوم وصلوا إلى جدول كان يسير إلى أسفل قادماً من التلال لي فقد نفسه

في المستنقعات الرائكة، وبعد ذلك صعدوا عبروا ضفافه بينما كان الضوء موجوداً. كان الليل قد حل بالفعل عندما توقفوا أخيراً وصنعوا مخيّمهم تحت بعض أشجار «جار الماء» التي توقفت عن النمو عند شواطئ الجدول. كان يلوح أمامهم الآن قبالة السماء القاتمة ظهور التلال الكثيبة الخالية من الأشجار. في هذه الليلة وضعوا حراسة، وفيما يليه، لم يتم سترابيدار على الإطلاق. كان القمر ينبع، وفي ساعات الليل الأولى كان هناك ضوء رمادي بارد يطير على الأرض.

في صباح اليوم التالي، بدأوا رحلتهم مرة أخرى بعد شروق الشمس مباشرة. كان هناك صيق في الجو، وكانت السماء زرقاء شاحبة صافية. شعر الهوبيتيون بالانتعاش، كما لو كانوا قد أمضوا ليلة من نوم متواصل. وبالفعل كانوا يعتادون على الكثير من المشي على حصن صغيرة من الطعام - أقل بأي حال من الأحوال مما كان يمكن في المقاطعة أن ينظر إليه على أنه قليل بما يكفي لجعلهم يقفون على أرجلهم. وأقر بيبيان أن فرودو كان يبدو ضعف الهوبيتي الذي كان إياه.

وقال فرودو وهي يضيق حزام بنطلونه: «غريب جداً اعتبار أن هناك بالفعل قدرًا مني أقل بكثير. أتمنى أن عملية النحافة لا تستمر إلى ما لا نهاية، وإلا فإني سوف أصبح شيئاً».

«لا تتحدث عن مثل تلك الأشياء» - قال له سترابيدار ذلك سريعاً، وبإصرار مدهش.

واقربت التلال أكثر. وكانت حافة متوجة، ترتفع في الغالب إلى ألف قدم تقريباً، وكانت تنخفض هنا وهناك مرة أخرى لتصبح شقوقاً منخفضة أو ممرات تقود إلى الأرض الشرقية فيما وراءها. عبر قشرة الحافة، استطاع الهوبيتيون أن يروا ما بدا أنه بقايا جدران وخنادق مزروعة باللون الأخضر، وفي الشقوق كانت لا تزال هناك بقايا أعمال حجرية قديمة. ومع حلول الليل وصلوا إلى سفوح المنحدرات المتوجهة غرباً، وهناك نصبوا مخيّمهم. كانت هذه الليلة ليلة الخامس من شهر أكتوبر، وكان قد مضى على مغادرتهم لقرية البري ستة أيام.

في الصباح وجدوا - لأول مرة منذ مغادرتهم لغابة تشيتلود - مساراً كان من السهل عليهم رؤيته. داروا يميناً وتبعدوا المسار نحو الجنوب. وراح المسار يسير في دهاء، وأخذ خطأً كان يبدو أنه اختيار حتى يظل مختبئاً عن الرؤية بأكبر قدر ممكن، سواء من على قمم التلال أعلىه أو من الأرض المنبسطة في الغرب. وغاص لينتهي في وهاد، وظل محاذياً لضفاف شديدة الانحدار؛ وعندما كان يمر على أرض أكثر انبساطاً ومكشوفة على نحو أكبر على كلا جانبيه، كانت هناك صفوف من جلاميد ضخمة وحجارة مقطوعة كانت تخفي المسافرين مثل سياج شجري تقريباً.

«إنتي أتساءل عن من صنع هذا الطريق، ولماذا صنعه» – قال ذلك ميري وهم يمثون عبر واحد من هذه الطرق المشجرة، حيث كانت الحجارة كبيرة بشكل غير عادي وموضعية بطريقة متراصة ومتقاربة. «إنتي لست متأكداً أنتي أحب ذلك: فمنظره – حسن، إلى حد ما مثل مساكن التلال الجنائزية. هل هناك أي تلة في قمة الريح؟» وأجابه سترايدار قائلاً: «لا. ليست هناك أي تلة جنائزية في تل الريح، ولا في أي من هذه التلال. إن رجال الغرب لا يعيشون هنا؛ على الرغم من أنهم في أيامهم الأخيرة دافعوا عن التلال لفترة قصيرة من الوقت ضد الشر الذي أتى من أنجمار. لقد صنع هذا الطريق ليخدم الحصون عبر الجدران. ولكن قبل ذلك بكثير، في الأيام الأولى لملكة الشمال، بُنوا برج مراقبة عظيماً فوق تل الريح، الذي كانوا يسمونه آمون سول<sup>(1)</sup>. وقد حرق وهدم، ولم يبق منه الآن سوى حلقة منهارة، مثل تاج غير مصقول على رأس التل العجوز. ولكنه كان في وقت من الأوقات طويلاً وجميلاً. يُحكى أن إلينديل وقف هناك يراقب قدوم جيل غالاد<sup>(2)</sup> من الغرب، في أيام الحلف الأخير».

وحدق الهوببيون في سترايدار. كان يبدو أنه على علم بالمعرفة القديمة، تماماً مثل علمه بطرق البادية. «ومن هو جيل غالاد؟» – سأله ميري؛ ولكن سترايدار لم يجب السؤال، وبذا أنه تائمه في التفكير. وفجأة راح صوت يهمس:

جيل غالاد كان ملكاً جنباً.  
غنى عازفو الغيتار عنه:  
الأخير الذي كانت مملكته جميلة وحرة  
بين الجبال وبين البحر.

كان سيفه طويلاً، وماضياً كان رمحه،  
كانت خوذته اللامعة ترى من على البعد؛  
كانت نجوم السماء التي لا حصر لها  
تنعكس في درعه الفضي.

ولكن متذكرة طويل سار بعيداً،  
ولا يعرف أحد أين يمكنه.

(1) Amon Sûl – هي مقابل لـ Weather-top (Hill of Wind) – في اللغة السنديارينية التي اخترتها المؤلف لعالمه (المترجم).

(2) Gil-galad – اسم ومعناه (Star of Radiance) أي نجم الإشعاع والتألق (المترجم).

لأن نجمه غاب في الظلام  
في موردور حيث تقع الظلال.

واستدار الآخرون في دهشة وذهول، لأن الصوت كان صوت سام.  
وقال ميري: «لا تتوقف!».

وقال سام في تلعثم، وقد احمر وجهه خجلاً: «هذا كل ما أعرفه. لقد تعلمت ذلك من بيلبو عندما كنت صبياً. كان يخبرني قصصاً كهذه، لمعرفته إلى أي مدى كنتُ أحب سماع قصص الجن. وكان السيد بيلبو هو الذي علمتني حروفني. لقد كان عالماً موسوعياً عظيماً - عزيزى السيد بيلبو العجوز. وكان يكتب الشعر. لقد كتب تلك السطور التي قلتها منذ قليل».

وقال سترايدار: «إنه لم يصحها أو يخترعها. إنها جزء من قصة شعرية بسيطة كان اسمها «سقوط جيل جالاد»، وهي مكتوبة باللغة القديمة. لا بد أن بيلبو قد ترجمها. إنني لم أعرف ذلك أبداً».

وقال سام: «كان هناك الكثير أكثر من ذلك، كله عن موردور. لم أتعلم ذلك الجزء، كان يصيّنني بالرعشة والرعب. لم أفكِر أبداً أنتي ساذهـب في ذلك الطريق بنفسـي!». وصاح بيـبين: «ذاهـبون إلى موردور! أتمنـى ألا يصل الأمرـ إلى ذلك!». وقال سترايدار: «لا تنطق بهذا الاسم بمثل ذلك الصوت العالـي!».

كان النهار قد انتصف بالفعل عندما اقتربوا من النهاية الجنوبيـة للطريق، ورأوا أمامـهم، في الضوء الصافي الشاحـب لشمس أكتوبر، ضفة خضراء رمادية، تقود لأعلى مثل جسر على المنحدر المتـجه شمالـاً من التـل. وقررـوا أن يتجهـوا إلى القمة في الحال، وهم في وضـح النهـار. لم يـعد الاختـفاء ممكـناً الآن، وكلـ ما يمكنـ أن يتـمنـوه هو ألا يكونـ هناك عدوـ أو جـاسوس يـراقبـهم. لم يكنـ هناك من شـيء يمكنـ رؤـيـته يـتحركـ على التـل. لو كانـ جـنـدـلـفـ في أيـ مكانـ فيـ الجـوارـ، فـلمـ تـكنـ هناكـ أيـةـ عـلامـةـ عـلـيـهـ.

علىـ الجانبـ الغـربـيـ منـ تـلـ الـريـحـ، وجـدواـ تـجـويـفاـ مـحـجوـباـ، كانـ فيـ قـاعـهـ وـهـدـ لهـ شـكـلـ السـلطـانـيـةـ وـجـوانـبـهـ كـثـيرـةـ العـشـبـ. هناكـ تـرـكـواـ سـامـ وـبـيـبيـنـ معـ الفـرسـ وـأـمـتعـتـهمـ. وـوـاصـلـ الثـلـاثـةـ الآـخـرـونـ السـيرـ. بـعـدـ نـصـفـ سـاعـةـ منـ صـعـودـ التـلـ فيـ كـدـحـ وـصـلـ ستـراـيدـارـ إـلـىـ قـمـةـ التـلـ؛ وـتـبـعـهـ فـرـودـوـ وـمـيرـيـ، مـتـعبـينـ وـلـاهـثـينـ. كانـ آخرـ منـحدـرـ شـدـيدـ الانـحدـارـ وـصـخـرـياـ.

وـعـلـىـ قـمـةـ التـلـ وجـدواـ - حـسـبـماـ قالـهـ ستـراـيدـارـ - حـلـقةـ كـبـيرـةـ منـ عـملـ حـجـريـ قـدـيمـ، كانتـ مـتـقـوـضـةـ وـمـغـطـاةـ بـحـشـائـشـ عـمـرـهـاـ الـدـهـرـ. وـلـكـنـ تـكـومـ فيـ الوـسـطـ رـكـامـ منـ حـجـارـةـ

مكسرة. وقد طلبت بالسوداد كما لو كانت بالنار. وكان هناك حولها عشب محروق حتى الجذور وكان كل ما هو داخل الحلقة محروق وذابل، كما لو كان اللهب قد زحف إلى قمة التل؛ ولكن لم يكن هناك أي دليل على أي كائن حي.

ولما وقفوا على حافة الدائرة المدمرة، رأوا في كل مكان حولهم أسفل منهم منظراً كبيراً، في الجزء الأعظم من الأرضي خالياً وعديم الملامح والتضاريس، باستثناء رقع من أشجار بعيدة نحو الجنوب، وقد لمحوا وراءها ومipsis مياه بعيدة. وكان أسفل منهم على ذلك الجانب البعيد يجري مثل شريط الطريق القديم، يأتي خارجاً من الغرب ويتموج صعوداً وهبوطاً، إلى أن يختفي وراء حافة من أرض مظلمة إلى الشرق. لم يكن هناك من شيء يتحرك فوقه. ولما تبعوا مسار الطريق نحو الشرق بأعينهم رأوا الجبال: كانت أقرب سفوح تلال بنية وناعسة؛ ووراءها كان تقف أشكال أكثر طولاً رمادية اللون، وخلف هذه مرة أخرى كانت هناك قمم بيضاء تتلاألأ بين السحب.

وقال ميري: «حسناً، ها نحن أولاء! ويدو كثييراً وغير جذاب للغاية! ليس هناك ماء ولا مأوى. ولا علامة على وجود جنلّف. ولكن لا ألومنه لعدم الانتظار – إذا كان قد أتى إلى هنا بالفعل».

وقال سترايدار وهو ينظر حوله في استغراق: «إنني أتعجب. حتى ولو كان بعدها بيوم أو يومين في قرية البري، فكان لزاماً أن يكون قد وصل أولاً. حيث يمكنه أن يسير راكباً بسرعة جداً عندما تكون هناك حاجة ملحة». وفجأة انحني ونظر إلى الحجر الموجود فوق قمة ركام الحجارة؛ كانت أكثر تسطحاً من القمم الأخرى، وأكثر بياضاً، كما لو كانت قد تجت من النار. وأخذ الحجر من على الأرض وفحصه، وقلبه بين أصابعه؛ وقال: «لقد جرى التعامل معه أخيراً. ماذا عن هذه العلامات؟».

على الجانب السفلي المسطح رأى فرودو بعض الخدوش؛ وقال: «يدو أن هناك شرطة، ونقطة، وثلاث شرط آخرى».

وقال سترايدار: «الشرطـة الموجودة في الشمال قد تكون حرف G من اللغة الرونية ذات أفرع رفيعة. قد تكون هذه علامة تركـها جـنـلـفـ، على الرغم من أن الوـاحـدـ ليس مـتـأـكـداـ. الخـدوـشـ دقـيقـةـ، وهي بكل تـأـكـيدـ تـبـدوـ جـدـيـةـ. ولكن العـلـامـاتـ قد تـعـنىـ شيئاً مـخـلـفـاًـ تـامـاًـ، وليـسـ لهاـ أيـ عـلـاقـةـ بـنـاـ. يستـخدـمـ الجـوـالـونـ الحـرـوفـ الرـوـنـيـةـ، وـهـمـ يـأـتـونـ إـلـىـ هـنـاـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الأـحـيـانـ».

وسـأـلـ مـيرـيـ: «ـوـمـاـذـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـعـنىـ، حـتـىـ لوـ كـانـ جـنـلـفـ هوـ الذـيـ عـلـمـهـ؟ـ». وأـجـابـهـ ستـراـيدـارـ قـائـلاـ: «ـسـوـفـ أـقـولـ لـكـ إـنـهـ تمـثـلـ G3ـ، وـكـانـتـ عـلـامـةـ أـنـ جـنـلـفـ كـانـ هـنـاـ فـيـ الثـالـثـ مـنـ أـكـتوـبـرـ:ـ أـيـ أـنـ ذـكـ كـانـ مـنـذـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ مـنـ الـآنـ.ـ كـمـ أـنـهـ تـبـينـ

أنه كان في عجلة من أمره وكان الخطر وشيكاً، ولذلك فلم يكن لديه الوقت أو لم يجرؤ على أن يكتب أي شيء أكثر طولاً أو وضوحاً. إذا كان الأمر كذلك، يجب علينا توخي الحذر».

قال فرودو: «أتمنى أن يكون بإمكاننا أن نتأكد أنه هو الذي صنع هذه العلامات، أياً كان معناها. سيكون ذلك مصدر راحة كبيرة لنا أن نعرف أنه كان على الطريق، سواء أمامنا أو خلفنا».

وقال سترايدار: «ربما. بالنسبة لي أنا نفسي، أعتقد أنه كان هنا، وكان في خطر. كانت هناك ألسنة لهب محترقة هنا؛ والآن يعود الضوء الذي رأيناه منذ ثلاثة ليالٍ في السماء الشرقية إلى ذهني مجدداً. أخمن أنه هوجم فوق قمة هذا التل، ولكن ماذا كانت النتيجة، لا يمكنني أن أخبر بذلك. إنه لم يعد هنا، ويجب أن نعتنّي الآن بأنفسنا ونأخذ طريقنا بأنفسنا إلى ريفنديل، بأفضل ما نستطيع».

وسأل ميري، وهو يحدق حوله في ضجر: «وكم تبعد ريفنديل؟» كان العالم يبدو قيراً واسعاً من فوق نل الريح.

وأجابه سترايدار قائلاً: «لا أدرى إن كان الطريق قد قيس مطلقاً بالأميال فيما وراء الحانة المهجورة، مسيرة يوم إلى الشرق من البري. البعض يقول إنه بعيد للغاية، والبعض الآخر يقول إنه غير ذلك. إنه طريق غريب، والناس يكونون سعداء عندما يصلون إلى نهاية رحلتهم، سواء كان الوقت طويلاً أو قصيراً. ولكنني أعرف كم سأستغرق من الوقت مثياً على قدمي، شريطة أن يكون الطقس جميلاً ولا يوجد حظ تعيس: اثنا عشر يوماً من هنا إلى مخاضة بروينين، حيث يعبر الطريق نهر لاود ووتر الذي يجري خارجاً من ريفنديل. أمامنا على الأقل مسيرة أسبوعين، لأنني لا أظن أنه سيكون بإمكاننا استخدام الطريق».

قال فرودو: «أسواعان! ربما يحدث الكثير في ذلك الوقت». رد سترايدار قائلاً: «ربما».

ووقفوا لفترة قصيرة من الوقت صامتين فوق قمة التل، بالقرب من حافته الجنوبية. في ذلك المكان الموحش أدرك فرودو تمام الإدراك لأول مرة أنه بلا مأوى وأدرك ما كان يحدق به من خطر. تمنى بمرارة أن لو كان حظه قد تركه فيمقاطعة الحبيبة والهادئة. وحدق لأسفل في الطريق البغيض، وهو يقود للوراء نحو الغرب - إلى موطنها. وأدرك فجأة أن هناك بقعتين سوداويتين تتحركان ببطء عبر الطريق، متوجهتين نحو الغرب؛ ولما نظر مرة أخرى رأى أن ثلاثة بقع أخرى كانت تزحف نحو الشرق لتلاقيهما. وصاح وبغض على ذراع سترايدار.

وقال له وهو يشير لأسفل: «انظر».

وفي الحال ألقى سترايدار بنفسه على الأرض وراء الدائرة المدمرة، وجذب فرودو لأسفل إلى جواره. وألقى ميري بنفسه إلى جوارهما.

وقال في همس: «ما هذا؟».

وأجابه سترايدار قائلاً: «لا أدرى، ولكنني أخشى الأكثر سوءاً».

وفي ببطء زحفوا للأعلى إلى حافة الحلقة مرة أخرى، وحدقوا عبر شق بين حجرين ناثنين. لم يعد الضوء ساطعاً، لأن الصباح الصافي قد تلاشى، وراح السحب تزحف من الشرق وقد غطت الآن الشمس وغابتها، وهي في طريقها للغروب. كانوا جميعاً يرون البقع السوداء، ولكن لم يتمكن فرودو أو ميري من تبيين أشكالها على وجه اليقين؛ ولكن شيئاً ما أخبرهم أنه كان هناك - أسفل منهم بكثير - خيالة سود يتجمعون على الطريق فيما وراء سفح التل.

«نعم» - رد سترايدار بذلك، والذي لم يدع له نظره الأكثر حدة وقوه أي مجال للشك. «العدو هنا!».

وفي عجلة زحفوا بعيداً وانسلوا إلى أسفل عبر الجانب الشرقي من التل ليجدوا رفاقهم.

لم يكن سام وبييرجين بلا عمل أثناء ذلك. لقد قاما باستكشاف الوهد الصغير والمنحدرات المحيطة به. لقد وجا في مكان ليس ببعيد جداً من ماء صاف في جانب التل، وبالقرب منه آثار أقدام لم يمض عليها أكثر من يوم أو يومين. وفي الوهد نفسه، وجدوا آثار نار حديثة، وعلامات أخرى لمخيم متجل. كانت هناك بعض الحجارة المتساقطة الأكثر قرباً من الوهد. عثر سام وراءها على مخزن من حطب الوقود مرصوص بدقة وعناية.

وقال لبيبين: «إنتي أنساعل إن كان جندل قد جاء إلى هنا. أياً ما كان ولكن وضع هذه الأشياء هنا يعني أنه سيعود فيما ييدو».

كان سترايدار مهتماً اهتماماً كبيراً بهذه الاكتشافات؛ وقال وهو يسرع إلى جدول الماء ليفحص آثار الأقدام: «أتمنى أن لو انتظرت وقمت باستكشاف الأرض هنا بنفسي».

وقال عندما عاد مرة أخرى: «الأمر تماماً كما كنت أخشى. لقد سحق سام وبيبين الأرض اللينة، وتم إفساد الآثار أو تشويتها. لقد كان الجوالون هنا أخيراً. إنهم هم الذين تركوا حطب الوقود وراءهم. ولكن هناك أيضاً مسارات أحدث ليست من صنع الجوالين. على الأقل هناك مجموعة واحدة عملت، منذ يوم أو يومين فقط، بواسطة

أحذية ثقيلة. حذاء واحد على الأقل. لا يمكنني أن أكون على يقين الآن، ولكنني أعتقد أنه كان هناك الكثير من الأقدام التي كانت مرتدية أحذية برقبة». وتوقف، ووقف مفكراً تفكيراً قلقاً.

رأى كل هوببي في عقله تصوراً وخالياً للخيالة المتداهرين بالمعاطف الذين يلبسون الأحذية ذات الرقبة.

إذا كان الخيالة قد عثروا بالفعل على الوهد، فكلما قادهم سترايدار إلى مكان ما آخر بشكل أسرع، كان ذلك هو الأفضل. ونظر سام إلى تجويف الوادي بكره عظيم، والآن وقد سمع أخبار الأعداء على الطريق، على بعد عدة أميال قليلة فقط.

وسأل في نفاذ صبر: «أليس من الأفضل أن ترحل من هنا سريعاً ونخلي المكان يا سيد سترايدار؟ الجروات متاخرًا، وإنني لا أحب هذه الحفرة؛ إنها تجعل قلبي يغوص في ساقٍ على أية حال».

«نعم، بكل تأكيد يجب أن نتخذ قرارنا بشأن ما يجب فعله في الحال»، أجابه سترايدار، وهو ينظر إلى أعلى ويتذكر في الوقت وفي الطقس، وأخيراً قال: «حسناً، يا سام، وأنا أيضاً لا أحب هذا المكان؛ ولكن لا يمكنني أن أفكر في أي مكان آخر أفضل منه يمكن أن نصله قبل حلول الليل. على الأقل نحن بعيدون عن الأعين في هذه اللحظة، وإذا تحركنا، فإنه من الأكثر احتمالاً أن يرانا الجواهيس. كل ما يمكننا أن نفعله أن نذهب مباشرة خارج طريقنا عائدين باتجاه الشمال على هذا الجانب من التلال، حيث الأرض كلها متماثلة تماماً كما هي هنا. الطريق مراقب، ولكن يجب علينا أن نعبره، إذا حاولنا أن نجد لنا غطاء بين أشجار الغابة بعيداً نحو الجنوب. في الجانب الشمالي من الطريق وراء التلال، فإن البلدة جرداء ومسطحة لمسافة أميال».

وسأل ميري: «هل يستطيع الخيالة أن يروا؟ أقصد، يبدو أنهم في العادة يستخدمون أنوفهم أكثر من استخدامهم لأعينهم، يت shammon للعثور علينا، إذا كان الشم هو الكلمة الصحيحة، على الأقل في ضوء النهار. ولكنك جعلتنا تتبعنا عندما رأيتمهم في الأسفل؛ والآن تتحدث عن رؤيتنا، إذا نحن تحركنا».

وأجابه سترايدار قائلاً: «لقد كنت متهوراً للغاية فوق قمة التل. كنت قلقاً جداً بشأن العثور على أثر لجندل؛ ولكنه من الخطأ أن نذهب نحن الثلاثة فوق قمة التل وننفق هناك لوقت طويلاً. لأن الخيل السوداء يمكنها الرؤية، ويستطيع الخيالة أن يستخدموا رجالاً ومخلوقات أخرى كجواهيس، كما اكتشفنا في قرية البري أنهم هم أنفسهم لا يرون عالم الضوء مثلما نرى نحن، ولكن الأشياء تلقي بظلال في عقولهم، والتي لا تحطمها سوى شمس الظهيرة؛ وفي الظلام فإنهم يدركون علامات عديدة وأشكالاً تكون مخفية عنا نحن: عندئذ فإنهم يكونون أكثر ما يكونون مدعاه للخوف

منهم. وفي جميع الأوقات فإنهم يشمون دم الكائنات الحية، يرغبون فيه ويكرهونه. الحواس - أيضاً - هناك حواس أخرى غير الرؤية والشم. يمكننا أن نحس بوجودهم - لقد أزعج قلوبنا، بمجرد أن وصلنا إلى هنا، وقبل أن نراهم؛ أنهم يحسون بوجودنا بشكل أكثر حدة. وكذلك» - حيث راح يضيف، وقد انخفض صوته حتى صار همساً: «... فإن الخاتم يجذبهم».

وقال فرودو، وهو ينظر حوله في هياج شديد: «أليس هناك أي مهرب حينئذ؟ إذا تحركت فسوف أرى ويتم تعقيبي! إذا بقيت، فسوف أجذبهم إليّ!».

ووضع سترايدار يده على كتفه وقال: «لا يزال هناك أمل. أنت لست بمفردك. دعونا نأخذ ذلك الحطب الذي أعد للنار كعلامة. هناك مأوى صغير أو دفاع هنا، ولكن النار ستصلح للاثنين. يستطيع ساورون أن يستخدم النار في استخداماته الشريرة، مثلاً يستطيع أن يفعل مع أشياء كثيرة، ولكن هؤلاء الخيالة لا يحبونها، ويخشون أولئك الذين يستخدمونها. النار صديقنا في البرية».

وقال سام متمنعاً: «ربما. كما أنها طريقة جيدة أيضاً لقول «ها نحن أولاء هنا» على حسب ما يمكنني أن أفك في الأمر، بعيداً عن الصياغ».

هناك في الأسفل، في أكثر ركن انخفاضاً وستراً في الوداد أو قدوا ناراً وأعدوا وجة يتناولونها. بدأت ظلال المساء تحل، وبات الجو بارداً. أدركوا فجأة الجوع الشديد، لأنهم لم يتناولوا أي شيء منذ الإفطار؛ ولكنهم لم يجرءوا على أن يصنعوا أكثر من عشاء مقصد. كانت الأرضي أمامهم خالية من كل شيء خلا الطيور والحيوانات، أماكن غير ملائمة هجرتها جميع أجناس الأرض. كان الجنوون يمررون في بعض الأوقات وراء القلال، ولكنهم كانوا قليلاً ولا يبقون فيها. كان الطوافون الآخرون نادرين، ومن نوع شرير: الغilan قد يضلون الطريق في بعض الأوقات عندما يخرجون من الوديان الشمالية للجبال الضبابية. لا يمكن أن تقع العين على المسافرين إلا على الطريق، وفي الأعم الأغلب من الأفراط، يسرعون مارين في شئون خاصة بهم، ولا يمكنهم تقديم أي مساعدة ولا ينطقون إلا بكلمات قليلة مع الغرباء.

«لا أفهم كيف يمكن أن يجعل طعامنا يدوم. لقد كنا حريصين بما يكفي في الأيام القليلة الماضية، وهذا العشاء ليس وليمة؛ ولكننا استخدمنا أكثر مما ينبغي، إذا كان لا يزال أمامنا أسبوعان من السفر، وربما أكثر من أسبوعين».

وقال سترايدار: «هناك طعام في البرية، التوت، والجذور، والأعشاب؛ ولدي مهارة كصياد عند الحاجة. ليس هناك داع للخوف من الموت جوعاً قبل أن يأتي الشتاء. ولكن جمع الطعام واصطياده عمل طويل ومرهق، ويحتاج إلى السرعة. ولذلك شدوا أحزمكم، وفكروا أملين في موائد متزل إلروند!».

وازداد البرد مع حلول الظلام . ولما نظروا من حافة الود، لم يروا شيئاً سوى أرض رمادية كانت حينئذ تتلاشى سريعاً وتغيب في الظل . وصفت السماء فوقهم مرأة أخرى وراحت تملئ بطينها بالنجوم المتلائمة . وتجمع فرودو ورفاقه حول النار، وتلغعوا في كل قطعة من ملبس وبطانية كانوا يملكونها؛ ولكن سترايدار اكتفى بمعطف واحد، وجلس بعيداً لبعض الوقت ، وهو يسحب من غليونه في استغراق .

وعندما حل الليل ، وبدأ ضوء النار يسطع في لمعان ووميض ، فإنه بدأ يحكى لهم حكايات ليبعد الخوف عن عقولهم وأذهانهم . كان يعرف تواريχ وأساطير كثيرة تعود إلى زمن طويل مضى ، عن الجن ، وعن البشر ، والأعمال الخيرة والشريرة في الأيام الخوالي . وتساءلوا عن عمره ، وعن المكان الذي تعلم فيه كل هذه المعرفة والعلوم .

وقال له ميري فجأة ، عندما توقف في نهاية قصة عن ممالك الجن : «احك لنا عن جيل جالاد . هل تعرف المزيد من تلك القصة الشعرية القديمة التي تحدثت عنها؟». وأجابه سترايدار قائلاً : «إنتي أعرف حقاً . كما أن فرودو يعرف أيضاً ، لأنها تتعلق بنا عن قرب» . ونظر ميري وبيبن إلى فرودو ، الذي كان يصدق في النار .

وقال فرودو في ببطء : «إنتي لا أعرف سوى القليل الذي أخبرني إياه جنديف . جيل جالاد كان آخر ملوك الجن العظام في الأرض الوسطى . يجيء جالاد في لغتهم تعني «ضوء النجوم» . ومع إلينديل ، صديق الجن ، ذهب إلى أرض —» .

وقال له سترايدار مقاطعاً : «كلا! لا أعتقد أن هذه القصة من الممكن أن تُحكى الآن مع وجود خدام العدو قريباً منا . إذا تغلبنا على المصاعب ووصلنا إلى منزل إلروند ، يمكنكم سماعها هناك ، تُروى كاملة» .

ورحاه سام قائلاً : «في هذه الحالة احك لنا حكاية أخرى عن الأيام الخوالي ، حكاية عن الجن قبل وقت التلاشي . إنتي أود كثيراً أن أسمع المزيد عن الجن؛ يبدو أن الظلام يضغط علينا من جميع النواحي بشدة» .

ورد عليه سترايدار قائلاً : «سوف أحكي قصة تينوفيل باختصار – لأنها قصة طويلة ونهايتها غير معروفة؛ وليس هناك من أحد الآن – باستثناء إلروند – يتذكرها بالشكل الصحيح كما حكبت منذ القدم . إنها حكاية جميلة ، على الرغم من حزنها ، تماماً كما هي جميع الحكايات عن الأرض الوسطى ، ومع ذلك فإنها قد تقوى معنوياً لكم» . وصمت البعض الوقت ، وبعد ذلك لم يبدأ الكلام ، بل بدأ يغني بصوت لين :

كانت الأوراق طويلة ، والعشب أخضر ،  
ونوار الشوكران طويل وجميل ،

وفي الفُرْجَةِ كَانَ يُرى ضوءُ  
النَّجُومِ يَلْلَأُ فِي الظُّلُمَةِ.  
كَانَتْ تَبِعُ فِيلَ هُنَاكَ ترقصُ  
عَلَى مُوسِيقِي مَزْمَارٍ غَيْرِ مَرْثَيِّ،  
وَكَانَ ضَوْءُ النَّجُومِ فِي شِعْرِهَا،  
وَفِي ثِيَابِهَا وَمِيَضِهِ.

وَهُنَاكَ أَتَى بِيرِينَ مِنَ الْجِبَالِ الْبَارِدَةِ،  
. وَرَاحَ يَطُوفُ نَائِمًا تَحْتَ أُوراقِ الشَّجَرِ،  
وَفِي الْمَكَانِ حِيثُ يَجْرِي نَهْرُ الْجَنِّ  
رَاحَ يَمْشِي وَحْدَهُ وَكَلْهُ أَسْيَى.  
وَنَظَرَ بَيْنَ أُوراقِ الشَّوْكَرَانِ  
وَرَأَى فِي ذَهُولِ زَهْوَرَةِ ذَهَبٍ  
عَلَى مَعْطَفِهَا وَعَلَى أَكْمَامِهَا،  
وَشِعْرُهَا يَتَبعُهَا مَثَلُ ظَلٍّ.

شَفِي السَّحْرِ قَدْمِيهِ الْمُتَعَبِّتِينَ  
الَّتِي كَتَبَ عَلَيْهَا أَنْ تَطُوفَ فُرُوقَ الْقَلَالِ؛  
وَأَسْرَعَ السَّيْرَ لِلْأَمَامِ، قَوِيًّا وَرَشِيقًا،  
وَتَعْلَقَ بِأَشْعَةِ الْقَمَرِ الْمُتَلَّذَّةِ،  
عَبَرَ الْغَابَاتِ الْمُتَشَابِكَةِ فِي بَيْتِ الْجَنِّ  
طَارَتْ فِي خَفَةٍ عَلَى قَدْمَيْنِ رَاقِصَتِينَ،  
وَتَرَكَتْهُ وَحِيدًا يَوَاصِلُ هِيَامَهُ  
فِي الْغَابَةِ الصَّاْمِدَةِ يَتَنَصَّتُ.

سَمِعَ هُنَاكَ كَثِيرًا الصَّوْتَ الطَّائِرَ  
صَوْتَ الْأَقْدَامِ خَفِيفًا مَثَلُ أُوراقِ الزَّيْزَفُونِ،  
أَوِ الْمُوسِيقِيِّ تَنَفِّجِرُ تَحْتَ الْأَرْضِ،  
فِي تَجَاوِيفِ خَفِيفَةِ تَرْتَعِشَ.

رقدت الآن حزم الشوكران ذابلة،  
وراحت واحدة واحدة في صوت متنهد  
هامس تسقط أوراق الزان  
في الغابة الشتوية ترتعش.

بحث عنها إلى الأبد، وطاف بعيداً  
حيث تنايرت أوراق المنسين بكثافة  
على ضوء القمر وشعاع النجوم  
في السماوات المكسوة بالصقىع ترتعش.  
وومض معطفها في القمر،  
وهي فوق قمة تل عالية وبعيدة  
ترقص، وقد نثر تحت قدميها  
سديم من فضة يرتعش.

عندما مر الشتاء، جاءت مرة أخرى،  
وأطلقت أغنتها الربيع المفاجئ،  
مثل قنبرة مستيقظة، ومطر ساقط،  
ومثل خرير الماء الذائب.

رأى زهور الجن تبت  
حول قدميها، وشفى مرة أخرى  
تاك إلى أن يرقص وينتقل إلى جوارها  
فوق الحشائش دون أن يزعجها.

وطارت مرة أخرى، ولكنها أتت سريعاً.  
تُينوفيل! تُينوفيل!  
نادى عليها باسمها الجني؛  
وهناك توقفت تنصت.  
وقفت للحظة، وكانت رقيقة  
وضعها صوته عليها: جاء بيرين،  
ووقع القدر على تُينوفيل  
والذي رقد بين ذراعيها يتلألأ.

وبينما كان بيرين ينظر في عينيها  
في ظلال شعرها،

رأى ضوء النجوم المرتعش في السماوات  
رأه هناك ينعكس متلائتاً.

تُينوفيل الفاتنة الجنية،  
العذراء الخالدة مثل الجن،  
ألفت حوله شعرها الظليل  
وذراعين مثل الفضة تو مضان.

طويلاً كان الطريق الذي حملهم إياه القدر،  
فوق جبال صخرية باردة ورمادية،  
عبر قصور من حديد وأبواب مظلمة،  
وغيابات من ظل الليل لا صباح لها.

تقع البحار المنفصلة عبرها،  
ومع ذلك تقابلاً أخيراً مرة أخرى،  
ومضياً منذ زمن طويل  
في الغابة يغ bian دون حزن.

وتنهد سترابدار وتوقف قبل أن يتكلّم مرة أخرى قائلًا: «تلك أغنية بالأسلوب  
المعروف بين الجن باسم أن ذيناث<sup>(1)</sup>، ولكن من الصعب ترجمته إلى لغتنا الدارجة،  
وليس هذا سوى تردّيد تقريري لها. وهي تحكي عن لقاء بيرين ابن برهير وليثين  
تُينوفيل. كان بيرين رجلاً فانياً، ولكن ليثين كانت ابنة ثينجول، ملك الجن على  
الأرض الوسطى عندما كان العالم ناشئاً؛ وكانت هي أجمل سيدة على الإطلاق وجدت  
بين جميع أطفال هذا العالم. كان جمالها مثل النجوم فوق سديم الأرضي الشمالي،  
وفي وجهها كان هناك ضوء ساطع. في تلك الأيام، كان العدو الأكبر، الذي لم يكن  
ساورون صاحب دور سوى خادم له، يعيش في أنجباند في الشمال، وشنّت جن  
الغرب العائدة إلى الأرض الوسطى حرباً عليه لاستعادة جواهر السليمارييل التي  
سرقها؛ وعاون آباء البشر الجن. ولكن العدو انتصر، وذبح برهير، وجاء بيرين الذي

(1) – Ann-thennath (المترجم)

هرب عبر خطر عظيم فوق جبال الرعب إلى مملكة **ثينجول** المحجوبة في غابة نيلدوريث. وهناك رأى لوثنين تغنى وترقص في فرجة إلى جوار نهر إسجدلوين المسحور؛ وأطلق عليها اسم **تِينوفيل**، ومعناها في اللغة القديمة العندليب. وحلت بهم أحزان كثيرة بعد ذلك، واقترا لفترة طويلة. أنقذت **تِينوفيل** بيرين من زنزانات ساورون، ومرة معاً عبر أخطار جسام، وتخلصا حتى من العدو الأكبر وأسقطاه من عرشه، وأخذوا من تاجه الحديدى جوهرة من جواهر السيلماريل، أكثر الجوادر لمعاناً وبريقاً، لتكون مهر لوثنين إلى **ثينجول** أبيها. ولكن في النهاية ذبح بيرين بواسطة الذئب الذي جاء من بوابات أنجياند، ومات بين ذراعي **تِينوفيل**. ولكنها اختارت أن تكون فانية، وأن تموت من العالم، حتى يمكنها أن تتبعه؛ وكان يغنى أنهما قد تقابلا مرة أخرى عبر البحار المنفصلة، وبعد فترة زمنية قصيرة مشيا حبيباً مرة أخرى في الغابات الخضراء، ومرة معاً منذ زمن طويل فيما وراء حدود هذا العالم. ولذلك فإن لوثنين **تِينوفيل** وحدها من عشيرة الجن هي التي ماتت حقاً وتركـتـ العالم، وقد فقدـوها تلكـ التيـ أحـبـوها كلـ الحـبـ. ولكن انحدرـ منهاـ نـسلـ مـلـوكـ الجنـ الـقـدـماءـ بـيـنـ البـشـرـ. وهناك لا يزال يعيش أولئك الذين كانت لوثنين هي جدتهم، ويقال إن نسلـهاـ لنـ يـنـقطعـ أبداًـ. إـلـرـونـدـ مـنـ رـيفـنـدـيلـ مـنـ هـذـاـ النـسـلـ. لأنـهـ ولـدـ مـنـ بـيرـينـ بـيـوـلوـثـينـ وـرـيـثـ دـيـورـ **ثـينـجـولـ**ـ؛ـ وـمـنـ إـلـوـينـجـ الـبـيـضـاءـ الـتـيـ تـزـوـجـهاـ إـلـرـينـدـيلـ،ـ وـهـوـ ذـلـكـ الـذـيـ أـبـرـ بـسـفـينـتـهـ مـنـ خـارـجـ سـدـيمـ الـعـالـمـ إـلـىـ بـحـارـ السـمـاءـ وـجـوـهـرـ السـيـلـمـارـيلـ فـوـقـ جـيـبـهـ.ـ وـمـنـ إـلـرـينـدـيلـ أـتـيـ مـلـوكـ توـمـينـورـ،ـ وـنـعـنـيـ بـهـاـ الـأـرـضـ الـغـرـبـيـةـ»ـ.

وبينما كان سترايدار يتحدث كانوا يراقبون وجهه المتلهف، وعليه ضوء ضعيف من وهج النار الأحمر المنتبعث من نار الحطب. كانت عيناه تلمعان، وكان صوته قوياً وعميقاً. كانت فوقه سماء سوداء مليئة بالنجوم. وفجأة ظهر ضوء شاحب فوق تاج تل الريح وراءه. كان القمر المتنامي في الكبير يصعد في بطء فوق التل الذي كان يلقى عليهم ظلاله، وخبت النجوم التي كانت فوق قمة التل.

انتهت القصة. وتحرك الهوبينيون وتمطوا. وقال ميري: «انظروا! القمر يطلع في السماء: لا بد أن الوقت قد تأخر».

ونظر الآخرون لأعلى. حتى عندما فعلوا ذلك، فإنهم رأوا فوق قمة التل شيئاً صغيراً ومظلماً يظهر في وهج طلوع القمر. ربما لم يكن ذلك سوى حجر كبير أو صخرة ناتنة أظهرها الضوء الشاحب.

ونهض سام وميري ومشيا بعيداً عن النار. ظل فرودو وبي彬 جالسين في صمت. كان سترايدار يشاهد ضوء القمر فوق التل في تركيز. بدا كل شيء هادئاً ومساكناً،

ولكن فرودو شعر بخوف بارد يزحف فوق قلبه، الآن وقد توقف سترايدار عن الكلام. واقترب أكثر من النار. في هذه اللحظة عاد سام يجري من حافة الوده.

وقال: «لا أدرى ما الأمر، ولكنني شعرت بالخوف فجأة. إنني لا أجرؤ على الخروج من هذا الوده في لقاء أي مبلغ من المال؛ أحسست أن شيئاً ما كان يزحف صاعداً المنحدر».

وسأله فرودو، وهو يهب واقفاً على قدميه: «هل رأيت أي شيء؟».

«كلا يا سيدى، لم أر شيئاً، ولكنني لم أتوقف حتى أنظر».

وقال ميري: «لقد رأيت شيئاً ما، أو اعتقدت أنني رأيت شيئاً ما - بعيداً باتجاه الجنوب حيث كان يسقط ضوء القمر على السهول فيما وراء ظل قمم التلال، أعتقد أنه كان هناك شكلان أو ثلاثة سود. كان يبدو أنها تتحرك في هذا الاتجاه».

وصاح سترايدار: «كونوا قريين من النار، ووجوهكم نحو الخارج. أمسكوا بعض العصي الطويلة في أيديكم واجعلوها جاهزة!».

وجلسوا في مكانهم بعض الوقت حبسوا فيه أنفاسهم، صامتين ومتقطعين، وظهورهم مداراة نحو نار الحطب، كل يحذق في الظل الذي كانت تحيط بهم. لم يحدث شيء. لم يكن هناك صوت أو حركة في الليل. وتحرك فرودو، حيث أحس أنه لا بد أن يكسر الصمت: وتناق إلى أن يصبح بصوت عال.

وهمس سترايدار قائلاً: «هش!» وقال بيدين لاهماً في نفس اللحظة: «ما هذا؟».

فوق حافة الوده الصغير، على الجانب البعيد عن التل، أحسوا - أكثر من كونهم رأوا - بظل يرتفع، ظل واحد أو أكثر من واحد. وشحذوا أعينهم، وبذلت الظل تكبر. وفي الحال لم يكن هناك أي شك: كان هناك ثلاثة أو أربعة أشكال سوداء تقف هناك على المنحدر، تنظر لأسفل إليهم. كانوا سوداً للغاية لدرجة أنهم بداوا مثل حفر سوداء في الظل العميق وراءهم. ظن فرودو أنه سمع صوت حسيس ضعيف كذلك الذي يأتي من نفس سام وأحس بقشعريرة رقيقة ثاقبة. بعد ذلك تقدمت الأشكال في ببطء.

وتملك الرعب من بيدين وميري، وألقا بأنفسهما منبطحين على الأرض. وانكمش سام إلى جوار فرودو. كان فرودو بالكاد أقل خوفاً من رفاته؛ كان يرتجف كما لو كان يشعر بالبرد القارص، ولكن رعبه ابتلعه إغراء مفاجئ له بأن يليس الخاتم. واستولت عليه الرغبة في أن يفعل ذلك، ولم يستطع أن يفكر في أي شيء آخر. لم ينس التل الجنائزي، ولا رسالة جنديف؛ ولكن كان هناك شيء ما يبدو أنه يجبره على أن يتغافل كل التحذيرات، وكان يتوقع إلى أن يخضع له. ليس أملاً في الهرب، أو فعل شيء ما، سواء كان جيداً أو سيئاً: بكل بساطة كان يحس أنه يجب عليه أن يأخذ

الخاتم وأن يضعه في إصبعه. لم يستطع أن يتكلّم. شعر بسام ينظر إليه، كما لو كان يعرف أن سيده كان في ورطة كبيرة، ولكنه لم يستطع أن يلتفت باتجاهه. وأغلق عينيه وراح يناضل لفترة قصيرة؛ ولكن المقاومة أصبحت لا تُحتمل، وأخيراً أخرج السلسلة بيضاء، ووضع الخاتم في سبابة يده اليسرى.

وعلى الفور، على الرغم من أن كل شيء آخر ظل كما كان عليه من قبل، معتماً ومظلماً، أصبحت الأشكال واضحة بشكل مخيف. استطاع أن يرى تحت ملابسهم السوداء. كانت هناك خمسة أشكال سوداء: اثنان يقفان على حافة الود، وثلاثة يتقدّمون. في وجوههم البيضاء كانت تتوجّه أعين حادة لا تعرف الرحمة؛ وأسفل معاطفهم كانت هناك أردية طويلة رمادية؛ وفوق شعرهم الرمادي كانت هناك خوذات من الفضة؛ وفي أيديهم الشرسّة سيف من الفولاذ. وقعت أعينهم عليه، وهم يندفعون نحوه. وفي يأس، سل سيفه، وبدا له أنه يومض بلون أحمر، كما لو كان جمرة من النار. وتوقف اثنان من الشخصوص. كان الثالث أكثر طولاً من الآخرين: كان شعره طويلاً ومتوجّهاً وكان هناك تاج فوق خوذته. كان يمسك في إحدى يديه سيفاً طويلاً، وفي يد الأخرى سكيناً، كان كل من السكين واليد التي تمسك بها متوجّهاً بضوء شاحب. وقفز للأمام وانقض على فرودو.

في تلك اللحظة، رمى فرودو بنفسه على الأرض، وسمّع نفسه يصرخ عالياً: يا إلبيريث! جيلثونيل! وفي نفس الوقت ضرب قدمي العدو. دوت صرخة حادة في الليل؛ وشعر بالألم وكان رمحاً من جلد مسموم يخترق كتفه اليسرى. حتى وهو مغمى عليه وقعت عيناه - كما لو كان خلال سديم دوار - على سترايدار وهو يقفز خارج الظلمة وفي كلتا يديه جمرة خشب متوجّحة. وفي جهد آخر، ألقى فرودو بسيفه من يده، وخلع الخاتم من إصبعه، وأغلق يده اليمنى عليه بقوّة وإحكام.

## الفصل الثاني عشر

### الهروب إلى المخاضة<sup>(١)</sup>

عندما عاد فرودو إلى نفسه، كان لا يزال قابضًا على الخاتم بصلابة. كان يرقد إلى جوار النار، والتي كانت في ذلك الوقت متراكمة في كومة كبيرة وتشتعل في توهج. كان رفقاء الثلاثة منحنين فوقه.

وسأل في هياج: «ما الذي حدث؟ أين الملك الشاحب؟».

كانوا سعداء وبمتعجين للغاية عندما سمعوه يتكلم لي رد لفترة قصيرة؛ كما أنهم لم يفهموا سؤاله. أخيراً قهم من سام أنهم لم يروا شيئاً سوى الأشكال الظلالية الغامضة تأتي باتجاههم. وفجأة وما أصاب سام بالرعب أنه وجد سيده قد اختفى؛ وفي تلك اللحظة اندفع ظل أسود أمامه، ووقع على الأرض. وسمع صوت فرودو، ولكن كان يبدو أنه يأتي من مسافة كبيرة، أو من تحت الأرض، وهو يصرخ بكلمات غريبة. لم يروا أي شيء أكثر من ذلك، حتى تكونوا فوق جسد فرودو، وهو يرقد كما لو كان ميتاً، ووجهه لأسفل على الحشائش وسيقه أسفل منه. أمرهم سترايدار أن يرفعوه ويضعوه بالقرب من النار، وبعد ذلك اختفى. كان ذلك قد مضى عليه فترة طويلة.

بدأ سام - ببساطة - يساوره الشك مجدداً بشأن سترايدار؛ ولكنه عاد بينما كانوا يتكلمون، ظهر فجأة من الظلال. وتولاهم الذعر، وسحب سام سيفه ووقف فوق فرودو؛ ولكن سترايدار انحني سريعاً إلى جانبه.

وقال في لطف: «أنا لست خيالاً أسود يا سام، كما أنتي لست متحالفاً معهم. كنتُ أحاول استكشاف شيء ما عن تحركاتهم؛ ولكنني لم أجده شيئاً. لا يمكنني أن أفك في سبب ذهابهم وعدم هجومهم مرة أخرى. ولكن ليس هناك أي إحساس بوجودهم في أي مكان قريب من هنا».

عندما سمع ما كان يجب على فرودو أن يخبره، أصبح ملؤه القلق، وهز رأسه وتنهد. بعد ذلك أمر بيبين وميري أن يقوما بتسخين أكبر قدر ممكن من الماء في غلاياتهم الصغيرة، وأن يغسلوا الجرح بها؛ وقال: «أبقوا على النار مشتعلة، وأبقوا فرودو دافناً!». بعد ذلك نهض ومشى بعيداً، ونادي سام وقال في صوت منخفض: «أعتقد أنتي فهمتُ الأشياء بشكل أفضل الآن. يبدو أنه لم يكن هناك سوى خمسة من العدو. لماذا لم يكونوا جميعهم هنا، لا أدرى؛ ولكنني لا أعتقد أنهم توقيعوا أن يلاقوا

(1) المخاضة (Ford) - موضع من النهر يسهل خوضه [قاموس المورد] (المترجم)

مقاومة. لقد انسحبوا هذه المرة. ولكنهم لم يذهبوا بعيداً، وهذا ما أخشاه. سوف يأتون مرة أخرى في ليلة أخرى، إذا لم تتمكن من الهرب. إنهم فقط يتظرون، لأنهم يعتقدون أن غرضهم قد تحقق تقريراً، وأن الخاتم لا يمكن أن يطير أكثر من ذلك. إنتي أخشى يا سام أن يعتقدوا أن سيدك قد أصيب بجرح مميت من شأنه أن يخضعه لهم. سوف نرى!».

واختنق سام بالدموع. وقال له سترايدار: «لا تتأس! يجب أن تثق بي الآن. إن سيدك فرودو مصنوع من مادة أكثر صلابة مما كنت أتصور، على الرغم من أن جنده ألمح أنه قد يثبت ذلك. إنه لم يذبح، وأعتقد أنه سيقاوم القوة الشريرة للجراح أطول مما توقعه عدوه. سوف أفعل كل ما في وسعه لأساعده وأشفقه. احرسه جيداً، أثناء غيابي!» وأسرع منطلقاً واختفى مرة أخرى في الظلام.

وأغفى فرودو، على الرغم من أن ألم جرمه كان يزيد تدريجياً، وكانت هناك رعشة قاتلة تنتشر من كتفه إلى ذراعه وجنبه. راح أصدقاؤه يحرسونه، ويدقونه، ويغسلون جرمه. مرت الليلة بطيئة ومرهقة. كان الفجر يتضامن في السماء، وكان الود يمتليء بالضوء الرمادي، عندما عاد سترايدار أخيراً.

«انظروا!» - صاح وهو ينحني ويرفع من على الأرض معطفاً أسود كان موضوعاً هناك مختبئاً في الظلمة. كان هناك شق طويل فوق الهدب الأدنى بمقدار قدم؛ وقال: «هذه كانت ضربة سيف فرودو. الإصابة الوحيدة التي ألحقتها بعدوه، فيما أخشى؛ لأن العدو لم يصب، ولكن تهلك كل النصال التي تخترق ذلك الملك المروع. كان الاسم إلبيريث أكثر إصابة بالهلاك بالنسبة له».

«وكان هذا أكثر إصابة بالهلاك بالنسبة لفرودو!» وانحنى مرة أخرى ورفع سكيناً رقيقة طويلة. كان فيها ومضة مشعرة بالبرد. عندما رفعها سترايدار رأوا أنها بالقرب من نهايتها كانت محزوزة وكان طرفها مكسوراً. ولكن حتى عندما أمسك بها في الضوء المتوج، فإنهما حدقا في اندهاش، لأنه كان يبدو أن التصلب يذوب، وتلاشى مثل دخان في الهواء، ولم يخلف سوى المقبض في يد سترايدار؛ وصاح: «يا للأسف! كانت هذه هي السكينة اللعينة التي أحدثت الجرح. قليلون الآن الذين تتوافر لديهم المهارة في الشفاء بما يضاهي مثل تلك الأسلحة الشريرة. ولكنني سأفعل ما يوسعني».

وجلس على الأرض، وأخذ مقبض الخنجر الذي كان موضوعاً على ركبتيه، وراح يغني فوقه أغنية بطيئة بلغة غريبة. بعد ذلك وضع الخنجر جانباً، واستدار إلى فرودو وفي نبرة رقيقة تحدث بكلمات لم يفهمها الآخرون. أخرج من الكيس الذي كان معلقاً في حزامه الأوراق الطويلة لنبات من النباتات؛ وقال:

«هذه الأوراق، مشيت بعيداً جداً حتى أجدها؛ لأن هذا النبات لا ينمو في التلال

الجرداء؛ ولكن في الأجمات بعيداً جنوب الطريق وجدته في الظلام حيث تعرفت عليه من رائحة أوراقه». وسحق ورقة بين أصابعه، وصدر عنه شذى حلو واحد. «من حسن الحظ أتنى استطعت العثور على النبات، لأنه نبات شاف أحضره أناس الغرب إلى الأرض الوسطى. إنهم أطلقوا عليه اسم Athelas<sup>(1)</sup>، وهو ينمو الآن بشكل غير كثيف وينمو فقط بالقرب من الأماكن التي كانوا يسكنون فيها أو يخيمون عندها في الماضي؛ وهو غير معروف في الشمال، إلا لبعض من أولئك الذين يطوفون في البرية. إن لها فوائد جمة، ولكن على جرح كهذا قد تكون قواه الشافية صغيرة».

ورمى الأوراق في ماء يغلي وغسل كتف فرودو. كان شذا بخار الماء المتتساعد منعشًا، وأولئك الذين لم يكونوا مصابين بأذى شعروا بأن عقولهم تستريح وتصفو. كما أن العشب كان له بعض القوة على الجرح، لأن فرودو أحس بأن الألم وكذلك الإحساس بالبرودة المجمدة في جانبه قد قل؛ ولكن الحياة لم تعد إلى ذراعه، ولم يستطع أن يرفع يده أو يستخدمها. وندم بمرارة على حماقته، ولا م نفسه لضعف العزيمة؛ لأنه أدرك الآن أنه بوضعه الخاتم في إصبعه لم يطع رغبته هو ولكنه أطاع الرغبة الآمرة لأعدائه. وتساءل إن كان سيظل مُقدعاً مدى الحياة، وكيف سينجحون الآن في مواصلة رحلتهم. شعر بأنه ضعيف للغاية بحيث لم يمكنه الوقوف.

كان الآخرون يناقشون نفس هذه المسألة. وقررروا سريعاً ترك تل الريح بأسرع ما يمكن. حيث قال سترايدار: «أعتقد الآن أن العدو كان يراقب هذا المكان لمدة بضعة أيام. إذا كان جندياً قد أتى إلى هنا في أي وقت مضى، فإنه لا بد قد أجبر على الفرار، ولن يعود. على أية حال فإننا في خطر عظيم هنا بعد حلول الظلام، منذ هجوم الليلة الماضية، ولا يمكننا أن نواجه خطراً أعظم في كل مكان نذهب إليه».

بمجرد أن طلع النهار تماماً، فإنهم تناولوا بعض الطعام سريعاً وحزموا أمتعتهم بسرعة. كان مستحلاً على فرودو أن يعشى، ولذلك فإنهم قسموا الجزء الأعظم من متعهم بينهم هم الأربع، ووضعوا فرودو على الفرس. في الأيام القليلة الماضية، تحسن الحيوان المسكين بشكل رائع؛ وبدا بالفعل أكثر سمنة وأقوى، وببدأ يظهر تعلقه وحبه لسادته الجدد، وخاصة لسام. لا بد أن معاملة بيل فيرنى كانت صعبة للغاية لدرجة أنها جعلت رحلة في العراء تبدو أفضل من حياة الفرس السابقة بكثير.

بدأوا رحلتهم باتجاه الجنوب. سوف يعني هذا عبور الطريق، ولكنه كان أسرع طريق إلى بلد أكثر امتلاء بالأشجار. وكان بحاجة إلى وقود؛ لأن سترايدار قال إن

(1) Athelas – عشب يستخدم في الاستنشاء (لم يرد سوى في هذه القصة)، ويطلقون عليه أيضاً Kingsfoil – ومعناها ورق/ورقة الملوك. [موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Athelas> على شبكة الانترنت] (المترجم)

فرودو يجب أن يتم الإبقاء عليه دافئاً، وعلى وجه الخصوص في الليل، في حين أن النار ستكون حماية هامة بالنسبة لهم جميعاً. كما كان من خطته أيضاً تقصير رحلتهم وذلك بعبور حلقة كبيرة أخرى من الطريق: إلى الشرق فيما وراء تل الريح غير الطريق اتجاهه وأنحني انحناء واسعة نحو الشمال.

وارحوا يشقون طريقهم في بطة وفي حذر حول المنحدرات الجنوبية الغربية من التل، وأتوا في وقت قصير إلى حافة الطريق. لم تكن هناك أي علامة على الخيالة. ولكن حتى عندما كانوا يسرعون الخطى عبر الطريق، فإنهم سمعوا من على بعد صرختين: صوت فاتر ينادي، وصوت فاتر يجيب. وانطلقوا متذعجين إلى الأمام وهم يرجفون، وأخذوا طريقهم إلى الأجمات التي كانت تقع أمامهم. راحت الأرض أمامهم تتحدر بعيداً نحو الجنوب، ولكنها كانت قفرة ولا طرق فيها؛ كانت الشجيرات القصيرة والأشجار المتقدمة نامية في بقع كثيفة وفيما بينها كانت هناك مساحات واسعة فاحلة. كان العشب قليلاً متبايناً، ورديناً ورمادياً؛ وكانت الأوراق في الأجمات ذابلة ومتتساقطة. كانت أرضاً كثيفة، وكانت رحلتهم بطيئة وكثيبة. تحدثوا قليلاً بينما كانوا يشقون طريقهم في جهد وصعوبة. كان قلب فرودو حزيناً وهو يشاهد هم يمشون إلى جواره وراء وسهم مطأطئة، وظهورهم منحنية تحت أحوالهم. حتى سترابيدار بدا متعيناً ومثقل الفوادي.

قبل أن ينتهي سير اليوم الأول، بدأ ألم فرودو يزيد مرة أخرى، ولكنه لم يتحدث عنه لفترة طويلة. ومضت أربعة أيام، دون أن تتغير الأرض أو يتغير المنظر كثيراً، باستثناء أن تل الريح كان يغور ببطء وراءهم، وكانت الجبال البعيدة أمامهم تلوح أكثر قرباً. ولكن منذ هذه الصيحة البعيدة، فإنهم لم يروا أو يسمعوا أي علامة تدل على أن العدو قد راقب هروبهم أو تبعهم. خافوا من الساعات المظلمة، وراحوا يتداولون الحراسة كل ليلة اثنين اثنين، متوقعين في أي وقت أن يروا أشكالاً سوداء تطوف في الليلة المظلمة، التي كانت مضاءة ضوءاً خافقاً بالقمر الذي حجبته السحب؛ ولكنهم لم يروا شيئاً، ولم يسمعوا صوتاً سوى تنهد الأوراق الذابلة والخشائش. لم يحسوا مرة واحدة بإحساس وجود الشر الذي انتابهم قبل الهجوم الذي تعرض لهم في الوهد. كان يبدو أن أملهم في أن الخيالة قد فقدوا مسارهم بالفعل، أملاً بعيد المنازل. ربما كانوا ينتظرون لينصبوا لهم كميناً في مكان ضيق.

- في نهاية اليوم الخامس، بدأت الأرض مرة أخرى ترتفع ببطء خارجة من الوادي المنخفض الواسع الذي هبطوه. وحول سترابيدار آنذاك مسارهم مرة أخرى باتجاه الشمال الغربي، وفي اليوم السادس وصلوا إلى قمة منحدر صاعد صعوداً تدريجياً، ورأوا على

البعد أمامهم مجموعة من تلال مشجرة. وبعيداً أسفل منهم كانوا يرون الطريق يندفع حول سفوح التلال؛ وعلى يمينهم ومض نهر رمادي في لون شاحب في ضوء الشمس الضعيف. وعلى بعد رأوا نهراً آخر في واد حجري مغلق جزئياً في السديم.

وقال سترايدار: «للأسف يجب علينا أن نعود إلى الطريق هنا لبعض الوقت. لقد وصلنا الآن إلى نهر هورويل<sup>(1)</sup>، الذي يسميه الجن ميثنيل<sup>(2)</sup>. وهو يتدفق لأسفل من مرتفعات إيتينموور<sup>(3)</sup>، مرتفعات الغilan إلى الشمال من نهر ريفنديل، ويلتزم مع نهر لاود ووتر<sup>(4)</sup> بعيداً في الجنوب. يطلق البعض عليه نهر الفيضان الرمادي بعد ذلك. إنها مياه عظيمة قبل أن تجد البحر. ليس هناك أي طريق فوقه أسفل منابعه في مرتفعات إيتينموور، سوى الجسر الأخير الذي يعبر الطريق عليه».

وسأل ميري: «ما هو ذلك النهر الآخر الذي نراه على بعد هناك؟».

وأجابه سترايدار قائلاً: «اسمه لاود ووتر، نهر بروينين في ريفنديل. الطريق يجري عبر حافة التلال لمسافة أميال كثيرة من الجسر إلى مخاضة<sup>(5)</sup> بروينين. ولكنني لم أفك بعد في الطريق التي سنعبر بها تلك المياه. نهر واحد في كل مرة! ستكون محظوظين حقاً إذا لم نجد الجسر الأخير يقف حاجزاً ضدنا».

في اليوم التالي، مبكراً في الصباح، هبطوا مرة أخرى إلى حدود الطريق. تقدم سام وسترايدار في سيرهم للأمام، ولكنهما لم يجدا أي أثر لأي مسافرين أو خيالة. هنا أسفل ظل التلال، كان هناك بعض المطر. قرر سترايدار أن هذا المطر نزل منذ يومين، وقد مسح كل آثار الأقدام. لم يمر أي خيال منذ ذلك الوقت، بقدر ما يستطيع أن يرى.

واراحوا يسرعون في سيرهم قدماً بكل ما في استطاعتهما من سرعة، وبعد ميل أو ميلين رأوا الجسر الأخير، عند قاع منحدر قصير عال. ملأهم الخوف أن يروا أشكالاً سوداء بانتظارهم، ولكنهم لم يروا شيئاً. جعلهم سترايدار يختبئون في الأجمة في جانب الطريق، بينما ذهب هو للأمام ليستكشف المكان.

قبل أن يمضي وقت طويل عاد مسرعاً، وقال: «لم أر أي علامات على العدو، وإنني أتعجب كثيراً جداً مما يعني ذلك. ولكنني وجدت شيئاً غريباً جداً».

(1) Hoarwell – هي ترجمة في اللغة الدارجة لكلمة Mitheithel و مكونة من شقين pale grey + spring, source و معناها اليابق الأشيب (المترجم)

(2) Mitheithel – تقابل كلمة Hoarwell المكونة من شقين pale grey + spring, source – و معناها اليابق الأشيب (المترجم)

(3) Ettenmoors – المقطع الأول من الكلمة يحمل معنى «غول أو جبار خافي»، والمقطع الثاني moor [في هذا النص تحديداً] معناه «أرض فاحلة مرتفعة» (المترجم)

(4) Loudwater – و معناها المياه الصاخبة (المترجم)

(5) Ford – و معناها مخاضة: موضع من النهر يسهل خوضه [قاموس المورد] (المترجم)

ومديده، وأراهم جوهرة واحدة خضراء باهته، وقال لهم: «لقد وجدتُ هذه في الوحل في وسط الجسر. إنها حجر برييل، حجر جني. سواء كان قد وضع هناك، أو سقط بمحض المصادفة، لا يمكنني أن أجزم بذلك؛ ولكنه يعطيني الأمل. سوف أخذك كعلامة أنه ربما يمكننا أن نعبر الجسر؛ ولكن فيما وراء ذلك لن أجرب على التزام الطريق، دون علامة أكثر وضوحاً».

وفي الحال واصلوا السير مرة أخرى. عبروا الجسر في سلام، ولم يسمعوا أي صوت سوى صوت المياه وهي تدور في دوامة مقابل أقواسها الثلاثة العظيمة. بعد ميل من السير، أتوا إلى وهد صغير ضيق كان يقود بعيداً باتجاه الشمال عبر الأرضي شديدة الانحدار على شمال الطريق. هناك دار سترايدار جانباً، وفي الحال تاهوا في ريف معتم من أشجار مظلمة يتمعج بين سفوح التلال الكثيبة.

كان الهوببيتون مسرورين بمعادرتهم الأرضي الكثيبة والطريق المحفوف بالأخطاء وراءهم؛ ولكن هذا الريف الجديد بدا متذمراً بالتهديد وغير ودي وملائم. بينما كانوا يسرون قدمًا، راحت التلال من حولهم ترتفع بشكل مطرد. ومن مكان آخر فوق المرتفعات وسلسل الجبال كانوا يلمحون جدراناً قديمة من حجارة، وأطلال أبراج: كان منظرها متذراً بسوء وشوم. كان لدى فرودو - الذي لم يكن يمشي - الوقت ليتحقق للأمام ويتذير. استرجع حكاية بيلبو عن رحلته والأبراج المتوعدة فوق التلال الواقعة شمال الطريق، في الريف القريب من غابة الترول<sup>(1)</sup> حيث وقعت أولى مغامراته. خمن فرودو أنهم كانوا الآن في نفس المنطقة، وتساءل إن هم مرروا بمحض المصادفة بالقرب من تلك البقعة؛ وقال:

«من يعيش في هذه الأرض؟ ومن الذي بنى هذه الأبراج؟ هل هذه بلد الغيلان؟». ورد عليه سترايدار قائلاً: «كلا! الغيلان لا تبني. لا أحد يعيش في هذه الأرض. كان البشر يسكنون هنا في وقت من الأوقات، منذ أزمان بعيدة؛ ولكن لم يظل أحد الآن فيها. لقد أصبحوا شيئاً شريراً، حسماً تقول الأساطير، لأنهم وقعوا تحت ظل أنجمار. ولكن دمر كل شيء في الحرب التي أنت بالمملكة الشمالية إلى نهايتها. ولكن ذلك مضى عليه وقت طويل الآن لدرجة أن التلال قد نسيتهم، على الرغم من أن هناك ظلاً لا يزال على الأرض».

وسأله بيرجرين: «أين تعلمت مثل هذه الحكايات، إذا كانت الأرض كلها خالية وباعثة على النسيان؟ الطيور والحيوانات لا تحكي حكايات من هذا النوع».

(1) Troll - قزم أو جبار خرافي يسكن الكهوف أو يقيم تحت الأرض [في الميثولوجيا الس堪دينافية] [قاموس الموريد] وقد أثثنا ترجمتها (غول، الجمع - غيلان) (المترجم)

ورد عليه سترايدار قائلًا: «ورثة إلينديل لا ينسون كل الأشياء الماضية، وهناك أشياء أكثر بكثير مما يمكنني أن أحكيها يتذكرونها في ريفنديل». وقال فرودو: «هل كنت تذهب إلى ريفنديل كثيراً؟».

ورد عليه سترايدار بقوله: «نعم. لقد عشت هناك في وقت من الأوقات، ولا أزال أعود إلى هناك عندما أرغب في ذلك. إن قلبي هناك؛ ولكن ليس مقدراً لي أن أجلس في سلام وطمأنينة، حتى في منزل إلروند الجميل».

وبدأت التلال آنذاك تطبق عليهم. التزم الطريق وراءهم مساره المؤدي إلى نهر بروينين، ولكن كان الاثنان الآن مختلفين عن العين. جاء المسافرون إلى واد طويل ضيق ومشقوق بعمق، ومظلم وساكن. كانت الأشجار ذات الجذور العجوزة والملتوية معلقة فوق جروف، وتكونت وراءهم في منحدرات صاعدة من أشجار الصنوبر.

صار الهوبيتون متبعين جداً ومرهفين. راحوا يتقدمون ببطء، لأنه كان ينبغي عليهم أن يشقوا طريقهم عبر ريف لا طرق أو ممرات فيه، توعّق حركتهم فيه الأشجار المتتسقة والصخور المنهارة. وتفادوا بقدر استطاعتهم الصعود من أجل فرودو، ونظروا لأنه كان صعباً في واقع الأمر العثور على أي طريق يصعد بهم لأعلى ليخرجوا من الوديان الضيقة. كان قد مضى عليهم يومان في هذا الريف عندما تحول الطقس إلى رطب. بدأت الريح تهب بقوة من اتجاه الغرب وتصب الماء من البحار البعيدة على رءوس التلال المظلمة في مطر دقيق متتسقه. عندما حل الليل كانوا جميعاً قد تشعروا بالماء، وكان معسّرهم كثيراً حزيناً، لأنه لم يكن بإمكانهم الحصول على أي نار ليوقظوها. في اليوم التالي، ازدادت التلال ارتفاعاً وانحداراً أمامهم، وأجبروا أن يدوروا نحو الشمال بعيداً عن مسارهم. بدا سترايدار قلقاً: لقد مضى على خروجهم من تلك الريح حوالي عشرة أيام، وقد بدأ مخزونهم من المؤن يتضليل. وواصل المطر الهطول.

خيّموا تلك الليلة في رف صخري ووراءهم جدار حجري، كان فيه كهف منخفض، مجرد فجوة في الجرف. كان فرودو قلقاً. البرد والرطوبة جعلا جرحه أكثر إيلاماً من أي وقت مضى، وطرد الألم المتواصل والوجع وإحساسه بالبرودة القاتلة كل نوم من عينيه. وقد يتقلب في فراشه ويتنفس وينصب في خوف لضوضاء الليل المستمرة: الريح في شفوق الصخور، والماء المتقاطر، وشرخ، والسقوط المفاجئ المجلجل لحجر سائب. شعر بأن أشكالاً سوداء كانت تقترب لتخنقه؛ ولكنه عندما جلس لم ير شيئاً سوى ظهر سترايدار يجلس منحنياً، يدخن غليونه، ويراقب.

ورقد مرة أخرى وراح في حلم قلق، كان فيه يعشى على العشب في حدائقه في المقاطعة، ولكن الحلم كان يبدو ضعيفاً ومعتماً، أقل وضوحاً من الظلال السوداء الطويلة التي كانت تقف تنظر فوق السياج الشجري.

استيقظ في الصباح ليجد أن المطر قد توقف. كانت السحب لا تزال كثيفة، ولكنها كانت تتكسر، وظهرت خيوط شاحبة من اللون الأزرق بينها. كانت الريح تحول مرة أخرى. لم يبدوا رحلتهم مبكرين. على الفور بعد أن تناولوا إفطارهم البارد وغير المريح، انطلق سترايدار بمفرده، حيث أخبر الآخرين أن يظلوا في حمى الجرف، حتى يعود إليهم. كان سيصعد، إذا استطاع، ويلاقي نظرة على موقع الأرض.

عندما عاد، لم يكن مطمئناً، وقال لهم: «لقد سرنا كثيراً للغاية نحو الشمال، ويجب علينا أن نجد طريقاً ما للعودة باتجاه الجنوب مرة أخرى. إذا ظللنا نسير على النحو الذي سنسير فيه، فإننا سوف نصل إلى وديان الغilan<sup>(1)</sup> إلى شمال ريفنديل بكثير. هذه هي بلد الغilan، ومعرفتي بها قليلة. ربما يمكننا أن نقلنس طريقنا عبرها وندور حتى نصل إلى ريفنديل من الشمال؛ ولكن ذلك من شأنه أن يستغرق وقتاً أطول من الملازم، لأنني لا أعرف الطريق، ولن يدوم ما لدينا من طعام. ولذلك يجب علينا - بحال أو بأخرى - أن نجد مخاضة بروينين».

أمضوا باقي ذلك اليوم يتدافعون فوق أرض صخرية. لفلا وجدوا مرأة بين ثلين قادهم إلى واد يجري نحو الجنوب الشرقي، الاتجاه الذي كانوا يتمنون أن يأخذوه؛ ولكن قرب نهاية اليوم وجدوا طريقهم مرة أخرى مسدوداً بسلسلة من الأرض العالية؛ وكانت حافتها المظلمة المواجهة للسماء مكسورة إلى عدة نقط جرداء مثل أسنان منشار ثم. كان لديهم خيار بين العودة أو الصعود فوقه.

وقرروا أن يحاولوا الصعود، ولكن ثبت أن ذلك صعب. قبل أن يمضي وقت طويل كان فرودو مضطراً أن ينزل ويناضل في السير على قدميه. حتى والأمر كذلك فإنهم في الغالب يئسوا من جعل فرسهم يصعد، أو إيجاد مسار لأنفسهم في الواقع، وعليهم ما كان عليهم من أحمال. كان الضوء قد ذهب تقرباً، وكانوا جميعاً متعبين، عندما وصلوا القمة في النهاية. لقد صعدوا إلى مرتفع ضيق بين نقطتين عاليتين، وراحـت الأرض تنخفض بانحدار مرة أخرى، على بعد مسافة قصيرة فقط أمامهم. ألقى فرودو بنفسه على الأرض، ورقد يرتعش. كانت ذراعه اليسرى ميتة فاقدة للحس، وأحس كأن هناك مخالب من جليد وضعت على جنبه وكتفه. بدت الأشجار والصخور حوله ظليلة ومحبطة.

(1) Ettendales – المقطع الأول من الكلمة يحمل معنى «غول أو جبار خرافي»، والمقطع الثاني «وديان» – أي «وديان الغilan» (المترجم)

قال ميري لسترايدار: «لا يمكننا السير إلى أكثر من ذلك. إنني أخشى أن ذلك كان كثيراً للغاية على فرودو. إنني قلق بشدة عليه. ما الذي سنفعله؟ هل تعتقد أنهم سيستطيعون علاجه في ريفنديل، إذا حدث ووصلنا إلى هناك بحال من الأحوال؟».

وأجابه سترايدار قائلاً: «سوف نرى. ليس هناك شيء أكثر من ذلك يمكنني أن أفعله في البرية؛ وإنما أنا قلق بشكل أساسي بسبب جرحه و يجعلني أصر على مواصلة السير. ولكنني أواقف على أنه لن يمكننا أن نذهب إلى أكثر من ذلك هذه الليلة».

وسأل سام بصوت منخفض، وهو ينظر إلى سترايدار في استجداه: «ما الخطب مع سيدتي؟ كان جرحه صغيراً، وقد انغلق بالفعل. ليس هناك من شيء يمكن رؤيته سوى علامه بيضاء ضاربة إلى الzرقة في كتفه».

فرد عليه سترايدار بقوله: «لقد لمس فرودو بأسلحة العدو، وهناك بعض السم أو الشر يؤتى أثراه وهو يفوق مهاراتي لإخراجه. ولكن لا تتأس يا سام!».

كانت الليلة باردة فوق سلسلة المرتفعات العالية. أوددوا ناراً صغيرة أسفل الجدor كثيرة العقد لشجرة صنوبر عجوز، كانت معلقة فوق حفرة منخفضة: بدت وكأن حجراً قد تم اقتلاعه من هناك في يوم من الأيام. وجلسوا متضامين معاً. كانت الأرض تهب في برودة شديدة عبر الممر، وسمعوا قمم الأشجار تتحنى لأسفل وهي تتنفس وتتنهد. رقد فرودو في نصف حلم، يتخيّل أن أجنه سوداء لا نهاية لها كانت تندفع بقوّة فوقه، وأنه كان هناك مطاردون يركبون فوق هذه الأجنه يبحثون عنه في كل تجاويف التلال.

طلع الصباح مشرقاً وجميلاً؛ كان الهواء نظيفاً، والضوء شاحباً وصافياً في سماء غسلها ماء المطر. كانت قلوبهم متشجعة، ولكنهم تاقوا إلى الشمس لتتدفق أطرافهم المتصلبة الباردة. وب مجرد أن طلع الضوء، أخذ سترايدار ميري معه وذهب لاستطلاع البلدة من فوق ارتفاع إلى الشرق من الطريق. كانت الشمس قد طاعت وكانت تستطع في إشراق عندما عاد و معه أخبار أكثر راحة. كانوا الآن ذاهبين في الاتجاه الصحيح تقريراً. إذا واصلوا سيرهم، إلى أسفل الجانب الأبعد من سلسلة المرتفعات، فإن الجبال ستكون على يسارهم. رأى سترايدار على بعد مسافة ما أمامهم نهر لاود ووتر مرة أخرى، وأدرك أنه على الرغم من أن الطريق إلى المخاضة كان مختلفاً عن الروية، فإنه لم يكن بعيداً عن النهر ويقع على الجانب الأكثر قرباً منهم؛ وقال:

«يجب علينا أن نسير باتجاه الطريق مرة أخرى. لا يمكننا أن نأمل في العثور على ممر عبر هذه التلال. الطريق هو سبيلنا الوحيد إلى المخاضة، أي ما كان الخطير الذي قد يكتنفه».

بمجرد أن تناولوا طعامهم بدءوا سيرهم مجدداً. راحوا يهبطون في بطء الجانب

الجنوبي من سلسلة المرتفعات؛ ولكن الطريق كان أكثر سهولة مما توقعوا، لأن المنحدر كان أقل انحداراً بكثير في هذا الجانب، وقبل أن يمضي وقت طويل كان باستطاعة فرودو أن يركب الفرس مرة أخرى. كان الفرس المسكين الذي أشتروه من بيل فيرنى لديه مقدرة غير متوقعة للتعرف على الطريق، ولتجنيب راكبه الكثير من الحركات المفاجئة قدر المستطاع. وارتقت الروح المعنوية للمجموعة مرة أخرى. حتى فرودو شعر بتحسن في ضوء الصباح، ولكن من وقت لآخر كان يبدو أن سديما يغشى بصره، وكان يمرر يديه فوق عينيه.

كان بيبين يسير متقدماً قليلاً عن الآخرين. فجأة دار ونادي عليهم في صباح: «يوجد طريق هنا!».

وعندما لحقوا به، رأوا أنه لم يخطئ: كانت هناك بكل وضوح بدايات طريق، كان يسير صاعداً في تعریجات كثيرة خارجاً من بين الأشجار في الأسفل والتي كانت تتلاشى فوق قمة التل في الوراء. كانت في بعض الأماكن ضعيفة ومكسوة بالعشب، أو مخنوقة بالحجارة المتساقطة والأشجار؛ ولكن بدا في مرأة من المرات أنه قد استخدم كثيراً. لقد كان طريقاً صنعته أذرع قوية وأقدام ثقيلة. جرى - هنا وهناك - تقليم أو قطع بعض الأشجار العجوزة، وشق الصخور الكبيرة أو إلقاءها على أحد الجانبين لإفساح الطريق.

وتبعوا المسار لبعض الوقت؛ لأنه قدم لهم الطريق الأكثر سهولة بكثير للهبوط لأسفل، ولكنهم راحوا يسرون في حذر، وزاد قلقهم عندما وصلوا إلى غابة مظلمة، وأصبح الطريق أكثر ابساطاً واسعًا. وفجأة خرج من حزام من حزام من أشجار التُّوب وسار في انحدار هابطاً أحد المنحدرات، ودار بحده إلى الشمال حول ركن كتف صخري من التل. عندما وصلوا إلى الركن، نظروا حولهم ورأوا أن الطريق لا يزال يجري فوق شريط مستو تحت وجه جرف منخفض تتدلى من فوقه الأشجار معلقة. في الجدار الحجري، كان هناك باب معلق بشكل منحن مفتوح جزئياً فوق مفصلة كبيرة هائلة.

توقفوا جميعاً خارج الباب. كان هناك كهف أو غرفة صخرية في الخلف، ولكن في الظلمة في الداخل لم يكن يرى أي شيء. نجح سترايدار وسام وميري في فتح الباب قليلاً بعد أن دفعوه بكل قوتهم، وبعد ذلك دخل سترايدار وميري. لم يذهبا بعيداً، حيث كان على الأرض الكثير من العظام القديمة، ولم يكن هناك من شيء آخر يمكن رؤيته بالقرب من المدخل سوى بعض الآنية الضخمة الفارغة والقدور المكسرة.

- وقال بيبين: «بالتأكيد هذه فجوة أحد الغيلان، إذا كان هناك واحد في أي وقت مضى! أخرجنا، أنتما الاثنين، ودعونا نمض بعيدين. الآن نحن نعرف من الذي صنع الطريق - ومن الأفضل أن نغادره بسرعة».

قال سترابيدار وهو يخرج: «ليست هناك حاجة إلى ذلك في رأيي. إنها بالتأكيد فجوة أحد الغيلان، ولكنها تبدو مهجورة منذ زمن طويل. لا أعتقد أن هناك أي شيء يدعو إلى الخوف. ولكن هنا ننزل لأسفل في حذر، وسوف نرى».

وراح الطريق يسير مجدداً من الباب، ولما دار يميناً مرة أخرى عبر الفضاء المسطوح اندفع لأسفل في منحدر مشجر كثيف. استمر بيبين في سيره للأمام مع ميري، رغبة منه في ألا يُظهر لسترابيدار أنه لا يزال خائفاً. وأتى سام وسترابيدار وراءهما، كل واحد منها على جانب من جنبي فرس فرودو، لأن الطريق كان الآن واسعاً بما يكفي لأربعة أو خمسة هوبيتين يمشون جنباً إلى جنب. ولكنهم لم يسيروا بعيداً كثيراً قبل أن يعود بيبين يجري، وتبعه ميري. بدا كلاهما فرعين مرعوبين.

وصاح بيبين وهو يلهث: «يوجد غيلان هنا! في الأسفل في تجويف في الغابة ليس منخفضاً كثيراً. لقد رأيناهم من خلال جذوع الشجر. إنهم غاية في الضخامة!». وزد سترابيدار وهو يأخذ عصا: «سوف نأتي وننظر إليهم». لم يقل فرودو شيئاً، ولكن سام بدا مذعوراً.

كانت الشمس في ذلك الوقت مرتفعة، وراحت ترسل أشعتها لأسفل عبر فروع الشجر نصف المغارة، وأضاءت الفجوة ببقع ساطعة من الضوء. وتوقفوا فجأة على الحافة، ونظروا من خلال جذوع الشجر، وقد حبسوا أنفاسهم. كانت الغيلان تقف هنالك: ثلاثة غيلان ضخم. كان أحدها منحنياً، وكان الآخران واقفين ينظران إليه. مشى سترابيدار للأمام بلا مبالاة؛ وقال «انهض أيها الحجر العجوز!»، وكسر عصاه على الغول المنحني.

لم يحدث أي شيء. كانت هناك شهقة من اندهاش من جانب الهوبيتين، وبعد ذلك حتى ضحك فرودو وقال: «حسناً! إننا ننسى تاريخنا العائلي! لا بد أن هؤلاء هم أنفسهم الثلاثة الذين أمسك بهم جنلوف، وهم يتشاركون بشأن الطريقة الصحيحة لطهي ثلاثة عشر قزماً وهوبيتي واحد».

رد بيبين قائلاً: «ليست لدى أدنى فكرة أننا كنا بالقرب من هذا المكان بأي حال من الأحوال!» كان يعرف القصة جيداً. لقد قصها بيلبو وفرودو كثيراً؛ ولكن في حقيقة الأمر فإنه لم يصدقها أبداً إلا جزئياً. بل وحتى الآن فإنه نظر إلى الغيلان الحجارة بارتياح، متسائلاً إن كان هناك نوع ما من السحر يمكن أن يعيدهم إلى الحياة مرة أخرى فجأة.

وقال له سترابيدار: «إنك تنسى ليس فقط تاريخ عائلتك، بل وكل ما عرفته عن

الغيلان. إننا في وضح النهار، والشمس ساطعة، ومع ذلك فإنك تعود محاولاً أن تخيفني بحكاية عن غيلان أحياه تنتظرنا في هذه الفرجة! على أية حال لا بد أنك قد لاحظت أن واحداً منهم به عش طائر قديم وراء أذنه. سوف تكون هذه حلية غير معنادة تماماً بالنسبة لجبار حي!».

وضحكوا جميعاً. أحس فرودو بأن روحه المعنوية قد انتعشت: لقد كانت ذكرى أول مغامرة ناجحة لبيليو مشجعة ومؤدية للعزم. كما أن الشمس كانت دافئة ومرحة، وبدا السديم أمام عينيه أنه يرتفع قليلاً. استراحوا لبعض الوقت في الفرجة، وتناولوا وجبة منتصف النهار تحت ظل السيقان الضخمة للغيلان مباشرة.

وعندما انتهوا من طعامهم، قال ميري: «أليس منكم من أحد يسمعنا أغنية، والشمس لا تزال مرتفعة؟ إننا لم نسمع أغنية أو حكاية منذ أيام».

وقال فرودو: «لم نسمع منذ أن كنا في تل الريح». ونظر الآخرون إليه. وأضاف قائلاً: «لا تقلقاً بشأنني! إنني أشعر أنني أفضل كثيراً، ولكنني لا أعتقد أنني سأستطيع الغناء. ربما استطاع سام أن يفتش عن شيء في ذاكرته».

قال ميري: «هيا يا سام! هناك المزيد مخزون في رأسك أكثر مما تظاهر به». وقال سام: «إنني لا أعرف شيئاً عن ذلك. ولكن كيف يمكن أن يكون ذلك مناسباً؟ إنها ليست ما أطلق عليه شعر مناسب، إذا كنتم تفهمون ما أقصد: إنها مجرد مقطوعة من الكلام فارغ. ولكن هذه الصور القديمة هنا جاءت بها إلى خاطري». وقام واقفاً، ووضع يديه وراء ظهره، كما لو كان في المدرسة، وبدأ يغني على لحن قديم.

جلس غول بمفرده على مقعده الحجري،  
وراح يطحن ويمضغ عظمة قديمة جرداً،  
فقد كان يقضيها عن قرب لسنين كثيرة،  
لأن اللحم كان صعب المنال.  
انتهي كل شيء! انتهي المضغ!  
في كهف في التلال كان يسكن وحده،  
وكان اللحم صعب المنال.

وجاء توم صاعداً بحذائه الكبير.  
وقال للغول: «أرجوك، من أنت؟  
لأنها تبدو مثل قصبة ساق عمي تيم،

كما ينبغي أن تكون راقدة في الجبانة .  
 فناء الكهف! فناء الرصيف!  
 حيث كان تيم قد مضى منذ سنين عديدة ،  
 وكنت أعتقد أنه يرقد في الجبانة

«يا ولدي» - كلامه الغول ، «هذه العظمة سرقها .  
 ولكن ما تكون العظام التي ترقد في فجوة؟  
 لقد مات عملك مثل كتلة من الرصاص ،

ووجدت عظمة ساقه من قبل .  
 عظمة الساق! عظمة الساق!  
 يمكنه أن يبقى حصة لغول مسكين عجوز ،  
 لأنه لا يحتاج إلى عظمة ساق» .

وقال توم: «لا أفهم لماذا يسمح أمثالك لأنفسهم  
 دون أخذ إذن بأن يتصرفوا بحرية  
 في ساق أو جلد أقارب والدي؛  
 وعليه أعطني العظمة القديمة!  
 أيها القرصان! أيها المسارق!  
 على الرغم من أنه ميت ، ولكنه يخصني؛  
 وعليه أعطني العظمة القديمة!

وقال الغول وكشر: «من أجل رجلين ،  
 «سوف أكللك أنت أيضا ، وأقضم جلدك .  
 قضمـة من لـحم طازـج تكون حـلوة في بلـعها!  
 سوف أجـرب أسـنانـي معـكـ الآـنـ .  
 هـياـ الآـنـ! لـتـرىـ الآـنـ!  
 لقد تعـبـتـ منـ قـضـمـ العـظـامـ وـالـجـلـودـ القـدـيمـةـ؛  
 لقد قـرـرـتـ أـنـ أـتعـشـىـ بـكـ الآـنـ» .

ولكن بمجرد أن ظن أنه قد أمسك بعشائه،  
فإنـه وجد يده تقـبـضـ على لا شيءـ.  
وقـيلـ أنـ يـفـكـرـ ، اـنـسـلـ تـوـمـ وـرـاءـهـ  
وـرـكـلـهـ بـرـجـلـهـ حـتـىـ يـنـذـرـهـ.  
يـنـذـرـهـ! يـنـذـرـهـ!  
حضرـةـ بـالـحـذـاءـ عـلـىـ الـمـقـعـدـ ، فـكـرـ تـوـمـ مـعـ نـفـسـهـ ،  
سـكـونـ هـيـ الـطـرـيقـةـ لـإـنـذـارـهـ .

ولـكـنـ أـقـسـىـ مـنـ الـحـجـرـ يـكـوـنـ الـلـحـمـ وـالـعـظـمـ  
جـبارـ يـجـلـسـ فـيـ التـلـالـ بـمـفـرـدـهـ .  
كـمـاـ لوـ كـنـتـ قـدـ ضـرـبـتـ بـحـذـائـهـ جـذـرـ الجـبـلـ ،  
لـأـنـ مـقـعـدـ الـغـوـلـ لـمـ يـحـسـ بـالـرـكـلـةـ .  
قـشـرـهـ! «ـاـشـفـهـ!»  
وضـحـكـ الـغـوـلـ الـعـجـوزـ ، عـنـدـمـاـ سـمـعـ تـوـمـ يـئـنـ ،

سـاقـ تـوـمـ صـارـتـ عـرـجـاءـ ، مـنـذـ أـنـ عـادـ لـلـبـيـتـ ،  
وـأـصـبـحـتـ قـدـمـهـ الـقـيـ لـأـحـذـاءـ فـيـهاـ عـرـجـاءـ دـائـمـاـ ،  
ولـكـنـ الـغـوـلـ لـمـ يـيـالـ ، وـلـاـ يـزـالـ هـنـاكـ  
وـمـعـهـ الـعـظـمـةـ الـتـيـ نـزـعـهـاـ مـنـ صـاحـبـهاـ .  
الـمـعـطـيـ! صـاحـبـ الـعـظـمـةـ!

لاـ يـزـالـ مـقـعـدـ الـغـوـلـ الـقـدـيمـ هـوـ نـفـسـهـ ،  
وـالـعـظـمـةـ الـتـيـ نـزـعـهـاـ مـنـ صـاحـبـهاـ .

وضـحـكـ مـيرـيـ وـقـالـ: «ـحـسـنـاـ ، هـذـاـ تـحـذـيرـ لـنـاـ جـمـيـعـاـ . الـأـمـرـ كـمـاـ لوـ كـنـتـ قـدـ اـسـتـعـمـلـتـ  
عـصـاـ ، وـلـيـسـ يـدـكـ ، يـاـ سـتـرـاـيدـارـ!»ـ .  
وـسـأـلـ بـيـيـنـ: «ـأـيـنـ عـثـرـتـ عـلـىـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ يـاـ سـامـ؟ إـنـتـيـ لـمـ أـسـمـعـهـاـ أـبـداـ مـنـ قـبـلـ»ـ .  
وـغـمـقـمـ سـامـ بـشـيـءـ غـيـرـ مـسـمـوـعـ . وـقـالـ فـرـودـوـ: «ـإـنـهـ مـنـ رـأـسـهـ هـوـ ، بـالـطـبـعـ . إـنـتـيـ  
أـتـعـلـمـ الـكـثـيرـ عـنـ سـامـ جـامـجيـ فـيـ هـذـهـ الرـحـلـةـ . بـدـاـيـةـ أـنـ كـانـ مـتـأـمـراـ ، وـالـآنـ فـهـوـ مـهـرجـ .  
سـوـفـ يـنـتـهـيـ بـهـ الـأـمـرـ لـيـكـونـ سـاحـرـاـ - أـوـ مـحـارـبـاـ!

وقال سام: «أتفنى ألا يكون ذلك. لا أريد أن يكون أىٌ من ذلك!».

في فترة ما بعد الظهر، وأصلوا سيرهم هابطين في الغابة. كانوا فيما يحتمل يتبعون نفس المسار الذي استخدمه جنلـف، وبيلـبو، والأقزام منذ سنين طوال. وبعد أميال قليلة خرجوا على قمة ضفة مرتفعة فوق الطريق. عند هذه النقطة، ترك الطريق نهر هورويل بعيداً جداً في الوراء في واديه الضيق، والآن تعلق قريباً من سفوح التلال، وهو يتلوى ويتموج نحو الشرق بين الأشجار والمنحدرات المغطاة بنباتات الخلنج باتجاه المخاضة والجبال. أشار سترايدار - في مكان ليس ببعيد أسفل الضفة - إلى صخر موجود بين الحشائش. كانت هناك حروف رونية من لغة الأقزام وعلامات سرية محفرة بطريقة غير مصقوله وأصبحت الآن متحلة بفعل تأثير الطقس، يمكن رؤيتها على هذا الصخر.

وقال ميري: «هناك! لا بد أن ذلك هو الصخر الذي كان يعلم المكان الذي خبي في ذهب الغيلان. كم المتبقى من حصة بيلـبو، إنتي أتساءل، يا فرودو؟». ونظر فرودو إلى الصخر، وتمى أن لو كان بيلـبو قد أحضر معه كنزًا لم يكن أكثر خطورة، وليس أقل سهولة في التخلص منه، وقال: «لا شيء على الإطلاق. لقد تخلص بيلـبو منه جميـعاً في صورة هدايا. أخبرني أنه لم يكن يشعر في حقيقة الأمر أنه ملك له حقاً، حيث إنه جاء من لصوص».

كان الطريق متداً في هدوء أسفل الظلال الطويلة للمساء المبكر. لم تكن هناك أي علامـة على أي مسافرين آخرين على الطريق. وحيث لم يكن هناك أي ممر محتمـل لهم ليأخذوه، فإنـهم نزلوا هابطـين الضفة العـالية، وداروا يـساراً وانطلقـوا في سيرـهم بأقصـى سرعة ممكـنة لـديـهم. وتدفـقت رـيح بـاردة لأـسفـل لـتقـابلـهم من الجـبالـ التي تـقعـ أمامـهمـ.

كانـوا قد بدـدوا يـبحثـون عن مـكانـ خـارـجـ الطـرـيقـ، حيثـ يـمـكـنـهمـ إـقـامـةـ مـخيـمـ لـهـمـ يـمضـونـ فـيـ لـيـلـهـمـ، عـندـماـ سـمعـواـ صـوـتاـ أـرـجـعـ الخـوفـ المـفـاجـئـ إـلـىـ قـلـوبـهـمـ مـرـةـ أـخـرىـ: صـوتـ حـوـافـرـ وـرـاءـهـمـ. وـنـظـرـواـ لـلـوـرـاءـ، وـلـكـنـ لمـ يـسـتـطـعـواـ أـنـ يـرـواـ إـلـىـ مـسـافـةـ كـبـيرـةـ بـسـبـبـ ماـ كـانـ فـيـ الطـرـيقـ مـنـ مـنـحـنـيـاتـ وـتـعـرـجـاتـ كـثـيرـةـ. وـانـطـلـقـواـ مـغـادـرـيـنـ الطـرـيقـ المـطـرـوـقـ بـأـقـصـىـ سـرـعـةـ مـمـكـنـةـ لـهـمـ وـصـدـعـواـ إـلـىـ أـجـمـعـةـ نـباتـاتـ الـخـلـنجـ الـعـمـيقـةـ وـعـنـبـ الـأـحـرـاجـ الـمـوـجـوـدـةـ عـلـىـ الـمـنـحـدـرـاتـ فـوـقـهـمـ، إـلـىـ أـنـ وـصـلـوـاـ إـلـىـ رـقـعـةـ صـغـيرـةـ مـزـرـوـعـةـ بـكـمـيـاتـ كـثـيرـةـ مـنـ شـجـرـ الـبـنـدقـ. وـعـنـدـماـ نـظـرـواـ مـنـ بـيـنـ الشـجـيـرـاتـ الـقـصـيرـةـ، تـعـكـنـواـ مـنـ رـؤـيـةـ الطـرـيقـ، باـهـتاـ وـرـمـادـيـاـ فـيـ ظـلـ الضـوءـ الـخـافتـ، عـلـىـ بـعـدـ حـوـاليـ ثـلـاثـيـنـ قـدـمـاـ أـسـفـلـ مـنـهـمـ. وـأـصـبـحـ صـوتـ الـحـوـافـرـ أـكـثـرـ اـقـرـابـاـ. كـانـتـ تـسـيرـ بـسـرـعـةـ، مـعـ صـوتـ

خفيف للحوافر كليني - كليني - كلبي. وبعد ذلك، بدا أنهم يسمعون صوتاً خافتاً، كما لو كان صوت قرع أجراس صغيرة، أو كان قد نفخته الرياح بعيداً منها.

قال فرودو وهو ينصلت في تركيز: «لا يبدو أن ذلك صوت خيال أسود». ووافقه الهوبيتون الآخرون الرأي آملين كذلك، ولكنهم ظلوا جميعاً مليئين بالريبة والشك. لقد كانوا في خوف من المطاردة لوقت طويل للغاية لدرجة أن أي صوت كان يأتي من ورائهم بدا لهم متذراً بسوء وعدائياً. ولكن سترايدار كان وقتها مائلاً للأمام، منحنياً إلى الأرض، ويد على أذنه، ونظرة فرح على وجهه.

وخبا الضوء، وراح أوراق الأشجار تحدث حفيقاً خفيناً. كان صليل الأجراس آنذاك أكثر وضوحاً وقرباً، وجاء صوت الحوافر وهي تعدو سريعاً، وفجأة رأوا أسفل منهم حصاناً أبيضاً، يومض في الظلال، وهو يجري في خفة. في الغسق، كان عذار الحصان يتلألأً ويومض، كما لو كان مرصعاً بجواهر مثل النجوم المعتقدة. كان معطف الخيال يطير وراءه، وكان غطاء رأسه ملقى للوراء؛ كان شعر الخيال الذهبي يسلي متلألئاً في ظل الريح التي تثيرها سرعته. بدا لفرودو أن ضوءاً أبيضاً كان يسطع عبر شكل الخيال وثيابه، كما لو كان منبعثاً من خلال حجاب رقيق.

هب سترايدار من مخبئه واندفع هابطاً باتجاه الطريق، وهو يقفز في صياخ عبر نباتات الخلنج؛ ولكن حتى قبل أن يتحرك أو يصبح، كان الخيال قد شد لجام حصانه وتوقف، وهو ينظر لأعلى باتجاه الأجمة التي كانوا يقفون فيها. وعندما رأى سترايدار، نزل من على حصانه، وجرى ليقابلها وهو يصبح: لم يترك حديثه أو صوته الرنان الواضح أي شك في قلوبهم: لقد كان الخيال واحداً من الجن. ليس لأي شخص آخرين يسكنون في العالم الفسيح أصوات لها نفس الجمال في القلب. ولكن كان يبدو أن هناك نبرة من عجلة أو خوف في ندائها، ورأوا أنه كان يتحدث عندئذ في سرعة وعجلة إلى سترايدار.

وفي الحال أشار سترايدار إلى الهوبيتين، وتركوا الشجيرات القصيرة وأسرعوا هابطين إلى الطريق. وقال لهم سترايدار: «هذا هو جلورفينديل<sup>(1)</sup>، الذي يسكن في منزل إلروند».

وحيا سيد الجن فرودو قائلاً: «مرحباً، أنا سعيد بمقابلتك أخيراً! لقد أرسلت من ريفينديل بحثاً عنك. لقد كنا نخشى أن تكون في خطر على الطريق». وصاح فرودو في فرح: «إذن فقد وصل جنديل إلى ريفينديل؟».

(1) الاسم Glorfindel - مكون من مقطعين (Glor + findel) و معناهما (Glor + golden-haired) - ذات الشعر الذهبي.  
موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Glorfindel> على شبكة الإنترنت [المترجم]

وأجابه جلورفنديل: «كلا. لم يكن قد وصل عندما رحلت أنا؛ ولكن ذلك كان منذ تسعة أيام. لقد تلقى إلرونن أخباراً أز عجته. بعض أفراد عشيرتي، عندما كانوا يسرون في أرضكم فيما وراء برانديوم<sup>(١)</sup>، علموا أن الأشياء كانت تسير على نحو خاطئ، وأرسلوا رسالة بسرعة قدر ما استطاعوا. قالوا أن التسعة كانوا بالخارج، وأنك قد ضللتهم وأنت تحمل حملاً ثقيلاً دون توجيه أو إرشاد، لأن جنديك لم يكن قد عاد. هناك قليلون حتى في ريفنديل من الذين يمكنهم الانطلاق بخيالهم دون تخفف أمام التسعة؛ ولكن لما كانت الأمور على ما كانت عليه، فإن إلرونن قد أرسل الرسل شماليّاً وغربياً وجنوبًا. اعتقدي أنكم قد تدورون بعيداً جانياً للمطاردة، وتتوهون في البرية.

«لقد كانت قسمتي أن أسلك الطريق، ووصلت إلى جسر ميسيثيل، وتركَتْ عالمة هناك ، منذ تسعه أيام تقريباً. كان هناك ثلاثة من خدم ساوروون على الجسر ، ولكنهم انسحبوا وطار دُتهم باتجاه الغرب. كما أنتي تقابلتْ مع اثنين آخرين ، ولكنهما دارا بعيداً باتجاه الجنوب . منذ ذلك الحين رحتْ أفتش عن آثاركم . ووجدتها منذ يومين ، وتبعدتْ الأثر فوق الجسر؛ واليوم عينتُ المكان الذي نزلتم فيه من اللال مرة أخرى . ولكن على رسلكم! ليس هناك أي وقت للمزيد من الأخبار . مادمتُ هنا ، ينبغي علينا أن نجازف ونأخذ الطريق ونذهب . هناك خمسة وراءنا ، وعندما يجدون آثاركم على الطريق ، سوف يسرون بخيлем وراءنا مثل الريح . وهؤلاء ليسوا جميعاً . ولا أدرى أين الأربعـة الآخـرون . أخشـي أـنـا قد نـجـدـ المـخـاصـةـ مـغـلـفـةـ فـيـ وجـهـنـاـ بـالـفـعـلـ».

بينما كان جلورفنديل يتحدث ، ازدادت ظلال المساء عمقاً. أحس فرودو بتبغ شديد يستولي عليه. منذ أن بدأت الشمس تغيب ، فإن السديم أمام عينيه ازداد ظلماً ، وشعر أن ظلاً كان يقف بينه وبين وجهه أصدقائه. والآن هاجمه الألم ، وشعر بالبرد. وتمايل ، وهو يقبض بذراع سام.

وقال سام في غضب: «سيدي مريض ومجروح. لا يمكنه أن يواصل السير على الفرس بعد حلول الظلام. إنه يحتاج إلى الراحة».

وأمسك جلور فنديل بفروعه وهو يقع على الأرض، ونظر في وجهه بقلق بالغ وهو يأخذه برفق بين ذراعيه.

وقص عليه ستر ايدار حكاية الهجوم على مخيّمهم في اختصار أسفل تل الريح، وأخبره بالسکين القاتل. وأخرج العقیض الذي كان قد احتفظ به وأعطاه إلى الجني. وارتجم جلور فنیدل وهو يأخذها، ولكنه نظر إليه في إمعان.

وقال: «هناك أشياء شريرة مكتوبة على هذا المقبض ، على الرغم من أن أعينكم قد

### - نهر براندی و این . Brandium (1)

لا تستطيع أن تراها. احتفظ به، يا أراجورن، حتى نصل إلى منزل إلروند! ولكن كن حذراً، واستعمله قليلاً قدر المستطاع! يا للحسنة! جروح هذا السلاح وراء مهارتي في الشفاء. سوف أفعل ما في استطاعتي - ولكن الأهم من ذلك كله أنني أحضكم الآن على مواصلة السير دون توقف أو راحة».

وفحص الجرح الموجود في كتف فرودو بأصابعه، وأصبح وجهه أكثر قتامة، كما لو كان ما سمعه قد ألقفه. ولكن فرودو أحس بالقشعريرة تقل في جنبه وذراعه؛ دب قليل من الدفء أسفل كتفه إلى يده، وأصبح الألم أكثر احتمالاً. بدا أن غسق العماء أصبح أخف من حولهم، كما لو كانت سحابة قد سُحبَت. ورأى أوجه أصدقائه بوضوح أكثر مرة أخرى؛ وعاد إليه قدر من الأمل الجديد والقوة.

وقال له جلورفنديل: «سوف تتركيب حصاني. سوف أقصر الركابين لأعلى حتى حاشية السرج، وينبغي عليك أن تجلس ممسكاً بنفسك قدر ما تستطيع. ولكن ليس هناك ما يدعو إلى الخوف: لن يترك حصاني أي راكب، أمره أنا بحمله، يقع من فوقه، خطوطه معتدلة ورفيعة؛ وإذا اقترب أي خطر أكثر من اللازم، فإنه سوف يحملك بعيداً بسرعة حتى جياد الأعداء السوداء المطهمة لا يمكنها أن تباريه».

وقال فرودو: «كلا، إنه لن يفعل! إنني لن أركبه، إذا كنت سأحمل إلى ريفنديل أو أي مكان آخر، وأنترك أصدقائي ورائي في خطر».

وابتسم جلورفنديل، وقال: «إننيأشك كثيراً جداً، إذا تعرض أصدقاؤك لأي خطر، ما لم تكن أنت معهم! لسوف يتبعك المطاردون ويتركوننا نحن في سلام، فيما أعتقد. إنه أنت يا فرودو، وما تحمله، من يجعلنا جميعاً في خطر».

ولم يكن لدى فرودو أي إجابة عن ذلك، واقتصر برركوب حصان جلورفنديل الأبيض. وحمل الفرس بدلاً منه بجزء كبير من أحمال الآخرين، وبذلك تمكنا آنذاك من أن يسيروا وهم أكثر خفة، وراحوا يسيرون بسرعة جيدة لبعض من الوقت؛ ولكن الهوبينيين بدأوا يجدون أنه من الصعب السير مع قدمي الجني السريعتين اللتين لا تعرفان التعب. وقادهم هو في السير قدماً، إلى مدخل الظلمة، وظلوا يسيرون في ظل الليل المظلم الملبد بالغيوم. لم يكن هناك تجم ولا قمر. ولم يدعهم يتوقفون حتى طلع الفجر. كان بيبين وميري وسام في ذلك الوقت قائمين تقرباً على أرجلهم المتهاوية؛ بل وحتى سترايدار بدا مرهقاً استنتاجاً من ارتخاء كتفيه. وكان فرودو يجلس على الحصان في حلم كثيف.

وأنقوا بأنفسهم على نباتات الخلنج على بعد ياردات قليلة من جانب الطريق، وراحوا في النوم في الحال. لم يكادوا يفلقون أعينهم حتى أيقظهم جلورفنديل مرة أخرى الذي حدد نوبة الحراسة لنفسه وهم نائم. كانت الشمس عندها قد ارتفعت عالياً جداً في الصباح، وكانت سحب وسمم الليل قد انقضت.

«اشربوا هذا!» – قال لهم جلورفنديل ذلك وهو يصب لكل منهم كل في دوره شراباً قليلاً من قارورته الجلدية المرصعة بالفضة. كان الشراب صافياً مثل ماء النبع ولم يكن له طعم، ولم يكن بارداً ولا دافئاً في الفم؛ ولكن بدت القوة والحيوية تدب في جميع أوصالهم وهم يشربونه. بعد ذلك الشراب أكلوا الخبز العطن والفاكهه الجافة (حيث كان ذلك كل ما ترك لديهم) حيث بدا أنه يُشعّج جوعهم أفضل من وجبات إفطار كثيرة جيدة في المقاطعة.

كانوا قد استراحتوا أقل من خمس ساعات عندما وصلوا سيرهم على الطريق مرة أخرى. كان جلورفنديل لا يزال يحضنهم على السير، ولم يسمح لهم بالتوقف إلا مرتين قصيرتين خلال مشيهم طوال اليوم. بهذه الطريقة قطعوا حوالي عشرين ميلاً قبل حلول الليل، ووصلوا إلى نقطة انحدر عندها الطريق لليمين وسار لأسفل باتجاه قاع الوادي، حيث استقام الآن باتجاه نهر بروينين. حتى هذه النقطة لم يكن هناك أي علامة أو صوت للمطاردة رأها الهوبيتيون أو سمعوها؛ ولكن كان جلورفنديل يتوقف من وقت لآخر ويتنصت للحظة، إذا تأخروا في المرة، وكانت نظرة من الفلق تغطي وجهه. تحدث مرة أو مرتين مع سترايدار بلغة الجن.

ولكن مهما يكن من فلق مرشدיהם، فقد كان واضحاً أن الهوبيتين لم يكن بإمكانهم السير لأكثر من ذلك تلك الليلة. كانوا يتذمرون في سيرهم يغلبهم التعب الشديد، ولم يكن بإمكانهم التفكير في أي شيء غير أقدامهم وسيقانهم. وتضاعف ألم فرودو، وتلاشت خلال اليوم الأشياء حوله إلى مجرد ظلال رمادية بلون الأشباح. لقد رحب تقريباً بقدوم الليل، لأنه في ذلك الوقت بدا العالم أقل شحوباً وخواءً.

كان الهوبيتيون لا يزالون مرهقين، عندما بدءوا رحلتهم مجدداً مبكراً في صباح اليوم التالي. كانت هناك أميال كثيرة لا تزال أمامهم ليقطعوها بينهم وبين المخاضة، وراحوا يسرون قدماً بأفضل سرعة كانت بإمكانهم.

وقال جلورفنديل: «سوف يكون خطرك أعظم خطرك قبل أن نصل إلى النهر مباشرة، لأن قلبي يحذرنـي أن المطاردة وراءنا سريعة الآن، وربما يكون هناك خطـر آخر في انتظارنا عند المخاضة». •

كان الطريق لا يزال يسير باطراد إلى أسفل التل، وكان هناك آنذاك في بعض

الأماكن حشائش في كلا الجانبيين، حيث كان الهوبيتون يمشون عندما كانوا يستطيعون، لراحة أقدامهم المتعبة. في وقت ما بعد الظهيرة المتأخر، أتوا إلى مكان حيث سار الطريق فجأة أسفل الظل المظلم لأشجار الصنوبر الطويلة، وبعدها غاص مندفعاً إلى تجويف عميق جدرانه منحدرة رطبة من صخر أحمر. كانت الأصداء تجري عبر المكان بينما كانوا يسرون مسرعين في تقدمهم؛ وكان يبدو أن هناك صوت وقع أقدام كثيرة يتبع وقع أقدامهم. وفي الحال، كما لو كان عبر بوابة من الضوء، خرج الطريق مرة أخرى من نهاية النفق إلى العراء. هناك عند قاع منحدر حاد رأوا أمامهم ميلاً طويلاً مسطحاً، ووراء ذلك كانت تقع مخاضة ريفنديل. وعلى الجانب البعيد كانت هناك صفة منحدرة بنية، يشقها ممر منموج؛ ووراء ذلك صعدت الجبال العالية، كتفا فوق كتف، وقمة وراء قمة، إلى السماء التي كان ضوءها آخذًا في الخفوت.

كان لا يزال هناك صدى كما لو كان صادرًا عن أقدام تتبعهم في التجويف وراءهم؛ وكانت هناك ضوضاء مندفعة كما لو كانت هناك ريح ترتفع وتتدفق عبر فروع أشجار الصنوبر. دار جلورفنديل للحظة وراح يتتصت، وبعد ذلك ففز للأمام وصاح صيحة مرتفعة.

\* \* \*

ونادى قائلاً: «طيروا! طيروا! العدو لحق بنا!».

وقفز الحصان الأبيض للأمام. جرى الهوبيتون إلى أسفل المنحدر. وتبعهم جلورفنديل وسترايدار كحراس مؤخرة. كانوا في منتصف الطريق تقريباً، عندما كانت هناك فجأة ضوضاء خيل تudo بسرعة. جاء راكباً من البوابة التي كانت بين الأشجار والتي كانوا قد غادروها من توهם خيال أسود. وشد لجام حصانه وتوقف، وتأرجح في سرجه. وتبعه خيال آخر، ثم خيال آخر؛ ثم خيالان آخران.

صاح جلورفنديل على فرودو: «اجر بالحصان! اجر!».

ولكنه لم يطع الأمر في الحال، حيث كانت هناك مقاومة غريبة استولت عليه. وعندما كان ينهر الحصان ليمشي، التفت للوراء ونظر. بدا الخيالة جالسين على جيادهم الضخمة المطحمة مثل تماثيل متوعدة فوق تل، سوداء وصلبة، في حين تقلصت الأشجار والأرض من حولهم كما لو كانت قد تحولت إلى سديم. وفجأة أدرك في قلبه أنهم كانوا يأمرونه في صمت بالانتظار. بعد ذلك في الحال استيقظ الخوف والكره بداخله. تركت يده اللجام وقبضت على مقبض سيفه، واستله وله وميض أحمر.

صاح جلورفنديل: «واصل السير! واصل السير!» - وبعد ذلك صاح بصوت عال واضح بلغة الجن على الحصان: اجر بسرعة أكبر.

في الحال، فُز الحصان الأبيض بعيداً وأسرع مثل الريح عبر آخر جزء من الطريق. في نفس اللحظة، قفزت الخيل السوداء إلى أسفل التل تتبعه، وجاءت من الخيالة صيحة مروعة، صيحة مثلاً سمعها فرودو ملأ الغابة بالرعب في الإيست فار ذينج هناك بعيداً. وقد جاءت صرخة ترد عليها؛ وما زاد من رعب فرودو وأصدقائه، أنه خرج من بين الأشجار والصخور من على بعد من ناحية الشمال الخيالة الأربعه الآخرون المتبقون وهم يطيرون. اتجه اثنان منهم باتجاه فرودو: وراح اثنان يدعوان في جنون باتجاه المخاضة ليقطعوا عليه طريق الهروب. لقد بدوا له أنهم يجرون مثل الريح وأنهم يصبحون أكبر حجماً وأكثر سواداً بسرعة، كما لو كانت مساراتهم تقارب مع مساره.

نظر فرودو للوراء للحظة فوق كتفيه. لم يعد يرى أصدقائه. كان الخيالة وراءه يتبعون: حتى جيادهم العظيمة المطهمة لم تكن تصاهي في سرعتها حصان جلورفنديل الأبيض الجني. ونظر للأمام مجدداً، وتلاشى الأمل. بدا أنه ليست هناك أي فرصة للوصول إلى المخاضة قبل أن يقطع عليه الطريق الخيالة الآخرون الذين نصبوا له كميناً ورقدوا فيه. كان يراهم بوضوح عند ذاك: كان يظهر أنهم ألقوا أغطية رؤوسهم ومعاطفهم السوداء جانبها، وكانوا مرتدین ثياباً بيضاء ورمادية. كانت السيف مجردة في أيديهم الشاحبة؛ كانت الخوذات فوق رؤوسهم. كانت أعينهم الفاترة تلمع، ونادوا عليه بأصوات رهيبة.

في ذلك الحين ملأ الخوف عقل فرودو. لم يعد يفكر في سيفه. لم تصدر عنه أي صيحة. أغلق عينيه وثبت بعرف الحصان. صارت الريح في أذنيه، ودلت الأجواس التي كانت على السرج في هياج وبصوت حاد صاخب. اخترقته <sup>ثسمة</sup> بارقة برودة قاتلة مثل رمح، بينما كان الحصان الجني يسرع وكأنه كان يطير على أجنة، كما لو كان يندفع بأخر دفعه من طاقة لديه، مثل وميض نار بيضاء، ومر أمام وجه الخيال الأول مباشرة.

سمع فرودو رشارة الماء. وكون الماء رغوة حول قدميه. كان يشعر بتrepid النفس الشديد والجيشان بينما كان الحصان يغادر النهر ويجهد صاعداً الممر الصخري. كان يصعد الضفة شديدة الانحدار. كان يسير عبر المخاضة.

لكن المطاردين كانوا قريين وراءه. عند قمة الضفة، توقف الحصان ودار حول نفسه وصولاً في ضراوة. كان هناك تسعه خيالة عند حافة الماء أسفل منه، وكانت الروح المعنوية لفرودو تذبل وتضعف أمام تهديد وجوههم المرفوعة. لم يكن يعرف أي شيء من شأنه أن يمنعهم من العبور بسهولة مثلاً فعل هو؛ وأحسن أنه كان من غير المجدي أن يحاول الهرب فوق الممر الطويل المشكوك فيه من المخاضة إلى حافة

رِيْفِنْدِيلُ، إذا حدث وعبر الخيالة المخاضة. على أية حال، أحس بأنه مأمور بشكل ملح بالتوقف. وتحرك الكره مرة أخرى بداخله، ولكن لم يعد لديه القوة ليرفض. وفجأة نحس الخيال الأول حصانه للأمام. وفحص الماء وشب لأعلى على قائمته. وبجهد كبير تمكّن فرودو من الجلوس مستقيماً على حصانه ولوح سيفه.

وصاح: «ارجعوا! ارجعوا إلى أرض موردور، ولا تتبعوني أكثر من ذلك!» أحس بأن صوئاً كان رفيعاً وحاداً ثابتاً في أذنيه. وتوقف الخيالة، ولكن فرودو لم تكن لديه قوة بومباديل. وضحك أعداؤه عليه ضحكة فجةً وقاترة. ونادوا عليه: «تعال! تعال! إلى موردور سوف تأخذك!». وهمس هو: «ارجعوا!!».

وصاحوا: «الخاتم! الخاتم!» بأصوات مميتة؛ وفي الحال تخس قائهم حصانه ودفعه للأمام إلى الماء، وتبعه عن قرب اثنان آخران.

وقال فرودو في آخر ذرة من جهد لديه، وهو يرفع سيفه عالياً: «بحق البريريث ولوثين الجميلة فإنكم لن تأخذوا الخاتم ولن تأخذونني!».

بعد ذلك، وقف المائد - الذي كان حينئذ في نصف المسافة في المخاضة - مهدداً في ركابي سرجه، ورفع يده عالياً. أصيب فرودو بالخرس. أحس أن لسانه يتلتصق بفمه، وقلبه يخفق في جهد جهيد. انكسر سيفه وسقط من يده المرتعشة. شب الحewan الجن على قائمته وصهل. لقد كان الخيال الأسود الأول قد وضع قدميه على الشاطئ تقرباً. في تلك اللحظة جاء مدوياً ومندفعاً: صوت مياه عالية تدرج حجارة كثيرة.رأى فرودو - على نحو خافت ضعيف - النهر أسفل منه يرتفع، وجاء من أسفل عبر مجراء فرسان «مريشين» من الأمواج. بدا لفرودو أن هناك ألسنة لهب بيضاء توهم على الأمواج وقد تخيل بشكل جزئي أنه رأى وسط المياه خيالة بيضا يركبون خيلاً بيضاء ذات أعراض مزيدة. غرق الخيالة الثلاثة الذين كانوا لا يزالون في وسط المخاضة: اختفوا دفناً فجأة تحت الزيد الغاضب. أما أولئك الذين كانوا وراءهم فتراجعوا في رب.

سمع فرودو بأخر ما لديه من حواس متهاوية صوت صرخات، وبدأ له أنه رأى، فيما وراء الخيالة الذين تراجعوا على الشاطئ، شكلاً ساطعاً لضوء أبيض؛ وكانت تجري وراء ذلك الشكل أشكال ظلالية تلوح بأسنة لهب، كانت تتوهج وهجاً أحمر في السديم الرمادي الذي كان يقع على العالم.

ملئت الخيل السوداء بالجنون، وعندما قفزت للأمام في رب، فإنها حملت خيالها وألقت بهم في الفيضان المتندق. غرفت صرخاتهم الحادة الثاقبة في خرير ماء النهر وهو يحملهم بعيداً. بعد ذلك أحس فرودو بنفسه يقع، وبدا الخرير والفووضى يرتفعان ويغلفانه هو ومعه أعداؤه. ولم ير أو يسمع أي شيء بعد ذلك.

## الكتاب الثاني

---

٢

## الفصل الأول

### لقاءات كثيرة

استيقظ فرودو، ووجد نفسه نائماً في فراش. في بداية الأمر اعتقد أنه نام حتى وقت متأخر، بعد حلم طويل بغيض لا يزال يحلق على حافة ذاكرته. أو ربما كان مريضاً، ولكن السقف كان يبدو غريباً؛ كان مسطحاً، وكانت به عوارض سوداء منحوتة تحت أنيقاً وفخماً. ورقد طويلاً لبعض الوقت ينظر في بقع ضوء الشمس على الجدار، وينصت إلى صوت سقوط الماء.

وقال بصوت عال مخاطباً السقف: «أين أنا، وكم الساعة الآن؟». ورد عليه صوت قائلًا: «في منزل إلروندا، والساعة الآن العاشرة صباحاً. إنه صباح الرابع والعشرين من أكتوبر، إذا كنت ت يريد أن تعرف».

وصاح فرودو وهو يجلس في مكانه: «جندلف!» ها هو الساحر العجوز، يجلس في مقعد إلى جوار النافذة المفتوحة.

وقال له: «نعم، أنا هنا. وأنت محظوظ لكونك هنا، أيضاً، بعد كل الأشياء المخيفة التي فعلتها منذ أن غادرت موطنك».

ورفق فرودو مجدداً. أحس براحة وطمأنينة بالغتين لدرجة أنه لم يستطع أن يجادل، وعلى أية حال فإنه لم يعتقد أنه سيخرج منتصراً من أي جدال. كان مستيقظاً تماماً الآن، وكانت ذكري رحلته تعود إليه: «الطريق المختصر» المأساوي عبر الغابة العجوز؛ و«الحادثة» التي وقعت في حانة الفرس الواثب؛ وتصرفه المجنون بليسه الخاتم في الودة أسفل تل الريح. بينما كان يفكر في كل هذه الأشياء ويحاول - بلا جدوى - أن يصل بذاكرته إلى وصوله إلى ريفنديل، كان هناك صمت طويل، لم تكسره سوى هبات الدخان التي كان ينفثها جندلف من غليونه، بينما كان ينفث حلقات بيضاء من دخان إلى خارج النافذة.

وأخيراً سأله فرودو هذا السؤال: «أين سام؟ وهل الآخرون على ما يرام؟». وأجابه جندلف بقوله: «نعم، كلهم سالمون وبخير. كان سام هنا إلى أن صرفته لينال قسطاً من الراحة، منذ نصف ساعة تقريباً».

وواصل فرودو كلامه متسائلاً: «ماذا حدث عند المخاضة؟ كل شيء كان يبدو غامضاً للغاية، على أية حال؛ ولا يزال يبدو كذلك».

وأجابه جندلف بقوله: «نعم، كان سيبدو كذلك. لقد كنت في بداية الذبول. لقد قهرك

الجرح أخيراً. في غضون ساعات أخرى قليلة، كنتَ متكون خارج نطاق مقدرتنا على تقديم المساعدة. ولكن لديك بعض القوة في داخلك، يا عزيزي الهوبتي! كما أظهرت ذلك في التلة الجنائزية. كنتُ أتمنى أن لو حافظت على هذه القوة في تل الريح»:

وقال له فرودو: «يبدو أنك تعرف الكثير بالفعل. إنني لم أتحدث إلى الآخرين بشأن ما حدث في التلة الجنائزية. كان في البداية مروعاً للغاية، وبعد ذلك كانت هناك أشياء أخرى للتفكير فيها. كيف علمت بذلك؟».

ورد عليه جندلف بلطف: «لقد تحدثت كثيراً في نومك، ولم يكن من الصعب بالنسبة لي أن أقرأ عقلك وذاكرتك. لا تقلق! على الرغم من أنني قلت: «سخيفة» الآن على التو، إلا إنني لم أقصد ذلك. إنني أثمنك جيداً – والآخرون كذلك. إن وصولكم إلى هنا ليس عملاً بطوليأ صغيراً، وعبر مثل هذه الأخطار، ولا تزال تحمل الخاتم».

وقال له فرودو: «ما كنا سنستطيع أن نفعل ذلك لولاسترايدار. ولكننا كنا بحاجة إليك. لم أكن أعرف ما أفعله بدونك».

«أتمنى أن لو أخبرتني ما حدث!».

«كل شيء في وقته المناسب! ليس من المفترض أن تتحدث أو تقلق بشأن أي شيء اليوم، حسب أوامر الرون».

قال له فرودو: «ولكن الحديث من شأنه أن يحول بيني وبين التفكير والتساؤل، وهو أمران متعبان بنفس القدر. إنني مستيقظ تماماً الآن، وإنني أتذكر أشياء كثيرة جداً تحتاج إلى تفسير لها. لماذا تأخرت؟ ينبغي أن تخبرني ذلك على الأقل».

فرد عليه جندلف بقوله: «سوف تسمع في الحال كل ما ترغب في معرفته. سوف نعقد مجلس شوري، بمجرد أن تكون قد تعافت بالقدر الكافي. في هذه اللحظة، لن أقول سوى أنني كنتُ أسيراً».

وصاح فرودو قائلاً: «أنت؟».

ورد عليه العازر في كابة: «نعم، أنا، جندلف الأشيب. هناك قوى كثيرة في العالم، سواء من أجل الخير أو من أجل الشر. وبعضها أعظم مني أنا. ولم يتم تقييم ضد بعض منها بعد. ولكن وقتني قادم. لقد جاء سيد مور جول وخياته السود. الحرب قيد التجهيز!».

«إذن فأنت تعلم بأمر الخيالة السود بالفعل – قبل أن أقابلهم أنا؟».

«نعم، إنني أعلم بأمرهم في حقيقة الأمر، فقد تكلمتُ عنهم مرة معك؛ لأن الخيالة السود هم أشباه الخاتم<sup>(1)</sup>، الخدام التسعة لملك الخواتم. ولكنني لم أكن أعرف أنهم

(1) Ring-wraiths – وهي مكونة من كلمة (Ring) ومعناها خاتم؛ وكلمة (wraith) ومعناها الشبح؛ وهذا فإن أقرب ترجمة لها هي «أشباح الخاتم» (المترجم).

نهضوا مجدداً، وإن كنتُ فررتُ معك في الحال. لم تصلني أخبار عنهم إلا بعد أن تركتُك في شهر يونيو؛ ولكن هذه القصة يمكن أن تتطرق. لأن أراجون - بالنسبة لهذه اللحظة - هو الذي أنقذنا من كارثة محققة».

ورد عليه فرودو بقوله: «نعم، لقد كان سترادار هو الذي أنقذنا. ولكني كنتُ خائفاً منه في بداية الأمر. لم يكن سام يثق به ثقة تامة على الإطلاق، فيما أعتقد، ليس بأي حال من الأحوال حتى قابلنا جلورفينديل».

وابتسم جندلف وقال: «لقد سمعتُ كل شيء عن سام. ليس لديه أي شكوك أخرى الآن».

وقال له فرودو: «إنني سعيد بذلك. لأنني أصبحتُ محبًا جداً لسترادار. حسناً، محبًا ليست هي الكلمة الصحيحة. أقصد أنه عزيز إلى قلبي؛ على الرغم من أنه غريب، ومرهون في بعض الأوقات. في الواقع الأمر، إنه يذكرني كثيراً بك. لم أعرف أن أيًا من الناس الكبار كان مثل ذلك. كان في اعتقادي، حسناً، أنهم كانوا كباراً فحسب، وأغبياء بالأحرى: عطوفين وأغبياء مثل بتزير؛ أو أغبياء وشريرين مثل بيل فيرنبي. ولكننا في ذلك الوقت لم نكن نعرف الكثير عن الإنس في المقاطعة، باستثناء - ربما - سكان أراضي البري».

وقال له جندلف: «بل إنك لا تعرف الكثير عنهم، إذا كنتَ تعتقد أن بارليمان العجوز غبي. إنه حكيم بما يكفي في أرضه هو. إنه يفكر أكثر مما يتحدث، وأكثر بطئاً؛ ولكنه يستطيع أن يرى عبر الجدران في الوقت المناسب (كما يقولون في البري). ولكن هناك قليلاً ترکوا في الأرض الوسطى مثل أراجون بن أراثورن. إن سلالة الملوك من أعلى البحر أوشكت على الانتهاء تقرباً. يبدو أن هذه الحرب على الخاتمة ستكون مغامرتهم الأخيرة».

وقال له فرودو في عجب: «هل تقصد حقاً أن سترادار واحد من أفراد الملوك الكبار؟ كنتُ أعتقد أنهم قضوا جميعاً منذ أمد طويل. كنتُ أعتقد أنه لم يكن سوى جوال». وصاح جندلف: «لم يكن سوى جوال! عزيزي فرودو، هؤلاء بالضبط هم الجوالون: آخر بقايا في الشمال من الناس العظام، إنس الغرب. لقد مساعدوني من قبل؛ وسوف أحتج إلى مساعدتهم في الأيام القادمة؛ لأننا وصلنا إلى ريفينديل، ولكن الخاتمة لم يسترخ بعد».

ورد فرودو بقوله: «لا أعتقد ذلك. ولكن حتى الآن كان فكري منصباً فقط على الوصول إلى هنا؛ وأنمني ألا يكون لزاماً عليَّ أن أذهب إلى أكثر من ذلك. إنه من اللطيف جداً أن تستريح. لقد أمضيت شهراً من النفي والغامرة، وإنني أجده أن ذلك كان كثيراً بالقدر الذي أريده».

والنرم المصمت وأغلق عينيه. بعد فترة قصيرة من الزمن تكلم مجدداً، وقال: «لقد كنت أقدر وأحسب، ولا يمكنني أن أصل بالمجموع الإجمالي إلى الرابع والعشرين من أكتوبر. ينبغي أن يكون الحادي والعشرين. لا بد أننا وصلنا المخاضة يوم العشرين من أكتوبر». وقال له جندلف: «لقد تحدثت وحسبت أكثر مما هو جيد بالنسبة لك. كيف تشعر في جنبك وكتفك الآن؟».

أجابه فرودو بقوله: «لا أدرى. إنني لا أحس بهما على الإطلاق: وهو ما يعتبر تحسناً، ولكن» - وبذل جهداً ليواصل الحديث - «يمكنني أن أحرك ذراعي قليلاً مرة أخرى. نعم، إنه يعود للحياة ثانية. إنه ليس بارداً». أضاف ذلك وهو يتحسس يده السرى بيده اليمنى.

قال جندلف: «حسناً! إنه يشفى سريعاً. سوف تشفى وتعافي قريباً مرة أخرى. لقد عالجاك إلروندي: لقد سهر على علاجك لأيام، منذ أن أحضروك إلى هنا». وقال فرودو: «أيام؟».

«حسناً، أربع ليالٍ وثلاثة أيام، على وجه الدقة. لقد أحضرتك الجن إلى هنا من المخاضة في ليلة العشرين من الشهر، وذلك هو المكان الذي فقدت العد فيه. لقد كنا قلقين للغاية، ولم يكن سام يغادر جانبي بالفعل، ليلاً أو نهاراً، باستثناء نقل الرسائل. إلروندي سيد ماهر في العلاج، ولكن أسلحة عدونا قاتلة فتاكة. أقول لك الحق، لدى القليل جداً من الأمل؛ لأنني كنت أشك أنه شظية من النصل كانت لا تزال هناك في الجرح المغلق. ولكن لم نستطع العثور عليها حتى ليلة أمس. وبعد ذلك أخرج إلروندي شظية. لقد كانت مدفونة على نحو غائر في جسمك، وكانت في طريقها نحو الداخل». وارتاجف فرودو، وهو يتذكر السكين الوحشية التي كان نصلها محزرراً والتي اختفت في يدي سترايدار؛ وقال له جندلف: «لا تنزعج. لقد ذهبت. لقد تمت إذابتها. ويبدو أن الهوبيتين يتلاشون على ممضمض شديد. لقد عرفت محاربين أقوىاء من الناس الكبار الذين كان يمكن أن تفههم هذه الشظية بسرعة، والتي احتملتها أنت لمدة سبعة عشر يوماً».

وسأل فرودو: «ما الذي كانوا سيفعلونه بي؟ ما الذي كان يحاول الخيالة فعله؟». «لقد حاولوا طعن قلبك بسكين مورجول التي تظل في الجرح. ولو أنهم نجحوا، كنت قد أصبحت مثلهم، فقط أضعف منهم وتحت إمرتهم. كنت ستصبح شيئاً تحت سيطرة سيد الظلم؛ وكان سيعذبك لمحاولة الاحتفاظ بخاتمه، إذا كان هناك أي عذاب ممكن أكبر من سلبك إياه ورؤيته في يده هو».

ورد فرودو في وهن وشعور بالإغماء: «يا إلهي، لم أكن أدرك الخطر المرهوش! لقد كنت خائفاً إلى حد الموت، بطبيعة الحال؛ ولكنني لو كنت أعرف أكثر، لما جرئت حتى على مجرد الحركة. إنها معجزة أنني نجوت!».

وقال له جنديف: «نعم، لقد ساعدك الحظ أو القدر، ناهيك عن الشجاعة. لأن قلبك لم يمس، ولم يوخر سوى كتفك؛ وكان ذلك لأنك قاومت حتى النهاية. ولكن كانت نجاتك بأعجوبة بالغة، إذا جاز لي التعبير. لقد كنت في أعظم الخطر وأنت تلبس الخاتم، لأنك في ذلك الحين كان نصفك في عالم الأشباح، وكان من الممكن أن يمسكوا بك. كنت أنت تراهم، وكانوا هم يرونك».

قال فرودو: «أعرف ذلك. كان منظرهم مروعًا! ولكن لماذا يمكننا جميعًا أن نرى خيالهم؟».

«لأنها خيل حقيقة؛ تماماً مثلها مثل الألبة السوداء فهي ألبسة حقيقة يرتدونها لتعطي شكلاً لعدمهم عندما يتعاملون مع الأحياء».

«إذن فلماذا تحتمل هذه الخيل السوداء مثل أولئك الخيالة؟ كل الحيوانات الأخرى تصاب ~~بالمأوى~~ بحسب عندما يقتربون منها، حتى حصان جلور فنديل الجنى. الكلاب تعوي والإبروز تصرخ عند رؤيتها».

«لأن هذه الخيل ولدت وتركت لتكون في خدمة ملك الظلام في موردور. ليس كل ~~خدماته~~ ومتلكاته أشباحًا! هناك الأوركيون<sup>(1)</sup> والغيلان<sup>(2)</sup>، هناك ذئاب الوورج<sup>(3)</sup> والذئاب المسحورة<sup>(4)</sup>؛ وكان هناك — ولا يزال الكثير من الإنس — محاربين وملوكاً، الذين يمشون أحياء تحت الشمس، ولكنهم تحت سيطرته. ويتنزأون بعددهم يومياً. وماذا عن ريفنديل والجن؟ هل ريفنديل آمنة؟».

«نعم، في الوقت الحالي، إلى أن يتم التغلب على جميع الآخرين. قد يخاف الجن من ملك الظلام، وربما يفرون أمامه، ولكنهم لن يستمعوا له أو يخدموه مرة أخرى أبداً. وهذا في ريفنديل لا يزال يعيش بعض من أعدائه الرئيسيين: حكماء الجن، ملوك الجن مما وراء البحار البعيدة. إنهم لا يخشون أشباح الخاتم، لأن أولئك الذين عاشوا في المملكة المباركة يعيشون في ذات الوقت في كلا العالمين، ولديهم قوى عظيمة ضد كل من المرئي وغير المرئي».

«أعتقد أنني رأيت شكلاً أبيض كان يسطع ولم يهت ويتلاش مثل الآخرين. هل كان ذلك جلور فنديل إذن؟».

(1) Orc - يجب أن يبقى كما هي دون ترجمة (المترجم)

(2) Trolls - ومعناها الأصلي - قزم أو جبار خرافى يسكن الكهوف أو يقيم تحت الأرض (في الميثولوجيا الإسكندنافية) (قاموس المورد)؛ وقد أثرنا ترجمتها (غول، جمعها - غيلان) (المترجم)

(3) Wargs - الوورج مخلوق خرافى يشبه الذئب بيد أنه أكبر منه وأكثر منه ذكاء، ويحمل الاسم في طياته معاني الشر، والإجرام، والنبيذ [موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Wargs> على شبكة الانترنت] (المترجم)

(4) Werewolves - ومفردها werewolf؛ الكلمة في الفولكلور والميثولوجيا تشير إلى شخص يتحول في شكله إلى ذئب، سواء عن عمد أو باستخدام السحر، أو بعد تعرضه للغنة. [موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Werewolves> على شبكة الانترنت] (المترجم)

«نعم، لقد رأيته للحظة بينما كان على الجانب الآخر: هو واحد من عظام المولودين الأوائل. إنه سيد جندي لمنزل من الأمراء. في الواقع هناك قوة في ريفنديل تقاوم قوة موردور، لفترة قصيرة من الوقت: ولا تزال تسكن بعض القرى في أماكن أخرى. هناك قوة – أيضاً – من نوع آخر في المقاطعة. ولكن كل تلك الأماكن ستصبح قريباً جزراً تحت الحصار، إذا سارت الأشياء على النهج الذي تسير عليه. إن ملك الظلام يستجمع كل قوته».

وقال وقد وقف فجأة ومد ذقنه، في حين تصلت لحيته واستقامت مثل أسلاك فرشاة: «ولكن لا يزال ينبغي علينا أن نحتفظ بشجاعتنا. ستكون على ما يرام وتعافي قريباً، إذا لم أتحدث معك إلى أن أتسبب في موتك. إنك في ريفنديل، وليس هناك أي داع للقلق بشأن أي شيء في الوقت الحالي».

ورد عليه فرودو قائلاً: «ليس لدى أي شجاعة أحافظ بها، ولكني لست قلقاً في الوقت الحالي. فقط قل لي أخبار أصدقائي، وأخبرني بنهاية المسألة التي كانت عند المخاضة، حيث سأظل أسأل عن ذلك، وسوف أقنع بذلك في الوقت الحالي. بعد ذلك سوف أناق قسطاً آخر من النوم، فيما أعتقد؛ ولكن لن أستطيع أن أغمض عيني حتى تكون قد انتهيت من سرد القصة عليّ».

وتحرك جندل مقعده إلى جانب الفراش، وألقى نظرة على فرودو. لقد عادت الحيوية إلى وجهه، وكانت عيناه صافيتين، وكان مستيقظاً تماماً ومدركاً. كان يبتسم، وكان يبدو أن هناك القليل من الأذى به. ولكن بالنسبة لعين الساحر كان هناك تغيير طفيف، مجرد إيماءة كما لو كانت من شفافية، بشأنه، وعلى وجه الشخص بشأن اليد اليسرى التي كانت موضوعة بالخارج أسفل الغطاء.

وقال جندل لنفسه: «لا يزال ينبغي توقع ذلك. إنه لم يتجاوز الأمر بمقدار النصف بعد، أما ما سينتهي إليه فلا يمكن لأحد أن يتباين به حتى إلروند نفسه. لن ينتهي إلى شر، فيما أعتقد. ربما يصبح مثل كأس مملوءة بضوء صاف بالنسبة للأعين التي تستطيع أن تراه».

وقال بصوت عال: «إنك تبدو رائعًا. سوف أخاطرك وأخبرك بقصة قصيرة دون استشارة إلروند. ولكن قصيرة جداً، أتعنى ألا تمانع في ذلك، وبعد ذلك ينبغي عليك أن ت quam مجدداً. هذا هو ما حدث، بقدر ما يمكنني استجماعه. انقض الخيالة عليك مباشرة، بمجرد أن فررت. لم يعودوا بحاجة إلى الحصول على توجيه وقيادة خيلهم: لقد أصبحت مرئياً بالنسبة لهم، حيث كنت بالفعل على عتبة عالمهم. كما أن الخاتم جذبهم. وقف أصدقاؤك جانباً، خارج الطريق، وإلا لكان الخيالة قد وطئتهم بحوافر خيلهم. لقد عرفوا أنه لم يكن هناك من شيء يمكن أن ينقذك، إذا لم يستطع الحسان

الأبيض ذلك. كان الخيالة يسرون بسرعة بالغة بحيث لا يمكن التغلب عليهم، وكان عددهم كبيراً للغاية بحيث لا يمكن معارضتهم. لا يمكن، حتى لجلور فنديل وأراجورن معاً، مقاومة النسعة مرة واحدة، سيراً على الأقدام.

«وعندما اكتسح أشباح الخاتم، جرى أصدقاؤك صادعين وراءهم. كان هناك قريباً من المخاضة تجويف صغير إلى جانب الطريق مغطى بأشجار قليلة متوقفة عن النمو. قاموا هناك على عجل باشعال نار؛ لأن جلور فنديل كان يعلم أن طوفاناً سوف ينصب، لو أن الخيالة حاولوا العبور، وفي هذه الحالة سوف يتحتم عليه أن يتعامل مع أي منهم من يكونون قد تركوا على جانب النهر الذي يقع هو فيه. وب مجرد أن ظهر الطوفان، اندفع خارجاً، وتبعه أراجورن والآخرون وهو يحملون جمرات ملتهبة. ولما كانوا قد وقعوا بين النار وبين الماء، ورأوا سيداً جنرياً كشف لهم عن غضبه وحنقه، فإنهم أصيروا بالرعب والفزع، وأصيروا خيلهم بالجنون. حمل أول هجوم للطوفان ثلاثة منهم بعيداً، ورميـتـ الخيل - في ذلك الوقت - الباقيـنـ في الماء وغـمـرـهمـ الطوفان».

وـسـأـلـ فـرـوـدـوـ: «وـهـلـ هـذـهـ نـهـاـيـةـ الـخـيـالـةـ السـوـدـ؟ـ».

رد عليه جـنـدـلـفـ بـقولـهـ: «ـكـلاـ. لـابـدـ أـنـ خـيـلـهـمـ قدـ هـلـكـتـ، وـبـدـوـبـهـاـ فإـنـهـمـ يـكـوـنـونـ عـاجـزـينـ. وـلـكـنـ أـشـبـاحـ الـخـاتـمـ أـنـفـسـهـمـ لاـ يـمـكـنـ تـدـمـيرـهـمـ بـسـهـولةـ. وـمـعـ ذـلـكـ، لـيـسـ هـنـاكـ أيـ شـيـءـ آخـرـ يـدـعـوكـ لـلـخـوـفـ مـنـهـمـ فـيـ الـوقـتـ الـحـالـيـ. لـقـدـ عـبـرـ أـصـدـقاـؤـكـ بـعـدـ أـنـ مـرـ الطـوفـانـ وـوـجـدـوـكـ رـاـقـداـ عـلـىـ وـجـهـكـ عـنـقـمـةـ الـضـفـةـ، وـكـانـ هـنـاكـ سـيفـ مـكـسـورـ تـحـتـكـ. كـانـ الـحـصـانـ يـقـفـ إـلـىـ جـوـارـكـ حـارـساـ. كـنـتـ شـاحـبـاـ وـبـارـداـ، وـكـانـوـاـ يـظـنـوـنـ أـنـكـ مـتـ، أـوـ أـلـسـوـاـ مـنـ ذـلـكـ. وـقـابـلـتـهـمـ جـمـاعـةـ إـلـرـونـدـ، وـهـمـ يـحـمـلـوـنـكـ بـبـطـءـ بـاتـجـاهـ رـيـفـنـدـيـلـ».

وـسـأـلـ فـرـوـدـوـ قـائـلاـ: «ـوـمـنـ الـذـيـ أـثـارـ الطـوفـانـ؟ـ».

فـأـجـابـهـ جـنـدـلـفـ قـائـلاـ: «ـأـمـرـهـ إـلـرـونـدـ. النـهـرـ فـيـ هـذـاـ الـوـادـيـ تـحـتـ إـمـرـتـهـ، وـسـوـفـ يـرـتفـعـ فـيـ غـضـبـ عـنـدـمـاـ تـكـوـنـ هـنـاكـ حاجـةـ مـاسـةـ إـلـىـ سـدـ الـمـخـاضـةـ. وـبـمـجـرـدـ أـنـ اـنـدـفـعـ قـائـدـ أـشـبـاحـ الـخـاتـمـ بـحـصـانـهـ إـلـىـ المـاءـ، تمـ إـطـلاقـ الطـوفـانـ. وـإـذـاـ جـازـ لـيـ القـوـلـ، فإـنـيـ أـضـفـتـ بـعـضـ الـلـمـسـاتـ الـخـاصـةـ بـيـ: رـبـماـ لـمـ تـلحـظـ أـنـتـ ذـلـكـ، وـلـكـنـ بـعـضـ الـأـمـواـجـ أـخـذـتـ شـكـلـ خـيـلـ عـظـيمـ بـيـضاءـ وـعـلـيـهـ خـيـالـةـ بـيـضاءـ لـامـعـونـ؛ وـكـانـ هـنـاكـ الكـثـيرـ مـنـ الـجـلـامـيدـ الـمـنـدـرـجـةـ الـمـتـهـشـمـةـ. لـقـدـ خـشـيـتـ لـبـعـضـ الـوـقـتـ أـنـ نـكـونـ قـدـ أـطـلـقـنـاـ العنـانـ لـقـدـرـ مـنـ الـحـنـقـ أـكـبـرـ مـنـ الـلـازـمـ، وـسـوـفـ يـخـرـجـ الطـوفـانـ مـنـ نـطـاقـ السـيـطـرـةـ وـيـجـرـفـ بـعـيدـاـ. هـنـاكـ قـوـةـ عـظـيمـةـ فـيـ الـمـيـاهـ الـتـيـ سـقطـتـ مـنـ جـلـيدـ الـجـبـالـ الضـيـابـيـةـ».

ورد فـرـوـدـوـ بـقولـهـ: «ـنـعـمـ، كـلـ ذـلـكـ يـعـودـ إـلـيـ ثـانـيـةـ الـآنـ، الـزـئـيرـ الـهـائلـ. اـعـتـقـدـتـ أـنـتـ أـغـرـقـ، مـعـ أـصـدـقـائـيـ وـأـعـدـائـيـ جـمـيعـاـ. وـلـكـنـاـ الـآنـ فـيـ أـمـانـ!ـ».

ونظر جنديف بسرعة إلى فرودو، ولكنه كان قد أغلق عينيه. «نعم، إنكم جميعاً آمنون في الوقت الحالي. وفي الحال ستكون هناك احتفالات ولهم صاحب للاحتفال بالانتصار في مخاضة بروينين، وستكونون جميعاً هناك في أماكن الشرف».

وقال له فرودو: « رائع! من الرائع أن إلرون، وجلورفيندل وأولنث السادة العظام ، ولا ننسى سترايدار ، يتذبذبون كل هذا العشاء ويظهرون لي كل ذلك العطف ». وقال له جنديف وهو يتنفس: «حسناً، هناك أسباب كثيرة تفسر وجوب ذلك عليهم. أنا سبب من هذه الأسباب الجيدة. والخاتم سبب آخر: أنت حامل الخاتم. وأنت وريث بيلبو ، الذي عثر على الخاتم».

وقال فرودو في نعاس: «عزيزي بيلبو! أتمنى أن أعلم أين هو الآن. أتمنى لو كان هنا وسمع كل شيء عن الأمر. كان ذلك سيجعله يضحك . قفزت البقرة فوق القمر! والغول العجوز المسكين!» وعندما أنهى هذه الجملة راح في نوم عميق.

كان فرودو الآن آمناً في المنزل العطوف الأخير شرق البحر. كان ذلك المنزل - كما أخبر عنه بيلبو منذ زمن طويل - «منزل ممتاز ، سواء كنت تحب الطعام أو النوم أو سرد القصص أو الغناء ، أو مجرد الجلوس والتفكير على نحو أفضل ، أو مزيج طيف من ذلك كلّه». إن مجرد كونك هناك كان شفاء من التعب ، والخوف ، والحزن .

وبينما اقترب المساء ، استيقظ فرودو مجدداً ، ووجد أنه لم يعد يشعر بحاجة إلى أي راحة أو نوم ، ولكن كانت لديه رغبة في الطعام والشراب ، وربما في الغناء وسرد القصص بعد ذلك. وخرج من فراشه واكتشف أن ذراعه كان لها بالفعل نفس النفع تقريباً من جديد كما كانت من قبل. ووجد ملابس نظيفة من قماش أخضر كانت ثلاثة بشكل ممتاز جاهزة ومعدة له. ولما نظر في المرأة أصيب بذهول عندما رأى صورته المنعكسة في المرأة أكثر تجاهة بكثير مما يتذكر: لقد بدت له بشكل كبير مثل ابن الأخ الصغير لبيلبو والذي اعتاد أن يخرج للمشي مع عمه في المقاطعة؛ ولكن العينين كانتا تحدقان فيه في استغراق وكبير اهتمام .

وقال لصورته في المرأة: «نعم، لقد رأيت شيئاً أو اثنين منذ أن نظرت آخر مرة في مرآة. ولكن الآن إلى اجتماع مرح سعيد!» ومد ذراعيه وصفر يعزف لحناً.

في تلك اللحظة ، جاء طرق على الباب ، ودخل سام. جرى إلى فرودو وأخذ يده اليسرى ، على نحو أخوي وفي خجل. وربت عليه برفق وبعد ذلك احمر وجهه خجلاً واستدار بعيداً بسرعة.

وقال له فرودو: «مرحباً يا سام!».

وقال له سام: «إنها دافئة! أقصد يدك، يا سيد فرودو. كانت باردة جداً على مدى الليالي الطوال السابقة. ولكن ما أروعك!» صاح بذلك، ودار مرة أخرى وعيناه لامعتان وهو يرقص على الأرض: «من اللطيف أن أراك مستيقظاً وعذلت إلى نفسك مرة أخرى، يا سيدتي! طلب مني جنديك أن آتي وأرى إذا كنت جاهزاً للنزول، واعتقدت أنه كان يمزح».

فقال له فرودو: «إنني جاهز. هيا بنا نذهب ونبحث عن باقي المجموعة!».

قال له سام: «يمكنتني أن أخذك إليهم يا سيدى. إنه بيت كبير هذا البيت، وغريب جدًا. دائمًا هناك شيء آخر لتكشفه، ولا تعرف ما الذي ستتجده حول ركن من أركانه. والجن يا سيدى! الجن هنا، والجن هناك! بعضهم مثل الملوك، رهبة وروعه؛ وبعضهم مرحون كالأطفال. والموسيقى والغناء - لدرجة أنتي لم يتوفر لدى الوقت ولا القلب لل الاستماع إلى الكثير منها منذ أن قدمنا إلى هنا. ولكنني بدأت أعرف بعض طرق المكان». ورد عليه فرودو، وهو يأخذ ذراعه: «أعرف ما كنت تفعله يا سام. ولكنك ستكون سعيداً ومرحاً الليلة، وتسمع ما يرضي قلبك. هيا، لتأخذنى حول أركان المكان!».

وتقىد سام عبر مرات عديدة وهبط به الكثير من الدرج وخرج إلى حديقة عالية فوق ضفة نهر شديدة الانحدار. ووجد صديقه يجلس في رواق في جانب البيت ينظر نحو الشرق. كانت الظلال قد سقطت في الوادي أسفل منهم، ولكن كان لا يزال هناك ضوء على وجوه الجبال على بعد فوقهم. كان الهواء دافئاً. كان صوت جريان الماء وسقوطه عالياً، وكان المساء مملوءاً برائحة خفيفة من الشجر والورود، كما لو كان الصيف لا يزال عالقاً في حدائق الروند.

وصاح بيبين وهو يقفز عالياً: «يا للروعه! ها هو ابن عمـنا النبـيل! أفسـحوا الطريق لفـرودـو، سـيدـ الخـاتـم!».

«هش!» – قال له جنّدُلُفَ من الظلال في آخر الرواق. «الأشياء الشريرة لا تأتي إلى هذا الوادي؛ ولكن ينبعي علينا في ذات الوقت ألا نذكرها. سيد الخاتم ليس فرودو، ولكنه سيد برج موردور الشرير، الذي تأخذ قوته في التوسيع مجدداً فوق العالم! إننا جالسون في قلعة. بالخارج الدنيا مظلمة». .

وقال ييبيين: «لقد كان جندي يقول أشياء كثيرة بهيجه مثل هذه. إنه يعتقد أنني  
بحاجة إلى أن أكون ملزماً ومرتباً. ولكن يبدو مستحيلاً، على أية حال، أن تشعر  
بالكتاب أو الكتاب في هذا المكان. إبني أحس أنه يمكنني الغناء، إذا كنت أعرف  
الأغنية الملائمة لهذه المناسبة».

وَضَحْكٌ فِرْدُو وَقَالَ: «أَنَا نَفْسِي أَشْعُرُ بِالرَّغْبَةِ فِي الْغَنَاءِ. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْلحْظَةِ أَشْعُرُ بِرَغْبَةِ أَكْثَرٍ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ!».

وقال بيبيين: «سوف يشفى هذا في الحال . لقد أظهرت دهاءك المعناد في الاستيقاظ في الوقت المناسب تماماً لتناول الأكل».

وقال ميري: «إنها أكثر من مجرد وجية! إنها وليمة! بمجرد أن قال جنديف أنك قد شفيت، بدأت الإعدادات والتجهيزات». لم يك ينتهي من الكلام حتى تم استدعاؤهم إلى البهو عن طريق قرع الكثير من الأجراس.

كان بهو منزل إلروندي ممتنعاً بالأشخاص: الجزء الأعظم منهم جان، على الرغم من أنه كان هناك عدد قليل من ضيوف من أطيااف أخرى. جلس إلروندي - كما كانت عادته - في مقعد كبير في نهاية المائدة الطويلة على المنصة؛ وجلس إلى جواره من أحد الجانبين جلورفنديل، وعلى الجانب الآخر جلس جنديف.

نظر فرودو إليهم في عجب، لأنه لم يكن قد رأى إلروند من قبل قط - الذي تحدث عنه الكثير من الحكايات؛ وبينما كانوا جالسين عن يمينه ويساره، فإن جلورفنديل، بل وحتى جندلف، الذي كان يعتقد أنه كان يعرفه جيداً، بدوا سادة للوقار والسلطة.

كان جندي أقصر قامة من الاثنين الآخرين؛ ولكن شعره الأبيض الطويل، ولحيته الفضية الكثة، وكتفيه العريضتين، كل ذلك جعله يبدو كملك حكيم من الأساطير القديمة. كانت عيناه السوداوان، في وجهه المسن، تحت حاجبيه ثلجي البياض العظيمين، مثل قطع فحم يمكن أن تقفز فجأة في النار.

كان جلورفنديل طويلاً ومستقيم القامة؛ كان شعره ذهبياً لاماً، وكان وجهه جميلأً وشاباً ولا يعرف الخوف ومملوءاً بالفرح والبهجة؛ كانت عيناه لامعتين وجهاه قرين، وكان صوته مثل الموسيقى؛ كانت الحكمة تطبع على جبهته، وفي يده كانت القوة والسلطة.

كان وجه إلروند دائم الشباب، ليس بالكبير ولا الصغير، على الرغم من أنه كان مكتوباً فيه ذكرى الكثير من الأشياء سعيدة وحزينة على حد سواء. كان شعره داكناً مثل ظلال الشفق، وكان مرتدياً حلية دائرية من الفضة؛ كانت عيناه رماديتين مثل مساء صاف، وكان فيهما ضوء مثل ضوء النجوم. كان يبدو مبجلًا كملك متوج بالكثير من السنين، وبمع ذلك كان يبدو صحيحاً معافى كمحارب محنك في ذروة قوته. لقد كان سيد ريفنديل وكان عظيماً بين كل من الجن والإنس.

في وسط المائدة، قبالة الأقمصة المنسوجة التي تكسو الجدار، كان هناك مقعد تحت ظلة، كانت تجلس هنالك سيدة جميلة يحب الناظر النظر إليها، وكانت شبيهة في صورة الأنوثة بيلرون لدرجة أن فرودو اعتقد أنها كانت واحدة من أقاربها المقربين. كانت شابة، ومع ذلك فهي لم تكن كذلك. لم تكن هناك أي لمسة من صقيع على خصل شعرها الأسود؛ كانت ذراعاها البيضاوان ووجوها الصافي آية في الكمال والرقة،

وكان ضوء النجوم في عينيها البراقتين، رماديًا مثل ليلة صحو لا غيم فيها؛ ولكنها كانت تبدو ملكية، وكان الفكر والمعرفة في نظرتها، كما هي الحال مع واحد عرف أشياء كثيرة تجلبها السنون. فوق جبينها، كان رأسها مغطى بقعة من شبكة فضية منسوجة بجواهر صغيرة، تلمع باللون الأبيض؛ ولكن لم يكن في لباسها الناعم الرمادي أي زينة أو زخرف سوى حزام من الأوراق مزخرف بالفضة.

وهكذا فقد رأها فرودو، تلك التي لم يرها من الفاتنن سوى عدد قليل؛ أروين، ابنة إلرون، التي قيل فيها أنها شبه لوثيين قد أتت إلى الأرض مرة أخرى؛ وكان يُطلق عليها أوندو ميل<sup>(1)</sup>، لأنها كانت نجمة المساء في شعبها. لقد كانت في أرض أقارب أمها زماناً طويلاً، في لورين وراء الجبال، ولم تعد إلى ريفنديل إلى منزل أبيها إلا أخيراً. ولكن أخويها، إلادان وإلروهير<sup>(2)</sup> كانوا بالخارج في الترحال والتجوال؛ لأنهما كانوا يتوجلان بعيداً في الغالب خارج الوطن بالخيل مع جوالى الشمال، غير ناسين على الإطلاق عذاب أمها في أوكار الأوركيين.

لم ير فرودو قبل ذلك قط مثل هذه الفتنة في مخلوق حي بل ولم يتخيّلها في عقله؛ وقد كان منهشاً وخجلاً على السواء ليجد أن له مقعداً على طاولة إلرون بين كل هؤلاء الأشخاص رفيعي المستوى والفاتنن. على الرغم من أنه كان يجلس في مقعد ملائم، وقد رفع على عدة وسائل، إلا أنه شعر بأنه صغير جداً، بل وغير مناسب وفي غير محله؛ ولكن هذا الشعور مر سريعاً. كانت الوليمة مرحة وكان الطعام كل ما يمكن لجائع أن يشهيه. مر بعض الوقت قبل أن يلتفت حوله مرة أخرى أو حتى يلتفت إلى جيرانه.

بحث أولاً عن أصدقائه. توسل سام إلى أن يسمح له أن يكون في خدمة سيده، ولكنه أخبر أنه هذه المرة كان ضيف شرف. كان فرودو يراه وقتها، يجلس مع بيبين وميري عند النهاية البعيدة لواحدة من الموائد الجانبية بالقرب من المنصة. لم يكن يرى أي أثر لسترايدار.

جلس بجوار فرودو من ناحية اليمين قزم له مظهر هام، وكان مرتدياً ملابس أنيقة مترفة. كان يرتدي حزاماً فضياً، وكان معلقاً حول رقبته سلسلة من فضة وقطع من الألماس. توقف فرودو عن الأكل لينظر إليه.

«مرحباً بك، ولقاء سعيد!» – قال ذلك القزم وهو يلتفت باتجاهه. بعد ذلك قام فعلاً من مقعده وانحنى، وقال وهو ينحني أكثر: «جلوين في خدمتك».

(1) Arwen\_Undomiel – في لغة الجن (Quenya)، الاسم Arwen معناه امرأة نبيلة. أما Undomiel فمعناه Evenstar (star Evenstar Evenin) أي نجمة المساء [موقع [http://en.wikipedia.org/wiki/Arwen\\_Undomiel](http://en.wikipedia.org/wiki/Arwen_Undomiel) على شبكة الانترنت] (المترجم)

(2) الاسم إلادان Elladan، معناه «Elf-Man». أي الرجل الجنى؛ أما اسم الروهير Elrohir فمعناه Elf-rider أي الخيال الجنى. [موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Elladan> على شبكة الانترنت] (المترجم)

«فرودو ياجينز في خدمتك وفي خدمة عائلتك» - قال ذلك فرودو بشكل صحيح، ونهض في دهشة وبعثر وسائده. «هل أنا على صواب في تخميني أنك أنت جلوين، أحد الرفاق الائتني عشر للعظيم ثورين أوكينشيلد<sup>(1)</sup>؟» وأجا به القزم، وهو يجمع الوسائل، ويساعد فرودو في دماثة خلق لি�ضعه في مقعده مرة أخرى، قائلًا: «أنت على صواب تمام. وأنا لا أسأل، لأنني قد أخبرت بالفعل أنك قريب صديقنا الشهير بيلبو وخلفه المتبني. اسمح لي أن أهنتك بشفائك».

ورد عليه فرودو بقوله: «أشكرك شكرًا جزيلاً».

وقال له جلوين: «لقد مررت ببعض مغامرات غاية الغرابة، فيما أسمع. أنتي أتعجب كل العجب من يحضر أربعة هوبينيين في مثل هذه الرحلة الطويلة. لم يحدث أي شيء مثل ذلك منذ أن أتي بيلبو معنا. ولكن ربما يتوجب عليَّ ألا أسأل كثيراً عن ذلك، حيث إن إلرون وجنلوف لا يبدوان مبالغين إلى الحديث عن هذا؟».

وقال فرودو في أدب: «أعتقد أننا لن نتكلم عن ذلك، على الأقل لم يحن وقت ذلك بعد». وقد خمن أن مسألة الخاتم - حتى في منزل إلرون - لم تكن مسألة للحديث العادي؛ وعلى أية حال كان يتمنى أن ينسى متابعيه لبعض الوقت، وأضاف: «ولكنني أشعر بنفس القدر من الفضول لأعرف السبب الذي يحضر قزماً مهمماً بهذا القدر من مكان بعيد من الجبل الوحيد».

ونظر جلوين إليه، وقال: «إذا لم تكن قد سمعت، أعتقد أننا لن نتكلم عن هذا الأمر كذلك بعد. سوف يستدعينا سيدي إلرون جميعاً قبل أن يمضي وقت طويل، فيما أعتقد، وبعد ذلك سوف نسمع جميعاً أشياء كثيرة. ولكن هناك الكثير غير ذلك يمكن أن يقال». على مدى ما تبقى من وقت تناول الطعام، راحا يتكلمان معاً، ولكن فرودو كان ينصت أكثر مما يتكلم؛ لأن أخبار المقاطعة، بعيداً عن الخاتم، كانت تبدو محدودة وبعيدة وغير مهمة، في حين كان لدى جلوين الكثير ليخبر به عن الأحداث في المناطق الشمالية في أرض التيه<sup>(2)</sup>. عرف فرودو أن جريمبورن الكبير، ابن بيورن، كان سيداً لرجال أشداء كثيرين، ولم يكن يجرؤ أن يذهب إلى أرضهم فيما بين الجبال والغابة المظلمة لا أوركي ولا ذئب.

وقال جلوين «في واقع الأمر، لو لا البورينجيون<sup>(3)</sup>، لكان الطريق من الوادي إلى

(1) في معركة Battle of Azanulbizar، كسر درع ثورين، فاستخدم فرع شجرة بلوط ليدافع به عن نفسه، وهذا لقب باسم Oakenshield أي (صاحب) درع البلوط. [موقع [http://en.wikipedia.org/wiki/Thorin\\_Oakenshield](http://en.wikipedia.org/wiki/Thorin_Oakenshield) على شبكة الإنترنت] (المترجم)

(2) ويلدرلاند

(3) Beorn - كان Beorings رجالاً له القدرة على التحول إلى نب أسد عظيم، وأصبح فيما بعد قائداً، وعرف شعبه باسم البورينجيون Beorings [موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Beorings> على شبكة الإنترنت] (المترجم)

ريغنديل قد أصبح مستحيلاً منذ زمن طويل. إنهم رجال بواسل ويقون الطريق العالى<sup>(1)</sup> ومخاضة كاروك مفتوحين. ولكن مكروسهم مرتفعة»، حيث أضاف وهو يهز رأسه: «ومثلهم مثل الباريين<sup>(2)</sup> الكبير في الأيام الخالية فإنهم ليسوا مغرمين جداً بالأقزام. ومع ذلك، فهم قوم ثقة، وهذا أمر يعول عليه كثيراً في هذه الأيام. ليس هناك أى رجال في أي مكان عطوفين وودودين معنا مثل أناس الوادي». إنهم قوم طيبون، البارديون. حفيد بارد النبال<sup>(3)</sup> هو الذي يحكمهم، براند بن بين بن بارد. وهو ملك قوي، ويصل ملكه الآن بعيداً نحو الجنوب والشرق من إسجاروث».

وأسأله فرودو قائلاً: «وماذا عن شبك أنت؟».

فرد عليه جلوين بقوله: «هناك الكثير يمكن أن أخبرك إياه، جيد وسيء، ولكنه جيد في معظمها: لقد كنا حتى الآن محظوظين، على الرغم من أننا لا نهرب من شبح هذه الأوقات. إذا كنت ترغب حقاً في معرفة أخبارنا، فإنني أخبرك الأخبار بسرور. ولكن أوقفني عندما تصبح متعباً! السنة الأقزام تجري دون توقف عند الحديث عن مهاراتنا اليدوية، حسبما يقولون».

وبهذه العبارة بدأ جلوين حكاية طويلة عن أعمال مملكة الأقزام. كان مسؤولاً أنه وجد مستمعاً مؤدياً بهذا القدر؛ لأن فرودو لم يُظهر أي علامات على التعب ولم يبد أي محاولة لتغيير الموضوع، على الرغم من أنه في الحال تابع بعض الشيء بين الأسماء الغريبة لأشخاص وأماكن لم يكن قد سمع عنها قط من قبل. كان مهتماً ومتشوقاً، مع ذلك، لسماع أن داين كان لا يزال ملكاً تحت الجبل، وكان الآن عجوزاً (حيث كان قد تجاوز عامه الخمسين بعد المائتين)، وبمجلأ، وثيراً على نحو غير قابل للتصديق. من الرفاق العشرة الذين ظلوا على قيد الحياة بعد معركة الجيوش الخمسة، كان لا يزال هناك سبعة معهم: دولين، وجولين، ودوري، ووربي، وبيتفور، وبومبر. كان بومبر عندئذ بدينا للغاية لدرجة أنه لم يكن يستطيع أن يحرك نفسه من أريكته إلى مقعده على المائدة، وكان الأمر يحتاج إلى ستة أقزام صغار لرفعه.

وأسأله فرودو: «وماذا عن (بالين)<sup>(4)</sup> و(أوريند)<sup>(5)</sup> و(أوين)<sup>(6)</sup>?».

ومن ظل على وجه جلوين، وأجاب قائلاً: «إننا لا نعرف. إن مجئي لأطلب

(1) High Pass – وهو طريق فوق الجبال الضبابية. [موقع [http://en.wikipedia.org/wiki/High\\_Pass](http://en.wikipedia.org/wiki/High_Pass) على شبكة الإنترنت] (المترجم)

(2) انظر أعلى (المترجم)

(3) Bard the Bowman – بارڈ [اسم شخص] النبال (أى رامي السهام) (المترجم)

Balin (4)

Ori (5)

Oin (6)

النصح من أولئك الذين يسكنون في ريفنديل يرجع بشكل كبير إلى بالين. ولكن الليلة دعنا نتحدث عن أشياء أكثر مرحاً وسعادة!».

بدأ جلوين الكلام عن أعمال قومه، حيث أخبر فرودو عن أعمالهم العظيمة في الوادي وتحت الجبل، قائلاً: «لقد أبلينا بلاه حسناً. ولكن في أعمال التعدين، لا يمكننا أن نضاهي آباءنا، لقد فقد الكثير من هذه الأسرار. إننا نصنع دروعاً جيدة، وسيوفاً ماضية، ولكن لا يمكننا - مجدداً - أن نصنع درعاً أو نصلاً يضاهي تلك التي صُنعت قبل أن يأتي التنين. إننا لم نتفوق على الأيام الخوالي إلا في التعدين وفي البناء. يمكن أن ترى الطرق المائية للرادي، والمخاضة، والنافورات، وأحواض السباحة! ينبغي أن ترى الطريق عديدة الألوان الممهدة بالحجارة! والأبهاء والشوارع الغائرة تحت الأرض بقناطر منحوتة مثل الأشجار؛ والمساطب والأبراج فوق جوانب الجبال! بعد ذلك فإنك ستري أننا لم نكن كساً عاطلين عن العمل».

وقال له فرودو: «سوف آتي وأراها، إذا حدث وكان بإمكانني ذلك في أي وقت. كم ستكون دهشة بيبلو لو أنه رأى كل التغيرات في «دمار التنين سموج»<sup>(1)</sup>!». ونظر جلوين إلى فرودو وابتسم، وسأله: «لقد كنت مغرماً كثيراً بيبلو، أليس كذلك؟». وأجابه فرودو قائلاً: «نعم. إنني أفضل أن أراه أكثر من كل الأبراج والقصور في العالم».

وأخيراً، انتهت الوليمة. ونهض إلروند وأروين وذهبوا إلى البهو، وتبعتهما بقية الصحابة في الترتيب المناسب. وفتحت الأبواب، وذهبوا عبر ممر واسع ومرروا من أبواب أخرى، وجاءوا إلى بهو آخر. لم يكن بها أي طاولات، ولكن كانت هناك نار ساطعة تتدفق في موقد عظيم بين الأعمدة المنحوتة على كلا الجانبين.

وجد فرودو نفسه يمشي مع جنلوف، وقال له الساحر: «هذا هو بهو النار. هنا تستمع الكثير من الأغاني والحكايات - إذا استطعت أن تظل مستيقظاً. ولكنها تكون خالية وهادئة، إلا في الأيام الحاسمة، ويأتي الأفراد الذين يرغبون في الطمأنينة، والتفكير، إلى هنا. هناك دائماً نار هنا، على مدى العام، ولكن هناك القليل من أي ضوء آخر».

وعندما دخل إلروند باتجاه المقعد المعد له، بدأ عازفون من الجن في عزف موسيقى حلوة. وفي بطة امتلاً البهو، ونظر فرودو بفرح على الوجوه الجميلة الكثيرة التي تجمعت معاً؛ راح ضوء النار الذهبي يلعب فوقهم ويلمع في شعرهم. وفجأة لاحظ - ليس بعيداً من النهاية البعيدة للنار - شكلاً صغيراً مظلماً جالساً على مقعد بلا ظهر أو ذراعين

<sup>(1)</sup> smaug - واحد من أواخر التنانين العظيمة في الأرض الوسطى [موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Smaug> (المترجم)]

وظهره مستند على عمود. إلى جواره على الأرض كان هنا قدح شراب وبعض الخبز. وتساءل فرودو عما إذا كان هذا الشخص مريضاً (إذا كان الناس يمرضون على الإطلاق في ريفنديل)، وقد كان غير قادر على أن يأتي إلى الوليمة. بداع رأسه غارقاً في النوم على صدره، وكانت هناك طية من معطفه الأسود مشدودة على وجهه.

وذهب إلروند للأمام ووقف إلى جانب الشكل الصامت، وقال بابتسامة: «استيقظ، أيها السيد الصغير!» بعد ذلك، التفت إلى فرودو، وأواما إليه، وقال: «والآن، أخيراً حانت الساعة التي كنت تتنمها يا فرودو. هنا صديقكم افقدته ونقت إلى روينته».

ورفع الشكل المظلوم رأسه وكشف عن وجهه.

«بيلبو!» - صاح فرودو، وقد تعرف عليه فجأة، وقفز على قدميه للأمام باتجاهه. وقال له بيلبو: «مرحباً يا فرودو، يا صغيري! إذن فقد وصلت إلى هنا أخيراً. كنت أتمنى أن تنجح في ذلك. حسناً، حسناً! إذن كل هذه الولائم والاحتفالات في شرفك، فيما أسمع. أتمنى أن تكون قد متعت نفسك؟».

وصاح فرودو: «لماذا لم تكن هناك؟ ولماذا لم يُسمح لي برؤيتك قبل ذلك؟». «لأنك كنت نائماً. لقد رأيتكم كثيراً. كنت أجلس إلى جوارك مع سام كل يوم. ولكن فيما يتصل بالوليمة، فإنني لا أشارك في مثل هذه الأشياء كثيراً الآن. وكان لدى شيء آخر ينبغي علي أن أفعله».   
«ماذا كنت تفعل؟».

«عجبًا، أجلس وأفكرا. إنني أفعل الكثير من ذلك في هذه الأيام، وهذا هو أفضل مكان لفعل ذلك فيه، كقاعدة. استيقظ، حقاً!» - قال ذلك، وهو يغمز بعين على إلروند. كان هناك وميض لامع فيها ولم تكن هناك أي علامات على النوم كان يمكن لفرودو أن يراها. «استيقظ! أنا لم أكن نائماً، يا سيد إلروند. إذا كنت ت تريد أن تعرف، لقد جئتم أنتم جميعاً من وليتكم سريعاً جداً، وقد أزعجتوني - في قلب صياغتي لأغنية. لقد تعثرت في سطر أو سطرين، وكانت أفكرا فيهما؛ ولكن الآن لا أعتقد على الإطلاق أنني مأسوس بهما بالشكل الصحيح. سيكون هناك قدر كبير من الغناء لدرجة تطرد الأفكار بعيداً من رأسي. سوف يتحتم علىي أن أحصل على مساعدة صديقي الدونادان<sup>(1)</sup>. أين هو؟».

وضحك إلروند، وقال: «سوف يتم العثور عليه. وبعد ذلك ستدبران كلakما إلى ركن وتهيا مهتمكما، وسوف نسمعها ونحكم عليها قبل أن تنهي مرحنا ولهونا». وتم إرسال الرسل للعثور على صديق بيلبو، على الرغم من أنه لم يكن أي أحد يعرف أين كان، أو لماذا لم يكن حاضراً في الوليمة.

(1) دونادان - Dunadan - اسم معناه westerner - أي الغربي، وهو يطلق على (سترايدار) (المترجم)

في ذات الوقت، جلس فرودو وبيلبو جنباً إلى جنب، وجاء سام بسرعة وجلس بالقرب منهما. وتحذلوا معاً بصوت منخفض، غافلين عن الطرف والموسيقى في البهو حولهم. لم يكن لدى بيلبو الكثير ليقوله عن نفسه. عندما غادر هوبيتون<sup>(١)</sup> فإنه راح يتجلو بلا هدف، عبر الطريق أو في الريف على كلا الجانبين؛ ولكنه كان يتجه بحال أو بأخرى دائمًا باتجاه ريفنديل.

وقال: «وصلت إلى هنا دون كثير من المغامرة، وبعد استراحة واصلت المسير مع الأقرام إلى الوادي: آخر رحلاتي. لن أسافر مرة أخرى. لقد رحل بالبين العجوز. بعد ذلك عدت إلى هنا، وهذا قد أقمت للآن. لقد فعلت هذا وذاك. كتبت المزيد من الأجزاء في كتابي. وبالطبع قمت بصياغة بعض أغانيات قليلة. إنهم يغنوونها من وقت لآخر: لمجرد أن يرضوني، فيما أعتقد؛ لأنها - بالطبع - ليست جيدة بما فيه الكفاية بالنسبة لريفنديل. وأنا أستمع إليها وأفكّر. لا يبدو أن الوقت يمر هنا: إنها ببساطة هي - مكان رائع بكل ما في الكلمة من معنى».

«إنني أسمع كل أنواع الأخبار، من فوق الجبال، ومن الجنوب، ولكن نادراً ما أسمع أي شيء عن المقاطعة. سمعت عن الخاتم، بالطبع. كان جنديف يأتي إلى هنا كثيراً. ليس لأنه أخبرني قدرًا كبيرًا وحسب، بل لقد أصبح أكثر قرباً من أي وقت مضي في هذه السنوات القليلة الماضية. لقد أخبرني الدونادان أكثر. تخيل أن خاتمي قد سبب كل هذا القلق! إنه لأمر يرثى له أن جنديف لم يكتشف المزيد في القريب العاجل. كان بإمكانني أن أحضر ذلك الشيء إلى هنا بنفسي منذ زمن طويل دون الكثير من العناء. فكرت مرات عديدة في العودة إلى قرية هوبيتون من أجل ذلك؛ ولكنني كغيرت، ولم يكونوا ليسمحا لي بذلك: أقصد جنديف وإلروند. كان يبدو أنهما يعتقدان أن العدو كان يبحث عنـي في كل مكان، وسوف يغرم لحمي، إنـه وجدني أمشي في البرية».

«وقال لي جنديف: «لقد انتقل الخاتم إلى شخص آخر يا بيلبو. لن يكون الأمر جيداً بالنسبة لك أو بالنسبة للأخرين، إنـأنت حاولت التدخل فيه مرة أخرى». نوع غريب من الملاحظات، مثل جنديف تماماً. ولكنه قال إنه كان يعني بك، ولذلك فإني تركت الأمور تسير على ما هي عليه. إنـني سعيد سعادة مفرطة لرؤيتك آمناً وسلاماً». وتوقف ونظر إلى فرودو في ريبة».

وسأله في همس: «هل هو معك هنا؟ لا أستطيع أن أمنع نفسي من الفضول، كما تعرف، بعد كل ما سمعته. إنـني أود كثيراً جداً لو أنـني نظرت إليه مرة أخرى فقط».

وأجابه فرودو، وهو يشعر بامتعاض غريب: «نعم، إنه معـي. إنه يـبدو تماماً مثلـما كان بالضبط».

(١) هوبيتون هي (قرية الهوبيتين) (المترجم)

وقال له بيلبو: «حسناً، إنني أود أن أراه للحظة فقط».

عندما لبس فرودو ملابسه، وجد أنه، بينما كان نائماً، علق الخاتم حول رقبته في سلسلة جديدة خفيفة ولكنها قوية. وببطء أخرج الخاتم. ومد بيلبو يده. ولكن فرودو سحب الخاتم سريعاً. ووجد لأساه ودهشه أنه لم يكن ينظر إلى بيلبو؛ كان يبدو أن هناك ظلاً وقع بينهما، ووجد نفسه من خلاله يرى مخلوقاً صغيراً معداً ذا وجه جائع ويدين معروقتين تتحسان. شعر برغبة في أن يضر به.

بدأ أن الموسيقى والغناء حولهما يتداعيان، وساد صمت. نظر بيلبو سريعاً إلى وجه فرودو ومرر يده عبر عينيه، وقال له: «إنني أفهم الآن. ضعه بعيداً! إنني آسف: آسف أنك تعرضت لمثل هذا العباء: «آسف على كل شيء. أليس للمغامرة نهاية أبداً؟ لا أعتقد ذلك. يجب على شخص آخر دائمًا أن يواصل الحكاية. حسناً، دعنا لا نقلق بشأن ذلك الآن. ندعنا نعرف بعض الأخبار الحقيقة! أخبرني بكل شيء عن المقاطعة!».

أخفى فرودو الخاتم بعيداً، ومر الظل دون أن يكون قد خلف مزقة من ذكري. راح ضحوء وموسيقى يغزو بيتاً يحيطان به مرة أخرى. ابتسم بيلبو وضحك في سعادة. كل خبر من المقاطعة استطاع فرودو أن يقوله - وكان يساعد ويسوّي من آن لآخر سام - كان مثار اهتمام كبير من جانبه، ابتداءً من سقوط أصغر شجرة إلى مُزح أصغر طفل في قرية هوبيتون. لقد كانوا منهمكين للغاية في أعمال أجزاء المقاطعة الأربع<sup>(1)</sup> لدرجة أنهم لم يلاحظوا قدوم شخص مرتدياً ملابس خضراء داكنة. وقف ينظر إليهم وعلى وجهه ابتسامة لعدة دقائق.

وفجأة نظر بيلبو لأعلى، وصاح: «آه، ها أنت ذا أخيراً، يا دونadan!».

وقال فرودو: «سترايدار! يبدو أن لك أسماء كثيرة».

ورد بيلبو قائلاً: «حسناً، سترايدار اسم لم أسمعه من قبل، على أية حال. لماذا تناولنه بذلك الاسم؟».

ورد سترايدار وهو يضحك: «إنهم ينادونني بهذا الاسم في قرية البري، وكان ذلك هو الاسم الذي قدمت به إليه».

وسأل فرودو: «ولماذا تناوليه دونadan؟».

فقال بيلبو: «الدونadan. إنه غالباً ما يُنادي بهذا الاسم هنا. ولكن أعتقد أنك تعرف لغة الجن بالقدر الكافي، على الأقل دون - أدان: رجل الغرب، نومينوريان. ولكن

(1) الأربع الأربع Four Farthings - المعنى الأصلي لكلمة (Farthing) في اللغة الإنجليزية هو (الجزء الرابع «أى ربع بنس») - والإشارة هنا إلى أقسام المقاطعة (Shire)، حيث كانت مقسمة إلى أربعة أربع - الشرقي، الغربي، الشمالي، الجنوبي. (المترجم)

ليس هذا وقت الدُّرُوس!» والتفت إلى سترابيدار، وسأله: «أين كنت يا صديقي؟ لماذا لم تكن في الوليمة؟ السيدة أروين كانت هناك؟».

نظر سترابيدار لأسفل إلى بيلبو في وقار ورزانة وقال: «أعلم ذلك. ولكن ينبغي على من وقت لآخر أن أضع المرح جانباً. لقد عاد إلادان وإلروهير من البرية على نحو غير متوقع، وكانت لديهما أخبار كنت أحب أن أسمعها في الحال».

وقال له بيلبو: «حسناً، يا رفيق العزيز، والآن وقد سمعت الأخبار، ألا يمكنك أن تعطيني لحظة من وقتك؟ إنني بحاجة إلى مساعدتك في شيء ملح. إلروندي يقول إن أغتنى هذه يجب أن تنتهي قبل نهاية المساء، وأنا توقفت ولا أستطيع الإكمال. دعنا نذهب إلى ركن من الأركان ونصلقها ونحسنها!».

وابتسم سترابيدار وقال: «هيا إذن! دعني أسمعها!».

وترك فرودو بمفرده لبعض الوقت، لأن سام راح في النوم. كان بمفرده، وشعر بأنه بائس محروم، على الرغم من أن أهل ريفنديل كانوا كلهم حوله في كل مكان. ولكن أولئك الذين كانوا قريبيين منه، كانوا صامتين، مركزين في موسيقى الأصوات الموسيقية، ولم يعيروا أي انتباه لأي شيء آخر. وبدأ فرودو ينصلق.

في البداية، سحرته الألحان والكلمات المتمازجة بلغات الجن - على الرغم من أن فهمه لها كان قليلاً - بمجرد أن بدأ يعيرها انتباهه وينصلق. كان يبدو أن الكلمات قد تشكلت بأشكال تقربياً، وفتحت أمامه رؤى لأراض بعيدة وأشياء لامعة براقة لم يتخيّلها من قبل أبداً؛ وأصبح البهلو المضاء بالنار مثل مديم ذهبي فوق بحار من زبد ينحدر فوق حواف العالم. بعد ذلك أصبح السحر مثل الحلم بشكل متزايد، حتى شعر أن نهر لا نهائياً من ذهب وفضة رائعين متعاظمين كان يتذبذب فوقه، كان وفيما في نوعه ونمطه لدرجة أنه لا يمكن الإلمام به وفهمه؛ أصبح النهر جزءاً من الهواء النابض الذي يحيط به<sup>(1)</sup>، وأحاط به<sup>(2)</sup> وأغرقه<sup>(3)</sup>. وغاص سريعاً تحت نظله الساطع في عالم عميق من النوم.

وهناك طاف لفترة طويلة في حلم من الموسيقى تحولت إلى مياه جارية، بعد ذلك تحولت فجأة إلى صوت. كان يبدو أنه صوت بيلبو يغنى أبياتاً شعرية. كانت الكلمات ضعيفة خافتة في البداية، وبعد ذلك جرت بشكل أكثر وضوحاً.

كان إيرينديل بحاراً  
بقي في آرفيرن،  
بني قارباً من الخشب المقطوع

(1) ضمير الغائب (هـ) يعود على فرودو (المترجم)

(2) السابق (المترجم)

(3) السابق (المترجم)

فِي نِيمِبِرِيشِيلِ لِيْرِ تَحْلِ فِيهِ؛  
نِسْجُ أَشْرَعْتَهُ مِنْ الْفَضْةِ الْجَمِيلَةِ،  
وَصَنَعْتَ مَصَابِيحَهُ مِنْ الْفَضْةِ،  
كَانَتْ مَقْدَمَتَهُ مِثْلَ طَائِرِ تَمِّ،  
وَرَوْضَعُ الضَّوءِ عَلَى رَأْيَاتِهِ.

فِي دَرَعِ كَامِلَةِ الْمَلُوكِ الْقَدَامِيِّ،  
فِي حَلَقَاتِ مَسْلِسَلَةِ دَرَعِهِ؛  
كَتَبَ عَلَى دَرَعِهِ الْلَّامِعِ بِحَرْوَفِ رَوْنِيَّةٍ  
لِيَدِرُّ أَكْلَ الْجَرْوَحِ وَكُلَّ الْأَذَى عَنْهُ؛  
كَانَ قَوْسَهُ مَصْنُوعًا مِنْ قَرْنَ تَنِينِ،  
وَمِنَ الْأَبْنُوسِ صَنَعْتَ أَسْهَمَهُ،  
وَكَانَ دَرَعَهُ مِنْ الْفَضْةِ،  
وَمِنَ الْعَقِيقِ الْأَبْيَضِ كَانَ خَمْدَهُ؛  
وَمِنَ الْصَّلَبِ صَنَعَ سَيفَهُ شَجَاعَةً،  
وَمِنَ الْأَدْمَنَتِ كَانَتْ خَوْذَتَهُ طَوْلًا،  
وَرِيشَةُ نَسْرٍ فَوْقَ خَوْذَتِهِ،  
وَفَوْقَ صَدْرِهِ حَجَرُ زَمَرَدٍ.

أَسْفَلَ الْقَمَرِ وَتَحْتَ النَّجَومِ  
رَاحَ يَطُوفُ بَعِيدًا عَنِ الشَّوَاطِئِ الشَّمَالِيَّةِ،  
مَذْهَوْلًا مَرْتَبَكَا فِي طَرَقِ مَسْحُورَةِ  
وَرَاءِ عَهُودِ الْأَرْضِيِّ الْفَانِيَّةِ.  
مِنْ صَرِيرِ الْجَلِيدِ الضَّيقِ  
حِيثُ يَقْعُدُ الظَّلُلُ عَلَى تَلَالِ مَتْجَمَدةِ،  
مِنَ الْمَوَاضِعِ الْحَارَّةِ السَّفْلِيَّةِ وَالْمَخَلَافَاتِ الْمُحْتَرَقَةِ  
عَادَ عَلَى عَجَلٍ، وَلَا يَزَالُ يَطُوفُ  
فِي بَحَارٍ لَا نَجَومَ فِيهَا تَائِهًا، بَعِيدًا  
وَجَاءَ فِي النَّهَايَةِ إِلَى لَلَّيلِ الْعَدَمِ،  
وَمِنْ، وَلَمْ يَرَأِي مَشَهَدَ قَطْ.

جاءت رياح الغضب تقوده وتدفعه،  
وراح هو يفر في الزبد على نحو أعمى  
من الغرب إلى الشرق دونما غرض،  
وراح يسرع نحو الوطن دون توقع.

هناك جاءت إليه الونج طائرة،  
وأضاءت شعلة في الظلمة؛  
أكثر لمعاناً من ضوء الألماس  
كانت النار التي فوق عقدها.  
ربطت جوهرة السليماري ل عليه  
وتوجته بالضوء المتفقد  
وبعد ذلك في بسالة بجبين متوجه  
أدبار مقدمة مركبة؛ وفي الليل  
من العالم الآخر وراء البحر  
هبت هناك ريح قوية وحرة،  
ريح قوة وسلطة في تارمينيل؛  
وعبر طرق ندر أن يسلكها الفانون ذهب  
قاربه تحمله بنسيم فارس  
كما لو كان قد أصيب بالموت عبر البحار  
الرمادية والمهجورة منذ زمن؛  
من الشرق إلى الغرب مضى بعيداً.

وتحمل عائداً عبر «الليل السردي»  
على أمواج مظلمة هائجة تجري  
فوق فراسخ غير مظلمة وشواطئ غارقة  
خرقت قبل أن تبدأ العهود،  
حتى سمع على جداول من لؤلؤ  
حيث ينتهي العالم الموسيقي منذ زمن،  
حيث تدحرج الأمواج العظيمة المزبدة دوماً  
الذهب الأصفر والجواهر الشاحبة.

رأى الجبل يرتفع في صمت  
حيث يقع الشفق فوق ركبي  
فالينور، ورأى إدامار  
على بعد وراء البحار.  
هائما هرب من الليل  
وجاء أخيرا إلى ملاذ أبيض،  
إلى وطن الجن الأخضر الجميل  
حيث الهواء رائع، وحيث تسطع ناصعة مثل الزجاجة  
أسفل تل إمارين  
متوهجة في حافة التل  
أبراج تيريون المضاء بالمسابيع  
تنعكس على بركة الظل.

بقي هناك من التجوال،  
وعلمه الألحان والأغاني،  
وأخبره الحكام الكبار الأعجيب،  
وأحضروا له قيئارات من ذهب.  
بعد ذلك ألبسوه ثيابا بيضاء جنية،  
وأرسلوا سبعة مصابيح أمامه،  
حيث ذهب عبر طريق الضوء<sup>(1)</sup>  
إلى أرض خفية مهجورة.  
وصل إلى الأبهاء السرمدية  
حيث تسقط السنوات التي لا حصر لها ساطعة،  
وحكم الملك الأكبر لا نهائيا  
في المارين فوق حافة الجبل؛  
عندئذ جرى الحديث بكلمات غير مسموعة  
عن قوم الإنس وعشائر الجن،

<sup>(1)</sup> Calacirian و معناها (<Pass of Light>)، وتعني طريق النور [موقع Calacirian <http://www.glyphweb.com/arda/default.asp?url=http://www.glyphweb.com/arda/c/calacirian.html>] (المترجم)

وراء العالم كشف عن مناظر  
محظورة على أولئك الذين يسكنون هناك.

عندئذ بني سفينة جديدة له  
من الميثريل<sup>(1)</sup> ومن الزجاج الجني  
بمقدة ساطعة؛ لم تحمل مجدافاً مكتشوطة  
ولا شراعاً على صاربة فضية:  
جوهرة السيلماريل كضوء مصباح  
وعلم لامع بشعلة حية  
ليومض عليها وضعته البرت  
بنفسها، التي جاءت إلى هناك  
وصنعت له أجنحة سرمدية،  
ووضعت عليه قدرًا أبدیاً،  
لنجوب السماوات عديمة الشيطان بمركبها ويأتي  
وراء الشمس وضوء القمر.

من تلال إيفريفين<sup>(2)</sup> الساقمة  
حيث تسقط النافورات الفضية في رقة  
حملته أجنحته، ضوءاً هائماً،  
وراء الجدار الجبلي الغظيم.  
من نهاية العالم - عندها - دار بعيداً،  
واشترق مجدداً ليجد على البعد  
وطنه عبر الترحال خلال الظلال،  
وجاء يتوجه مثل نجمة جزيرة  
عالياً فوق السديم،  
لهب بعيد أمام الشمس،  
أعجوبة قبل بزوغ الفجر  
حيث تجري مياه نورلاند رمادية.

(1) الميثريل Mithril - معدن أسطوري نفس وفضى، أقوى من الصلب ولكنه أخف منه وزناً. [موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Mithril> على شبكة الانترنت (المترجم)]

Evereven (2)

ومن فوق الأرض الوسطى  
وسمع أخيراً البلاء المحزن  
للنساء وعذارى الجن  
في العهود الأولى، في السنين الخواли.  
ولكن وضع عليه قدر عظيم،  
حتى يتلاشى القمر، ويمر نجم  
سيار، ولا يمكن مطلقاً أكثر من ذلك  
على الشواطئ القرية حيث يوجد الفانون؛  
حيث لا يزال هناك للأبد رسول  
في مهمة لا تنتهي مطلقاً  
ليحمل مصابيحه الساطع بعيداً،  
اللامنفير من مملكة الأرض الغربية

وتوقف الغناء. وفتح فرودو عينيه ورأى أن بيلبو كان جالساً في مقعده وسط دائرة من المستمعين، الذين كانوا يتسمون ويصفون.  
وقال جني: «والآن، من الأفضل أن نسمعها مرة أخرى». ونهض بيلبو من مكانه وانحني، وقال: «إبني أشعر بكل الفخر، يا ليندир. ولكن سيكون من المرهق للغاية تكرارها كلها مرة أخرى». وأجا به أفراد الجن في ضحك: «ليس متعباً للغاية بالنسبة لك. أنت تعرف أنك لا تتعب أبداً من تكرار أشعارك. ولكن في الواقع لا يمكننا أن نجيب عن مسألك في جلسة واحدة!». وصاح بيلبو: «ماذا! لا يمكنكم أن تعرفوا أي أجزاء كانت من نظمي، وأيها كان من نظم دونadan؟».

وقال جني: «ليس من السهل علينا أن ندرك الفروق بين الاثنين الفانين». وصاح في دهشة: «هراء، يا ليندир. إذا لم تستطع أن تميز ما بين إنسني وهوبيني، فإن حكمك يكون أسوأ مما كنت أتخيل. إنهم مختلفان تمام الاختلاف – اختلاف البازلاء عن التفاح».

وضحك ليندир وقال: «ربما. بالنسبة للخraf، تبدو الخراف الأخرى بلا شك مختلفة. أو بالنسبة للرعاة. ولكن الفانين لم يكونوا محل دراستنا. حيث لدينا شئون أخرى».

وقال له بيلبو: «لن أجادل معك. إنني أشعر بالنوم بعد كل هذه الموسيقى والغناء. سوف أتركك لتختمن، إذا كنت تريد ذلك».

ونهض من مكانه وأتى باتجاه فرودو، وقال بصوت منخفض: «حسناً، انتهي الأمر. لقد سارت الأمور أفضل مما توقعت. لا يُطلب مني كثيراً أن أكرر مرة أخرى. ما رأيك فيها؟».

وقال له فرودو وهو يبتسم: «لن أحاول وأختمن».

وقال له بيلبو: «لست في حاجة إلى ذلك. في الواقع الأمر، كانت كلها من نظمي أنا. باستثناء أن أراجون أصر على وضع حمراً أخضر. كان يبدو أنه يعتقد أنه مهم. ولا أدرى لماذا؟ يخالف ذلك، فإنه كان يرى بكل وضوح أن الأمر برمه فوق قدراتي، وقال: إذا كانت قد واتتني الجرأة ونظمت الشعر عن إيرينديل في منزل إلروند، فهذا شأنني أنا. أعتقد أنه كان على صواب».

قال له فرودو: «لا أدرى. لقد بدت لي أنها مناسبة بحال من الأحوال، على الرغم من أنني لا أستطيع تفسير ذلك. لقد كنت نصف نائم عندما بدأت، وبدا أنها تتبع من شيء كنت أحلم بها. ولم أفهم أنك كنت تتحدث حقاً حتى قرب النهاية».

وقال له بيلبو: «من الصعب أن تظل مستيقظاً هنا، حتى تعتاد على ذلك. ليس لأن الهوبيتين سوف يكتسبون الشهية الجنية للموسيقى والشعر والحكايات حقاً. إنه يبدو أنهم يحبونها مثل حبهم للطعام، أو يزيد. وسوف يواصلون ذلك لوقت طويل أيضاً. ما رأيك في أن ننسى بعيداً ونتحدث معاً في هدوء لبعض الوقت؟».

وقال له فرودو: «وهل يمكننا ذلك؟».

«بالطبع. هذا مرح وليس عملاً. تعالَ وافعل ما تريده، شريطة ألا تحدث أي ضوضاء».

ونهض الاثنان وانسحبا في هدوء إلى الظلال، واتجها نحو الأبواب. وتركا سام وراءهما، نائماً نوماً عميقاً ولا تزال على وجهه ابتسامة. على الرغم من سرور فرودو الشديد وابتهاجه بصحبة بيلبو، إلا أنه أحس بوخزة ندم وهو يعبران خارج بهو النار. حتى وهو يخطوان على عتبة الباب، ارتفع صوت واضح واحد بالغناء.

ووقف فرودو للحظة، ونظر للوراء. كان إلروند في مقعده وكانت النار في وجهه مثل ضوء الصيف عندما يقع على الأشجار. كانت المسيدة إروين تجلس بالقرب منه. ولدهشة فرودو، فإنه رأى أن أراجورن كان يقف إلى جوارها؛ وكان معطفه الأسود مطروحاً للخلف، وكان يبدو أنه مرتد درعاً جنباً، وكانت هناك نجمة تسقط على صدره. كانوا يتحدثان معاً، وبعد ذلك فجأة بدا لفرودو أن إروين التفت باتجاهه، وسقط ضوء عينيها عليه من بعيد واخترق قلبه.

وقف ساكناً مسحوراً، في حين جاءت المقاطع الجميلة للأغنية الجنية مثل قطع مجواهرات صافية من مزيج من الكلمة واللحن، وقال بيلبو: «إنها أغنية إلى البريت. سوف يغنوون هذه، وأغاني أخرى عن المملكة المباركة، مرات عديدة هذه الليلة. هيا بنا!».

وقاد فرودو عائداً إلى غرفته هو الصغيرة. كانت تفتح على الحدائق وتطل جنوباً عبر وادي البرويين. وهناك جلساً بعض الوقت، ينظران من النافذة إلى النجوم الساطعة فوق الغابة الصاعدة شديدة الانحدار، وراحوا يتحدثان بصوت منخفض. لم يواصلا الحديث عن الأخبار الصغيرة الخاصة بالمقاطعة هناك بعيداً، ولا عن الأشباح الشريرة والأخطار التي حاصرتهم، ولكن تحدثاً عن الأشياء الجميلة التي رأوها معاً في العالم، وعن الجن، وعن النجوم، وعن الأشجار، وعن فصل الخريف اللطيف للسنة الساطعة في الغابة.

وأخيراً جاء طرق على الباب، وجاء صوت سام يقول وهو يطل برأسه: «أستميحك عذراً يا سيدي، ولكنني كنت أسألك إذا كنت تحتاج أي شيء».

ورد عليه بيلبو قائلاً: «كما أنتي أستميحك عذراً يا سام جامجي. أعتقد أنك تقصد أنه حان الوقت ليذهب سيدك للفراش».

«حسناً، يا سيدي، هناك مجلس صباح الغد الباكر، على ما سمعتُ، ولم يستيقظ إلا اليوم للمرة الأولى».

وضحك بيلبو وقال: «أنت حق تماماً يا سام. يمكنك أن تذهب مسرعاً وتخبر جنديك أنه ذهب للفراش. طابت ليلىك، يا فرودو! ليحفظني الله، ولكن كان من الطيب أن أراك مجدداً! ليس هناك أناس مثل الهوبيتين على أية حال لتجاذب أطراف حديث حقيقي. لقد كبرت جداً، وبدأت أسألك إذا كنت سأعيش مطلقاً لأرى فصولك في قصتنا. طابت ليلىك! سوف أتمشى، فيما أعتقد، وأنظر إلى نجوم البريت في الحديقة. أتمنى لك نوماً جيداً!».

## الفصل الثاني

### مجلس إلروند

في اليوم التالي استيقظ فرودو مبكراً، وهو يحس بالانتعاش وتحسن صحته. مشى عبر المصاطب فوق نهر البرويين الذي يتدفق عالي الصوت، وراح يشاهد الشمس الشاحبة الباردة تشرق فوق الجبال البعيدة، وترسل ضوءها ساطعاً لأسفل، ليخترق السديم الفضي الرقيق؛ كان الندى فوق الأوراق الصفراء يتوجه، وكانت الشياك المحبوبة من أغشية لعب الشمس<sup>(١)</sup> تتلاأً عند كل أجمة. كان سام يمشي إلى جواره، ولا يتفوّه بكلمة، ولكن يشم الهواء، وينظر من آن لآخر وعجب ودهشة في عينيه إلى المرتفعات الكبيرة في الشرق. كان الجليد أبيض فوق القمم.

على مقعد منحوت في الصخر إلى جوار منعطف في الطريق، وصلا إلى جنلوف وبيلبو وهما مستقرقان في الكلام، وقال لهما بيلبو: «مرحباً! صباح الخير! هل تشعر بأنك جاهز للمجلس العظيم؟».

وأجابه فرودو قائلاً: «إنني أشعر أنني جاهز لأي شيء. ولكن أهم من كل شيء أود أن أذهب للمشي اليوم واستكشاف الوادي. أود أن أصل إلى غابة الصنوبر هذه هناك». وأشار بيده بعيداً لأعلى إلى جانب ريفنديل نحو الشمال.

وقال له جنلوف: «ربما تناح لك فرصة لذلك فيما بعد. ولكن لا يمكننا وضع أي خطط بعد. هناك الكثير يجب سماعه واتخاذ القرار بشأنه اليوم».

وفجأة، بينما كانوا يتكلمون، جاء صوت رنين جرس واحد واضح. وصاحت جنلوف: «هذا هو جرس التبيه لمجلس إلروند. هيا بنا الآن! كلاماً - أنت وبيلبو - مطلوب».

وتبع كل من فرودو وبيلبو الساحر بسرعة عبر الممر المتعرج عائدين إلى المنزل؛ وجاء سام وراءهم يجري، دون دعوه وقد نسي في هذه اللحظة.

قادهم جنلوف إلى الرواق في المكان الذي وجد فرودو فيه أصدقاءه مساء أمس. كان ضوء صباء الخريف الصافي يتوجه آذاك في الوادي. كان صخب المياه الهدارة يأتي من قاع النهر المزبد. كانت الطيور تغنى، وكان يرقد على الأرض سلام صحي. بدا لفرودو بالفعل أن هروبه الذي كان محفوفاً بالمخاطر، وشائعات الظلمة التي تتزايد

(١) مخاط الشيطان، أو لعب الشمس: غشاء كثيف العنكبوت يطفو في الهواء حين يصفر الجو [قاموس المورد] (المترجم)

في العالم الخارجي، لم تعد سوى ذكريات حلم مضطرب؛ ولكن الوجه التي التفت لتقابليهم وهم يدخلون كانت جادة وفورة.

كان إلروند موجوداً، وكان هناك عديدون آخرون يجلسون في صمت حوله. رأى فرودو كلاً من جلورفنديل وجلوين؛ وفي ركن بمفرده كان يجلس سترايدار، مرتدياً مرة أخرى ملابسه القديمة التي أبلاها السفر. أخذ إلروند فرودو ليجلس في مقعد إلى جواره، وقدمه إلى المجتمعين، قائلاً:

«ها هو يا أصدقائي الهوببيتي، فرودو بن دروجو. قليلون أولئك الذين جاءوا إلى هنا عبر خطر أعظم أو في مهمة أكثر إلحاحاً منه».

بعد ذلك أشار إلى أولئك الذين لم يقابلهم فرودو من قبل وسماهم له. كان هناك قزم أصغر سنًا إلى جوار جلوين: ابنه جيملي. كان إلى جوار جلورفنديل عدة مستشارين آخرين لمنزل إلروند، كان رئيسهم إريستور؛ وكان معه جلدور، وهو جنى من المرافق المظلمة أتى في مهمة من سيردان صانع السفن. كما كان هناك أيضاً جنٍ غريب يرتدي ملابس خضراء وبنية، ليجولاس، رسول من أبيه، ثراندول، ملك جن الغابة المظلمة الشمالية. وكان يجلس بعيداً بعض الشيء رجل طويل له وجه جميل ونبيل، وشعر أسود، وعيان بنيتان، ذو نظرة بها كبريانة وصرامة.

كان مرتدياً معطفاً، ويلبس حذاء طويل الرقبة، كما لو كان في رحلة على صهوة جواد؛ وكانت ثيابه - في واقع الأمر - غنية، ومعطفه مخططاً بالفراء، وكان عليها مسحة من السفر الطويل. كانت ياقته من فضة مرصعة بحجر واحد أبيض؛ كانت خصلات شعره مقصوصة حول كتفيه. وكان يلبس - في حمالة - قرناً عظيماً ذا رأس فضي كان موضوعاً آنذاك على ركبتيه. وحدق في فرودو وبيلبو باستغراب مفاجئ.

وقال إلروند وقد التفت إلى جنللف: «ها هو بورومير، رجل من الجنوب. وصل في الصباح المبكر، ويطلب النصح. لقد أمرته أن يكون حاضراً، لأن أسئلته سوف يجاب عنها هنا».

ليست هناك حاجة إلى سرد كل ما قيل ونوتش في المجلس الآن. لقد قيل الكثير عن الأحداث التي تجري في العالم الخارجي، وعلى وجه الخصوص في الجنوب، وفي الأرضي الواسعة شرق الجبال. كان فرودو قد سمع الكثير من الشائعات عن هذه الأشياء؛ ولكن حكاية جلوين كانت جديدة بالنسبة له، وعندما تكلم القزم، فإنه راح ينصت بانتباه شديد. كان يبدو، أنه وسط روعة أعمال أقزام الجبل الأعزل اليدوية، كانت قلوبهم متعلقة بالمتاعب والمشاكل.

وقال جلوين: «لقد مضت الآن سنوات كثيرة منذ أن أصاب شبح القلق شعبنا. ولم ندرك في بداية الأمر من أين أتى ذلك. بدأت الكلمات همساً في السر: قيل إننا قد حوصلنا في مكان ضيق، وأننا سنعثر على ثروة وعظمة أكبر وأكثر في عالم أكثر رحابة. تكلم البعض عن موريما: الأعمال العظيمة لأبائنا التي يطلق عليها بلغتنا نحن خَرَادُوم؛ وأعلنوا أننا الآن - أخيراً - نملك القوة والأعداد التي تمكنا من العودة».

وتنهد جلوين. «موريما! كم هو عجيب العالم الشمالي! لقد نفينا عميقاً جداً هناك، وأيقظنا خوفاً مجهولاً. لقد رقت قصورها الشاسعة خالية لزمن طويل منذ أن فر أبناء دورين. ولكننا الآن تحدث عنها مجدداً باشتياق، بيد أن الخوف لا يزال يتملكتنا، لأنه لم يجرؤ أي فزم أن يعبر أبواب خَرَادُوم على مدى حيوانات كثيرة من الملوك، باستثناء ثرور فقط، وهلاك. بيد أن باللين أنصت أخيراً للهمسات، وقرر أن يذهب؛ وعلى الرغم من أن داين لم يعط الإذن بذلك طوعية، فإنه أخذ معه أورى وأوين والكثير من شعبنا، ورحلوا إلى الشمال.

«كان ذلك منذ ما يقرب من ثلاثين سنة مضت. وقد وصلتنا أخبار لبعض الوقت وكانت تبدو جيدة: قالت الرسائل أن موريما قد تم دخولها وقد بدأ هناك عمل عظيم. وتلا ذلك صمت، ولم تأت أي كلمة من موريما منذ ذلك الحين.

«في ذلك الحين، بعد سنة، جاء رسول إلى داين، ولكن ليس من موريما - من موردور: خيال في الليل، طلب داين إلى بوابته. إن السيد ساورون الأكبر - هذا ما قاله هو - يتمنى صداقتنا. وسوف يعطي لقاء ذلك خواتم، مثل تلك التي أعطاها في الماضي. وسأل في الحال عن هوبيتين، ومن أي نوع هم، وأين يسكنون، وقال: «لأن ساورون يعرف أن واحداً من هؤلاء كان معروفاً لكم في وقت من الأوقات».

«وقد أصابنا قلق عظيم عند سماعنا ذلك، ولم ندر جواباً. وبعد ذلك انخفض صوته الأخش، ولو استطاع أن يجعله حلواً لفعل، وقال: «كعربون صغير فقط على صداقتنا، يطلب ساورون هذا الطلب: أن تجدوا هذا اللص»، هكذا كانت كلماته، «وتحصلوا منه - سواء كان برغبته أم لا - على خاتم صغير، أصغر الخواتم، الذي سرقه في يوم من الأيام. إنه فقط مجرد شيء تافه في تصور ساورون، وعربون على حسن نواياكم. اعثروا عليه، وسوف تُعاد إليكم ثلاثة خواتم كان سادة الأفراط يمتلكونها في الماضي، وستنول إليكم مملكة موريما للأبد. لتجدوا أخباراً عن اللص وحسب، سواء كان لا يزال حياً وأين يعيش، وسوف تنالون مكافأة عظيمة وصداقة دائمة من السيد. ارفضوا، ولن تبدو الأشياء طيبة بالنسبة لكم. هل ترفضون؟».

«وعند هذه العبارة جاء نفسه مثل هسيس الثعابين، وارتجم كل من كانوا يقفون

بالقرب منه، ولكن داين قال: «إنني لا أقول نعم أو لا. يتحتم علىي أن أدرس هذه الرسالة وما تعنيه تحت غلافها الجميل».

ورد عليه بقوله: «ادرسها جيداً، ولكن لا تستغرق وقتاً طويلاً».

وأجابه داين قائلاً: «إن وقت تفكيري هو وقت أنا ويخصني أنا أقضيه بطريقتي».

«ورد عليه قائلاً: «في الوقت الحاضر»، وبعدها انطلق بحصاته في قلب الظلمة.

صارت قلوب رؤسائنا مثقلة بالكثير من القلق والهم منذ تلك الليلة. لم نكن بحاجة إلى صوت الرسول الأجلّ ليحذرنا ويشعرنا بأن كلماته كانت تنطوي على كل من التهديد والخداع؛ لأننا نعرف بالفعل أن القوة التي دخلت موردور مرة أخرى لم تتغير، وكانت دائمًا تخوتنا في الماضي. وقد عاد الرسول مرتين، وذهب دون أن يحصل على جواب. المرة الثالثة والأخيرة – وكان هذا ما قاله هو – ستأتي قريباً، قبل نهاية العام.

«وهكذا فإنني قد أرسلت أخيراً من جانب داين لأحذر بيليو أن العدو يبحث عنه، ولأعرف». إذا كان ذلك ممكناً، لماذا يريد هذا الخاتم، الذي هو أقل الخواتم. كما أنها تلمس نصيحة إلروند. لأن الشبح يكبر ويزداد قرباً. إننا نكتشف أن الرسل قد جاءوا كذلك إلى الملك براند في الوادي، وأنه خائف. إننا نخشى أن يتسلّم. فالحرب تحتشد بالفعل عند حدوده الشرقية. إننا إذا لم نقدم جواباً، فقد يحرك العدو الإنس الخاسعين لسيطرته ليهاجموا الملك براند، وداين أيضاً».

ورد عليه إلروند قائلاً: «لقد أحسنت فعلاً أن جئت إلينا. سوف تسمع اليوم كل ما تحتاج إليه لكي تفهم أغراض العدو. ليس هناك أي شيء يمكن أن تتعلّمه سوى المقاومة سواء بأمل أو بدون أمل. ولكنكم لا تفرون وحدكم. سوف تعلمون أن مشكلتكم إنما هي جزء من مشكلة العالم الغربي كله. الخاتم! ما الذي ستفعله بالخاتم، أقل الخواتم، الشيء النافه الذي يتصرّف ساوروون؟ هذا هو القرار الذي يجب أن نرى لنا رأياً فيه».

«ذلك هو الغرض الذي دعّيتم من أجله إلى هنا. أقول دعّيتم على الرغم من أنني لم أدعكم إلى، أيها الغرباء من بلاد بعيدة. لقد جئتم وهذا قوبلكم، في تلك اللحظة الحرجة الحاسمة، مصادفة كما قد يبدو. ولكن ليس الأمر كذلك. لكم أن تعتقدوا بالأحرى أن الأمر كان هكذا، إننا نحن الذين نجلس هنا، وليس من أحد غيرنا، ينبغي علينا الآن أن نجد خطة للخطر الذي يتهدّد العالم».

«والآن – بناء عليه – سوف يتم الحديث عن الأشياء بكل صراحة، تلك الأشياء التي خبّئت عن الجميع عدا القليل حتى هذا اليوم. وأولاً، حتى يفهم الجميع ماهية الخطر، سوف تروي عليكم حكاية الخاتم من البداية، بل وحتى تلك اللحظة. وسوف أبدأ هذه الحكاية، على الرغم من أن آخرين سوف ينهونها».

وبعد ذلك راح الجميع يستمعون بينما كان إلروند بصوته الصافي الواضح يتحدث عن ساورون وعن خواتم السلطة، وعن صناعتها في العصر الثاني من العالم منذ زمن طويل. كان جزء من حكايته معروفاً للبعض هناك، ولكن الحكاية بالكامل لم تكن معروفة لأي أحد، والتقت أعين كثيرة إلى إلروند في خوف ودهشة وهو يتحدث عن صواغ الجن من إرجيون وصادقهم مع موريا، وتلهفهم على المعرفة، التي أوقعهم ساورون بها في شراكه. لأنه في ذلك الوقت لم يكن شرًا يرى بعد، وتلقوا منه مساعدته وأصبحوا عظماء في الصنعة، في حين تعلم هو كل أسرارهم، وخانهم، وصاغ سرًا في جبل النار الخاتم الأوحد ليكون سيدها جميعًا. ولكن سيليريمبور كان مدركا له، وأخفى الثلاثة التي كان قد صنعوا؛ وهنا نشب الحرب، ودمرت الأرض وصارت خراباً، وأغلقت بوابة موريا.

بعد ذلك، عبر كل السنين التي تلت ذلك، راح يتبع الخاتم؛ ولكن منذ أن سرد هذا التاريخ في أي مكان آخر، حتى بينما كان إلروند نفسه يسجله في كتابه «المعرفة» الخاص به، فإنه لم يتم استرجاعه هنا. لأنها قصة طويلة، مليئة بالأعمال العظيمة والمروعة، ومع أن إلروند كان يتكلم باختصار، فإن القنطرة صعدت في السماء، وكان الصباح قد انقضى قبل أن يتوقف.

وتحدث عن نومينور، ومجدها وسقوطها، وعودة ملوك الإنس إلى الأرض الوسطى من أعماق البحار، محمولين على أجنحة الريح. بعد ذلك، أصبح إلينديل الطويل وابناء العظيمان، إيسيلدور وأماريون، سادة عظاماً؛ وكونوا مملكة الشمال في آرنور، ومملكة الجنوب في جوندor فوق مصب نهر أندوين. ولكن ساورون ملك موردور هاجمهم، وكونوا آخر تحالف بين الجن والإنس، وحشدت جيوش جيل جالاد وإلينديل في آرنور.

وعلى ذلك توقف إلروند لفترة قصيرة وتنهد، ثم واصل كلامه قائلاً: «إنني أتذكر جيداً روعة أعمالهم ورایاتهم. لقد أعادت إلى ذاكرتي مجد الأيام الخوالي وجيوش بيليرياند، لقد احتشد الكثير من الأمراء والقادة العظام. ومع ذلك لم يكونوا كثريين جداً، ولا بنفس القدر من الجمال، مثلاً ما كان عندما كسر ثانجورودريم<sup>(1)</sup>، وظننت الجن أن الشر قد انتهي إلى الأبد، ولكن لم يكن الأمر كذلك.

«هل تذكر؟» - سأله فرودو، وهو يتحدث بأفكاره بصوت عالٍ في ذهوله. «ولكني كنت أظن»، ولعلهم بينما التفت إلروند إليه: «كنت أظن أن سقوط جيل جالاد كان منذ زمن طويل».

(1) The Mountains of Oppression - ومعناها أي جبال الاضطهاد؛ أو تعني حرفيًّا "mountain group" أي مجموعة جبال الاضطهاد. [موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Thangorodrim> على شبكة الانترنت] (المترجم)

وأجابه إلروند في أسى: «هكذا كان حُقاً. ولكن ذاكرتي تعود للوراء حتى إلى الأيام الخوالي. لقد كان إيرينديل سيدِي، ولد في جوتدولين قبل سقوطها؛ وكانت أمي إلوينج، ابنة دير، ابن لوثين من دوريات. لقد رأيت ثلاثة أحجىال في غرب العالم، والكثير من الهزائم، والكثير من الانصارات عديمة الجدوى».

«كنت رسول جيل جالاد وسرت مع جيشه. كنت في معركة داجورلاد قبل بوابة موردور السوداء، حيث كانت لنا السيادة والتفوق: لأن حربة جيل جالاد وسيف إلينديل، وإيجلوس والنارسيل، لا يمكن أن يقف أمامها شيء. لقد رأيت آخر معركة على منحدرات أورودروين، حيث مات جيل جالاد، وسقط إلينديل، وانكسر سيف النارسيل تحته؛ ولكن ماورون نفسه هُزم، وقطع إيسيلدور الخاتم من يده بقطعة من مقبض سيف أبيه، وأخذه لنفسه».

وعند ذلك دخل الغريب - بورومير، وصاح: «إذن ذلك ما صار إليه أمر الخاتم! إذا كانت هذه القصة قد سُرِدت في الجنوب، فإنها قد نسيت منذ زمن طويلاً. لقد سمعت عن خاتمه العظيم الذي لا نذكر اسمه؛ ولكننا كنا نعتقد أنه فني من العالم في انهيار مملكته الأولى. أخذه إيسيلدور! هذه أخبار حقيقة فعلاً!».

وقال إلروند: «يا للأسف! نعم. أخذه إيسيلدور، الأمر الذي لم يكن ينبغي أن يحدث. كان ينبغي أن يرمي آنذاك في نار أورودروين قرب المكان الذي صنع فيه تقريراً. ولكن قليلاً لاحظوا ما فعله إيسيلدور. وقف بمفرده إلى جوار والده في هذا الصراع الممتهك الأخير؛ ولم يقف إلى جوار جيل جالاد سوى سيردان، وأنا. ولكن إيسيلدور لم ينصت إلى نصيحتنا».

حيث قال: «سوف أخذ هذا كدية لوادي، ولأخي». وبناءً عليه، سواء رغبنا أم أبينا، فإنه أخذه ليذرره. ولكنه تعرض للخيانة في الحال من جراء الخاتم وقاده إلى حتفه؛ ولذلك فإنه أطلق عليه في الشمال اسم لعنة إيسيلدور<sup>(١)</sup>. ولكن ربما كان الموت أفضل مما كان يمكن أن يحل به غير ذلك».

«لم تأت هذه الأخبار إلا إلى الشمال، ولم تصل إلا إلى قلة فقط. ليس من عجب أنك لم تسمع عنها يا بورومير. من أطلاق حقول جلادين، حيث قضى إيسيلدور نحبه، لم يعد على الإطلاق سوى ثلاثة رجال على الجبال بعد كثير من الهيام والترحال. كان أحد هؤلاء الثلاثة أوهتار، الفارس المساعد لإيسيلدور، الذي حمل شظايا سيف إلينديل؛ وأحضرها إلى فلانديل، وريث إيسيلدور، والذي ظل هنا في ريفنديل نظراً لأنه لم

(١) أطلق على الخاتم اسم «Isildur's Bane» أي لعنة إيسيلدور، من جراء ما لحق به من موت بسببه. [موقع en.wikipedia.org/wiki/Isildur (المترجم)]

يُكن سُوى طَفْلٍ. ولكن سيف النار سيل كسر وتلاشى ضوءه، ولم يُعد صُنْعَه من جديد إلى الآن.

«هل أقول عن انتصار الحلف الأخير أنه عديم الجدوى؟ إنه ليس كذلك تماماً، ولكنه لم يتحقق غايتها. لقد تم إضعاف سلطة ساورون، ولكنه لم يُدمر. لقد فقد خاتمه ولكنه لم يُحطم. كسر برج الظلام، ولكن أساساته لم تُزل؛ لأنها صُنعت بقوة الخاتم، وطالما بقي الخاتم فإنها ستبقى. هكذا الكثيرون من الجن، والكثيرون من الإنس، والكثيرون من أصدقائهم الآخرين، في الحرب. ذبح أناريون، وذبح إيسيلدور؛ ولم يعد لكل من جيل جالاد وإنديل أي وجود. لن يكون هناك على الإطلاق مجدداً أي تحالف بين الجن والإنس؛ لأن الإنس يتکاثرون ويقل المواليد الأوائل، وتباعد الشعوب. ومنذ ذلك الحين تضاءل جنس نومينور، وقلت سنو أعمارهم.

«في الشمال بعد الحرب وبعد مذبحة حقول جلادين، تقلص إنس مملكة الأرض الغربية، وألت مدینتهم، مدينة أنومينا، إلى جوار بحيرة إيفينديم<sup>(1)</sup> إلى دمار؛ وأزيل ورثة فالانديل وسكنوا في فورنوست في المرتفعات الشمالية العالية، وهي الآن مهجورة تماماً. يطلق الإنس عليها اسم خندق الرجال الأموات<sup>(2)</sup> ويخشون أن تطأ أقدامهم هناك. لأن أهل آرنور تضاءلوا، والتهمهم أعداؤهم، ومضت أيام سيادتهم وسلطتهم، ولم يخلفوا سوى التلال الجنائزية في التلال الخضراء.

«في الجنوب، استمرت مملكة جوندور طويلاً، وزادت لبعض الوقت فخامتها، مسترجعة بحال من الأحوال عظمة نومينور، قبل أن تسقط. الأبراج العالية التي بناها الناس، والأماكن القوية، ومرافق الكثير من السفن؛ وكانت الشعوب التي تتحدث لغات شتى تنظر إلى الناج المجنح لملوك الإنس في رهبة. كانت مدینتهم الرئيسية - أو سجلييات - «قلعة النجوم»، التي كان يتدفق خلالها النهر. وبنوا مينا إثيل، «برج القمر المشرق» باتجاه الشرق فرق كتف من جبال الظل؛ وباتجاه الجنوب عند سفح الجبال البيضاء صنعوا مينا آنور، «برج الشمس الغاربة». هناك في بلاط الملك زرعت شجرة بيضاء، من بذرة تلك الشجرة التي أحضرها إيسيلدور فوق المياه العميقه، وجاءت بذرة هذه الشجرة من قبل من إريسايا، وقبل ذلك جاءت من أقصى الغرب في العهد الذي سبق العهود عندما كان العالم صغيراً يافعاً.

«ولكن مع انتهاء السنوات السريعة للأرض الوسطى، انقطع خط مينيلديل بن

(1) Lake of Twilight أي بحيرة الشفق [موقع Evendim على شبكة الانترنت] (المترجم)

(2) Deadmen's Dike

أناريون، وذبلت الشجرة، وأصبح دم التومينوريين مختلطًا بدم رجال أقل منهم. بعد ذلك نامت الحراسة التي كانت على جدران موردور، وراحت أشياء سوداء تزحف عائدة إلى جورجوروث. وفي وقت من الأوقات انطلقت أشياء شريرة، واستولت على ميناس إثيل وسكنت فيها، وجعلت منها مكاناً للرعب؛ وأطلق عليها اسم ميناس مورجول، «برج السحر والشعودة». بعد ذلك أطلق على ميناس أنور مجدداً اسم ميناس تيريث، «برج الحماية»؛ وكانت هاتان المدينتان في حرب دائمة، ولكن أو سجيليات التي كانت تقع بينهما مجرت وراحت الأشباح تمشي في أطلالها.

«وهكذا فقد استغرق ذلك حيوانات رجال عديدة. ولكن سادات ميناس تيريث واصلوا حربهم، متهددين أعداءنا، محافظين على طريق النهر من أرجوناث إلى البحر. وهكذا فإن ذلك الجزء من الحكاية التي سأقصها عليكم قد وصل إلى نهايته. لأنه في أيام إيسيلدور، لم تعد هناك أي معرفة بالخاتم الحاكم، وتم تحرير الخواتم الثلاثة من سلطته. ولكن الآن في ذلك العهد الأخير، فإنها تتعرض للخطر مرة أخرى، لأن الخاتم الأوحد - ليالغ حزننا - قد تم العثور عليه. سوف يتكلّم آخرون عن العثور عليه، لأنني لعبت دوراً صغيراً في ذلك».

وتوقف عن الكلام، ولكن بورومير وقف في الحال - وكان طويلاً القامة ضخماً فيه كبزياء - أمامهم، وقال: «بإذنك، يا سيدى إلرونـد، واسمح لي أولاً أن أقول المزيد عن جوندور، لأنني بحق جئت من أرض جوندور. وسيكون جيداً بالنسبة للجميع أن يعرفوا ما يجري هناك. لأنني أعتقد أن قليلاً يعرفون عن أعمالنا، ومن ثم يحسبون خطرهم صغيراً، إذا نحن أخفقنا في نهاية الأمر».

«لا تعتقدوا أن دم تومينور أريق في أرض جوندور، ولا أن كل كبرياته وكرامته قد نسيت. ببسالتنا وشجاعتنا لا يزال الشعب الهمجي في الشرق تحت السيطرة، وتم كبح رعب مورجول؛ وبهذه الطريقة فقط تم الحفاظ على السلام والحرية في الأرضي وراءنا، حصن الغرب. ولكن إذا تم الفوز بمعرات النهر، فما الذي سيحدث عندئذ؟

«بيد أن هذه الساعة - ربما - ليست الآن بعيدة. لقد نهض العدو المجهول مرة أخرى. يرتفع الدخان مرة أخرى من أورودروين الذي نسميه نحن جبل الهلاك. إن قوة الأرض السوداء تكبر وإننا فلقون بشكل كبير. عندما عاد العدو، طرد شعبنا من إثيليين، مقاطعونا الجميلة شرق النهر، على الرغم من أننا احتفظنا بقاعدة حصينة هناك وقوة الأسلحة. ولكن في هذه السنة تحديداً، في أيام شهر يونيـو، بااغتنـا حرب مفاجئة من موردور، وقد تم اكتساحـنا بعيداً. كان عدهم يفرق عدتنا، لأن موردور قد

تحالفت مع الشرقيين<sup>(1)</sup> والهارادريميين<sup>(2)</sup> المتخشين؛ ولكننا لم نُهزم لقلة عدتنا وزيادة عددهم. كانت هناك قوة لم نشعر بها من قبل.

«قال البعض إنه كان يمكن رؤيتها، مثل خيال أسود عظيم، شبح أسود تحت القمر. في أي مكان كان يجيء فيه، كان الجنون يملأ أعداءنا، ولكن كان الخوف يقع على أكثرنا شجاعة، ولذلك كان يستسلم الرجل والحسان ويفران. لم يعد سوى بقایا من قوتنا الشرقية، ودمروا آخر جسر كان لا يزال واقفاً وسط أطلال أو سجينيات.

«كنت في المجموعة التي كانت تحمي الجسر، حتى تم إسقاطه وراءنا. لم ينج سوى أربعة سياحين: أخي وأنا واثنين آخرين. ولكننا لا نزال نحارب، مستولين على كل الشواطئ الغربية في أندوين؛ وأولئك الذين يحتمون وراءنا ويتضمنون يمتدحوننا، إذا حدث وسمعوا اسمنا في أي وقت: كثير من المديح، ولكن قليل من المساعدة. ولن يأتي إلينا الآن أي رجال إلا من روهان عندما نطلب المساعدة.

«في هذه الساعة الشريرة جئت في مهمة، قاطعاً فراسخ كثيرة خطيرة، إلى إلروند: لقد ارتحلت لمدة مائة وعشرة أيام بمفردي تماماً. ولكنني لا أبحث عن حلفاء في الحرب. إن قوة إلروند في الحكم ليس في الأسلحة، كما يقال. لقد جئت أطلب المشورة وحل الكلمات الصعبة. لأنه في عشية الهجوم المفاجئ رأى أخي حلماً في نوم مضطرب؛ وبعد ذلك رأى حلماً مشابهاً لذلك مرة أخرى، ورأيت أنا الحلم مرة.

«في الحلم، أعتقد السماء الشرقية أصبحت مظلمة وكان هناك رعد متزايد، ولكن كان هناك ضوء شاحب متبثق في الغرب، ومن خارج هذا الضوء سمعت صوتاً بعيداً بيده أنه كان واضحاً يصبح:

ابحثوا عن السيف الذي كسر:

إنه في إملادريس؛

سوف يجري هناك أخذ المشورة

أقوى من تعويذات مورجول.

هناك سوف تظهر علامه

على أن الهايك قرير،

(1) Easterlings – إشارة إلى الأنس الذين كانوا يسكنون في شرق الأرض الوسطى [ <http://en.wikipedia.org/wiki/Easterlings> ] (المترجم)

(2) Haradrim – هم جنس من البشر [ <http://en.wikipedia.org/wiki/Haradrim> ] (المترجم)

لأن لعنة إيسيلدور سوف تستيقظ ،  
سوف يهب النصف<sup>(١)</sup> واقفا .

استطعنا أن نفهم القليل من هذه الكلمات وتحدىنا إلى أبينا، دنثور، سيد ميناس تيريث، الحكيم في علم جوندور. وكان ما قاله هو ذلك فقط، أن إملادريس كان في الماضي الاسم المعروف بين الجن لواد شمالي بعيد، حيث كان يسكن إلروند نصف الجني، أعظم أساطير المعرفة. ومن ثم فإن أخي، لما رأى مدى ما كنا فيه من مسيس الحاجة، كان متلهفاً على تدبر الحلم والبحث عن إملادريس؛ ولكن حيث إن الطريق كان مليئاً بانزياحة والخطر، فقد أخذت الرحلة على عاتقي. كان أبي كارها لأن يعطيوني الإذن، وقد تجولت كثيراً في طرق منسية، أبحث عن منزل إلروند، الذي سمع عنه الكثيرون، ولكن قليلاً الذين يعرفون أين يقع».

وقال له أراجورن وهو يقف: «وهنا في منزل إلروند سوف يُوضح لك المزيد». وألقى سيفه على الطاولة التي كانت تقف أمام إلروند، وكان النصل مقسماً نصفين، وقال: «ها هو السيف الذي كسر!».

وتساءل بورومير، وهو ينظر في دهشة إلى وجه المجنوّن التحيل ومعطفه الذي تبدو عليه آثار السفر: «ومن أنت، وما شأنك أنت بميناس تيريث؟».

ورد عليه إلروند قائلاً: «إنه أراجورن بن أراثورن، وهو انحدر عبر آباء كثيرين من ابن إيسيلدور إلينديل من ميناس إثيل. إنه زعيم الدونادانيين في الشمال، وهناك قليلاً من تركوا حالياً من هذا الشعب».

وصاح فرودو في دهشة وهو يقفز على قدميه كما لو كان قد توقع أن الخاتم سيطلب منه في الحال: «معنى هذا أنه يخصك، ولا يخصني أنا على الإطلاق!».

ورد عليه أراجورن: «إنه لا يخص أيّاً منا، ولكن قدر عليك أن تحافظ به لبعض الوقت».

وقال جنديل في وقار لفرودو: «أخرج الخاتم يا فرودو! لقد حان الوقت. أمسك به أمامنا، وعندئذ سوف يفهم بورومير باقي لغزه».

وساد آنذاك صمت، وأدار الجميع أعينهم ونظروا إلى فرودو. هزه خجل مفاجئ وخوف؛ وشعر بمعارضة كبيرة في كشف الخاتم، واشمئزاز من لمسه. تمنى أن لو كان بعيداً. كان الخاتم يتوهج ويلمع وهو يمسك به أمامهم بيده المرتعشة.

(١) النصف، Halfling – اسم بديل يطلق على الواحد من انهوريتين، حيث إنهم شبيهون بالبشر إلا أنهم في نصف حجمهم. [موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Halfling>] (ولعل أفضل مقابل له في الكلمة المصرية هو «النص») (المترجم)

وقال إلروند: «انظر إلى لعنة إيسيلدور!».

وتلالت علينا بورومير وهو يحدق في الشيء الذهبي، وغمغم بينه وبين نفسه: «النصف! هل مصير ميناس تيريث جاء أخيراً إذن؟ ولكن لماذا يجب علينا إذن أن نبحث عن سيف مكسور؟».

وقال له أراجورن: «الكلمات لم تكن مصير ميناس تيريث. ولكن المصير والأعمال العظيمة قريبة حقاً. لأن السيف الذي كسر هو سيف إلينديل الذي انكسر تحته عندما وقع. وقد احتفظ به ورثته عندما فقدت كل الأملة؛ لأنه جرى الحديث قدّيماً بينما أنه ينبغي أن يُصنع مرة أخرى عندما يتم العثور على الخاتم، لعنة إيسيلدور. والآن لقد رأيت السيف الذي كنت تبحث عنه، ما الذي ستسأل عنه؟ هل ترغب في أن يعود منزل إلينديل إلى أرض جوندor؟».

وأجابه بورومير بكمبriاء: «أنا لم أرسل لأرسنل أي عطايا أو هبات، ولكن لكي أبحث فقط عن معنى اللغز. ولكننا في ورطة كبيرة، ومن شأن سيف إلينديل أن يكون مساعدة فوق كل أمالنا – إذا كان لذلك الشيء حقاً أن يعود من ظلال الماضي». ونظر مرة أخرى إلى أراجورن، وكان في عينيه شك.

وأحس فرودود بيلبو يتحرك في نفاد صبر بجواره. من الواضح أنه كان متزعجاً نيابة عن صديقه. ووقف فجأة وانخرط يردد:

كل ما هو ذهب لا يلمع،  
ليس كل من يتجلبون تائبين؛  
القديم الذي هو قوي لا يذبل،  
الجذور العميقه لا يصلها الصقيع.

من الرماد سوف تشتعل نار،  
وسوف ينبع ضوء من الظلام؛  
سيتجدد نصل كان قد كسر،  
ومن فقد تاجه سيكون ملكاً مرة أخرى.

وجلس في مكانه وهو يزمر في ازدراء: «ربما لا يكون جيداً جداً، ولكنه في صميم الموضوع – إذا كنت تحتاج إلى المزيد أكثر من كلام إلروند. إذا كان ذلك مستاهلاً لرحلة قدرها مائة وعشرة أيام لتسمعه، فإنه من الأفضل أن تستمع إليه».

وهمس إلى فرودو قائلًا: «لقد صفت هذه بنيتي من أجل الدونادان، منذ زمن طويل مضى عندما أخبرني للمرة الأولى عن نفسه. إنني أكاد أتمنى أن لم تكن مغامراتي قد انتهت، وأن يكون بإمكانني أن أذهب معه عندما يأتي يومه». \*

وابتسم أراجورن له؛ بعد ذلك التفت إلى بورومير مرة أخرى، وقال: «من ناحيني، فإنني أغفو عنك. إنني أشبه قليلاً تمثالي إلينديل وإيسيلدور وهما يقان منحوتين في جلالهما في أبهاء دنثور. إنني لست سوى وريث إيسيلدور، وليس إيسيلدور نفسه. لقد عشت حياة صعبة وطويلة؛ والفراسخ التي تقع بين هذا المكان وبين جوندور إنما هي جزء صغير في حساب رحلاتي. لقد عبرت جبالاً كثيرة وأنهاراً كثيرة، ووطئت قدماي سهولاً كثيرة، حتى إلى بلاد رهون وهاراد البعيدة حيث النجوم هناك غريبة. ولكن وطني، مثلاً كان لدى، في الشمال. لأنه هنا سكن ورثة فالانديل في زمانهم في خط لم ينكسر من أب إلى أب لأجيال كثيرة. لقد أظلمت أيامنا، وتضاءلتنا نحن؛ ولكن كان السيف ينتقل دائمًا إلى حامٍ جديد. وهذا سوف أقوله لك يا بورومير قبل أن أنتهي من كلامي. قوم عزل نحن، جوالو البرية، صيادون - ولكن صيادون دوماً لخدم العدو؛ لأنهم يتواجدون في أماكن كثيرة، ليس في موردور فقط.

«إذا كانت موردور، يا بورومير، برجًا قوياً حصيناً، فقد لعينا دوراً آخر. هناك الكثير من الأشياء الشريرة لا يمكن لجدرانك القوية وسيوفك اللامعة أن تتصدها. إنك تعرف القليل عن الأرضي الواقع فيما وراء حدودك. السلام والحرية، أتفول ذلك؟ كان الشمال سيعرفها قليلاً لو لانا نحن. كان الخوف سيحطمهم. ولكن عندما تأتي الأشياء الشريرة من التلال التي تخلو من المنازل، أو تزحف من الغابات التي لا ترى الشمس، فإنها تقرّ هنا. ما هي الطرق التي يمكن أن يجرؤ أي أحد أن يطأها، ما هي السلامة التي ستكون هناك في أراض مطمئنة، أو في بيوت الناس البسطاء في الليل، إذا كان الدونادانيون نائمين، أو كانوا قد ذهبوا جميعاً إلى القبور؟

«ومع ذلك فإننا نتلقى شكرًا أقل منكم. فالمسافرون يتوجهون لرؤيتنا، ويسمينا سكان الريف بأسماء ازدرائية. فأنا أسمي «سترايدار» بالنسبة لرجل بدین يعيش في نطاق مسيرة يوم واحد من أعداء يمكنهم أن يجذروا قلبه، أو يدمروا بدلته الصغيرة تماماً، إذا لم يكن يحرس حراسة دائمة. ولكن لن يكون بإمكاننا أن نجعل الأمور غير ذلك. إذا كان الناس البسطاء خالين من الهم والخوف، فإنهم سيكونون بسطاء، وينبغي علينا أن تكون مراً حتى يجعلهم هكذا. كانت هذه مهمة عشيرتي، والستون تتطاول والعشب ينمو.

«ولكن الآن تغير العالم مرة أخرى. جاءت ساعة جديدة. لقد وجدت لعنة إيسيلدور. المعركة وشيكة. سوف يعاد صنع السيف. سوف آتي إلى ميناس تيريث».

ورد بورومير بقوله: «لقد وجدت لعنة إيسيلدور. لقد رأيت خاتماً برأفًا في يد النصف؛ ولكن إيسيلدور هلك قبل أن يبدأ هذا العصر من العالم. كيف يعرف الحكماء أن هذا الخاتم خاتمه؟ وكيف مر هذا الخاتم عبر المئتين، حتى أحضر إلى هنا بواسطة رسول غريب للغاية؟».

ورد إلروند بقوله: «سوف تُحكي حكاية ذلك».

وقال بيلبو: «ولكن ليس بعد، أرجوك، أيها السيد! الشمس تصعد بالفعل مؤذنة بحلول وقت الظهيرة، وأشعر بالحاجة إلى شيء ما ليقويني».

وقال إلروند وهو يبتسم: «إنني لم أذكرك. ولكنني أفعل ذلك الآن. تعال أخبرنا حكاياتك. وإذا لم تكون قد صفت حكاياتك شعرًا بعد، يمكنك أن تحكينا في كلمات عادية بسيطة. كلما كانت مختصرة، كان من الأسرع إنعاشك».

وبداً بيلبو كلامه بقوله: «حسناً جدًا. سوف أفعل ما تأمر به. ولكن الآن سوف أحكى الفضة الحقيقية، وإذا كان البعض هنا قد سمعنى أقصها على خلاف ذلك» – ونظر إلى جانبه إلى جلوين – «فإنني أطلب منهم أن ينسوها ويسامحونى. كنت فقط أرغب في أن أدعى أن الكنز ملكية خاصة بي تماماً في تلك الأيام، وحتى أتخلص من اسم اللص الذي أصدق بي وقتها. ولكن لعلى أكون أفهم الأشياء بشكل أفضل قليلاً الآن. على أية حال، هذا هو ما حدث».

بالنسبة للبعض هناك، فإن قصة بيلبو كانت جديدة تماماً، وكانوا ينتصتون إليها باندهاش في حين أن الهوبيتي العجوز، في الواقع الأمر، لم يكن مستاء على الإطلاق، كان يحكى قصته مع جولام، بالكامل. لم يحذف منها لغزاً واحداً. كما كان يمكنه أن يسرد حكاية حفلته وأخفايه من المقاطعة، إذا كان قد سمح له بذلك؛ ولكن إلروند رفع يده.

وقال: نعم ما أخبرت به يا صديقي، ولكن يكفي هذا في ذلك الوقت. لأنه يكفي في اللحظة الحالية أن نعرف أن الخاتم قد انتقل إلى فرودو، وريثك. ودعه الآن يتكلم!». عندئذ، بدأ فرودو – ولكن بطوعانية ورغبة أقل من بيلبو – يحكى كل تعاملاته مع الخاتم من اليوم الذي انتقل فيه إلى عهده. كل خطوة من رحلته من قرية هوبيتون إلى مخاضة بروينين تم استجوابه عنها ودراستها، وتمت دراسة كل شيء استطاع أن يسترجعه فيما يتصل بالخيالة السود. وأخيراً جلس مرة أخرى.

وقال له بيلبو: «ليس شيئاً. كان يمكنك أن تصنع من ذلك قصة جيدة، لو لا أنه لم يدأبوا على مقاطعتك. لقد حاولت أن أبدى بعض الملاحظات، ولكننا سنتعرض لها كلها مرة أخرى عندما تكون معاً في وقت من الأوقات، إذا قمت بتسجيلها كتابة. هناك فصول كاملة من المادة متاحة للتسجيل قبل أن تصل إلى هنا!».

وأجابه فرودو بقوله: «نعم، لقد كُونتَ قصة طويلة جدًا. ولكن القصة ما زالت تبدو غير مكتملة. لا أزال أريد أن أعرف قدرًا كبيرًا، وعلى وجه الخصوص عن جنْدَلْف».

وسمعه جَلْدور من المراقي، والذي كان يجلس قريباً؛ وصاح قائلًا: «إنك تتحدث نيابة عنِي كذلك». والتفت إلى إلروند وقال: «الحكماء قد يكون لديهم سبب وجيه ليعتقدوا أن كنز النصف في الواقع هو الخاتم العظيم الذي نوقش كثيراً، قد يبدو ذلك من غير المحتمل - على الرغم من ذلك - بالنسبة لأولئك الذين يعرفون قدرًا أقل. ولكن هل بإمكاننا أن نسمع البرهان؟ وإنني أسأل هذا السؤال أيضًا. ماذا عن سارومان؟ إنه عليم بعلم الخواتم، ومع ذلك فهو ليس بيننا. ما هي نصيحته - إذا عرف الأشياء التي سمعناها؟».

وقال إلروند: «الأسئلة التي تسأليها، يا جَلْدور، كلها مرتبطة معاً. إنني لم أغفلها، وسوف تتم الإجابة عنها. ولكن هذه الأشياء، هي الجزء الذي يجب أن يوضحه جنْدَلْف نفسه؛ وإنني أدعوه للحديث أخيراً، لأن ذلك مكان الشرف، وفي كل هذا الأمر كان هو الزعيم».

وقال جنْدَلْف: «سوف يعتقد البعض يا جَلْدور أن أخبار جلوين، يومطاردة فرودو، برهان كاف أن كنز النصف شيء له قيمة عظيمة بالنسبة للعدو. ولكنه خاتم. ماذا إذن؟ التسعة يحتفظ بها الناز جول<sup>(1)</sup>. أما السبعة فقد أخذت أو دمرت». عند هذا تحرك جلوين، ولكنه لم يتحدث. «أما الثلاثة فنحن نعرف أمرها. إذن ما هو ذلك الخاتم الذي يتوق إليه بذلك القدر؟».

«هناك في الواقع مضيعة كبيرة ل الوقت بين النهر والجبل، بين الفقد والعثور. ولكن الفجوة في معرفة الحكماء قد ملئت أخيراً. ولكن ببطء شديد للغاية. لأن العدو كان قريباً جداً في الوراء، بل وأقرب مما كنت أخشى. وحسناً ما كان أنه لم يعلم الحقيقة كاملة إلا هذه السنة، وهذا الصيف على وجه التحديد، حسبما يبدو.

«البعض هنا سيذكرون أنه منذ سنين كثيرة، أنا نفسي تجرأت وعبرت أبواب الساحر الشرير في دول جولدور، وقمت في سرية باستكشاف طرقه، ووجدت بهذه الطريقة أن مخاوفنا كانت حقيقة: لم يكن أحد سوى ساورون، عدونا القديم، أخيراً اتخذ شكلاً وعادت له القوة الثانية. كما أن البعض - أيضاً - سوف يتذكرون كذلك أن سارومان أثنانا عن الأعمال الصربيحة ضده، وظللنا نشاهده فقط لفترة طويلة. ولكن أخيراً، عندما كبر طيفه، استسلم سارومان، وبسط المجلس قوته وطرد الشر من الغابة

(1) Nazgul - ومكونة من مقطعين (Nazg - wraith) و (Gul - spirit) - ومعناها أشباح الخاتم. [المترجم] [http://en.wikipedia.org/wiki/Nazgul]

المظلمة – وكان ذلك في نفس السنة التي عُثر فيها على هذا الخاتم: مصادفة غريبة، إذا كانت هذه مصادفة.

«ولكننا كنا تأخرنا أكثر من اللازم، حسبما توقع إلروند. كما أن ساورون كان يراقبنا كذلك، وكان قد أعد العدة لمحاجمتنا منذ زمن طويل، حيث كان يحكم موردور من بعيد من خلال ميناس مورجول، حيث كان خدامه التسعة يقيمون، حتى بات كل شيء جاهزاً. بعد ذلك فإنه استسلم أمامنا، ولكنه كان يتظاهر فقط بالفرار، وبعد ذلك في الحال عاد إلى برج الظلام وأظهر نفسه صراحة. عندئذ للمرة الأخيرة اجتمع المجلس؛ لأننا علمنا وقتها أنه كان يبحث في لهفة أكثر من أي وقت مضى عن الخاتم الأوحد. وخشينا وقتها أن يكون لديه بعض الأخبار عنه لم نكن نعرف عنها نحن شيئاً. ولكن سارومان قال لا، وكرر ما كان قد قاله لنا من قبل: أن الخاتم الأوحد لم يكن ليتم العثور عليه مرة أخرى في الأرض الوسطى.

وقال: «في أسوأ الأحوال، يعرف عدونا أنه ليس معنا، وأنه لا يزال مفقوداً. ولكن ما فقد من الممكن العثور عليه، حسب اعتقاده. لا تخروا! إن أمله سوف يخونه. ألم أقم أنا بدراسة هذه المسألة دراسة جادة؟ وقد سقط في نهر أندوين العظيم؛ ومنذ زمن طويل، بينما كان ساورون نائماً، فإنه تدحرج عبر النهر إلى البحر. ليرقد هناك حتى النهاية».

التزم جنلوف الصمت، وهو يحدق باتجاه الشرق من الشرفة على القمم البعيدة للجبال الضبابية، التي ظل راقداً عند جذورها العظيمة خطر العالم مختبئاً لزمن طويل، وتنهد. وقال: «في تلك المسألة كنت أنا مخطئاً. لقد خدعوني كلمات سارومان الحكيم؛ ولكن كان ينبغي عليَّ أن أبحث عن الحقيقة على نحو أكثر سرعة، وجعل خطروفاً الآن سيكون أقل».

وقال إلروند: «لقد أخطأنا جميعاً، ولو لا يقتلك ل كانت قوة الشر – ربما – قد داهمنا الآن. ولكن استمر في كلامك!».

وقال جنلوف: «منذ البداية، ساورتنى الظنون والشكوك مع كل ما عرفت من أسباب وعقل، وكانت أرغب في أن أعرف كيف وصل هذا الشيء إلى جولام، وما طول المدة التي امتلكه خلالها. ولذلك وضعت مراقبة عليه، مخمنا أنه سيظهر من ظلمته قبل أن يمضي وقت طويل ليبحث عن كنزه. وجاء، ولكنه هرب ولم يتم العثور عليه. وبعد ذلك للأسف! تركت الأمر جانبًا، واكتفيت بالمراقبة والانتظار، كما كنا نفعل غالباً كثيراً.

«مضى الوقت ومعه هموم ومخاوف كثيرة، حتى استيقظت شكوكى مرة أخرى على خوف مفاجئ. من أين أتى خاتم الهوبيتى؟ ما الذي يجب أن يفعل به، إذا كان خوفي صحيحاً؟ تلك الأشياء ينبغي عليَّ أن أحسمها. ولكن لم أتحدث بعد عن خوفي مع

أي أحد، لعلمي بخطر أي همسة في غير وقتها، إذا ضلت طريقها وانشرت. في كل الحروب الطويلة مع برج الظلام، كانت الخيانة دائمًا عدونا الأعظم.

«كان ذلك منذ سبعة عشر عاماً. وسرعاً أصبحت على علم أن جواسيس من أنواع شتى، حتى من الحيوانات والطيور، تجمعوا حول المقاطعة، وزاد خوفه. وطلبت المساعدة من الدونادين، وتمت مضايقة مراقبتهم؛ وبحث بمكتون صدري لأرجورن، وريث إيسيلدور».

وقال أرجورن: «وأنا أشرت بضرورة مطاردة جولام، على الرغم من أن ذلك ربما يبدو أنه قد فات أوانه. وحيث إنه كان يبدو ملائماً أن وريث إيسيلدور ينبغي عليه أن يك ولعب ليصلاح خطأ إيسيلدور، ذهبت مع جنلوف في رحلة البحث الطويلة واليائسة».

وبعد ذلك حكى جنلوف كيف جابوا أرض التيه باتساعها، حتى إنهم ذهبوا إلى جبال الطل، وأسوار موردور. «وهناك سمعنا شائعة عنه، ونعتقد أنه كان يسكن هناك لزمن طويل في التلال المظلمة؛ ولكننا لم نعثر عليه أبداً، وأخيراً تملكني اليأس. وبعد ذلك في ياسي فكرت ثانية في اختبار من الممكن ألا يجعل هناك حاجة للعثور على جولام. الخاتم نفسه قد يخبرنا إن كان هو الخاتم الأوحد. وعادت إلى ذاكرتي الكلمات التي جرت في المجلس: كلمات سارومان، التي لم يعرها أحد الكثير من الانتباه في ذلك الوقت. سمعت هذه الكلمات الآن بشكل واضح في صدري.

«حيث قال - «التسعة، والسبعين، والثلاثة، كل له جوهرته الملائمة. الخاتم الأوحد ليس كذلك. كان دائرياً وغير مزخرف، كما لو كان خاتماً من الخواتم الأقل قيمة؛ ولكن صانعه وضع علامات عليه ربما يكون بإمكان الماهر أن يراها ويقرأها».

«ولم يتحدث عن ماهية تلك العلامات. من الذي يمكن أن يعرف الآن؟ الصانع. وسارومان؟ ولكن على الرغم من أن علمه قد يكون عظيماً، ولكن ينبغي أن يكون له مصدر. أي يد خلاف يد ساورون سبق أن أمسكت بهذا الشيء، قبل أن يضيع؟ يد إيسيلدور وحده.

«وبهذا التفكير، تخلت عن المطاردة، وذهبت سريعاً إلى جوندور. في الأيام الأولى، كان أفراد طائفتي يستقبلون استقبالاً جيداً هناك، ولكن سارومان كان أكثرهم. لقد كان كثيراً ما يحل ضيفاً على سادات المدينة لزمن طويل. لقد احتفي بي اللورد دنثور حفاوة أقل وقتها مما كان في الماضي، وسمح لي على مضض بالبحث بين مخزون مطوياته وكتبه.

وقال لي «إذا كنت في الواقع تبحث فقط - كما تقول - عن سجلات عهود ماضية، و بدايات المدينة، واصل قراءتك! لأنه بالنسبة لي ما مضى أقل ظلاماً وشراً مما هو

ـ، وهذا هو مصدر قفي وخوفيـ. ولكن ما لم يكن لديك مهارة أكثر حتى من سارومانـ، الذي درس هناك طويلاـ، فلن تجد شيئاـ ليس معروفاـ كل المعرفة ليـ، أنا سيد معرفة وعلم هذه المدينةـ».

ـهذا ما قاله دنثورـ. ومع ذلك كان في خزائنه من الكتبـ، الكثير من السجلاتـ قليـون الذين يستطيعون قراءتها الآنـ، حتى من أساطين المعرفةـ، نظراـ لأنـ مخطوطاتها ولغاتها قد أصبحت خفيةـ على الناس فيما بعدـ. وكذلك يا بورومير لا تزالـ هناك مطويةـ كتبها إيسيلدور بنفسهـ توجد في ميناس تيريثـ لم يقرأهاـ فيما أعتقدــ أيـ شخص سوى سارومان نفسهـ وأنا منذ سقوط الملوكـ، لأنـ إيسيلدور لم يهربـ مباشرةـ من الحربـ في موردورـ، كما روى بعضـ الحكايةـ».

ـوتدخل بوروميرـ قائلاـ: «بعضـ في الشمالـ، ربماـ الجميعـ في جوندورـ يعرفونـ أنه ذهبـ أولاـ إلى ميناس أنورـ وأقامـ فيها فترةـ من الزمنـ مع ابنـ أخيـه مينيلدـيلـ، يوجهـهـ ويعلـمهـ قبلـ أنـ يعهدـ إليهـ بحكمـ مملـكةـ الجنوبــ. في ذلكـ الوقتـ زرعـ هناكـ آخرـ شجـيرةـ منـ الشجرـةـ البيضاءـ في ذكرـيـ ابنـهـ».

ـوهـناـ قالـ جـنـدـلـفـ: «ـولـكـهـ فيـ ذـلـكـ الـوقـتـ أـيـضاـ كـتـبـ مـخـطـوـطـتـهـ، وـهـذـهـ لـمـ تـذـكـرـ فيـ جـونـدـورـ، عـلـىـ مـاـ يـبـدوـ. لـأـنـ هـذـهـ مـخـطـوـطـةـ تـخـصـ الـخـاتـمـ، وـمـنـ ثـمـ فـقـدـ كـتـبـ إـيسـيلـدورـ فيـهاـ».

ـسـوـفـ يـنـتـقـلـ الـخـاتـمـ الـأـعـظـمـ الـآنـ لـيـكـونـ مـيرـاثـاـ ثـمـيـناـ لـعـملـكـةـ الشـمـالـ؛ وـلـكـنـ سـجـلـاتـهـ سـتـرـكـ فيـ جـونـدـورـ، حـيـثـ كـانـ يـسـكـنـ كـذـلـكـ وـرـثـةـ إـلـنـدـيلـ، مـخـافـةـ أـنـ يـأـتـيـ وقتـ وـتـضـعـفـ ذـكـرـيـ هـذـهـ الـأـمـورــ.

ـوـيـعـدـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ، سـجـلـ إـيسـيلـدورـ وـصـفـاـ لـلـخـاتـمـ، مـثـلـماـ وـجـدهــ.

ـكانـ سـاخـنـاـ عـنـدـهـ أـخـذـتـهـ لأـوـلـ مـرـةـ، سـاخـنـاـ مـثـلـ جـمـرـةـ، وـحـرـقـتـ يـديـ، وـلـذـلـكـ فـإـنـيـ أـشـكـ إـنـ كـنـتـ سـأـشـفـيـ مـرـةـ أـخـرىـ مـنـ هـذـاـ الـأـلـمــ. وـلـكـنـ حتـىـ وـأـنـاـ أـكـتـبـ فـإـنـهـ بـارـدـ، وـيـبـدوـ أـنـهـ يـنـكـمـشـ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـهـ لـاـ يـقـدـ جـمـالـهـ وـلـاـ شـكـلـهــ. وـبـالـفـعـلـ فـإـنـ الـكـتـابـةـ عـلـيـهـ، وـالـتـيـ كـانـتـ فـيـ بـداـيـةـ الـأـمـرـ مـثـلـ الـوـهـجـ الـأـحـمرــ، تـتـلـاشـيـ وـهـيـ الـآنـ بـالـكـادـ يـمـكـنـ قـرـاءـتـهــ. لـقـدـ كـتـبـ بـالـحـرـوفـ الـجـنـيـةـ الـخـاصـةـ بـإـبـريـجيـونــ، لـأـنـهـ لـيـسـ لـدـيـهـ أـيـ حـرـوفـ فـيـ مـورـدـورـ لـمـثـلـ هـذـاـ الـعـلـمـ الـمـاهـرــ الـمـاـكـرـ؛ وـلـكـنـيـ لـاـ أـعـرـفـ هـذـهـ الـلـغـةــ. إـنـيـ أـعـتـقـدـ أـنـهـاـ لـغـةـ الـأـرـضـ الـشـرـيرـةــ، حـيـثـ إـنـهـاـ غـرـيـبةـ وـغـيـرـ مـأـلـوـفـةــ. وـلـاـ أـعـرـفـ مـاـذـاـ تـشـيرـ إـلـيـهـ مـنـ شـرـ؛ وـلـكـنـيـ أـرـسـمـ هـنـاـ نـسـخـةـ مـنـهـاـ، مـخـافـةـ أـنـ تـبـهـتـ بـحـيـثـ لـاـ يـمـكـنـ تـذـكـرـهـاــ. وـيـقـنـدـ الـخـاتـمــ رـبـماــ إـلـىــ

حرارة يد ساورون، التي كانت سوداء ومع ذلك تتوهج مثل النار، وهكذا دمر جيل جالاد؛ وربما تعود الكتابة ثانية إذا سخن الذهب مرة أخرى. ولكن فيما يخصني أنا، فإنني لن أخاطر مرة أخرى وأعرض نفسي للأذى بسبب هذا الشيء: الشيء الوحيد الجميل من بين كل أعمال ساورون. إنه ثمين بالنسبة لي، على الرغم من أنني اشتريته بألم عظيم.

«عندما قرأت هذه الكلمات، انتهي تتفقبي وبحثي. لأن الكتابة المرسومة كانت حقيقةً مثمناً خمن إيسيلدور، بلغة موردور وخدام البرج. وما قيل فيها كان بالفعل معروفاً. لأنه في اليوم الذي ليس فيه ساورون الخاتم لأول مرة، فإن سيليريمبور، صانع الخاتم، كان مطلاً عليه، ومن بعيد سمعه يتحدث بهذه الكلمات، وهكذا فقد كشفت أغراضه الشريرة».

«وفي الحال استأذنتُ من دنثور، ولكن حتى وبينما كنتُ أسير شمالاً، جاءتني رسائل من لورين أن أراجورن قد مر بذلك الطريق، وأنه وجد المخلوق المدعو جولام. ومن ثم ذهبتُ أولاً للقائه وسماع حكايته. ولم أجسر على أن أخمن إلى أي أخطار مهلكة ذهب بمفرده».

وقال أراجورن: «هناك حاجة صغيرة للحديث عن هذه الأخطار. إذا كان يتحتم ضرورة على الرجل أن يمشي أمام البوابة الشريرة، أو يطأ على أزهار وادي مورجول المميتة، ففي هذه الحالة لابد أن يلقي الأخطار. وأنا كذلك يئستُ أخيراً، وبدأتُ رحلتي عائداً إلى موطنِي. وبعد ذلك - بالصدفة - وقعتُ على ما كنتُ أبحث عنه: آثار أقدام طرية إلى جانب بركة موحلة. ولكن الأثر كان وقتها جديداً وسريعاً، ولم يقد إلى موردور ولكنه كان يقود بعيداً. وتبعَت الآثار عبر ضواحي المستنقعات الميتة، وبعد ذلك وجدته. أمسكتُ به، جولام، مختبئاً إلى جوار بركة راكدة، ينظر في الماء بينما كان المساء المظلم يحل. كان مغطى بمادة خضراء. إنه لم يكن يحبني أبداً، فيما أخشى؛ لأنه عضني، وأنا لم أكن لطيفاً معه. لم أحصل على أي شيء غير ذلك من فمه سوى علامات أسنانه. لقد اعتبرت ذلك أسوأ جزء في رحلتي كلها، وأخذتُ الطريق عائداً، أراقبه ليل نهار، وقد جعلته يمشي أمامي وقد ربطته برسن في رقبته، وهو مكمم الفم، حتى تم تزويعه بنقص الشراب والطعام، وقدته دوماً باتجاه الغابة المظلمة. ووصلتُ به أخيراً إلى هناك وأعطيته للجن، لأننا كنا قد اتفقنا أن ذلك يجب أن يُفعل؛ وكنتُ سعيداً أن أتخلص من صحبته لي، لأن رائحته كانت نتنة. من ناحيتي أنا، فإنني أتمنى ألا تقع عيني عليه مرة أخرى؛ ولكن جندلُف أتى وتحمل معه حديثاً طويلاً».

وقال جنلوف: «نعم، طويلاً ومرهقاً، ولكنه لم يكن دون فائدة. وذلك لشيء واحد، أن الحكاية التي رواها عن فقده له وافت الحكاية التي حكاهما بيلبو الآن صراحة للمرة الأولى؛ ولكن ذلك لم يكن يهم كثيراً، حيث إنني كنت قد خمنت ذلك بالفعل. ولكنني علمت آنذاك للمرة الأولى أن خاتم جولام جاء من النهر الأعظم بالقرب من حقوق جладين. كما أتنى علمت أيضاً أنه حازه لزمن طويل. مدة أعمار عديدة من أعمار نوعه الصغير. لقد أطالت قوة الخاتم سنوات عمره إلى ما وراء طولها الحقيقي؛ ولكن هذه القوة لا يسيطر عليها سوى الخواتم العظيمة».

«وإذا لم يكن ذلك برهاناً كافياً يا جلدور، فهناك الاختبار الآخر الذي تحدث عنه. عن هذا الخاتم نفسه الذي رأيته هنا ممسوكاً عالياً، مدورة وغير مزخرف»، فإن الحروف التي تحدث عنها إيسيلدور ربما لا يزال بالإمكان قراءتها، إذا كان الوارد لديه قوة العزيمة ليضع الشيء الذهبي في النار لبعض الوقت. وقد فعلت أنا ذلك، وقرأت هذه الكلمات:

«إيش نازج دور باتولوك، أش نازج جيوبا تول،  
أش نازج ثراكاتولوك أخ بوزوميشي كريمباتول»

كان التغيير في صوت الساحر مذهلاً بشدة. فجأة أصبح مهدداً متوعداً، وقوياً، وأجش مثل حجر. بدا أن ظلاً يمر فوق الشمس، وأصبح الرواق مظلماً للحظة. انقض الجميع، وسد أفراد الجن آذانهم.

وقال إلروند لجنلوف، عندما مر الظل وتৎبت المجموعة مرة أخرى: «لم يحدث من قبل قط أن تجرا أي صوت ونطق بكلمات بهذه اللغة في إيملادريس، يا جنلوف الأشيب». ورد عليه جنلوف قائلاً: «دعونا نأمل ألا ينطق بها أحد هنا مرة أخرى مطلقاً. ومع ذلك فإني لا أسألك عفواً، أيها السيد إلروند. لأنه إذا لم تسمع هذه اللغة قريباً في كل ركن من الغرب، إذن فليطرح الجميع الشك جانباً بأن هذا الشيء هو في الواقع الأمر ما أعلنه الحكماء: كنز العدو، مشحون بكل ما لديه من حقد ومكر؛ وفيه يقع جزء كبير من قوته الحكمة. يأتي من السنوات السوداء الكلمات التي سمعها صاغة إريجيون، وعلموا أنهم قد تعرضوا للخيانة».

خاتم واحد ليحكمها جميعاً، خاتم واحد ليجدها جميعاً، خاتم واحد ليحضرها جميعاً، وفي الظلمة يربطها.

«ل يكن معلوماً لدك يا أصدقائي أنتي علمتُ الكثير أيضاً من جولام. كان كارها لأن يتكلم وكانت حكايتها غير واضحة، ولكنه ذهب إلى موردور فيما لا يدع أي مجال للشك، وهناك أجبر على أن يقول كل ما كان يعرفه. وهكذا فإن العدو يعلم الآن أن الخاتم الأوحد قد وجد، وأنه كان في المقاطعة لزمن طويل؛ وحيث إن خدامه قد تعقبوها حتى يابنا تقربياً، فإنه سوف يعلم قريباً، وربما يكون قد عرف بالفعل، حتى وأنا أتكلم، أنه معنا هنا».

جلس الجميع في صمت لبعض الوقت، إلى أن تكلم بورومير أخيراً وقال: «إنه شيء صغير، كما تقول، هذا الجولام؟ صغير، ولكنه عظيم في الأذى. وماذا حل به؟ وأى مصير وضعته فيه؟».

قال أراجورن: «إنه في السجن، ولكن ليس هذا عقاباً مساوياً لما تعرض له. لقد عانى الكثير. ليس هناك من شك أنه عذب، والخوف من ساورون يجثم أسود على صدره. ومع ذلك فإنني أنا نفسي سعيد أنه محفوظ في سلامа تحت مراقبة جن الغابة المظلمة. إن حقده لعظيم ويمنحه قوة يصعب تصديقها في واحد نحيل وضعيف للغاية. إن بإمكانه أن يأتي الكثير من الأذى مع ذلك، لو أنه كان حراً. وليس هناك من شك أنه سمح له بمعادرة موردور لإنجاز مهمة شريرة».

وصاح ليجolas، وكان هناك أسى عظيم في وجهه الجنّي الجميل: «يا للأسف! يا للأسف! الأخبار التي أرسلت لإحضارها لا بد أن تروى الآن. إنها ليست جيدة، ولكن لم أعلم إلى أي مدى قد تبدو شريرة لهذه الصحبة إلا هنا. لقد هرب سميوجول، الذي يطلق عليه الآن جولام».

وصاح أراجورن: «هرب؟ هذه أخبار سيئة حقاً. سوف نأسف جميعاً لها بكل مرارة، فيما أخشى. كيف حدث وأخفق أهل ثراندويل في حفظ الأمانة الموكلة إليهم؟».

وقال ليجolas: «ليس بسبب عدم اليقظة، ولكن ربما عن طريق العطف الزائد. وإننا نخشى أن يكون الأسير قد حصل على مساعدة من آخرين، وأن هناك المزيد المعروف عن أعمالنا أكثر مما نتمنى. كنا نقوم على حراسة هذا المخلوق ليل نهار، بأمر جندل، وقد سئلنا وتعينا - مع ذلك - كثيراً من هذه المهمة. ولكن جندل أمرنا بأن يظل لدينا أمل في شفائه، ولم تطاوعنا قلوبنا أن نجعله إلى الأبد في زنزانات تحت الأرض، حيث كان سيعود إلى أفكاره السوداء القديمة».

«لقد كنتم أقل عطفاً معي» - قال ذلك جلوين وهناك ومض في عينيه، بينما تحركت الذكريات القديمة عن سجنه في الأماكن العميقة في أبهاء ملوك الجن.

وقال جنلوف: «على رسلك الآن! أرجوك لا تقاطع، يا عزيزي جلوين. لقد كان ذلك سوء فهم يوسف له، تم تصحيحة منذ أمد طويل. إذا كانت جميع المظالم التي تلقى ما بين الجن والأقزام لثار هنا، فإننا قد ترك هذا المجلس أيضاً».

ونهض جلوين وانحنى، وواصل ليجولاس كلامه. «في أيام الطقس الجميل، قمنا باقتياص جولام عبر الغابة؛ وكانت هناك شجرة طويلة تقف بمفردها بعيداً عن الأشجار الأخرى التي كان يحب تساقطها. كنا في الغالب نتركه يصعد إلى أعلى الفروع، إلى أن يشعر بالرياح الحرة؛ ولكننا كنا نضع حراسة عند أسفل الشجرة. وفي يوم من الأيام رفض النزول من على الشجرة، ولم يكن الحراس يرغبون في الصعود وراءه، ولقد تعلم حيلة التشبث بالأغصان بقدميه وكذلك بيديه؛ ولذلك جلسوا بجوار الشجرة حتى وقت طويل من الليل.

«لقد كانت تلك الليلة نفسها من ليالي الصيف، مع أنه لم يكن فيها قمر ولا نجم، وأن هاجمنا الأوركيون على حين غرة. لقد طردناهم بعد بعض الوقت؛ كانوا كثيرين وشرسين، ولكنهم أتوا من فوق الجبال، وكانوا غير معتادين على الأشجار في الغابة. عندما انتهت المعركة، وجدنا أن جولام قد ذهب، وقد ذبح حراسه أو أسرّوا. وقد بدا واضحاً وقتها لنا أن الهجوم قد تم لإنقاذه، وأنه كان على علم به مقدماً. لا يمكننا تخمين كيفية تدبير ذلك؛ ولكن جولام داهية، وجواسيس العدو كثيرون. الأشياء الشريرة التي طردت في عام سقوط التنين عادت بأعداد أكبر، وبانت الغابة المظلمة مجدداً مكاناً شريراً، باستثناء المكان الذي تقع فيه مملكتنا.

«لقد أخفقنا في إعادة أسر جولام. لقد اكتشفنا أثره من بين آثاره الكثيرة من الأوركيين، واندفع وغاص عميقاً في الغابة، متوجهًا جنوباً. ولكن قبل أن نسير طويلاً، فإنه أفلت من مهارتنا، ولم نجرؤ على مواصلة المطاردة؛ لأننا كنا نقترب من دول جولدور، وهذا لا يزال مكاناً شريراً جداً؛ إننا لا نذهب في هذا الاتجاه».

وقال جنلوف: «حسناً، حسناً، لقد ذهب. ليس لدينا وقت للبحث عنه مرة أخرى. لا بد أن يفعل ما سيفعل. ولكنه قد يلعب دوراً - مع ذلك - لم يتوقعه هو ولا ساورون. «والآن سوف أجيب عن أسئلة جلدور. ماذا عن ساورون؟ وما هي نصائحه لنا في هذه الحاجة؟ هذه الحكاية يجب أن أسردها بالتفصيل، لأنه لم يسمعها بعد سوى إلروند، وكان ذلك باختصار؛ ولكن سيكون لها أثراً كبيراً على كل ما ينبغي علينا حسمه. إنه الفصل الأخير في قصة الخاتم، إلى آخر ما وصلت إليه حتى الآن».

«وفي نهاية يونيو كنتُ في المقاطعة، ولكن كانت هناك سحابة من القلق تخيم على عقلي، وركبت إلى الحدود الجنوبية للأرض الصغيرة؛ لأنه كان لدى نذير ببعض

الخطر، لا يزال مختبئاً عنّي ولكنّه يقترب. وصلتني ثلاثة رسائل تخبرني بحرب وهزيمة في جوندور، وعندما سمعت عن الشبح الأسود، ضربت قلبي قشعريرة قوية. ولكنّي لم أجده شيئاً سوى بعض فارين قليلين من الجنوب؛ بيد أنّه بدا لي أنّهم كان يتكلّم خوف لم يتحذّوا عنه. واتجهت عندئذ شرقاً وشمالاً وارتّحلت عبر الطريق الأخضر؛ وليس بعيداً عن البري قابلت مسافراً يجلس على جرف إلى جوار الطريق وحصانه يرعى إلى جواره. لقد كان راداجاست<sup>(1)</sup> الأسم، الذي كان يسكن في وقت من الأوقات في روزجوبيل، بالقرب من حدود الغابة المظلمة. إنه كان من طائفتي، ولكنّي لم أره لمدة عام.

وصاح في قائلًا: «جندل! لقد كنت أبحث عنك. ولكنّي غريب في هذه الأجزاء. كل ما عزّفته إنه ربما كان يمكن العثور عليك في منطقة بريّة لها اسم غريب - المقاطعة».

فردّدت عليه بقولي: «معلوماتك صحيحة. ولكن لا تسقّها بهذه الطريقة إنّك قابلت أثياً من السكان. إنّك بالقرب من حدود المقاطعة الآن. وما الذي تريده مني؟» لا بدّأنّه أمرٌ ملح. إنّك لم تكن رحالة مسافراً أبداً، إلا إذا دفعتك إلى ذلك حاجة ملحة».

فقال لي: «لدي مهمة ملحة. الأخبار التي لدى بغية». بعد ذلك نظر حوله، كما لو أن السياجات الشجرية سيكون لها آذان. وهمس قائلًا - «النّازجول<sup>(2)</sup>. التّسعة بالخارج مرة أخرى. لقد عبروا النهر سراً وهم يتحرّكون باتجاه الغرب. لقد تخروا تحت قناع خيالة مرتدّين السواد».

عرفت عندئذ ما كنت قد خفتُه دون أن أعرفه.

وواصل راداجاست كلامه قائلًا - «لا بد أن العدو لديه حاجة ملحة أو غرض خطير؛ ولكن ما هو ذلك الذي يجعله يبحث في هذه الأجزاء البعيدة والمهجورة، لا يمكنني تخمين ذلك».

«وقلت له أنا: «ماذا تقصد؟».

«لقد بلغتني أنه كلما ذهب الخيالة في مكان فإنّهم يسألون عن أخبار عن أرض تُسمى المقاطعة».

«فقلت له أنا - «المقاطعة!»، ولكن قلبي خار في قدمي. لأنّه حتى الحكماء قد يخشون مقاومة التّسعة، عندما يجتمعون معاً تحت إمرة زعيمهم الرهيب. لقد كان ملكاً عظيماً وساحراً شريراً كبيراً في الماضي، والآن فإنّه يستخدم خوفاً رهيباً، وسألته - «من الذي أخبرك، ومن الذي أرسلك؟».

(1) Radagast - اسم شخص معناه bird-friend - أي صديق الطيور (المترجم)

(2) Nazgûl - ومكونة من مقطعين (Nazg - «ring») و («wraith GChspirit») - ومعناها أشباح الخاتم. [م موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Nazgul> (المترجم)]

وأجابني راداجاست بقوله: «سارومان الأبيض. وأخبرني أن أقول إنك إذا كنت تشعر بالحاجة إلى المساعدة، فإنه سوف يساعدك؛ ولكن لا بد أن تحصل على مساعدته في الحال، وإلا فسوف يفوت الأوان».

وأعطتني الرسالة أملأ. لأن سارومان الأبيض هو الأعظم في طائفتي. وراداجاست - بالطبع - ساحر له شأنه، سيد الأشكال وتغييرات المظاهر والألوان؛ ولديه معرفة كبيرة بالأعشاب والحيوانات؛ والطيور أصدقاؤه على وجه الخصوص. ولكن سارومان درس فنون العدو طويلاً، ومن ثم فقد كان دائماً قادرین على إحباط مخططاته. لقد استطعنا طرده من دول جولودر بفضل خطط سارومان. وربما يكون قد عثر على بعض الأسلحة لطرد التسعة.

وقلت له - «سوف أذهب إلى سارومان».

قال لي راداجاست: «حينئذ يتحتم عليك الذهاب الآن، لأنني قد أضعت وقتاً في البحث عنك، والأيام تدهمنا سريعاً. لقد طلب مني أن أتعثر عليك قبل منتصف الصيف، وذلك الآن على الأبواب. حتى لو أتيك بدأت للرحلة من هذه البقعة، فإنك بالكاد ستصل إليه قبل أن يكتشف التسعة الأرض التي يبحثون عنها. أنا نفسي سوف أعود أدراجي في الحال». وبهذه الكلمات ركب وكان سينطلق في رحلته مباشرة.

قلت له: «انتظر لحظة! سوف نحتاج إلى مساعدتك، ومساعدة جميع الأشياء التي ستقدم المساعدة. أرسل رسائلنا إلى جميع الحيوانات والطيور التي هي أصدقاؤك. أخبرهم أن يحضروا أخباراً عن أي شيء يتصل بهذه المسألة إلى سارومان وجندلف. لتقع الرسائل ترسل إلى أورثانك».

قال لي: «سوف أفعل ذلك»، وانطلق كما لو كان التسعة يجرون وراءه.

لم أستطع أن أتبعد في التو واللحظة. لقد سرت بحصاني كثيراً جداً بالفعل في ذلك اليوم، وكانت مرهقاً مثل حصاني؛ وكانت بحاجة إلى تدبر الأمور. وأمضيت الليلة في البري، وقررت أنه ليس لدى من وقت للعودة إلى المقاطعة. ولم أرتكب أي خطأ أكثر فداحة من هذا الخطأ من قبل أبداً!

«ومع ذلك، كتبت رسالة إلى فرودو، وعهدت بها إلى صديقي صاحب الحانة ليرسلها له. وركبت منطلاقاً مع الفجر؛ ووصلت أخيراً بعد طويل من الوقت إلى مسكن سارومان. إنه بعيد جنوباً في إزينجارد، في نهاية الجبال الضبابية، ليس بعيداً عن فجوة روغان. وسوف يخبركم بورومير أن ذلك عبارة عن وادٍ مكشوف عظيم يقع بين الجبال الضبابية وسفوح تلال إريد نيماريس في أقصى الجنوب، الجبال البيضاء

في موطنه. ولكن إزينجارد عبارة عن دائرة من صخور شديدة الانحدار تحيط بالوادي كما لو كان محاطاً بجدار، وفي وسط ذلك الوادي هناك برج من صخر يُسمى أورثانك<sup>(1)</sup>. لم يكن البرج من صنع سارومان، ولكن صنعه إنس نومينور منذ أمد بعيد؛ وهو مرتفع جداً وبه أسرار كثيرة؛ ولكنه لا يبدو عملاً بارعاً. لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق المرور بدائرة إزينجارد؛ وفي هذه الدائرة هناك بوابة واحدة فقط. «وصلت ذات مساء متأخراً إلى البوابة، وهي مثل قنطرة في الجدار الصخري؛ وكانت عليها حراسة مشددة. ولكن حراس البوابة كانوا يتربكون قدومي وأخبروني أن سارومان في انتظاري. وصرت أسفل القنطرة، وأغلقت البوابة ورائي في هدوء، وفجأة شعرت بالخوف، على الرغم من أنني لم أعرف سبباً لذلك.

«ولكني سرت على سفح أورثانك»، ووصلت إلى سلم سارومان؛ وهناك قابلني وقادني صاعداً إلى غرفته العالية. كان يلبس خاتماً في إصبعه. «وقال لي بنبرة كلها جد: «ها أنت ذا قد جئت يا جندلف»، وكان في عينيه ضوء أبيض، كما لو كانت هناك ضحكة فاترة في قلبه.

«فرددت عليه قائلاً: «نعم، لقد جئت. لقد جئت لأحصل على مساعدتك، يا سارومان الأبيض». وبدا أن هذا اللقب يغضبه.

«وقال في سخرية: «أهذا حقاً يا جندلف الأشيب! جئت للحصول على المساعدة؟ لقد كان نادراً أن نسمع أن جندلف الأشيب طلب المساعدة، شخص نافذ البراعة ونافذ الحكمة، يطوف بالأراضي والبلدان، ويهم بكل شأن وأمر، سواء كان ذلك يخصه أم لا».

«ونظرت إليه وتعجبت، وقلت له: «ولكني إن لم أكن قد تعرضت لخدعة، فإن الأشياء الآن تسير على نحو سوق يقتضي توحيد قوتنا».

«قال لي: «قد يكون الأمر كذلك، ولكن الفكرة خطرت أخيراً بيالك. إنني أتساءل عن طول المدة التي أخفيت خلالها عنّي، أنا رئيس المجلس، مسألة لها بالغ الأهمية؟ ما الذي جاء بك الآن من مكمنك في المقاطعة؟».

«وأجبته قائلاً: «لقد جاء التسعة مرة أخرى. لقد عبروا النهر. هكذا قال لي راداجاست».

وضحك سارومان، ولم يعد يخفي استخفافه وسخريته وقال: «راداجاست الأسوأ! راداجاست مروض الطيور! راداجاست الساذج! راداجاست الأحمق! ولكن كان لديه المخاء الذي يجعله يلعب الدور الذي وضعته له. لأنك قد أتيت، وكان ذلك هو الغرض

(1) Orthanc – معناها في اللغة الميندارية (من اختراع المؤلف) [Mount Fang] أي جذر الجبل؛ وفي اللغة الإنجليزية القديمة [Cunning Mind] أي العقل الماكر [مترجم <http://en.wikipedia.org/wiki/Orthanc>] (المترجم)

من رسالتي وحسب. وهنا سوف تبقى، يا جنلُف الأشيب، وتستريح من الترحال.  
لأنني أنا سارومان الحكيم، سارومان صانع الخاتم، سارومان ذو المظاهر الكثيرة!». ونظرت عنده ورأيت أن ثيابه، التي كانت تبدو بيضاء، لم تكن كذلك، ولكنها كانت منسوجة من كل الألوان، وعندما كان يتحرك كانت تومض وتغير لونها لدرجة تصيب العين بالذهول.

وقلت له: «كنت أحب الأبيض أفضل».

وقال بصوت فيه ازدراء: «الأبيض! ذلك يصلح كبداية. القماش الأبيض يمكن صبغه. الصفحة البيضاء يمكن الكتابة فوقها؛ والضوء الأبيض يمكن كسره». وقلت له: «وفي هذه الحالة لا يكون أبيض. وذلك الذي يكسر شيئاً ليكتشف كنهه إنما يترك طريق الحكمة».

قال لي: «ليست هناك حاجة لأن تتحدث إلى كواحد من الحمقى الذين تتذمرون أصدقاء لك. إنني لم أحضرك إلى هنا لتعلمك وتوجهني، ولكن لأمنحك خياراً». واستقام في مجلسه وبدأ يتكلم بطريقة خطابية، كما لو كان يلقى خطاباً تمرن عليه طويلاً وقال: «الأيام الخوالي قد مضت. الأيام الوسطى تمر. الأيام الصغيرة تبدأ. انتهي زمن الجن، ولكن وقتنا وشيك: عالم الإنس، الذي ينبغي علينا نحن أن نحكمه ونسوده. ولكن ينبغي أن يكون لدينا نحن القوة، القوة لنأمر وندير كل هذه الأشياء حسبما نشاء، إلى ذلك الخير الذي لا يستطيع أن يراه سوى الحكماء».

وقال لي، وهو يقترب مني ويتحدث آنذاك بصوت أكثر لياناً: «والآن أنصت إلى يا جنلُف، يا صديقي العزيز ومساعدي! قلتُ نحن، لأننا ربما تكونون نحن، إذا أنت انضممت إلى. قوة جديدة ناشئة. لن تنفعنا أمامها التحالفات والسياسات القديمة على الإطلاق. ليس هناك أي عون باق في الجن أو نومينور المحاضرين. هذا إذن خيار واحد أمامك، أمامانا. يمكننا أن ننضم إلى هذه القوة. سوف يكون ذلك من الحكمة يا جنلُف. هناك أمل بهذه الطريقة. إنه نصر وشيك؛ وسوف تكون هناك مكافأة سخية لأولئك الذين ساعدوا في ذلك. وكلما تعاظمت القوة، فإن أصدقاءها الذين يثبت ولاؤهم سوف يتعاظمون ويكبرون أيضاً؛ والحكماء - مثالك ومثلي - من الممكن أن يصلوا في النهاية إلى أن يوجهوا مساراتها، أن يتحكموا فيها ويسيروها. يمكننا أن نأمر زماننا، يمكننا أن نحتفظ بأفكارنا في صدورنا، مستنكرين - ربما - الشرور التي فعلت أثناء الطريق، ولكن نستحسن الغرض السامي والنهائي: المعرفة، والحكم، والنظام؛ كل الأشياء التي ناضلنا إلى الآن لتحقيقها دون جدوى، يعيقنا أصدقاءنا الضعفاء أو المتبطلون أكثر من كونهم يساعدوننا. ليست هناك حاجة إلى أي تغيير حقيقي في خططنا، فقط في وسائلنا».

«وقلت له - «سار ومان»، لقد سمعت أحاديث من هذا النوع من قبل، ولكنها فقط كانت تأتي من أفواه الجواسيس الذين يأتون من موردور ليخدعوا الجهلاء. لا يمكنني أن أصدق أنك جئت بي من تلك المسافة البعيدة فقط لترهق أذني بذلك».

ونظر إلى من الجنب، وتوقف لفترة قصيرة وهو يتدبر، ثم قال: «حسناً، أرى أن ذلك النهج الحكيم لا يروق لك. ليس بعد إذا تم استباط طريقة أفضل».

وجاء ووضع يده الطويلة على ذراعي، وقال هامساً: «ولم لا يا جندي؟ لم لا؟ إذا  
كنا نستطيع أن نهيمن على ذلك، ففي هذه الحالة سوف تنتقل القوة إلينا. هذا هو في  
الحقيقة السبب الذي أحضرتُك من أجله إلى هنا. لأنه لدى عيون كثيرة في خدمتي،  
وأعتقد أنك تعلم أين يوجد ذلك الشيء الثمين. أليس كذلك؟ وإلا فلماذا يسأل التسعة عن  
المقاطعة، وما هو شأنك هناك؟» وبينما كان يقول ذلك كانت هناك رغبة تومن في  
عينيه لم يستطع إخفاءها.

قالت له، وأنا أقف بعيداً عنه: «سارومان، يد واحدة فقط بمفردها يمكنها أن تسيطر على الخاتم الأوحد، وأنت تعرف ذلك جيداً، ولذلك فلا تزعج نفسك وتقول نحن! ولكنني لن أعطيه لك، بل والأكثر من ذلك، لن أعطيك حتى أي أخبار عنه، الآن وقد عرفت ما يدور في ذهنك. لقد كنت رئيس المجلس، ولكنك أزلت القناع عن نفسك أخيراً. حسناً، الخيارات هي، فيما يبدو، الخضوع لساورون، أو لاك أنت. ولنأخذ أياماً من الخيارات. هل لديك خيارات أخرى تعراضها؟».

«وأصبح عند ذلك بارداً وخطيراً، وقال - «نعم. لم أكن أتوقع منك أن تظفر بالحكمة، حتى من أجل نفسك؛ ولكنني منحتك الفرصة للمساعدة طوعاً، مجبناً نفسك بهذه الطريقة العناء والألم. الخيار الثالث هو أن تبقى هنا، حتى النهاية». «حتى أي نهاية؟».

وقال: «حتى تخبرني أين يمكن العثور على الخاتم الأولي. قد يمكنني العثور على طرق لإقناعك. أو حتى يتم العثور عليه رغمًا عنك ، ويكون لدى الحاكم وقت ليتلقف فيه إلى أمور أقل شأنًا: ليتكر - مثلاً - مكافأة مناسبة لابعاقة وإهانة جندي لـ الأشيب». .

وقلت له: «لن يثبت أن هذا أمر من الأمور الأقل شأنًا». وسخر مني، لأن كلماتي كانت جوقاء، وكان هو يعرفها.

وأخذوني ووضعوني وحدي في برج الأورثانك، في المكان الذي كان سارومان معناداً على مراقبة النجوم فيه. لم يكن هناك مكان للنزول سوى عن طريق سلم ضيق به بعض آلاف درجة، والوادي أسفل منه يبدو بعيداً جداً. نظرتُ إليه ورأيته، في حين

أنه كان في وقت من الأوقات أخضر وجميلاً، فإنه كان آنذاك ممتلئاً بالحفر ودكاين الحدادين. كانت الذئاب والأوركيون تؤوي في إيزينجارد، لأن سارومان كان يحشد قوة عظيمة لحسابه، في منافسة لساورون وليس في خدمته بعد. كان يعلق فوق كل أعماله دخان أسود ويلف نفسه حول جنبات أورناثك. وقفَ وحيداً فوق جزيرة في السحاب؛ ولم تكن أمامي أي فرصة للهرب، وكانت أيامي مرة. كان البرد يخترقني، ولم يكن لدى سوى مساحة صغيرة أسير فيها حيثة وذهاباً، أتفكر طويلاً في قدوم الخيالة إلى الشمال.

«لقد كنت متأكداً أن التسعة قد نهضوا بالفعل، بصرف النظر عن كلمات سارومان التي قد تكون محض أكاذيب. لقد سمعت قبل أن أصل إلى إيزينجارد بكثير أخباراً عن طريق لا يمكن أن تخطئ. كان الخوف في قلبي دائمًا على أصدقائي في المقاطعة؛ ولكن كان لا يزال عندي بعض الأمل. كنت أأمل أن يكون فرودو قد شرع في رحلته في الحال، كما طلب منه حثيثاً خطابي الذي أرسلته له، وأنه قد وصل إلى ريفنديل قبل أن تبدأ المطاردة المميتة. وقد ثبت أن كلاً من خوفي وأمي كانا بلا أساس. لأن أمري كان مبنياً على رجل بدبن في البري؛ وخوفي كان مبنياً على دماء ساورون. ولكن الرجال البدناء الذين يبيعون الجمعة لديهم الكثير من الطلبات يتحتم عليهم تلبيتها؛ وقوة ساورون لا تزال أقل مما يجعل الخوف يبدو عليه. ولكن في دائرة إيزينجارد، حيث كنت قد وقعت في شراك و كنت وحيداً، لم يكن من السهل علىي أن أفك أن الصيادين الذين فر أمامهم الجميع أو سقطوا سوف يتغذون في المقاطعة على مسافة بعيدة». صاح فرودو قائلاً: «لقد رأيتك! كنت تمشي للوراء وللأمام. كان القمر يسطع في شعرك».

وتوقف جندلف مذهولاً ونظر إليه. وقال فرودو: «لقد كان فقط حلماً، ولكنه عاد إلى فجأة. لقد نسيته تماماً. لقد عاد إلى منذ بعض الوقت؛ بعد أن غادرت المقاطعة، فيما أعتقد».

وقال جندلف: «عندئذ كان المجيء متاخراً، كما سترون. لقد كنت في ورطة شديدة. وأولئك الذين يعرفونني سوف يتذمرون معي أنت لم أكن أبداً في مثل هذه الحاجة، ولا أتحمل مثل ذلك الحظ العائسر جيداً. جندلف الأشيب أمسك به مثل ذبابة في شبكة عنكبوت غادرة! ولكن حتى أكثر العناكب دماء قد تترك خيطاً ضعيفاً».

«في بداية الأمر كنت خائفاً، مثلما كان سارومان يريد بلا شك، أن يكون راداجاست قد وقع أيضاً. ولكني لم أمح أي إشارة على أي شيء ليس على ما يرام في صوته أو في عينيه في مقابلتنا. فلو كنت لاحظت ذلك، لما كنت ذهبت أبداً إلى إيزينجارد، أو لكتت ذهباً وأنا أكثر حذراً. وهكذا خمن سارومان، وقد أخفى ما يدور

في ذهنه من رسوله. إن محاولة استهواه راداجاست الأمين وجعله يخون ، من شأنها أن تكون - على أية حال - أمراً عديم الجدوى. لقد بحث عنـي في حسن نية ، وهكذا استطاع إقناعي .

«كان ذلك حل مؤامرة سارومان. لأن راداجاست لم يكن يعرف أي سبب لعدم تنفيذه ما طلبت منه؛ وركب وانطلق بعيداً باتجاه الغابة المظلمة في المكان الذي له فيه أصدقاء قدامى كثيرون. وحلقت نسور الجبال في كل مكان ، ورأيت أشياء كثيرة: تجمع الذئاب واحشاد الأوركيـن؛ وحركة الخيالة التسعة وهم يذهبون إلى هنا وإلى هناك في الأرضي وسمعوا أخباراً عن هروب جولام. وأرسلوا رسولاً ليحضر هذه الأخبار لي .

«وهكذا فقد حدث عندما بدأ الصيف ينقضي ، أن جاءت ليلة مقمرة ، وجاء جوايهير سيد الربيع ، أسرع النسور العظيمة ، فجأة إلى أورثانك؛ ووجدني أقف على البرج . بعد ذلك تحدثت إليه وحملني بعيداً ، قبل أن يدرك ذلك سارومان . بعدت عن إزينجارـد ، قبل أن تطلق الذئاب والأوركيـن من البوابة لمطاردته .

«وقلت لجوايهير - «إلى أي مدى يمكن أن تحملـني؟».

فقال لي: «فراسخ كثيرة ، ولكن ليس إلى نهايات الأرض . لقد أرسلت لأحمل أخباراً لا أحـمالاً».

فقلت له: «عندئذ ينبغي أن أحصل على جواد على الأرض ، جواد سريع على نحو فائق ، لأنـني لم أكن مطلقاً بحاجة إلى مثل هذه العجلة من قبل».

فقال لي: «في هذهـالحـالـة سوف أحـملـك إلى إدورـاس ، حيث يجلس سيد روـهـانـ في قصورـهـ ، لأنـذلك ليس بعيدـاً جـداً». وسعدـتـ أناـ بذلكـ ، لأنـهـ فيـ رـيـدرـماـركـ بلـدةـ روـهـانـ التي يـسكنـهاـ الروـهـيرـيمـيـنـ ، سـادـةـ الـخـيلـ ، تـوـجـدـ خـيـولـ ، وـلـيـسـ هـنـاكـ أيـ خـيـولـ مثلـ تـلـكـ الـخـيـولـ التي تـرـبـىـ فيـ ذـلـكـ الـوـادـيـ العـظـيمـ بـيـنـ الـجـبـالـ الضـبابـيـةـ وـالـبـيـضاـءـ .

وقلت لجوايهير - لأنـ خـيـانـةـ سـارـوـمـانـ هـزـتـ ثـقـتيـ :- «هل لا يزالـ منـ المـمـكـنـ الوـثـوقـ بـإـنـ روـهـانـ ، فـيـ اـعـتـقادـكـ؟».

وأجابـنيـ قـائـلاـ: «إـنـهـ يـدـفـعـونـ جـزـيـةـ مـنـ الـخـيـلـ ، وـيـرـسـلـونـ الـكـثـيرـ مـنـهـاـ سنـوـيـاـ إـلـىـ مـوـرـدـورـ ، أوـ هـكـذـاـ يـقـالـ؛ وـلـكـنـ لـمـ يـتمـ إـخـضـاعـهـمـ بـعـدـ. وـلـكـنـ إـذـاـ أـصـبـحـ سـارـوـمـانـ شـرـيرـاـ ، كـمـاـ تـقـولـ ، فـإـنـ مـصـيـرـهـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ لـاـ يـمـكـنـ تـأـخـيرـهـ طـويـلاـ».

وأوصلـنيـ إـلـىـ أـرـضـ روـهـانـ قـبـلـ الـفـجـرـ؛ وـالـآنـ فـقـدـ أـطـلـتـ حـكـايـتـيـ أـكـثـرـ مـنـ الـلـازـمـ. لاـ بـدـ أـنـ يـكـونـ الـبـاقـيـ أـكـثـرـ اـخـتـصـارـاـ. فـيـ روـهـانـ وـجـدـتـ الشـرـ بـالـفـعـلـ يـؤـتـيـ أـثـرـهـ: أـكـاذـبـ سـارـوـمـانـ؛ وـلـمـ يـصـغـيـ مـلـكـ الـبـلـادـ إـلـىـ تـحـذـيرـاتـيـ. أـمـرـنيـ أـنـ أـخـذـ حـصـانـاـ وـأـذـهـبـ؛

واخترت حساناً أعجبني كثيراً، ولكن لم يعجبه هو. لقد أخذت أفضل حسان في بلده، ولم أر له مثيلاً أبداً».

وقال أراجورن: «إذن لا بد أنه حيوان نبيل حقاً، ويحزنني أكثر من أخبار كثيرة قد تبدو أسوأ أن أعلم أن ساورومن يجبي مثل هذه الجزية. لم يكن الأمر كذلك عندما كنت في تلك الأرض في آخر مرة».

وقال بورومير: «وليس هي الآن كذلك أيضاً، أقسم على ذلك. إنها كذبة تأتي من العدو. إنني أعرف إنس روهان، مخلصين و بواسل، حلفاؤنا، لا يزالون يسكنون في الأرضي التي أعطيناهم إياها منذ زمن طويل».

وأجاب أراجورن قائلاً: «شبح موردور يرقد في أراض بعيدة، وقد وقع سارومان تحته. وروهان منزعجة. من يدري ما الذي ستتجه هناك، إذا حدث وعدت في أي وقت من الأوقات؟».

وقال بورومير: «ليس هذا على الأقل، أن يشتروا حياتهم بالخيل. إنهم يحبون خيلهم جماً. وليس هذا دونما سبب، لأن خيل ريدرمارك تأتي من الحقول في الشمال، بعيداً عن الشبح، وينحدر جنسهم، مثله مثل جنس سادتهم، في أيام الحر في الماضي».

قال جندلف: «صحيح حقاً! وهناك واحد من بينها ربما يكون قد ولد في فجر العالم. لا تستطيع خيل التسعة أن تتنافسه؛ لا يتعب، سريع مثل الرياح المناسبة. كانوا يسمونه شادوفاكس. خلال النهر يلمع غطاء جلده مثل الفضة؛ وخلال الليل فإنه مثل الظل، ويمر دون أن يرى. وقع أقدامه خفيفاً! لم يركبه من قبل أبداً أي شخص، ولكني أخذته وروضته، وكان يحملني بسرعة بالغة الدرجة أنتي وصلت المقاطعة عندما كان فرودو على مرتفعات التلال الجنائزية، على الرغم من أنني لم أبداً الرحالة من روهان إلا عندما كان هو قد انطلق من قرية هوبيتون».

ولكن الخوف زاد بداخلي وأنا أسير. كنت أسمع دائماً عندما أتيت إلى الشمال أخباراً عن الخيالة، وعلى الرغم من أنني كنت أنطلق بسرعة أكبر منهم يوماً بعد يوم، فقد كانوا دائماً أمامي. علمت أنهم قد وزعوا قواتهم: ظل البعض على الحدود الشرقية، ليس بعيداً عن البوابة الخضراء، وقام البعض بغزو المقاطعة من الجنوب. وصلت إلى قرية هوبيتون، وكان فرودو قد مضى ولكني تكلمت مع جامجي العجوز. كلاماً كثيراً وكان القليل منه في صميم الموضوع. كان لديه الكثير ليقوله عن عيوب ملاك باح إيند الجدد.

وقال لي: «لا يمكنني أن أقبل التغييرات، ما دمت أعيش، ولا أقبل أبداً التغييرات إلى الأسوأ»؛ وكرر عبارة «التغييرات إلى الأسوأ» مرات كثيرة.

وَقُلْتُ لَهُ: «الْأَسْوَا كَلْمَةُ رِدِيَّةٍ، وَأَتَمْنِي أَلَا تَعِيشُ حَتَّى تَرَاهَا». وَلَكِنْ فِي وَسْطِ حَدِيثِهِ اسْتَنْجَبْتُ أَخْيَرًا أَنْ فَرَودَوْ قَدْ غَادَرْ قَرِيَّةَ هُوبِيتُونَ قَبْلَ أَقْلَ منْ أَسْبُوعٍ، وَأَنْ خَيَالًا أَسْوَدَ قَدْ آتَى إِلَى التَّلِّ فِي ذَاتِ الْمَسَاءِ. بَعْدَ ذَلِكَ رَكِبْتُ فِي خَوْفٍ. وَصَلَّتُ إِلَى بَكْلَانْدِ وَمَوْجَدَتُهَا فِي اهْتِيَاجٍ وَصَخْبٍ، مَشْغُولَةً مِثْلَ خَلِيَّةِ نَمْلٍ حَرَكَتُهَا عَصَاصَةً. وَصَلَّتُ إِلَى الْبَيْتِ فِي كَرِيكِ هُولُوْ، وَكَانَ مَفْتُوحًا بِالْقُوَّةِ وَخَالِيًّا؛ وَلَكِنْ مَعْطَفَ فَرَودَوْ كَانَ مَلْقِيًّا عَلَى الْعُنْتَبَةِ. بَعْدَ ذَلِكَ تَرَكَنِيَ الْأَمْلُ لِلْحَظَةِ، وَلَمْ أَنْتَظِ حَتَّى أَجْمَعَ الْأَخْبَارَ، أَوْ رَبِّما كُنْتُ قَدْ اسْتَرَحْتَ؛ وَلَكِنِي رَكِبْتُ وَانْطَلَقْتُ فِي أَثْرِ الْخَيَالَةِ. كَانَ مِنَ الصَّعُبِ تَتَبعُهُمْ، لَأَنَّ أَثْرَهُمْ كَانَ يَسِيرُ فِي طَرَقَ كَثِيرَةٍ، وَكُنْتُ فِي حِيْصِ بِيْصِ. وَلَكِنْ بَدَا لِي أَنْ وَاحِدًا أَوْ اثْنَيْنَ قَدْ سَارَا بِاتِّجَاهِ الْبَرِّيِّ؛ وَسَرَّتُ فِي هَذَا الطَّرِيقَ، لِأَنَّنِي فَكَرْتُ فِي كَلْمَاتٍ يُمْكِنُ أَنْ تُقالَ لِصَاحِبِ الْحَانَةِ.

وَفَكِرْتُ مَعَ نَفْسِي: «إِنَّهُمْ يَنادُونَهُ بِتَرْبِيرٍ. إِذَا كَانَ هَذَا التَّأْخِيرُ نَاتِحًا عَنْ خَطَاً مِنْهُ، فَإِنِّي سَوْفَ أَذِيبُ كُلَّ الزَّبْدِ<sup>(١)</sup> الَّذِي فِيهِ. سَوْفَ أَشْوِي الْأَحْمَقَ العَجُوزَ عَلَى نَارِ هَادِئَةٍ». إِنَّهُ لَمْ يَتَوَقَّعْ أَقْلَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَعِنْدَمَا رَأَى وَجْهِي سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ مَتَطْحَأً وَبِذَا يَذُوبُ فِي الْحَالِ».

وصاح فرودو في انزعاج: «ماذا فعلت به؟ لقد كان حقاً لطيفاً جداً معنا وفعل كل ما  
كان يسعه». ك

وضحك جنّدْلَفْ، وقال: «لا تخـ! إنتي لم أعنـ، و كنتُ أنبـ قليـاً جداً<sup>(2)</sup>. لقد كنتُ فريـاً للغاـة بالـأـخـبـارـ التي حصلـتـ عـلـيـهاـ مـنـهـ، عـنـدـمـاـ تـوـقـفـ عـنـ الـأـرـتعـاشـ، لـدـرـجـةـ أـنـتـيـ حـضـتـ الرـجـلـ العـجـوزـ. كـيفـ حدـثـ وـلـمـ أـخـمـنـ وـقـتـهـاـ، وـلـكـنـيـ عـلـمـتـ أـنـكـ كـنـتـ فيـ البرـيـ اللـيـلـةـ المـاضـيـةـ، وـقـدـ اـنـطـلـقـتـ فـيـ رـحـلـتـكـ فـيـ ذـلـكـ الصـبـاحـ معـ سـتـرـاـيدـارـ. وـصـحـتـ، وـأـنـاـ أـصـرـخـ فـرـحاـ: «سـتـرـاـيدـارـ!».

«وقال بتربيير، وقد أساء فهمي: «نعم يا سيدى، للأسف ذلك ما كان، يا سيدى. لقد تمكنا منهم، بالرغم من كل ما كان بوسعي فعله، وقد تراافقوا معه. كانوا يتصرفون بطريقة غريبة جداً طوال الوقت الذى كان فيه هنا: متعصدين، يمكناك القوا».

وقلت له: «الحمقى! الأغبياء! أيها الشخص المحبوب كل الحب والجدير بذلك، يا بارليمان! هذه أفضل أخبار سمعتها منذ منتصف الصيف: إنها تساوي قطعة ذهب على الأقل. لعل بيrtlek توضع تحت تأثير تعويذة سحر وتكون ممتازة بشكل فائق لمدة سبع سنوات! والآن يمكنني أن أستريح لليلة، أول مرة أستريح فيها منذ فترة لا أذكرها».

(1) الإشارة هنا إلى اسمه وهو Butterbur [بتربرير] حيث الجزء الأول منه هو الكلمة butter، ومعناها الزبد. (المترجم)

(2) هنا إشارة إلى المثل الإنجليزي الذي يقول: «Barking dogs seldom bite!» ومعناه الكلاب النباحة نادراً ما تعض؛ ويشير هنا إلى أنه كان يهدد فقط، ولم يصبه بأذى. [قاموس الموردن (المترجم)]

«وهكذاً فإنني بقيتُ هناك تلك الليلة، متسائلاً كثيراً عما يكون قد حل بالخيالة؛ لأنه لم تكن هناك أخبار في البري إلا عن اثنين فقط، فيما ييدو. ولكن في الليل سمعنا المزيد. جاء خمسة على الأقل من الغرب، وحطموا الأبواب ومرروا عبر البري مثل ريح عاصفة؛ ولا يزال أهل البري يرتعشون ويتوهعون نهاية العالم. استيقظت قبل الفجر وسرت في أثرهم.

لا أدرى، ولكن ييدو واضحًا لي أن هذا ما حدث. ظل قائدتهم في السير بعيدًا في جنوب البري، في حين تقدم اثنان منهم عبر القرية، وقام أربعة آخرون بغزو المقاطعة. ولكن عندما هزم هؤلاء في البري وفي كريك هول، عادوا إلى قائدتهم بالأخبار، ولذلك فقد تركوا الطريق دون حراسة لبعض الوقت، باستثناء حراسته بجواسيسهم.

أرسل القائد بعد ذلك بعضاً نحو الشرق مباشرة عبر الريف، وركب هو نفسه مع الآخرين عبر الطريق في غضب جم.

«وانطلقتُ أعدو بحصاني إلى تل الرياح مثل عاصفة هوجاء، ووصلتها قبل غروب الشمس في اليوم الثاني من مغادرتي البري – وكانوا هناك قبلي. انسحبوا بعيدًا عنِّي، لأنهم أحسوا بقدوم غضبي ولم يجرؤوا على مواجهته بينما كانت الشمس في السماء. ولكنهم تجمعوا حولي في الليل، وحوصرت في قمة التل، في حلقة أمون سول القديمة. لقد كنت في ورطة حفافاً: لم يكن مثل هذا الضوء وهذا اللهب يرى في تل الرياح منذ نيران الحرب في الماضي.

مع شروق الشمس، هربتُ وفررتُ باتجاه الشمال. لم أكن أمل أن أفعل أكثر من ذلك. كان من المستحيل العثور عليك يا فرودو، في البرية، وكان سيكون من الحماقة أن أحاول البحث عنك بينما كان التسعة في أعقابي. ولذلك كان عليَّ أن أثق في أراجورن. ولكني تمنيتُ أن أستدرج بعضاً منهم بعيداً، ومع ذلك أصل إلى ريفنديل قبلك وأرسل النجدة لك. ولقد تبعني في الواقع أربعة خيالة منهم، ولكنهم استداروا عائدين بعد فترة قصيرة واتخذوا طريقهم إلى المخاضة، فيما ييدو. وقد ساعد ذلك قليلاً، لأنه كان هناك خمسة فقط منهم، وليس تسعة، عند مهاجمة معسكرك.

وصلتُ إلى هنا أخيراً بعد طريق طويل شاق، صاعداً الهورويل وعبر مرتفعات إيتينموور<sup>(1)</sup>، وهابطاً من الشمال. استغرق الطريق حوالي 14 يوماً تقريباً من تل الرياح، لأنني لم أستطع السير بين صخور هضاب الغilan، ورحل شادوفاكس. تركته

(1) Ettenmoors – المقطع الأول من الكلمة يحمل معنى «غول أو جبار خرافي»، والمقطع الثاني moor [في هذا النص تحديداً] معناه «أرض قاحلة مرتقبة» (المترجم)

يعود إلى ميدنه؛ ولكن تكونت بيتنا صداقه كبيرة، وإذا احتجت إليه فإنه سيأتي إلى عندما أطلبه. ولكن هكذا جئت أنا إلى ريفنديل قبل الخاتم بثلاثة أيام، وقد جاءت أخبار خطره بالفعل إلى هنا - والتي ثبت أنها حسنة حقاً.

وهذه يا فرودو نهاية قصتي. أتوسل إلى إلروند والآخرين أن يغفروا لي طولها. ولكن مثل ذلك الشيء لم يحدث من قبل، أن يخلف جنديل موعداً ولا يأتي عندما وعد. أعتقد أنتا نحتاج إلى أن يقص علينا حامل الخاتم حكاية حدث غريب للغاية. «حسناً، والآن حكى الحكاية، من البداية للنهاية. وها نحن أولاء، وهذا هو الخاتم هنا. ولكتنا لم نصبح إلى الآن أكثر قرباً من عرضنا الحال من الأحوال. ما الذي سنفعله به؟».

وساد صمت. وتحدى إلروند أخيراً، وقال:

«هذه أخبار محزنة فيما يتصل بساورون، لأننا كنا نثق به وهو على علم كبير بكل خططنا وأعمالنا. من الخطير دراسة فنون العدو بشكل عميق للغاية، سواء كان بغرض الخير أو بغرض الشر. ولكن مثل هذه الأعمال من السقوط والخيانة - بكل أسف - حدثت من قبل. من بين الحكايات التي سمعناها اليوم، فإن حكلية فرودو كانت الأكثر غرابة بالنسبة لي. لقد عرفت عدداً قليلاً من الهوبيتين، باستثناء بيليو هنا؛ ويدو لي أنه ربما لا يكون متقرداً واستثنائياً للغاية كما كنت أظنه. لقد تغير العالم كثيراً منذ أن كنت في الطرق الغربية آخر مرة.

«سكان التلال الجنائزية نعرفهم بأسماء كثيرة؛ وقد حكى الكثير من الحكايات عن الغابة العجوز: كل ما يتبقى الآن منها ما هو إلا جزء بعيد من حدتها الشمالي. كان هناك وقت كان السنجاب يذهب فيه من شجرة إلى شجرة مما هو الآن المقاطعة إلى دونلاند غرب إزينجارد. في تلك الأراضي سرت مرتاحلاً ذات مرة، وعرفت أشياء كثيرة بريئة وغريبة. ولكنني نسيت يوم باديل، إذا كان هذا لا يزال هو نفسه الذي كان يمشي في الغابة والتلال منذ زمن طويل، وحتى في ذلك الحين فقد كان أكبر من الكبير. لم يكن ذلك وقتها هو اسمه. كان نسميه إيار وين بين - أدار، الأكبر سناً والبيتيم. ولكنه أخذ أسماء كثيرة أخرى منذ ذلك الحين أطلقها عليه ناس آخرون: أطلق عليه الأقزام اسم فورن<sup>(١)</sup>، وأطلق عليه الإنس الشماليون اسم أورالد، بالإضافة إلى أسماء أخرى. إنه مخلوق غريب، ولكن ربما كان يجب على أن أدعوه لمجلسنا».

وقال جنديل: «إنه لم يكن ليأتي».

(١) Forn - و معناها الشيخ العجوز. [موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Forn>] [المترجم]

وسائل إريستور: «ألا يزال بإمكاننا أن نرسل له الرسائل ونحصل على مساعدته؟ يبدو أن لديه قوة وسلطة حتى على الخاتم».

قال جنلسف: «كلا، لا ينبغي أن أصوغ العبارة على هذا النحو. الأحرى أن تقول إن الخاتم ليس له سلطان عليه. إنه سيد نفسه. ولكنه لا يستطيع أن يغير الخاتم ذاته، ولا أن يكسر سلطانه على الآخرين. والآن فإنه قد اعتزل وأقام في أرض صغيرة، في نطاق حدود هو الذي وضعها، على الرغم من أنه لا يستطيع أحد رؤيتها، ينتظر - ربما - تغير الأيام، ولن يذهب وراء هذه الحدود».

وقال إريستور: «ولكن في نطاق تلك الحدود لا يبدو أن أي شيء يفزعه. ألا يمكنه أن يأخذ الخاتم ويحتفظ به هناك، للأبد دون أذى؟».

ورد عليه جنلسف قائلاً: «كلا! ليس طواعية. ربما يفعل ذلك، لو رجاه كل أحجار العالم، ولكنه لن يفهم الحاجة إلى ذلك. وإذا أعطي الخاتم، فإنه سوف ينساه في الحال أو - من الأكثر احتمالاً - يرميه بعيداً. مثل هذه الأشياء لا تعلق بعقله وليس لها مكان فيه. إنه سيكون حارساً غير آمن تماماً؛ وهذا وحده رد كاف على السؤال».

وتحدث جلورفنديل قائلاً: «ولكن على أية حال، إن إرسال الخاتم إليه من شأنه أن يؤخر يوم الشر وحسب. إنه بعيد جداً. إننا لن نستطيع أن نعود به إليه الآن دون أن يعلم به أو يلاحظ أي جاسوس. حتى ولو استطعنا ذلك، فإن ملك الخواتم عاجلاً أو آجلاً سوف يعلم بمكان اختبائه وسوف يوجه كل قوته باتجاهه. هل يمكن تحدي كل هذه القوة ببومباديل وحده؟ لا أعتقد أنه في النهاية، عندما يتم التغلب على الجميع ودحرهم، فإن بومباديل سوف يسقط، الأخير مثلاً كان هو الأول؛ وعندئذ يأتي الليل».

قال جلدور: «إنني أعرف القليل عن إياروين باستثناء اسمه، ولكن جلورفنديل - في رأيي - على صواب. القوة الازمة لتحدي عدونا ليست فيه، إلا إذا كانت هذه القوة في الأرض نفسها. ومع ذلك فإننا نرى أن ساورون يمكن أن يعذب ويدمر التلال نفسها. ما هي القوة إذن التي تتبقى وتكون معنا، هنا في إملادريس، أو مع سيردان في المرافق، أو في نورين. ولكن هل لديهم القوة، هل لدينا نحن هنا القوة للصمود أمام العدو، قدوم ساورون في النهاية، عندما تتم الإطاحة بكل ما هو عداه؟».

وقال إلروند: «أنا ليست لدى القوة، ولا هم».

قال جلورفنديل: «إذن إذا لم يكن بالإمكان الاحتفاظ بالخاتم بعيداً عنه إلى الأبد بالقوة، فلا يبقى أمامنا سوى شيئاً فكما علينا أن نجري بهما: أن نلقى به في البحر، أو أن ندمره».

قال إلروند: «ولكن جنلسف قد أخبرنا أننا لا نستطيع تدميره بأي صنعة أو طريقة

مناجة لدينا هنا. وأولئك الذين يسكنون وراء البحر لن يتلقوه: فهو يخص الأرض الوسطى سواء كان ذلك خيراً أو شراً، إن أمر التعامل معه يقع على عاتقنا نحن الذين مازلنا نسكن هنا».

قال جلورفنديل: «إذن دعونا نلقي به في الأعماق، وبهذا نجعل أكاذيب سارومان تتحقق. لأنه من الواضح الآن أنه حتى في المجلس ملتو ومخدع وينوي الغدر. كان يعرف أن الخاتم لم يُفقد إلى الأبد، ولكنه كان يريدنا أن نعتقد ذلك؛ لأنه بدأ يرغب فيه لنفسه. ولكن غالباً ما تخبيء الحقيقة في الأكاذيب: في البحر سيكون آمناً».

وقال جندلوف: «ليس آمناً إلى الأبد. هناك أشياء كثيرة في المياه العميقة؛ وقد تتغير البحار والأراضي. وليس دورنا هنا أن نفكر فقط في موسم، أو في حياة عدد قليل من الناس، أو في لعصر عابر من عصور العالم. ينبغي علينا أن نبحث عن نهاية حاسمة لهذا التهديد، حتى وإذا لم نكن نأمل أن نفعل ذلك».

قال جلدور: «وهذا لن نجده على الطرق المؤدية إلى البحر. إذا كنا نعتقد أن طريق العودة إلى إياروين خطيراً للغاية، ففي هذه الحالة الهروب إلى البحر الآن مخيف ومحفوظ بأعظم المخاطر. إن قلبي يقول لي إن ساوروں سوف يتوقع أننا سنأخذ الطريق الغربي، عندما يعلم ما حدث. سوف يعلم قريباً. لقد فقد التسعة خيلهم فعلاً ولكن هذه مجرد فترة راحة، قبل أن يجدوا لهم جياداً جديدة وأكبر سرعة. لا يقف الآن بينه وبين السير في قوة عبر الساحل إلى الشمال سوى ضعف قوة جوندور؛ وإذا جاء، مهاجماً الأبراج البيضاء والمرافئ، ربما لا يكون هناك بعد ذلك من مهرب للجن من أشباح الأرض الوسطى المتطاولة».

وقال بورومير: «بيد أن هذا السير سيتأخر كثيراً. إن جوندور تضعف، كما تقول. ولكن جوندور صامدة، يل وحتى في نهاية قوتها، فهي لا تزال قوية جداً».

وقال جلدور: «ولكن قوتها لم تعد تستطيع أن تصد التسعة. وقد يجد طرفاً آخر لا تقوم جوندور بحراستها».

قال إريستور: «عندئذ ليس هناك سوى مسارين، كما صرحت جلورفنديل بالفعل: أن تخبيء الخاتم للأبد؛ أو أن ندمره. ولكن كلا الأمرين فوق قوتنا وقدرتنا. من الذي يفسر هذا اللغز لنا؟».

وقال إلروند في حزن: «لا أحد هنا يستطيع ذلك. على الأقل ليس من أحد يستطيع أن يتمنأ بما يمكن أن يحدث، إذا نحن سلكنا هذا الطريق أو ذاك. ولكن يبدو لي الآن واضحاً ما هو الطريق الذي ينبغي أن نسلكه. الطريق الغربي يبدو الأسهل. ومن ثم يجب أن نتجنبه. سوف يكون مراقباً. لقد فر أفراد الجن كثيراً من هذا الطريق. والآن وفي تلك النهاية يجب علينا أن نسلوك طريقاً صعباً، طريقاً لا يمكن التنبؤ به. هنالك يقع

أملنا، إذا كان هو أملًا على الإطلاق. أن نمشي إلى الخطر - إلى موردور. ينبغي أن نضع الخاتم في النار».

وساد صمتٌ مرةً أخرى. وأحس فرودو - حتى في ذلك المنزل الجميل - الذي يطل على وادٍ تضيئه الشمس مليءاً بضوضاء المياه الصافية، أحس بظلمة قاتلة في صدره. وتململ بورومير، ونظر فرودو إليه. كان يبعث بأصابعه ببرقة العظيم وهو مقطب الجبين، وأخيراً تكلم، وقال:

«إنتي لا أفهم كل ذلك. سارومان خائن، ولكن أليس فيه ومضة من حكمة؟ لماذا تتحدثون دوماً عن الاختباء والتدمير؟ لماذا لا ينبغي علينا أن نفك أن الخاتم العظيم قد جاء إلى أيدينا ليخدمنا في ساعة الحاجة المطلقة؟ باستخدامه والسيطرة عليه ربما يستطيع السادة الأحرار سادة الأحرار تأكيداً أن يهزمو العدو. هذا هو أكبر ما يخشاه، في اعتقادي؟»

«إن رجال جوندور رجال بواسل، ولن يستسلموا أبداً؛ ولكنهم قد يُهزمون. الشجاعة تحتاج أولاً إلى القوة، وبعد ذلك السلاح. ليكن الخاتم سلاحك، إذا كان له تلك القوة متنماً تقول. لتأخذه وتخرج إلى النصر!».

قال له إلروند: «للأسف، لا. لا يمكننا استخدام الخاتم الحاكم. الذي نعرفه الآن جيداً للغاية. إنه يخص ساورون وصنعه هو وحده، وهو شرير بكل المقاييس. إن قوته، يا بورومير، عظيمة للغاية فوق ما يمكن لأي أحد أن يسيطر عليها طواعية، باستثناء أولئك الذين لديهم قوة خاصة بهم بالفعل. ولكن بالنسبة لهم، فإنه يمثل خطراً أكثر فتكاً بذات الدرجة. إذا حدث واستطاع أي من الحكماء بهذا الخاتم التغلب على سيد موردور، مستخدماً مهاراته وحيله هو، فإنه سيضعف نفسه في هذه الحالة في تاج ساورون، وذات يوم سوف يظهر سيد ظلام آخر. وهذا سبب آخر يحتم علينا تدمير الخاتم: طالما كان الخاتم في العالم، فإنه سوف يمثل خطراً على الحكماء. لأنه ليس هناك من شيء شرير في البداية. حتى ساورون لم يكن كذلك. إنتي أخشي أن آخذ الخاتم لأخفيه. لن آخذ الخاتم لاستخدامه».

قال جندلف: «ولا أنا كذلك».

ونظر بورومير إليهم في شك، ولكن حتى رأسه، وقال: «ليكن الأمر كذلك. إذن في جوندور يجب علينا أن نثق في تلك الأسلحة التي نمتلكها. وعلى الأقل، في حين يحرس الحكماء هذا الخاتم، فإننا سنواصل القتال. ربما لا يزال بإمكان السيف الذي كسر أن يصد التيار - إذا كانت اليد التي تستخدمه وتحكم فيه لم ترث إرثاً فقط، ولكن ورثت قوة ملوك الإنس».

وقال أراجورن: «من الذي يمكنه أن يعرف؟ ولكننا سنختبره في يوم من الأيام». ورد بورومير قائلاً: «لعل اليوم لا يتأخر أكثر من اللازم. لأنه على الرغم من أنني لا أطلب المساعدة، فإننا نحتاج إليه. إنه سيرينا لنعرف أن الآخرين قاتلوا أيضاً بكل الوسائل والسبيل التي لديهم».

ورد إلروند قائلاً: «إذن لستrix. لأن هناك قوى أخرى وعوالم لا تعرفها أنت، وهي مخفية عنك. إن نهر آنديوم العظيم يتدفق قبالة شواطئ كثيرة، قبل أن يأتي إلى أرجوناث وبوابات جوندور».

وقال جلوين القزم: «لا يزال من المحتمل أن يكون كل شيء جيداً بالنسبة للجميع، إذا اتحدت كل هذه القوى، واستخدمت قوى كل منها بشكل متعدد. فقد يكون هناك خواتم أخرى، أقل خيانة، قد يكون من الممكن استخدامها في شدتنا. السبعة كثيرة بالنسبة لنا – إذا لم يكن باللين قد وجد خاتم ثرور، الذي كان الخاتم الأخير؛ لم يسمع أي شيء عنه منذ أن هلك ثرور في موريا. في الواقع يمكنني أن أصرح الآن أن فرار باللين كان جزئياً أملاً في العثور على ذلك الخاتم».

وقال جندلف: «لن يعثر باللين على أي خاتم في موريا. لقد أعطاه ثرور لأبنه ثراين، ولكن ليس ثراين إلى ثورين. لقد أخذ دون تعذيب من ثراين في زنازين دُول جولدور. لقد جئت متأخراً بعد فوات الأوان».

وصاح جلوين قائلاً: «آه، للأسف! متى يأتي يوم انتقامنا؟ ولكن لا يزال هناك الثلاثة. ماذا عن الخواتم الثلاثة الخاصة بالجِن؟ خواتم قوية جداً، على ما يقال. إلا يحتفظ بها سادة الجن؟ بيد أنها هي أيضاً من صنع سيد الظلام، صنعها منذ أمد طويل. هل هي غير مستخدمة؟ أرى سادة الجن هنا. ألم يقولوا شيئاً؟».

ولم يدر الجن جواباً. وقال إلروند: «ألم تسمعني، يا جلوين؟».

«الثلاثة لم يصنعها ساورون، ولم يمسوها أبداً. ولكن ليس مسماحاً لأي أحد الكلام عنها. ربما يمكنني القول الآن، أن ذلك يكون بقدر كبير جداً في ساعة الشك هذه فقط. إنها ليست بدون استخدام. ولكنها لم تُصنع كأسلحة حرب أو غزو: هذه ليست قوتها وسلطانها. أولئك الذين صنعواها لم يكونوا يرغبون في القوة أو السيطرة أو الثروات المقدسة، ولكن الفهم، والصناعة، والشفاء، لحفظ كل الأشياء دون نقية أو عيب. هذه الأشياء اكتسبها جن الأرض الوسطى إلى حد ما، على الرغم من أن ذلك كان بعد معاناة وحزن. ولكن كل ما صنعه أولئك الذين يسيطرون على الثلاثة سوف تعمل على تدميرهم، وسوف تصبح عقولهم وقلوبهم مكشوفة لساورون، إذا استعاد الخاتم الأوحد. لو أن الثلاثة لم توجد على الإطلاق لكان أفضل. وهذا هو غرضه».

وسأل جلوين: «ولكن ما الذي سيحدث عندئذ، لو دُمر الخاتم الحاكم، حسبما تشير به؟».

وأجابه إلروند في حزن: «إننا لا نعلم على وجه اليقين. البعض يأمل أن الخواتم الثلاثة، التي لم يمسها ساورون قط، تصبح حرة عندئذ، وربما يقوم المسيطرون عليها بشفاء آلام العالم التي سببها هو. ولكن من المحتمل عندما يذهب الخاتم الأوحد، أن تخفق الخواتم الثلاثة، وتتلاشى أشياء جميلة كثيرة وتتسلى. هذا هو اعتقادي».

وقال جندلف: «ولكن جميع الجن راغبون في تحمل هذه المخاطرة، إذا كان يمكن من خلالها كسر قوة ساورون، ويُقضى على الخوف من هيمنته إلى الأبد».

ورد إريستور قائلاً: «وهكذا فإننا نعود مرة أخرى إلى تدمير الخاتم، ومع ذلك فإننا لا نصبح أكثر قرباً. ما هي القوة التي نمتلكها للعنور على النار التي صنع فيها؟ هذا هو طريق اليأس. إنني أريد أن أقول إن ذلك من الحماقة، لو لا أن حكمة إلروند الطويلة تمنعني من ذلك».

وقال جندلف: «اليأس أو الحماقة؟ إنه ليس اليأس، لأن اليأس ليس إلا لأولئك الذين يرون النهاية فيما وراء كل شك. في حين أننا لا نرى ذلك. إنها الحكمة أن نقر بالضرورة، عند دراسة كل الطرق الأخرى وزنها، على الرغم من أن ذلك قد يبدو كحماقة لأولئك الذين يتعلقون بالأمل الكاذب. حسناً، لتكن الحماقة قناعنا، ستاراً أمام عيني العدو! نظراً لأنه حكيم جداً، ويزن كل الأشياء على نحو صائب ودقيق للغاية في ميزان المكر والخبث. ولكن المقياس الوحيد الذي يعرفه هو الرغبة، الرغبة في القوة والسلطة؛ وهذا فهو يحكم على كل القلوب. ولن يدخل في قلبه أو يقنع بفكرة أن أي شخص سوف يرفضها، تلك التي قد تدمرها لو أن الخاتم كان معنا. إذا سعينا إلى ذلك، فإننا سنضمه خارج كل حساب وتقدير».

وقال إلروند: «على الأقل لبعض الوقت. يجب أن نمشي الطريق، ولكنه سيكون صعباً جداً. ولن تستطيع القوة ولا الحكمة أن تحملنا بعيداً فيه. هذه الصالة التي نتشدّها إنما ينشدها الضعف بذات القدر من الأمل مثل القوى. ولكن ذلك في الغالب هو نهج الأعمال التي تحرّك عجلة العالم: أيد صغيرة تفعّلها لأنّه ينبغي عليها ذلك؛ في حين تكون أعين العظام في مكان آخر».

وقال بيلبو فجأة: «حسناً جداً يا سيد إلروند! لا تقل أكثر من ذلك! إن ما ترمي إليه لمن الواضح بشكل كاف. بيلبو - الهوبيتي السخيف بدأ هذا الأمر، ومن الأفضل أن ينهيه بيلبو، أو ينهي نفسه. لقد كنت مستريحاً جداً هنا، وكنت أحرز تقدماً في كتابة كتابي. إذا كنت ت يريد أن تعرف، إنني فقط أكتب نهاية له. لقد فكرت في وضع: وقد

عاش سعيداً إلى الأبد بعد ذلك حتى نهاية أيامه. إنها نهاية جيدة، ولم يستخدم أي شيء أفضل منها من قبل. والآن يجب على أن أغير هذه النهاية: لا تبدو أنها ستحقق؛ وعلى أية حال سوف يكون هناك بكل وضوح عدة فصول أخرى، إذا عشت لأكتبها. إنه شيء مزعج بغيض. متى ينبغي علي أن أبدأ؟».

ونظر بورومير إلى بيلبو في دهشة، ولكن ماتت الضحكة على شفتيه عندما رأى أن الآخرين جميعاً نظروا إلى الهوبيتي العجوز باحترام بالغ. لم يتسم سوى جلوين، ولكن ابتسامته جاءت من ذكريات قديمة.

وقال جنلوف: «بالطبع، يا عزيزي بيلبو. إذا كنت قد بدأت هذا الأمر بالفعل، فربما يكون من المتوقع منك أن تنهيه. ولكنك تعرف جيداً بالشكل الكافي الآن أن البدء أمر عظيم للغاية لأي شخص، وأن دوراً صغيراً فقط في أي أعمال عظيمة يلعبه أي بطل. ليس هناك داع لأن تتحنى! على الرغم من أن الكلمة كانت مقصودة، فإننا لا نشك إطلاقاً في أنك تقدم عرضاً باسلاً. ولكنه عرض يفوق قوتك يا بيلبو. لا يمكنك العودة بهذا الشيء. لقد انتقل إلى غيرك. إذا كنت لا تزال تحتاج إلى نصيحتي، فإبني أقول إن دورك قد انتهي، إلا أن يكون لك دور كمسجل. أنه كتابك، واترك النهاية دون تغيير! لا يزال هناك أمل بالنسبة لها. ولكن استعد لكتابة تتمة له، عندما يعودون هم».

وضحك بيلبو، وقال: «لم أعرف أبداً أنك أسدت إليّ نصيحة لطيفة من قبل. وحيث إن كل نصائحك غير اللطيفة كانت جيدة، فإبني أتمنى أن تكون هذه النصيحة غير سيئة. ومع ذلك، فإبني لا أفترض أن تبقى لدى من القوة أو الحظ ما يجعلني أتعامل مع الخاتم. لقد كبر، ولم أكبر أنا. ولكن قل لي: ماذا تقصد بـ(هم)؟». «الرسل الذين أرسلوا بالخاتم».

«بالضبط! ومن المفترض أن يكون هؤلاء؟ يبدو ذلك لي أنه ما ينبغي على المجلس أن يقرره، وكل ما ينبغي على المجلس أن يقرره. قد ينمو الجن ويكبرون على الكلام فقط، ويتحمل الأقزام الإرهاق البالغ؛ أما أنا فإبني لست سوى هوبيتي عجوز، وإنني أحتج إلى وجيبي في الظهيرة. ألا يمكنك التفكير في بعض الأسماء الآن؟ أو تؤجل ذلك إلى ما بعد الغداء؟».

ولم يدر أحد جواباً. ودق جرس الظهيرة. ومع ذلك لم يتحدث أحد. حدق فرودو في كل الوجوه، ولكنها لم تلتفت إليه. جلس الجميع من في المجلس وعيونهم إلى أسفل، كما لو كانوا مستغرقين في تفكير عميق. ألم به خوف عظيم، كما لو كان ينتظر النطق بقرار كان قد تنبأ به منذ زمن طويل وتعنى عبئاً ألا ينطق به أبداً على أية حال. ملأ كل

قلبه ولع غامر بأن يستريح ويبيقى في طمأنينة إلى جانب بيلبو في ريفنديل. وتحدث أخيراً بجهد كبير، واندهش هو نفسه لسماعه كلماته، كما لو كانت هناك إرادة أخرى تستخدم صوته الصغير، وقال:

«سوف أخذ الخاتم، على الرغم من أنني لا أعرف الطريق».

ورفع إلروند عينيه ونظر إليه، وأحس فرودو بقلبه تخترقه الحدة المفاجئة للنظر، وقال: «إذا كنت أفهم على نحو صحيح كل ما سمعته، أعتقد أن هذه المهمة قد أوكلت لك، يا فرودو؛ وأنه إذا لم تجد أنت طريقاً، فلن يجد أحد طريقاً. هذه هي ساعة أهلمقاطعة، عندما ينهضون من حقولهم الهادئه ليهزوا الأبراج ومحالس العظام. من بين كل الحكماء كان يمكن أن يتبعاً بذلك؟ أو – إذا كانوا حكماء – فلماذا ينبغي أن يتوقعوا أن يعرفوا بذلك، إلى أن دقت الساعة وحان الوقت؟

«ولكنه حمل ثقيل. ثقيل جداً لدرجة أنه لا يمكن أن يضعه أي شخص على آخر. إنني لا أضعه عليك. ولكنك إذا أخذته بمحض إرادتك واختيارك، فإنني سأقول إن اختيارك صواب؛ وعلى الرغم من أن كل عظمة أصدقاء الجن في الماضي، هادر، وهورين، وتورين، وبيرين نفسه، قد جمعت معاً، فإن مقعدك ينبغي أن يكون بينهم».

وصاح سام، وهو لم يعد قادراً على أن يحتوي نفسه، وقفز من ركن كأن يجلس فيه في هدوء على الأرض: «ولكنك لن ترسله في هذه المهمة بمفرده بكل تأكيد، يا سيد؟».

ورد عليه إلروند، وقد التفت ناحيته بأبتسامة: «في الواقع الأمر لا؟ أنت على الأقل سوف تذهب معه. إنه لا يكاد يكون ممكناً فصلك عنه، حتى عندما يدعى إلى مجلس سرى وأنت لا تكون مدعواً».

وجلس سام، وقد تورّد وجهه خجلاً وهو يغمغم، وقال وهو يهز رأسه: «لقد أوقعنا أنفسنا في ورطة لطيفة يا سيد فرودو!».

## الفصل الثالث

### الخاتم يذهب جنوباً

في وقت لاحق من ذلك اليوم عقد الهوبيتيون اجتماعاً خاصاً بهم في غرفة بيلبو. كان ميري وبيبين ساخطين عندما سمعاً أن سام قد تسلل إلى المجلس، وقد اختير ليكون رفيق فرودو.

وقال بيбин: «هذا أشد الظلم. بدلاً من طرده بالخارج، ووضعه في السلسل، يذهب إلى روند ويكافئه على وقادته!».

وقال فرودو: «يكافئه! لا يمكنني أن أتصور عقوبة أشد من ذلك. أنتما لا تفكران فيما تقولانه: يحكم عليه أن يذهب في تلك الرحلة البائسة، مكافأة؟ بالأمس حلمت أن مهمتي قد انتهت، ويمكنني أن أستريح هنا، لفترة طويلة، ربما للأبد».

وقال ميري: «إنني لا أستغرب، وأتمنى أن تستطيع إنجاز المهمة. ولكننا نحسب سام، وليس أنت. إذا كان لزاماً عليك الذهاب، إذن سيكون عقاباً لأي منا أن يترك، حتى في ريفنديل. لقد سرنا مسافة طويلة معك ومررنا بأوقات عصيبة. إننا نريد أن نواصل المسيرة ونذهب معك».

وقال بيбин: «هذا ما قصدته. نحن الهوبيتيين علينا أن نلتصرق معاً، وسوف نفعل ذلك. إنني سأذهب، إلا إذا وضعوني في السلسل. لا بد أن يكون هناك شخص ذكي في المجموعة».

«في هذه الحالة، فمن المؤكد أنك لن تختار يا برجرين تورو!» - قال ذلك جنلوف، وهو ينظر إليهم من النافذة، التي كانت قرية من الأرض - وواصل كلامه قائلاً: «ولكنكم جميعاً ترهقون أنفسكم دون داع. لم يتم تقرير أي شيء بعد».

وصاح بيбин: «لم يتم تقرير أي شيء. إذن ماذا كنتم تفعلون جميعاً؟ لقد كنتم بالداخل لمدة ساعات».

وقال بيلبو: «نتحدث. كان هناك قدر كبير من الكلام، وكان لدى كل واحد شيء مثير للدهشة ليقوله. حتى جنلوف العجوز. أعتقد أن خبر ليجولات عن جولام فاجأ الجميع حتى هو، على الرغم من أنه مرره».

فقال له جنلوف: «أنت مخطئ. لقد كنت غافلاً. لقد سمعت بالفعل عن ذلك من جواهير. إذا كنت تبغي أن تعرف، الأشياء المثيرة للدهشة حقاً فقط، حسبما وضعت أنت هذا المصطلح، كانت منك أنت وفرودو، وكنت أنا الشخص الوحيد الذي لم يندهش».

ورد بيليو قائلًا: «حسناً، على أية حال، لم يتم اتخاذ أي قرار بخلاف اختيار فرودو وسام المسكينين. لقد كنت أخشى طوال الوقت أن يصل الأمر إلى ذلك، إذا استبعدت أنا. ولكن إذا مالتني، فإن إلروند سوف يرسل عدداً كبيراً، عندما تصل التقارير. هل بدأوا بالفعل يا جندي؟».

وقال الساحر: «نعم. لقد أرسل بعض المستكشفين بالفعل. سوف يذهب المزيد غداً. يقوم إلروند بإرسال الجن، وسوف يتصلون بالجوالين، وربما سيتصلون بأهل ثراندوبل في الغابة المظلمة. وقد ذهب أراجورن مع ابن إلروند. سوف يتحتم علينا أن نطوف الأرضي كافة لمسافة فراسخ كثيرة قبل أن نصنع أي شيء. ولذا لا تبتس يا فرودو! زبما تبقى هنا لوقت طويل».

وقال سام في كآبة: «آه! سوف تنتظر طويلاً بكل تأكيد بالشكل الكافي حتى يأتي الشتاء».

وقال بيليو: «لا يمكن منع ذلك. إنه خطأك - على نحو جزئي - يا فرودو يا عزيزي: الإصرار على الانتظار لحظة عيد ميلادي. طريقة غريبة لإحياء المناسبة، لا يمكنني أن أمنع نفسي من التفكير في الأمر. ولا أنسى اليوم الذي كان يتحتم عليه اختياره لجعل أفراد الساك باجيتر يدخلون منزل باج إيند. ولكن ها هو الأمر: لا يمكنك الآن أن تنتظر حتى الربيع؛ ولا يمكنك أن تذهب حتى تعود التقارير.

عندما يبدأ الشتاء يلدفع  
والصخور تتشقق في الليلة المتجمدة ،  
عندما تصير الأحواض سوداء والأشجار جرداء ،  
فإنه من الشفرا الارتفاع في البرية .

ولكن ما أخشاه أنه سيكون حظك».

قال جندي: «أخشى أنه سيكون كذلك. لا يمكننا أن نبدأ حتى تصلنا أخبار عن الخيالة».

قال ميري: «ظننت أنهم دُمرروا جميعاً في الطوفان».

فرد عليه جندي بقوله: «لا يمكنك أن تدمر أشباح الخاتم على ذلك النحو. إن قوة صيدهم فيها، وهم يصدون أو يسقطون بواسطته. نتمنى أن يكونوا جميعاً دون خيل ودون أفعى، وهكذا فإنهم يجعلون لبعض الوقت أقل خطراً؛ ولكن ينبغي علينا أن نتحقق من ذلك على وجه اليقين. في نفس الوقت، ينبغي عليك أن تحاول وتنسى مخاوفك يا فرودو. لا أدرى إذا كان يوماً يسمى أي شيء يمكن أن أفعله لأسعادك؛ ولكنني سوف

أهمس بهذا في أذنك. قال أحدهم إن الذكاء مطلوب في المجموعة. وقد كان على حق.  
أعتقد أنني سوف أتني معك».

لقد كان ابتهاج فرودو عظيماً للغاية عند سماعه لذلك الإعلان لدرجة أن جنديف ترك عتبة النافذة، حيث كان يجلس، وخلع قبعته وانحنى، وقال: «كل ما قلته هو أنني أعتقد أنني سأتني معك. لا تغول على أي شيء بعد. في هذا الأمر سيكون لدى إلروند الكثير ليقوله، وكذلك صديقك متراديدار. الأمر الذي يذكرني، أريد أن أرى إلروند. لا بد أن أمضى الآن».

وقال فرودو بيليو عندما ذهب جنديف: «كم من الوقت في رأيك سوف أبقى هنا؟».

فرد عليه بيليو بقوله: «أوه، لا أدرى. لا يمكنني أن أعد الأيام في ريفنديل. ولكن طويلاً جداً، فيما أعتقد. يمكننا أن نتبادل أطراف أحاديث كثيرة وجيدة. ماذا عن مساعدتي في كتابي، والبدء في الكتاب التالي؟ هل فكرت في أي نهاية؟».

قال له فرودو: «نعم، نهايات عديدة، وكلها كثيبة وغير سارة».

ورد عليه بيليو قائلاً: «أوه، لن يجدي ذلك! الكتب لا بد أن تكون نهاياتها جيدة. ماذا عن هذه النهاية: واستقرروا جميعاً وعاشوا معاً في سعادة إلى الأبد؟».

قال له فرودو: «سوف تقفي بالغرض، إذا وصل الأمر إلى ذلك».

وقال سام: «آه! وأين سيعيشون؟ هذا ما أتساءل عنه كثيراً».

وأصل الهوببيون كلامهم لبعض الوقت وفكروا في الرحلة الماضية وفي الأخطار التي تنتظرونهم؛ ولكن كانت تلك فضيلة أرض ريفنديل أن كل الخوف والقلق في الحال ما رفعها من عقولهم. لم ينس المستقبل - جيداً كان أو سيئاً - ولكن لم يعد له أي سلطان على الحاضر. زادتهم الصحة والأمل قوة، وكانوا راضين بكل يوم طيب عندما يأتي، ممتنعين بكل وجية، وكل كلمة وأغنية.

وهكذا انقضت الأيام سريعاً، حيث كان كل يوم يزدغ فجره مشرقاً وجميلاً، وكل مساء يتلوه كان بارداً وصافياً. ولكن الخريف كان ينقضى سريعاً؛ تلاشى الضوء الفضي بطيئاً وتحول إلى فضي باهت، وسقطت الأوراق المتبقية من الأشجار الجرداء. بدأت ريح تهب باردة من الجبال الصبابية نحو الشرق. كان قمر الصياد يكبر في سماء الليل، وجعل كل النجوم الأقل تفر هاربة. ولكن كان هناك قمر واحد منخفض في الجنوب يشع لوناً أحمر. كل ليلة، عندما كان القمر يتضاعل مرة أخرى، كان يسطع هو أكثر إشراقاً وأكثر. كان فرودو يراه من نافذته، عميقاً في السموات، يضيء مثل عين ساهرة تتوهج فوق الأشجار على حافة الوادي.

مضى على الهوبيتين شهران تقريباً في منزل إلروند، ومضى شهر نوفمبر مع آخر بقايا من الخريف، وكاد ديسمبر ينقضي، عندما بدأ المستكشفون يعودون. كان بعضهم قد ذهب شمالاً فيما وراء ينابيع الهاورويل إلى مرتفعات إيتينمور؛ وذهب آخرون إلى الغرب، وبمساعدة أراجورن والجوارلين فتشوا الأراضي البعيدة عبر نهر الطوفان الرمادي<sup>(١)</sup>، لغاية ثارباد، حيث يقطع الطريق الشمالي القديم النهر عبر مدينة مدمرة. وذهب الكثيرون شرقاً وجنوبياً؛ وقد عبر بعض من هؤلاء الجبال ودخلوا الغابة المظلمة، في حين صعد آخرون الطريق عند متبع نهر جلادين، وجاءوا هبوطاً إلى أرض التيه وفوق حقول جلادين وهكذا وصلوا أخيراً إلى البيت القديم لراداجاست في روز جوبل<sup>(٢)</sup>: لم يكن راداجاست هناك؛ وقد عادوا عبر الطريق المرتفع الذي كان يطلق عليه سُلم ديمريل. كان ولدا إلروند - إلادان وإلروهير - آخر اثنين يعودان؛ لقد قاما ببرحالة عظيمة، حيث عبرا نهر سيلفرلود إلى بلد غريب، ولكنهما لم يتحدثا عن رحلتهما إلا إلى إلروند.

لم يكتشف الرسل في أي منطقة أي علامات أو أخبار عن الخيالة أو أي خدام آخرين للعدو. حتى من نسور الجبال الضبابية لم يكتشفوا أي أخبار جديدة. لم يُر أي شيء أو يسمع عن جولام؛ ولكن الذئاب البرية كانت لا تزال تجتمع، وكانت تطلق مرة أخرى بحثاً عبر النهر العظيم. لقد عثر على ثلاثة من الخيل السوداء مرة واحدة غارقة في المخاضة التي غمرها الطوفان. فوق صخور منحدرات النهر التي كانت أسفل منها كشفت عمليات البحث أجساماً خمسة أخرى، وكذلك معطفاً أسود طويلاً، ممزقاً ومتهلاً. لم يُر أي آثار آخر من آثار الخيالة السوداء، ولم يُعثر في أي مكان على أي وجود لهم. بدا أنهم قد اختفوا تهائياً من الشمال.

قال جنلوف: «تم تقديم بيان عن ثمانية من التمتعة على الأقل. من التهور أن تكون متأكدين أكثر من اللازم، ولكن أعتقد أننا قد نأمل الآن في أن أشباح الخاتم قد تفرقت، وقد اضطروا إلى العودة بأفضل ما يكون إلى سيدهم في موردور، خاوين ومشوهين. «إذ كان الأمر هكذا، فسوف يمضي بعض الوقت قبل أن يستطيعوا بدء المطاردة والبحث مرة أخرى. بالطبع للعدو خدام آخرون، ولكن سوف يتحتم عليهم أن يقطعوا الطريق كاملاً على حدود ريفنديل قبل أن يستطيعوا الوصول إلى أثربنا. وإذا كان حريصين، فإن ذلك سيكون صعب العثور عليه. ولكن ينبغي ألا تتأخر أكثر من ذلك».

(١) نهر الطوغان الرمادي Greyflood - (المترجم)

[ <http://en.wikipedia.org/wiki/Rhosgobel> ] - اسم مکان عاشر فی راداجاست [موقع Rhosgobel (2)]

استدعي إلروند الهمبتنين إليه. نظر في جد إلى فرودو، وقال: «لقد حان الوقت. إذا كان للخاتم أن يبدأ الرحلة، ينبغي أن يذهب سريعاً. ولكن الذي يذهبون معه ينبغي إلا يعلوا على أن الحرب أو القوة تساعد في مهمتهم وتدعهما. لا بد أن يصلوا إلى مملكة العدو دون مساعدة تماماً. هل مازلت متمسكاً بكلماتك يا فرودو لأنك ستكون حامل الخاتم؟».

ورد عليه فرودو بقوله: «نعم. سوف أذهب مع سام».

ورد عليه إلروند قائلاً: «في هذه الحالة لن يمكنني مساعدتك كثيراً، حتى بالمشورة. يمكنني التنبيؤ قليلاً جداً بطريقك؛ ولا أدرى كيف يمكنك إنجاز مهمتك. لقد زحف الظل الآن إلى سفوح الجبال، بل ويقترب من حدود نهر الطوفان الرمادي؛ وتحت الظل كل شيء مظلم بالنسبة لي. سوف تقابل الكثير من الخصوم، بعضهم صرحاً، وبعضهم متخفون؛ وربما تجد أصدقاء على طريقك عندما تبحث عنهم بأقل قدر. سوف أبعث الرسل، حسبما أستطيع أن أحantal للأمر، إلى أولئك الذين أعرفهم في العالم الفسيح؛ ولكن الأرضي الآن باتت خطيرة للغاية لدرجة أن البعض قد يخفون كثيراً، أو لا يأتون على نحو أسرع منك أنت نفسك».

«سوف أختار لك رفاقاً ليذهبوا معك، بقدر ما يرغبون. هم طوابعية أو يسمح الحظ. يجب أن يكون عددهم قليلاً، حيث إن أملاك إنما هو في السرعة والسرعة. لو كان معك جيش من الجن مدججون بالسلاح من الأيام الخوالي، فإنه سوف يفيد قليلاً، باستثناء أنه سوف يشير قوة موردور».

«إن صحبة الخاتم ستكون تسعه؛ سوف يوضع تسعه مشاة أمام تسعه خيالة شريرين. سوف يذهب جنديّك معك أنت وخدمك الأمين؛ لأن هذه ستكون مهمته العظيمة، وربما تكون هي نهاية متابعيه».

«أما بالنسبة للباقين، فإنهم سيمثلون شعوب العالم الحرة الأخرى: الجن، والأقزام، والإنس. سوف يكون ليجولات عن الجن؛ وجيملي بن جولين عن الأقزام. إنهم راغبون في الذهاب على الأقل إلى طرق الجبال، وربما فيما وراء ذلك. أما عن الإنس فسيكون معكم أراجورن بن أراثورن، لأن خاتم إيسيلدور يهمه كثيراً». وصاح فرودو: «سترايدار!».

وقال بابتسامة: «نعم. إنني أطلب الإذن مرة أخرى لأكون رفيقك يا فرودو».

قال له فرودو: «لقد كنتُ مأرجوك أن تأتي معي، لو لا أنتي اعتقدتُ أنك ستذهب مع بورومير إلى ميناس تيريث».

وقال أراجورن: «سوف أذهب معه. والسيف الذي كسر سوف يُعاد صُنعه قبل أن أذهب للحرب. ولكن طريقك وطريقنا يقعان معاً لعدة مئات من الأميال. ومن ثم فإن بورومير سوف يكون في الصحبة أيضاً. إنه رجل باسل».

وقال إلروند: «وهكذا يظل هناك اثنان أو أكثر يُنْبَغِي العثور عليهم. سوف أتدبر أمر هؤلاء. قد أستطيع أن أجده البعض من أهل بيتي قد يbedo جيداً لي أن أرسلهم».

وصاح بيبيين في رعب: «ولكن ذلك لن يترك مكاناً لنا! إننا لا نريد أن نبقى. نحن نريد أن نذهب مع فرودو».

وقال إلروند: «هذا لأنك لا تفهم ولا يمكنك أن تخيل ما ينتظركم».

وقال جندلف، مسانداً بيبيين على نحو غير متوقع: «ولا فرودو كذلك. ولا أي مني يرى بوضوح. إنه لمن الصواب، أن أولئك الهوبيتين لو فهموا الخطر الذي يكتنف الرحلة، لما تجرأوا على الذهاب. ولكنهم سيظلون راغبين في الذهاب، أو يتمنون أنهم لو تجرأوا، وسيكونون خجلي وتعساء. أعتقد، يا إلروند، أنه في هذه المسألة سيكون من الطيب التعويل على صداقتهم وليس على الحكمة العظيمة. حتى لو اخترت لنا سيداً جنباً، مثل جلورفنديل، فإنه لن يستطيع أن ينسف برج الظلام، ولا أن يفتح الطريق إلى النار بالقوة التي يمتلكها».

قال له إلروند: «إنك تتحدث بقتامة، ولكنك أشك في الأمر. المقاطعة، حسب توعي، ليست خالية من الخطر؛ وقد فكرت في إرسال هذين الاثنين إلى المقاطعة كرسل، ليفعلا ما في استطاعتهما، طبقاً لطريقة بلدكم، ليحذرَا الناس من خطرهم. على أية حال، فإنني أرى أن الأصغر سنًا من بين هذين الاثنين، بيريجررين أو ووك، يجب أن يبقى. إن قلبي يقف ضد ذهابه».

فرد عليه بيبيين قائلاً: «في هذه الحالة، يا سيدى إلروند، سوف يتحتم عليك أن تحبسنى في السجن، أو تعيدنى إلى وطني مربوطاً في جوال؛ وإلا فإننى سوف أتبع الصحبة».

قال إلروند، وهو ينتهى: «ليكن الأمر كذلك إذن. سوف تذهب. والآن أستكملت قصة التسعة. يجب أن تغادر الصحبة هنا في غضون سبعة أيام».

قام حدادو الجن بصناعة سيف إلروند مجدداً، ورسم على نصله رسم من سبعة نجوم بين الهلال والشمس المنبعث منها الأشعة، وكتب حولها عدة كلمات وحراف رونية؛ لأن أراجورن بن أراثورن كان ذاهباً إلى الحرب على حدود موردور. كان ذلك السيف لاماً جداً عندما أعيد صنعه كاملاً مرة أخرى؛ كان ضوء الشمس يسطع أحمر، ويُسطع بارداً، وكانت حافته صلبة وحادة ماضية. وأعطاه أراجورن اسمًا جديداً وأطلق عليه أندوريل، «شعـلة الغـرب».

كان أراجورن وجندلْف يمشيان معاً أو يجلسان معاً يتحدثان عن طريقهما وعن الأخطار التي سيقابلانها؛ وراحَا يتأملان الخرائط المزودة برسوم وصور، وكتب المعارف والعلوم التي كانت في منزل إلروند. كان فرودو معهما أحياناً؛ ولكنه كان قانعاً بالاعتماد على توجيههما وإرشادهما، وأمضى كثيراً من الوقت قدر الإمكان مع بيلبو.

في تلك الأيام الأخيرة، كان الهوبيتون يجلسون معاً في المساء في بهو النار، وسمعوا بين قصص وحكايات كثيرة تلك القصة الشعرية بالكامل عن بيرين ولوثين والحصول على الجوهرة العظيمة؛ ولكن في النهار، عندما يكون ميري وبين بالخارج يتجلان فيما حولهما، كان يمكن العثور على فرودو وسام مع بيلبو في غرفته الصغيرة. بعد ذلك كان بيلبو يقرأ فقرات من كتابه (الذي كان لا يزال يبدو غير كامل)، أو مقطوعات من أشعاره، أو يسجل ملاحظات عن مغامرات فرودو.

في صباح اليوم الأخير، كان فرودو بمفرده مع بيلبو، وأخرج الهوبتي العجوز من تحت سريره صندوقاً خشبياً. ورفع الغطاء، وراح يبحث ويقتضي داخله؛ وقال له: «هذا هو سيفاك. ولكنه مكسور، كما تعرف. لقد أخذته لأحتفظ به في أمان ولكني نسيت أن أسأله ما إذا كان باستطاعة الحدادين أن يصلحوه. ليس هناك وقت الآن. ولذلك فإنني فكرت أنه - ربما - كان يهمك أن يكون معك، ألا تعلم بذلك؟».

وأخرج من الصندوق سيفاً صغيراً في غمد جدي قديم رث. وبعد ذلك جرده من غمده، وراح نصله المصقول والمعنى به يتوجه ويلمع فجأة، بارداً وبراً، وقال وهو يطعن به في جهد قليل عارضة خشبية: «إنه ستينج<sup>(١)</sup>. خذه، إذا كنت تريد. لن أحتاج إليه مرة أخرى، فيما أتوقع». وتقبله فرودو في امتنان.

«كما أن هناك هذه!» - قال ذلك بيلبو، وهو يحضر صرة كانت تبدو ثقيلة إلى حد ما بالنسبة لحجمها. وفك عدة طبقات من القماش، وأمسك بدرع صغير على هيئة قميص. كان منسوجاً من عدة حلقات متقاربة ومحكمة، وكان ليناً وطرياً مثل الكتابان تقريراً، وبارداً مثل الثلج، وأكثر صلابة من الفولاذ. كان يلمع مثل فضة يسقط عليها ضوء القمر، وكان مرصعاً بجواهير بيضاء. وكان معه حزام من لؤلؤ وبلور.

وقال بيلبو، وهو يحركه في الضوء: «شيء جميل، أليس كذلك؟ ومفيد. إنه درع القزمي أعطاه لي ثورين. لقد استعدته من مايكل ديفينج قبل أن أبدأ الرحلة، وحزمه مع أمتعتى. لقد أحضرت كل تذكريات رحلتي بعيداً معي، باستثناء الخاتم. ولكني لم

(١) Sing - هو سيف فرودو، والكلمة معناها لسعة، لاغة، وخزة [قاموس المورد] (المترجم)

أكُن أتوقع أن أستخدم هذا، ولا أحتاج إليه الآن، إلا لأنظر إليه في بعض الأحيان.  
لا تكاد تشعر بأي وزن عندما تلبسه».

وقال فرودو: «يجب أن أنظر - حسناً، لا أعتقد أنني سأبدو في شكل جيد فيه». فرد عليه بيلبو قائلاً: «هذا ما قلته أنا نفسي بالضبط. ولكن لا تأبه أبداً بالمنظر. يمكنك أن ترتديه تحت ملابسك الخارجية. هيا! يجب أن تشاطرنى هذا السر. لا تخبر به أي شخص آخر! ولكنني سأحس أنتي أكثر سعادة إذا علمت أنك ترتديه. إنني أتصور أنه سيصد حتى سكاكيين الخيالة السود»، وأنهى كلامه بصوت منخفض.

وقال له فرودو: «حسناً جداً، سوف أخذه». ووضعه بيلبو عليه، وربط السيف ستينج في الحزام اللامع؛ وبعد ذلك لبس فرودو فوق ذلك كله بنطلونه الذي أبلته عوامل الجو، وستره القصيرة، وجاكته.

وقال له بيلبو: «تبذل كهوببتي عادي تماماً. ولكن هناك المزيد بشأنك أكثر مما يبدو على السطح. حظاً سعيداً لك!» والتفت بعيداً ونظر من النافذة، محاولاً أن يدنن بأغنية.

وقال له فرودو: «لا أستطيع أنأشكرك كما ينبغي عليَّ يا بيلبو عن هذه وعن كل عطفك السابق».

«لا تحاول!» - قال له الهوببتي العجوز ذلك، وقد استدار وضربه على ظهره؛ وصاح: «أاو! أنت صلب وموجل جداً الآن بحيث لا يجوز صفعك! ولكن إليك الأمر كلهم: الهوببيون عليهم أن يتلصقوا معاً، وعلى وجه الخصوص الباجنزيون. كل ما أطلبه لقاء ذلك: اعن بنفسك بأكبر قدر ممكن لديك، وعد بكل الأخبار التي تستطيع الحصول عليها، وأي أغاني وحكايات قديمة يمكنك مصادفتها. سوف أبذل قصارى جهدي لأنهي كتابي قبل أن تعود. أود أن أكتب الكتاب الثاني، إذا أبقى علىَّ». وتوقف عن الكلام والتفت إلى النافذة مرة أخرى، وراح يغني بصوت منخفض:

أجلسُ إلى جوار النار مفكراً  
في كل ما رأيته،  
في زهور المروج والفراشات  
خلال الصيف الذي كان؛

في الأوراق الصفراء ولعاب الشمس  
خلال فصول الخريف الماضية،

و سديم الصباح والشمس الفضية  
والريح فوق شعري .

أجلس إلى جوار النار مفكراً  
فيما سيكون عليه العالم  
عندما يأتي الشتاء دون ربيع  
سوف أراه إلى الأبد .

لأنه لا يزال هناك أشياء كثيرة  
لم أرها أبداً :  
في كل غابة ، في كل نبع  
هناك نبت مختلف .

أجلس إلى جوار النار مفكراً  
في الناس منذ زمن طويل ،  
والناس الذين سيرون العالم  
الذى لن أراه أبداً .

ولكنني أجلس طول الوقت مفكراً  
في العهود التي كانت من قبل ،  
أتسمع الأقدام العائدة  
والأصوات على الباب .

كان يوماً بارداً رمادياً قرب نهاية شهر ديسمبر . كانت الريح الشرقية تناسب عبر  
أفرع الأشجار الجرداء ، وتغلي مهاجة في أشجار الصنوبر المظلمة والتلال . كانت  
السحب المهللة تسرع فوق الرءوس ، سوداء وواطئة . وعندما بدأت ظلال المساء  
المبكر الكثيبة تح بالمكان ، كانت الصحبة تستعد لبدء الرحلة . كان مقرراً أن يبدءوا  
مع الغسق ، لأن إلروندي أشار عليهم بالمسير تحت ستار الليل غالباً قدر استطاعتهم ،  
حتى يصيروا بعيدين كثيراً عن ريفنديل؛ وقال :

«ينبغي أن تخافوا من العيون الكثيرة لخدام ساوروں. إنني لا أشك أن أخبار خيبة الخيالة وهزيمتهم قد وصلت بالفعل إليه، وسوف يملؤه حنق عظيم. سوف ينتشر جواسيسه قريباً الآن من كل ما يسير على أقدام ويطير بأجنحة في الأراضي الشمالية. بل وينبغي عليكم أن تكونوا حذرين من السماء فوقكم أثناء سيركم في طريقكم».

أخذت المجموعة عناداً حربياً قليلاً معها؛ لأن أملها كان في السرية وليس في الاقتتال. أخذ أراجورن معه أندوريل ولكن لم يكن معه سلاح آخر، وانطلق مرتدياً فقط ملابس خضراء ورمادية عتيقة، كجوال من أرض التيه. كان مع بورومير سيف طويلاً، شكله مثل أندوريل لكنه ينحدر من سلالة أقل، كما أنه كان يحمل درعاً وكذلك بوق الحرب الخاص به، وقال:

«لقد دوى عالياً وواضحاً في وديان التلال، وبعد ذلك ليهرب جميع خصوم جوندور! ووضعه على شفتيه ونفخ، وقفزت الأصداء من صخرة إلى صخرة، وقفز على قدميه كل سامي للصوت في ريفنديل.

وقال إلروند: «يجب عليك أن تكون بطيناً عندما تنفس في هذا البوق مرة أخرى، يا بورومير، إلى أن تقف مرة أخرى على حدود أرضك، وتكون هناك حاجة ماسة محبيطة بك».

وقال بورومير: «ربما. ولكن دائماً ما كنت أطلق بوق وأجعله يصرخ عند بدء الرحلة، وعلى الرغم من أتنا قد نمشي بعد ذلك في الظلال، فإنني لن أمضى مثل لصن في الليل».

جيولي القزم فقط ارتدى صراحة قميصاً من حلقات الصلب؛ لأن الأقزام يستخفون بالأعمال والأعباء، وفي حزامه كانت هناك بلطة ذات نصل عريض. كان مع ليجولاس قوس وكحانة، وعلق في حزامه سكيناً بيضاء طويلة. حمل الهوبيتون الأصغر سنًا السيوف التي أخذوها من التلة الجنائزية؛ ولكن فرودو لم يأخذ سوى السنين، وظل درعه الواقي مُخبأً، حسب رغبة بيلبو. حمل جندلف عصاه، لكنه كان يعلق في جانبه السيف الجندي جلامدرینج، رفيق الأوركي الذي يرقد الآن على صدر ثورين أسفل الجبل الأعزل.

جهز إلروند الجميع جيداً بثياب دافئة ثقيلة، وكان معهم معاطف وجواكت مبطنة بالفراء. تم تحميم طعام إضافي وثياب وبطانيات وحاجيات أخرى على فرس، لم يكن سوى ذلك الحيوان المسكين الذي أحضروه معهم من البري.

لقد أحدثت الإقامة في ريفنديل فيه تغييراً عظيماً: كان حسن المظهر ويدو أن به

قوة الشباب. لقد كان سام الذي أصر على اختياره، معلناً أن بيل (كما كان يناديه) سوف يهزل، إن لم يأت معهم، حيث قال:

«هذا الحيوان يمكنه أن ينطق تقريراً، وسوف ينطق، إذا هو عاش هنا أكثر من ذلك. لقد نظر إلى نظرة واضحة مثلاً استطاع السيد بيبي أن ينطق بها: إذا لم تدعني للذهاب معكم يا سام، فإبني سوف أتبعكم وحدي». وهكذا فإن بيل كان ذاهباً معي ليكون حيوان الحمل، بيد أنه كان الفرد الوحيد في الصحبة الذي لا يبدو أنه مكتتب.

ودعوا الآخرين في البهو العظيم بجوار النار، ولم يكونوا ينتظرون الآن سوى جنلوف، الذي لم يكن قد خرج بعد من المنزل. جاءت من الأبواب المفتوحة ومضأ من ضوء النار، وكانت أضواء مريحة للنظر تأتي متوجة من نوافذ كثيرة. لف بيلبو نفسه في معطف ووقف صامتاً على عتبة الباب إلى جوار فرودو. كان أراجرن جالساً ورأسه مثمن إلى ركبتيه، لم يكن يعرف تماماً معنى هذه الساعة بالنسبة له سوى إلروند. كان الآخرون يبدون بمثابة أشكال رمادية في الظلمة.

كان سام يقف بجانب الفرس، يمسن أسنانه، ويتحقق في كآبة إلى الظلمة حيث كان النهر يزأر في الأسفل مثل الصخر؛ كانت رغبته في المغامرة لا تكاد تذكر، وقال:

«بيل، يا رجلي، لم يكن ينبغي عليك أن تأتي معنا. كان بالإمكان أن تبقى هنا وتأكل أفضل التبن حتى يؤتي بالعشب الأخضر الجديد». وهز بيل ذيله ولم يقل شيئاً.

فك سام الحزمة التي كانت على كتفيه، وراح يتجلو في قلق يتفحص كل الأشياء التي كدسها فيه، متسائلاً إن كان قد نسي أي شيء: كنزه الرئيسي، أدوات الطهي، صندوق الملح الصغير الذي كان يحمله معه دائماً ويعاود ملأه كلما استطاع ذلك، وكمية جيدة من عشبة الغليون (ولكنها ليست قريبة من القدر الكافي، بكل تأكيد)؛ حجر قداحة وصوفان؛ وخرطوم من الصوف؛ كتاب؛ ومتطلقات صغيرة عديدة تخصل سيده كان فرودو قد نسيها وخزنها سام ليخرجها متضرراً عندما تأتي الحاجة إليها. راح يتفحص كل شيء.

وغمغم بينه وبين نفسه قائلاً: «حبل! ليس هناك حبل! وقد قلت لنفسك الليلة الماضية على وجه التحديد: «سام، ماذا عن قطعة حبل؟ سوف تحتاج إليها، إذا لم تكن معك». حسناً، سوف أحتج إليها. لا يمكنني الحصول عليها الآن».

في تلك اللحظة، خرج إلروند مع جنلوف، ونادى إليه الصحبة، وقال بصوت خفيض: «هذه هي كلمتي الأخيرة. حامل الخاتم يخرج في مهمة البحث عن جبل

الهلاك. يقع على عاته هو فقط أي مسؤولية: لا يرمي الخاتم، ولا يسلمه لأي خادم من خدام العدو ولا يسمح - في واقع الأمر - لأي أحد بأن يستخدمه، سوى أفراد الصحبة والمجلس، على ألا يكون ذلك إلا في أشد الحالات. يذهب الآخرون معه على أنهم رفاق أحرار؛ لمساعدته في طريقه. يمكنكم أن تبقوا أو تعودوا، أو تدوروا جانباً إلى أي طرق أخرى، فيما تنسن الفرص. كلما ذهبتم بعيداً، كان الانسحاب والتراجع أقل يسراً، لكن ليس هناك من قسم أو عهد مأخوذ عليكم لتذهبوا أبعد مما ترغبون؛ لأنكم لا تعلمون قوة قلوبكم بعد، ولا يمكنكم التنبؤ بما يمكن أن يقابلهم على الطريق».

وقال جيملي: «غادر ذلك الذي يودع الرفاق عندما يظلم الطريق».

وقال إلروند: «ربما، ولكن لا تدعه يقسم أن يمشي في الظلام، ذلك الذي لم ير حلول الليل».

ورد جيملي قائلاً: «ولكن القسم قد يقوى القلب المرتفع».

ورد عليه إلروند: «وقد يكسره. لا تنظر إلى الأمام أكثر من اللازم! ولكن اذهبو الآن بقلوب صالحة! الوداع، وتصبحكم جميعاً بركات الجن والإنس وكل الأحرار. لتسقط النجوم فوق رءوسكم!».

وصاح بيلبو وهو يتمتم من البرد: «حظاً... حظاً سعيداً! لا أعتقد أنك تستطيع تسجيل يومياتك يا عزيزي فرودو، ولكنني سأنتظر منك سرداً كاملاً عندما تعود. ولا تملك طويلاً أكثر من اللازم! الوداع!».

وقف عديدون آخرون من أهل إلروند في الظلل وراحوا يشاهدونهم وفهم يمضون، مودعين إياهم هامسين. لم يكن هناك أي ضحك، ولا غناء ولا موسيقى، وأخيراً استداروا بعيداً واختفوا في صمت عبر الغسق.

عبروا الجسر ومالوا ببطء صاعدين الطرق المنحدرة الطويلة التي قادتهم إلى خارج وادي ريفنديل المشقوق، ووصلوا أخيراً إلى المستنقع العالى حيث كانت الريح تهس عبر نباتات الخلنج. وبعد ذلك بنظرة واحدة إلى المنزل المأثور الأخير وهو يتلألأً أسفل منهم انطلقوا بخطى واسعة بعيداً تائبين في قلب الليل.

عند مخاضة بروينين، تركوا الطريق ولما استداروا جنوباً واصلوا السير عبر طرق ضيقة بين طيات الأرضي. كان هدفهم التزام هذا المسار إلى الغرب من الجبال لعدة أميال وأيام. كان الريف أكثر خشونة بكثير وأكثر جدياً منه في الوادي الأخضر. للنهر العظيم في أرض التيه على الجانب الآخر من سلسلة الجبال، وسوف يكون معدل

سيرهم بطيناً لكنهم كانوا يأملون بهذه الطريقة الهرب دون أن تلحظهم أي أعين معادية. ندر أن يرى جواسيس ساورون إلى الآن في ذلك الريف الخالي، وكانت الطرقات معروفة قليلاً، إلا لشعب ريفنديل.

كان جندلف يمشي في المقدمة، ومعه أراجورن الذي كان يعرف هذه الأرض حتى في الظلام. سار الآخرون في طابور واحد وراءهما، وكان ليجولاس ذو العينين الحادتين حارس الخلية. كانت المرحلة الأولى من رحلتهم صعبة ومخيفة، ولم يتذكر منه فرودو إلا القليل، باستثناء الريح؛ لأنه كانت تهب عليهم على مدى أيام كثيرة لا شمس فيها، عواصف ثلجية تأتيهم من الجبال في الشرق، ولم يكن يبدو أن أي ثياب كانت قادرة على إبعاد أصابع تلك الريح الفارسة. وعلى الرغم من أن المجموعة كانت مرتدية ملابس كافية، فلم يشعروا بالدفء إلا نادراً، سواء كانوا يتحركون أو في استراحة.

كانوا يتذمرون في قلق وسط النهار، في بعض تجاويف الأرض، أو مختبئين أسفل شجيرات قصيرة شوكية متشابكة نمت في الأدغال بأماكن متعددة. في فترة ما بعد الظهيرة المتأخرة، أيقظهم القائم بالحراسة، وتناولوا وجبتهم الرئيسية: باردة وكثيبة كقاعدة؛ حيث كانوا نادراً ما يستطيعون إشعال أي نار. في المساء واصلوا سيرهم مرة أخرى، وكانوا دائماً يسيرون باتجاه الجنوب قدر استطاعتهم، مادام بإمكانهم العثور على طريق يتجه بهم جنوباً.

في البداية بدا للهويتين أنهم كانوا يمشون ويتذمرون إلى أن أصحابهم الإرهاق والتعب، فإنهم كانوا يزحفون متقدمين مثل الواقع، ولم يكونوا يحرزون أي تقدم. وكانت الأرض تبدو كما هي لا تتغير عن يومها السابق. ولكن كانت الجبال تزداد اقتراباً منهم بشكل مطرد. بل وكانت إلى الجنوب من ريفنديل تزداد ارتفاعاً، وتميل باتجاه الغرب، وحول سفوح السلسلة الرئيسية كانوا يعثرون على أرض أكثر برية دوماً من تلال كنيبة، ووديان عميقة مملوءة بمياه هادرة هائجة. كانت الطرق والممرات قليلة ومتعرجة، ولم تكن تقودهم في الغالب إلا إلى حافة منحدر عمودي، أو تأخذهم إلى مستنقعات غدارة.

كان قد مضى عليهم وهم على الطريق أسبوعان عندما تغير الطقس؛ انخفضت الرياح فجأة وغيرت اتجاهها دائرياً إلى الجنوب، وارتقت السحب التي كانت تهب متدافعه في خفة وسرعة وتلاشت في الأفق، وطلعت الشمس ساطعة، ويزغ عليهم فجر بارد صاف في نهاية مسيرة لليلة طويلة مضطربة متعرجة. وصل المسافرون إلى حافة منخفضة على قمتها أشجار البهشية القديمة التي كانت سوقها الخضراء الرمادية

تبدو كأنها بنت من نفس صخور التلال. كانت الأوراق الداكنة تلمع وثمارها تتوجه حمرة في ضوء الشمس المشرقة.

كان فرودو يرى دائمًا في الجنوب الأشكال المعتمة للجبال المرتفعة التي كانت تبدو آنذاك كأنها واقفة عبر الطريق الذي كانت صحبتهم تسلكه. على يسار تلك السلسلة الجبلية المرتفعة كان هناك ثلات قمم؛ وقف أطولها وأقربها مثل سن مغطاة بالثلج، وكان جرفها الشمالي العظيم، الأجرد، لا يزال واقعاً في الظل بشكل كبير، ولكنه كان يتوجه باللون الأحمر كلما مال ضوء الشمس عليه.

وقف جندل إلى جانب فرودو ونظر أسفل يده وقال: «لقد أنجزنا إنجازاً طيباً، لقد وصلنا إلى حدود البلد الذي يسميه الإنس هولين..» كان الكثير من الجن يعيشون هنا في الأيام الأكثر سعادة، عندما كان اسمها إريجيون. لقد قطعنا مسافة خمسة وأربعين فرسخاً في خط مستقيم، على الرغم من أن أقدامنا قطعت الكثير من الأميال الأخرى. سوف تكون الأرض والطقس أكثر اعتدالاً الآن، ولكن ربما ستكون الأمور أكثر خطورة بكثير.

«خطرة أو غير خطرة، إن شروع الشمس الحقيقي ترحاب عظيم» - قال ذلك فرودو وهو يلقي غطاء رأسه للوراء ويدع ضوء الصباح يسقط على وجهه.

وقال بيبين: «ولكن الجبال أمامنا. لا بد أننا قد دُرنا نحو الشرق في الليل».

ورد عليه جندل قائلاً: «كلا، لكنك ترى قدرًا أكبر للأمام في وضح النهار. وراء هذه القمم، تتحنى سلسلة الجبال لتدور إلى الجنوب الغربي. هناك خرائط كثيرة في منزل إلروند، ولكنني أعتقد أنك لم تفك في النظر إليها قط».

قال له بيبين: «لقد كنت أُنظر إليها أحياناً، ولكنني لا أتذكرها. فرودو لديه عقل أفضل مني بالنسبة لهذا النوع من الأشياء».

«إنني لا أحتج إلى أي خريطة» - قال ذلك جيولي الذي كان قد جاء مع ليجولاس وكان يحدق أمامه وفي عينيه العميقتين ضوء غريب. «هناك توجد الأرض التي عمل فيها آباؤنا في الماضي، وقد جسدنَا صورة هذه الجبال في أعمال كثيرة من المعدن ومن الصخر، وجسدنَاها في أغاني كثيرة وحكايات. إنها تقف طويلة مرتفعة في أحلامنا: باراز، زيراك، شاثور.

«لم يحدث إلا مرة واحدة من قبل أن رأيتها من بعيد وأنا مستيقظ، ولكنني أعرفها وأعرف أسماءها؛ حيث يقع أسفل منها حصن خزاد دوم، دواروديلف<sup>(1)</sup> والتي يطلق عليها الآن اسم الحفرة السوداء، موريما بلغة الجن. هناك من بعيد يقف بارازينبار،

(1) اسم مدينة (المترجم)

القرن الأحمر، قمة كارادراس الوحشية، وفيما وراءها يقع سيلفريتين وكلاؤديهيد: جبل سيليفريل الأبيض، وجبل فانويدهول الرمادي اللذان نسميهما زيراكزيجيل وبوندوشاثور.

«هناك تنقسم الجبال الضبابية، وبين أذرعها يقع الوادي عميق الظل الذي لا يمكن أن ننساه: أزانولبيزار، وادي ديميريل، الذي يسميه الجن ناندوهيريون».

وقال جندلف: «إننا نتجه في سيرنا إلى وادي ديميريل. إذا صعدنا الطريق المسمى بوابة القرن الأحمر، أسفل الجانب البعيد للكارادراس، فإننا سوف نهبط عبر سلم الديميريل إلى وادي الأقزام العميق. وهناك تقع بحيرة ميرورمير<sup>(1)</sup>، وهناك يرتفع نهر سيلفرلود في ينابيعه الجليدية».

وقال جيملبي: «إن مياه خليج زارام مظلمة، وباردة كينابيع كيبيل نالا. إن قلبي يرتعش عندما أفك أنتي قد أراها قريباً».

قال له جندلف: «لعلك ترى ما يسعد ناظريك يا قزمي الطيب! ولكن أياً كان ما ستفعله، فإننا على الأقل لا نستطيع أن نبقى في هذا الوادي. ينبغي علينا أن نهبط سيلفرلود إلى الغابة السرية، ومن ثم إلى النهر العظيم، وبعد ذلك —». وتوقف عن الكلام.

وسأله ميري: «نعم، وبعد ذلك أين؟».

وقال جندلف: «إلى نهاية الرحلة - في النهاية. لا يمكننا أن ننظر للأمام أكثر من اللازم. لكن مسرورين أن المرحلة الأولى انتهت بسلام. أعتقد أننا سنستريح هنا، ليس فقط اليوم بل هذه الليلة أيضاً. هناك هواء عليل وصحي حول هولين. ينبغي أن يحل الكثير من شر بيلد من البلدان قبل أن ينسوا الجن تماماً، إذا سكنوا ذات مرة هناك».

قال ليجولاس: «هذا صحيح، ولكن جن هذه الأرض كانوا من جنس غريب بالنسبة لنا نحن من أهل الأحراج، ولا تتذكّرهم الأشجار والحشائش الآن. إنتي لا أسمع سوى الحجارة تأسف عليهم: لقد حفرونا عميقاً، وقد صنعوا صنعة جميلة، وبنونا بناء عالياً، لكنهم مضوا. لقد لجئوا إلى المرافق منذ زمن طويل».

في ذلك الصباح، أوددوا ناراً في فجوة عميقه مغطاة بشجيرات قصيرة كبيرة من البهشية، وكانت وجة العشاء - الإفطار التي تناولوها أكثر مرحاً وسعادة مما كانت عليه منذ أن بدءوا رحلتهم. لم يسرعوا إلى فرشهم للنوم بعد ذلك؛ لأنهم توافعوا أن يكون أمامهم الليل بطوله ليناموا فيه، ولم يكن في نيتهم مواصلة السير مرة أخرى حتى

(1) البحيرة المرأة (المترجم)

مساء اليوم التالي، لم يلزم الصمت منهم ويشعر بالقلق، سوى أراجورن. بعد فترة من الوقت، ترك المجموعة وراح يتجول نحو سلسلة الجبال، وهناك وقف في ظل شجرة، ينظر نحو الجنوب والغرب، ورأسه في وضع كما لو كان يتنفس. بعد ذلك عاد إلى حافة الوداد ونظر لأسفل إلى الآخرين وهم يضحكون ويتكلمون.

ونادى عليه ميري بملء فيه قائلاً: «ماذا هناك يا سترايدار؟ عم تبحث؟ هل تفقد ريح الشرق؟».

وأجابه بقوله: «كلا في واقع الأمر. لكنني أفتقد شيئاً ما. لقد كنت في بلدة هولين في عدة فصول. ما من أحد يسكن هناك الآن، ولكن كائنات أخرى كثيرة تعيش هنا في جميع الأوقات، وعلى وجه الخصوص الطيور. ولكن الآن كل الأشياء عداكم صامتة. إننيأشعر بذلك. ليس هناك أي صوت لمسافة أميال حولنا، وتبدو أصواتكم وكأنها تجعل الأرض ترجع الصدى. إنني لا أفهم ذلك».

ونظر جنلوف للأعلى في اهتمام مفاجئ، متسائلاً: «ولكن ما السبب في ظنك؟ هل هناك الكثير فيه أكثر من الدهشة من رؤية أربعة هوبيتين، ناهيك عن الباقيين هنا، حيث يندر رؤية الأشخاص أو سماعهم؟».

وأجابه أراجورن قائلاً: «أمل أن يكون ذلك هو السبب. ولكن لدى إحساس بالمراقبة، وبالخوف، لم أحس به هنا قطٌ من قبل».

وهذا قال جنلوف: «إذن، ينبغي علينا أن تكون أكثر حرصاً. إذا أحضرت جوالاً معك، فمن الجيد أن تغيره انتباهك، وعلى وجه الخصوص إذا كان الجوال أراجورن. ينبغي علينا أن نتوقف عن الكلام بصوت عالٍ، وأن نستريح في هدوء، ونعيّن الحراسة والمراقبة».

كان الدور على سام في ذلك اليوم ليأخذ نوبة الحراسة الأولى، ولكن أراجورن انضم إليه، ونام الآخرون. وساد صمتٌ بعد ذلك حتى أحس به سام نفسه. كان صوت نفس النائمين يسمع بوضوح. أصبحت حركة ذيل الفرس والحركات العرضية لأقدامه ضوضاء عالية. كان سام يسمع صوت ثني مفاصله عندما يتحرك. كان هناك صمتٌ رهيبٌ حوله، وسماء زرقاء صافية تغطي الجميع، كما لو كانت الشمس قد جاءت من الشرق. ومن بعيد في الجنوب ظهرت بقعة مظلمة، وكبرت، وتحركت نحو الشمال مثل دخان متطاير في الريح.

وسأل سام أراجورن هامساً: «ما هذا يا سترايدار؟ إنه لا يبدو مثل سحابة». ولم يعرف الأخير جواباً، كان يدقق في تركيز شديد إلى السماء، ولكن قبل أن يمضي وقت طويل استطاع سام أن يرى بنفسه ما كان يقترب؛ أسراب من الطيور تطير

بسرعة كبيرة، كانت تدور وتدور، وتفحص كل الأرض كما لو كانت تبحث عن شيء ما، وكانت تزداد اقتراباً بشكل مطرد.

«انبطح والزم السكون!» - جاء صوت أراجورن هاماً جداً، وهو يشد سامًّا لأسفل إلى ظل شجيرة بهشية؛ لأن فوجاً كاملاً من الطيور انعزل فجأة عن الجيش الهائل الرئيسي، وجاء بطيئاً على ارتفاع قريب منهم، في خط مستقيم نحو سلسلة الجبال. اعتقد سام أنها كانت نوعاً من الغربان كبيرة الحجم. وبينما كانت تمر فوق رءوسهم، في حشد كثيف للغاية لدرجة أن ظلها تبعها في هيئة مظلمة على الأرض أسفل منها، سمع نعيب أحش الصوت.

لم ينهض أراجورن إلا عندما ابتعدت واختفت في الفضاء، شمالاً وغرباً، وأصبحت السماء صافية مرة أخرى. بعد ذلك هبَّ واقفاً وذهب وأيقظ جنَّدَلْفَ، وقال له:

«أفواج من الغربان السود تحلق فوق جميع أنحاء الأرض؛ بين الجبال وبين نهر الطوفان الرمادي، ولقد مرت فوق هولين. إنها ليست من هنا؛ إنها من نوع كريبياين<sup>(1)</sup> من غابة فانجورن دونلاند. إنني لا أعلم ما شأنها وما هي بصدده: من المحتمل أن يكون هناك بعض المشكلات في الجنوب الذي أنت طائرة منه، لكنني أعتقد أنها تتوجه على الأرض، كما أنتي لمحت الكثير من الصقور تطير عالياً في السماء. أعتقد أنه ينبغي علينا أن نعاود التحرك هذا المساء. لم تعد هولين آمنة بالنسبة لنا؛ إنها تحت المراقبة».

وقال له جنَّدَلْفَ: «وفي تلك الحالة، فإن بوابة القرن الأحمر كذلك، وكيف يمكننا أن نعبر ذلك دون أن نُرى، لا يمكنني أن أتصور ذلك. ولكن سوف نفكر في ذلك عندما يكون لزاماً علينا. أما فيما يخص التحرك بسرعة عندما يحل الظلام، فإنتي أخشى أنك على صواب».

وقال له أراجورن: «من حسن الحظ أن نارنا انطلق منها دخان قليل، وكانت تشتعل منخفضة قبل أن تأتي غربان الكريبياين. ينبغي إخمادها وعدم إشعالها مرة أخرى».

وقال بيبين: «حسناً، إذا لم يكن ذلك كارثة و شيئاً مزعجاً!». الأخبار: عدم إشعال أي نار، ومواهدة التحرك في الليل، بمجرد أن استيقظ من نومه فيما بعد الظهيرة. «كل ذلك بسبب مجموعة من الغربان! لقد كنت أطلع إلى وجية جيدة حقاً هذه الليلة: شيء ساخن».

وقال جنَّدَلْفَ: «حسناً، يمكنك أن تواصل تطلعك. ربما تكون هناك ولانم كثيرة غير متوقعة في انتظارك. أما بالنسبة لي أنا فإنني أرغب في غليون أدخله في راحة، وقدمني أكثر دفناً. ومع ذلك، فإننا متأكدون من شيء واحد على أية حال؛ ألا وهو أن الجو سوف يصبح أكثر دفناً عندما نصل الجنوب».

(1) Crebain – نوع من الغربان الكبيرة [موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Crebain>] [المترجم]

وتنتمي سام إلى فرودو بقوله: «دافئ أكثر من اللازم، لا أتمنى أن أعرف. ولكنني بدأت أعتقد أنه حان الوقت لأن نرى ذلك الجبل النارى، ونرى نهاية الطريق، إذا جاز لي القول. كنت أظن أن ذلك الموجود هنا، هذا القرن الأحمر، أو أي ما كان اسمه، ربما يكون هو، إلى أن قال جيملي ما لديه. كم هي غريبة حقاً لغة الأقزام!» لم تكن الخرائط تنقل أي شيء إلى عقل سام، وكل المسافات في هذه الأرضي الغريبة كانت تبدو شاسعة للغاية لدرجة أنها كانت تقع خارج نطاق تقديره وحسابه.

طلت المجموعة مختبئة طوال ذلك اليوم. كانت الطيور السوداء تمر فوقهم من وقت لآخر.. ولكن بينما كانت الشمس المنطلقة غرباً تزداد حمرة، فإنهم كانوا يختفون باتجاه الجنوب. ومع الغسق بدأت المجموعة سيرها، وداروا عندها إلى الشرق جزئياً واتجهوا في مسارهم باتجاه كارادراس التي كانت لا تزال تتوهج من مسافة بعيدة بلون أحمر باهت في الضوء الأخير من الشمس التي اختفت. بدأت النجوم البيضاء تظهر واحداً تلو الآخر بينما كانت السماء تخبو.

وسلكوا طريقاً جيداً تحت قيادة أراجورن. كان يبدو بالنسبة لفرودو مثل بقايا طريق قديم، وكان في وقت من الأوقات طريقاً جيد التنظيم، من هولين إلى الممر الجبلي. كان القمر عندها بدراً، وراح يرتفع فوق الجبال، ويلقي بضوء شاحب كانت فيه ظلال الصخور السوداء. كان يبدو أن الكثير منها قد صنع يدوياً، على الرغم من أنها الآن كانت ملقاء متساقطة ومتهدمة في أرض جرداء قاحلة.

كانت الساعة هي تلك الساعة الباردة التي تسبق أول حركة للفجر، وكان القمر منخفضاً. نظر فرودو نحو السماء. وفجأة رأى أو أحس بظل يمر فوق الفجوم العالية، كما لو كانت النجوم قد تلاشت للحظة ثم عادت تومض مرة أخرى، وأصابته رعشة. وهمس في جندي الذي كان أمامه مباشرة، قائلاً: «هل رأيت أي شيء يمر فوقها؟».

فرد عليه جندي بقوله: «كلا، لكنني أحسست به، أي ما كان هذا الشيء. ربما لا يكون أي شيء، مجرد سحابة رقيقة».

وغمغم أراجورن قائلاً: «لقد كان ذلك الشيء يتحرك سريعاً عندها، وليس مع الريح».

لم يحدث أي شيء آخر هذه الليلة. بل وطلع صباح اليوم التالي أكثر إشراقاً من ذي قبل. ولكن الهواء كان بارداً مرة أخرى، وكانت الريح بالفعل تتقدّر باتجاه الشرق. وظلوا يمشون مسيرة ليلتين آخريتين، يصعدون باستمرار ولكن على نحو أكثر بطئاً دائمًا بينما كان طريقهم يتعرج صاعداً في التلال، وكانت الجبال ترتفع صاعدة مثل الأبراج، وتتصبح أكثر قرباً وأكثر. في صباح اليوم التالي، ارتفعت قمة

كارادراس أمامهم؛ قمة عظيمة، مغطاة بالثلج مثل الفضة، لكن كانت جوانبها عمودية تقريباً، كانت حمراء حمرة باهتة كما لو كانت ملطخة بالدم.

كان هناك منظر أسود في المساء، وكانت الشمس باهتة. دارت الريح آنذاك متوجهة إلى الشمال الشرقي. شم جنلوف الهواء ونظر للوراء، وقال بهدوء مخاطباً أراجورن:

«الشتاء يزداد عمقاً وراءنا. المرتفعات بعيداً في الشمال أكثر بياضاً مما كانت عليه، الثلج يرقد بعيداً أسفل أكتافها. الليلة سنكون في طريقنا صاعدين باتجاه بوابة القرن الأحمر. ومن الممكن أيضاً أن يرانا المراقبون على ذلك الطريق الضيق، وبها جمنا بعض الشر من مكمن على الطريق، ولكن قد يكون الطقس عدواً أكثر فتكاً من أي عدو... ما رأيك في خط سيرك الآن يا أراجورن؟».

سمع فرودو هذه الكلمات مصادفةً، وفهم أن جنلوف وأراجورن كانوا يواصلان حوازاً لم يكن قد بدأ منذ فترة طويلة. وراح ينصلت في قلق.

وأجابه أراجورن بقوله: «إنني لا أرى أن مسارنا جيد من البداية إلى النهاية، كما تعرف ذلك أنت جيداً يا جنلوف. والأخطار سواء كانت معروفة أو غير معروفة سوف تتزايد ونحن نواصل سيرنا. ولكن ينبغي علينا أن نواصل المسير، وليس من المفيد تأخيرنا لعبور الجبال. ليست هناك أي ممرات في الجنوب، حتى يصل الواحد إلى فجوة روحان. إنني لا أثق بهذا الطريق منذ أن سمعت أخبارك عن سارومان. من يدري؟ أي جانب الآن تخدمه مستنقعات سادة الخيل؟».

وقال جنلوف: «من يدري حقاً! ولكن هناك طريقاً آخر، وليس عن طريق المرور بكارادراس: الطريق الغامض والسرى الذي تحدثنا عنه».

«ولكن دعنا لا نتكلم عن ذلك مرة أخرى! ليس بعد. لا تقل أي شيء للآخرين، أرجوك، ليس قبل أن يكون واضحاً أنه ليس هناك أي طريق آخر».

وأجابه جنلوف قائلاً: «ينبغي أن تقرر قبل أن نبدأ المسير مجدداً ونذهب أبعد من ذلك».

رد عليه أراجورن بقوله: «في هذه الحالة، لنزن الأمر في أذهاننا، بينما الآخرون في راحتهم، وهم نائمون».

في ذلك اليوم من بعد الظهيرة المتأخرة، بينما كان الآخرون ينهون إفطارهم، انتهى جنلوف وأراجورن جانباً معاً ووقفاً ينظران إلى كارادراس. كانت جوانبه قائمة وكئيبة، وكان رأسه في سحابة رمادية. راح فرودو يراقبهما وهو يتساءل عن الطريق الذي سيمضي فيه الحوار. عندما عادا إلى المجموعة، تحدث جنلوف، وبعد ذلك علم

أنه قد تقرر مواجهة الطقس والطريق المرتفع. لقد شعر بالارتفاع. لم يستطع أن يخمن ما هو الطريق الآخر الغامض والسريري، ولكن مجرد ذكره بدا أنه قد ملأ أراجورن بالفزع، وكان فرودو مسروراً أنه قد ترك.

وقال جندلف: «من العلامات التي رأيناها أخيراً، فإنني أخشى أن تكون بوابة القرن الأحمر مراقبة، كما تساورني شكوك حول الطقس الذي يتبعنا في صعودنا. قد يأتي الثلج. ينبغي أن نذهب بكل ما أوتينا من سرعة. حتى والأمر كذلك، فإن الأمر سيستغرق منا أكثر من مدة مسيرتين قبل أن نصل إلى قمة الطريق. سرعان ما سيحل الظلام علينا هذا المساء. ينبغي أن نغادر المكان بأقصى سرعة تستطيعون بها تجهيز أنفسكم».

قال بورومير: «سوف أضيف كلمة نصح، إذا سمحتم لي. لقد ولدت تحت ظل الجبال البيضاء وأعرف شيئاً ما عن الرحلات في الأماكن المرتفعة. سوف نقابل برداً قارساً، إن لم يكن أسوأ من ذلك، قبل أن نهبط في الجانب الآخر. إننا عندما نتجدد حتى الموت، فإن كل هذا التكتم وهذه السرية لن تساعدنا. عندما نترك المكان هنا، حيث لا يزال هناك بعضأشجار قليلة وشجيرات قصيرة، ينبغي أن يحمل كل منا حزمة خشب كبيرة بقدر ما يستطيع ذلك».

قال سام: «ويستطيع بيل أن يأخذ حملأ أكبر بعض الشيء، أليس كذلك يا رجلي؟»  
ونظر الفرس إليه في رثاء.

وقال جندلف: «حسناً جداً. ولكن لا ينبغي أن نستخدم الخشب - إلا إذا كان خياراً بين النار والموت».

وبدأت المجموعة الرحلة مجدداً، بسرعة جيدة في البداية، ولكن سرعان ما أصبح طريقهم حاد الارتفاع وصعباً. لقد احتفى في كثير من الأماكن تقريباً الطريق المتعرج الصاعد، وكانت تعدد الكثير من الصخور المتتساقطة. أصبح الليل مظلماً بشكل مفرط تحت السحب الهائلة. راحت ريح قارسة البرودة تهب مثل الدوامة بين الصخور. مع منتصف الليل، كانوا قد تسلقوا إلى ركب الجبال العظيمة. وراح الطريق الضيق الآن يسير متعرجاً أسفل جدار منحدر من الجرف إلى اليسار، والذي راحت الجوانب الكالحة من كارادراس فوقه تصعد غير مرئية في الظلام، وعلى اليمين كان هناك خليج من الظلمة حيث انخفضت الأرض فجأة وغاصت في وده عميق.

وبجهد شديد تسلقوا منحدراً حاداً وتوقفوا للحظة عند القمة. شعر فرودو بلمسة رقيقة على وجهه. مد ذراعه ورأى صفائح بيضاء معتمة من الثلج تسقط على كمه. وواصلوا سيرهم. ولكن قبل أن يمضي وقت طويل، كان الثلج يسقط سريعاً،

وراح يملأ كل الهواء، ويدور مثل الدوامة في عيني فرودو. لم يكن شكل كل من جنلوف وأراجون المظلمين المحنين اللذين كانا على بعد خطوة أو خطوتين يكاد يرى إلا بكل صعوبة.

وقال سام وهو يلهث وراءهم مباشرة: «إنني لا أحب ذلك على الإطلاق. الثلج لا بأس به في صباح لطيف، ولكنني أود أن أكون في السرير وهو يتتساقط. أتمنى أن يذهب هذا الكم الكبير إلى قريه هوبيتون! فقد يرحب الناس به هناك». كان سقوط الجليد بغزاره نادراً في المقاطعة باستثناء ما يكون منه على مستنقعات الربع الشمالي المرتفعة، وكان يُنظر إليه على أنه حدث لطيف وسار وفرصة للاستمتاع. لا يتذكر أي هوبيتي حي (سوى بيلبو) الشتاء الصارى في عام 1311؛ عندما غزت الذئاب البيضاء المقاطعة فوق نهر براندي وain المتجمد.

وتوقف جنلوف.. كان الثلج كثيفاً على غطاء رأسه وعلى كتفيه، كان بالفعل يغطي حتى كاحليه حول حذائه طويلاً الرقبة (البوت)، وقال: «هذا ما كنت أخشى. ماذا تقول الآن يا أراجورن؟».

وأجابه أراجورن قائلاً: «وأنا كنت أخشى ذلك أيضاً، ولكن أقل من أشياء أخرى. كنت أعرف خطر الثلج رغم أنه قلما يسقط بغزاره إلى هذا الحد جنوباً، إلا عالياً فوق الجبال. ولكننا لم نصعد عالياً بعد؛ نحن لا نزال بعيدين جداً في الأسفل، حيث تكون المرات مفتوحة في العادة طوال الشتاء».

وقال بورومير: «إنني أتساءل إن كانت هذه حيلة ومكيدة من العدو. إنهم يقولون في أرضي إنه يستطيع أن يتحكم في العواصف في جبال الظل التي تقف على حدود موردور. إنه يمتلك قوى غريبة والعديد من الحلفاء».

وقال جيملي: «لقد كبرت ذراعه وطالت حقاً، طالما كان يستطيع أن يحرك الثلج من الشمال و يجعله يسقط ليضيقنا هنا على مسافة ثلاثة فرسخ». ورد جنلوف بقوله: «لقد كبرت ذراعه وطالت».

بينما كانوا متوقفين، خمدت الريح، وقلَّ الثلج إلى أن توقف سقوطه تقرباً. وواصلوا سيرهم في تناقل مرة أخرى، لكنهم لم يكونوا قد ساروا مسافة أكثر من فرلنچ<sup>(1)</sup>، عندما عادت الريح ثانية بحنق جديد. كانت الريح تصفر وأصبح الثلج عاصفة ثلجية تصيب بالعمى وفي الحال.. حتى بورومير وجد أنه من الصعب مواصلة السير. راح الهوبيتون - وقد انحناوا إلى اثنين تقرباً - يكدون في مشيهم مع الأشخاص الأكثر

(1) الفرلنچ - وحدة قياس قدرها ثمان ميل (المترجم)

طولاً، ولكن بدا واضحاً أنه ليس بإمكانهم أن يذهبوا إلى أكثر من ذلك، إذا استمر التلجم. بدت قدمًا فرودو مثل الرصاص. كان بيدين متأخراً يجر نفسه وراءهم. حتى جيولي، وقد كان قوياً مثلاً يمكن لأي قزم أن يكون، كان يدمدم وهو يمشي مجهاً. وتوقفت المجموعة فجأة، كما لو كانوا قد توصلوا إلى اتفاق دون أن ينطقوها بأى كلمات. سمعوا ضوضاء مخيفة في الظلمة من حولهم. ربما لم تكن سوى حيلة من الريح في الشقوق والأخدود الموجودة في الجدار الصخري، ولكنها كانت أصوات صرخات حادة، وضحكات ساخرة صاحبة. بدأت الحجارة تتتساقط من جانب الجبل، وهي تئز فوق رءوسهم، أو تتحطم على الطريق الضيق إلى جوارهم. ومن آن لآخر كانوا يسمعون من جديد قعقة كثيبة، كما لو كان جلمود هائل قد تدحرج من مرتفعات خفية فوقهم.

وقال بورومير: «لا يمكننا أن نسير أكثر من ذلك هذه الليلة. ليطلق الذين يرغبون في ذلك عليها اسم الريح؛ هناك أصوات شرسة في الجو؛ وهذه الحجارة تحيط بنا». وقال أراجورن: «إنني أطلق عليها اسم الريح. ولكن هذا لا يجعل ما تقوله غير صحيح. هناكأشياء كثيرة شريرة ومعادية في العالم تكون قليلاً من الحب لأولئك الذين يمشون على قدمين، ومع ذلك فليس متحالفة مع ساورون، لكن لها أغراضها الخاصة بها. لقد وجد البعض منها في هذا العالم أطول من وجوده هو».

وقال جيولي: «كان يطلق على كارادراس اسم المتوحش، وكان لها سمعة شريرة منذ سنوات طويلة، عندما لم تكون شائعة ساورون قد سمعت في هذه الأرضي». وقال جندلف: «إن مسألة من هو العدو تهمنا قليلاً، إذا لم يكن بإمكاننا أن نصد هجومه».

«ولكن ما الذي يمكن أن تفعله؟» - صاح بيدين في يأس، وقد كان ينكح وهو يرتجف على ميري وفرودو.

ورد عليه جندلف بقوله: «إما أن تتوقف في مكاننا، وإما أن نعود. ليس ثمة فائدة في مواصلة السير. عندما نسير لمسافة أكثر ارتفاعاً، حسبما أتذكر، يترك هذا الطريق الجرف ويُسبر في حوض واسع ضحل عند قاع منحدر طويل صلب. لن يكون أمامنا أي حماية من التلجم أو الحجارة - أو أي شيء آخر».

«ومن غير المفيد أن نعود بينما الريح لا تزال تهب. إننا لم نمر بأي مكان في طريق صعودنا إلى هنا كنا نشعر منه بالحماية أكثر من هذا الجدار من الجرف الصخري الذي نحن أسفل منه الآن». - جاء رد أراجورن عليهم.

وغمغم سام قائلًا: «حماية! إذا كان هذا ملحاً وحماية، فمعنى ذلك أن جداراً واحداً وبلا سقف سيكون منزلنا».

وتجمعت المجموعة مع بعضها عندئذ ملتصفين من الجرف قدر الامستطاعة. كان يواجه الاتجاه الجنوبي، وبالقرب من القاع كان ينحني للخارج قليلاً؛ ولهذا فإنهم أملوا أن يمنهم بعض الحماية من الريح الشمالية ومن الصخور المتتساقطة. ولكن هبات الرياح راحت تدور حولهم في دوامت من كل جانب، وراح الثلج يتدفق ساقطاً في سحب أكثر كثافة من أي وقت مضى.

وتجمعوا معاً متقاربين جداً وظهورهم للجدار، وقف بيل الفرس بصبر لكنه كان مغتماً أمام الهوبيتين، وراح يتفحصهم قليلاً.. ولكن قبل أن يمضي وقت طويل كان الثلج المتتساقط فوق عرقوبه، وراح يصعد أكثر. لو لم يكن مع الهوبيتين رفاق أكثر ضخامة، لكانوا قد دُفِعوا تماماً.

حل على فرودو نعاس عظيم؛ أحمس بنفسه يغرق سريعاً في حلم دافئ وغائم. اعتقد أن هناك ناراً تسخن أصابع رجليه، وسمع من الظلال على الجانب الآخر من الموقد صوت بيلبو يتحدث.

حيث قال: إنني لا أتوقع الكثير من يومياتك. عواصف تتجية في الثاني عشر من يناير: لم تكن هناك حاجة للعودة لتخبر بذلك!

ولكنني كنت بحاجة إلى الراحة والتوم، يا بيلبو – كانت هذه إجابة فرودو له في جهد شديد، عندما أحمس بنفسه يهتز، وعاد في ألم إلى حالة اليقظة. كان بورومير قد رفعه من على الأرض وأخرجه من عش من الثلج.

وقال بورومير: «سوف يكون ذلك موت الأنصاف يا جندلف. من غير المجد أن نجلس هنا حتى يصل الثلج إلى ما فوق رءوسنا. ينبغي أن نفعل شيئاً لننقذ أنفسنا». «أعطهم هذه» – قال ذلك جندلف وهو يفتح في حزمه ويخرج قارورة جلدية. «ملء فم واحد فقط لكل منهم – لنا جميعاً. إنه ثمين جداً. إنه ميريوفور<sup>(1)</sup>، شراب إملادريس. أعطاه لي إلروند عند رحيلنا. لتمرره على الجميع!».

بمجرد أن ابتلع فرودو قليلاً من الشراب الدافئ العطر أحمس بقوة جديدة في قلبه، وترك النعاس الثقيل أطراقه. كما انتعش الآخرون أيضاً ووجدوا أملاً ونشاطاً جديدين. ولكن الثلج لم يلين؛ راح يدور حولهم في دوامت أكثر كثافة من ذي قبل، وراح الريح تزار من حولهم.

وسأل بورومير فجأة: «ما رأيك في النار؟ الخيار يبدو الآن قريباً ما بين النار

(1) Miruvor – الترجمة الدقيقة في اللغة الإنجليزية لهذه الكلمة غير معروفة، ولكن الكاتب يشبه هذا الشراب بالرحيق الإغريقي، والذي أطلق عليه اسم (death-defeater)، أي قاهر الموت. [موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Miruvor>] (المترجم)

والموت يا جَنْدَلْفِ. بلا ريب، إننا سنكون مختلفين عن جميع الأعين المعادية عندما يكون الثلج قد غطانا تماماً، ولكن ذلك لن يساعدنا».

وأجابه جَنْدَلْفَ قائلاً: «يمكنك أن تشعل ناراً، إذا كنت تستطيع ذلك. إذا كان هناك أي مراقبين لنا يمكنهم أن يحتملوا هذه العاصفة، فإنهم يستطيعون روينا، سواء كانت هناك نار أم لا».

ولكن على الرغم من أنهم كانوا قد أحضروا الحطب والمواد الملتهبة لإشعال النار بناء على نصيحة بورومير، فإن الأمر كان يفوق مهارة أي جنى بل حتى أي قزم ليشعل شعلة يمكن أن تظل مشتعلة وسط دوامات الريح أو تشتعل في الوقود الرطب. وأخيراً، على مضض، قدم جَنْدَلْفَ نفسه يد المساعدة. أخذ غصناً صغيراً وأمسك به عالياً للحظة، وبعد ذلك تمت بكلمات آمرة! وغرز نهاية عصاه في وسط الغصن. وفي الحال، انطلقت دفقة عظيمة من شعلة خضراء وزرقاء، وتوجهت الشب وراح يطفقق، وقال:

«إذا كان هناك أي شخص يرانا، فإنتي على الأقل قد كُشفت لهم. لقد كتبت جَنْدَلْفَ هنا بعلامات يستطيع الجميع قراءتها من ريفنديل إلى مصب نهر أندوين».

ولكن المجموعة لم تعد تأبه بالمراقبين أو العيون المعادية. امتلأت قلوبهم فرحة عندما رأوا ضوء النار. راح الشب يحترق في مرح.. وعلى الرغم من أن الثلج كان يهس في كل مكان حوله، وكانت برك من الثلج شبه الذائب تزحف تحت أقدامهم، قاموا بتدفئة أيديهم في سعادة معرضين إياها لوهج النار. وهناك وقفوا، وهم منحنون في دائرة حول السنة اللهب الصغيرة المترافقه المتطايرة مع الريح. كان هناك ضوء أحمر على وجوههم المتعبه القلقه، وكان الليل وراءهم مثل جدار أسود. ولكن الشب كان يشتعل سريعاً، وكان الثلج لا يزال يتتساقط.

قلَّ اشتعال النار، وألقي آخر غصن فيها.

وقال أراجورن: «لقد تقدم الوقت في الليل. الفجر لم يعد بعيداً».

وقال جيولي: «إذا كان أي فجر يستطيع أن يخترق هذه السحب».

وخرج بورومير من الحلقة وحدق لأعلى في الظلمة، وقال: «الثلج أصبح أقل، والريح أصبحت أكثر هدوءاً».

حدق فرودو في إعياء إلى رقائق الثلج التي لا تزال تتتساقط من الظلمة لتظهر بيضاء للحظة في ضوء النار الآخذ في الخمود؛ ولكن لم يستطع لمدة طويلة أن يرى أي علامة على ضعفها. وبعد ذلك فجأة، حيث كان النوم قد بدأ يزحف عليه مرة أخرى، أدرك

أن الريح قد بدأت تهدأ بالفعل، وأن رقائق الثلج أصبحت أكبر حجماً وأقل عدداً. وبدأ في بطيء شديد يظهر ويكبر ضوء خافت. وأخيراً توقف الثلج تماماً.

وعندما اشتد الضوء، كشف عن عالم هادئ محجوب. أسفل مكانهم الذي لا ذوابه، كانت هناك رواب وقباب بيضاء وقيعان عديمة الأشكال ضاع تحتها الطريق الضيق الذي مرروا فيه تماماً، لكن المرتفعات أعلى منهم اختفت في سحب عظيمة لاتزال مهددة بسقوط الثلج.

نظر جيولي لأعلى وهو رأسه، وقال: «إن كارادراس لم يصفح عنا. لا يزال لديه المزيد من الثلج ليقذفنا به، إذا واصلنا السير. كلما أسرعنا في العودة والهبوط كان ذلك أفضل».

ووافق الجميع على ذلك، ولكن تراجعهم كان صعباً الآن. وربما ثبت حقاً أنه مستحيل. على بعد خطوات قليلة فقط من رماد نارهم كان الجليد مكوناً بعمق أقدام كثيرة، أعلى من رؤوس الهوبتين، وفي بعض الأماكن جرفته الريح وكومنه في أكواخ هائلة قبالة الجرف.

وقال ليجولاس: «إذا سار جنديف أمامنا بشعلة مضيئة، فإنه قد يذيب طريقاً ضيقاً لكم». لقد أزعجه الريح قليلاً، وهو الوحد من بين أفراد الصحبة الذي ظل حتى الآن غير متقل الفواد.

وأجابه جنديف بقوله: «إذا استطاع الجن الطيران فوق الجبال، فلربما يكون بإمكانهم إحضار الشمس لتنقذنا. ولكن لا بد أن يكون لدى شيء مستخدمه. لا يمكنني أن أحرق الثلج».

وقال بورومير: «حسناً، عندما تتوه العقول، لا بد أن تخدم الأجسام، كما نقول في بلدنا. على الأكثر قوةً أن يبحث عن طريق. انظروا! على الرغم من أننا جميعاً مكسوون الآن بالثلج، فإن طريقنا، لما جتنا صاعدين، قد دار حول تلك الكتف من الصخر في الأسفل هناك. لقد كان هناك أن بدأ الثلج ينتفعنا لأول مرة. إذا استطعنا أن نصل إلى هذه النقطة، ربما ثبت أن الأمر أكثر يسراً فيما وراءها. إنها لا تبعد أكثر من فيرلنچ، حسب تخميني».

وقال أراجورن: «إذن دعونا نشق طريقاً لنا إلى هناك، أنت وأنا!». كان أراجورن أكثر المجموعة طولاً، ولكن بورومير الذي كان أقل منه في الطول طفيفاً، كان أعرض منه وأشد في البنية. وقاد الطريق، وتبعه أراجورن. سوراها يتحرّك للآمام ببطء، وسريعاً كانوا يشقان طريقهما في إجهاد وتناقل. في بعض الأماكن كان يصل ارتفاع الثلج إلى الصدر، وكان بورومير في الغالب يبدو سابحاً أو يحفر جحراً بذراعيه العظيمتين أكثر من كونه يمشي.

راح ليجولاس يشاهدهما البعض الوقت بينما كانت هناك ابتسامة على شفتيه، وبعد ذلك عاد إلى الآخرين. «على الأكثر قوة أن يبحث عن طريق، أنت تقول؟ ولكنني أقول: لندع رجل المحراث يحرث، ولكن عليك أن تخثار ثعلب ماء للسباحة، وأن تخثار للجري بخفة وسرعة فوق العشب وفوق الأوراق، أو فوق الثلج - جنباً».

ومع هذه الكلمات ففز للأمام بخفة ورشاقة، وبعد ذلك لاحظ فرودو - وكما لو كان ذلك لأول مرة - على الرغم من أنه كان يعرفه منذ زمن طويل، أن الجن لم يكن معه حذاء برقبة، بل كان يليس فقط حذاء خفيفاً، كما كان يفعل دائماً، وكانت قدماه تخلفان أثراً صغيراً على الثلج.

وقال لجندل: «الوداع! إنني ذاهب لأجد الشمس!». وبعد ذلك انطلق كالسهم سريعاً مثل عداء يجري فوق رمل متласك، وسريراً لحق بالرجلين المجهدين المرهقين، وبتلويحة من يده تخطاهما، وأسرع في الفضاء، واختفى حول المنعطف الصخري.

وانتظر الآخرون رابضين معاً، يشاهدون حتى تضاءل كل من بورومير وأراجورن إلى مجرد بقعتين سوداويتين في البياض. وأخيراً غاب الإثنان عن الرؤية. وراح الوقت يمر شيئاً، وانخفضت السحب، وجاءت عندئذ بعض رقائق قليلة من الثلج تسقط بطريقة لولبية مرة أخرى.

مضت ساعة - ربما - بدت أطول من ذلك بكثير، وبعد ذلك أخيراً رأوا ليجولاس عائداً. في نفس الوقت عاود كل من بورومير وأراجورن الظهور حول المنحني وراءه بمسافة كبيرة وجاء بصعدان المنحدر في إجهاد وإعياء.

وصاح ليجولاس وهو يجري صاعداً: «حسناً، إنني لم أحضر الشخص. إنها تمشي في الحقول الزرقاء في الجنوب، وهناك إكليل صغير من الثلج فوق رابية القرن الأحمر هذه يضايقها على نحو سلبي مزعج، لكنني أحضرت معي ومضة أمل لأولئك الذين حُكم عليهم أن يسيراً على أقدامهم. هناك أعظم جرف كونته الريح على الإطلاق وراء المنعطف مباشرة، وهناك كاد رجلانا العظيمان أن يُدفنا نَفْرِيَا. لقد أصابهما اليأس، إلى أن عدت وأخبرتهما أن الجرف كان أعرض قليلاً من جدار. وعلى الجانب الآخر، أصبح الثلج فجأة أقل قدرًا، في حين أنه عند الهبوط مسافة أكبر قليلاً لم يعد أكثر من طبقة صغيرة بيضاء لتبرد أصابع أقدام الهوببي».

وددم جيملي قائلاً: «آه! إنها كما قلت. إنها ليست عاصفة عادية. إنها ضغينة كارادراس. إنه لا يحب الجن ولا الأقزام، وقد وضع ذلك المنحدر ليقطع علينا طريق الهرب والنجاة».

وقال بورومير الذي جاء في تلك اللحظة: «لكن لحسن الحظ والسعادة أن

كارادراس الذي تتحدث عنه قد نسي أن معك رجالاً، رجالاً شجاعاً أيضاً، إذا جاز لي أن أقول ذلك.. على الرغم من أن عدداً قليلاً من الرجال بمعاول ربما كانوا قد أفادوكم بشكل أفضل. ومع ذلك، لقد حفرنا مجازاً صغيراً عبر الجرف، وينبغي أن يكون كل أولئك الذين لا يمكنهم أن يجرروا بخفة مثل الجن هنا ممتدين كل الامتنان لذلك».

وقال بيبين وهو يعبر عن أفكار جميع الهوبيتين: «ولكن، كيف لنا أن نهبط إلى هناك، حتى لو كنت قد شقت طريقاً عبر الجرف؟».

ورد عليه بورومير بقوله: «ليكن عندك أمل! إنني مرهق، ولكن لا يزال لدي بعض القوة متبقية، وكذلك أراجون. سوف نحمل الأشخاص الصغار. سوف يبذل الآخرون.. بلا شك - قصارى جهدهم ليمشوا على الطريق وراءنا. تعال يا سيد بيريجرين! سوف أبدأ بك».

ورفع الهوبيتي، وقال له - «تشبت بظوري! سوف أحتج إلى ذراعي» - وراح يمشي يخطوات واسعة للأمام. وجاء وراءه أراجون ومعه ميري. تعجب بيبين من قوته؛ حيث رأى الطريق الذي كان قد شقه بالفعل دون أي أداة سوى أطرافه العظيمة. بل إنه، وحتى الآن وعليه ما عليه من حمل، كان يوسع المسار لأولئك الذين جاءوا وراءه، دافعاً الثلج جانباً وهو يسير.

ووصلوا أخيراً إلى الجرف العظيم. لقد زُج عبر الطريق الجبلي مثل جدار منحدر ومفاجئ، وكانت ذروته - حادة كما لو كانت قد شكلت بسكين - قد ارتفعت عالياً أكثر من طول بورومير مرتين.. ولكن، عبر المنتصف، كان هناك ممر قد شُقَّ عن طريق الدوس المتكرر، يعلو ويهدأ مثل جسر. على الجانب البعيد كان ميري وببين قد وضعا على الأرض، وهناك انتظرا مع ليجولاس وصول باقي المجموعة.

بعد قليل من الوقت، عاد بورومير حاملاً سام. وجاء وراءه في الممر الضيق الذي أصبح الآن مشقوقاً بشكل جيد من خلال الدوس، جاء جندي يقود بيل وجيملي جائم بين الأمة. وأخيراً جاء أراجون حاملاً فرودو. وعبر خلال المجاز الضيق، ولكن لم يك فرودو يلمس الأرض حتى سقط على الأرض انهياراً من الحجارة والثلج المنزلاق محدثاً قعقة عالية. لقد كاد رذاذها يعمي المجموعة وهم يربضون قبالة الجرف، وعندما صفا الجو مرة أخرى رأوا أن الطريق قد سُدَّ أمامهم.

وصاح جيملي: «كفى كفى! إننا راحلان بسراعة قدر استطاعتانا!» وفي الواقع مع هذه الضربة الأخيرة، بدا أن مكر الجبل قد أستهلك، كما لو كان كارادراس قد اقتنع بأن الغزاة قد دحرروا منهزمين ولن يجرؤوا على العودة. وزال تهديد الثلج، وبدأت السحب تتكرر والضوء يصبح أكثر وضوحاً.

وكما أخبرهم ليجولاس؛ فإنهم وجدوا أن الثلج أصبح أكثر ضحالة بشكل مطرد بينما كانوا يهبطون، لدرجة أنه حتى الهوبيتيون استطاعوا أن يشقوا طريقهم بأنفسهم. وسرعان ما وقفوا جميعاً مرة أخرى على الرف المسطح عند قمة المنحدر العالي في المكان الذي أحسوا فيه بأول رقائق للثلج في الليلة الماضية.

كان الصباح الآن أكثر تقدماً. من المكان المرتفع، نظروا للوراء باتجاه الغرب فوق الأرضي المنخفضة. هناك من مسافة بعيدة في ركام بلد يرقد عند سفح الجبل كان يوجد الوهد الذي بدأوا منه صعود الشعب الجبلي.

كانت رجل فرودو تزلمه. كان متجمداً من البرد وجائعاً، ورأسه يدور وهو يفكر في الطريق الطويل. والمؤلم إلى أسفل التل، كانت بقع سوداء تسبح أمام عينيه. وحك عينيه، لكن البقع السوداء ظلت عالقة. ومن بعيد أسفل منه، كانت هناك نقط سوداء تدور في الهواء، لكنها كانت لا تزال فوق التلال.

وقال أراجورن وهو يشير لأسفل: «الطيور مرة أخرى!».

وقال جندلف: «ليس بإمكاننا أن نمنع ذلك الآن. ينبغي علينا أن نهبط في الحال، سواء كانت هذه الطيور طيبة أو شريرة، أو ليس لها شأن بنا على الإطلاق. بل إننا لن ننتظر عند ركب كارادراس حتى تحل علينا ليلة واحدة!».

وتدفقت ريح باردة هابطة وراءهم، وهم يديرون ظهورهم لبوابة القرن الأحمر، ويمشون باضطراب في إرهاق يهبطون المنحدر؛ لقد هزمهم كارادراس.

## الفصل الرابع

### رحلة في الظلام

كانت الدنيا مساء، وراح الضوء الرمادي يذبل سريعاً مرة أخرى، عندما توافروا ليضوا ليلتهم. كانوا غاية في الإرهاق. تغطت الجبال بظلمة عميقة في أول الليل، وكانت الريح باردة. استبقى لهم جنلَفْ ملء فم لكل منهم من شراب الميريوفور الذي جاء به من ريفنديل. عندما أكلوا بعض الطعام، دعاه إلى عقد مجلس، وقال:

«لا يمكننا - بالطبع - أن نواصل السير الليلة. لقد أرهقنا الهجوم على بوابة القرن الأحمر وأنهك قوانا، وينبغي علينا أن نستريح هنا لبعض الوقت».

وسأله فرودو: «وبعد ذلك أين سينبغي علينا أن نذهب؟».

وأجابه جنلَفْ قائلاً: «لا يزال أمامنا رحلتنا ومهمتنا. ليس لدينا خيار سوى مواصلة السير، أو العودة إلى ريفنديل».

ولمع وجه بيبين بشكل ملحوظ واضح لمجرد ذكر العودة إلى ريفنديل، ونظر ميري وسام لأعلى في أمل. ولكن أراجورن وبورومير لم تبدِ عنهما أي إشارة. وكان القلق بادياً على فرودو الذي قال:

أتفنى أن لو عدتُ وكنتُ هناك. ولكن كيف يمكنني العودة دون خجل وخزي - إلا إذا لم يكن هناك أي طريق آخر حقاً، أو أنا قد هُزِّمنا بالفعل؟».

فقال له جنلَفْ: «أنت على حق يا فرودو؛ العودة معناها التسليم بالهزيمة، ومواجهة هزيمة أسوأ ستائي. إذا عدنا الآن، فإن الخاتم - في هذه الحالة - لا بد أن يظل هناك: لن يكون بإمكاننا أن نبدأ الرحلة مرة أخرى. وفي هذه الحالة، فإن ريفنديل سوف تُحاصر عاجلاً أو آجلاً، وبعد وقت قصير ومرير فإنها سُتُدمَر. إن أشباح الخاتم ألد الأعداء، لكنهم مع ذلك ليسوا سوى أطياف للقوة والرعب الذي يمكن أن يمتلكوه لو أن الخاتم الحاكم صار في يد سيدهم مرة أخرى».

قال فرودو وهو يتنهى: «في هذه الحالة، علينا أن نواصل سيرنا، إذا كان هناك إلى ذلك سبيل». وغاب سام في ظلام اليأس.

ورد عليه جنلَفْ بقوله: «هناك طريق يمكننا أن نسلكه. لقد فكرت من البداية، عندما فكرت للمرة الأولى في هذه الرحلة، أننا يجب أن نجريه. ولكنه ليس طريراً لطيفاً، ولم أتحدث عنه مع المجموعة من قبل. كان أراجورن ضده، إلى أن تمت تجربة الطريق فوق الجبال على الأقل».

قال ميري: «إذا كان طریقاً أسوأ من بوابة القرن الأحمر، فلا بد أنه - في هذه الحالة - شرير حقاً. ولكن من الأفضل أن تحكي لنا عنه، وتدعنا نعرف الأسوأ في الحال».

فرد جنلوف قائلاً: «الطريق الذي أتكلم عنه يقود إلى أنفاق موريا». جيولي فقط هو الذي رفع رأسه؛ كانت هناك نار ملتهبة في عينيه. وحل على الجميع خوف وفزع عند مجرد ذكر الاسم. حتى بالنسبة للهوبيتين، كان أسطورة خوف غامض.

وقال أراجورن في قنامة: «ربما يقود الطريق إلى موريا، ولكن كيف لنا أن نأمل أنه سيقودنا عبر موريا؟».

فرد بورومير يقوله: «إنه اسم ينذر بالسوء والشر. كما أنتي لا أرى حاجة للذهاب إلى هناك. إذا لم نستطع عبور الجبال، دعونا نرحل جنوباً، حتى نصل إلى فجوة روغان؛ حيث الناس هناك يحبون قومي وشعبي، آخذين الطريق الذي سلكته في طريقي إلى هنا. أو ربما نمر ونعبر إيزرين إلى لانجسترلاند<sup>(1)</sup> ولبيتين<sup>(2)</sup>، وهكذا نصل إلى جوندور وهي من المناطق القرية من البحر».

وأجابه جنلوف بقوله: «لقد تغيرت الأشياء منذ أن جئت شمالاً يا بورومير. ألم تسمع ما أخبرتك به عن سارومان؟ يمكن أن يكون بيني وبينه شأن خاص بي قبل أن ينتهي كل شيء. ولكن ينبغي ألا يمر الخاتم قريباً من إزنجارد، إذا كان بالإمكان منع ذلك بأي وسيلة. فجوة روغان مغلقة أمامنا ما دمنا نسير مع حامل الخاتم.

«أما بالنسبة للطريق الأطول فإن الوقت ليس بوسعنا. ربما نمضي سنة في هذه المرحلة، وينبغي علينا أن نمر عبر أراض كثيرة خالية ولا ملاذ فيها أو مأوى. ومع ذلك، فإنها لن تكون آمنة. فالأعين المترقبة الخاصة بكل من سارومان والعدو مسلطة عليها. عندما جئت شمالاً يا بورومير، كنت في عين العدو مجرد جوال ضال من الجنوب وكان ذلك أمراً قليلاً الأهمية بالنسبة له؛ فقد كان عقله منشغل بمطاردة الخاتم. لكنك تعود الآن كفرد من صحبة الخاتم، وأنت في خطر مادمت أنت معنا هنا. سوف يزداد الخطر مع كل فرسخ نسيره جنوباً تحت السماء المكسوقة.

«منذ حاولتنا الصريح المكسوقة على الممر الجبلي، أصبحت محتتنا أكثر يأساً، على ما أخشى. إنني أرى الآن بصيص أمل، إذا لم نختلف سريعاً عن الأنظار لبعض الوقت، ونقطع خط سيرنا. ومن ثم، فإنني أقترح ألا نسير فوق الجبال، ولا حولها، لكن أسفل منها؛ فهذا طريق - على أية حال - سيكون بعيداً عن توقع العدو».

(1) Long Beach - الكلمة الألمانية ومعناها (Lang Strand) أي الشاطئ الجميل [موقع wikiLangstrand] (المترجم)

(2) اسم منطقة (Lebennin) (المترجم)

وقال بورومير: إننا لا نعلم ما الذي يتوقعه. ربما يراقب جميع الطرق، من المحتمل ومن غير المحتمل. في هذه الحالة، فإن دخول موريما سوف يكون شيئاً إلى مصيدة، لا تكاد تكون أفضل من الطرق على بوابات برج الظلام نفسه. إن اسم موريما شرير».

ورد عليه جنلوف بقوله: «أنت تتحدث عما لا تعرفه، عندما تشبه موريما بقلعة ساورون. أنا وحدي من بينكم قد سبق أن ذهبت إلى حصنون سيد الظلام، ولم يكن ذلك إلا في مسكنه الأكثر قدمًا والأقل في دول جولدور. أولئك الذين يعبرون بوابات باراد دور لا يعودون، ولكنني لن أقودكم إلى موريما إن لم يكن هناك أمل في الخروج منها مرة أخرى. إذا كان هناك أوركيون، فربما تكشف الأمر عن سوء بالنسبة لنا، هذا حقيقي. ولكن معظم الأوركيين في الجبال الضبابية تشتتوا ودمروا في معركة الجيوش الخمسة. أخبرت النسور أن الأوركيين يتجمعون مرة أخرى من أماكن بعيدة؛ ولكن هناك أمل ألا تزال موريما حرة».

«بل هناك فرصة أن يكون الأقزام هناك، وأن باللين بن فاندين ربما أمكن العثور عليه في بهو من أبهاء والده العميق. وأياً ما تكتشف عنه، ينبغي على الواحد أن يسلك الطريق الذي يحتاج إلى اختياره!».

وقال جيملي: «سوف أسلك الطريق معك يا جنلوف! سوف أذهب وأنظر إلى تلال دورين، أيا.. كان ما ينتظرنا هناك – إذا كنت تستطيع أن تجد الأبواب التي أغلقت». وقال له جنلوف: «جيد يا جيملي! إنك تشجعني. سوف نبحث عن الأبواب الخفية معاً. وسوف نعبر منها. في أطلال الأقزام، سيكون رأس القزم أكثر سهولة في إصابته بالذهول من الجن أو من الإيس أو من الهوبيتين. ومع ذلك، فلن تكون هذه هي المرة الأولى التي أذهب فيها إلى موريما. لقد بحثت هناك طويلاً عن ثررين بن ثرور بعد أن فقدت بوابات، وخرجت منها حياً مرة أخرى!».

ورد أراجورن قائلاً بهدوء: «وأنا أيضاً مررت ذات مرة عبر بوابة ديمريل، ولكن على الرغم من أنني خرجت منها ثانية، فإن ذكرى ذلك سيئة للغاية وشريرة. لا أتعذر أن أدخل موريما مرة أخرى».

وقال بيبين: «وأنا لا أتعذر أن أدخلها ولو مرة واحدة». وغمغم سام بقوله: «وأنا كذلك».

ورد جنلوف: «بالطبع لا! من الذي يتعذر ذلك؟ ولكن السؤال هو: من الذي سيتعذرني، إذا أنا قدتكم إلى هناك؟». فرد جيملي في لهفة: «أنا».

ورد أراجورن في تناول: «أنا. لقد تبعتموني وأنا أقودكم تقريراً إلى كارثة في

القلج، ولم تنتفوه بكلمة لوم أو عتاب واحدة. سوف أتبع قيادتك الآن – إذا لم يؤثر عليك هذا التحذير الأخير. إنني لا أفك في الخاتم، ولا فينا نحن الآن، بل فيك أنت يا جندلُف. وإنني أقول لك: إذا مررت من بوابات موريا، فاحذر!».

وقال بورومير: «أنا لن أذهب، ما لم يكن تصوّيت المجموعة كلها صدي. ما رأيك يا ليجو拉斯 والأشخاص الصغار؟ لا بد أن يسمع بالتأكيد صوت حامل الخاتم».

وقال ليجو拉斯: «أنا لا أرغب في الذهاب إلى موريا».

ولم يتغوه الهوببيون بكلمة. نظر سام إلى فرودو. وأخيراً نطق فرودو قائلاً: «أنا لا أرغب في الذهاب ولكنني لا أريد أيضاً أن أرفض نصيحة جندلُف. أرجو ألا يكون هناك أي تصوّيت، حتى تكون قد نمنا وقلنا الأمرا على كل الوجوه. سوف يأخذ جندلُف الأصوات بشكل أكثر سهولة في ضوء الصباح عنه في هذا الظلام البارد. يا لعواء الرياح!».

ومع هذه الكلمات لزم الجميع الصمت. سمعوا الريح تهس بين الصخور والأشجار، وكان هناك عواء وصباح حولهم في فضاءات الليل الخالية.

وفجأة، قفز أراجورن واقفاً على قدميه، وصاح: «يا لعواء الرياح! إنها تعوي بأصوات ذئاب. لقد جاءت الذئاب الكبيرة<sup>(1)</sup> غرباً من الجبال!».

وقال جندلُف: «هل نحتاج للبقاء حتى الصباح في هذه الحالة؟ الأمر كما قلت. لقد بدأت المطاردة وحميت! حتى لو عثنا لنرى الفجر، من الآن يرغي في أن يذهب جنوباً ليلاً والذئاب الضاربة تتعقبه؟».

فسأل بورومير: «كم تبعد موريا؟».

أجابه جندلُف في كآبة: «كان هناك باب جنوب غربي كارادراس، على بعد حوالي 15 ميلاً بأقصر طريق، وربما تكون 20 ميلاً في أطول طريق».

وقال بورومير: «إذن دعونا نبدأ بمجرد أن يطلع ضوء الغد، إذا استطعنا. الذئب الذي تسمعه أسوأ من الأوركي الذي تخافه».

«حقاً!» – رد عليه أراجورن وهو يفك سيفه من غمده. «ولكن حيثما وجدت الذئاب الضخمة تعوي، فهناك أيضاً الأوركي يجوس خلسة».

وغمغم بيبيين إلى سام قائلاً: «أتمنى لو أخذت بنصيحة إلرون. إنني لن أكون نافعاً بعد ذلك على أية حال. ليس هناك ما يكفي من سلاله الباندوبراس الثور

(1) الذئاب الكبيرة – Wargs؛ مخلوق خرافي ضخم يشبه الذئب، ولكنه أضخم وأذكى منه على وجه العموم، معناها ذئب كبير» [موقع Warg على الإنترنت] (المترجم)

المزمجر<sup>(1)</sup>: هذه الصيحات العاوية تحمد دمي . إنني لا أذكر أبداً أثني شعرت بمثل هذه التعasse».

وقال سام: «إن قلبي قد وقع في أصابع قدمي ، يا سيد بيبين . لكننا لم نؤكل بعد ، وهناك بعض الأشخاص الأشداء معنا هنا . ومهما يكن ما لدى جندل夫 العجوز من مخزون ، فإبني سارا هن أنه ليس بطن ذئب».

وبغية الدفاع عن أنفسهم في الليل ، صعدت المجموعة قمة التل الصغير الذي كانوا يحتمون تحته . كان مغطى بعقدة من أشجار عجوز ملتفة ، وكانت تحيط به دائرة مكسوة من الجلاميد . وفي وسط هذا أشعلاوا ناراً؛ لأنه لم يكن هناك بصيص أمل أن يحول الظلام والصمت دون اكتشاف الفرق التي تطاردهم لمسارهم .

وتحلقوا حول النار ، وراح أولئك الذين لم تكن عليهم نوبة الحراسة يغفون في قلق . كان بيل المسكين يرتجف ويعرق في المكان الذي وقف فيه . لم يكن عواء الذئاب الآن في كل مكان حولهم ، كان في بعض الأحيان أكثر قرباً وفي بعضها كان بعيداً . في هدأة الليل ، شوهدت أعين كثيرة لامعة تنظر من فوق حافة التل ، وتقدم بعض منها إلى حلقة الصخور تقرباً . وفي فجوة في الدائرة ، شوهد شكل ذئب أسود عظيم يقف ، ويحدق إليهم . وانطلق منه عواء مخيف يصيب بالرجفة ، كما لو كان قائداً يستدعى إليه مجموعته للهجوم .

ووقف جندل夫 ثم مشى للأمام بخطى واسعة ، وهو يمسك بعصاه عالياً ، وصاح: «اسمع يا كلب ساورون ! جندل夫 هذا . طر ، إذا كان لحدك العفن قيمة عندك فسوف أجعاك تنكمش من الذيل إلى الأنف إذا جئت في نطاق هذه الحلقة» .

وزمر الذئب وقفز باتجاههم قفزة هائلة . في تلك اللحظة ، كانت هناك صرخة ألم حادة . لقد أطلق ليجو لاس قوسه . كانت هناك صرخة مخيفة ومرهقة ، وارتطم الشكل الذي كان يقفز بالأرض؛ لقد اخترق السهم الجندي زوره . وخدمت الأعين التي كانت تشاهد فجأة . وسار جندل夫 وأراجهون للأمام بخطى واسعة ، ولكن التل كان قد هجر؛ لقد ولّت فرق المطاردة هاربة ، وأصبح الظلام في كل مكان حولهم صامتاً ، ولم تأت أي صرخة تحملها الريح المتهدلة .

كان الليل قد تقدم ، وكان القمر الراجل يتحرك باتجاه الغرب ، يتوجه بشكل متقطع عبر السحب المتكسرة . وفجأة قفز فرودو من نومه . وبدون سابق إنذار

(1) الباندوبيراس الثور المزمجر - [Bullroarer] الكلمة [Bandobras] مكونة من [Bull] و[roarer] وهذه مشتقة من الفعل [roar] ومعناه: يهدّر، يزمجر، يرأز . (المترجم)

اندلعت عاصفة من عواء جامح شرس في كل مكان حول معسكرهم. لقد تجمعت مجموعة من الذئاب الكبيرة في صمت وكانت عندئذ تهاجمهم من كل جانب.

وصاح جنلُف في الهوبتيين قائلاً: «اسكبوا الوقود على النار. لستوا سيفكم، وقفوا ظهوركم لبعضكم البعض!».

في الضوء المتفاوز، وبينما كان الخشب الجديد يتقد متوجهاً، رأى فرودو أشكالاً رمادية كثيرة تقفز فوق حلة الصخور. وتبعها المزيد والمزيد. مرر أراجورن سيفه عبر زور واحد ضخم من الذين يتقدمونهم طاعناً إياه؛ وبصرية هائلة اجتَ بورومير رأس واحد آخر. كان جيولي يقف بجوارهم مباغداً ما بين ساقيه القويتين، وهو يستخدم بكل براعة فأس الأقرام التي معه. كان قوس ليجولاس يعني!

في ضوء النار المرتعش، بدا أن جنلُف يكبر فجأة، ونهض من مكانه شكل عظيم مروع مثل تمثال حجري لملك قديم فوق تل. وانحنى مثل سحابة، ورفع فرعاً محترقاً وسار بخطى واسعة عملاقة ليرافق الذئاب. وترجعت الذئاب أمامه. وراح يهز الشعلة المتوجحة عالياً في الهواء. وراحت تتماوج ولها إشعاع أبيض مفاجئ مثل البرق؛ وانطلق صوته مدوياً مثل الرعد صائحاً:

«تاوران إندر ايث  
أميين! ناوردان  
أي نجاور هوثر»

وكان هناك زئير وفرقة، وانفجرت الشجرة التي كانت فوقه مشتعلة أوراقها وأزهارها في وهج يذهب بالأبصار. راحت النار تقفز من فوق قمم الشجر من شجرة لأخرى. أصبح التل بأكمله مغطى بضوء متألق. كانت سيف المدافعين وسلاسلهم تلمع وتتومض. توهج آخر سهم من سهام ليجولاس في الجو وهو يطير، ثم غاص مشتعللاً في قلب ذئب عظيم كان رئيسهم. وفر كل الباقين.

وبدأت النار تحمد شيئاً فشيئاً حتى لم يعد منها سوى الرماد والشرار المتتساقط؛ راح دخان عنيف يتحلق فوق جذوع الشجر المحترقة، وهب في سواد من التل، بينما كان أول ضوء للفجر يظهر في السماء على نحو باهت ومعتم. لقد طرد أعدادهم ولم يعودوا. وقال سام وهو يستل سيفه: «ما الذي أخبرتك به يا سيد بيبيين؟ الذئاب لن تناول منه. لقد كان ذلك شيئاً مذهلاً، بلا شك! لقد كاد أن يحرق شعر رأسي!».

عندما طلع ضوء الصباح المكتمل، لم يكن ليُعثر على أي علامات على الذئاب، وراحوا يبحثون دون جدوى عن أجسام الموتى. لم يبقَ أيَّ أثر من المعركة سوى الأشجار المتقطعة وأسهم ليجولاس ملقاة على قمة التل. كل شيء كان سليماً إلا وإنَّها فقط منها كسرت سنه المدببة.

وقال جندلف: «الأمر كما كنتُ أخشى. لم تكن هذه ذئاباً عادلة تبحث عن طعام في البرية. هيا بنا نأكل سريعاً ونمض!».

في ذلك اليوم، تغير الطقس مرة أخرى، تقريراً كما لو كان واقعاً تحت أمر قوة معينة لم يعد لديها أي استخدام للثلج، منذ أن تراجعوا من الشعب، قوة كانت ترغب الآن في أن يكون هناك ضوء صاف يمكن أن ترى فيه الأشياء التي تتحرك في البرية من مسافة بعيدة.. كانت الريح تدور من الشمال إلى الشمال الغربي أثناء الليل، والآن أصبحت واهنة. اختفت السحب باتجاه الجنوب وفتحت السماء، عالية وزرقاء. وبينما كانوا واقفين فوق جانب التل، مستعدين للرحيل، ومض ضوء شمس شاحب فوق قم الجبال.

وقال جندلف: «ينبغي أن نصل إلى الأبواب قبل غروب الشمس، وإلا فإنني أخشى إلا نصل إليها على الإطلاق. إنها ليست بعيدة، ولكن طريقنا قد يكون متعرجاً؛ لأن أراجون لا يمكنه أن يقودنا هنا، حيث إنه نادرًا ما مشي في هذا البلد، ولم أذهب أنا تحت الجدار الغربي لموري إلا مرة واحدة فقط، وكانت منذ زمن طويل».

«ها هي هناك»؛ قال ذلك وأشار بعيداً باتجاه الجنوب الشرقي إلى المكان الذي تحدُّر فيه خيارات الجبال عمودية في الظلال عند سفحها. ومن بعيد يمكن أن يرى على نحو غير واضح صُف من الأجراف الجرداء، وفي وسطها، كان هناك جدار رمادي عظيم، أطول منها جميعاً. «عندما تركنا الشعب، تقدمنكم باتجاه الجنوب، وليس للوراء إلى نقطة بدايتنا، حسبما يكون بعضكم قد لاحظ. من الجيد أنني فعلت ذلك، حيث يتبقى الآن لدينا أميال أقلّ نحتاج إلى اجتيازها، وهناك حاجة إلى السرعة. هيا بنا نمض!».

وقال بورومير في كأبة: «لا أدرِّي أيهما أتمنى - أن يجد جندلف ما يبحث عنه، أو أننا عند وصولنا إلى الجرف نجد الأبواب قد ضاعت إلى الأبد. جميع الخيارات تبدو سيئة، وأن وقوعنا بين الذئاب والجدار هو الفرصة الأكثر احتمالاً. هيا تقدم بنا!».

مشى جيولي الآن في المقدمة إلى جوار الساحر؛ لقد كان مشتاقاً للغاية للوصول إلى موري، وقاداً معاً المجموعة عائدين باتجاه الجبال. الطريق الوحيد القديم إلى موري من الغرب تكون عبر مجرى جدول، السيرانون، الذي كان يجري خارجاً من سفوح الأجراف التي كانت الأبواب توجد قريباً منها. ولكن إما أن يكون جندلف قد ضل الطريق، وإما أن الأرض قد تغيرت في السنوات الأخيرة؛ لأنَّه لم يصل إلى الجدول في المكان الذي حاول العثور عليه فيه، على بعد أميال قليلة فقط إلى الجنوب من نقطة بدايته.

راح الصبح ينقضي باتجاه وقت الظهيرة، وكانت المجموعة لا تزال تتبه وتختبط في أرض فاحلة من الصخور الحمراء.. لم يستطيعوا أن يروا في أي مكان أي أثر ولو ضئيلاً للماء أو يسمعوا أي صوت للماء. كان كل شيء كثيناً وجافاً. أصاب قلوبهم الوهن والاكتئاب. لم يروا أي كائن حي، ولم يكن هناك حتى طائر في السماء، ولكن ما الذي يمكن أن يجلبه عليهم الليل، إذا هو حل عليهم في أرض التيه والضياع هذه، لم يأبه أي منهم بالتفكير في ذلك.

وفجأة نادى عليهم جيولي للوراء؛ حيث كان قد جد في سيره للأمام. كان يقف على هضبة صغيرة ويشير إلى اليمين. ولما أسرعوا في سيرهم رأوا أسفل منهم قناعة عميقة وضيقية. كانت خالية وساكنة، ولم تكن هناك قطرة ماء تتدفق عبر الصخور البنية والممزوجة باللون الأحمر في قاع القناة.. ولكن على الجانب القريب كان هناك معر صغير، هدم كثيراً وخرب، كان يشق طريقه متعرجاً بين الجدران المنهارة وصخور الرصف لطريق عام قديم.

وهنا قال جندلف: «آه! ها هو ذا أخيراً! هذا هو المكان الذي كان يجري فيه الجدول: اعتادوا أن يطلقوا عليه سيرانون؛ جدول البوابة. ولكن ما الذي حدث للمياه، لا يمكنني أن أخمن ذلك؛ لقد كانت سريعة وصاخبة. هيا! ينبغي علينا أن نسرع. لقد تأخرنا».

ونقرحت أقدام المجموعة من المشي وأهلكهم التعب، لكنهم راحوا يمشون في تناقل ويذكرون عبر الطريق الوعر والمتعرج أميالاً كثيرة. واستدارت الشمس من الظهيرة وبدأت تذهب نحو الغرب. بعد وقفة قصيرة ووجبة طعام تناولوها على عجل واصلوا سيرهم مجدداً. كانت الجبال أمامهم عابسة، بيد أن طريقهم كان يقع في غور عميق من الأرض ولم يكونوا يرون سوى الأكتاف العليا والقم الشرقية.

وأخيراً وصلوا إلى منحنى حاد. وهناك دار الطريق - الذي كان ينحرف جنوباً بين حافة القناة ومنخفض منحدر من الأرض إلى الشمال - واتجه إلى الشرق مرة أخرى. عندما داروا حول الزاوية رأوا أمامهم جرفاً منخفضاً، ارتفاعه حوالي خمس قامات<sup>(1)</sup>، كانت قمته مكسورة ومثلمة. كانت تساقط فرقه مياه مقاطرة، عبر شرخ واسع كان يبدو أنه من نحت شلال مياه كان قوياً وكمالاً في يوم من الأيام.

وقال جندلف: «حقاً، لقد تغيرت الأشياء! ولكن ليس هناك أي مجال للخطأ بشأن المكان. هناك كل ما يتبقى من المساقط المدرجة. إذا كنت أتذكر على وجه الصواب؛ كانت هناك مجموعة من الدرجات محفورة في الصخر على جانب المساقط، ولكن الطريق الرئيسي تعرج بعيداً نحو الشمال وصعد في عدة حلقات دائرية لمستوى سطح الأرض عند القمة. كان هناك وادٍ ضحل فيما وراء المساقط يصل ارتفاعه إلى جدران

(1) القامة - وحدة قياس أعمق تساوي ستة أقدام (قاموس المورد) (المترجم)

موريا، وكان جدول سيرانون يتدفق عبره والطريق إلى جواره. هيا بنا نذهب ونرى كيف تبدو الأشياء الآن؟».

لقد وجدوا الدرجات الصخرية دونها صعوبة، وقفز جيملي بخفة ورشاقة ضاعداً إياها، وتبعه جندلف وفرودو. وعندما وصلوا إلى القمة رأوا أنه لن يكون بإمكانهم السير إلى أكثر من ذلك في هذا الطريق، وتكشف لهم سبب جفاف جدول البوابة. كانت وراءهم الشمس الغاربة تملأ السماء الغربية الباردة بذهب متوجّج. كانت تمتد أمامهم بحيرة مظلمة ساكنة. لم تكن السماء ولا غروب الشمس يعكسان على صفحاتها الكثيبة التي تتحرك ببطء. لقد أصابت جدول سيرانون اللعنة وقد ملأ كل الوادي وفيما وراء المياه المشئومة ارتفعت أحراج شاسعة، وتجمعت واجهاتها النكدة في الضوء الخافت: نهاية ولا يمكن عبورها. لم تكن هناك أي علامة على بوابة أو مدخل، لم يستطع فريودو أن يرى أي شق أو شرخ في الصخر الكالح.

وقال جندلف وهو يشير عبر المياه: «هذه هي جدران موريا. وهذه هي البوابة التي كانت تقف في وقت من الأوقات، البوابة الجنية في نهاية الطريق من هولين التي جئنا من خلالها. ولكن هذا الطريق مسدود. في رأيي لن يتمنى أي شخص في المجموعة أن يسبح في هذه المياه الكثيبة ليعبر الطريق في نهاية اليوم. إن لها منظراً كريهاً».

ورد جيملي قائلاً: «لا بد أن نجد طريقاً حول الحافة الشمالية. الشيء الأول الذي يتحتم على المجموعة أن تفعله هو أن تصعد عن طريق الممر الرئيسي وتدعى إلى أين سيقودنا هذا. حتى ولو لم تكن هناك بحيرة، فإنه لن يكون بإمكاننا أن نجعل فرسنا الذي يحمل أمتعتنا يصعد هذه السلالم».

وقال جندلف: «ولكن على أية حال، لا يمكننا أن نأخذ الحيوان المسكين إلى الأنفاق؛ فالطريق أسفل الجبال طريق مظلم، وهناك أماكن ضيقة وشديدة الانحدار لا يمكنه أن يسير فيها، حتى لو استطعنا نحن ذلك».

قال فرودو: «مسكين بيل العجوز! إنني لم أفك في ذلك. وسام المسكين! أتساءل عما يمكن أن يقوله؟».

قال جندلف: «أنا آسف. لقد كان بيل المسكين رفيقاً نافعاً، وإنه يحز في قلبي أن أتركه هكذا بلا هداية الآن. إذا كان لي خيار، لكنْتُ سافرتُ خفيفاً ولم أحضر أي حيوان معي، وعلى وجه الخصوص هذا الحيوان المغرم به سام. لقد كنتُ أخشى أننا سنضطر لأخذ هذا الطريق».

كان اليوم يقترب من نهايته، وكانت النجوم الباردة تتوه في السماء عالية فوق غروب الشمس، عندما راحت المجموعة - بكل ما استطاعت من سرعة - تصعد

المنحدرات العالية وتصل إلى جانب البحيرة. كانت تبدو من حيث العرض لا تزيد على اثنين أو ثلاثة فرلينجات في أقصى نقاطها اتساعاً. لم يستطعوا أن يروا في الضوء الخافت مدى امتدادها نحو الجنوب، لكن نهايتها الشمالية لم تكن أكثر من نصف ميل من المكان الذي كانوا يقفون عنده، وبين الحواف الصخرية التي كانت تحيط بالوادي وحافة المياه كانت هناك حافة من أرض مكشوفة. حثوا الخطى مسرعين للأمام؛ حيث كان لا يزال أمامهم ميل أو ميلان لا بد من قطعهما قبل أن يمكنهم الوصول إلى تلك النقطة على الشاطئ البعيد التي كان جنلَف يغري الوصول إليها، وبعد ذلك لا يزال أمامه أمر العذر على الأبواب.

عندما وصلوا إلى ربن البحيرة في أقصى الشمال وجدوا جدواً صغيراً ضيقاً كان يعترض طريقهم. كان أخضر وراكاً، بارزاً للخارج مثل ذراع نحيلة باتجاه التلال المحيطة. تقدم جيئلي للأمام بخطى واسعة دون رادع، ووجد الماء ضحلاً، لم يكن عمقه يغطي أكثر من الكاحل عند الحافة. ومشوا جميعاً خلفه في طابور، شاقين طريقهم بحذر وحرص؛ حيث كان هناك تحت البرك المملوءة بالأعشاب صخور متزلقة، وكان المشي خداعاً. راح فرودو يرتجف مشمئزاً من ملامحه قدميه للمياه القاتمة الفدراة.

وبينما كان سام - آخر فرد في المجموعة - يقاد بيل لأعلى إلى الأرض الجافة على الجانب البعيد، جاء صوت خفيض؛ صوت حفيظ، تبعه صوت شبيه بصوت شيء يسقط في الماء، كما لو كانت سمكة قد أزعجت سطح الماء الساكن. ولما التفتوا سريعاً رأوا موجات، ذات حواف سوداء لها ظل في الضوء الخافت؛ حلقات عظيمة كانت تتسع نحو الخارج من نقطة بعيدة في البحيرة. كان هناك صخب وبقعة، وتبع ذلك صمت وسكون. وازداد الغصق عمقاً، واحتسبت آخر رمضان من شمس الغروب في السحب.

راح جنلَف عندئذ يبحث الخطى بشكل عظيم، وتبعه الآخرون بأقصى سرعة.. وصلوا إلى شريط الأرض الجافة بين البحيرة والأجراف؛ كان ضيقاً، وكان عرضه في الغالب بالكاد عشر ياردات، وكان مثلاً بحجر ساقط وصخور، لكنهم - مع ذلك - وجدوا طريقاً، وراحوا يسيرون قريباً من الجرف، مبتعدين عن الماء المظلم قدر استطاعتهم. وعلى بعد ميل باتجاه الجنوب عبر الشاطئ وصلوا إلى أشجار البهشية. كانت الجذوع وفروع الشجر الميتة متعرجة في المياه الضحلة، كان يبدو أنها البقايا أجمات قديمة عجوز، أو بقايا سياج شجري كان في وقت من الأوقات يملأ طول الطريق عبر الوادي الغارق. ولكن قريباً جداً أسفل الجرف كانت تقف - ولا تزال قوية وحية - شجرتان، أكبر من أي أشجار من أشجار

البهشية رآها فرودو أو تخيلها على الإطلاق. كانت جذورها العظيمة ممتدة من الجدار إلى الماء. كانتا تبدوان تحت الأجراف الهائلة مثل مجرد شجيرات قصيرة، عندما ترى من بعيد من قمة الدرج، لكنها الآن ارتفعا عالياً فوق الرءوس، منكمشتين، ومظلمتين وساكتتين، تلقيان بظل ليل عميق فوق أقدامهم، وهما واقفان مثل أعمدة حارسة عند نهاية الطريق.

وقال جندلف: «حسناً، ها نحن قد وصلنا أخيراً! هنا ينتهي طريق الجن من هولين. كانت شجرة البهشية علامة على أناس تلك الأرض، وقد زرعوها هنا لتكون علامه على نهاية ملكهم؛ لأن الباب الغربي كان مصنوعاً في الأساس لاستخدامه في تنقلاتهم مع سادة موريما. كانت تلك الأيام أياماً أكثر سعادة، عندما كانت لا تزال هناك صداقة حميمة في بعض الأحيان بين الأشخاص من أجناس مختلفة، حتى بين الأقزام والجن».

ورد جيولي بقوله: «لم تكن غلطة الأقزام أن الصداقة هذه ضعفت».

وهذا قال ليجolas: «إبني لم أسمع أنها كانت غلطة الجن».

قال جندلف: «لقد سمعت أنا الأمرين، ولن أعطي رأيي الآن. لكنني أرجوكم، يا ليجolas ويا جيولي - على الأقل - أن تكونا صديقين، وأن تساعداني؛ إبني بحاجة لكليهما. الأبواب مغلقة ومحفنة، وكلما وجدناها بسرعة كان أفضل. الليل يدهمنا!».

والتفت إلى الآخرين وقال: «بينما أقوم أنا بالتفتيش والبحث، هلا استعدتم جميعاً لدخول الأنفاق؟ لأننا هنا - فيما أخشى - لا بد أن نودع حيواناً الطيب الذي يحمل أمتعتنا. يجب أن تتخلوا عن كثير من الأشياء التي أحضرناها معاً تحسباً للطقس السيئ: لن تحتاجوا إليها في الداخل، ولن تحتاجوا إليها - وهذا ما أتمناه - عندما نعبر ونخرج وننكل رحلتنا هابطين في الجنوب. بدلاً من ذلك، ينبغي على كل واحد منا أن يأخذ قسطاً مما كان يحمله الفرس، وعلى وجه الخصوص الطعام وقرب الماء».

صاح سام في غضب وضيق قائلاً: «ولكن لا يمكن أن ترك الفرس العجوز المسكين هنا في ذلك المكان المهجور يا سيد جندلف! لن أسمح بذلك، وهذا صريح متنهي الصراحة. بعد أن وصل حتى هنا عبر ذلك الطريق الطويل كله!».

ورد عليه الساحر قائلاً: «إبني آسف يا سام. ولكن عندما يفتح الباب لا أعتقد أنك ستكون قادرًا على أن تجر فرسك بيل داخله؛ إلى ظلام موريما الطويل. سوف يتحتم عليك الاختيار بين بيل وبين سيدك».

- ورد عليه سام محتاجاً: «إنه سيتبع السيد فرودو إلى وكر التنين؛ إذا أنا قدمته. لن يكون الأمر سوى الزرج به إلى القتل لو أننا تركناه هنا وكل هذه الذئاب حوله».

قال جندلف: «أتمنى ألا ينتهي به الأمر إلى القتل». ووضع يده على رأس الفرس

متحدثاً إليه بصوت خفيض قائلاً: «لتذهب و معك الكلمات الحارسة والموجهة لك . إنك حيوان حكيم ، وقد تعلمتَ كثيراً في ريفنديل . لتسلك طرفاً إلى أماكن يمكن أن تجد العشب فيها ، وهكذا تصل في النهاية إلى منزل إلروند ، أو إلى أي مكان ترغب أن تذهب إليه .»

«ها هو ذا يا سام ! ستكون أمامه فرصة للهرب من الذئاب والوصول إلى بر الأمان ، تماماً مثل فرصتنا» .

وقف سام فجأة إلى جوار الفرس ولم يدر أي جواب . أما بيل - والذي بدا أنه فهم جيداً ما كان يدور من حوله - فمد أنفه إليه ، ووضع أنفه في أذن سام . وانفجر سام بالبكاء ، وراح يبعث في الأربطة ويفكها ، ويفرغ كل ما على الفرس من أحمال ويرمي بها على الأرض . راح الآخرون يفرزون الأmente ، ويكونون كل ما لم يستطيعوا أن يأخذوه معهم في كومة واحدة ، ويقسمون ما تبقى منها .

عندما انتهوا من هذا الأمر تحولوا إلى مشاهدة جندي . كان يبدو أنه لم يفعل أي شيء . كان يقف بين الشجرتين يحدق إلى جدار الجرف المصمت ، كما لو كان سيحفر حفرة فيه بعينيه . كان جيولي يتجلو مستكشفاً المكان ، يضرب على الحجارة هنا وهناك بفأسه . كان ليجولاس ملتصقاً بالصخر ، كما لو كان يصيح السمع .

وقال ميري: «حسناً ، ها نحن أولاء على أهبة الاستعداد ، ولكن أين الأبواب؟ لا أستطيع أن أرى أي علامة تدل على الأبواب» .

ورد عليه جيولي قائلاً: «أبواب الأقزام لم تُصنع لتُرى عندما تكون مغلقة؛ إنها غير مرئية ، ولا يستطيع سيدهم نفسه أن يعثّر عليها أو يفتحها ، إذا نسي سرّها» .

وهنا رد عليه جندي ، وقد عاد فجأة إلى الحياة واستدار باتجاههم: «ولكن هذا الباب لم يُصنع ليكون سراً معروفاً فقط للأقزام . ما لم تتغير الأشياء تماماً ، فإن الأعين التي تعرف ما تبحث عنه يمكنها أن تكتشف العلامات» .

ومشي للأمام إلى الجدار . بين ظل الأشجار مباشرة ، كانت هناك مساحة خالية ممهدة ، ومرر يده فوق هذه جيئة وذهاباً ، وهو يغمغم بكلمات في همس . وبعد ذلك تراجع للوراء ، وقال:

«انظروا ! هل ترون أي شيء؟» .

سطع القمر عندها على وجه الصخر الرمادي ، بيد أنهم لم يروا أي شيء آخر بعض الوقت . وبعد ذلك في بطء على السطح ، حيث كانت يد الساحر قد مرت ، بدأت تظهر خطوط باهنة ، مثل عروق نحيلة من الفضة تسري في الصخر . في بداية الأمر ، لم تكن أكثر من مجرد خيوط من قماش رقيق باهت ، كانت دقيقة

للغاية لدرجة أنها كانت فقط تتلاًأً على نحو متقطع عندما كان القمر يسقط عليها، ولكنها كانت تزداد اتساعاً ووضوحاً بشكل مستمر، حتى كان من الممكن التعرف على تصميمها.

عند القمة، وعلى ارتفاع بقدر ما يستطيع جنلوف أن يصل إليه، كان هناك قوس من حروف متشابكة في كتابة جنية. وأسفل ذلك، على الرغم من أن الخيوط كانت في بعض الأماكن غير واضحة أو مكسورة، فإنه كان يمكن رؤية صورة بالرسم الكافي لستان ومطرقة محاطتين بناج به سبعة نجوم. تحت كل ذلك مرة أخرى كانت هناك شجرتان، كل منهما تحمل أقماراً هلالية الشكل. وكان يسطع بوضوح أكثر من أي شيء آخر في وسط الباب نجم واحد له أشعة كثيرة.

وصاح جيولي قائلاً: «هناك توجد رموز دورين!».

وقال ليجولاس: «وهناك توجد شجرة الجن النبلاء!».

وقال جنلوف: «ونجم منزل فيانور. لقد صنعت من معدن الإثيلدين الذي لا يعكس سوى صورة ضوء النجوم وضوء القمر، وينام حتى يمسه شخص ينطق كلمات نسيت الآن منذ زمن طويل في الأرض الوسطى. لقد مضى زمن طويل منذ أن سمعت هذه الكلمات، وقد فكرت عميقاً قبل أن أتمكن من استرجاعها إلى عقلي».

وتسائل فرودو الذي كان يحاول أن يفك شفرة الكتابة الموجودة على القنطرة قائلاً: «ما الذي تقوله هذه الكتابة؟ كنت أعتقد أنتي أعرف الحروف الجنية، ولكني لا أستطيع أن أقر أها».

وأجابه جنلوف بقوله: «الكلمات بلغة جن غرب الأرض الوسطى في الأيام الخوالي. ولكنها لا تقول أي شيء ذي أهمية بالنسبة لنا. إنها تقول فقط: أبواب دورين، سيد موريا. قل، صديق، وادخل. وتحتها مكتوب بخط صغير ولا يكاد يرى: أنا، نارفي، الذي صنعتها. سيليريمبور<sup>(1)</sup> من هولين هو الذي رسم هذه العلامات».

وسأل ميري: «وماذا تعني عباره: [ . قل، صديق، وادخل. ]؟».

فقال له جيولي: «هذا واضح كفاية. إذا كنت صديقاً، فقل كلمة المرور، وسوف تفتح لك الأبواب، ويمكنك الدخول».

وقال جنلوف: «نعم، هذه الأبواب من المحتمل أن تكون محكومة بالكلمات. بعض أبواب الأقزام تُفتح في أوقات خاصة، أو لأشخاص مخصوصين؛ وبعضها له أقسام ومقاييس لا تزال هناك حاجة إليها عند معرفة جميع الأوقات والكلمات الازمة. هذه

(1) Celebrimbor – اسم شخص معناه «silver fist» – القبضة الفضية؛ أو "Hand of silver" – بد من الفضة. [موقع على [الإنترنت](http://en.wikipedia.org/wiki/Celebrimbor) (المترجم)]

الأبواب ليس لها مفاتيح. في أيام دورين لم تكن سراً. كانت في العادة مفتوحة وكان اتجاه الباب هنا. ولكنها لم تكن مغلقة، أي واحد كان يعرف كلمة الفتح كان يمكنه أن يقولها ويمر من الباب. على الأقل هكذا سُجل ذلك، أليس كذلك يا جيولي؟».

فرد عليه جيولي بقوله: «هو كذلك. ولكن لا يذكر أحد ماهية الكلمة. لقد اختفى نارفي وصنته وجميع عشيرته من الأرض».

وسأل بورومير في دهشة: «ولكن ألا تعرف أنت الكلمة، يا جندلف؟».  
فرد عليه الساحر قائلاً: «كلا!».

وبدا الرعب على الآخرين؛ أما أراجورن - الذي كان يعرف جندلف جيداً - فكان هو الوحيد الذي لازم الصمت ولم يتحرك.

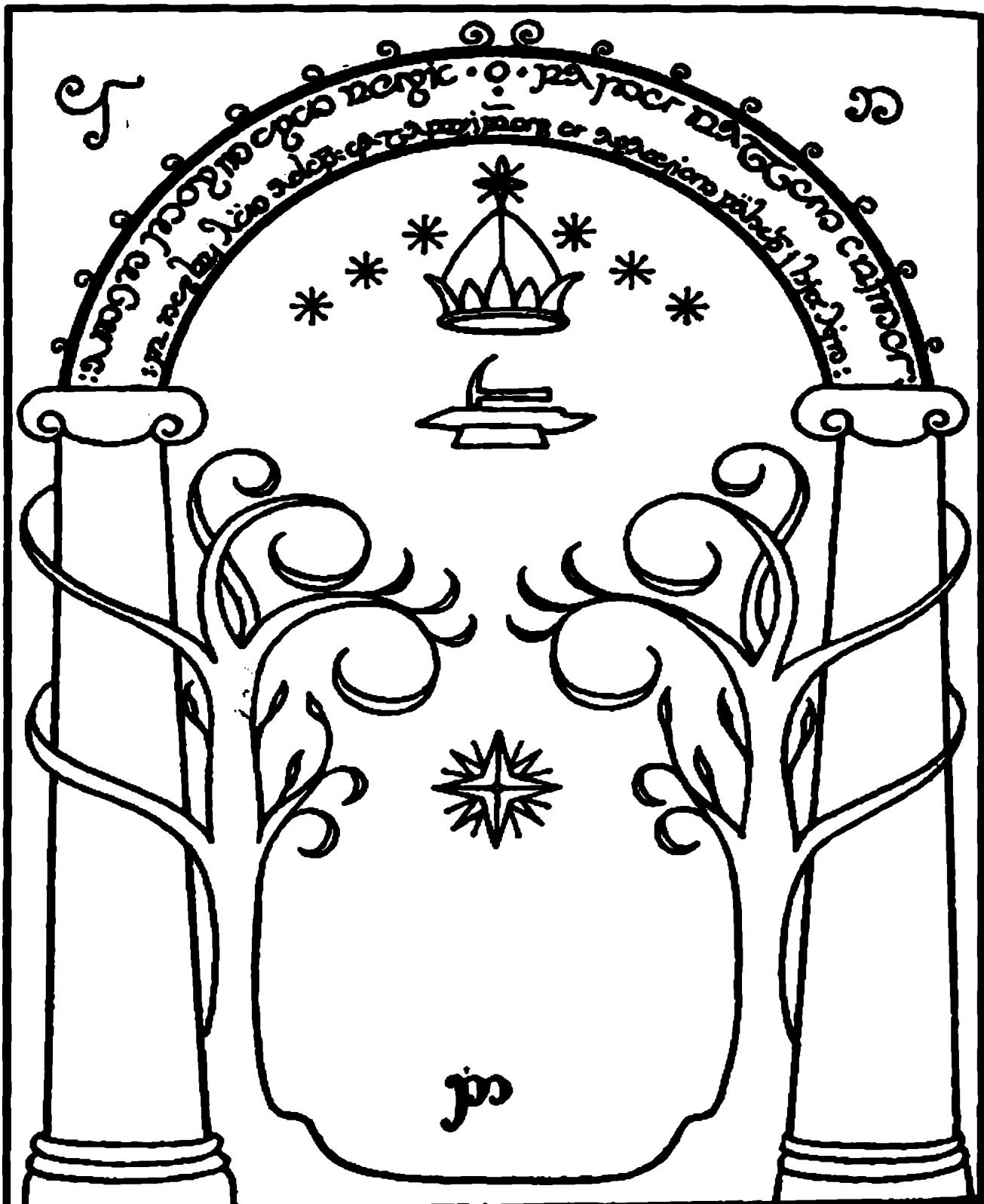
وصاح بورومير، وهو ينظر للوراء وبه رعشة إلى المياه السوداء: «إذن ماذا كانت الفائدة وراء إحضارنا إلى هذه البقعة الملعونة؟ لقد أخبرتنا أنك قد مررت ذات مرة عبر الأنفاق. كيف يمكن ذلك، إذا لم تكن تعرف كيف تدخل إليها؟».

ورد عليه الساحر قائلاً: «الإجابة عن سؤالك الأول يا بورومير أنت لم تعرف الكلمة - بعد. ولكننا سنرى في الحال. وـ»؛ وأضاف وفي عينيه وهج يظهر تحت حاجبيهما المنتصبين: «من الممكن أن تسأل ما هي فائدة أعمالى مادام ثبتت أنها عديمة الجدوى. أما بالنسبة لسؤالك: هل تشک في حکایتی؟ أم أنك لم يعد لديك أي أثاره من فطنة أو ذكاء؟ فإنني لم أدخل من هذا الطريق. لقد جئت من الشرق».

«إذا كنت ترغب في أن تعرف، فإبني سأخبرك أن هذه الأبواب تفتح نحو الخارج. يمكنك أن تدفعها وتفتحها من الداخل بيديك. أما من الخارج فإنه ليس هناك من شيء يمكن أن يحركها سوى تعويذة الأمر. لا يمكن فتحها بالقوة نحو الداخل».

«وما الذي ستفعله إذن؟» - سأله بيبين، غير هياب من حاجبي الساحر المنتصبين. فقال جندلف: «دق على الباب برأسك، يا بيرجرين تووك. ولكن إن لم يكسر ذلك الأبواب و يجعلها تتطاير، و سمح لي بقليل من المراحة من الأسئلة الحمقاء، فإبني سأبحث عن كلمات الفتح».

«كنت أعرف في وقت من الأوقات كل تعويذة في كل لغات الجن أو الإنس أو الأوركيدين، كانت تستخدم على الإطلاق لمثل ذلك الغرض. لا يزال بإمكانى أن أتذكر العشرات منها دون أن أفتض في عقلي. ولكن لن يحتاج الأمر إلا إلى محاولات قليلة فيما أعتقد؛ ولن يكون لزاماً علي أن أطلب مساعدة جيولي في كلمات لغة الجن السرية التي لا يعلمونها لأي أحد على الإطلاق. كانت كلمات الفتح بلغة الجن، مثل الكتابة الموجودة على القنطرة: يبدو هذا أكيداً».



Here is written in the Feänorian characters according to the mode of Beleriand: Ennyan Duria Aran Moria: pedo mellon amitmo. Im Narvi hain echant: Celebrimbor o Eregion teithant i thiw him

ومشى مرة أخرى إلى الحجر، ولمس برفق بعضاه النجم القضي في المنتصف أسفل علامة السندان.

أنون إدھيلین، إدرو هي أمين!  
فیناس نوجرثريم، لاستوبيث لا مين!

قال ذلك بصوت آخر. وتلاشت الخطوط الفضية، ولكن الحجر الرمادي الأصم لم يتحرك.

وكرر هذه الكلمات مرات عديدة بترتيب مختلف، أو قام بتغييرها. بعد ذلك جرب تعويذات أخرى، واحدة تلو الأخرى، متهدّلاً أحياناً أسرع وبصوت أعلى، وفي أحياناً أخرى بصوت منخفض وفي ببطء. بعد ذلك تكلم بالكثير من الكلمات المفردة من حديث الجن. لم يحدث أي شيء. وراح الجرف يرتفع في الليل، وراحت التحوم التي لا حصر لها تتوهج، والريح تهب باردة، والأبواب تقف موصدة.

وأقرب جندي من الجدار مرة أخرى، وتحدث بنبرات آمرة، وحنق متزايد، وهو رافع ذراعه. وصاح: إردو، إردو!، وضرب الحجر بعصاه. وصرخ فيه افتح، افتح! وتبع ذلك بنفس الأمر بكل لغة سبق أن جرى الكلام بها في أي وقت من الأوقات في غرب الأرض الوسطى. بعد ذلك ألقى عصاه على الأرض، وجلس في صمت وسكون.

في هذه اللحظة، من على بعد، حملت الريح إلى آذانهم المصغية عواء الذئاب. وجفل الفرس بيل في خوف، وقفز سام إلى جانبه في ذعر وهمس في صوت خفيض فيه. وقال بورومير: «لا تدعه يجري بعيداً يبدو أننا منحتاج إليه على الرغم من ذلك كله، إذا لم تتعثر علينا الذئاب. كم أنا أكره هذه البركه القدرة!» وانحنى وأخذ حجراً كبيراً وقدف به بعيداً في المياه المظلمة.

تلاشى الحجر محدثاً ارتطاماً ضعيفاً، ولكن في ذات اللحظة كان هناك حفيظ وبقبضة. تكونت حلقات عظيمة من الموجات الصغيرة على السطح نحو الخارج إلى ما وراء المكان الذي سقط فيه الحجر، وتحركت ببطء باتجاه سفح الجرف.

وقال فرودو: «لماذا فعلت هذا يا بورومير؟ إنني أكره هذا المكان، أيضاً، وأنا خائف. لا أدرى مما أنا خائف: ليس من الذئاب، أو من الظلام خلف الأبواب، ولكن من شيء آخر. إنني خائف من حوض الماء. لا تتره!».

وقال ميري: «أتمنى أن لو ذهبنا بعيداً!».

وقال يسوس: «لماذا لا يفعل جندي لشيئاً بسرعة؟».

ولم يلاحظهم جنلّف إطلاقاً. كان يجلس ورأسه منحنٍ سواء في يأس أو في فكر قلق. وسمع صوت عواء الذئاب المحزن مرة أخرى. وكبرت الموجات على سطح الماء وازدادت قريباً؛ كان بعضها يرتطم بالفعل على الشاطئ.

فُز الساحر واقفاً على قدميه في فجاءة أذلتهم جميعاً. وكان يضحك! وصاحت فائلاً: «وجدتها! بالطبع، بالطبع! بسيطة بشكل ساذج، مثل معظم الألغاز عندما ترى الاحياء».«

وأخذ عصاء من على الأرض، ووقف أمام الصخر وقال في صوت واضح:

!Mellon

وسيطع النجم لفترة قصيرة ثم خمد مرة أخرى. وبعد ذلك في صمت رسم مدخل باب عظيم، على الرغم من أنه لم يُر أى شرخ أو مفصل من قبل. وفي بطء راح ينقسم في المنتصف ويدور على محور نحو الخارج بوصة بوصة، إلى أن صار كلا البابين قبالة الجدار. كان هناك سلم ضليل يمكن روشه عبر الفتحة يصعد لأعلى بشكل منحدر؛ ولكن فيما وراء درجات السلم الأكثر انخفاضاً كان الظلام أكثر حكمة من الليل. وحدقت المجموعة كلها في اندهاش.

وقال جَنْدَلْفُ : «لَقَدْ كُنْتُ مُخْطَلًا عَلَى أَيْةٍ حَالٍ ، وَكَذَلِكَ كَانَ جِيمْلِي . لَقَدْ كَانَ مِيرِي  
- مِنْ بَيْنِ الْجَمِيعِ - عَلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيفِ . كَانَتْ كَلْمَةُ الْفَقْحِ مُنَقْوَشَةً عَلَى الْقَنْطَرَةِ طَوَالِ  
الْوَقْتِ ! كَانَتْ تَرْجِمَةُ الْعِبَارَةِ : قُلْ «صَدِيق» وَادْخُلْ . كُلُّ مَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ أَنْ أَقُولَ مَقْابِلَ  
كَلْمَةِ «صَدِيق» بِلِغَةِ الْجَنِّ وَبَعْدِهَا فُتْحُ الْأَبْوَابِ . الْأَمْرُ بِسِيْطٍ لِلْغَايَةِ . بِسِيْطٍ أَكْثَرَ مِنَ  
الْلَّازِمِ بِالنِّسْبَةِ لِشَخْصٍ مِنْ أَسَاطِينِ الْمَعْرِفَةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْمَرْيِيَّةِ . كَانَتْ تَلْكَ عَصُورًا  
أَكْثَرَ سَعَادَةً . وَالآنْ هَيَا بِنَا نَذْهَبُ ! ». .

وسار للأمام بخطى واسعة ووضع قدمه على أدنى درجة. ولكن في تلك اللحظة حدثت أشياء عديدة. أحس فرودو بشيء يمسك به من كاحله، وسقط على الأرض وهو يصرخ. وصاح الفرس «بيل» صيحة خوف جامحة، واستدار وانطلق مثل السهم عبر جانب البحيرة واختفى في الظلمة. وقفز سام وراءه، وبعد ذلك عاد مرة أخرى عندما سمع صرخة فرودو، عاد وهو يبكي ويسب ويشنم. ودار الآخرون، ورأوا ماء البحيرة يغلي، كما لو كانت مجموعة من الثعابين تسبح فيه قادمة من النهاية الشمالية.

ـ وراح يخرج زاحفًا من الماء مجس طويل متعرج؛ كان لونه أخضر باهتاً ومضيناً ومتلأ. أمسكت نهايته ذات الأصابع بقدم فرودو، وكانت تسحبه إلى الماء. راح سام الآن وهو جاث على ركبتيه يضرب ذلك الشيء بسكيته.

وأفلتت الذراع فرُؤدو، وجذبه سام بعيداً، وهو يصبح طالباً المساعدة. وجاءت عشرون ذراعاً أخرى تتموج. وكان الماء الأسود يغلي، وتخرج منه رائحة نتنة بشعة.

«إلى المدخل! هيا أصعدوا السلام! بسرعة!» - صاح فيهم جنْدَلْف وهو يقفز للوراء. وأوقفتهم من الرعب الذي كان يبدو أنه قد غرسهم جميعاً باستثناء سام في الأرض في المكان الذي كانوا يقفون فيه، وقادهم للأمام.

وكانوا في الوقت المناسب تماماً. لم يكن سام وفرودو قد صعدا سوى درجات قليلة، وكان جنْدَلْف قد بدأ يتسلق للحظة، عندما راحت المحسسات المتحسسة تلتف عبر الشاطئ الضيق وتحسس بأصابعها جدار الجرف والأبواب. وجاء أحدها يتمعج فوق العتبة، وهو يتوهج في ضوء النجوم. واستدار جنْدَلْف وتوقف. إذ كان يفك في الكلمة التي ستغلق البوابة مرة أخرى من الداخل، فلم يكن هناك حاجة إلى ذلك. أمسك الكثير من الأذرع الملتفة بالأبواب من كل جانب، وبقوّة مروعة، دارت بها. وفي صدى مدوٍ ومحطم أغلقت الأبواب بعنف، واختفى كل الضوء تماماً. راحت ضوضاء التمزق والاصطدام تأتي في كآبة عبر الحجر الثقيل الكثيف.

سقط سام، وقد كان متسبباً بذراع فرُؤدو، على درجة في الظلمة السوداء، وقال في صوت مختنق: «يا لبيل العجوز المسكين! يا لبيل العجوز المسكين! الذئاب والثعابين! ولكن الثعابين كانت شيئاً أكثر من اللازم بالنسبة له. كان ينبغي عليَّ أن أختار، يا سيد فرُؤدو. كان يجب عليَّ أن آتي معك».

وقال الساحر: «حسناً، حسناً! لقد أغلق الممر. ورأينا مرة أخرى، وليس هناك سوى طريق واحد للخروج - على الجانب الآخر من الجبال. إنني أخاف من الأصوات تلك التي جعلت الصخور الجلاميد تتكون على بعضها، واقتلت الأشجار وألقت بها عبر البوابة. إنني آسف؛ لأن الأشجار كانت جميلة، وكانت هنا منذ زمن طويل».

وقال فرُؤدو: «لقد شعرت أن هناك شيئاً ما على قرب منا منذ اللحظة التي لمست فيها قدماي الماء لأول مرة. ماذا كان هذا الشيء، وهل كان هناك الكثير من هذه الأشياء؟».

فأجابه جنْدَلْف قائلاً: «لا أدرِّي، ولكن الأذرع كانت كلها يوجهها هدف واحد. شيء زحف، أو دفع من الماء المظلم تحت الجبال. هناك أشياء أكبر منا وأكثر بشاعة من الأوركيدين في الأماكن العميقة من العالم». لم يُفصح بأفكاره عن ماهية الشيء الذي كان يسكن في البحيرة، والذي أمسك بفرُؤدو أولاً من بين جميع المجموعة. وغمغم بورومير في همس، ولكن الصخر الذي كان يرجع الصدى عظيم

الصوت إلى همس أكثر غلظة لدرجة أن الجميع كانوا يسمعونه: «في الأماكن العميقه من العالم! وإلى هناك نذهب ضد إرادتي. من الذي سيقودنا الآن في هذه الظلمة القاتلة؟».

قال جندلف: «أنا، وسوف يمشي جيولي معي. اتبعوا عصاي!».

وبينما كان الساحر يمر صاعداً الدرجات العظيمة، كان يمسك بعصاه عاليًا، وكان يأتي من طرفها إشعاع ضعيف. كان السلم الواسع سليماً وليس به أي تلف. كان عدد الدرجات مائتي درجة، عريضة ومسطحة قليلاً؛ وعند القمة وجدوا ممراً مقوساً له سطح مستو يؤدي إلى الظلام.

وقال فرودو: «دعونا نجلس ونستراح ونتناول بعض الطعام، هنا على السلم، حيث إننا لن نستطيع إيجاد غرفة طعام!» وبدأ يخلص من الرعب الذي أصابه من الذراع التي كانت تق除此 عليه، وشعر فجأة أنه جائع إلى أبعد حد.

ولقي الاقتراح ترحيباً من الجميع؛ وجلسوا كلهم على الدرجات العليا، أشكال مبهمة في الظلمة. وبعد أن أكلوا، أعطاهم جندلف شفطة ثالثة من شراب الميروفور الذي أتى به من ريفنديل.

وقال لهم: «لن يدوم أكثر من ذلك، للأسف، ولكنني أعتقد أننا بحاجة إليه بعد كل هذا الرعب الذي عانيناه عند البوابة. وما لم يحالفا حظ عظيم، فإننا سنحتاج إلى ذلك كله قبل أن نرى الجانب الآخر! توخوا الحذر والحرص في تعاملكم مع الماء، أيضاً! هناك كثير من الينابيع والأبار في الأنفاق، ولكن لا ينبغي لمسها أبداً. ربما لا تناح لنا فرصة ملء قربنا وأذقانا حتى نهبط إلى وادي ديمريل».

وسأل فرودو: «كم سيسفرنا هذا من وقت؟».

وأجابه جندلف قائلاً: «لا أدرى على وجه التحديد. الأمر كله يعتمد على فرص كثيرة. ولكن لو ذهبنا إلى هناك مباشرة، دون حوادث مؤسفة أو دون أن نضل الطريق، فإن الأمر سيسغرق منا ثلاث أو أربع نوبات سير، فيما أتوقع. لا يمكن أن يكون ذلك أقل منأربعين ميلاً من الباب الغربي إلى البوابة الشرقية في خط مستقيم، وقد يتعرج الطريق كثيراً.

بعد راحة قصيرة فقط، واصلوا السير في طريقهم مرة أخرى. كانوا جميعاً تراقين لإنتهاء الرحلة بأقصى سرعة ممكنة، وكانوا راغبين، على ما كانوا عليه من التعب، في مواصلة السير لعدة ساعات أخرى. راح جندلف يمشي في المقدمة كما كان من قبل. كان يمسك بعصاه المتوجة في يده اليسرى، والتي كان ضوءها لا يُظهر سوى الأرض أمام قدميه فحسب؛ وفي يده اليمنى كان يمسك بسيفه جلامرينج. وكان وراءه

جيولي ، وعيناه تتوهجان في الضوء الخافت وهو يدير رأسه من جانب إلى جانب. ووراء القزم كان يمشي فرودو ، وكان مستلساً سيفه القصير ستينج . لم يكن هناك أي وميض يأتي من نصل ستينج ولا من نصل جلامدرينج؛ وكان ذلك مبعثاً لبعض الارتياح ، ونظراً لكون هذه السيف من صنع حدادي الجن في الأيام الخوالي ، فإنها كانت تومن باعثة ضوءاً بارداً، إذا كان هناك أي أوركيين قربين منهم. ووراء فرودو جاء سام ، وبعده جاء ليجولاس ، والهوبيتون الشباب ، وبورومير . في الظلام في المؤخرة ، كان يمشي أراجورن ، مكتبراً وصامتاً.

راح الطريق يلف ويدور عدة دورات ، وبعد ذلك بدأ ينحدر . راح يهبط بشكل مطرد لوقت طويل قبل أن يصبح مستوى مرة أخرى . أصبح الهواء ساخناً وخانقاً ، ولكنه لم يكن كريه الرائحة ، وفي بعض الأوقات كانوا يحسون بتغيرات من هواء أكثر برودة فوق وجوههم . وفي ظل البصيص الواهن لعصا الساحر ، لمع فرودو لمحًا خاطفًا سالماً وقاطر ، وكذلك مرات أخرى وأنفاسًا ، منحدرة لأعلى ، أو تسير منحدرة لأسفل بشكل حاد ، أو تفتح مظلمة بكل الوجوه على كلا الجانبين . لقد كان ذلك مذهلاً بما يفوق كل أمل في التذكر .

كان جيولي يساعد جندلف قليلاً جداً ، باستثناء شجاعته وبسالته القوية؛ حيث إنه - على الأقل - لم يكن ، مثلما كان من الآخرين ، قلقاً بشأن الظلمة المجردة هذه في حد ذاتها . كان غالباً ما يرجع الساحر إليه في المشورة في بعض النقاط عندما يكون اختيار الطريق موضع شك؛ ولكن كانت الكلمة النهائية دائماً لجندلف . كانت أنفاق موريا شاسعة ومعقدة فوق تخيل جيولي ، بين جولين ، على الرغم من أنه كان قنماً من جنس الجبال . بالنسبة لجندلف كانت الذكريات البعيدة لمرحلة مضى عليها زمن طويل مصدر مساعدة قليلة الآن ، ولكن حتى في الظلمة وبالرغم من كل تعرجات الطريق وانحناءاته فإنه كان يعلم إلى أين كان يرغب في الذهاب ، ولم يكن يتردد ، طالما كان هناك طريق يؤدي به إلى الهدف .

وقال أراجورن: «لا تخافوا!» وكانت هناك وقفة أكثر من المعتاد ، وكان جندلف وجيملي يهمسان معاً؛ وكان الآخرون متزاحمين وراءهم ، ينتظرون في قلق . «لا تخافوا! لقد كنت معه في رحلات كثيرة ، إذا لم يكن على الإطلاق في واحدة شريرة للغاية؛ وهناك حكايات عن ريفنيديل عن أعمال له أعظم من أي أعمال رأيتها . إنه لن يضل الطريق - طالما كان هناك طريق يمكن العثور عليه . لقد قادنا إلى هنا على الرغم من مخاوفنا ، وسوف يقودنا خارجاً من هنا مرة أخرى ، مهما كانت كلفة ذلك على نفسه . إن ثوقيه من إيجاد طريق العودة في ليلة ظلماء أكثر من قطط الملكة بروثيل».

لقد كان من الجيد بالنسبة للمجموعة أن يكون معها مثل هذا المرشد. لم يكن لديهم أي وقود ولا أي وسيلة لصنع المشاعل؛ في زحفهم اليائس عند الأبواب تركوا أشياء كثيرة وراءهم. ولكن بدون أي ضوء، فإن الأمر سوف ينتهي بهم سريعاً في شيء محزن. لم تكن هناك طرق كثيرة للاختيار منها فحسب، بل كان هناك أيضاً في الكثير من الأماكن حفر وشراك، وأبار مظلمة إلى جوار الطريق. كان وقع أقدامهم المارة يصدر أصداً فيها. كانت هناك شقوق وفجوات في الجدران وفي الأرض، ومن آن الآخر كان يفتح شرخ أمام أقدامهم مباشرةً. كان أكبرها اتساعاً يزيد على سبعة أقدام عرضاً، واستغرق الأمر وقتاً طويلاً من بيبين قبل أن يستجمع قدرًا كافياً من الشجاعة ليقفز فوق الفجوة المرعبة. كان صوت المياه التي تتحرك بعنف يأتي لأعلى من على بعد أسفل منهم، كما لو كان هنا دولاب طاحونة يدور في الأعماق.

وغمغم سام قائلاً: «حبل! كنت أعلم أنني سأحتاج إليه، إذا لم يكن معي واحد!».

وحيث إن هذه المخاطر أصبحت أكثر تكراراً، فإن سيرهم أصبح أكثر بطئاً. لقد بدأ بالفعل أنهم كانوا يمشون بتناول، ويمشون - على نحو متصل - إلى جذور الجبال. لقد كانوا أكثر من مرهقين، ومع ذلك لم يجد أن هناك أي ارتباط لفكرة التوقف في أي مكان. وارتقت الروح المعنوية لفرودو لبعض الوقت بعد نجاته، وبعد تناول الطعام وجرعة من الشراب المنبه؛ ولكن الآن راح يحتاجه مرة أخرى قلق عميق، زاد إلى حد الفزع. على الرغم من أنه كان قد عولج في ريفنديل من طعنة السكين، فإن هذا الجرح المروع لم يكن دون تأثير عليه. كانت حواسه أكثر حدة وأكثر وعياً بالأشياء التي لا يمكن أن ترى. كانت هناك علامة تغيير كان قد لاحظها وهي أنه يستطيع أن يرى في الظلام أكثر من رفاته، ربما باستثناء جندلف.

وحيث إنه كان بأي حال من الأحوال حامل الخاتم: كان معلقاً في سسلته على صدره، وكان يبدو في بعض الأوقات ثقلاً ثقيلاً. كان يشعر بيقينية الشر أمامهم والشر الذي يتبعهم؛ ولكنه لم يقل شيئاً. كان يمسك بمقبض سيفه بشدة وإحكام أكثر وراح يسير في عناد وشدة.

كانت المجموعة وراءه نادراً ما تكلم، وعند ذلك لم يكن حديثهم سوى همس متوجّل. لم يكن هناك أي صوت سوى صوت وقع أقدامهم هم؛ والمشية الثقيلة لحذاء الأقزام الذي يلبسه جيمل؛ والوطء الثقيل لبورومير؛ والخطو الخفيف للجوالاس؛ والطفقة الخافتة التي نادراً ما تسمع لأقدام الهوبيتين؛ وفي المؤخرة وقع الأقدام الثابت البطيء لأراجورن وهو يسير بخطواته الواسعة. وعندما كانوا يتوقفون للحظة، لم يكونوا يسمعون أي شيء على الإطلاق، باستثناء ما كان يقع من وقت لآخر من سقوط وتقاطر مياه غير مرئية.

ولكن فرودو بدأ يسمع ، أو كان يتخيّل أنه يسمع ، شيئاً آخر: مثل وقع ضعيف لأقدام خفيفة حافية. لم يكن أبداً عالياً بما يكفي ، أو قريباً من القدر الكافي ، لجعله يشعر بأنه متيقن من سماعه للصوت؛ ولكن بمجرد أن بدأ الصوت فإنه لم يتوقف أبداً، في حين كانت المجموعة مستمرة في سيرها. ولكنه لم يكن صدى ، لأنه كان يستمر في نقره لبعض الوقت بمفرده عندما كان الجميع يتوقفون ، وبعد ذلك يسكن ويتوقف.

كان الوقت بعد حلول الليل عندما دخلوا الأنفاق. كانوا يسرون لمدة ساعات عديدة دون أن يتوقفوا سوى وقوفات قصيرة فحسب ، عندما توقف جندلف فجأة. كان هناك أمامه قنطرة واسعة مظلمة تتشعب إلى ثلاثة ممرات: كانت كلها تعود إلى نفس الاتجاه العام ، نحو الشرق؛ ولكن الممر الأيسر كان يغوص لأسفل ، بينما كان الممر الأيمن منها يصعد لأعلى ، في حين كان يبدو أن الطريق الأوسط يواصل العبور في نفس الاتجاه ، سلساً ومستويًا بيد أنه كان ضيقاً جداً.

وهذا قال جندلف وهو يقف في ريبة وشك أسفل القنطرة: «لا أذكر هذا المكان على الإطلاق». ورفع عصاه أملأاً في العثور على بعض علامات أو نقوش من المع肯 أن تساعد في الاختيار؛ ولكن لم ير أي شيء من هذا القبيل. وقال مجدداً وهو يهز رأسه: «إنني مرهق للغاية بحيث لا يمكنني أن أحدد وأقرر. كما أنتي أتوقع أنكم جميعاً مرهقون ومتعبون مثلي ، أو ربما أكثر مني. من الأفضل أن تتوقف هنا لما تبقى من الليل. تعلمون ما أقصد! الدنيا بالداخل هنا مظلمة تماماً؛ ولكن بالخارج القمر المتأخر يتجه نحو الغرب وقد مضى منتصف الليل».

وقال سام: «يا لبيل العجوز المسكين! أتمنى أن أعرف أين هو الآن. أتمنى ألا تكون هذه الذئاب قد نالت منه بعد».

وجدوا إلى شمال القنطرة العظيمة باباً حجرياً: كان نصف مغلق ، ولكن رجع للوراء في سهولة عندما دفع دفعه خفيفة. فيما وراء ذلك ، كان يبدو أن هناك غرفة واسعة منحوتة في الصخر.

«تربيتوا! تربيتوا!» صاح فيهم جندلف بينما اندفع ميري وبيبين للأمام ، مسرورين لأنهم قد وجدوا مكاناً يمكنهم أن يستريحوا فيه وهم يشعرون على الأقل بحماية أكثر من كونهم في الممر المكشوف. «تربيتوا! إنكم لا تعرفون ما هو بالداخل بعد. سوف أدخل أنا أولًا».

ودخل في حذر ، وتبعه الآخرون في طابور وراءه ، وقال وهو يشير بعصاه إلى منتصف الأرضية: «هناك!». ورأوا أمام قدميه فتحة كبيرة دائرية مثل فوهة بئر. كانت هناك سلاسل مكسورة وصدئة ترقد عند الحافة وتندل إلى أسفل في الحفرة المظلمة. كانت هناك شظايا من صخر على مقربة منهم.

وقال أراجورن لميري: «ربما يكون قد وقع واحد منكم في هذه الحفرة ولا يزال يتساءل متى ستصلون إلى القاع. لندع المرشد يذهب أولاً طالما كان معنا مرشد». وقال جيولي: «يبدو أن هذه غرفة الحراس، صُنعت لمراقبة الممرات الثلاثة. وقد كانت هذه الحفرة ببساطة بئراً لاستخدام الحراس، مغطاة بغطاء حجري. ولكن الغطاء كسر، ولا بد أن تكون جميعاً حذرين في الظلام».

أحس بيبيين أنه مشدود للبئر بشكل غريب. في حين كان الآخرون يفردون البطانيات ويصنعون فرشاً قبالة جدار الغرفة، بعيداً عن الحفرة الموجودة في الأرضية قدر المستطاع، زحف نحو الحافة واحتل نظرة. بدا أن هناك هواء بارداً يضرب وجهه، يرتفع من أعماق غير مرئية. وحركه دافع مفاجئ وجعله يبحث عن حجر سائب، وألقى به في البئر. أحس بقلبه يخفق مرات عديدة قبل أن يسمع أي صوت. وبعد ذلك، على مسافة بعيدة في الأسفل، جاءه صوت ضربة قوية – كما لو كان الحجر قد سقط في ماء عميق في مكان غائر – بعيد جداً، ولكنه تضخم وتكرر في تجويف عمود البئر.

وصاح جندلف: «ما هذا؟» وأحس بالراحة عندما اعترف بيبيين بما فعله؛ ولكنه كان غاضباً، ورأى بيبيين عينيه وهو تومضان. وقال متذمراً: «يا لك من توكى غبي أحمق! هذه رحلة خطيرة، ليست حفلة مشي للهوبيتين. ارم بنفسك في البئر في المرة القادمة، وبعد ذلك فلن تكون مصدر إزعاج أبداً. والآن الزم المهدوء!».

لم يسمع أي شيء أكثر من ذلك لمدة دقائق عدة؛ ولكن عند ذلك جاء من الأعماق صوت نقر خافت: توم – تأب، توم – تأب. وتوقف الصوت، وعندما تلاشى الصدى، تكرر الصوت مرة ثانية: توم – تأب، توم – تأب، توم – تأب، توم – تأب. كان صوت النقر مزعجاً مثل إشارات من نوع ما؛ ولكن بعد وقت قصير خمد النقر ولم يسمع مرة أخرى أبداً.

وقال جيولي: «كان ذلك صوت مطرقة، وإلا فإنتي لم أسمع صوت مطرقة من قبل على الإطلاق».

ورد جندلف قائلاً: «نعم، ولا أحب ذلك الصوت. ربما لا يكون له أي شأن بحجر بيريجرين الأحمق؛ ولكن من المحتمل أن يكون هناك شيء قد أزعج، كان من الأفضل أن يترك هادئاً. أرجوكم، لا تفعلوا شيئاً من هذا القبيل مرة أخرى! دعونا نأمل أن نتلقى بعض الراحة دون مزيد من المشاكل. وأنت يا بيبيين يمكنك أن تذهب لنوبة الحراسة الأولى، كمكافأة لك»، قال ذلك في صوت متذمر، وهو يلف نفسه في بطانية.

وجلس بيبيين في بؤس بجوار الباب في الظلمة القاهرة؛ ولكنه ظل يدور ويتلتف حوله، مخافة أن يأتي شيء غير معروف زاحفاً لأعلى من البئر. وتعنى أن لو قام

بتغطية الحفرة، حتى ولو كان ببطانية، ولكنه لم يجرؤ على الحركة أو الذهاب قريباً منها، على الرغم من أن جنلوف كان يبدو نائماً.

في واقع الأمر كان جنلوف مستيقظاً، على الرغم من أنه كان يرقد في سكون وصمت. كان مستغرقاً في التفكير، محاولاً استرجاع كل ذكرى من ذكريات رحلته السابقة في الأنفاق، ويدرس في قلق الطريق التالي الذي ينبغي عليه أن يسلكه؛ أي انعطافة خاطئة الآن قد تكون كارثة. وبعد ساعة نهض من مكانه وجاء إلى بيبين، وقال له في نبرة عطوفة:

«ادهب إلى أي ركن لتناول قسطاً من النوم، يا رفيقي. أعتقد أنك تريد أن تنام. جفني لا يمكن أن يغمض، ولذلك فإنني سأقوم بالحراسة أيضاً».

وغمغم، وهو يجلس إلى جوار الباب قائلاً: «أعرف ما ألم بي من مشكلة. إنتي بحاجة إلى أن تدخن! لم أذق الدخان منذ الصباح الذي سبق العاصفة التلجمية».

آخر شيء رأه بيبين، حيث أخذته النوم، كان لمحه مظلمة من الساحر العجوز وهو جاث على الأرض، يغطي شريحة متوجحة في يديه المعروقتين بين ركبتيه. كان الوميض للحظة يظهر أنفه الحاد، ونفث الدخان.

لقد كان جنلوف هو الذي أيقظهم جميعاً من النوم. لقد جلس وحرس بمفرده تماماً لمدة ست ساعات تقريباً، وترك الآخرين ينامون، وقال: «وفي أوقات الحراسة، اتخذت قراراً. لا أرى أن الطريق الأوسط يروق لي؛ ولا أحب رائحة الطريق الأيسر: هناك هواء عفن أسفله، وإلا فلا أكون مرشدًا. سوف أخذ الطريق الأيمن. لقد حان الوقت لنبدأ الصعود مرة أخرى».

مشوا لمدة ثمان ساعات مظلمة، بدون احتساب مرقي توقي قصيرتين؛ ولم يقابلوا أي خطر، ولم يسمعوا أي شيء، ولم يروا أي شيء سوى الوجه الخافت لضوء الساحر، يبرز فجأة مثل الوجه المستنقعي أمامهم. كان الطريق الذي اختاروه يتعرج بشكل مستمر لأعلى. وبقدر ما يمكنهم الحكم، فإنه كان يسير في منحدرات عظيمة صاعدة، وبينما كان يرتفع صاعداً كان يصعد أكثر ارتفاعاً واتساعاً. لم تكن هناك أي فتحات على دهاليز أو أنفاق أخرى على أي جانب من الجانبين، وكان سطح الأرض مستوياً وسليناً، بدون حفر أو شروخ. من الواضح أنهم قد وافقوا ما كان من قبل طريقاً هاماً؛ وساروا للأمام يتقدمون بشكل أسرع مما فعلوا في نوبة مشيهم الأولى.

بهذه الطريقة، قطعوا مسافة خمسة عشر ميلاً، مقيسة في خط مستقيم باتجاه الشرق، على الرغم من أنهم لا بد قد مشوا بالفعل عشرين ميلاً أو أكثر. وبينما كان

الطريق يسير بهم صاعداً لأعلى، ارتفعت الروح المعنوية لفروعه قليلاً؛ ولكنه كان لا يزال يشعر بالغم والحزن، ولا يزال يسمع في بعض الأوقات، أو يعتقد أنه يسمع، بعيداً وراء المجموعة وفيما وراء وقع ونقر الأقدام، وقع أقدام يتبعهم، لم يكن صدى صوت.

لقد مشوا طويلاً بقدر ما يمكن أن يتحمله الهوبيتيون دون راحة، وكانوا جميعاً يفكرون في مكان يمكنهم أن يناموا فيه، عندما تلاشت فجأة الجدران على اليمين واليسار. كان يبدو أنهم مرروا عبر مدخل مقوس إلى فضاء أسود وحال. كان هناك تيار عظيم من هواء أكثر دفئاً وراءهم، وكانت الظلمة أمامهم باردة في وجوههم. وتوقفوا وتجمعوا معاً في قلق. بدا على جندل السرور، وقال: «لقد اخترت الطريق الصحيح. أخيراً، نصل إلى الأجزاء القابلة للسكنى، وأعتقد أننا لسنا بعيدين الآن من الجانب الشرقي. ولكننا مرتفعون جداً، أكثر ارتفاعاً من بوابة ديمري، ما لم أكن مخطئاً. من الجو العام في الهواء، لا بد أننا في ردهة واسعة. سوف أخاطر الآن وأوقد ضوءاً حقيقياً صغيراً».

ورفع عضاه، وكان هناك وهج لفترة قصيرة جداً مثل ومضة برق. وقفزت أشباح عظيمة وفرت هاربة، ولمدة ثانية رأوا سقفاً شاسعاً فوق رءوسهم بمسافات كبيرة تمسكه لأعمدة كثيرة عظيمة منحوتة من الصخر. وكان يمتد أمامهم وعلى كل جانب بهو خالٍ ضخم؛ كانت جدرانه السوداء - وكانت مصقوله وملساء مثل الزجاج - توپض وتتوهج. ورأوا أيضاً ثلاثة مداخل أخرى، قناطر سوداء قائمة: واحد أمامهم مباشرة باتجاه الشرق، وواحد على كل جانب منهم. وبعد ذلك انطفأ الضوء.

وقال جندل: «هذا كل ما سأجازف به بالنسبة للوقت الحاضر. كانت هناك نوافذ عظيمة على جانب الجبل، وأعمدة تقود للخارج إلى الضوء في الألسنة المنبسطة العليا من الأنفاق. أعتقد أننا وصلناها الآن، ولكن الدنيا لا تزال ليلاً هناك بالخارج، ولا يمكننا أن نعرف حتى الصباح. إذا كنت على صواب، غالباً قد نرى الصباح فعلاً يزغب. ولكن في ذات الوقت، من الأفضل ألا نتقدم أكثر من ذلك. دعونا نستريح، إذا كان بإمكاننا. لقد سارت الأمور على نحو جيد حتى الآن، وقد انتهي الجزء الأعظم من الطريق المظلم. ولكننا لم نجتز طريقنا حتى الآن، وهناك طريق طويل نهبطه إلى البوابات التي تفتح على العالم».

-

وأمضت المجموعة هذه الليلة في البهو الكهفي العظيم، متجمعين معاً متضامين في ركن هرباً بأنفسهم من تيارات الهواء: كان يبدو أن هناك تياراً متدفعاً مستمراً من هواء

بارد يدخل عليهم عبر المدخل الشرقي المقوس. كانت الظلمة حولهم في كل مكان، جوفاء وهائلة، وكانوا مغتربين من جراء الوحدة وانساع الصالات المشغولة والسلام والمرات المتشعبه على نحو لا نهائي. إن أكثر التصورات جموحاً التي أوحى بها الشائعات الشريرة للهوبتيين قصرت تماماً عن تصوير الرعب والإذلال الفعلىين لموريما.

وقال سام: «لا بد أنه كان هناك جمع كبير من الأقزام هنا في وقت من الأوقات، وكان كل واحد منهم أكثر انشغالاً من حيوانات الغرير لمدة خمسمائة سنة ليصنعوا كل هذا، ومعظمها في الحجارة الصلبة أيضاً! لماذا فعل كل هذا؟ إنهم لم يعيشوا في هذه التجاويف المظلمة بكل تأكيد؟».

وقال جيولي: «هذه ليست تجاويف. هذه هي مملكة ومدينة دورودليف العظيمة. وفي الماضي لم تكن مظلمة، ولكنها كانت ممثلة بالضوء والروعة، ولا نزال نذكرها في أغانيينا».

ونهض، وبينما كان يقف في الظلام، بدأ يغني في صوت عميق، في حين سافرت الأصوات بعيداً إلى السقف.

كان العالم يافعاً، والجبال حضراً،  
لم تكن أي بقعة قد ظهرت بعد على القمر،  
ولم تكن أي كلمات قد وضعت على النبع أو الصخر،  
عندما استيقظ دورين ومشى بمفرده.  
سمى التلال والوهاد التي لم تكن لها أسماء؛  
وشرب من الآبار التي لم يكن قد ذاقها أحد بعد؛  
وانحنى ونظر في ميرور مير،  
ورأى تاجاً من النجوم يظهر أمامه،  
كجوادر في خط فضي،  
فوق ظل رأسه.

كان العالم جميلاً، والجبال عالية،  
في الأيام الخوالي قبل سقوط  
الملوك العظام في نار جوثرondon  
وجوندولين، الذين كانوا وقفاً فيما وراء  
البحار الغربية قد قضوا:

كان العالم جميلاً في عهد دورين.

كان ملكاً على عرش منحوت  
في أبهاء من صخر كثيرة الأعمدة  
لها سقف ذهبي وستف فضي،  
وعلامات رونية دليل السلطة على الباب.  
كان ضوء الشمس والنجوم والقمر  
في مصابيح ساطعة مصنوعة من الكريستال  
لم تعمها سحابة أو ظل ليلي  
يسطع جميلاً ويراقا إلى الأبد.

وهناك راح يطرق قوياً على السنдан،  
وهناك شق الإزميل، وكتب النقاش؛  
وهناك صنع النصل، وصنع قوياً المقبض؛  
وحفر الحفار، وبنى البناء.  
هناك حجر البريل، واللؤلؤة، والأوابال الشاحب،  
وصنع المعدن مثل درع الأسماك،  
ترس ودرع، وبطة وسيف،  
ووضعت الحراب اللامعة في مخازن الذخيرة.  
لم يكن قوم دورين يتبعون أبداً وقتها؛  
أسفل الجبال استيقظ الموسيقيون:  
وعزف عازفو القيثارة، وغنى المغنوون،  
وعند البوابات دقت الأبواق.

العالم أشيب، والجبار عجوز،  
نار الكبير باردة ببرود الرماد؛  
لم تُعصر أي قيثارة، ولم تقع أي مطرقة؛  
الظلمة تسكن في صالات دورين؛  
الشبح يرقد على قبره  
في موريا، في خزان دوم.

ولكن لا تزال النجوم الغائبة تظہر  
في میروز میر المظلمة عدیمة النوافذ؛  
هناك يرقد تاجه في المياه العمیقة،  
حتى يستيقظ دورین مرة أخرى من نومه.

وقال سام: «أعجبتني هذه القصيدة. إنني أحب أن أتعلمها. في موريا، في خَرَادْ دُوم! ولكنها تجعل الظلمة تبدو أكثر وطأة، عند التفكير في كل هذه المصابيح. هل كل هذه الأكواح من المجوهرات والذهب لا تزال ترقد حولنا هنا؟».

والترزم جيولي الصمت. ولما كان قد انتهي من غناء أغنيته، لم يتغوه بكلمة بعد ذلك. وقال جندلف: «أكواح من الجواهر؟ كلا. لقد كان الأوركيون غالباً ما ينهبون موريا؛ ليس هناك من شيء تركوه في الأبهاء العلوية. ومنذ أن فر الأقزام، لا يجرؤ أحد على البحث عن الأعمدة والكنوز في الأسفل في الأماكن العمیقة: إنها غارقة في الماء – أو في ظل من الخوف».

وسأل سام: «إذن لماذا يريد الأقزام أن يعودوا إليها؟».

وأجابه جندلف بقوله: «من أجل معدن المیثريل. إن ثروة موريا لم تكن في الذهب والمجوهرات، ألعاب الأقزام؛ ولا في الحديد، خادمهم. مثل هذه الأشياء وجدوها هنا، هذا صحيح، وعلى وجه الخصوص الحديد؛ ولكنهم لا يحتاجون إلى التنقيب بحثاً عنها: كل الأشياء التي كانوا يرغبون فيها يمكنهم الحصول عليها عن طريق التجارة والمقايضة. لأنه هنا فقط دون أي مكان في العالم كانت توجد فضة موريا، أو الذهب الحقيقي كما كان البعض يطلق عليها: المیثريل هو اسمها بلغة الجن. الأقزام لديهم اسم لا يخبرون به أحداً. كانت قيمته عشر مرات قيمة الذهب، والآن فإنه يفوق كل سعر؛ لأن قليلاً منه موجود فوق الأرض، بل وحتى الأوركيون لا يجرءون على التنقيب هنا بحثاً عنه. العروق المعدنية تقوس بعيداً نحو الشمال باتجاه كارادراس، وإلى أسفل إلى الظلام. الأقزام لا يخبرون أي حكايات؛ ولكن حتى وإن كان المیثريل أساس ثروتهم، فإنه كان أيضاً دمارهم: لقد قاموا بالحفر والتنقيب بنهم للغاية وإلى أعماق أكثر من اللازم، وأزعجوا ذلك الذي هربوا منه، لعنة دورين. وكل ما جلبوه للضوء، فإن الأوركيين جمعوه كله تقريباً، وأعطوه جزية لساورون، الذي يشتريه بنهم.

«المیثريل! الجميع يرغبونه ويريدونه. إنه يمكن طرقه مثل النحاس، وصقله مثل الزجاج؛ وكان الأقزام يصنعون منه معدناً خفيفاً ومع ذلك كان أكثر صلابة من الفولاذ المعالج. كان جماله مثل جمال الفضة العادية، ولكن جمال المیثريل لم يكن يبيت أو

يفقد لونه. كان الجن يحبونه حباً كبيراً، ومن بين الاستخدامات العديدة التي استخدموه فيها كان الإثنيين، قمر النجم، الذي رأيتوه على الأبواب. كان لدى بيلبو درع من حلقات الميثريل أعطاء إيه ثورين. إنني أتساءل ماذا حدث به؟ لا يزال يجمع التراب في مدينة مايكيل ديلفينج بمنزل ماثوم، فيما أعتقد».

وصاح جيولي، وقد هب مذعوراً من صمته: «ماذا؟ درع من فضة موريما؟ لقد كانت هذه هدية ملكية!».

ورد جندلف قائلاً: «نعم. إنني لم أخبره أبداً، ولكن قيمته كانت أعظم من قيمة المقاطعة كلها وكذلك كل شيء فيها».

لم يقل فرودو شيئاً، ولكنه وضع يده تحت ردانه ولم يمس حلقات درعه القميصي. لقد شعر بالذهول عندما فكر أنه كان يعشى ومعه سعر المقاطعة تحت معطفه. هل كان بيلبو يعرف ذلك؟ لم يكن لديه أي شك أن بيلبو كان يعرف ذلك جيداً. لقد كانت هدية ملكية حقاً. ولكن الآن انتقلت أفكاره بعيداً عن الأنفاق المظلمة، إلى ريفنديل، وإلى بيلبو، إلى منزل باج إيند في الأيام التي كان بيلبو لا يزال فيها هناك. لقد تمنى بكل قلبه أن لو كان هناك، وفي تلك الأيام الخوالي، يجز العشب، أو يشغل نفسه بالمشي بين الزهور؛ وألا يكون قد سمع قط عن موريما، أو الميثريل - أو الخاتم.

وساد صمت عميق. وراح الآخرون في النوم الواحد تلو الآخر. كان فرودو في نوبة الحراسة. وانتابه الخوف، تماماً كما لو كانت هبة ريح قد جاءت ودخلت عبر أبواب غير مرئية من أماكن عميقة. كانت يداه بارديتين، وجبينه رطباً. راح ينصت. أعطى كل عقله للإنصات ولم يشغل نفسه بأي شيء آخر لمدة ساعتين بطيئتين؛ ولكنه لم يسمع أي صوت، ولا حتى الصدى المتخيّل لوقع الأقدام.

كانت نوبة حراسته على وشك الانتهاء تقريباً، عندما تصور - من مكان بعيد حيث كان يعتقد أن القنطرة الغربية تقف هناك - أنه رأى نقطتين باهتتين من ضوء، مثل عينين مضيئتين تقريباً. وأصابه الفزع. وتمايل رأسه كأنما ينام، وفكر في نفسه قائلاً: «لا بد أنني قد نمت تقريباً في الحراسة. لقد كنت على حافة حلم». ووقف وفرك عينيه، وظل واقفاً، وهو ينظر في الظلام، حتى أراجه ليجولاس وأخذ مكانه في الحراسة.

وعندما رقد، راح في النوم سريعاً، ولكن كان يبدو له أن الحلم قد تواصل: لقد سمع همسات، ورأى نقطتين من ضوء شاحب تقتربان، ببطء. واستيقظ ووجد أن الآخرين كانوا يتحدثون بصوت منخفض بالقرب منه، وأن ضوءاً خافقاً كان يسقط على وجهه. وهناك على ارتفاع فوق مدخل القنطرة الشرقية عبر عمود بالقرب من

السف كان يأتي وهج شاحب طويلاً؛ وعبر البهو خلال القنطرة الشمالية كان يومضن أيضاً ضوء خافت من على بعد.

جلس فرودو، وقال له جندلف: «صباح الخير! لأنه أخيراً طلع علينا الصبح مرة أخرى. لقد كنت على صواب، كما ترى. إننا في مكان مرتفع في الجانب الشرقي من موريا. قبل أن ينقضى هذا اليوم لا بد أن تكون قد عثينا على البوابات العظيمة ونرى مياه ميرورمير ترقد في وادي ديمرييل أمامنا».

قال جيولي: «سوف أكون سعيداً بذلك. لقد نظرت إلى موريا، وإنها عظيمة جداً، ولكنها أصبحت مظلمة ومرهقة؛ ولم نجد أي أثر لعشيرتي. إنني أشك الآن أن يكون باللين قد أتى إلى هنا على الإطلاق».

بعد أن تناولوا إفطارهم، قرر جندلف موصلة السير مرة أخرى في الحال، حيث قال: «إننا متعبون، ولكننا سنستريح أفضل عندما تكون بالخارج. أعتقد أنه ليس منا من أحد سوف يتمنى أن يمضي ليلة أخرى في موريا».

وقال بورومير: «كلا حقاً! أي طريق سنأخذ؟ تلك القنطرة الشرقية هناك؟». ورد عليه جندلف قائلاً: «ربما. ولكنني لا أعرف حتى الآن على وجه التحديد أين نحن الآن. ما لم أكن قد تهت تماماً، أعتقد أننا فوق وإلى الشمال من البوابات العظيمة؛ وربما لن يكون من السهل علينا العثور على الطريق الصحيح الذي يقودنا هبوطاً إليها. سوف يثبت فيما يحتمل أن القنطرة الشرقية هي الطريق الذي ينبغي أن نسلكه؛ ولكن قبل أن نعقد العزم ينبغي علينا أن ننظر حولنا. هنا بنا نذهب باتجاه ذلك الضوء في الباب الشمالي. إذا استطعنا أن نعثر على نافذة فإنها ستساعدنا، ولكن أخشى أن الضوء يأتي فقط نازلاً الأعمدة العميقية».

وسارت المجموعة وراءه، ومرت تحت القنطرة الشمالية. ووجدوا أنفسهم في دهليز واسع. وبينما كانوا يسيرون عبره، ازداد الوهج قوة، ورأوا أنه كان يأتي عبر مدخل باب على يمينهم. كان عالياً وقمه مسطحة، وكان الباب الحجري ساكناً على مفصلاته، يقف نصف مفتوح. وكانت وراءه غرفة مربعة كبيرة. كانت مضاءة ضوءاً خافتاً، ولكنها بالنسبة لأعينهم، بعد وقت طويل للغاية أمضوه في الظلام، بدت ساطعة بشكل مبهر، وطرفت أعينهم وهو يدخلون.

أثارت أقدامهم غباراً كثيفاً على الأرض، وتباطروا بين أشياء في مدخل الباب لم يستطعوا في بداية الأمر أن يتبيّنوا أشكالها. كانت الغرفة مضاءة بعمود واسع عالٍ في الجدار الشرقي بعيداً؛ كان ينحدر لأعلى وكانت هناك فوقيم رقعة صغيرة مربعة من

سماء زرقاء، يمكن رؤيتها. كان ضوء العمود يسقط مباشرة على طاولة في منتصف الغرفة: كتلة مستطيلة واحدة، ارتفاعها حوالي قدمين، وكان موضوعاً فوقها بلاطة عظيمة من حجر أبيض.

«إنها تبدو مثل ضريح». – قال ذلك فرودو مغمضاً، وانحنى للأمام بإحساس غريب من هاجس ينذر بالشر، لينظر إليه عن قرب أكثر. جاء جندلف سريعاً إلى جانبه. كانت حروف رونية محفورة على البلاطة بعمق:



وقال جندلف: «إنها حروف دايرون الرونية، مثل تلك التي كانت تستخدم في الماضي في موريا. هذا هو المكتوب بلغات الإنس والأقزام:

«باليين بن فاندين  
سيد موريا»

«فقد مات هو إذن؟» – قال ذلك فرودو. «أخشى أن يكون الأمر كذلك». وأنزل جييلي غطاء رأسه فوق وجهه.

## الفصل الخامس

### جسر خزاذ دوم

وقفت صحبة الخاتم في صمت إلى جوار ضريح بالين. فكر فرودو في بيلبو وصداقه الطويلة مع الغزم، وفي زيارة بالين إلى المقاطعة منذ زمن طويل. في تلك الغرفة المترفة في الجبال، بدا أن ذلك قد مضى عليه ألف سنة، وأنه على الجانب الآخر من العالم.

وأخيراً تحركوا ونظروا لأعلى، وبدأوا البحث عن أي شيء من شأنه أن يمنهم أخباراً عن مصير بالين، أو يُظهر ما قد يكون حل بشعه. كان هناك باب آخر أصغر على الجانب الآخر من الغرفة، تحت العمود. وإلى جوار كل من البابين، تمكناً عندئذ من أن يروا عظاماً كثيرة ملقة على الأرض، وكان بينها سيف مكسورة ورسوس بلطات، ودروع وخوذ مشقوقة. كان بعض الخوذ منحنياً: سيف أوركين معقوفة وحيدة الحد ذات نصال مسودة.

كانت هناك الكثير من التجاويف مشقوقة في صخور الجدران، وكان فيها صناديق خشبية كبيرة مطروقة بالحديد. كان كل شيء مكسوراً ومنهوباً؛ ولكن إلى جوار الغطاء المنتاثر لواحد منها، كانت هناك بقايا كتاب. كان مشقوقاً ومطعوناً، ومحترقاً جزئياً، وكان ملطحاً بعلامات سوداء وغيرها من علامات داكنة مثل الدم لدرجة أن ما كان يمكن قراءته منها كان قليلاً. ورفعه جندي بعناية، ولكن الأوراق طقطقت وتكسرت وهو يضعه على البلاطة. وحدق فيه مستغرقاً لبعض الوقت دون أن ينطق بكلمة. استطاع فرودو وجيملي - اللذان كانا يقان إلى جواره، وهو يقلب الصفحات في بالغ الحذر - أن يتبيّنا أن الكتاب كتبه أيدٌ كثيرة، بالحروف الرونية، لكل من موريا والوادي، وفي أماكن متفرقة كان مكتوباً بلغة الجن.

وأخيراً نظر فرودو لأعلى، وقال: «يبدو أنه سجل به مصائر شعب بالين. أعتقد أنه يبدأ بقدومهم إلى وادي ديمريل منذ قرابة ثلاثين سنة: يبدو أن الصفحات بها أرقام تشير إلى السنوات التي تلت قدومهم. الصفحة العلوية الأولى عليها رقم واحد - ثلاثة، ولذلك هناك صفحتان على الأقل مفقودتان من البداية. اسمعوا هذا!

«طردنا الأوركين من البوابة العظيمة والحراسة - فيما أعتقد؛ الكلمة التالية مطموسة ومحروقة: ربما تكون غرفة - ذبحنا الكثرين كما أعتقد في الشمس الساطعة في الوادي. قتل فلوي بسهم. هو الذي ذبح العظيم». بعد ذلك كلمة مطموسة يتبعها فلوي تحت المرعى

بالقرب من البحيرة المرأة. لا أستطيع أن أقرأ السطر التالي أو السطرين التاليين. بعد ذلك يأتي لقد أخذنا البهـو الحادي والعشرين من النهاية الشمالية لنسكن فيه. هناك لا أستطيع أن أقرأ ماذا. هنا ذكر عمود. بعد ذلك أقام باللين عرشه في غرفة مازاربول!. وقال جملي: «غرفة السجلات. أعتقد أن هذا هو المكان الذي نقف فيه الآن».

ورد جنلُف بقوله: «حسناً، لا أستطيع أن أقرأ أكثر من ذلك لمسافة طويلة، باستثناء كلمة الذهب، وبلطة دورين وخوذة شيء ما. بعد ذلك بالين الآن هو سيد موريا. يبدو أن ذلك هو نهاية فصل. بعد بعض النجوم تبدأ يد أخرى في الكتابة، ويمكنني أن أرى وجدنا الفضة الحقيقة، وبعد ذلك كلمات مسبوكة جيداً، وبعد ذلك شيء ما، وجدتها! المثيريل؛ والسطرين الآخرين أوين ليبحث عن مستودعات الأسلحة العليا للعمق الثالث، شيء ما يذهب باتجاه الغرب، كلمات مطموسة إلى بوابة هولين».

وتوقف جنديف ووضع عدة صفحات جانباً، وقال: «هناك صفحات عديدة من نفس النوع، تبدو وقد كتبت على عجل وتالفة بشكل كبير، ولكنني أستطيع أن أتبين القليل منها في هذا الضوء. والآن لا بد أن هناك عدداً من الصفحات مفقودة، لأن الترقيم يبدأ برقم خمسة، السنة الخامسة للبلاد، فيما أعتقد. دعوني أرى! كلا، كما أنها مقطوعة أيضاً وملطخة؛ لا يمكنني قراءتها. ربما تكون الأمور أفضل في ضوء الشمس. انتظروا! ها هو شيء ما: خط كبير عريض بلغة الجن».

قال جيملي، وهو ينظر من فوق ذراع الساحر: «لا بد أن ذلك خط يد أوري. كان يكتب جيداً وبسرعة، وكان في الغالب ما يستخدم حروفاً جنية». وقال جندل: «أخشى أن يكون لديه أخبار سيئة ليسجلها بخط جميل. الكلمة الأولى الواضحة هي الحزن، ولكن باقي السطر مفقود، إلا إذا كان ينتهي بـ «estre». نعم، لا بد أنها «yesterday» وبعدها «day»<sup>(1)</sup> - يوم أمس هو العاشر من نوفمبر حيث سقط باللين سيد موريا في وادي ديمرييل. ذهب بمفرده لينظر في البحيرة المرأة، وأطلق عليه أوركي حجراً من الخلف. وذبحنا الأوركي، ولكن كثيرين وكثيرين... من الشرق وحتى نهر سيلفورد<sup>(2)</sup>. باقي الصفحة مطموس جداً بحيث لا يكاد يمكنني أن أتبين أي شيء منها، ولكني أعتقد أنني أستطيع أن أقرأ: «لقد قمنا بسد البوابات»، وبعد ذلك «يمكننا أن نحافظ عليها طويلاً إذا»، وبعد ذلك ربما «فظيع ونعاني». باللين المسكين! يبدو أنه احتفظ باللقب الذي أخذه لأقل من خمس سنوات. وإنني أتمنى أن أعرف ما الذي حدث

(١) عند تجميع الكلمتين، فإننا نحصل على كلمة yesterday ومعناها أمس (المترجم)

(2) سيلف لود: - الكلمة من مقطعين (silver) و معناها الفضة، و (lode) و معناها ممر أو قناة مائية - ولكن الاسم كله اسم نهر. [موقع C | المترجم] <http://en.wikipedia.org/wiki/Silverlode>

بعد ذلك، ولكن ليس هناك وقت لفك طلاسم الصفحات القليلة الباقية. هذه هي الصفحة الأخيرة من كل الصفحات». وتوقف وتنهى، وقال:

«إنها مادة قراءة مروعة. أخشى أن نهايتم كانت متواحشة. اسمعوا! لا يمكننا أن نخرج. لا يمكننا أن نخرج. لقد أخذوا الجسر والبهو الثاني. سقط فرار ولوبي ونالي هناك. بعد ذلك هناك أربعة أسطر ملطخة لدرجة أنه لا يمكنني إلا أن أقرأ ذهب منذ 5 أيام. الأسطر الأخيرة تقول: البحيرة مرتفعة حتى الجدار عند البوابة الغربية. الحراس في المياه أخذ أوين. لا يمكننا أن نخرج. النهاية تأتي، وبعد ذلك طبول، طبول في العمق. أتعجب عن معنى ذلك. الشيء الأخير مكتوب بخربشه متصلة من حروف الجن: إنهم قادمون: ليس هناك أي شيء أكثر من ذلك». وتوقف جندلف ووقف يفكر في صمت.

أصاب المجموعة خوف مفاجئ ورعب من الغرفة، وتمام جيملي قائلاً: «لا يمكننا أن نخرج. كان من الجيد بالنسبة لنا أن البحيرة قد غاصت ماوها قليلاً، وأن الحراس كان ينام في النهاية الجنوبية».

رفع جندلف رأسه ونظر حوله، وقال: «يبدو أنهم قد وقفوا الآخر مرة عند البابين، ولكن لم يكن هناك الكثير منهم قد ترك في ذلك الوقت. وهكذا انتهت محاولة استرجاع موريا! كانت شجاعة ولكن حمقاء. لم يحن الوقت بعد. والآن، فيما أخشى، ينبغي علينا أن نودع ابن باللين من فندقين. هناك ينبغي أن يرقد في أبيهاء والده. سوف نأخذ هذا الكتاب، كتاب مازاربول، وننظر إليه بإمعان أكثر في وقت لاحق. من الأفضل أن تحفظ به، يا جيملي، وتعيده إلى داين، إذا أتيحت لك الفرصة لذلك. سوف يستهويه، على الرغم من أنه سوف يحزنه حزيناً شديداً. هيا، هيا بنا نمضي! الصباح ينقضي».

وسأل بورومير: «أي طريق سوف نسلكه؟».

وأجابه جندلف بقوله: «نعود إلى البهو. ولكن زيارتنا لهذه الغرفة لم تكن دون جدوى. إنني أعرف الآن أين نحن. لا بد أن هذه - كما قال جيملي - غرفة مازاربول؛ ولا بد أن يكون البهو هو الحادي والعشرين من النهاية الشمالية. ومن ثم، ينبغي علينا أن نغادر من القنطرة الشرقية للبهو، ونسير يميناً وجنوباً، ونذهب باتجاه التزول. البهو الحادي والعشرون لا بد أن يكون في المستوى السابع، أي ستة مستويات فوق مستوى البوابات. هيا بنا الآن! لنعود إلى البهو!».

كان جندلف قد تحدث بهذه الكلمات بالفعل، عندما جاءت ضوضاء عظيمة: صوت دوي قوي كان يبدو أنه يأتي من أعماق بعيدة للغاية في الأسفل، وأنه يهتز ويرتجف في الصخر تحت أقدامهم. وقفزوا جميعاً باتجاه الباب في انزعاج. ودوى الصوت مرة

آخر دُوم، دُوم، كما لو كانت هناك أيد قوية قد حولت كهوف موريما إلى قرع طبول ضخم ومدو. بعد ذلك أتى انفجار له صدى: تم إطلاق بوق هائل في البهلو، وسمعت أبواق وصيحات خشنة تجيه من بعيد جداً. كان هنا صوت وقع أقدام كثيرة مصوّعة.

وصاح ليجولام: «إنهم قادمون!».

وقال جيملي: «لا يمكننا أن نخرج».

وصاح جندلف: «وقعنا في شرك! لماذا تأخرت؟ ها نحن أولاء، أُوقع بنا، تماماً كما حدث معهم من قبل. ولكنني لم أكن هنا آذاك. سوف نرى ما——».

وأتى صوت الدوي وقرع الطبول دُوم، دُوم، واهتزت الجدران.

وصاح أراجورن: «أغلقوا الأبواب بشدة، واحشرواها بأوتاد! واحتفظوا بأحالمكم على ظهوركم مادمتم تستطرون: ربما يكون أمامنا فرصة أن نشق طريقنا خارجين، مع ذلك».

وقال جندلف: «كلا! لا ينبغي أن نحبس هنا بالداخل. اتركوا الباب الشرقي مواربا! سوف نمضي في هذا الطريق، إذا أتيحت لنا الفرصة».

ودق في الأفق صوت بوق أحش آخر وصرخات زاعفة. كانت هناك أقدام تأتي نازلة عبر الدهليز. كان هناك رنين وقعقعة والمجموعة تسفل سيفها. سطع السيف جلامدرينج بضوء شاحب، وتوجه السيف ستينج عند الحواف. وضع بورومير كفيه قبالة الباب الغربي.

وقال جندلف: «انتظر لحظة! لا تغلق الباب بعد!» وقفز للأمام إلى جانب بورومير ونصب نفسه لأعلى بأقصى طوله.

وصاح بصوت عال: «من يأتي إلى هنا ليزعج راحة بالين سيد موريما؟».

وكان هناك صخب هائل من ضحك أحش، مثل سقوط صخور منزلقة في حفرة؛ وسط كل الضجيج ارتفع صوت عميق في أمر. وانطلق صوت دوي الطبول دُوم، دُوم، في الأعمق.

وبحركة سريعة، تقدم جندلف أمام الفتحة الضيقة للباب وطعن عصاه للأمام. وكان هناك ضوء متألق للغاية لدرجة أنه أضاء الغرفة والمر بالخارج. ونظر الساحر للخارج للحظة. راحت السهام تتعوّي وتصفر عبر الدهليز وهو يقفز للخلف، وقال: «هناك أوركيون، الكثير جداً منهم. وبعضهم ضخم وشرير: إنهم أوركيو موريما السود. وفي هذه اللحظة فإنهم يتراجعون، ولكن هناك شيء آخر هناك. جبار عظيم من غيلان الكهوف، فيما أعتقد، أو ربما أكثر من واحد. ليس ثمة أمل للنجاة من هذا الطريق».

وقال بورومير: «وليس من أمل على الإطلاق، إذا هم أتوا عند الباب الآخر أيضاً». ورد أراجورن، الذي كان يقف عند الباب الشرقي منصتاً: «ليس هناك من صوت بالخارج هنا بعد. الممر من هذا الجانب ينحدر إلى سفل مباشرة عبر سلم: إنه لا يعود بوضوح للوراء إلى البهو. ولكن ليس من المجدي الفرار على عمي في هذا الطريق والمطاردون وراءنا مباشرة بالمرصاد. لا يمكننا أن نسد الباب. لقد ضاع مفتاحه وكسر القفل، وهو يفتح نحو الداخل. لا بد أن نفعل شيئاً لتؤخر العدو أولاً. سوف نجعلهم يخافون من غرفة مازاربول!» – قال ذلك في عيوس، وهو يتحسس حافة سيفه، أندوريل.

سمعت أصوات أقدام ثقيلة في الدهليز. ألقى بورومير بنفسه على الباب وأغلقه بشدة؛ وبعد ذلك حجزه بأنصال السيف المكسر وشظايا الأخشاب. تراجعت المجموعة إلى الجانب الآخر من الغرفة. ولكن لم تتح لهم فرصة الفرار بعد. كانت هناك ضربة قوية على الباب لدرجة أنها جعلته يرتجع؛ وبعد ذلك بدأ يصر ببطء ويُفتح، دافعاً الأوتاد التي ثبته به بورومير للوراء. وظهر من خلال الفتحة التي كانت تزداد اتساعاً ذراعاً ضخمة وكتف لها بشرة سمراء عليها درع ضارب إلى الخضراء. وبعدها دخلت قدم عظيمة مسطحة بدون أصابع من أسفل الباب. وكان هناك صمت قاتل بالخارج.

قفز بورومير للأمام وهو على الذراع بسيفه بكل قوته؛ ولكن سيفه دوى، وطاش جانباً، وسقط من يده المهترئة. وقللت نصل السيف.

وجاء، ولدهشته هو نفسه، أحس فرودو بغضب شديد يتوهج في قلبه. «المقاطعة!» صاح بذلك، وقفز إلى جوار بورومير، وأنحني، وطعن بسيفه ستينج القدم المخيفة. وجاء خوار شديد، وتراجعت القدم للوراء في حركة مفاجئة، وقد كادت تتنزع ستينج من ذراع فرودو. وتقاطرت قطرات سوداء من النصل ودخلت على الأرض. ألقى بورومير بنفسه على الباب وأغلقه مرة أخرى.

وصاح أراجورن: «واحد من المقاطعة! ضربة الهوبيني شديدة ماضية! لديك سيف جيد يا فرودو بن دروجو!».

وكان هناك صوت تحطيم على الباب تلاه صوت بعد صوت. كانت المدكّات والمطارق تضرب على الباب. وانهار وسقط للوراء، وازدادت الفتحة اتساعاً فجأة. وجاءت الرماح تَرَزَّ نحو الداخل، ولكنها كانت تضرب الجدار الشمالي، وتسقط دون أذى على الأرض. وكان هناك نفير بوق وتدافع أقدام، وراح الأوركيون يقفزون إلى داخل الغرفة واحداً بعد الآخر.

لم يستطع أفراد المجموعة أن يحصوهم عدداً. كانت المعركة حادة وعنيفة، ولكن

الأوركيين فزعوا من شراسة الدفاع. ضرب ليجولاس اثنين منهم في الزور مباشرة. جز جيولي الساقين من تحت واحد منهم كان قد قفز على قبر بالين. وذبح بورومير وأراجورن الكثير منهم. عندما سقط منهم ثلاثة عشر، فر الباقيون وهم يتوعدون، تاركين المدافعين دون أن يصابوا بأذى، باستثناء سام الذي كان به خدش في فروة رأسه. وقد أنقذه احتفاء سريعة؛ وقد صرخ الأوركي الذي كان يقاتلها: طعنة نجلاء بسيفة من مرتفعات البارو. كانت هناك نار مضطربة في عينيه البنيتين كان من الممكن أن تحصل تبدى سانديمان يتراجم للوراء، لو أنه رآها.

وصاح جنلوف: «الآن هذا هو الوقت! دعونا نذهب، قبل أن يعود الغول العملاق!».«

ولكن حتى وهم قد تراجعوا، وقبل أن يكون بيبين وميري قد وصلا السلم بالخارج، فإن رئيساً أوركياً ضخماً، طوله طول رجل تقريباً، كان يرتدي درعاً أسود من إخمص قدمه إلى قمة رأسه، قفز إلى داخل الغرفة؛ وتجمع وراءه رفاقه في مدخل الباب. كان وجهه العريض المسطح داكناً، كانت عيناه مثل قطعتي فحم، وكان لسانه أحمر؛ كان يستخدم حربة عظيمة. وبطعنته من درعه الجلدي الضخم أدار سيف بورومير وحمله للوراء، وألقى به على الأرض. وغاص تحت ضربة أراجورن، وبسرعة ثعبان مهاجم انقض على المجموعة وقدف حربته باتجاه فرودو مباشرة. بزلحت به الضربة في جانبه الأيمن، ودفع فرودو على الحائط وتسمر فيه. وانقض سام، وهو يصرخ، على قصبة الرمح، وكسرها. ولكن حتى الأوركي قد رمى الهراوة واستل سيفه المعقود وحيد الحد، فإن أندوريل هوى على خوذته. كان هناك ويمض مثل شعلة وإنفجرت الخوذة محدثة صوتاً مثل الرعد. وسقط الأوركي وقد سُجّ رأسه. وفر رفاقه وهم يعوون، بينما كان بورومير وأراجورن يقفزان عليهم ويهاجمانهم.

وانطلقت الطبلول تدق مدوية دوم ، دوم ، في العمق . وانطلق الصوت العظيم مرة أخرى .

وأخذ أراجورن فرودو من على الأرض من المكان الذي كان يرقد فيه بجوار الجدار، واتجه نحو السلم، وهو يدفع ميري وبيبين أمامه. وتبعه الآخرون؛ ولكن جيولي كان يتبعي أن يجره ليجولام بعيداً على الرغم من الخطر المحقق بهم، فإنه تعلق بقبر باللين ورأسه منحنٍ. ودفع بورومير الباب الغربي، وهو يصر على مفصلاته: كانت به حلقات حديدية ضخمة على كل جانب من جوانبه، ولكن لم يكن بالآلا مكان قفله.

وقال فرودو وهو يلهم: «إنني بخير. يمكنني أن أمشي. أنزلني على الأرض!». كاد أراجورن يرمي به على الأرض من الدهشة، وهو يصبح قائلاً: «لقد ظننت أنك قد مت!».

وقال جندلف: «كلا ليس بعد! ولكن ليس هناك من وقت للاندهاش. انطلقوا، انطلقوا جميعاً، هابطين السالم! انتظروني دقائق قليلة عند القاع، ولكن إن لم آت في الحال، فاذهبوا أنتم وواصلوا السير! اذهبوا سريعاً واختاروا طرقاً تقود إلى اليمين وإلى أسفل».

وقال أراجورن: «لا يمكننا أن نتركك لتتصد الباب وحدك!». قال له جندلف في شراسة: «لتفعل ما أقول! السيوف لم يعد لها فائدة هنا. اذهبوا!». لم يكن الممر مضاءً بأي أشعة من ضوء وكان مظلماً بكل ما في الكلمة من معنى. راحوا يتحسسون طريقهم عبر مجموعة طويلة من السالم، وبعد ذلك نظروا للوراء؛ ولكنهم لم يستطيعوا أن يلمحوا أي شيء، إلا فوقهم بقدر كبير حيث كان يأتي الوهج الخافت لعصا الساحر. كان يبدو أنه لا يزال واقفاً يحرس الباب المغلق. تنفس فرودو بشدة ومال على سام، الذي كان يضع ذراعيه حوله. وقفوا يحدقون عبر السالم في الظلمة. ظن فرودو أنه سمع صوت جندلف فوقه، يتمتم بكلمات كان تجري عبر السقف المنحدر ولها تنهيد متأنه. لم يستطع أن يتبيّن ما كان يُقال. بدت الجدران وكأنها ترتجف. كان قرع الطبول ينطلق من وقت لآخر ويدوي: دوم، دوم.

ووجأه عند أعلى السالم، كانت هناك طعنة من ضوء أبيض. وتلا ذلك قعقة كثيبة وارتظام شديد. وانطلق قرع الطبول في جموح: دوم، دوم، دوم، وبعد ذلك توقف. جاء جندلف يطير هابطاً السالم وسقط على الأرض في وسط المجموعة.

وقال الساحر وهو يجاهد ليقف على قدميه: «حسناً، حسناً! لقد انتهي كل شيء! لقد فعلت كل ما كان بوسعه. ولكنني قابلت صنوبي وكدت أهلك. ولكن لا تتفقوا هنا! واصلوا السير! سوف يتوجب عليكم أن تسيراً دون ضوء لبعض الوقت: إنني مهترئ بعض الشيء. واصلوا السير! واصلوا السير! أين أنت يا جيولي؟ تعال للأمام معي! لتكونوا قريين ورائي، جميعكم!».

ومشوّا وراءه وهم يتتساءلون عما عساه يكون قد حدث. وانطلق قرع الطبول مرة أخرى يدوي دوم، دوم: كان صوتها في هذه المرة مكمماً وبعيداً جداً، ولكنها كانت تتبعهم. لم يكن هناك أي صوت آخر لأي مطاردة، سواء وقع الأقدام الثقيلة، ولا أي صوت آخر. لم ينفع جندلف يميناً ولا شمالاً، لأنه كان يبدو أن الممر كان يسير في الاتجاه الذي كان يرغب فيه. كان الممر يحيط من وقت لآخر بمجموعة من السالم،

خمسين أو أكثر، ليهبط بهم إلى مستوى أكثر انخفاضاً. في هذه اللحظة كان ذلك الخطر الرئيسي الذي يحدق بهم؛ لأنهم لم يستطيعوا في الظلام أن يروا أي منحدر، إلى أن يصلوا إليه ويضعوا أقدامهم في الفراغ. كان جنلوف يتensus الأرض بعصاه مثل رجل ضرير. في نهاية ساعة، كانوا قد ساروا مسافة ميل، أو ربما أقل من الميل قليلاً، وكانوا قد هبطوا عدة مجموعات من السالم. لم يكن هناك أي صوت للمطاردة حتى الآن. لقد بدأوا يأملون - تقريراً - أنهم سيمكنون من الهرب والنجاة. عند قاع المجموعة السابعة من السالم، توقف جنلوف، وقال وهو يلهث:

«الجو أصبح حاراً! ينبغي أن تكون قد وصلنا على الأقل إلى أسفل إلى مستوى البوابة الآن. في الحال - فيما أعتقد - ينبغي علينا أن نبحث عن منعطف نحو اليسار لأخذنا إلى الشرق. أتمنى إلا يكون بعيداً. إنني مرهق للغاية. لا بد أن أستريح هنا للحظة، حتى ولو كان جميع الأوركيين الذين ولدوا على الإطلاق وراءنا».

أخذ جيولي ذراعه وساعده في الجلوس على درجة من درجات السلم، وسأله: «ما الذي حدث بعيداً هناك في الأعلى عند الباب؟ هل قابلت قارع الطبلول؟».

وأجابه جنلوف قائلاً: «لا أدرى. ولكنني وجدت نفسي فجأة مواجهها بشيء لم أقابل له من قبل. لم أستطع أن أفك في أي شيء لأفعله سوى أن أحاول وضع تعويذة على الباب تغلقه. إنني أعرف الكثير منها؛ ولكن فعل أشياء من هذا النوع على الوجه الصحيح يحتاج إلى وقت، وحتى في هذه الحالة فإن الباب يمكن أن يفتح بالقوة.

«وبينما كنت جالساً هناك، سمعت أصوات أوركيين على الجانب الآخر: كنت أظن أنهم سيفتحونه بالقوة في أي لحظة. لم أستطع أن أسمع ما يقال؛ يبدو أنهم كانوا يتكلمون بلغتهم البغيضة. كل ما استطعت أن أتبينه من حديثهم هو ومعناها «نار». وبعد ذلك جاء شيء ما إلى الغرفة - أحسست به عبر الباب، وكان الأوركيون أنفسهم خائفين ولزموا الصمت. أمسك هذا الشيء بالحلاقة الحديدية وبعد ذلك أدرك وجود وتبين تعويذتي».

«لم أستطع أن أخمن كنه ذلك الشيء، ولكنني لم أحس أبداً بمثل هذا التحدي. كانت التعويذة المضادة زهيبة. لقد كادت تكسرني. ترك الباب سيطرته للحظة وبدأ يفتح! كان ينبغي علي أن أردد كلمة أمر. وظهر أن ذلك كان قيداً هائلاً أكثر من اللازم. انفجر الباب وتحطم إرباً. كان هناك شيء مظلم مثل سحابة يحجب كل الضوء الداخل، وقد ألقى بي للوراء أسفل السالم. انهار كل الجدار، وكذلك سقف الغرفة، فيما أعتقد. - أخشى أن يكون باللين قد دفن عميقاً، وربما يكون هناك شيء آخر قد دفن أيضاً. لا يمكنني أن أجزم بذلك. ولكن الممر وراءنا على الأقل قد سد تماماً. آه! لم أشعر بأنني منهوك القوى بهذا القدر على الإطلاق من قبل، ولكن مر كل شيء. والآن،

ماذا عنك أنت يا فرودو؟ لم يكن هناك وقت لأسئلتك هذا السؤال، ولكنني لم أكن سعيداً في حياتي أكثر من سعادتي عندما سمعتكم تتحدث. كنت أخشى أن يكون أراجورن يحمل هوبيتيا شجاعاً بيد أنه كان ميتاً.

وقال فرودو: «وماذا عنك؟ إبني حي، وسليم معافي فيما أعتقد. بي رضوض، وأحس بالألم، ولكن ليس الأمر سيئاً للغاية».

وقال أراجورن: «حسناً. كل ما يمكنني أن أقوله هو أن الهوبيتين مصنوعون من مادة صلبة للغاية لدرجة أنني لم أر لها مثيلاً. لو كنت أعلم ذلك، لكنني قد تكلمت بمزيد من اللطف في حانة البري! إن طعنة الحرية هذه كان من الممكن أن تشق خنزيراً برياً! قال فرودو: «حسناً، إنها لم تشقني، إبني سعيد لأن أقول ذلك، على الرغم من أنني أشعر كما لو كنت قد وقعت بين مطرقة وسندان». ولم يتكلم أكثر من ذلك. وجد التنفس مؤلماً وصعباً.

وقال جندلف له: «إنك تحذو حذو بيلايو. هناك المزيد دائمًا مما يقابل العين، كما قلت عنه منذ زمن طويل». وتساءل فرودو إذا كانت الملاحظة تعني أكثر مما قالت.

وواصلوا سيرهم مجدداً الآن وقبل أن يمضي وقت طويل تحدث جيولي. كانت عيناه حادتين في الظلام، وقال: «أعتقد أن هناك ضوءاً أمامنا. ولكنه ليس ضوء النهار. إنه ضوء أحمر. ماذا عساه أن يكون؟».

وتمتم جندلف قائلاً: «إبني أعجب إن كان ذلك ما قصدوه: أن المستويات الأدنى تحترق، ومع ذلك، ليس بإمكاننا إلا مواصلة السير».

وسريعاً أصبح الضوء جلياً واضحاً، وكان بإمكان الجميع أن يروه. كان يومض ويتوهج على الجدران بعيداً أسفل العمر أمامهم. كان الآن بإمكانهم أن يروا طريقهم: كان الطريق أمامهم ينحدر لأسفل تدريجياً، وكان أمامهم على بعد مسافة ما على الطريق قنطرة منخفضة؛ كان الضوء المتزايد يأتي من خلالها. أصبح الهواء ساخناً جداً.

عندما وصلوا إلى القنطرة، مر جندلف خلالها، وهو يؤمن لهم بالانتظار. بينما كان يقف وراء الفتحة مباشرة، رأوا وجهه يضيء وهج أحمر. وتراجع للوراء سريعاً، وقال: «هناك هدية جديدة في انتظارنا هنا، صممته للترحاب بنا، بلا شك. ولكنني أعرف الآن أين نحن: لقد وصلنا العمق الأول، المستوى الذي يقع أسفل البوابات مباشرة. هذا هو البهو الثاني لموريا القديمة؛ والأبواب قريبة: بعيداً فيما وراء النهاية الشرقية، على اليسار، على مسافة لا تزيد على ربع ميل. عبر الجسر، صعوداً عبر سلم عريض، عبر طريق واسع، عبر البهو الأول، وبعدها للخارج! ولكن تعالوا وانظروا!

ونظروا وحدقوا. كان أمامهم بهو كهفي آخر. كان أكثر ارتفاعاً وأكثر طولاً بكثير من البهو الذي كانوا قد ناموا فيه. كانوا قريين من نهايته الشرقية؛ وكان يسير باتجاه الغرب إلى الظلمة. كان يقف عبر المنتصف صف مزدوج من الأعمدة شاهقة الارتفاع؛ نحتت مثل جذوع أشجار ضخمة، وكانت فروعها تحتمل السقف بزخرفة تشجيرية من صخر متفرعة. كانت سوقها ملساء وسوداء، ولكن كان هناك وهج أحمر ينعكس انعكاساً داكناً في جوانبها. عبر الأرضية مباشرة، بالقرب من سفح عمودين ضخميين، كان هناك شق هائل مفتوح. كان يأتي منه ضوء أحمر رهيب، وكانت ألسنة اللهب من وقت لآخر تمس الحافة وتتلوي حول قواعد الأعمدة. كانت هناك حزم من دخان قاتم ترتعش في الهواء الساخن.

**وقال جنديف:** «لو أنتا كنا قد جتنا عبر الطريق الرئيسي هابطين من الأبهاء العلياء،  
لavanaugh قد وقعنا في شرك هنا. دعونا نأمل أن النار الآن تقع بيننا وبين المطاردين. تعالوا!  
ليس أمامنا من وقت لنضيعه».

وبينما كان يتحدث، سمعوا مجدداً قرع الطبول الذي يطاردهم: دُوم، دُوم، دُوم. بعيداً فيما وراء الظلال عند النهاية الشرقية للبهو، جاءت صيحات ونداءات أبواق. دُوم، دُوم: بدت الأعمدة ترتجف وألسنة اللهب تهتز وترتعش.

**وقال جَنْدُلُفُ:** «وَالآن إِلَى السَّبَاقِ الْأَخِيرِ! إِذَا كَانَتِ الشَّمْسُ مُشْرِقَةً بِالْخَارِجِ، فَرِبِّيْما يَكُونُ لَا يَزَالُ بِإِمْكَانَنَا النِّجَاهُ. اتَّبِعُونِي!».

والتفت شمالاً، وراح يسرع عبر أرض البهوج السلسة المنساء. كانت المسافة أكبر مما بدت عليه. وبينما كانوا يجرؤون، سمعوا قرع الطيول وصدى الكثير من الأقدام المسرعة وراءهم. وانطلقت صرخة زاعقة: لقد شوهدوا. كان هناك رنين ودوي وصوت اصطدام فولاذي. وأزيز سهم فوق رأس فرودو.

وَضَحْكَ بُورُومِيرَ، وَقَالَ: «إِنَّهُمْ لَمْ يَتَوَقَّعُوا هَذَا. لَقَدْ قَطَعْتَ النَّارَ الطَّرِيقَ عَلَيْهِمْ. إِنَّا فِي الْجَانِبِ الْخَاطِئِ!».

وصاح جَنْدَلْفُ: «انظر للأمام! الجسر قریب. إنه خَطْرٌ و ضيق». وفجأة، رأى فرودو أمامه هوة مظلمة. في نهاية البهو، تلاشت الأرض وغارت إلى عمق مجهول. لم يكن بالإمكان الوصول إلى الباب الخارجي إلا عن طريق جسر حجري ضيق، ليس له حاجز أو درابزين، كان يمتد فوق الهوة السحيقة في قناة واحدة منحنية طولها خمسون قدمًا. كانت وسيلة دفاع قديمة للأقزام ضد أي عدو قد يأسر البهو الأول والمرات الخارجية. لم يكن بالإمكان أن يمروا عبرها إلا في طابور واحد. عند الحافة، توقف جَنْدَلْفُ وجاء الآخرون وراءه في مجموعة، وقال:

«تقدِّمُ الطَّرِيقَ يَا جِيْمَلِي! وَبَعْدَكَ بَيْنَ وَمِيرِي. فِي خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ، وَصَعُودًا عَبْرِ السَّلَامِ وَرَاءِ الْبَابِ!».

وَرَاحَتِ الأَسْهَمْ تَساقِطُ بَيْنَهُمْ. ضَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهَا فَرُودُو وَقَفَزَ لِلْوَرَاءِ. وَاخْتَرَقَ سَهْمٌ أَخْرَ قَبْعَةَ جَنْدَلْفَ وَغَرَزَ فِيهَا مِثْلَ رِيشَةَ سُودَاءِ. نَظَرَ فَرُودُو وَرَاءَهُ. وَرَأَى فِيمَا وَرَاءَ النَّارِ أَشْكَالًا سُودَاءَ مُحْتَشِدَةً: كَانَ يَيْدُو أَنْ هُنَاكَ مِئَاتُ مِنَ الْأُورْكِينَ. كَانُوا يَلْوِحُونَ بِحَرَابٍ وَسِيُوفٍ مَعْقُوفَةٍ كَانَتْ تَلْمِعُ حَمْرَاءَ مِثْلَ الدَّمْ فِي ضَوْءِ النَّارِ. وَانْطَلَقَ صَوْتُ الطَّبُولِ مَدْوِيًّا مَرَّةً أُخْرَى دُومٌ، دُومٌ، وَرَاحَ يَزْدَادُ ارْتِفَاعًا أَكْثَرُ وَأَكْثَرُ، دُومٌ، دُومٌ.

وَدَارَ لِيْجُولَاسُ لِلْخَلْفِ وَوَضَعَ سَهْمًا فِي الْوَتَرِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ رَمِيَّةً طَوِيلَةً بِالنِّسْبَةِ لِقُوَسِهِ الصَّغِيرِ. وَشَدَ السَّهْمَ، وَلَكِنْ يَدَهُ وَقَعَتْ، وَسَقَطَ السَّهْمُ عَلَى الْأَرْضِ. وَصَاحَ صِحَّةً فَزَعَ وَخُوفَ. ظَهَرَ جَبَارَانُ عَظِيمَانِ؛ كَانَا يَحْمَلَانِ بِلَاطَاتٍ ضَخْمَةَ هَائِلَةَ مِنَ الصَّخْرِ، وَأَلْقَيَا بَهَا لِأَمْسِلِ لِتَكُونَ بِمَثَابَةِ مَجَازَاتٍ عَلَى النَّارِ. وَلَكِنْ مَا مَلَأَ الْجَنِيِّ بِالرَّاعِبِ لَمْ يَكُنْ الْغُولَيْنِ. لَقَدْ فَتَحَتْ صَفَوْفَ الْأُورْكِينَ وَتَبَاعَدَتْ، وَاحْتَشَدُوا بَعِيدًا مُتَرَاجِعِينَ، كَمَا لَوْ كَانُوا هُمْ أَنفُسَهُمْ خَائِفِينَ. كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ مَا يَأْتِي وَرَاءَهُمْ. أَمَّا عَنْ كَنْهِ ذَلِكَ الشَّيْءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بِالْإِمْكَانِ رَؤِيَتِهِ: كَانَ مِثْلَ شَبَحٍ عَظِيمٍ، كَانَ فِي وَسْطِهِ شَكْلُ أَسْوَدٍ، رَبِّمَا شَكْلُ إِنْسَانٍ، وَلَكِنْهُ أَعْظَمُ وَأَضْخَمُ؛ وَكَانَ يَيْدُو أَنْ فِيهِ سُلْطَةً وَرَعِيَا كَانَا يَسْبِقَانِهِ.

وَوَصَلَ إِلَى حَافَةِ النَّارِ، وَتَلَاهِي الضَّوْءِ كَمَا لَوْ كَانَتْ سَحَابَةً قَدْ غَطَتْهُ. وَبَعْدَ ذَلِكَ فِي قَفْزَةٍ كَبِيرَةٍ هَائِلَةٍ قَفَزَ عَبْرَ الْهَوَةِ. وَارْتَفَعَتِ الْأَسْنَةُ الْلَّهَبُ لِأَعْلَى مَدْوِيَّةٍ لِتَحْبِيَّهِ، وَالْتَّفَتَ حَوْلَهُ؛ وَدَارَ دَخَانٌ أَسْوَدٌ فِي الْهَوَاءِ مِثْلَ دَوَامَةٍ. وَاشْتَعَلَ عَرْفُهُ الْجَارِيُّ، وَرَاحَ يَتَوَهَّجُ وَرَاءَهُ. كَانَ فِي يَدِهِ الْيَمْنِيِّ نَصْلٌ سِيفٌ مِثْلَ لِسانِ نَارٍ طَاعِنٌ؛ وَكَانَتْ يَدِهِ الْيَسْرِيِّ تَمْسِكُ سُوْطًا لِهِ الْأَسْنَةَ كَثِيرَةً.

وَصَرَخَ لِيْجُولَاسُ: «آيْ! آيْ! عَفَرِيتُ عَظِيمٌ! لَقَدْ أَتَى عَفَرِيتُ عَظِيمٍ!»<sup>(1)</sup>. وَحَدَقَ جِيْمَلِيَ وَقَدْ فَتَحَ عَيْنِيهِ عَلَى اتْسَاعِهِمَا، وَصَاحَ «لَعْنَةُ دُورِينَ!» – وَتَرَكَ بِلْطَتِهِ تَقَعُ وَكَشِفَ عَنْ وَجْهِهِ.

وَتَعْتَمَ جَنْدَلْفَ قَائِلًا: «عَفَرِيتُ عَظِيمٌ. الْآنَ فَهَمْتُ». وَمَشَى مُضْطَرِبًا وَمَالَ بِثَقلِهِ عَلَى عَصَاهِ. «يَا لَهُ مَنْ حَظٌّ تَعِيسَ! وَأَنَا مَرْهُقٌ بِالْفَعْلِ».

وَانْطَلَقَ الشَّكْلُ الْمُظْلَمُ الَّذِي يَجْرِي وَرَاءَهُ النَّارِ بِاتِّجَاهِهِمْ فِي سُرْعَةٍ بَالْغَةِ. وَصَاحَ الْأُورْكِيُّونَ، وَتَدَافَعُوا عَلَى الْمَجَازَاتِ الصَّخْرِيَّةِ. بَعْدَ ذَلِكَ رَفعَ بُورُومِيرُ بُوقَهُ وَنَفَخَهُ. وَدُوْيُ التَّحْديِ وَجَارُ عَالِيَاً، مِثْلَ صَرْخَةِ أَزْوَارٍ كَثِيرَةٍ تَحْتَ السَّقْفِ الْكَهْفِيِّ. وَجَبَنَ

(1) أي عفريت عظيم [Might Demon] - معناها (Balrog) - مترجم (http://en.wikipedia.org/wiki/Balrog)

الأوركيون للحظة وتوقف الشبح الناري المتقد. بعد ذلك خمدت الأصداء فجأة مثل لسان لهب أطفأته ريح سوداء، وتقى العدو مرة أخرى.

وصاح جندل، وهو يستعيد قوته: «فوق الجسر! طيروا! هذا خصم يفوق أيّاً منكم. يجب على أن ألزم الطريق الضيق. طيروا!» ولم يأبه أراجورن وبورومير بالأمر، ولكنهما ظلا في مكانهما، جنبا إلى جنب، وراء جندل عند النهاية البعيدة للجسر. توقف الآخرون في نطاق مدخل الباب مباشرة عند نهاية البهار، والتقطوا للخلف وراءهم، غير قادرين على ترك قائدتهم يواجه العدو وحده.

وصل العفريت العظيم إلى الجسر. وقف جندل وسط الباب<sup>(1)</sup>، وهو يتکئ على عصاه في يده اليسرى، ولكن كان جلامدرنج يومض في يده اليمنى، باردا وأبيض. وتوقف عدوه مرة أخرى، مواجهًا إياه، وامتد الظل الذي كان يحيط به للخارج مثل جناحين عظيمين. ورفع السوط، وعوت ألسنته وطرقعت. وخرجت نار من منخاريه. ولكن جندل وقف ثابتا، وقال:

«لا يمكنك المرور». ووقف الأوركيون ثابتين في أماكنهم، وساد صمت قاتل. «إنني خادم للنار السرية، صانع لهب «أنور». لا يمكنك المرور. لن تفديك النار المظلمة، شعلة أودون. لنعد إلى الظل! لا يمكنك المرور».

ولم يجيء العفريت العظيم. وبدا أن النار التي كانت فيه قد خمدت، ولكن الظلمة زادت. وتقطعت للأمام ببطء مواصلاً سيره على الجسر، وفجأة سحب نفسه واستطال وصار بالغ الطول، وانتشرت أجنهته بحيث وصلت من الجدار إلى الجدار؛ ولكن كان لا يزال بالإمكان رؤية جندل، متوجهاً في الظلمة؛ بدا صغيراً، وبمفرده تماماً: أشيب ومنحنياً، مثل شجرة ذابلة قبل بداية ريح عاصف.

من خارج الظل، قفز سيف أحمر له ألسنة من اللهب.  
وومض جلامدرنج يوميض أبيض ردا عليه.

كان هناك اصطدام له رنين وطعنة من نار بيضاء. وتراجع العفريت العظيم وطار سيفه في شظايا ذائبة. وترنح الساحر على الجسر، وتراجع للوراء خطوة، وبعد ذلك وقف ساكتاً مرة أخرى، وقال:  
«لا يمكنك المرور!».

وفي وثبة كبيرة قفز العفريت العظيم بالكامل فوق الجسر. ودوى سوطه وكان له هسيس. وصاح أراجورن فجأة وجرى عائداً عبر الجسر وهو يقول: «لا يمكنه أن يصمد وحده!»، وصرخ: «إلينديل! أنا معك يا جندل!».

(1) الباب: المسافة بين دعامتي أو كتفي قنطرة (قاموس المورد) (المترجم)

وصاح بورومير وقفز وراءه: «جوندور!».

في هذه اللحظة، رفع جنْدُل عصاه، وضرب الجسر أمامه وهو يصبح بصوت عال. انفجرت العصا ولها صوت مثل الرعد، وسقطت من يده. وقفزت في الجو صفيحة بيضاء من لهب أبيض. انفلق الجسر. وانكسر عند قدمي العفريت العظيم، وتحطم الحجر الذي كان يقف فوقه وسقط في الفجوة، في حين ظل الباقي، متوازناً، يتارجح مثل لسان صخري امتد للخارج في الفراغ.

وبصيحة هائلة مروعة، سقط العفريت العظيم للأمام، وغاص ظله لأسفل وتلاشى. ولكن حتى وهو يسقط كان يلوح بسوطه، وكانت ألسنته تضرب وتتلوي حول ركبتي الساحر، تجره إلى الحافة. وترنح جنْدُل ووقع، وأمسك بالصخر دون جدوى، وانزلق في الهوة، وصاح، «طِرِّوا، أيها الحمقى!»، واحتفى.

وانطفأت النار، وحل ظلام تام. وقف المجموعة وقد تسمروا في أماكنهم من الرعب وهم يحدقون في الحفرة. وعندما جاء أراجورن وبورومير يطيران عائدين، طرقع باقي الجسر وانهار. وأيقظهم أراجورن بصيحة منه، ونادى فيهم:

«تعالوا! سوف أقودكم أنا الآن! يجب علينا أن نطير آخر أمر له. اتبعوني!».

وتعثرت خطاهم كثيراً عبر السلالم العظيمة فيما وراء الباب. كان أراجورن يقود المسيرة، وكان بورومير في المؤخرة. كان هناك ممر واسع له صدى عند القمة. وفروا هاربين عبر هذا الممر. سمع فرودو سام بجانبه يبكي، وبعد ذلك وجد أنه هو نفسه كان يبكي بينما كان يجري. وراح قرع الطبول يدوي وراءهم دوم، دوم، دوم، وصار الآن حزيناً وبطيناً، دوم!

وواصلوا جريهم. وزاد الضوء أمامهم؛ راحت أعمدة عظيمة من الضوء تخترق السقف. وراحوا يجرون بسرعة أكبر. وعبروا إلى بهو، كان ساطعاً بضوء النهار يأتيه من نوافذه العالية في الشرق. وفروا هاربين عبره. وعبر أبوابه الضخمة المكسرة، مروا، وفجأة فتحت الأبواب العظيمة أمامهم، قنطرة من ضوء متوجج.

كان هناك حراس من الأوركين جاثمين في الظلل وراء أعمدة الباب العظيمة التي كانت واقفة عالية على كل جانب من جنبي الباب، ولكن البوابات كانت محطمة وملقاة على الأرض. سدد أراجون ضربة إلى القائد الذي كان يقف في طريقه فطرحه أرضاً، وفر الآخرون في رعب من حنقه وجام غضبه. ومرت المجموعة أمامهم متدافعة ولم تأبه بهم. وجروا خارجين من الأبواب وقفزوا لأسفل عبر درجات السلالم الضخمة التي أبلأها الزمن، عتبة موريا.

وهكذا، وصلوا أخيراً بعد يأس وصاروا تحت السماء وأحسوا بالريح على وجوههم.

لم يتوقفوا حتى صاروا خارج نطاق مرمى السهام من الجدران. كان وادي ديميريل يرقد من حولهم. كان ظل العجائب الضبابية يقع فوقه، ولكن باتجاه الشرق، كان هناك ضوء ذهبي على الأرض. كان الوقت بعد ساعة من الظهرة. كانت الشمس ساطعة؛ والسحب بيضاء وعالية.

ونظروا للوراء. كان مجاز قنطرة البوابات فاغرًا فاه في ظلمة أسفل ظل الجبل. جاء قرع الطبول بطيئاً وضعيًا أسفل الأرض بمسافات كبيرة: دوم. وراح دخان أسود رقيق يتمدد للوراء. لم يكن هناك من شيء آخر يمكن رؤيته؛ كان الوادي خالياً تماماً فيما حولهم، دوم. واستولى عليهم الحزن أخيراً تماماً، وبكوا بكاء طويلاً: بعضهم كان واقفاً وصامتاً، وبعضهم كان ملقى على الأرض. دوم، دوم. وتلاشى صوت قرع الطبول.

## الفصل السادس

### لوقلورين

وقال أراجورن: «واحسرتاه! لا يمكننا أن نمكث هنا أكثر من ذلك». ونظر باتجاه الجبال وأمسك بسيفه عاليًا، وصاح: «الوداع يا جندلف! ألم أقل لك: إذا مررت من بوابات موريما، فعليك بالحذر!» واحسرتاه! لقد كنت أقول الصدق! ماذا لدينا من أمل بدونه؟».

والتقت إلى المجموعة، وقال: ينبغي علينا أن نستغنى عنه. على الأقل قد يكون لا يزال هناك احتمال للانتقام منا. دعونا تستعد للعمل، ولا نبكي أكثر من ذلك! هيا! لدينا طريق طويل، ولدينا الكثير علينا أن نفعله».

ونهضوا جميعاً ونظروا حولهم. باتجاه الشمال كان الوادي يجري صاعداً في واد متزحلق من الظلال بين ذراعين عظيمتين من الجبال، كانت تسطع فوقهما ثلاثة قمم بيضاء: سيليديل<sup>(1)</sup>، وفانويدول<sup>(2)</sup>، وكارادراس<sup>(3)</sup>، جبال موريما. عند رأس الوادي، كان هناك تيار يتدفق مثل شريط أبيض فوق سلم لا نهائي من منحدرات قصيرة، وكان هناك سديم من زبد عائق في الهواء حول سفوح الجبال.

وقال أراجورن، وهو يشير إلى المنحدرات: «هناك يوجد سلم ديمريل. كان ينبغي أن نصل إلى هناك عبر الطريق المشقق بعمق والذي يصعد إلى جوار مجرى التيار، لو أن الحظ كان أكثر عطفاً علينا».

وقال جيولي: «أو كانت قمة كارادراس أقل قصوة. هناك يقف هو مبتسمًا في الشمس!» وهز قبضته باتجاه أكثر القمم المغطاة بالتلعج بعده واستدار بعيداً.

وإلى الشرق، سار ذراع الجبال الممتد للخارج إلى نهاية مفاجئة، وكان يمكن وصف الأرضي البعيدة فيما وراءها بأنها واسعة وبمبة. إلى الجنوب، تراجعت الجبال الضبابية على نحو لا نهائي بعيداً بقدر ما يمكن للنظر أن يصل. وعلى بعد أقل من ميل، وأسفل منهم قليلاً، لأنهم كانوا لا يزالون يقرون عاليًا على الجانب الغربي من الوادي، كانت تقع بحيرة. كانت طويلة وبضاوية الشكل، لها شكل مثل رأس حربة عظيمة امتدت بعمق في الوادي الشمالي؛ ولكن نهايتها الشمالية كانت وراء الظلال تحت السماء التي كانت تصفيتها الشمس. ولكن مياهها كانت سوداء مظلمة: لون أزرق

Celebdil (1)

Fanuidhol (2)

Caradhras (3)

داكن مثل سماء صافية تظهر من غرفة يضيئها مصباح. كان وجهها ساكناً وهادئاً. كان يرقد حولها سطح مشوشب أملئ، ينحدر لأسفل من جميع الجوانب إلى حافة الجرداء غير المكسورة.

وقال جيولي في حزن: «هناك تقع البحيرة المرأة، بحيرة خليل زارام العميقه! أتذكرة أنه قال - «لعلكم تتمتعون بالمنظر! ولكن لا يمكننا أن نظل هناك». والآن سوف أرحل طويلاً قبل أن أفرح مجدداً وأتمتع. إن من ينبغي عليه أن يسرع مبتعداً هو أنا، وهو ينبغي أن يبقى».

وراحت المجموعة الآن تسير نازلة عبر الطريق من البوابات. كان طريقاً وعرّاً ومكسراً، يتضاءل إلى مسار متعرج بين نباتات الخليج ونباتات الرتم التي كانت متندّة بين الصخور المتصدعة. ولكن لا يزال بالإمكان أن يرى أنه منذ وقت طويل، كان هناك طريق عظيم ممهد قد تعرج صاعداً لأعلى من الأرضي الواطئة من مملكة الأقزام. في بعض الأماكن كانت هناك أعمال سخرية مهدمة إلى جوار الطريق، وكذلك رواب خضراء على قمتها أشجار البتولا الرفيعة، أو أشجار التوب تنتهد في الريح. قادهم انحناء شرقي بشكل صعب إلى جوار السطح المشوشب للبحيرة المرأة، وهناك ليس بعيداً عن جانب الطريق كان يقف عمود واحد مكسور عن قمته.

وصاح جيولي قائلاً: «هذه هي صخرة دورين! لا يمكنني أن أمر دون أن أنحنى جانباً للحظة لأنظر إلى عجيبة الوادي!».

قال له أراجورن، وهو ينظر للوراء باتجاه البوابات: «لتسرع إذن! الشمس تغرب مبكرة. لن يخرج الأوروكيون - فيما يحتمل - إلا بعد الغسق، ولكن ينبغي أن تكون قد بعثنا بعيداً قبل حلول الليل. لقد كاد القمر أن ينقضى تقريباً، وسوف تكون الدنيا مظلمة هذه الليلة».

وصاح القزم، وهو يقفز من الطريق: «تعال معي يا فرودو. لن أدعك تمضي دون أن ترى خليل زارام». وجرى هابطاً المنحدر الأخضر الطويل. وتبعه فرودو في بطء، تسحبه المياه الزرقاء الساكنة على الرغم من الألم والإبراهق؛ جاء سام وراءهما. توقف جيولي بجوار الحجر القائم ونظر لأعلى. كان مشروحاً وعليه آثار الرياح، ولم يكن بالإمكان قراءة الكتابة الرونية الباهتة التي كانت موجودة على جانبه، وقال القزم: «هذا العمود يقع في البقعة التي نظر فيها دورين لأول مرة في البحيرة المرأة. دعنا ننظر إلى أنفسنا مرة واحدة، قبل أن نمضي!».

وانحنوا فوق البحيرة المظلمة. في البداية، لم يروا شيئاً. بعد ذلك وببطء راحوا يرون أشكالاً للجبال المحيطة منعكسة في لون أزرق غامق، وكانت القمم مثل السنّة

لهب بيضاء فوقها شكل الريش؛ وفيما وراء ذلك كان هناك فضاء من السماء. وهناك مثل جواهر غرقت في العمق، كانت تستطع نجوم متوجحة، على الرغم من أن ضوء الشمس كان في السماء فوقهم. ولم يُر أي ظل لأشكالهم التي كانت منحنية في البحيرة وتنتظر.

وقال جيولي: «كم هي رائعة وجميلة بحيرة خيليد زارام! هناك يرقد تاج دورين حتى يستيقظ. الوداع!» وانحنى، واستدار بعيداً، وأسرع عائداً سطح الأرض المعشوشب الأخضر إلى الطريق مرة أخرى.

وقال بيبين لسام: «ماذارأيت؟»؛ بيد أن سام كان مستغرقاً في تفكيره لدرجة أنه لم يجب.

وانعطف الطريق الآن جنوباً وسار سريعاً باتجاه الهبوط، وهو يجري خارجاً من بين أذرع التل. على بعد مسافة لأسفل، وصلت البحيرة إلى بئر ماء عميق، صافية مثل البلاور، كان يسقط منها سيل فوق شفة صخرية ويجري لاماً ومقرقاً لأسفل عبر قناة صخرية شديدة الانحدار.

وقال جيولي: «هذا هو النبع الذي ينبع منه نهر سيلفولد. لا تشربوا منه! إنه بارد مثل الثلج».

قال أراجورن: «سوف يصبح نهراً جارياً في الحال، ويجمع الماء من جداول جبلية أخرى كثيرة. إن طريقنا يقودنا إلى جواره لعدة أميال كثيرة. لأنني سوف أخذكم في الطريق الذي كان قد اخترته، وأتمنى أولاً أن نصل إلى الغابة حيث يتذوق سيلفولد إلى النهر العظيم - هناك». ونظروا إلى حيث أشار، ورأوا أمامهم النبع يقف هابطاً إلى قناة الوادي، وبعد ذلك يواصل جريانه ويتعد إلى الأرض ال沃اطئة، حتى يضيع في سديم ذهبي.

قال ليجولاس: «هناك تقع غابة لوثورين! هذه هي أجمل مساكن قومي. ليست هناك أي أشجار مثل أشجار تلك الأرض. لأن أوراقها لا تسقط في الخريف، ولكنها تتتحول إلى ذهب. ولا تسقط إلا عندما يأتي الربيع وتتفتح الزروع الخضراء الجديدة، وعند ذلك تحمل الغصون بالأزهار الصفراء، وتكون أرض الغابة ذهباً، ويكون السقف ذهباً، وتكون أعمدتها فضة؛ لأن لحاء الأشجار أملس ورمادي. هكذا لا تزال أغانينا تتغنى بذلك في الغابة المظلمة. سوف يكون قلبي سعيداً لو كنت تحت أوراق هذه الغابة، ولو كان ذلك الموسم هو فصل الربيع!».

قال أراجورن: «سوف يكون قلبي سعيداً، حتى في الشتاء. ولكنها تقع على بعد أميال كثيرة. دعونا نصرع الخطى!».

تمكن فرودو وسام لبعض الوقت من السير مع الآخرين واللحاق بهم، ولكن أراجورن كان يقودهم بسرعة كبيرة، وبعد وقت قصير فإنهم تأخرا في الوراء. لم يكونوا قد أكلوا أي شيء منذ الصباح الباكر. كان جرح سام يكوي مثل النار، وأحس بأن رأسه خفيف. على الرغم من الشمس المشرقة، فإن الريح كانت تبدو باردة بعد ظلمة موريا الدافئة. كان يتنفس. أحس فرودو بأن كل خطوة أكثر إيلاماً وكان يلهث للحصول على النفس.

واستدار ليجولاس أخيراً، ورأهم الآن وقد صاروا بعيداً وراءهم، وتحدى إلى أراجورن. وتوقف الآخرون، وجرى أراجورن عائداً، منادياً على بورومير ليأتي معه، وصاح وهو ممتلىء بالاهتمام والقلق:

«إنني آسف يا فرودو! إن ما حدث اليوم كثير للغاية، وإننا بحاجة إلى مثل هذه السرعة، لدرجة أنني نسيت أنك كنت مصاباً؛ وكذلك كان سام. كان يجب أن تتكلما. إننا لم نفعل أي شيء لتخفف عنكما، كما ينبغي علينا أن نفعل، على الرغم من أن جميع أوركيي موريا كانوا وراءنا. هيا الآن! بعد مسافة قليلة إلى حد ما، هناك مكان حيث يمكننا أن نزال قسطاً من الراحة لقليل من الوقت. هناك سوف أفعل ما بإمكانني معك. تعال يا بورومير! سوف نحملهما».

وبعد ذلك سريعاً وصلوا إلى نبع آخر كان يجري لأجل من الغرب، وضم ماءه الهانج بنهر سيلفريد المسرع. وغاص النبعان معاً فوق منحدر من صخر أخضر اللون، وراحَا يزبدان وهما يهبطان أحد الوهاد. كانت تقف حوله أشجار التوب، قصيرة ومنحنية، وكانت جوانبها شديدة الانحدار ومكسوّة بأشجار سرخس لسان الوعل<sup>(1)</sup> وشجيرات نبات العنبية. عند القاع كانت هناك أرض فضاء مستوية كان النبع يتدفق خلالها في ضوضاء فوق حصى بلوري لامع. وهنا جلسوا ليستريحوا. كانت الآن قد مضت ثلاثة ساعات تقريباً بعد الظهيرة، ولم يكونوا قد ساروا إلا أميلاً قليلاً من البوابات. كانت الشمس بالفعل تتجه للغرب.

قام ويلي جيمي والهوبيتاني الآخران الأصغر سنًا بإشعال نار من خشب الشجيرات القصيرة وشجر التوب، وجلبوا الماء، وقام أراجورن على رعاية سام وفرودو. لم يكن جرح سام عميقاً، ولكنه كان يبدو بشعاً، وكان وجه أراجورن مفتماً وهو يتفحشه. بعد لحظة نظر لأعلى بارتياح، وقال:

«حظ سعيد لك يا سام! أصيب كثيرون بجروح أخطر من هذا الجرح عقاباً على

<sup>(1)</sup> <http://www.countrysideinfo.co.uk/forest1/FOLDER01/HTML/index6.htm> – وقد أخذ هذا الاسم لأن أوراقه تشبه لسان الوعل. (موقع المترجم)

ذبح أول أوركي لهم. الجرح ليس مسموماً، حسبما تكون الجروح التي غالباً جداً ما تحدثها سيف الأوركيين. سوف يندمل ويلتئم جيداً عندما أقوم بالعناية به وتنظيفه. أغسله بالماء عندما يكون جيولي قد قام بتسخينه».

وفتح كيسه وأخرج بعض الأوراق الذابلة، وقال: «إنها جافة، وقد ذهبت بعض فضائلها، ولكن لا يزال لدى هنا بعض أوراق الأنثيلاس جمعتها بالقرب من نيل الرياح. قم بسحق واحدة منها في الماء، واغسل الجرح ونظفه، وسوف أقوم بتضميده. والآن جاء دورك يا فرودو!».

قال فرودو، كارها أن تمس ملابسه: «إنتي بخير. كل ما كنت أحتج إليه هو بعض الطعام والقليل من الراحة».

قال له أراجورن: «كلا! يجب أن نقى نظرة ونرى ما فعلته المطرقة والسدان بك. مازلت متعجبأً أنك لاتزال حياً على الإطلاق». وقام برفق بنزع معطف فرودو القديم من عليه وكذلك سترته المتهمة، وفغر فاه في عجب. وبعد ذلك ضحك. كان الدرع الفضي يتوجه أمام عينيه مثل الضوء عندما يسقط على بحر رفراق ماؤه. وقام بنزعه في حذر وأمسكه عالياً، وراحـت الجواهر الموجودة فيه تتلاـلاً مثل النجوم، وكان صوت الحلقات المتهزة مثل رنين المطر في حوض الماء، وصاح متادياً:

«انظروا يا أصدقائي! هاهو جلد هوبيتي جميل يلف به أمير جني صغير! لو كان قد عُرف أن الهوبيتين لهم مثل هذه الجلود، لكان كل صيادي الأرض الوسطى قد اتجهوا إلى المقاطعة».

وقال جيولي، وهو يحدق إلى الدرع في ذهول واندهاش: «وسهام كل الصيادين في العالم ستكون عديمة الجدوى. إنه معطف من الميثريل. الميثريل! إنتي لم أر قط، كما لم أسمع قط، عن معطف بمثل هذا الجمال. هل هذا هو المعطف الذي تحدث عنه جندل؟ إذن، فإنه قد قلل من قيمته و شأنه. ولكنه كان نعم العطية!».

وقال ميري: «لقد تساءلت كثيراً عما كنت أنت وبيلبو تفعلانه في سرية شديدة في غرفته الصغيرة. بورك الهوبيت العجوز! إنتي أحبه أكثر من أي وقت مضى. أتمنى أن تناح لنا الفرصة لنخبره عن ذلك».

كانت هناك كدمة داكنة مسودة في جنب فرودو الأيمن وفي صدره. كان هناك قميص من جلد ناعم تحت الدرع، ولكن في إحدى النقاط كانت الحلقات قد دخلت من خلاله إلى اللحم. كما كان جنب فرودو الأيسر به كدمة وخدش في المكان الذي دفع فيه على الجدار. في حين قام الآخرون بإعداد الطعام؛ قام أراجورن بغسل الجروح بالماء الذي نقع فيه عشب الأنثيلاس. ملأت الرائحة العطرة الوهد كلـه، وكلـ أولئك

الذين كانوا منحنين فوق المياه الجارية شعروا بالانتعاش وبالقوة. وأحس فرودو سريعاً بالألم يتركه، وأصبح تنفسه سلساً وسهلاً، على الرغم من أنه كان متصلباً ويشعر بالألم عند لمسه على مدى عدة أيام. ربط أراجورن بعض الضمادات الطرية من القماش على جانبه؛ وقال:

«الدرع خفيف بشكل عجيب. البسه ثانية، إذا كنت تستطيع أن تحمله. إن قلبي سعيد لأن يعلم أن لديك مثل هذا المعطف. لا تلق به جانباً، حتى في النوم، إلا إذا جاء بك الحظ في مكان تكون فيه آمناً لبعض الوقت؛ ونادرًا ما سيحدث ذلك وينتصادف مادامت مهمتك قائمة».

عندما انتهوا من تناول طعامهم، استعدت المجموعة لمواصلة السير. أطفئوا النار وأخفووا كل آثار لها. وبعد ذلك تسلقوا خارجين من الود، وأخذوا الطريق مرة أخرى. لم يكونوا قد مضوا بعيداً قبل مغيب الشمس وراء المرتفعات الغربية وراحوا ظلال عظيمة تزحف عبر جوانب الجبال. غطى الغسق سفح الجبال، وارتفع السديم في التجاويف. على بعد في الشرق، كان ضوء المساء يرقد باهتاً فوق أراضي السهل والغابة البعدين المبهمة. ولما كان سام وفرودو قد شعوا بالراحة الآن وأنهما قد انتعشَا بشكل كبير، فإنهما كانا قادرين على السير بسرعة جيدة، وقد أراجورن المجموعة - دون توقف إلا مرة واحدة توقفاً فيها للراحة فترة قصيرة - لمدة ثلاثة ساعات أجرى تقريراً.

كانت الدنيا ظلاماً. وقد حل ليل بهيم. كانت هناك الكثير من النجوم الصافية، ولكن القمر الذي كان يذيل سريعاً لم يكن بالإمكان رؤيته إلا في وقت متأخر. كان جي ملي وفرودو في المؤخرة، يمشيان مشياً ليثاً دون أن يتكلما، ينصتان لأي صوت على الطريق وراءهما. وأخيراً كسر جي ملي الصمت، وقال:

«ليس صوتاً ولكنه الريح. ليس هناك غيلان بالقرب من هنا، وإن إبان أذني تكونان قد صنعتنا من خشب. إننا نأمل أن يكون الأوركيون قانعين بطردنا من موريا. وربما كان ذلك كل غرضهم، وليس لهم شأن بالخاتم، فيما وراء ذلك. على الرغم من أن الأوركيين يطاردون الخصوم غالباً لمسافة فراسخ كثيرة في السهول، إذا كان قد سقط لهم قائد يريدون الانتقام له.

لم يجب فرودو. نظر إلى ستينج، وكان النصل متلوماً. ولكنه كان قد سمع شيئاً ما، أو اعتقاد أنه سمع شيئاً. وب مجرد أن أحاطت بهم الظلالة، وصار الطريق وراءهم معتماً، سمع مرة أخرى نقر الأقدام السريع. كان يسمع حتى في ذلك الوقت. والتقت سريعاً. كانت هناك ومضتان بالغتا الصغر من الضوء وراءه، أو اعتقاد للحظة أنه قد رأاهما، ولكن في الحال انسلتا جانباً وتلاشتا.

وقال القزم: «ما هذا؟».

وأجابه فرودو قائلاً: «لا أدرى. ظننتُ أنني سمعتُ وقع أقدام، وظننتُ أنني رأيتُ ضوءاً مثل عيون. لقد ظننتُ ذلك كثيراً جداً عندما دخلنا موريا للمرة الأولى». •  
وتوقف جي ملي، وانحنى ينظر إلى الأرض، وقال: «لا أسمع شيئاً سوى الحديث الليلي للنبات والحجارة. هيا! هيا! بنا نسرع! لقد غاب الآخرون عن النظر!».

وهبت ريح الليل باردة عبر الوادي لتقابلهم. لاح أمامهم ظل رمادي كبير، وراحوا يسمعون حفيقاً متواصلاً للأوراق وكان نباتات الحور كان يحركها النسيم.  
وصاح ليجolas: «لوثوريين! لوثررين! لقد وصلنا إلى طُنف الغابة الذهبية. يا للسُرّة أنا في الشتاء!».

في جنح الليل، كانت الأشجار تقف طويلاً أمامهم، مائلة مثل قنطرة فوق الطريق فوق النبع الذي كان يجري فجأة أسفل غصونها المنتشرة. في ضوء النجوم المعتم، كانت سوقها رمادية، وكان اهتزازها وارتفاعها يخلف انطباعاً من ذهب أصفر.  
وقال أراجورن: «لوثوريين! إبني سعيد لأن أسمع الريح في الأشجار مرة أخرى! لا نزال على بعد مسافة تقل عن خمسة فراسخ من البوابات، ولكن لا يمكننا أن نسير أكثر من ذلك. هنا دعونا نأمل أن قبيلة الجن ستحفظنا الليلة من الخطر الذي يتعقبنا».

وقال جي ملي: «إذا كان الجن لا يزبون حقاً يسكنون هنا في العالم المظلم». •  
وقال ليجolas: «لقد مضى زمن طويل منذ أن ارحل أي من قومي إلى هنا عائدين إلى الأرض التي جتنا منها في عصور منذ زمن، ولكننا نسمع أن لورين لم تهجر بعد؛ لأنه لا تزال هناك قوة سرية هنا تكبح الشر وتمنعه عن البلاد. على الرغم من ذلك، فإنه يندر أن يرى سكانها، وربما يكونون الآن يسكنون في أعماق الغابات وبعيداً عن الحد الشمالي».

وقال أراجورن، وتنهد كما لو كانت قد تحركت فيه ذكري معينة: «حقاً يسكنون في أعماق الغابة. ينبغي علينا أن نعني بأنفسنا الليلة. سوف نواصل السير لمسافة قصيرة، حتى تكون الأشجار حولنا من كل اتجاه، وعندئذ سوف ندور جانبًا من الطريق ونبحث عن مكان نستريح فيه».

وسار للأمام؛ ولكن بورومير وقف متزدداً ولم يتبعه، وقال: «أليس هناك من طريق آخر؟».

قال أراجورن: «ما الطريق الآخر - الأكثر جمالاً - الذي تريده؟».  
فرد عليه بورومير قائلاً: «طريقاً سهلاً منبسطاً على الرغم من أنه يسير عبر سياج

من سيف. لقد تم توجيه هذه المجموعة عبر طرق غريبة، وإلى مصير شرير حتى الآن. لقد سرنا ضد إرادتي تحت ظلال موريا، وخسرنا ما خسرنا. والآن ينبغي أن تدخل الغابة الذهبية، على حد قوله. ولكننا سمعنا عن هذه الأرض الخطرة في جوندor، ويقال إن قليلين هم أولئك الذين يخرجون من بين أولئك الذين يدخلونها؛ ومن بين أولئك القليلين لم ينج أحد دون أن يصاب بأذى».

فقال له أراجورن: «لا تقل دون أن يصاب بأذى، ولكنك إذا قلت دون أن يتغير، ففي هذه الحالة قد يكون حالفك الصواب. ولكن المعرفة تضعف في جوندor، يا بورومير، إذا كانوا الآن - في مدينة أولئك الذين كانوا فيما مضى حكماء - يتحدثون بالشر عن لوثوريين. لتصدق ما تشاء، ليس هناك من طريق آخر أمامنا - إلا إذا كنت ستعود إلى بوابة موريا، أو تسلق الجبال التي لا طرق فيها أو ممرات، أو تسبح عابراً النهر العظيم بمفردك تماماً».

فقال له بورومير: «الآن وأصل قيادتك! ولكنها خطيرة».

فرد عليه أراجورن: «خطيرة حقاً، جميلة وخطيرة، ولكن الشر فقط هو الذي يخشاها، أولئك الذين يجلبون بعض الشر معهم. اتبعوني!».

كانوا قد ساروا أكثر قليلاً من الميل في الغابة، عندما وصلوا إلى نبع آخر يتدفق لأسفل سريعاً من المنحدرات المكسورة بالأشجار التي كانت تصعد عائدة غرباً باتجاه الجبال. سمعوا النبع يتتساقط فوق منحدر بعيداً بين الظلال على يمينهم. كانت مياهه السوداء المسرعة تجري عبر ممر أمامهم، وانضم إلى نهر سيلفرلود في دوامة من بحيرات قائمة بين جذور الأشجار.

وقال ليجولاس: «ها هو ذا نهر نيمروديل! عن هذا النبع، صاغ جن الأحراج بعض الأغاني منذ زمن طويل مضى، ولا نزال نغنى هذه الأغاني في الشمال، متذكرين قوس قزح في مساقطه وشلالاته، والورود الذهبية التي كانت تطفو في زبده. كل شيء مظلم الآن، وقد كسر جسر نيمروديل. سوف أغسل قدمي، لأنه يُقال إن الماء فيه شفاء للمتعبين». وسار للأمام ونزل الضفة العميقه المشقوقة ودخل في النبع، وصاح:

«اتبعوني! المياه ليست عميقه. هنا بنا نخوض فيها! يمكننا أن نستريح على الضفة البعيدة، ومن الممكن أن يجلب صوت المياه المتتساقطة النعاس لنا وكذلك نسيان الحزن». وهبطوا إلى النهر واحداً تلو الآخر وتبعهم ليجولاس. وقف فرودو للحظة قريباً من الحافة، وترك الماء ينساب فوق قدميه المتعبتين. كان بارداً ولكن ملمسه كان نظيفاً، وبينما كان يواصل سيره في الماء ووصل الماء إلى ركبتيه، أحس بأن إجهاد السفر وكل

الإرهاق والإعياء قد زال من على أطراقه. وعندما عبر كل أفراد المجموعة، جلسوا واستراحوا وأكلوا القليل من الطعام؛ وحكي لهم ليجولام حكايات عن لورين والتي لا يزال جن الغابة المظلمة يحفظونها في صدورهم، عن ضوء الشمس وعن ضوء النجوم فوق المروج إلى جوار النهر العظيم قبل أن يصبح العالم رماديًّا. وأخيرًا ساد صمت، وسمعوا موسيقى شلال الماء يجري في حلقة في الظلل. لقد تخيل فرودو تقريبًا أنه سمع صوتًا يغنى، ممتزجًا بصوت المياه.

وسأل ليجولام: «هل تسمعون صوت نيمروديل؟ سوف أغنى لكم أغنية عن عذراء نيمروديل، التي كانت تحمل نفس اسم النهر الذي عاشت إلى جواره منذ زمن بعيد. إنها أغنية جميلة بلغتنا لغة الغابات؛ ولكن هذا ما تقوله الأغنية باللغة الدارجة، كما يغنينها البعض حالياً في ريفنديل». وفي صوت ناعم لا يكاد يسمع وسط حفيض الأوراق فوقهم بدأ يغنى:

فيما مضى كانت هناك عذراء جنية،

نجم ساطع بالنهر:

كان معطفها أبيض حاشيته من ذهب،  
حذاؤها كان رماديًّا من فضة.

كان هناك نجم مربوط بحاجبيها،

وعلى شعرها ضوء

كالشمس فوق الغصون الذهبية  
في لورين الجميلة.

كان شعرها طويلاً، وأطرافها بيضاء،

وكانت جميلة وحرة؛

كانت تنطلق مثل الضوء في الريح  
مثل ورقه شجرة الزيزفون.

إلى جوار شلالات نيمروديل،

إلى جوار المياه الصافية والباردة،

كان يأتي صوتها مثل الفضة المتساقطة

إلى البحيرة الساطعة.

ولا يعرف أحد أين تتجول الآن،  
في ضوء الشمس أو في الظل؛  
لأن نيمروديل ضاعت منذ زمن مضى  
وتاهت في الجبال.

السفينة الجنية في المرفأ المظلم  
أسفل جانب الجبل  
انتظرتها أيامًا كثيرة  
إلى جوار البحر المائج.

في الأراضي الشمالية، في الليل،  
هبت ريح، وراحـت تصرخ عالـياً،  
ودفعت السفينة بعيدـاً عن شواطئ الجن  
عبر التيار المتدقـق.

عندما جاء الفجر معتمـاً، كانت الأرض قد ضاعت،  
وراحـت الجبال تغوص في الظلام  
فيما وراء الأمواج المتلاطمـة التي كانت تدفع  
بأسنة من المياه المتألقة عالـياً.

لمح أمورـت الشاطئ المتلاشـي  
وكان عنـها منخفضـاً فيما وراء المرتفـع،  
ولعن السفينة الخائنة التي حملـته  
بعيدـاً عن نيمروديل.

كان في الماضي ملكـاً جنـياً،  
سيـداً للشجر والوديان،  
عندما كانت الأغصـان ذهـبية في الربيع  
في لُوثُورِين الجميلـة.

رأوه يقفز من الدفة إلى البحر،  
كما يقفز الرمح من الورق،  
ويغوص في المياه العميقه،  
مثل طائر النورس على الجناح.

كانت الربيع في شعره المناسب،  
وكان الزبد يسطع حوله؛  
رأوه من على بعد قوياً وجميلاً  
يذهب راكباً مثل إوزة.

ولكن لم يأت من الغرب خبر،  
وعلى الشاطئ القريب  
لم يسمع شعب الجن أي أخبار  
عن أمرؤث إلى الأبد.

وتهدج صوت ليجolas ، وتوقفت الأغنية، وقال: «لا يمكنني أن أغنى المزيد. ليس هذا سوى جزء، لأنني قد نسيت الكثير. إنها أغنية طويلة وحزينة، لأنها تخبر كيف حل الحزن على لوثوريين، لورين الأزهار، عندما أيقظ الأقزام الشر في الجبال».«

فقال جيملي: «ولكن الأقزام لم يصنعوا الشر».

فأجابه ليجolas في حزن: «إنتي لم أقل ذلك؛ ولكن الشر جاء. عندئذ ترك الكثيرون من الجن من عشيرة نيمروديل مساكنهم ورحلوا، وضاعت هي بعيداً في الجنوب، في مجازات الجبال البيضاء؛ ولم تأت إلى السفينة حيث كان أمرؤث حبيبها يتذكرها. ولكن في الربيع عندما تكون الربيع في الأوراق الجديدة، فإن صدى صوتها ربما لا يزال يسمع إلى جوار الشلالات والمنحدرات التي تحمل اسمها. وعندما تكون الربيع في الجنوب، فإن صوت أمرؤث يأتي صاعداً من البحر؛ لأن نيمروديل ينساب متدفقاً في نهر سيلفولد، الذي يطلق عليه الجن اسم سيليليرانت، وينساب سيليليرانت متدفقاً في أندوين العظيم، وينساب أندوين متدفقاً في خليج بيلفلاس الذي بدأ جن لورين الإبحار منه. ولكن لم تعد نيمروديل ولم يعد أمرؤث على الإطلاق».

«يحكى أنها كان لها بيت مبني بين فروع شجرة نمت بين المنحدرات؛ لأن هذه كانت عادة جن لورين؛ أن يسكنوا فوق الأشجار، وربما لا تزال هذه عادتهم إلى

الآن. ومن ثم، فإنه أطلق عليهم جَلَدَهْرِيم، شعب الشجرة. وفي أعماق غابتهم، فإن الشجر يكون عظيماً للغاية. لا يحفر شعب الغابات في الأرضن مثل الأقرام، ولا يبنون أماكن قوية من الصخور قبل أن يأتي الظل».

وقال جيملي: «بل حتى في هذه الأيام الأخيرة، فإن المسكن في الأشجار قد يكون ينظر إليه على أنه أكثر أمناً من الجلوس على الأرض». ونظر عبر مجرى الماء إلى الطريق الذي كان يؤدي عائداً إلى وادي ديميريل، وبعد ذلك يصعد تحت سقف من غصون أعلاه.

ورد أراجورن قائلاً: «إن كلماتك تمنحك مشورة جيدة، يا جيملي. لا يمكننا أن نبني منزلنا، ولكن الليلة سوف نفعل مثل قوم الجَلَدَهْرِيم ونتخاذل مأوى فوق قمم الأشجار، إذا استطعنا. لقد جلسنا هنا إلى جوار الطريق بالفعل أكثر مما كانت الحكمة تقتضيه».

ودارت المجموعة الآن جانباً من الطريق، وذهبت إلى ظل أشجار أكثر عمقاً، نحو الغرب عبر التبع الجبلي بعيداً عن نهر سيلفراولد. ووجدوا على مسافة غير بعيدة من شلالات نيمروديل مجموعة من الأشجار، كان بعضها معلقاً فوق النبع. كانت محيطات جذوعها الرمادية العظيمة ذات مقاسات عظيمة، ولكن لا يمكن حجز طولها.

وقال ليجولاوس: «سوف أصعد. أشعر أنني في بيتي بين الأشجار، سواء عند الجذور أو الأغصان، على الرغم من أن هذه الأشجار من نوع غريب علىِّي، باستثناء كونها اسماء في أغنية. يطلق عليها اسم مليرن، وهي تلك التي تحمل زهوراً صفراء، ولكنني لم أنساق واحدة منها فقط. سوف أرى الآن ما هو شكلها وما هي طريقة نموها». فقال بيبيين: «مهما يكن ذلك، فإنها ستكون أشجاراً رائعة حقاً إذا كان من شأنها أن توفر لنا أي راحة في الليل، ما لم تكن للطيور. لا يمكنني أن أنام في مجثم طائر!».

وقال ليجولاوس: «في هذه الحالة احفر لك حفرة في الأرض، إذا كان ذلك أكثر اتفاقاً مع نوعك. ولكن ينبغي عليك أن تحفر سريعاً وعميقاً، إذا كنت ترغب في الاختفاء من الأوركيين». وقفز بخفة لأعلى من على الأرض وأمسك بفرع كان ناماً من الجذع عالياً فوق رأسه. ولكن حتى وهو يتأرجح هناك للحظة من الوقت، جاء صوت يتحدث فجأة من ظلال الأشجار فوقه.

وقال الصوت بنبرة آمرة - «دارو<sup>(1)</sup>!»، وسقط ليجولاوس للوراء على الأرض من الدهشة والخوف. وانكمش أمام جذع الشجرة.

وهمس في الآخرين قائلاً: «قفوا ساكنين! لا تتحركوا ولا تتكلموا!».

<sup>(1)</sup>Daro

و جاء صوت ضحك خافت فوق رءوسهم، وبعد ذلك جاء صوت واضح يتحدث بلسان الجن. استطاع فرودو أن يفهم القليل مما قيل؛ لأن اللغة التي كان شعب الأحراب شرق الجبال يستخدمونها فيما بينهم مختلفة عن لغة الغرب. نظر ليجو拉斯 لأعلى وأجاب بنفس اللغة.

وسأل ميري: «من هم، وماذا يقولون؟».

وقال سام: «إنهم جن. ألا تسمع أصواتهم؟».

وقال ليجو拉斯: «نعم، إنهم جن، وإنهم يقولون إنك تنفس بصوت عال جداً لدرجة أنهم يستطيعون إصايتها رميأ في الظلام». ووضع سام يده سريعاً على فمه. «ولكنهم يقولون أيضاً إنه لا داعي لأن تخاف. لقد كانوا على علم بنا منذ فترة طويلة. لقد سمعوا صوتي عبر نهر نيمروديل، وعلموا أنني كنتُ واحداً من عشيرتهم الشعالية، ومن ثم فإنهم لم يعوا عبورنا؛ وبعد ذلك سمعوا أغينتي. والآن يطلبون مني أن أصعد مع فرودو؛ لأنهم ييدو أن لديهم بعض الأخبار عن رحلته وعن رحلتنا. ويطلبون أن يتضمن الآخرون قليلاً، ويقوموا بالحرامة عند أسفل الشجرة، حتى يكونوا قد قرروا ما يفعلون».

ومن خارج الظلام، نزل سلم لأسفل: كان مصنوعاً من حبائ رمادية قضية تتوجه في الظلمة، وعلى الرغم من أنه كان ييدو رفيعاً، فإنه أثبت أنه قوي بما يكفي لحمل رجال كثرين. وجري ليجو拉斯 في خفة لأعلى، وتبعه فرودو في بطء؛ وجاء وراءهما سام محاولاً ألا يتنفس بصوت عال. كانت فروع شجرة المالورن نامية للخارج بشكل مستقيم تقرباً من الجذع، وبعد ذلك اتجهت في نموها لأعلى؛ ولكن بالقرب من قمة الشجرة، انقسمت الساق الأساسية إلى تاج له أغصان كثيرة، وبين هذه الأغصان وجدوا أنه قد بُنيت منصة خشبية، أو «قلبيت<sup>(1)</sup>» حسبما كان يطلق على هذه الأشياء في تلك الأيام: كانت الجن يسمونها «تالان<sup>(2)</sup>». كان يجري الوصول إليها عن طريق فجوة دائرية في المنتصف كان السلم يمر من خلالها.

عندما وصل فرودو أخيراً لأعلى على المنصة الخشبية، وجد ليجو拉斯 قد جلس مع ثلاثة آخرين من الجن. كانوا مرتدین ثياباً رمادية مبهمة، ولم يكن بالإمكان رؤيتهم بين جذوع الأشجار، إلا إذا تحركوا فجأة. وقاموا واقفين، وكشف واحد منهم مصباحاً صغيراً كان يبعث شعاعاً فضياً صغيراً. وأمسكه عالياً، ونظر إلى وجه فرودو ووجه سام. بعد ذلك، غطى الضوء مرة أخرى، وتحدى بكلمات ترحاب بلغة الجن التي يتكلمتها. وتحدى معه فرودو في تلعثم رداً على ترحابه به.

Flet (1)

Talan (2)

بعد ذلك قال الجني مرة أخرى متحدثاً باللغة العادية، ومتحدثاً ببطء: «مرحباً من النادر أن نستخدم أي لغة غير لغتنا نحن؛ لأننا نسكن حالياً في قلب الغابة، وليس لنا أي تعاملات - نقوم بها طواعية - مع أي قوم آخرين. حتى عشيرتنا في الشمال قد انفصلوا عنا. ولكن هناك بعض منا لا يزالون يذهبون للخارج لجمع الأخبار ومراقبة أعدائنا، ويتحدثون لغات أراضٍ أخرى. أنا واحد من هؤلاء. اسمى هُولَدِير<sup>(1)</sup>. يتحدث أخواتي - روميل<sup>(2)</sup> وأوروفين<sup>(3)</sup> - لغتكم قليلاً.

«ولكننا سمعنا شائعات عن قدومنكم؛ لأن رسائل الروند مروا عن طريق لُورِين في طريقهم صاعدين سُلم ديميل. إننا لم نسمع عن - الهوبيتين، الأنصاف<sup>(4)</sup>، لسنوات طويلة، ولم نعرف أنه لا يزال هناك أحد يسكن في الأرض الوسطى. إنكم لا تبدون أشراراً! وحيث إنكم أتيتم مع جني من عشيرتنا، فإننا راغبون في أن تتصادق معكم، متىما طلب إلروند؛ على الرغم من أنه ليس من عادتنا أن نقود الغرباء عبر أرضنا. ولكن ينبغي عليكم أن تبقوا هنا الليلة. كم عددكم؟».

ورد عليه ليجولاس قائلاً: «ثمانية. أنا، وأربعة هوبيتيون؛ ورجلان، أحدهما هو أراجورن، وهو صديق للجن من الأرض الغربية».

وقال هُولَدِير: «اسم أراجورن ابن أراشورن معروف في لُورِين، ويحظى باستحسان السيدة. كل شيء على ما يرام عندئذ. ولكنك تحدثت عن مبعثة فقط حتى الآن». فرنز عليه ليجولاس قائلاً: «الثامن قزم».

قال هُولَدِير: «قزم! هذا ليس بجيد. لم تكن لنا تعاملات حتى الآن مع الأقزام منذ أيام الظلام. إنهم غير مسموح لهم بالمرور في أرضنا. لا يمكنني أن أسمح له بالمرور». فرد عليه فرودو بقوله: «ولكنه من الجبل الأعزل، أحد أفراد شعب داين الذين يمكن الوثوق بهم، وهو صديق لإلروند. لقد اختاره إلروند بنفسه ليكون واحداً من رفاقنا، وقد كان شجاعاً ومخلصاً».

وتحدى أفراد الجن معاً بأصوات منخفضة، وسألوا ليجولاس بلغتهم. وقال هُولَدِير أخيراً: «جيد جداً. سوف نفعل ذلك، على الرغم من أنه ضد رغبتنا. إذا كان أراجورن وليجولاس سيقومان بحراسته، ويكرنان مسئولين عنه، فإنه سيمراً؛ ولكنه ينبغي أن يمر عبر لُوثْرِيُون معصوب العينين».

Haldir (1)

Rumil (2)

Orophin (3)

(4) - اسم آخر يطلق على الهوبيتين (Hobbits)، وذلك لأنهم شبّهُون بالبشر إلا أنهم في نصف حجمهم.  
(المترجم)

«ولكن الآن ينبغي الأُنْتَاقْش أكثر من ذلك. لا ينبغي أيها الأشخاص أن تظلوا على الأرض. لقد كنا نقوم على مراقبة الأنهر، منذ أن رأينا جيشاً كبيراً من الأوركيين يمضون شمالاً باتجاه موريما، عبر ضواحي الجبال، منذ أيام كثيرة مضت. الذئاب تعوي على حدود الغابة. إذا كنت قد أتيت من موريما حقاً، فالخطر لا يمكن أن يكون بعيداً وراءكم. يجب أن تواصلوا سيركم مبكرين جداً.

«سوف يصعد الهوببيون الأربعة إلى هنا ويبقون معنا، إننا لا نخاهم! هناك منصة خشبية أخرى (تالان) في الشجرة المجاورة. هناك ينبغي أن يجد الآخرون لهم ملذاً. أنت يا ليجولاس ينبغي أن تكون مسؤولاً أمامنا عنهم. ناد علينا، إذا حدث أي شيء سيء أو خطأ؛ ولتكن عينك على ذلك الفزم!».

ونزل ليجولاس في الحال من على الشجرة لينقل رسالة هولديز؛ وفي الحال بعد ذلك صعد كل من ميري وبيبين إلى المنصة العالية. كانوا يلهثان، وبدأ عليهم الذعر. وقال ميري وهو يلهث: «هناك! لقد حملنا بطاطينك وكذلك بطاطيننا نحن. لقد قام سترايدار بإخفاء باقي أمتعتنا في جرف عميق من الأوراق».

وقال له هولديز: «ليست هناك أي حاجة لأحمالكم. الجو بارد فوق الأشجار في الشتاء، على الرغم من أن الريح الليلة في الجنوب؛ ولكن لدينا طعام وشراب يعطيكم ما سوف يدفع عنكم برد الليل، كما أن لدينا جلوداً ومعاطف زائدة».

و قبل الهوببيون هذا العشاء الثاني (والأفضل بكثير) ببالغ السرور. بعد ذلك لفوا أنفسهم في دفء، ليس فقط في معاطف الفراء التي أعطاهم إياها أفراد الجن، ولكن في بطاطينهم أيضاً، وحاولوا أن يناموا. ولكنهم على الرغم مما كانوا فيه من الإرهاف والتعب، فلم يجد ذلك سهلاً سوى سام. الهوببيون لا يحبون المرتفعات، ولا ينامون في الأدوار العليا، حتى عندما يكون عندهم أي سلام. لم تكن المنصة تعجبهم على الإطلاق كغرفة نوم. لم يكن بها أي جدران، بل ولا درايزين؛ لم يكن هناك سوى حاجز خفيف مجذول على جانب واحد فقط، والذي يمكن تحريكه وتنبيته في أماكن مختلفة على حسب الريح.

وواصل بيدين الكلام لبعض الوقت، حيث قال: «أتمنى، إذا أنا نمت في شرفة النوم المرتفعة هذه، ألا أدرج وأقع».

ورد عليه سام قائلاً: «بمجرد أن أنا، فسوف أواصل نومي، سواء تدحرجت ووقيعت على الأرض أم لا. وكلما قل الكلام، كان من الأسرع استغراقني في النوم، إذا كنت تفهم ما أرمي إليه».

ورقد فرودو لبعض الوقت مستيقظاً، ونظر لأعلى إلى السالم التي تتوهج عبر سقف الأوراق المرتعشة الشاحب. كان سام يسخر إلى جواره قبل أن يغلق هو عينيه بوقت طويلاً. كان يرى على نحو باهت الشكلين الرماديين لاثنين من الجن جالسين دون حراك وأذرعهما حول ركبיהם، يتحدىان في همس. كان الآخر قد نزل ليأخذ دوره في المراقبة على أحد الفروع الأكثر انخفاضاً. وأخيراً هدحت الريح فرودو في الأغصان والفروع فوقه، وصوت خرير الماء الجميل المناسب في شلالات نيمروديل أسفل منه، وراح في النوم وأغنية ليجو لاس تجري في عقله.

واستيقظ في وقت متأخر من الليل. كان الهوبيتون الآخرون نائمين. كان أفراد الجن قد مضوا. كان القمر الهلالي يومض في خفوت بين الأوراق. كانت الريح ساكنة. على بعد مسافة قصيرة، سمع صوت ضحك أحش ووطء الكثير من الأقدام على الأرض أسفل منهم. كانت هناك رنة معدنية. وراحت الأصوات تضعف بطيئاً، وبدا أنها تذهب نحو الجنوب، مواصلة السير إلى الغابة.

ظهر رأس فجأة عبر الفجوة التي كانت في المنصة. جلس فرودو في ذعر ورأى أنه كان جنّياً يرتدي غطاء رأس رماديًّا. نظر باتجاه الهوبيتين. وقال له فرودو سائلاً: «ما الأمر؟».

«يركّين!» - قال له الجني ذلك في همس له هسيس، وألقى إلى المنصة السلم المصنوع من الب下巴ل الذي كان مطويًّا لأعلى.

وقال فرودو: «أوركّين! وماذا يفعلون؟» ولكن الجني كان قد مضى.

لم تكن هناك أيّ أصوات أخرى. حتى أوراق الشجر كانت ساكنة، وبدت الشلالات نفسها صامتة. جلس فرودو وهو يرتعش في أغطيته التي لف نفسه بها. كان يشعر بالامتنان لأنهم لم يمسك بهم وهم على الأرض؛ ولكنه أحسن أن الشجر كان يوفر حماية صغيرة، باستثناء الاختباء. كان الأوركيون يتمتعون بحدة حاسة الشم مثل كلاب الصيد، كما يقال، بالإضافة إلى أنه يمكنهم تسلق الشجر أيضاً. واستل سيفه ستينج: كان يومض ويتوجه مثل شعلة زرقاء؛ وبعد ذلك ضعف الوهج بطيئاً مرة أخرى وأصبح السيف باهتاً. وعلى الرغم من بهتان لون سيفه، فإن الشعور بالخطر الملح لم يفارقه، بل ازداد قوة. ونهض وزحف إلى الفتحة ونظر منها لأسفل. كان على شبه يقين أنه سمع حركات متسللة عند أسفل الشجرة بعيداً أسفل منه.

ليساوا جناً؛ لأن سكان أرض الغابة كانوا بلا صوت تماماً في حركاتهم. سمع بعد ذلك في خفوت صوتاً مثل استنشاق الهواء؛ وبدأ أن شيئاً ما كان يحك في لحاء جذع الشجرة ويكتشه. وحدق لأسفل في الظلمة، وهو يحبس أنفاسه.

كان هناك شيء ما يتسلق الشجرة في بطيء عندهن، وجاء صوت نفسه مثل صوت هسيس منخفض عبر الأسنان المتضامنة. بعد ذلك، عاد فرودو لأعلى، قريباً من جذع الشجرة، ورأى عينين شاحبتين. توقفت العينان وحدقتا لأعلى دون أن تغمزا. وفجأة التفتتا بعيداً، وانزلق شكل مبهم حول جذع الشجرة وتلاشى.

على الفور بعد ذلك، جاء هولديز يتسلق لأعلى في خفة عبر فروع الشجرة، وقال: «كان هناك شيء ما في هذه الشجرة لم أره من قبل قط. لم يكن ذلك أوركياً. لقد فر بمجرد أن لمست جذع الشجرة. كان يبدو أنه حذر متيقظ، وأن لديه براعة في التعامل مع الأشجار، أو ربما اعتقدت أنه كان واحداً منكم أيها الهوبيتون».

«إنتي لم أطلق سهمي؛ حيث إنني لم أجرؤ على أن أطلق أي صيحات؛ لا يمكننا أن نخاطر وندخل في معركة. لقد مرت مجموعة قوية من الأوركيين. لقد عبروا نهر نيمروديل – اللعنة على أقدامهم النتنة في مائه النظيف! – وساروا عبر الطريق القديم إلى جوار النهر. كان يبدو أنهم يبحثون عن رائحة ما، وراحوا يبحثون في الأرض لبعض الوقت بالقرب من المكان الذي توقفتم فيه. لا يمكن لثلاثتنا أن يتحدونا مائة؛ ولذلك فقد واصلنا السير قدماً، وأخذنا نتحدث بأصوات خفيفة، ونحن نقودهم إلى داخل الغابة».

«لقد ذهب أوروفين الآن على عجل عائداً إلى مساكننا ليحذر قومنا. لن يعود أي من الأوركيين من تورين أبداً. وسوف يكون هناك الكثير من الجن يبحثون على الحد الشمالي قبل أن تحل ليلة أخرى. ولكن ينبغي عليكم أن تسلكوا الطريق وتسورو باتجاه الجنوب بمجرد أن يطلع الضوء».

وطلع النهار شاحباً من الشرق. وبينما راح الضوء يزيد، نفذ من بين الأوراق الصفراء لشجرة المالورن، وبدا للهوبيتين أن الشمس المبكرة لصبح صيف بارد تسقط عليهم. وأطلت سماء زرقاء باهتة من بين الأفرع المتحركة. ورأى فرودو وهو ينظر من خلال فتحة في الجانب الجنوبي من المنصة الخشبية كل وادي نهر سيلفرلود يرقد أسفل منه مثل بحر من ذهب هاجع يجري في لطف منسابة مع النسيم.

كان الصباح لا يزال في بدايته، وكان الجو بارداً، عندما بدأت المجموعة رحلتها مرة أخرى، كانوا الآن تحت قيادة هولديز وأخيه روميل. وصاح ليجولاس قائلاً: «الوداع يا نيمروديل الجميل!» نظر فرودو للوراء ولمح ومضة من زبد أبيض بين جذوع الشجر الرمادية، وقال: «الوداع!» بدا له أنه لن يسمع أبداً مرة أخرى صوت مياه جارية بمثل هذا الجمال، يمزج أحانه التي لا تحصى في موسيقى متغيرة لانهائية دوماً. وعادوا إلى العمر الذي كان لا يزال يسير عبر الجانب الغربي من سيلفرلود، وتبعوه لمسافة معينة نحو الجنوب. كانت هناك آثار أقدام الأوركيين على الأرض.

ولكن في الحال، التفت هُولِدِيرْ جانبًا إلى الأشجار وتوقف عن السير على ضفة النهر تحت ظلالهم، وقال:

«هناك واحد من قومي عَبْر النبع، على الرغم من أنكم قد لا ترونـه». وأطلق صيحة مثل صفارـة طائر منخفضـة، وقفـز بين أجمـة من أشجار صغيرـة جـنـي يرتدي ثيابـاً رماديـة، ولكن كان غـطـاء رأسـه ملـقـى على كـتفـيه، كان شـعرـه يومـض مـثـل الـذـهـبـ في شـمـسـ الصـبـاحـ. وألقـى هـولـدـيرـ في مـهـارـةـ وبرـاعـةـ فوق نـبـعـ المـاءـ لـفـافـةـ من حـبـلـ رـمـاديـ، وأمسـكـ بها وربطـهاـ نهاـيـتهاـ حولـ شـجـرـةـ قـرـيبـةـ من الضـفـةـ، وقال:

«نـهـرـ سـيلـيـرـانـتـ نـبـعـ قـويـ بالـفـعلـ هـنـاـ، كـمـاـ تـرـونـ، ويـجـريـ سـرـيـعـاـ وـعـمـيـقاـ عـلـىـ حدـ سـوـاءـ، وـهـوـ بـارـدـ جـداـ. إـنـاـ لـاـ نـضـعـ أـقـدـامـاـ عـلـيـهـ إـلـىـ هـذـاـ الحـدـ شـمـالـاـ، مـاـ لـمـ يـكـنـ لـيـسـ مـنـ ذـلـكـ بـدـ. وـلـكـ فـيـ هـذـهـ أـلـيـامـ مـنـ المـراـقـبـةـ وـالـحـذـرـ، فـإـنـاـ لـاـ نـصـنـعـ جـسـوـرـاـ. هـذـهـ هـيـ الطـرـيـقـةـ التـيـ نـعـبـرـ بـهـاـ اـتـبـعـونـيـ!» وأـحـكـمـ رـبـطـ نـهـاـيـةـ الحـبـلـ التـيـ عـنـهـ حـوـلـ شـجـرـةـ أـخـرـىـ، وـبـعـدـ ذـلـكـ جـرـىـ بـخـفـةـ عـبـرـ الـحـبـلـ، فـوـقـ النـهـرـ ثـمـ عـادـ مـرـةـ أـخـرـىـ، كـمـاـ لـوـ كـانـ يـسـيرـ عـلـىـ طـرـيـقـ.

وقـالـ ليـجوـلاـسـ: «يمـكـنـتـيـ السـيـرـ عـلـىـ هـذـاـ المـعـرـ، لـكـ الـأـخـرـينـ لـيـسـ لـدـيـهـمـ هـذـهـ الـمـهـارـةـ. أـلـاـ يـنـبـغـيـ عـلـيـهـمـ أـنـ يـسـبـحـواـ؟».

ورـدـ هـولـدـيرـ قـائـلاـ: «كـلـاـ! لـدـيـنـاـ حـبـلـانـ آخـرـانـ. سـوـفـ تـرـبـطـهـاـ فـوـقـ الـحـبـلـ الـآخـرـ، أحـدـهـماـ بـارـتـفـاعـ يـصـلـ إـلـىـ الـكـتـفـينـ، وـالـآخـرـ بـارـتـفـاعـ يـصـلـ إـلـىـ نـصـفـ الـطـوـلـ، وـبـإـمـساـكـ هـذـيـنـ الـحـبـلـيـنـ يـسـتـطـيـعـ الـفـرـبـاءـ أـنـ يـعـبـرـوـاـ بـكـلـ حـرـصـ».

عـنـدـمـاـ اـنـتـهـيـ عـمـلـ هـذـاـ الجـسـرـ الرـفـيعـ، مـرـتـ المـجـمـوعـةـ فـوـقـهـ، مـرـ بـعـضـهـمـ بـحـذـرـ وـبـبـطـءـ، وـمـرـ آخـرـونـ بـبـسـرـ أـكـثـرـ. مـنـ بـيـنـ الـهـوـبـيـتـيـنـ، أـثـبـتـ بـبـيـنـ أـنـ هـوـ الـأـفـضـلـ لـأـنـ قـدـمـيـهـ كـانـتـاـ وـأـنـقـيـنـ ثـابـتـيـنـ، وـمـشـىـ فـوـقـ الجـسـرـ سـرـيـعـاـ، وـهـوـ لـاـ يـمـسـكـ إـلـاـ بـيدـ وـاـحـدـةـ، لـكـنـهـ ظـلـ مـرـكـزاـ عـيـنـيـهـ عـلـىـ الضـفـةـ أـمـامـهـ وـلـمـ يـنـظـرـ لـأـسـفـلـ. رـاحـ سـامـ يـجـرـ قـدـمـيـهـ فـيـ خـوفـ، مـمـسـكـاـ بـقـوـةـ بـالـحـبـالـ مـتـشـبـثـاـ بـهـاـ، وـكـانـ يـنـظـرـ لـأـسـفـلـ عـلـىـ الـمـيـاهـ الـبـاهـتـةـ الـمـنـدـفـعـةـ فـيـ دـوـامـاتـ كـمـاـ لـوـ كـانـتـ هـوـةـ فـيـ الـجـبـالـ.

وـتـنـفـسـ بـارـتـيـاحـ عـنـدـمـاـ اـنـتـهـيـ مـنـ الـعـبـورـ بـسـلامـ. «عـشـ وـتـعـلـمـ! كـمـاـ اـعـتـادـ عـجـوزـيـ أـنـ يـقـولـ. عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـهـ كـانـ يـفـكـرـ فـيـ الزـرـاعـةـ، وـلـيـسـ فـيـ الجـثـومـ مـثـلـ طـائـرـ، وـلـاـ فـيـ أـنـ يـحـاـولـ أـنـ يـمـشـيـ مـثـلـ عـنـكـيـوتـ. إـنـ عـمـيـ آنـدـيـ نـفـسـهـ لـمـ يـصـنـعـ حـيـلـةـ مـثـلـ هـذـهـ قـطـ!».

وـعـنـدـمـاـ تـجـمـعـتـ المـجـمـوعـةـ أـخـيـرـاـ عـلـىـ الضـفـةـ الشـرـقـيـةـ مـنـ نـهـرـ سـيلـفـلـودـ، فـكـ الجنـ الـحـبـالـ وـلـفـواـ أـثـيـنـ مـنـهـاـ. سـحـبـ روـمـيلـ الـذـيـ ظـلـ عـلـىـ الـجـانـبـ الـآخـرـ، الـحـبـلـ الـآخـرـ، وـعـلـقـهـ عـلـىـ كـتـفـهـ، وـبـتـلـوـيـحـةـ مـنـ يـدـهـ مـضـىـ بـعـيـدـاـ، عـانـدـاـ إـلـىـ نـيـمـرـوـدـيلـ لـيـوـاـصـلـ الـمـراـقـبـةـ.

وقال هولديز: «وَالآن يَا أَصْدَقَائِي، لَقَدْ دَخَلْتُ لِسَانَ لُورِينَ<sup>(١)</sup>، أَوِ الْقَلْبَ كَمَا تَسْمُونَهُ؛ لَأَنَّ هَذِهِ هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي تَقْعُ مِثْلَ حَرَبَةِ بَيْنَ ذَرَاعَيِ سِيلْفِرْلُودِ وَأَنْدُوِينِ الْعَظِيمَيْمِ. إِنَّا لَا نَسْمَعُ لِأَيِّ غَرْبَاءِ يَأْنِ يَطْلَعُوا عَلَى أَسْرَارِ قَلْبِ لُورِينَ. قَلِيلُونَ هُؤُلَاءِ هُمْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ سَمِحَ لَهُمْ حَتَّى يَأْنِ يَضْعُوا أَقْدَامَهُمْ هُنَّاكَ.

«وَكَمَا اتَّفَقْنَا، فَإِنِّي سَوْفَ أَعْصِبُ عَيْنِي جِيْمِلِيَ الْقَزْمِ. بِإِمْكَانِ الْآخَرِيْنَ أَنْ يَمْشُوا بَعْضَ الْوَقْتِ، حَتَّى يَنْقُرُبُ مِنْ مَسَاكِنَنَا، فِي الْأَسْفَلِ فِي إِجْلَادِيْنِ، فِي الْزَّاوِيَةِ بَيْنَ النَّهَرَيْنِ».

لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ شَيْئًا يُحِبَّهُ جِيْمِلِي عَلَى الإِطْلَاقِ، وَقَالَ: «لَقَدْ تَمَ الْاِنْتِفَاقُ مِنْ دُونِ موافِقِي. لَنْ أَمْشِي مَعْصُوبَ الْعَيْنَيْنِ، مِثْلَ شَحَادَةِ أَوْ أَسِيرِ. كَمَا أَنِّي لَسْتُ جَاسُوسًا. لَمْ يَكُنْ لِعَشِيرَتِي أَيِّ تَعَامِلَاتٍ عَلَى الإِطْلَاقِ مَعَ خُدَامِ الْعُدُوِّ. كَمَا أَنَّا لَمْ نُؤْذِنَّ الْجَنَّ فَطُّ. إِنَّ احْتِمَالَ خَيَانَتِي لَكُمْ مِثْلَ احْتِمَالِ خَيَانَةِ لِيْجُولَاسِ لَكُمْ، أَوْ أَيِّ شَخْصٍ أَخْرِيْمِ مِنْ صَحْبِيِّ».

فَقَالَ هُولَديز: «إِنِّي لَا أُشَكُّ فِيْكَ. وَلَكِنَّ هَذَا هُوَ قَانُونَا. إِنِّي لَسْتُ سِيدَ الْقَانُونِ، وَلَا يَمْكُنُنِي أَنْ أَنْهِيَهُ جَانِبًا أَوْ أَكْسِرَهُ. لَقَدْ فَعَلْتُ الْكَثِيرَ فِي تَرْكِي لَكَ تَضَعُقَ قَدْمِيْكَ فَوْقَ سِيلِيْرَانَتِ».

وَكَانَ جِيْمِلِيَ عَنِّيْدًا. وَغَرَّرَ قَدْمِيْهِ بِثَبَاتِهِ فِي الْأَرْضِ مِبَاعِدًا بَيْنَهُمَا، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَقْبِضِ بَلْطَتِهِ، وَقَالَ: «سَوْفَ أَسِيرُ لِلأَمَامِ حَرًّا، وَإِلَّا فَسَوْفَ أَعُودُ وَأَبْحَثُ عَنْ أَرْضِيِّ، حَيْثُ يَعْرَفُ عَنِي الصَّدْقُ وَالْإِحْلَاصُ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنِّي قَدْ أَهْلَكَ وَحْدِيَ فِي الْبَرِّيَّةِ».

وَقَالَ هُولَديزُ فِي صَرَامَة: «لَا يَمْكُنُكَ الرَّجُوعُ. الْآنَ وَقَدْ سَرَتِ إِلَى هَذِهِ النَّقْطَةِ الْبَعِيْدَةِ، لَا بَدَ أَنْ تَمَثِّلَ أَمَامَ السِّيدِ وَالسَّيْدَةِ. سَوْفَ يَحْكُمُنَّهُمَا عَلَيْكَ، أَنْ يَمْسِكَا بِكَ أَوْ يَعْطِيَاكَ الْإِذْنَ، حَسْبًا يَكُونُ رَأِيهِمَا. لَا يَمْكُنُ أَنْ تَعْبُرَ الْأَنْهَارَ مَرَةً أُخْرَى، وَفِيمَا وَرَاءِكَ هُنَّاكَ الْآنَ حَرَاسُ سَرِيُونَ لَا يَمْكُنُكَ أَنْ تَمْرُ مِنْهُمْ. سَوْفَ تَذَبَّحُ قَبْلَ أَنْ تَرَاهُمْ». وَسَحَبَ جِيْمِلِيَ بَلْطَتِهِ مِنْ حَزَامِهِ، وَحَتَّى هُولَديزُ وَرَفِيقَاهُ أَقْوَاسِهِمُّ. وَهُنَّا قَالَ لِيْجُولَاسُ: «اللَّعْنَةُ عَلَى الْأَقْزَامِ وَعَلَى رِءُوسِهِمُ الْصَّلَدةُ الْعَنِيْدَةُ!».

وَقَالَ أَرَاجُورِنُ: «هِيَا! إِذَا كُنْتُ لَا أَزَالَ قَائِدًا لِلْمَجْمُوعَةِ، فَلَا بَدَ أَنْ تَفْعُلُوا مَا أَمْرَكُمْ بِهِ. مِنَ الصَّعِيبِ عَلَى الْقَزْمِ أَنْ يُعَزِّلَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ. سَوْفَ تَعْصِبُ أَعْيُنَكُمْ جَمِيعًا، حَتَّى لِيْجُولَاسُ. سَوْفَ يَكُونُ ذَلِكَ أَفْضَلُ شَيْءٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنْ ذَلِكَ سَيَجْعَلُ الرَّحْلَةَ بَطِيْئَةً وَكَثِيرَةً».

وَضَحَّاكَ جِيْمِلِيَ فَجَأًةً: «سَوْفَ نَبْدُو كَمَجْمُوعَةِ مَرْحَةِ مِنَ الْحَمْقِ! هَلْ سَيَقُودُنَا

هُولَدِيرْ جَمِيعاً بِحَبْلٍ، مَثْلُ كَثِيرٍ مِنَ الشَّحاذِينَ الْعَمِيَانِ وَمَعْهُمْ كَلْبٌ وَاحِدٌ؟ وَلَكِنِي سَأَكُونُ رَاضِيَاً، إِذَا شَارَكَنِي فِي الْعُمَى هُنَّ لِي جُوَلَاسَ فَقَطَّ».

وَقَالَ لِي جُوَلَاسَ، وَقَدْ أَصْبَحَ غَاضِبًا بِدُورِهِ: «إِنِّي جَنِي وَقَرِيبٌ لَهُمْ هُنَّا».

وَقَالَ أَرَاجُورِنْ: «وَالآنَ دَعُونَا نَصْبِحُ جَمِيعاً: «اللَّعْنَةُ عَلَى رَءُوسِ الْأَقْزَامِ الْمُصَلَّدةِ الْعَنِيدَةِ!».

«وَلَكِنَّ الْمَجْمُوعَةَ كُلُّهَا سَتَسَافِرُ مِثْلَ بَعْضِهَا. هِيَا، تَعَالَ اعْصَبُ أَعْيُنَنَا يَا هُولَدِيرْ!».

وَقَالَ جِيمِلِي وَقَدْ رَبَطُوا عَصَابَةَ حَوْلَ عَيْنِيهِ: «سَوْفَ أَطَالِبُ بِتَعْوِيَضَاتٍ كَامِلَةٍ عَنْ كُلِّ سَقْطَةٍ أَوْ إِصْبَعٍ قَدْمٍ يُبَتِّرُ، إِذَا لَمْ تَقْدِنَا جَيْدَاً».

فَقَالَ لَهُ هُولَدِيرْ: «لَنْ تَطَالِبْ بِأَيِّ شَيْءٍ. سَوْفَ أَقْوِدُكُمْ جَيْدَاً، كَمَا أَنَّ الْطَّرُقَ كُلُّهَا سَلِيسَةٌ وَمُسْتَقِيمَةٌ».

وَقَالَ لِي جُوَلَاسَ: «وَاحْسِرْتَاهُ عَلَى حِمَاقةِ هَذِهِ الْأَيَّامِ! الْجَمِيعُ هُنَّا أَعْدَاءُ لِلْعُدُوِّ الْأَوْحَدِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ أَمْشِي مَعْصُوبَ الْعَيْنَيْنِ، بَيْنَمَا الشَّمْسُ مَرَحَةٌ فِي أَرْضِ الْغَابَةِ تَحْتَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ الْذَّهَبِيَّةِ!».

وَقَالَ هُولَدِيرْ: «قَدْ يَبْدُو ذَلِكَ حِمَاقةً. إِنَّ قُوَّةَ مَلَكِ الظَّلَامِ - فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ - لَا تَظَهُرُ بِوَضْنُوحٍ أَكْثَرٌ مِنْهُ فِي الْقَطْبِيَّةِ وَالْجُفُوةِ الَّتِي تَفَرَّقُ جَمِيعُ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَزَالُونَ يَعْارِضُونَهُ، لَكِنَّا نَجَدُ الْكَثِيرَ جَدًّا مِنَ الْاِخْتِلَافِ وَالْاِغْتِرَابِ الْآنِ فِي الْعَالَمِ فِيمَا وَرَاءَ لُوَّثُورِينْ، إِلَّا فِي رِينَفِيدِيلْ - رِبَّما، لَدْرَجَةٍ أَنَّا لَا نَجِرُؤُ بِتَقْتِنَا نَحْنُ وَهَذَا أَنَّنَا نَعْرُضُ أَرْضَنَا لِلْخَطَرِ. إِنَّا نَعِيشُ الْآنَ فَوْقَ جَرِيرَةِ وَسْطِ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَخْطَارِ، وَأَيْدِنَا عَلَى أَوْتَارِ أَقْوَاسِنَا أَكْثَرُ مِنْهَا عَلَى الْقِبَّاثَارِ».

«لَقَدْ دَافَعْتُ الْأَنْهَارُ عَنَا زَمَنًا طَوِيلًا، لَكِنَّهَا لَمْ تَجِدْ حِمَايَةً أَكْبِيدَةً؛ لَأَنَّ الشَّيْخَ قَدْ زَحَفَ بِاتِّجَاهِ الشَّمَالِ مِنْ حَوْلَنَا جَمِيعًا. الْبَعْضُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الرِّحْيلِ، وَلَكِنَّهُ هَذَا الْأَمْرُ يَبْدُو قَدْ فَاتَ أَوْانَهُ بِالْفَعْلِ. الْجِيَالِيُّ إِلَى الْغَرْبِ تَزَدَّادُ شَرُّاً، إِلَى الْشَّرْقِ الْأَرَاضِيِّ قَاحِلَةٌ جَرَدَاءُ، وَمَلِيَّةٌ بِمَخْلُوقَاتِ سَاوِرَوْنَ؛ وَيُشَاعُ أَنَّا لَا نَسْتَطِعُ أَنْ نَمِرَ الْآنَ بِأَمْانٍ بِاتِّجَاهِ الْجَنُوبِ عَبْرَ رُوهَانَ، وَمَصَابَ النَّهَرِ الْعَظِيمِ يَرَاقِبُهَا الْعُدُوُّ. حَتَّى لَوْ أَسْتَطَعْنَا أَنْ نَصْلِي إِلَى شَوَاطِئِ الْبَحْرِ، فَإِنَّا لَنْ نَجِدُ أَيِّ مَأْوَى أَوْ مَلَازِمَ هَنَاكَ بَعْدِهِ. يُقَالُ إِنَّهُ لَا يَزَالُ هَنَاكَ مَلَازِمَ وَمَرَافِقَ لِلْجِنِّ الرَّاقِينَ، وَلَكِنَّهَا بَعِيدَةٌ جَدًّا فِي الشَّمَالِ وَالْغَرْبِ، فِيمَا وَرَاءَ أَرْضِ الْأَنْصَافِ. وَلَكِنَّ أَيْنَ يَمْكُنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ قَدْ يَعْرَفَانِ، لَسْتُ أَدْرِي».

فَقَالَ لَهُ مِيرِي: «يُنْبَغِي عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَى الْأَقْلَى أَنْ تَخْمِنَ؛ حَيْثُ إِنَّكَ قَدْ رَأَيْتَنَا. هَنَاكَ مَلَازِمَ وَمَرَافِقَ جَنِيَّةٍ إِلَى الْغَرْبِ مِنْ أَرْضِيِّ، الْمَقَاطِعَةِ، حَيْثُ يَسْكُنُ الْهَوَيْبِيَّيْنَ».

قال هولديز: «يا لسعادة الهوبتيين إذ يسكنون بالقرب من شطآن البحر! لقد مضى زمن طويل حقاً عن آخر مرة نظر أيٌّ من قومي عليها مجرد نظرة، لكننا لا نزال نذكرها في أغنية. أخبرني عن هذه الملاذات والمرافئ ونحن نمشي».

قال له ميري: «لا أستطيع. إنني لم أرها قطُّ. إنني لم أخرج من بلادي من قبل قطُّ. ولو كنت أعلم ما يخبيه القدر، فإنني لا أعتقد أنني كنت سأتجراً وأغادرها».

قال له هولديز: «ولا حتى لأن ترى لوتورين الجميلة؟ العالم مليء حقاً بالمخاطر، وفي الداخل هناك الكثير من الأماكن المظلمة؛ ولكن لا يزال هناك الكثير من الأشياء الجميلة، ورغم أن الحب في جميع البلدان الآن قد امتزج بالحزن، فإنه - على ما يحتمل - يكبر ليكون هو الأعظم».

«هناك بعض بيننا يغدون مرددين أن الشبح سوف يتراجع وينسحب، وسوف يأتي السلام مرة أخرى. بيد أنني لا أعتقد أن العالم من حولنا سوف يكون مرة أخرى على الإطلاق مثلما كان في الماضي، أو يعود ضوء الشمس مثلما كان في السابق؛ لأنه بالنسبة للجن - فيما أخشى - سوف يكون ذلك، على أفضل الأحوال، بمثابة هدنة، يستطيعون أن يمروا خلالها إلى البحر دون أن يعوقهم عائق ويتركوا الأرض الوسطى إلى الأبد. واحسراه على لوتورين التي أحبها! ستكون حياة سينة في أرض لم يتم فيها المالورن<sup>(١)</sup>. ولكن إذا كانت هناك أشجار المالورن فيما وراء البحر العظيم، فلم يتحدث عنها أحد قطُّ».

وبينما كانوا يتحدثون على هذا النحو، راحت المجموعة تتصطف في طايوز ببطء عبر الممرات في الغابة، يقودها هولديز، بينما كان الجن الآخر يسير بوزاءهم. كانوا يشعرون بالأرض تحت أقدامهم سلسة وناعمة، وبعد فترة قصيرة راحوا يمشون بحرية أكثر دون خوف من أي أذى أو سقوط. ولما كان فرودو قد حرم من الرؤية، فقد وجد أن سمعه وحواسه الأخرى زادت حدة. كان يشم الأشجار والحشائش التي يسيرون عليها. كان يسمع الكثير من النغمات في حفيظ أوراق الشجر فوق رءوسهم، النهر الذي يتدفق بعيداً على يمينه وله خرير جميل، وأصوات الطيور الحادة الواضحة في السماء. أحست بالشمس على وجهه وعلى يديه عندما مرروا عبر فرجة مكشوفة في الغابة.

وبمجرد أن وضع قدميه على الضفة البعيدة لنهر سيلفرلود، انتابه شعور غريب، وتعمق هذا الشعور وهو يسير إلى قلب لورين؛ بدا له أنه قد وضع قدميه على جسر من الزمن إلى ركن من الأيام الخوالي، وكان عندئذ يمشي في عالم لم يعد موجوداً. في ريفينديل، كانت هناك ذكرى الأشياء القديمة.. في لورين كانت الأشياء القديمة لا

Mallorn (١) – شجرة تشبه شجرة الزان [موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Mallorn>] [المترجم]

تزال تعيش في عالم اليقظة. كان الشر يُرى ويُسمع هناك، وكان الحزن معروفاً، كان الجن يخشون العالم الخارجي ولا يتّقون به، كانت الذئاب تعوي على حدود الغاية، لكن على أرض لُورِين لم يكن هناك من شر راقد.

وأصلت المجموعة سيرها هذا اليوم بطوله، إلى أن أحسوا بدخول المساء البارد، وسمعوا ريح الليل المبكرة وهي تهمس بين أوراق الشجر. بعد ذلك استراحتوا وناموا دون خوف على الأرض؛ لأن مرشدיהם لم يسمحوا لهم بإزالة العصابات من على أعينهم، ولم يستطيعوا تسلق الشجر. في الصباح، واصلوا سيرهم مجدداً، يمشون دون عجلة. عند الظهيرة، توّقفوا، وأدرك فرودو أنّهم قد عبروا خارجين تحت الشمس الساطعة. وفجأة سمع ضجيج الكثير من الأصوات في كل مكان حوله.

لقد جاءت جماعة من الجن تسير في صمت: كانوا يحثون الخطى باتجاه الحدود الشمالية ليقوموا بالحراسة والدفاع ضد أي هجوم من موريا، وجلبوا معهم أخباراً، نقل البعض منها هولديز. لقد هوجم الأوركيون الغزاة النهايون من كمين وقد دمروا تقريباً، وقد فر ما تبقى منهم نحو الجنوب باتجاه الجبال، وتجرى مطاردتهم. كما أنّهم رأوا مخلوقاً غريباً يجري وظهره منحنٍ ويداه قريبتان من الأرض، مثل حيوان ولكن شكله لم يكن شكل حيوان. وقد تملص من الأسر، ولم يقوموا برميه بأقواسهم، حيث لم يكونوا يعرفون إن كان صالح أم طالحاً، وقد اختلفى عبر نهر سيلفر لود باتجاه الجنوب.

وقال هولديز: «إضافة إلى ذلك، فإنّهم يجلبون لي رسالة من سيد وسيدة جلادهريم<sup>(1)</sup>. بإمكانهم جميعاً أن يمشوا بحرية، حتى القزم جيولي. يبدو أن السيدة تعرف كنه وماهية كل فرد من أفراد مجموعتكم. وربما تكون هناك رسائل جديدة أنت من ريفنديل». ورفع العصابات عن عيني جيولي، وقال وهو ينحني كثيراً: «أستريحك عذراً! لتنظر إلينا الآن بأعين صديقة! لتنظر ولتكن سعيداً؛ لأنك أول قزم يرى أشجار قلب لُورِين منذ أيام دورين!».

وعندما جاء الدور وكشفت عيناً فرودو، نظر لأعلى وحبس أنفاسه. لقد كانوا يقفون في أرض خالية مكسوّفة. إلى اليسار كانت تقف رابية عظيمة، مغطاة بمرجة من الأعشاب خضراء مثل خضرة الربيع في الأيام الخوالي. وفوق الرابية، نمت حلقتان من الأشجار - مثل تاج مزدوج، كان لحاء الحفة الخارجية أبيض بياض الثلج، وكانت بلا أوراق بيد

(1) Galadhrim – يطلق على جن الأحراج «الغابات» في لُورِين (Silvan Elves of Lórien) أيضًا اسم (Galadhrim)، وهو يعني حرفيًا: tree-folk – أي شعب/قوم الأشجار [موقع <http://en.wikipedia.org/wiki/Galadhrim> (المترجم)]

أنها كانت جميلة في انكشفها الجميل حسن الشكل.. أما الحلقة الداخلية فكانت من أشجار المالورن عظيمة الطول، ولا تزال مكسوة بلون ذهبي باهت. وهناك عالياً، بين فروع شجرة سامقة، كانت تقف في وسط كل هذه الأشجار، كانت هناك منصة بيضاء. وعند قواعد الأشجار، وحول جوانب التل كلها، كان العشب مزداناً بزهور ذهبية صغيرة لها أشكال النجوم. وكانت هناك زهور أخرى بينها تتمايل مهتزة وكأنها تنعس على سويقات رفيعة - كانت بيضاء وخضراء باهته بأكثر درجة من البهتان، كانت تتوجه مثل السديم وسط شكل ولون الحشائش الغني المفعم. وكانت السماء كلها فوقهم زرقاء، وكانت شمس ما بعد الظهر تتجه فوق التل وتلقي بطلال خضراء طويلة أسفل الأشجار.

وقال هولديز: «انظروا! لقد وصلتم إلى سيرين أمرؤث؛ لأن ذلك هو قلب المملكة القديمة كما كانت منذ زمن بعيد، وهذه هي رابية أمرؤث؛ حيث كان بيته قد بني في الأيام الأكثر سعادة عالياً مرتفعاً. هنا تزهر دائماً أزهار الشتاء بين الحشائش التي لا تذبل؛ زهرة إلانور<sup>(1)</sup> الصفراء، وزهرة نيفرديل<sup>(2)</sup> الباهته. سوف نبقى هنا لبعض الوقت، ونصل إلى مدينة جلدهريم مع الغسق».

وألقى الآخرون بأنفسهم على الأعشاب زكية الرائحة، ولكن فرودو وقف لبعض الوقت وهو لا يزال ذاهلاً. كان يبدو له أنه قد عبر من نافذة عالية كانت تطل على عالم متلاش. كان هناك ضوء فوقها لم يكن له مسمى في لغته. كان كل ما رأه جميلاً حسن الشكل، ولكن الأشكال بدت في الحال واضحة محددة المعالم، كما لو كانت قد صورت ورسمت لأول مرة عندما أزيلت العصابة عن عينيه، وكانت قديمة كما لو كانت قد تحملت وعانت منذ القدم. لم ير أي لون سوى تلك الألوان التي كان يعرفها، ذهبي وأبيض وأزرق وأخضر، لكنها كانت ألواناً شديدة النمرة، كما لو كان قد أدركها في تلك اللحظة لأول مرة وأعطتها أسماء جديدة ورائعة. في الشتاء هنا، لا يحزن أي قلب على الصيف أو على الربيع. ليس هناك من شائبة أو علة أو عيب يمكن أن يرى في أي شيء كان يعمو فوق الأرض. على أرض لورين، لم يكن هناك أي شائبة أو عيب.

واستدار، وأدرك أن سام كان الآن يقف إلى جواره، ينظر حوله، وعلى وجهه تعبر المرتبك، ويفرك عينيه كما لو لم يكن متأكداً إن كان مستيقظاً، وقال: «إنه ضوء الشمس، ونهار ساطع، صحيح بالشكل الكافي. كنت أعتقد أن الجن للقمر والنجوم

(1) - زهرة صفراء لها شكل النجمة، واسمها يعني (sun-star): أي نجمة الشمس. [موقع wikipedia.org/wiki/Elanor (المترجم)]

(2) - زهرة بيضاء، اسمها يعني (the star of the earth): أي نجمة الأرض. [موقع wikipedia.org/wiki/Niphredil (المترجم)]

فقط؛ ولكن ذلك جنى أكثر من أي شيء سمعته يُحكى عنه. أشعر كما لو كنتُ داخل أغنية، إذا كنتَ تدرك ما أرمي إليه».

نظر هولديز إليهما، وبدا حقيقةً أنه يستوعب المعنى المقصود شكلاً ومضموناً. وتسم، وقال: «إنكما تحسان بقوة سيدة جلدهيم. هل يسركما أن تصعدا مع سيرين أمرؤث؟».

وبعاه وهو يسير بخفة عبر المنحدرات المكسوة بالأعشاب. على الرغم من أن فرودو كان يمشي ويتنفس، وكانت الأوراق والزهور الحية تتحرك من حوله بفعل نفس الريح الباردة التي تقع على وجهه، فإنه أحسن أنه كان في أرض لا يليها كر الأيام التي لم تتلاش أو تتغير أو تدخل في طي النسيان. وعندما يكون فرودو قد ذهب وعبر مرة أخرى إلى العالم الخارجي، فإن فرودو الجوال من المقاطعة سيكون لا يزال يمشي هناك، فوق الأعشاب بين زهور الإنور ونيرديل في لوثررين الجميلة.

ودخلوا دائرة الأشجار البيضاء. وبينما كانوا يفعلون ذلك، راحت ريح الجنوب تهب على سيرين أمرؤث وتنتهد بين فروع الشجر. وقف فرودو ساكناً، يسمع البحار البعيدة العظيمة فوق الشطآن التي جرفت منذ زمن بعيد، ويسمع صياح الطيور البحرية التي انقرضت أجناسها من على الأرض.

وأصل هولديز سيره، وكان عندئذ يصعد إلى المنصة العالية. وبينما كان فرودو يستعد ليتبعه، وضع يده فوق الشجرة التي تقف إلى جوار السلم، لم يدرك من قبل قط - وبهذه الفجاعة الشديدة ويمثل تلك الحدة الكبيرة - ملمس وتسيج قشرة الشجرة، والحياة التي بداخليها. أحس ببهجة في الخشب، وفي ملمسه، ليست بهجة بستانى أو نجار؛ كانت بهة الشجرة الحية نفسها.

وبينما كان يرقى أخيراً فوق المنصة العالية، أخذ هولديز يده ولفه نحو الجنوب، وقال له: «انتظر في هذا الاتجاه أولاً!».

ونظر فرودو ورأى، وهو لا يزال على بعد مسافة ما، تلأّ لكتير من الأشجار العظيمة، أو مدينة من أبراج خضراء، كانت شيئاً لم يكن بإمكانه أن يعرفه أو يخبر به. وبدأ له أن ما يأتي منها من قوة وضوء يجعل الأرض تتأرجح وتنمايل. وناق فجأة لأن يطير مثل طائر ليستريح في المدينة الخضراء. بعد ذلك نظر باتجاه الشرق، ورأى كل أرض لورين تجري لأسفل إلى الوجه الباهت لأندوين؛ النهر العظيم. ورفع عينيه عبر النهر، وانطفأ كل الضوء، وعاد مرة أخرى إلى العالم الذي يعرفه. فيما هرأت النهر، ظهرت الأرض مسطحة وخالية، ولا شكل لها، مبهمة، حتى ارتفعت مرة أخرى من مسافة بعيدة مثل جدار، مظلم، موحش. الشمس التي كانت تطلع على لوثررين لم يكن بها أي قوة لتضيء ظل ذلك المرتفع البعيد.

وقال هولدير: «هناك يرقد معقل الغابة المظلمة الجنوبية. إنها مكشوفة بغابة من أشجار التُّنوب السوداء، حيث تناضل الأشجار ضد بعضها البعض وفروعها متعرجة وذابلة. في الوسط فوق مرتفع صخري كانت تقف دول جلدور؛ المكان الذي اتخذه العدو الخفي مسكنًا له لزمن طويل. إننا نخشى أن تكون قد سُكنت مرة أخرى الآن، وبقاؤه قدرها سبعة أضعاف. هناك سحابة سوداء راحت ترقد – في الغالب – فوقها أخيراً. في هذا المكان المرتفع يمكنك أن ترى البرجين اللذين يقابل كل منهما الآخر، وهما يناظران دائمًا في الفكر الآن، ولكن في حين أن الضوء يدرك قلب الظلمة نفسها، إلا أن سره لم يكتشف. ليس بعد». والتفت ونزل سريعاً، وتبعه الاثنان.

عند سفح التل، وجد فرودو أراجورن يقف ساكناً صامتاً مثل شجرة، لكن كانت في يده زهرة صغيرة ذهبية من أزهار الإنور، وكانت عيناه تلمعان. كانت تغلفه ذكرى معينة جميلة: وعندما نظر فرودو إليه، أدرك أنه رأى الأشياء كما كانت من قبل في ذلك المكان عينه؛ لأن السنوات المتجمدة قد أزيلت عن وجه أراجورن، وكان يبدو مرتدياً لباساً أبيض؛ سيد شاب طويل وجميل وكان يتحدث بكلمات بلغة الجن مع شخص لم يكن فرودو يراه، وبعد ذلك أخذ نفساً، ولما عاد مستيقناً من أفكاره نظر إلى فرودو وابتسم، وقال:

«هذا قلب مملكة الجن على الأرض، وهذا يسكن قلبي إلى الأبد، ما لم يكن هناك ضوء وراء الطرق المظلمة التي لا يزال علينا أن نسير فيها، أنا وأنت. تعال معي!» وأخذ يد فرودو في يده، وترك تل سيرين أمرؤث، ولم يذهب قط إلى هناك مرة أخرى كرجل حي.

## الفصل السابعة

### مرأة جَلْدِرِيل

كانت الشمس تغرب مخفية وراء الجبال، وكانت الظلال تزداد عمّا في الغابة، عندما واصلوا سيرهم مجدداً. ذهبت بهم طرقهم الآن إلى أجمات كان الغسق قد تجمع فيها بالفعل. وجاء الليل تحت الأشجار بينما هم يمشون، وكشف الجن عن مصابيحهم الفضية.

وفجأة، خرجن إلى الأرض المكشوفة مرة أخرى ووجدوا أنفسهم تحت سماء السماء الباهنة وقد تناول فيها عدد قليل من النجوم المبكرة. كانت هناك مساحة فضاء لا شجر فيها أمامهم، تجري في دائرة عظيمة وتتحفي بعيداً على كلا الجانبين. وفيما وراءها كانت هناك قناة عميقة ضاعت في الظل الخافت الضعيف، ولكن كانت الحشائش على ضفتها خضراء، كما لو كانت لا تزال تتوجه في ذكرى الشمس التي ولت غاربة. على الجانب البعيد، كان هناك جدار ارتفاعه عظيم يحيط بكل هائل تحيط بهأشجار من المالورن كانت أكثر طولاً من أي أشجار وقعت عليها أعينهم حتى الآن في كل الأرض. لم يكن بالإمكان تخمين طول هذه الأشجار، لكنها كانت تفت في ضوء الشفق مثل أبراج حية. كانت هناك أضواء لا حصر لها تتوجه في فروعها عديدة الطبقات وبين أوراقها التي كانت لا تكف عن الحركة، أضواء خضراء وذهبية وفضية. والتفت هولديز إلى الصحبة وقال:

«مرحباً بكم في كاراس جَلْدُهُون! ها هي مدينة جَلْدِهِريم حيث يسكن السيد سلُبورن والستة جَلْدِرِيل سيدة لُورِين. ولكن لا يمكننا أن ندخل هنا؛ لأن الأبواب لا تطل نحو الشمال. لا بد أن نلف إلى الجانب الجنوبي، والطريق ليس قصيراً؛ لأن المدينة كبيرة».

كان هناك طريق مرصوف بحجارة بيضاء يسير على الحافة الخارجية للقناة. ومشوا عبره باتجاه الغرب، والمدينة تصعد باطراد لأعلى مثل سحابة خضراء على يسارهم.. وبينما راح الليل يزداد توغلاً، طلع المزيد من الأنوار، إلى أن بدا التل بأنه يحترق بالنجوم. وأخيراً وصلوا إلى جسر أبيض، ولما عبروا وجدوا البوابات العظيمة للمدينة؛ كانت تواجه الجنوب الغربي، وقائمة بين نهايتي الجدار الذي يحيط بها والذي يتداخل هنا، كانت البوابات طويلة وقوية، وكان معلقاً عليها مصابيح كثيرة.

وطرق هولديز على البوابة، وتحدث، وفتحت الأبواب بلا صوت، لكن فرودو لم ير أي علامة على الحراس. وولج المسافرون إلى الداخل، وأغلقت الأبواب

وراءهم. كانوا في ممر ضيق بين نهايتي الجدار، ولما مرروا سريعاً عبره دخلوا مدينة الأشجار. لم يروا أي أحد، ولم يسمع أي وقع لأقدام على الطرقات، لكن كانت هناك أصوات كثيرة حولهم، وفي الهواء فوقهم. ومن بعيد على التل، سمعوا غناء يأتي من مكان عال مثل مطر رقيق يسقط فوق أوراق الشجر.

ومروا عبر طرقات كثيرة، وصعدوا سلالم كثيرة، إلى أن وصلوا إلى الأماكن العالية، ورأوا أمامهم وسط مرجة واسعة فسيحة متوجة. كانت تضئها مصابيح فضية متدرلة من أغصان الشجر، وكانت تسقط في حوض من الفضة، كان يتجمس منه نبع أبيض. وعلى الجانب الجنوبي من المرجة تقف شجرة هي أعظم الأشجار جميراً؛ كان جذعها الهائل الأملس يتوجّه مثل حرير رمادي، وراحت تعلو وتترفع، إلى أن فتحت أول فروعها، هناك عالياً جداً، أطراها الضخمة تحت سحب ظليلة من الأوراق. وإلى جوارها، يقف سلم أبيض عريض، وكان يجلس عند قاعدته ثلاثة من الجن. هبوا واقفين عندما اقترب المسافرون، ورأى فرودو أنهم كانوا طوالاً ويرتدون دروعاً رمادية، وكانت هناك معاطف طويلة بيضاء مدلاة من على أكتافهم.

وقال هولديز: «هنا يسكن سلبورن وجذريل. وإنما يرغبان في أن تنزلوا وتحذّلوا معهما».

بعد ذلك، عزف أحد الحراس من الجن لحناً واضحاً على بوق صغير، ورد عليه آخر ثلاث مرات من بعيد فوقهم. وقال هولديز: «سوف أذهب أنا أولاً. ليأتي فرودو بعدي، ومعه ليجولاس. يستطيع الآخرون أن يأتوا بالترتيب الذي يريدونه. إنها رحلة صعود طويلة بالنسبة لأولئك الذين ليسوا معتادين مثل هذه السلالم، ولكن يمكنكم أن تنالووا قسطاً من الراحة على السلالم.

وبينما كان فرودو يتسلق السلالم ببطء، مر عبر منصات خشبية كثيرة؛ كان بعضها على جانب واحد، وبعضها على الجانب الآخر، وكان بعضها موضوعاً حول جذع الشجرة، حتى يمر السلم بينها. وعلى ارتفاع عظيم فوق الأرض، وصل إلى منصة خشبية (تالان)، مثل ظهر سفينة عظيمة. وكان مبنينا فوقها منزل، كان كبيراً للغاية لدرجة أنه كان يصلح ليكون بهؤا يسع عدداً هائلاً من الإنس على الأرض. ودخل وراء هولديز، ووجد أنه كان في غرفة لها شكل بيضاوي، وفي وسطها كان مزروعاً جذع شجرة المالورن العظيمة، وقد راح يستدق الآن باتجاه قمتها، ومع ذلك فكان لا يزال يصنع عموداً ضخماً الحجم.

كانت الغرفة ممتدة بضوء رقيق؛ كانت جدرانها خضراء وفضية وكان سقفها من الذهب. كان الكثير من الجن يجلسون هناك. وعلى مقعدين أسفل جذع الشجرة العظيمة

مظاليين بغضن حي كان يجلس، جنباً إلى جنب، سليورن وجلدريل. وقف الاثنين تحية لضيوفهما، على عادة الجن، حتى أولئك الذين كانوا يعتبرون ملوكاً عظاماً. كانوا طويلين جداً، ولم تكن السيدة أقل طولاً من السيد؛ وكانا جادين رزينين وجميلين. كانوا مرتدبين لباساً أبيض، وكان شعر السيدة ذهبي اللون داكناً، وكان شعر السيد سليورن فضياً طويلاً ولا معاً، ولكن لم تكن تظهر عليهما أي علامة على تقدم العمر، إلا ما كان من ذلك في أعماق أعينهما؛ لأنها كانت حادة مثل رماح في ضوء النجوم، بيد أنها كانت أكثر عمقاً، أعماق الذكريات العميقية.

وقاد فرودو هولديير أمامهما، ورحب به السيد بلغته. لم تنطق السيدة جلدريل بكلمة واحدة، لكنها نظرت طويلاً إلى وجهه.

وقال سليورن: «اجلس الآن إلى جوار مقعدي يا فرودو القادر من المقاطعة! عندما يصل الجميع سوف تتحدث معاً».

وحيا كل واحد من الصحبة في حفاوة باسمه وهم يدخلون. وقال: «مرحبا بك يا أراجورن بن أراثورن! لقد مضى ثمانية وثلاثون عاماً من العالم الخارجي منذ أن جئت إلى هذه الأرض.. وهذه السنون الطوال ترهقك بشدة. ولكن النهاية قريبة، سواء كانت جيدة أم سيئة. لتضع حملك هنا جانباً لفترة قصيرة!».

«مرحبا بك يا ابن ثراندوبل! نادرًا جداً ما يرتحل أهل عشيرتي إلى هنا من الشمال».

«مرحبا بك يا جيملي بن جولين! مضى زمن طويل حقاً منذ أن رأينا واحداً من قوم دورين في كاراس جلدهون. ولكننا اليوم كسرنا قانوننا الطويل. لعل ذلك يكون علامة على أنه على الرغم من أن العالم حالياً مظلم شرير فإن هناك أياماً أفضل قادمة، وإن الصدقة ستتجدد بين شعبينا». وانحنى جيملي تحية.

وعندما جلس جميع الضيوف أمام مقعده، نظر السيد إليهم مرة أخرى، وقال: «هنا يوجد ثمانية. كان من المفترض أن يكون الحضور تسعة - هكذا قالت الرسائل. ولكن ربما كان هناك تغيير في الخطة لم نسمع عنه. إلرون بعید عننا جداً، والظلمة تجتمع فيما بيننا، وطوال هذا العام كله تناست الظلالة وصارت أكثر طولاً».

«كلا، لم يكن هناك أي تغيير في الخطة»، قالت السيدة جلدريل، وهي تتحدث للمرة الأولى. كان صوتها صافياً وموسيقياً، لكنه كان أعمق من عادة النساء. «لقد خرج جندي الأشيب في الرحلة مع الصحبة، ولكنه لم يعبر حدود هذه البلاد. والآن أخبرنا أين هو؛ لأنني كنت أرغب كثيراً في الحديث معه مرة أخرى. لكنني لا أستطيع أن أراه من مسافة بعيدة، إلا إذا أتي في نطاق أسوار لوثورين؛ هناك سديم رمادي يحيط به، وطرق قدميه وعقله مخفي عنّي».

قال أراجورن: «واحسرناه! لقد سقط جندل الأشيب في الظل. لقد ظل في موريا ولم يهرب».

عند هذه الكلمات، صاح الجن كلهم الذين كانوا في البهو بصوت عال حزناً وأندهاشاً. وقال سيلبورن: «هذه أخبار شريرة، أكثرها الأخبار التي جرى الحديث بها شرّاً على الإطلاق هنا على مدى سنوات طويلة مليئة بالأعمال الخطيرة». والتفت إلى هولديز، وسأله بلسان جني: «لماذا لم يخبرني أحد بهذا الشأن من قبل؟».

قال ليجولاس: «لم نتحدث مع هولديز عن أعمالنا أو عن غرضنا. في بداية الأمر كنا متبعين مرهقين وكان الخطر وراءنا بالمرصاد، وبعد ذلك كنا قد نسينا حزتنا تقريباً لبعض الوقت، بينما كنا نمشي في سعادة وسرور في الطرق والمرات الجميلة في لورين».

قال فرودو: «ولكن حزتنا عظيم، وخسارتنا لا يمكننا إصلاحها أو تعويضها. كان جندل مرشدنا، وقد قادنا عبر موريا.. وعندما كان يبدو أن نجاتنا ضرب من المحال، فإنه أتقى، وسقط هو».

قال سيلبورن: «أخبرنا الآن الحكاية بالكامل!».

وعندئذ قص عليهم أراجورن كل ما حدث عند مرورهم على طريق كارادراس، وفي الأيام التي تلت ذلك، وتحدث عن بالين وعن كتابه، وعن المعركة التي نشببت في غرفة مازاريول، والنار، والجسر الضيق، وتسلل الرعب؛ وقال: «يبدو أن ذلك شرّ من العالم القديم، لم يحدث أن رأيت له مثيلاً قط. لقد كان ظلاً ولهاً مضطرباً، قوياً ومزرياً، على حد سواء».

وقال ليجولاس: «لقد كانت لعنة من لعنت مورجوث، إنها الأكثر فتكاً من بين لعنت وسم الجن، باستثناء اللعنة التي ترقد في برج الظلام».

وقال جيولي بصوت خفيض، وكان في عينيه خوف: «في حقيقة الأمر رأيت فوق الجسر ما يتنبأ أكثر أحلامنا شراً وظلمة، لقد رأيت لعنة دورين».

قال سيلبورن: «يا للحسنة! لقد خشينا لزمن طويل أن الرعب ينام تحت كارادراس. ولكن لو كنت قد عرفت أن الأقزام قد حرکوا هذا الشر في موريا مرة أخرى، لكنت منعك من المرور عبر الحدود الشمالية، أنت وجميع من كان يذهب معك. ولو كان بالإمكان، كنت سأقول إن جندل تدنى - أخيراً - من الحكمة إلى الحماقة، حيث ذهب دونما حاجة إلى شبكة موريا».

وقالت جلدريل في جد: «سيكون طائشاً ومتهوراً من يقول بذلك الشيء. لم يكن أي عمل من أعمال جندل طوال حياته دونما حاجة إليه. أولئك الذين كانوا يتبعونه، لم يكونوا يعرفون عقله، ولا يمكنهم أن ينقلوا لنا غرضه بالكامل. ولكن - مهما كان الأمر -

قد يكون الأمر في يد المرشد، ليس على التابعين لوم. لا تندم على استقبالك للقزم. لو أن قومنا كانوا قد نفوا منذ زمن طويل وكانوا بعيدين جداً عن لوثورين، من من جلديريم، حتى سلبوزن الحكيم، فسوف يمر ليلاً ولا يتنى أن يلقي نظرة على موطنه القديم، حتى ولو أصبح سكاناً للتنانين!».

«ظلمة شريرة هي مياه خيليد زaram، وباردة ينابيع كيبيلانا، وجميلة كانت أبهاء خزاد دوم ذات الأعمدة الكثيرة في الأيام الخوالي، قبل سقوط الملوك العظام تحت الصخر». ونظرت إلى جيولي الذي كان يجلس مدققاً في اندهاش وحزيناً، وابتسمت. ونظر القزم - حيث سمع الأسماء تُقال بلسانه القديم - إلى أعلى وقابلت عيناه عينيها، وبذا له أنه نظر فجأة إلى قلب عدو ورأى فيه الحب والتفاهم. وظهر العجب والدهشة على وجهه، وبعد ذلك ابتسم رداً على ابتسامتها.

ونهض بطريقة خرقاء وانحنى بطريقة الأقزام قائلاً: «ولكن أرض ثورين الحية أكثر جمالاً، والسيدة جلديريل فوق كل الجوادر التي ترقد أسفل الأرض!».

وساد صمت. وأخيراً واصل سلبوزن الكلام مرة أخرى قائلاً: «لم أكن أعرف أن محنتكم كانت بهذا القدر من الشر. ليس جيولي كلماتي الفظة. لئلا تحدثت من وجع قلبي. سوف أفعل كل ما بإمكانى لأساعدكم، كل حسب رغبته وحاجته، ولكن على وجه الخصوص ذلك الشخص من القوم الصغار الذي يحمل الحمل<sup>(١)</sup>».

وقالت جلديريل وهي تنظر إلى فرودو: «مهما تكلمت معرفة لنا. لكننا لن نتحدث عنها هنا بشكل أكثر صراحة. ولكنها لن تكون دون جدوى - ربما - إنك أتيت إلى هذه الأرض تطلب العون، كما كان جنديف نفسه يعتزم ذلك بكل وضوح؛ نظراً لأن سيد جلديريم معروف عنه أنه أحكم جن الأرض الوسطى، والمعطى هدايا وهبات تفوق قدرة الملوك. لقد سكن في الغرب منذ أيام الفجر، وقد سكنت أنا معه لسنوات لا حصر لها؛ لأنه قبل سقوط نارجوثروند أو جوندولين مررت فوق الجبال، وقاومنا معاً عبر أحيا من العالم المهزيمة الطويلة.

«لقد كنت أنا أول من دعا إلى انعقاد المجلس الأبيض. وإذا لم تسر خططي على نحو خاطئ، فإنه كان سيحكمه جنديف الأسيب، وفي هذه الحالة ربما كانت الأشياء قد سارت إلى غير ذلك. ولكن حتى الآن لا يزال هناك أمل. لن أقدم لكم المشورة، وأقول لكم أ فعلوا هذا، أو أ فعلوا ذلك؛ لأن ما أفيد أنا فيه ليس في الفعل أو رسم الخطط،

(١) عندما يرد ذكر كلمة الجبل، فالإشارة إلى الخاتم، وعندما يرد ذكر كلمة الحامل، فالإشارة إلى فرودو - حامل الخاتم (المترجم)

ولا في الاختيار بين هذا النهج ونهج آخر.. ولكن فقط في معرفة ما كان وما هو كائن، وجزئياً أيضاً ما سيكون، ولكنني سأقول هذا لكم: إن مهمتكم تقف على نصل سكين. إن أنتم ضللتم قليلاً، فسوف تفشلوا، الأمر الذي سيدمر الجميع. ولكن الأمل يظل قائماً ما دامت المجموعة كلها مخلصة صادقة».

وبهذه الكلمة، فإنها أحاطت بهم عينيها، وفي صمت نظرت في إمعان وتدقيق إلى كل منهم بدوره. لم يتحمل نظرتها الحادة أحد منهم سوى ليجولاس وأراجورن. أحمر وجه سام سريعاً وأحنى رأسه.

وأخيراً حررتهم السيدة جلدريل من عينيها، وابتسمت، وقالت: «لا يصرين قلوبكم القلق. ستذمرون الليلة في طمأنينة وسلام». بعد ذلك تنهدت وشعرت بالإبراهق فجأة، مثل أولئك الذين استجوبوا كثيراً، على الرغم من أنه لم ينطق أحد بكلمة صراحة.

وقال سلبيون: «اذهبو الآن! لقد أنهكم الحزن والجهد الكثير. حتى لو لم تكن مهمتكم تهمنا كثيراً بشكل وثيق، فلا بد أن تجدوا ملائداً لكم في هذه المدينة، حتى تشفوا وتتنعشوا. والآن سستريحون، ولن نتحدث عن طريقكم الآخر لبعض الوقت».

نام أفراد الصحبة في تلك الليلة على الأرض، الأمر الذي أرضى الهوبيتين كثيراً. نشر الجن لهم سرادقاً بين الأشجار بالقرب من الفسقية، ووضعوا فيه أرائك طرية؛ بعد ذلك وبعد أن تحدثوا معهم بكلمات تبعث على الطمأنينة بلسان جن جمبل، تركوهن ينامون. تحدث المسافرون لقليل من الوقت عن ليالיהם الماضية فوق قمم الأشجار، وعن رحلتهم في النهار، وعن السيد والسفيرة؛ لأنهم ليست لديهم الجرأة بعد أن ينظروا للوراء إلى أكثر من ذلك.

وسأل بيبين سام قائلاً: «لماذا أحمر وجهك خجلاً يا سام؟ وسريعاً طأطأت رأسك. أي واحد كان سيعتقد أن ضميرك مذنب. أتمنى ألا يكون هناك في الأمر أكثر من مكيدة ماكرة لسرقة واحدة من بطانياتي».

فأجابه سام، وهو في حالة مزاجية ليس فيها مزاح، قائلاً: «لم أفكر مطلقاً في شيء من هذا القبيل. إذا كنت تrepid أن تعلم، شعرت كما لو كنت غير مررت بأي ثياب على، ولم أحب ذلك. كان يبدو أنها تنظر بداخلي، وتسألني ماذا كنت سأفعل لو أنها أعطتني الفرصة لأطير عائداً إلى دياري في المقاطعة إلى فجوة صغيرة لطيفة بها - بها حديقة صغيرة خاصة بي».

فقال ميري: «هذا غريب. إنه بالضبط ما شعرت أنا به تماماً؛ فقط، فقط، حسناً، لا أظن أنتي سأقول أكثر من ذلك»، وأنهي كلامه بصوت خافت.  
يبدو أنهم جميعاً قد حدث لهم نفس الشيء؛ أحس كل واحد منهم أنه قد عرض عليه

ال الخيار ما بين ظلمة مليئة بالخوف تنتظره أمامه، وشيء كان يرعب فيه بشدة، كان يرقد واضحاً أمام عينيه، وللحصول عليه، كل ما كان عليه أن يفعله هو أن يدور جانباً من الطريق ويترك المهمة وال الحرب ضد ساوروں للأخرين.

وقال جيملي: «وبدا لي أيضاً أن خياري سيظل سراً ولا يعرفه سوى أنا».

وقال بورومير: «بذا الأمر لي غريباً متهماً الغرابة. ربما لم يكن ذلك سوى اختبار، وقد ظنلت أنها تقرأ أفكارنا لغرض جيد خاص بها هي، لكنني أكاد أقول إنها كانت تغوياناً، وتعرض ما كانت تظاهر أنه هو القوة التي تعطيها. وليس هناك من حاجة تدعو إلى القول إنتي رفضت الاستماع. إنما ميناس تيريث صادقون ملتزمون بكلمتهماً». ولكن بورومير لم يخبر أحداً بما ظن أن السيدة قد عرضته عليه.

أما بالنسبة لفرودو فإنه لم يتكلم، على الرغم من أن بورومير ضغط عليه بالأسئلة، وقال: «لقد ركزت عليك طويلاً محدقة إليك يا حامل الخاتم».

قال فرودو: «نعم، ولكن أيّاً ما كان ما جال بخاطري وقتها، فإنني سأحتفظ به لنفسي».

قال بورومير: «حسناً، عليك بتوكّي الحذر! إنتي لا أحس بأنني واثق جداً في هذه السيدة الجنية وفي نواباتها».

قال له أراجورن محتداً: «لا تتحدث بالغش عن السيدة جلبريل! إنك لا تدرك ما تقول. ليس هناك من شر فيها، ولا في هذه الأرض، إلا إذا جلب رجل بنفسه إلى هنا. عذّذ قليلاً! لكنني سأناه الليلة بلا خوف لأول مرة منذ أن غادرت ريفنديل. ولعلي أنا نوماً عميقاً، وأنسى لبعض الوقت أحزانني! إنتي مرهق في جسدي وفي قلبي». وألقى بنفسه على أريكته وفي الحال راح في نوم طويل عميق.

وسريعاً فعل الآخرون نفس الشيء، ولم يزعج نومهم صوت أو حلم. وعندما استيقظوا وجدوا ضوء النهار ساطعاً يملأ المرجة أمام السرادق، وراح الفسقية ترتفع وتتحفظ متوجهة في الشمس.

وظلوا بضعة أيام في لوثرلين، طويلاً قدر ما يمكنهم أن يخبروا أو يتذكروا. وفي الوقت الذي أقاموا فيه هناك، كانت الشمس تشرق صافية، باستثناء مطر خفيف كان يسقط في بعض الأوقات، ويمضي بعيداً تاركاً كل الأشياء ناضرة ونظيفة. كان الهواء بارداً ومريناً معتدلاً، كما لو كان الوقت في بدايات الربيع، لكنهم كانوا يحسون حولهم بهدوء الشتاء العميق الذي يدفع إلى الاستغراق في التفكير. بدا لهم أنهم لم يقلعوا سوى القليل بجانب الأكل والشرب والراحة، والمشي بين الأشجار - وكان ذلك كافياً.

لم يروا السيد ولا السيدة مرة أخرى، ولم يتحدثوا إلا قليلاً مع عشيرة الجن؛ لأن القليلين من هؤلاء كانوا يعرفون، أو يرغبون في استخدام، اللسان الغربي. ودعمهم هولدير ومضى عائداً مرة أخرى إلى أسوار الشمال؛ حيث كانت هناك حراسة شديدة منذ وصول أخبار موريا التي جلبتها المجموعة معها. كان ليجولاس بعيداً كثيراً من الوقت بين سكان جَلْدَهِرِيم، وبعد الليلة الأولى لم يتم مع الرفاق الآخرين، على الرغم من أنه كان يعود ليأكل ويتحدث معهم. كان غالباً ما يأخذ جي ملي معه عندما كان يذهب للخارج في الأرض، وكان الآخرون يعجبون من هذا التغيير.

والآن، كلما جلس الرفاق أو مشوا معاً، كانوا يتحدثون عن جَنْدَلْف، وكل شيء كان كل واحد منهم قد عرفه عنه أو رأه جاء واضحاً وصافياً أمام عقولهم. ولما كانوا قد تعافوا من الأذى ومن إرهاق وإعياء الجسد، فإن الحزن على فقدم قد زاد حدة. غالباً ما كانوا يسمعون أصوات جنية تغنى، ويعلمون أنهم كانوا يغنون أغاني رثاء لسقوطه؛ لأنهم عثروا على اسمه بين الكلمات الطوحة الحزينة التي لم يكونوا يفهمونها.

وكان الجن يغنوون ميثراندير، ميثراندير، يا أيها الحاج الأشيب<sup>(١)</sup>؛ لأنهم كانوا يحبون أن يطلقوا عليه هذا الاسم. ولكن إذا كان ليجولاس مع الصحبة، فإنه لم يكن ليترجم الأغانيات لهم، قائلًا إنه لم يكن لديه المهارة لذلك، وإن الحزن بالنسبة له كان لا يزال قريباً للغاية، أمر يدعوه للبكاء وليس للغناء بعد.

لقد كان فرودو هو أول من وضع بعضاً من حزنه في كلمات أغنية متجلة. كان نادراً ما يتأثر ويصوغ أغنية أو قصيدة؛ حتى في ريفنديل، كان ينصت ولم يكن يعني هو نفسه، على الرغم من أن ذاكرته كانت مليئة بأشياء كثيرة فعلها الآخرون أمامه. ولكن الآن بينما كان يجلس إلى جوار الفسقية في لورين، ويسمع من حوله أصوات الجن، فإن أفكاره تجسدت في أغنية بدت جميلة له، ولكنه عندما حاول أن يعيدها على سام لم يتنق منها سوى شذرات، لقد تلاشت مثل حفنة من أوراق ذابلة.

عندما كان المساء مظلماً في المقاطعة  
كان وقع أقدامه على التل يسمع؛  
قبل الفجر رحل  
في رحلة طولية دون أن يقول كلمة.

من أرض التيه إلى الشط الغربي،

من أرض الخراب الشمالي إلى التل الجنوبي  
عبر عرين التنين والباب الخفي  
والغابة المظلمة مشى بعزم.

مع قزم وهو بيته، وجن وإنس،  
مع قوم فانين وخالفين،  
مع طيور على الغصن وحيوانات في الحجر،  
تحدث معهم بالستهم المصرية.

سيف قاتل، ويد شافية،  
ظهر انحنى تحت حمله،  
صوت بوق، وجمرة محترقة،  
حاج متعب على الطريق.

جلس متوجاً سيداً للحكمة،  
سريع الغضب، سريع الضحك،  
رجل عجوز بقبعة بالية  
يتوكأ على عصا ذات شوك.

وقف على الجسر وحده  
وتحدى النار وتحدى الشبح؛  
كسرت عصاه على الحجر،  
في خزأة دوم مانت حكمته.

وقال سام: «لم لا، سوف تتفوق على السيد بيليو بعد ذلك!».  
قال فرودو: «كلا، لن يكون ذلك. ولكن هذا أفضل ما يمكنني أن أفعله حتى  
الآن».

قال سام: «حسناً، يا سيد فرودو، إذا كانت لديك محاولة أخرى، أتمنى أن تذكر  
 شيئاً عن ألعابه الناريه؛ شيئاً من هذا القبيل:

أفضلُ الصواريْخ التي رآها أحد:  
 انفجرت في صورة نجوم زرقاء و خضراء،  
 أو بعد أبراج ذهبية من رعد  
 جاءت تسقط مثل مطر من زهور.

على الرغم من أن ذلك لا يوفيها حقاً تماماً».

«كلا، سوف أترك ذلك لك يا سام. أو ربما لبيليو. ولكن - حسناً، لا يمكنني أن أتحدث عن الأمر أكثر من ذلك. لا يمكنني أن أحتمل التفكير في نقل الخبر إليه». ذات مساء، كان فرودو وسام يمشيان معاً في الشفق البارد. حيث شعر كل منهما بالقلق مرة أخرى. وحل على فرودو فجأة ظل الرحيل: عرف بحال من الأحوال أن الوقت كان قريباً جداً عندما يتوجب عليه ترك لوثرلين؛ وقال:

«ما رأيك في الجن الآن، يا سام؟ سألك نفس السؤال ذات مرة من قبل - يبدو أن ذلك كان منذ فترة طويلة؛ ولكنك رأيت الكثير منهم منذ ذلك الحين».

قال له سام: «لقد رأيت الكثير فعلًا. وأظن أنه هناك جن وجن. كلهم جنيون بالشكل الكافي، ولكن ليسوا كلهم سواء. في هذه الحالة الحالية، هؤلاء الجن ليسوا جوالين أو متشردين، ويبدون أكثر قريباً لأمثالنا: يبدو أنهم ملائمون هنا، بل وأكثر من الهوبيتين في المقاطعة. سواء كانوا هم الذين صنعوا البلاد، أو البلاد هي التي صنعتهم، من الصعب أن نجزم بذلك، إذا كنت تفهم ما أقول وأرمي إليه. الدنيا هادئة بشكل رائع هنا. ليس من شيء يبدو أنه يمضي أو يسير، ولا يبدو أن أي شخص يريد أي شيء أن يمضي أو يسير. إذا كان هناك أي سحر من حولنا، فإنه في الأعماق تماماً، حيث لا يمكنني أن أضع يدي عليه، على سبيل المجاز».

ورد عليه فرودو قائلاً: «يمكنك أن تراه وتحس به في كل مكان».

قال سام: «حسناً، لا يمكنك أن ترى أي شخص يقوم بأي شيء. ليس هناك من ألعاب نارية مثلاً اعتمد جندهل المسكين أن يرينا إياها. إنني أندesh أنا لا نرى السيد والسبدة طوال هذه الأيام. أعتقد الآن أنها تستطيع أن تفعل بعض أشياء رائعة، لو أنها أرادت ذلك. إنني لأرغب كثيراً أن أرى بعض سحر الجن، يا سيد فرودو!».

وقال فرودو: «إنني لا أرغب في ذلك. إنني قانع بهذا القدر. ولا أفقد ألعاب جندهل النارية، ولكن ما أفقده هو حاجيَّاه، وطبعه الحاد سريع الغضب، وصوته».

قال سام: «أنت على حق. ولا تعتقد أنت أتصيد أي خطاء. كثيراً ما كنت أريد أن أرى قليلاً من السحر مثلاً تحكي عنه الحكايات القديمة، ولكنني لم أسمع أبداً عن أرض

أفضل من هذه. إنك تحس كأنك في بيتك وموطنك، وكأنك في إجازة، في ذات الوقت، إذا كنت تفهم ما أرمي إليه. لا أريد أن أغادر هنا. وبذات القدر، إبني بدأتأشعر أنه إذا كان لزاماً علينا أن نواصل مسيرةتنا، فمن الأفضل - في هذه الحالة - أن ننهي الأمر.

«إن المهمة التي لم تبدأ بعد، هي التي تستغرق أطول الوقت لإنهاها، مثلما اعتاد أن يقول رجلي العجوز (الجافر). ولا أظن أن هؤلاء القوم يمكنهم أن يفعلوا الكثير جداً لمساعدتنا، سواء كان ذلك سحراً أو غيره. إننا سنفتقد جندياً عندما نغادر هذا المكان، في رأيي».

ورد عليه فرودو بقوله: «حقيقة إن ذلك صحيح كل الصحة، يا سام. ولكنني أتفق  
كثيراً جداً أن نرى - قبل مقاديرنا - سيدة الجن مرة أخرى».

وبينما كان يتكلم، فإنهما رأيا، السيدة جلدريل تقترب منهما، كما لو كانت قد أتت استجابة لكلماتهما. ولم تتبع ببنت شفة، ولكنها أوّمأت لهما.

والتفت جانبًا، وقادتهما باتجاه منحدرات تل كاراس جَلْدُهُن الجنوبيّة، ومرروا عبر سياج أخضر عالٍ ليصلوا إلى حديقة معمورة. لم تكن هناك أشجار نامية، وكانت مكشوفة ترى السماء. كان نجم المساء قد حلّع، وكان يمكّن ببريق أبيض فوق الغابة الغربية. وهبّوا عبر مجموعة طويلة من السلاالم، جاءت السيدة إلى التجويف الأخضر العميق. عند القاع، على قاعدة منخفضة منحوتة مثل شجرة متعرّبة، كان هناك حوض من فضة، واسموضحل، وإلى جواره إبريق من فضة.

ملأَتْ جلدريل الحوض حتى الحافة بماء من النبع، وتنفست فيه، وعندما سكنت المياه مرة أخرى، تحدثت، قائلة: «هذه مرآة جلدريل. لقد أحضرتكما إلى هنا حتى تنظر فيها، إذا أردتما».

كان الهواء ساكناً جداً، وكان الوهد مظلماً، وكانت سيدة الجن إلى جواره طويلة وشاحبة. وسألها فرودو، وقد ملأته الرهبة قائلاً: «ما الذي سنبحث عنه، وما الذي سنجد؟».

فأجابته قائلة: «أشياء كثيرة يمكنني أن أمر المرأة أن تكشفها، ويمكنني أن أظهر للبعض ما يرغبون في أن يروه. ولكن المرأة سوف تظهر أيضاً أشياء خفية، وهذه في الغالب أكثر غرابة وأكثر نفعاً من الأشياء التي نرغب في أن نراها. ما الذي ستراه، إن أنت تركت المرأة تعمل بحرية، لا يمكنني أن أخبرك به. فهي تُظهر أشياء كانت، وأشياء كانتة، وأشياء سوف تأتي بعد. ولكن ما هو الذي يراها الشخص، فلا يمكنه أن يعلم دائماً حتى أحكم الحكماء. هل ترغب في أن تنظر؟».

، قالت ، هي تلقت المـ سام : « أنت ؟ لأنـ هذا ما تطلـقـونـ عليه أنتـ السـحرـ ، فـما

أعتقد، على الرغم من أنني لا أفهم بوضوح ما تقصدون بذلك؛ ويبدو أنكم تستخدمون نفس الكلمة عن خدع وحيل العدو أيضاً. ولكن هذا، إذا كنت ت يريد، هو سحر جلدريل.  
ألم تقل إنك ترغب في أن ترى سحر الجن؟».

فقال سام وهو يرتعش قليلاً بين الخوف وبين الفضول: «نعم قلت ذلك. سوف أنظر بعض الشيء – يا سيدتي – إذا كنت توافقين على ذلك».

«ولا أجد مانعاً في أن أنا نظرة بشأن يحدث في ديارنا». وقال وهو يتحدث مع فرودو جانبها: «يبدو أنه مضى زمن طويل جداً منذ أن كنت بعيداً. ولكن هناك، من المحتمل، أنني سأرى النجوم، أو شيئاً لن أفهمه».

قالت السيدة وهي تصاحك ضاحكة لطيفة: «من المحتمل. ولكن هيا، سوف تنظر وترى ما تريده. لا تلمس الماء!».

وتصعد سام إلى أسفل القاعدة، وانحنى فوق الحوض. كانت المياه تبدو عسرة ومظلمة. كانت النجوم منعكسة فيها.

وقال: «ليس هناك سوى النجوم، حسبيما اعتقدت». بعد ذلك شهد شفة منخفضة، لأن النجوم تلاشت. كما لو أن حجاباً مظلماً قد أزيل، وأصبحت المرأة رمادية، وبعدها صافية واضحة. كانت هناك شمس مشرقة، وكانت فروع الأشجار تتمايل وتهتز مع الريح. ولكن قبل أن يستطيع سام أن يجزم بحقيقة ما رأه، اختفى الضوء؛ وعندئذ اعتقد أنه رأى فرودو ووجهه شاحب ينام نوماً عميقاً تحت جرف مظلم عظيم. بعد ذلك بدا أنه يرى نفسه يسير عبر ممر معتم، ويصعد سلالم لا نهاية متعرجة. وخطر له فجأة أنه كان يبحث في عجلة عن شيء ما، ولكنه لم يستطع أن يتبعها كنه ذلك الشيء. وتحولت الرؤية مثل حلم وانتقلت عائدة، ورأى الأشجار مرة أخرى. ولكن هذه المرة، لم تكن قريبة جداً، وراح يرى ما كان يحدث: لم تكن تهتز في الريح، كانت تساقط، وتزطّم بالأرض.

وصاح سام في صوت حانق: «أنت! تيد سانديمان يقوم بقطع الأشجار، وهو الأمر الذي لا ينبغي عليه أن يفعله. لا ينبغي أن تقطع هذه الأشجار: إنها ذلك الطريق المشجر وراء الطاحونة ذلك الذي يظلل الطريق إلى مجاورة الماء. أتمنى أن لو أستطيع أن أنال من تيد، وسوف أقطعه!».

ولكن سام لاحظ عندئذ أن الطاحونة القديمة قد تلاشت، وكان هناك بناء كبير من طوب أحمر يتم بناؤه في مكانها. كان هناك كثير من الأشخاص يعملون في انشغال في البناء.

كانت هناك مدخنة حمراء عالية في الجوار. بدا أن دخاناً أسود يعم سطح المرأة؛ وقال: «هناك أمر معين سيجري في المقاطعة. كان إلرونديعلم ما كان بصدده عندما أراد أن يرسل السيد ميري إلى المقاطعة». وبعد ذلك أطلق سام صيحة وقفز بعيداً، وقال

في جموح: «لا يمكنني أن أبقى هنا. ينبغي عليَّ أن أمضي عائداً لوطني. لقد قاموا بحفر باجشوت رو، وهو هو العجوز المسكين (الجافر) يهبط التل ومعه أشياء القليلة في عربة يد. ينبغي عليَّ أن أعود إلى هناك!».

وقالت له السيدة: «لا يمكنك العودة إلى هناك بمفردك. لم تكن ترغب في العودة إلى وطنك بدون سيدك قبل أن تنظر في المرأة، ومع ذلك فإنك عرفت أن هناك أشياء شريرة قد تكون تحدث في المقاطعة أيضاً. تذكر أن المرأة تُظهر أشياء كثيرة، وليس كلها حدثت حتى الآن. بعضها لا يقع أبداً، ما لم يستدر أولئك الذين يشاهدون الرؤى جانباً من طريقهم ليحولوا دون وقوع ذلك. المرأة خطيرة كدليل للأعمال».

جلس سام على الأرض ووضع رأسه بين يديه وقال - «أتمنى أن لم أكن قد جئت إلى هنا على الإطلاق، لا أريد أن أرى أي سحر آخر» - ولزم بعدها الصمت. وبعد لحظة تكلم ثانية على نحو غير واضح، كما لو كان يقاوم الدموع، وقال: «كلا، سوف أعود إلى الوطن عبر الطريق الطويل مع السيد فرودو، أو لا أعود على الإطلاق. ولكنني أتمنى أن أعود في يوم من الأيام. إذا حدث وتحقق ما رأيته، فإن شخصاً سينال عقوبة شديدة للغاية!».

وقالت السيد جلديبل: «هل تريد أن تنظر يا فرودو؟ إنك لم تؤود أن ترى سحر الجن وكنت قانعاً».

فسأل فرودو: «هل تتصحيتني بالنظر؟».

وقالت السيدة: «كلا. إنني لا أنسحك بهذا أو ذاك. إنني لست مستشاراً. ربما تتعلم شيئاً، وسواء كان ما تراه خيراً أو شراً، فإن ذلك قد يكون نافعاً، ومع ذلك ربما لا يكون. الروية حيدة وخطيرة على النساء. ولكنني أعتقد يا فرودو أن لديك الشجاعة والحكمة الكافيتين لهذه المغامرة، وإلا لما كنت قد أحضرتك إلى هنا. لتفعل ما تريده!».

قال فرودو: «سوف أنظر» - وصعد إلى القاعدة الحجرية وانحنى على المياه المظلمة. في الحال أصبحت المرأة واضحة صافية ورأى أرضاً يضيقها الشفق. كانت الجبال تدور مظلة على البعد مقارنة بالسماء الشاحبة. كان هناك طريق رمادي طويل يتعرج عائداً خارج نطاق الروية. وعلى البعد، أتي شكل يسير بطريقاً عبر الطريق، كان ضعيفاً وصغيراً في البداية، ولكنه ازداد كبيراً وأصبح أكثر وضوحاً وهو يقترب. وفجأة أدرك فرودو أنه كان يذكره بجندلف. كاد أن يصبح باسم الساحر بصوت عال، وبعد ذلك رأى أن الشكل لم يكن مرتدياً ليساً رمادياً، بل أبيض، أبيض كان يستطيع سطوعاً خافقاً ضعيفاً في الغسق؛ وكانت في يده عصا بيضاء. كان الرأس منحنيناً جداً لدرجة أنه لم يستطع أن يرى أي وجه، وفي هذا الوقت استدار الشكل جانباً حول

أعتقد، على الرغم من أنني لا أفهم بوضوح ما تقصدون بذلك؛ ويبدو أنكم تستخدمون نفس الكلمة عن خدع وحيل العدو أيضاً. ولكن هذا، إذا كنت ت يريد، هو سحر جلدريل.  
ألم تقل إنك ترغب في أن ترى سحر الجن؟».

فقال سام وهو يرتعش قليلاً بين الخوف وبين الفضول: «نعم قلت ذلك. سوف أنظر بعض الشيء – يا سيدتي – إذا كنت توافقين على ذلك».

«ولا أجد مانعاً في أن أنا نظرة بشأن يحدث في ديارنا». وقال وهو يتحدث مع فرودو جانبها: «يبدو أنه مضى زمن طويل جداً منذ أن كنت بعيداً. ولكن هناك، من المحتمل، أنني سأرى النجوم، أو شيئاً لن أفهمه».

قالت السيدة وهي تصاحك ضاحكة لطيفة: «من المحتمل. ولكن هيا، سوف تنظر وترى ما تريده. لا تلمس الماء!».

وتصعد سام إلى أسفل القاعدة، وانحنى فوق الحوض. كانت المياه تبدو عسرة ومظلمة. كانت النجوم منعكسة فيها.

وقال: «ليس هناك سوى النجوم، حسبيما اعتقدت». بعد ذلك شهد شفة منخفضة، لأن النجوم تلاشت. كما لو أن حجاباً مظلماً قد أزيل، وأصبحت المرأة رمادية، وبعدها صافية واضحة. كانت هناك شمس مشرقة، وكانت فروع الأشجار تتمايل وتهتز مع الريح. ولكن قبل أن يستطيع سام أن يجزم بحقيقة ما رأه، اختفى الضوء؛ وعندئذ اعتقد أنه رأى فرودو ووجهه شاحب ينام نوماً عميقاً تحت جرف مظلم عظيم. بعد ذلك بدا أنه يرى نفسه يسير عبر ممر معتم، ويصعد سلالم لا نهاية متعرجة. وخطر له فجأة أنه كان يبحث في عجلة عن شيء ما، ولكنه لم يستطع أن يتبعها كنه ذلك الشيء. وتحولت الرؤية مثل حلم وانتقلت عائدة، ورأى الأشجار مرة أخرى. ولكن هذه المرة، لم تكن قريبة جداً، وراح يرى ما كان يحدث: لم تكن تهتز في الريح، كانت تساقط، وتزطّم بالأرض.

وصاح سام في صوت حانق: «أنت! تيد سانديمان يقوم بقطع الأشجار، وهو الأمر الذي لا ينبغي عليه أن يفعله. لا ينبغي أن تقطع هذه الأشجار: إنها ذلك الطريق المشجر وراء الطاحونة ذلك الذي يظلل الطريق إلى مجاورة الماء. أتمنى أن لو أستطيع أن أنال من تيد، وسوف أقطعه!».

ولكن سام لاحظ عندئذ أن الطاحونة القديمة قد تلاشت، وكان هناك بناء كبير من طوب أحمر يتم بناؤه في مكانها. كان هناك كثير من الأشخاص يعملون في انشغال في البناء.

كانت هناك مدخنة حمراء عالية في الجوار. بدا أن دخاناً أسود يعم سطح المرأة؛ وقال: «هناك أمر معين سيجري في المقاطعة. كان إلرونديعلم ما كان بصدده عندما أراد أن يرسل السيد ميري إلى المقاطعة». وبعد ذلك أطلق سام صيحة وقفز بعيداً، وقال

في جموح: «لا يمكنني أن أبقى هنا. ينبغي عليَّ أن أمضي عائداً لوطني. لقد قاموا بحفر باجشوت رو، وهو هو العجوز المسكين (الجافر) يهبط التل ومعه أشياء القليلة في عربة يد. ينبغي عليَّ أن أعود إلى هناك!».

وقالت له السيدة: «لا يمكنك العودة إلى هناك بمفردك. لم تكن ترغب في العودة إلى وطنك بدون سيدك قبل أن تنظر في المرأة، ومع ذلك فإنك عرفت أن هناك أشياء شريرة قد تكون تحدث في المقاطعة أيضاً. تذكر أن المرأة تُظهر أشياء كثيرة، وليس كلها حدثت حتى الآن. بعضها لا يقع أبداً، ما لم يستدر أولئك الذين يشاهدون الرؤى جانباً من طريقهم ليحولوا دون وقوع ذلك. المرأة خطيرة كدليل للأعمال».

جلس سام على الأرض ووضع رأسه بين يديه وقال - «أتمنى أن لم أكن قد جئت إلى هنا على الإطلاق، لا أريد أن أرى أي سحر آخر» - ولزم بعدها الصمت. وبعد لحظة تكلم ثانية على نحو غير واضح، كما لو كان يقاوم الدموع، وقال: «كلا، سوف أعود إلى الوطن عبر الطريق الطويل مع السيد فرودو، أو لا أعود على الإطلاق. ولكنني أتمنى أن أعود في يوم من الأيام. إذا حدث وتحقق ما رأيته، فإن شخصاً سينال عقوبة شديدة للغاية!».

وقالت السيد جلديبل: «هل تريد أن تنظر يا فرودو؟ إنك لم تؤود أن ترى سحر الجن وكنت قانعاً».

فسأل فرودو: «هل تتصحيتني بالنظر؟».

وقالت السيدة: «كلا. إنني لا أنسحك بهذا أو ذاك. إنني لست مستشاراً. ربما تتعلم شيئاً، وسواء كان ما تراه خيراً أو شراً، فإن ذلك قد يكون نافعاً، ومع ذلك ربما لا يكون. الروية حيدة وخطيرة على النساء. ولكنني أعتقد يا فرودو أن لديك الشجاعة والحكمة الكافيتين لهذه المغامرة، وإلا لما كنت قد أحضرتك إلى هنا. لتفعل ما تريده!».

قال فرودو: «سوف أنظر» - وصعد إلى القاعدة الحجرية وانحنى على المياه المظلمة. في الحال أصبحت المرأة واضحة صافية ورأى أرضاً يضيقها الشفق. كانت الجبال تدور مظلة على البعد مقارنة بالسماء الشاحبة. كان هناك طريق رمادي طويل يتعرج عائداً خارج نطاق الروية. وعلى البعد، أتي شكل يسير بطريقاً عبر الطريق، كان ضعيفاً وصغيراً في البداية، ولكنه ازداد كبيراً وأصبح أكثر وضوحاً وهو يقترب. وفجأة أدرك فرودو أنه كان يذكره بجندلف. كاد أن يصبح باسم الساحر بصوت عال، وبعد ذلك رأى أن الشكل لم يكن مرتدياً ليساً رمادياً، بل أبيض، أبيض كان يستطيع سطوعاً خافقاً ضعيفاً في الغسق؛ وكانت في يده عصماً بيضاء. كان الرأس منحنيناً جداً لدرجة أنه لم يستطع أن يرى أي وجه، وفي هذا الوقت استدار الشكل جانباً حول

متحنى في الطريق وخرج من مشهد موريا. أصاب الشك عقل فرودو: هل كان هذا منظر لجذل في رحلة من رحلاته الكثيرة الوحيدة منذ زمن طويل، أم أنه كان سارومان؟

وعند ذلك تغير المنظر. أخذ لمحه قصيرة وصغيرة، بيد أنها كانت حية نابضة، بيلبو يمشي في قلق حول غرفته. كانت هناك أوراق غير منظمة متاثرة على الطاولة؛ كان المطر ينقر على التواذا.

بعد ذلك، كانت هناك وقفة، وبعدها جاءت عدة مشاهد سريعة عرف فرودو بطريقه ما أنها كانت أجزاء من تاريخ كبير كان هو طرفاً فيه. وانقضى السديم، ورأى منظراً لم يره من قبل أبداً ولكنه عرفه في الحال: البحر. وسادت الظلمة. وارتعد البحر وهاج وماح في عاصفة عظيمة. بعد ذلك رأى قبالة الشمس، التي كانت تغرب حمراء حمرة الدم في بقية باقيه من السحب المدمرة، الخط الكفافي الأسود لسفينة طولية أشرعتها ممزقة تأتي مبحرة من الغرب. بعد ذلك نهر واسع يتدفق عبر مدينة مكتظة بالسكان. بعد ذلك قلعة بيضاء لها سبعة أبراج. وبعد ذلك مرة أخرى سفينة أشرعتها سوداء، ولكن الآن كانت الدنيا صباحاً مرة أخرى، وتترقررت المياه بالضوء، وكانت هناك راية تحمل شعار شجرة بيضاء تشع في ضوء الشمس. وارتعد دخان كما لو كان دخان نار و Miracle، وغابت الشمس مرة أخرى ولونها أحمر حمرة نار تلاشت في سديم رمادي؛ وفي السديم مضت سفينة صغيرة بعيداً، وهي تتوهج بالأضواء. واختفت، وتنهى فرودو واستعد للانسحاب والتراجع.

ولكن فجأة أصبحت المرأة مظلمة تماماً، مظلمة كما لو أن حفرة فتحت في عالم الرؤية، ونظر فرودو في الخواء. في الهوة العميقه، ظهرت عين واحدة راحت تكبر بيضاء، حتى ملأت كل المرأة تقريباً. كانت مروعة للغاية لدرجة أن فرودو وقف متسمراً في مكانه، غير قادر على الصراخ أو على سحب نظرته. كانت العين محاطة بإطار من نار، ولكنها كانت هي نفسها متوجهة، صفراء مثل عين قطة، حذرة ومتقطعة، وفتح شق بؤبؤ عينها الأسود على حفرة، نافذة تطل على لا شيء.

بعد ذلك، بدأت العين تطوف، تبحث في هذا الاتجاه وذاك؛ وعرف فرودو يقيناً وفي رعب أنه بين الأشياء الكثيرة التي كانت العين تبحث عنها كان هو نفسه. ولكنه عرف أيضاً أنها لم تستطع أن تراه - ليس بعد، ليس إلا إذا أراد هو ذلك. أصبح الخاتم الذي كان معلقاً في سلسلته حول رقبته ثقيلاً، أكثر ثقلًا من صخر عظيم، وجر رأسه لأسفل. بدت المرأة تصبح ساخنة، وراحت لفائف من البخار ترتفع من الماء. كان ينزلق للأمام.

وقالت السيدة جلدريل في صوت خفيض: «لا تلمس الماء!» وتلاشى المنظر، ووجد فرودو أنه كان ينظر إلى النجوم الباردة المتوجهة في الحوض الفضي. وترابع للوراء وكل جسمه يرتعش ونظر إلى السيدة.

وقالت له: «أعرف ذلك الذي رأيته آخر شيء، لأن هذا أيضاً في عقلي. لا تخاف! ولكن لا تعتقد أنه بالغناه فقط وسط الأشجار، ولا حتى بالسهام الرفيعة التي تنطلق من أقواس الجن، يتم الحفاظ على أرض لوثوريين والدفاع عنها ضد العدو. إنتي أقول لك يا فرودو، أنه حتى وأنا أتحدث معك، فإنني أرى سيد الظلام، وأعرف عقله، أو كل ما في عقله مما يهم الجن. وهو يتلمس طريقه على الدوام لي RANDI ويرى أفكاره. ولكن الباب لا يزال مغلقاً!».

ورفعت ذراعيها البيضاوين، ويسقطت يدها باتجاه الشرق في إيماءة رفض وإنكار. إيرينديل، نجم المساء، أكثر نجم يحبه الجن، سطع صافياً فوقنا. كان مشرقاً لاماً للغاية لدرجة أن شكل سيدة الجن ألقى بظل معتم على الأرض. وومضت أشعته على خاتم حقول إصبعها؛ كان يومض مثل ذهب مصقول سقط عليه ضوء فضي، وصخرة بيضاء. مضت فيه كما لو أن نجم السماء قد نزل ليستريح على يدها. وحدق فرودو في الخاتم في رهبة وإجلال؛ لأنه بدا له فجأة أنه فهم الأمر.

وقالت له وقد غاصلت في أفكاره: «نعم، من غير المسموح الحديث عنه، ولا يستطيع إلروند أن يفعل ذلك. ولكن لا يمكن أن يخفى عن حامل الخاتم، وعن واحد يكون قد رأى العين. في حقيقة الأمر، في أرض لوثوريين، في إصبع جلدريل، يظل خاتم من الخواتم الثلاثة. هذا هو ننبا<sup>(1)</sup>، خاتم الأدمت، وأنا الحفظة عليه.

«إنه يشك، بيد أنه لا يعلم - ليس بعد. ألا ترى الآن أن مجئك إلينا مثل عتبة الهلاك؟ لأنك إن فشلت، ففي هذه الحالة فإننا تكون قد كشفنا أمام العدو. ولكنك إذا تجحت، فإن قوتنا عندئذ تتضاءل، وتلاشى لوثوريين، وسوف يجرفها تيار الزمان. لابد أن ترحل إلى الغرب، أو تتضاءل إلى قوم ريفيين بدائيين يسكنون الوهد والكهف، بطريقاً لننسى، ولننسى».

وحنى فرودو رأسه، وقال أخيراً: «وماذا تريدين؟».

فأجابته قائلة: «ما ينبغي أن يكون سيكون. إن حب الجن لأرضهم وأعمالهم أكثر عمقاً من أعماق البحر، وتدmem لا ينقضي أو يموت ولا يمكن تخفيفه أبداً بالكامل. ولكنهم يفضلون أن يلقوه بعيداً جداً على أن يخضعوا لساورون: لأنهم الآن يعرفونه. أما عن مصير لوثوريين فأنت لست مسؤولاً عنه، ولكنك مسئول فقط عن إنجاز مهمتك

أنت. ولكنني كنتُ أتمنى، لو كان ذلك له أي فائدة أو نفع، أن الخاتم الأوحد لم يكن قد صُنع قط، أو أن يكون قد ظل ضائعاً إلى الأبد».

وقال لها فرودو: «أنت حكيمة، وغير هيابة، وجميلة، أيتها السيدة جلدريل. سوف أعطيك الخاتم الأوحد، لو أنك طلبتِه. إنه أمر عظيم للغاية بالنسبة لي».

وضحكَتْ جلدريل ضحكة مفاجئة صافية، وقالت: «السيدة جلدريل قد تكون حكيمَة بيد أنها هنا قابلت صنوها في اللطف والكِيَاسة. لقد ثارت بلطف وظرف لاختباري لقلك في أول لقاء بيننا. لقد بدأت ترى بعين حادة ثاقبة. بأنني لا أنكر أن قلبي قد رغب كثيراً أن يطلب ما تعرضه عليّ. على مدى ستين طويلاً تفكرت فيما يمكن أن أفعله، لو أن الخاتم العظيم قد صار في حوزتي، وانظر! لقد أحضر في نطاق قبضة يدي. إن الشر الذي صُنِعَ منذ زمن طويل يعمل ويوثر بطرق كثيرة، سواء وقف ساورون نفسه أو سقط. ألم يكن بالإمكان أن يكون ذلك عملاً نبيلًا يضاف إلى رصيده؟ أنتي أخذتِ الخاتم قسراً أو خوفاً وإرهاقاً من ضيفي؟

«والآن فإنه يأتي أخيراً. سوف تعطيني الخاتم طواعية! سوف تجلس مكان سيد الظلام ملكة. ولن أكون شريرة، ولكنني جميلة ورهيبة مثل الصباح والليل! جميلة مثل البحر والشمس والثلج فوق الجبل! رهيبة مروعة مثل العاصفة والبرق! أقوى من أساسات الأرض. الكل سيحبني وينهزم!».

ورفت يدها ومن الخاتم الذي كانت تلبسه أصدرت ضوءاً عظيماً أضاءها وحدها وتترك كل ما عدتها ظلاماً. وفدت أمام فرودو وقد بدت عندئذ طويلاً فوق كل قياس، وجميلة فوق ما يمكن تحمله، ورهيبة وبجلة. وبعد ذلك أنزلت يدها، وتلاشى الضوء، وفجأة ضحكت مرة أخرى، وانظروا! لقد انكمشت: سيدة جنية نحيلة، تلبس ملابس بيضاء بسيطة، كان صوتها الرقيق منخفضاً وحزيناً.

وقالت: «لقد نجحتُ في الامتحان. سوف أتضاءل، وأذهب إلى الغرب، وأظل جلدريل».

وقفوا لفترة طويلة في صمت. وأخيراً تحدثت السيدة مرة أخرى قائلة، «هيا بنا نعد! في الصباح ينبغي أن تغادروا، لأننا الآن قد اختربنا، وتيارات القدر تتتدفق».

وقال لها فرودو: «أود أن أسألك عن شيءٍ قبل أن نذهب، شيء غالباً ما قصدتُ أن أسأل جنديلاً عنه في ريفيديل. مسموح لي بأن ألبس الخاتم الأوحد: لماذا لا أستطيع أن أرى جميع الآخرين وأعرف أفكار أولئك الذين يلبسوها؟».

وقالت له: «إنك لم تحاول. إنك لم تضع الخاتم في إصبعك إلا ثلاثة مرات منذ أن

عرفت ما تملكه. لا تحاول! إنه سيدمرك. ألم يخبرك جنلوف أن الخواتم تعطى قوة وفقاً لمقاييس كل واحد من يمتلكونها؟ قبل أن يكون بوسعك أن تستخدم تلك القوة سوف تحتاج إلى أن تصبح أقوى منها بكثير، وأن تدرب إرادتك على السيطرة على الآخرين. ولكن حتى والأمر كذلك، فبصفتك حامل الخاتم، وبصفتك واحداً قد وضعه في إصبعه ورأى ذلك الذي كان مختبئاً، فإن نظرك قد أصبح أكثر حدة. لقد اطلعت على فكري بوضوح أكثر من الكثيرين الذين يعتبرون حكماء. لقد رأيت عينه التي ترى السبعة والتسعة. وألم تر وتدرك الخاتم في إصبعي؟ هل رأيت خاتمي؟» - سالت السؤال والتقت مرة أخرى إلى سام.

فأجابها سام قائلاً: «كلا أيتها السيدة. حتى أصدقك القول، كنتُ أساءل عن تحدثين؟ لقد رأيت نجماً عبر أصابعك. ولكنك إن غفرت لي جرأتي في الكلام، فإبني أعتقد أن سيدي كان محقاً. أتمنى أن لو أخذت خاتمه. سوف تضعين الأشياء في نصابها الصحيح. سوف تمنعينهم من حفر مكان الجافر العجوز ويجعلونه دون مأوى. سوف تجعلين البعض يدفعون ثمن عملهم الفذر».

وقالت السيدة: «سوف أفعل. وتلك هي الطريقة التي ستبدأ بها الأمور. ولكن الأمور لن يتوقف على ذلك، للأسف! لن تتحدث عن هذا الأمر أكثر من ذلك. هيا بنا نمضي!».

## الفصل الثامن

### وداع لورين

في تلك الليلة تم استدعاء المجموعة الثانية إلى غرفة سليورن، وهناك حيالهم السيد والسيدة بكلمات جميلة طيبة. وفي النهاية تحدث سليورن عن رحيلهم؛ وقال: «الآن قد حان الوقت، عندما يتبعي على أولئك الذين يرغبون في مواصلة مهمتهم أن تكون قلوبهم قاسية ليتركوا هذه الأرض. أما أولئك الذين لم يعودوا يرغبون في مواصلة السير، فيإمكانهم أن يظلوا هنا، لبعض الوقت. ولكن سواء بقوا أو ذهبوا، فليس بإمكان أي أحد أن يكون واثقاً من السلام والطمأنينة؛ وذلك نظراً لأننا وصلنا إلى حافة الهاك. هنا أولئك الذين يرغبون يمكنهم انتظار قدوم الساعة إما أن تفتح طرق العالم مرة أخرى، أو نستدعهم لحاجة لورين الأخيرة. بعد ذلك يمكنهم العودة إلى أراضيهم، أو الذهاب إلى الوطن الطويل لأولئك الذين يسقطون في المعركة». وساد صمت. وقالت جلديل وهي تنظر في أعينهم: «كلهم مصممون على المضي قدماً».

وقال بورومير: «أما بالنسبة لي، فإن طريقي إلى دياري طريقه للأمام وليس للوراء». وقال سليورن: «هذا صحيح، ولكن هل كل هذه الصحبة ذاهبة معك إلى ميناس تيريث؟».

وقال أراجورن: «إننا لم نقرر مسارنا. فيما وراء لورين لا أدرى ما كان جنده يعتزم أن يفعله. حقيقة، لا أعتقد حتى أنه كانت لديه أي غاية محددة». قال سليورن: «ربما لا، ولكن عندما تغادر هذه الأرض، فلن يكون بإمكانك أن تنسى النهر العظيم. وكما يعرف البعض منكم جيداً، لا يمكن للمسافرين المرور ومعهم أمنعة بين لورين وجوندور، إلا باستخدام القوارب. ألم تهدم جسور أسجيلايت؟ وجميع أرصفة النزول يسيطر عليها الآن العدو؟

«على أي جانب ستسيرون في رحلتكم؟ الطريق إلى ميناس تيريث يقع على هذا الجانب، في الغرب؛ ولكن الطريق المستقيم للمهمة يقع إلى الشرق من النهر، على الشاطئ الأكثر ظلماً. أي الشواطئ ستأخذون الآن؟».

فأجاب بورومير قائلاً: «إذا أخذت نصيحتي في الاعتبار، فإنها ستكون أن تأخذ الشاطئ الغربي، والطريق إلى ميناس تيريث. ولكني لست قائد المجموعة». ولم يقل الآخرون شيئاً، وبدا على أراجورن الشك والاضطراب.

وقال سليورن: «أرى أنكم لا تعرفون بعد ما تفعلون. ليس من دوري أن أختار

لكم؛ ولكنني سأساعدكم قدر استطاعتي. هناك البعض بينكم يمكنهم التعامل مع القوارب: ليجولاس، الذي كان قومه يعرفون نهر الغابة السريع؛ وبورومير من جوندور؛ وأراجورن الرحالة».

وصاح ميري: «وهوبيتي واحد! لا ينظر كلنا إلى القوارب على أنها خيل برية جامحة. يعيش أهلي على ضفاف نهر براندي واين».

قال سيلبورن: «هذا جيد. حينئذ سأزود صحبتكم بالقوارب. لا بد أن تكون صغيرة وخفيفة، لأنكم إن ذهبتم بعيداً عن طريق الماء، فهناك أماكن سوف تجبرون فيها على حمل هذه القوارب. سوف تصلون إلى منحدرات نهر سارن جيّر، وربما أخيراً إلى الشلالات العظيمة لنهر راوروس حيث يندفع النهر متداخلاً مثل الرعد من بين هذو؛ وهناك مخاطر أخرى. ربما يجعل القوارب رحلتكم أقل إرهاقاً وتعباً لبعض الوقت. ومع ذلك، فإنها لن تمنحكم المشورة: في النهاية ينبغي عليكم أن تتركوها هي والنهر، وتتجهوا غرباً - أو شرقاً».

شكر أراجورن سيلبورن ملبوّزَن مرات كثيرة. منحته هدية القوارب الكثير من الراحة، على الأقل لن تكون هناك حاجة الآن إلى أن يقرر مساره لمدة بضعة أيام. والآخرون أيضاً يدروا أكثر امتلاء بالأمل. أيّاً ما تكون الأخطار التي كانت تنتظرهم، فقد بدا أنه من الأفضل الطفو عبر التيار مطلق العنان لنهر أندوين لمقابلة هذه الأخطار. من المشي في كد وجهد للأمام بظهور منحنية. لم يكن سوى سام لديه شك وربيبة: حيث لا يزال - يحال من الأحوال - يعتقد أن القوارب سينه مثلاً الخيل البرية الجامحة، أو ربما أسوأ من ذلك، ولم تجعله كل الأخطار التي نجا منها بحياته وخرج منها حياً يفكر فيها بطريقة أفضل وتحسن رأيه فيها.

وقال سيلبورن: «سيتم إعداد كل شيء وتجهيز لكم ويكون في انتظاركم عند المرفأ قبل ظهيرة الغد. سوف أرسل رجالي لكم في الصباح لمساعدتكم في الاستعداد للرحلة. والآن سوف نتمنى لكم جميعاً ليلة طيبة ونوماً هادئاً مطمئناً».

وقالت جلدريل: «طابت لي لكم، يا أصدقائي. ناموا في طمأنينة وسلام! لا تلقوا قلوبكم كثيراً بالتفكير في الطريق الليلة. ربما تكون الطرقات والمعرات التي سيطّوها كل منكم قد خطّت بالفعل أمام أقدامكم، على الرغم من أنكم لا ترونها. طابت لي لكم».

وعندئذ استأنفت الصحبة، وعادوا إلى سرادقهم. ذهب ليجولاس معهم، لأن هذه كانت آخر ليلة لهم في لوثوريين، وعلى الرغم من كلمات جلدريل، فإنهم رغبوا في التشاور مع بعضهم.

وبتبادلوا أطراف النقاش لمدة طويلة بشأن ما ينبغي عليهم فعله، وكيف سيكون من

الأفضل أن يحاولوا إنجاز غايتهم بشأن الخاتم؛ ولكنهم لم يتوصلا إلى أي قرار. كان واضحاً أن معظمهم كانوا راغبين في الذهاب أولاً إلى ميناس تيريث، وأن يهربوا على الأقل لبعض الوقت من رب العدو. كانوا يرغبون في أن يتبعوا قائداً عبر النهر وإلى ظل موردو؛ ولكن فرودو لم ينبعش بفنه، وكان أراجورن لا يزال منقسمًا مشتتاً في ذهنه.

لقد كانت خطته - عندما كان جندياً معهم - أن يذهب مع بورومير، وبمساعدة سيفه لإنقاذ جوندor. لأنه كان يعتقد أن رسالة الأحلام كانت استدعاء، وأن الساعة قد حانت أخيراً عندما ينبغي أن يأتي وريث إلendiل ويرز ويقاتل مع ساوروN على السيادة. ولكن في موريا، وضع حمل جندي على عليه هو؛ وعلم أنه عندئذ لن يستطيع أن يتخلص عن الخاتم، إذا رفض فرودو في النهاية أن يذهب مع بورومير. ومع ذلك ما هي المساعدة التي يمكن له أو لأي فرد من أفراد الصحبة أن يقدموها لفرودو، سوى المشي على عمي معه إلى الظلمة؟

«سوف أذهب إلى ميناس تيريث، وحدي إذا احتاج الأمر، لأن هذا هو واجبي». قال ذلك بورومير؛ وبعد ذلك لزم الصمت لبعض الوقت، وهو يجلس وعيناه مثبتتان على فرودو، كما لو كان يحاول أن يقرأ أفكار النصف. وأخيراً تحدث مرة أخرى، بصوت منخفض، كما لو كان يتحاور مع نفسه، وقال: «إذا كنت ت يريد فقط أن تدمر الخاتم، ففي هذه الحالة فهناك حاجة قليلة إلى الحرب وإلى السلاح؛ وانس ميناس تيريث لا يمكنهم تقديم المساعدة. ولكن إذا كنت ترغب في تدمير القوة المسلحة لسيد الظلام، ففي هذه الحالة من الحماقة أن تذهب دون قوة إلى هذه المملكة؛ ومن الحماقة أن تتخلص من». وتوقف فجأة، كما لو كان قد أدرك أنه كان يوح بأفكاره بصوت عال. «سيكون من الحماقة أن تتخلص من حياة الأشخاص، هذا ما أقصده. إنه خيار بين الدفاع عن مكان حصين، والمشي صرامة إلى أذرع الموت. على الأقل، هذه هي الطريقة التي أرى بها الأمر».

لاحظ فرودو شيئاً جديداً وغريباً في نظرة بورومير، ونظر إليه بتدقيق وإمعان. بكل وضوح كان تفكير بورومير مختلفاً عن كلماته الأخيرة. سيكون من الحماقة أن تتخلص من ماذا؟ الخاتم أو القوة؟ لقد قال شيئاً من هذا القبيل في المجلس، ولكنه عندئذ قبل تصويب إلرون. نظر فرودو إلى أراجورن، ولكنه بدا مستغرقاً في تفكيره ولم يجد أي علامة على أنه قد أغار أي انتباه لكلمات بورومير. وهكذا انتهت نقاشهم. كان ميري وبيبي نائمين بالفعل، وكان سام يهز رأسه من النعاس. وكان الليل يتقدم.

في الصباح، وبينما كانوا يبدئون في حزم ما لديهم من لوازم قليلة، جاء أفراد الجن الذين يتحدثون بلسانهم إليهم وأحضروا لهم بعض الهدايا من الطعام والملابس لزوم الرحلة. كان الطعام في أغلبه في صورة رقائق كعك صغيرة جداً، صُنعت من دقيق سوي حتى صار بنية خفيفاً من الخارج، ومن الداخل كان بلون القشدة. أخذ جي ملي قطعة من الكعك ونظر إليها بعين كلها ريبة وشك.

«كعكة محسنة»، قال ذلك في صوت مكتوم هامس، وهو يكسر زاوية هشة وبمضغها يرافقه وتغير تعبير وجهه سريعاً، وأكل ما تبقى من قطعة الكعك في استمتاع وتلذذ.

وصاح الجن لهم يضحكون: «كفى، كفى! لقد أكلت ما يكفي بالفعل لمسيرة يوم طويل». وقال القرم: «كنت أظن أنه نوع من الكعك المحسنة، كذلك التي يصنعها أهل الوادي للرحلات في البرية».

وأجابه أفراد الجن قائلين: «هي كذلك. ولكننا نسميها ليمباس أو خبز الطريق، وهي أكثر منحاً للقوة من أي طعام صنعه الإنسان، وهي أكثر إمتاعاً من الكعكة المحسنة، من كل الوجوه».

وقال جي ملي: «هي كذلك حقاً. ولم لا، إنها أفضل من كعكة العسل الأبيض التي يصنعها البورينجيون، وهذا ثناء عظيم، لأن البورينجيين هم أفضل خبازين أعرفهم؛ ولكنهم لا يرضون على الإطلاق توزيع كعكهم على المسافرين في هذه الأيام أبداً. إنكم مضيقيون كلكم عطف وكرم!».

وقالوا له: «وعلى الرغم من كل ذلك، فإننا نأمرك أن تبقى على الطعام. لنأكل القليل منه في كل مرة، وعند الحاجة فقط. لأن هذه الأشياء أعطيت لكم لتنفعكم عندما يفشل كل ما هو عداتها. سوف تظل الكعكات حلوة لمدة أيام كثيرة جداً، ما لم تكسر، وإذا تركت في أغلقتها الورقية، كما أحضرناها لكم. إن واحدة منها ستجعل المسافر يظل ثابتاً على قدميه لمدة يوم كامل من العناء الطويل، حتى ولو كان شخصاً طويلاً من إنس ميناس تيريث».

قام أفراد الجن بعد ذلك بغض الملابس التي أحضروها وأعطوها لكل واحد من المجموعة. لقد أحضروا لكل واحد منهم غطاء رأس ومعطفاً، صنعوا طبقاً لمقاسه، من المنسوجات الحريرية الخفيفة، بيد أنها دائمة، التي يقوم أهل جلد هريم بنسجها. كان صعباً أن تعرف لونها: كان يبدو أنها رمادية بلون الشفق تحت الأشجار؛ ومع ذلك عندما كانت تتحرك، أو توضع في ضوء آخر، فإنها كانت خضراء مثل أوراق الشجر المظللة، أو بنية مثل حقول محروثة ليلاً، ذهبية بلون الغسق مثل الماء تحت النجوم. كان كل معطف مربوطاً حول الرقبة ببروش مثل ورقة خضراء بها عروق من فضة.

وَسَأْلَ بِبِينٍ وَهُوَ يَنْظَرُ فِي دَهْشَةٍ وَعَجْبٍ: «هَلْ هَذِهِ مَعَاطِفٌ سُحْرِيَّةٌ؟». وأجابه قائد مجموعة الجن قائلًا: «لَا أَدْرِي مَا تَعْنِيهِ بِذَلِكَ، إِنَّهَا مَلَابِسٌ جَمِيلَةٌ، وَالنَّسْجُ جَيْدٌ، لَأَنَّهَا صُنِعَتْ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ. إِنَّهَا مَعَاطِفٌ جَنِيَّةٌ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ مَا تَعْنِيهِ. وَرَقَّةٌ وَفَرْعَانٌ، مَاءٌ وَحَجْرٌ؛ إِنْ لَهَا لَوْنًا وَجَمَالًا، كُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ تَحْتَ شَفَقِ لُورِينَ الَّتِي نَحْبَهَا؛ لَأَنَّنَا نَضَعُ فَكْرَ كُلِّ مَا نَحْبَهُ فِي ذَلِكَ الَّذِي نَصْنَعُهُ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهَا مَلَابِسٌ، لَيْسَ دَرْوِعًا، وَلَنْ تَرَدْ رَمَاحًا أَوْ نَصَالًا. وَلَكِنَّهَا سَتَخْدِمُكُمْ جَيْدًا؛ إِنَّهَا حَفِيقَةٌ فِي ارْتِدَائِهَا، وَدَافِئَةٌ بِالشَّكْلِ الْكَافِيِّ وَبِارْدَةٌ بِالشَّكْلِ الْكَافِيِّ عَنِ الدِّرْحَاجَةِ. وَسَوْفَ تَجِدُونَهَا أَدَاءً مَسَاعِدَةً عَظِيمَةً فِي التَّخْفِي عَنِ الْأَعْيُنِ الْمَعَادِيَّةِ غَيْرِ الصَّدِيقَةِ، سَوَاءً كَثُنْتُمْ تَمْشِيُونَ بَيْنَ الصَّخْرَاتِ أَوْ بَيْنَ الشَّجَرِ، إِنْكُمْ حَقًا مَحْظَيُونَ بِشَكْلِ كَبِيرٍ لِدِي السَّيْدَةِ! لَأَنَّهَا هِيَ نَفْسُهَا وَوَصِيفَاتُهَا قَمْنَ بِتَسْجُجِ هَذِهِ الثِّيَابِ؛ وَلَمْ يَحْدُثْ مِنْ قَبْلِ قَطِّ أَنْ جَعَلْنَا الْغَرَبَاءَ يَلْبِسُونَ ثِيَابًا مِنْ ثِيَابِ شَعْبَنَا».

بعدَ أَنْ تَنَاوَلَ أَفْرَادُ الصَّحْبَةِ طَعَامًا إِفْطَارَهُمْ، وَدَعَوْا الْمَرْجَةَ الَّتِي كَانَتْ بِجُوارِ الْفَسْقِيَّةِ. كَانَتْ قَلْوَبُهُمْ مَنْقَلَةً بِالْحَزَنِ؛ لَأَنَّهُ كَانَ مَكَانًا جَمِيلًا، وَقَدْ أَصْبَحَ مِثْلُ الْوَطَنِ بِالنَّسْبَةِ لَهُمْ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِعُوا أَنْ يَحْسِبُوا الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي الَّتِي أَمْضَوْهَا هُنَّا. وَبَيْنَمَا كَانُوا وَاقِفِينَ لِلْحَاظَةِ يَنْظَرُونَ إِلَى الْمَيَاهِ الْبَيْضَاءِ فِي ضَوءِ الشَّمْسِ، جَاءَ هُولَدِيرُ يَمْشِي بِاتِّجَاهِهِمْ فَوْقَ الْعَشْبِ الْأَخْضَرِ فِي الْفَرْجَةِ الْمَكْشُوفَةِ. وَحِيَاهُ فَرِودُو فِي سَرُورِهِ. وَقَالَ الْجَنِيُّ: «لَقَدْ عَدْتُ مِنَ الْأَسْوَارِ الشَّمَالِيَّةِ، وَقَدْ أَرْسَلْتُ الْآنَ لِأَكُونَ مَرْشِدَكُمْ مَرْأَةً أُخْرَى. إِنَّ وَادِي دِيمَرِيلَ مَلِيءَ بِالْبَخَارِ وَسَحْبِ الدَّخَانِ، وَالْجَبَالُ مَضْطَرِبٌ بِهَا مَشَاكِلٌ. هُنَاكَ ضَوْضَاءٌ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ. لَوْ أَنْ أَيَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ قَدْ فَكَرَ فِي الْعُودَةِ بِاتِّجَاهِ الشَّمَالِ إِلَى دِيَارِكُمْ، لَمَا كَانَ بِإِمْكَانِكُمْ أَنْ تَمْرُوا مِنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ. وَلَكِنَّهُمْ بَيْنَا طَرِيقَكُمُ الْآنَ يَسِيرُونَ جَنُوبًا».

وَبَيْنَمَا كَانُوا يَمْشُونَ عَبْرَ كَارَاسِ جَلَدُهُنَّ، كَانَتِ الْطَّرِيقَاتُ الْخَضْرَاءُ خَالِيَّةٌ؛ وَلَكِنَّ بَيْنَ الْأَشْجَارِ الَّتِي كَانَتْ فَوْقَهُمْ كَانَتْ هُنَاكَ أَصْوَاتٌ كَثِيرَةٌ تَتَمَنَّتْ وَتَغْنَى. أَمَّا هُمْ أَنفَسُهُمْ فَقَدْ أَمْضَوْا فِي صَمَتٍ. وَأَخِيرًا قَادَهُمْ هُولَدِيرُ لِأَسْفَلِ عَبْرِ الْمَنْهُدَرَاتِ الْجَنُوبِيَّةِ لِلْتَّلِ، وَجَاءُوا مَرْأَةً أُخْرَى إِلَى الْبَوَابَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَنْدَلِي مِنْهَا الْمَصَابِيحُ، وَإِلَى الْجَسَرِ الْأَبْيَضِ؛ وَهَكُذا عَبَرُوا خَارِجِينَ وَتَرَكُوا مَدِينَةَ الْجَنِّ. بَعْدَ ذَلِكَ دَارُوا بَعِيدًا عَنِ الْطَّرِيقِ الْمَهْدَى وَأَخْذُوا طَرِيقًا إِلَى أَجْمَةِ كَثِيفَةِ أَشْجَارِ الْمَالُورَنْ، وَوَاصْلُوا سَيْرَهُمْ، مَتَرْجِينَ عَبْرِ غَابَاتِ مِنْكَاثِرَةٍ مَلْنَقَةٍ مِنْ ظَلِّ الْفَضَّةِ، تَقْوِدُهُمْ لِأَسْفَلِ بِشَكْلِ مَطْرَدٍ، بِاتِّجَاهِ الْجَنُوبِ وَبِاتِّجَاهِ الشَّرْقِ، نَحْوَ شَطَانِ النَّهَرِ.

كَانُوا قَدْ سَارُوا قَرَبَةً عَشْرَةَ أَمْيَالَ، وَكَانَ وَقْتُ الظَّهِيرَةِ قَدْ قَرَبَ عَنِّهِمْ وَصَلَوْا إِلَى

جدار أخضر عالٌ. ولما مروا عبر فتحة، خرّجوا فجأة من بين الأشجار. وكانت ترقد أمامهم مرجأ طويلة من العشب اللمع، موشأة بزهور الإلانور الذهبية التي كانت تتوجه في الشمس. وسارت المرجة للخارج إلى لسان ضيق ما بين الحواف اللمعة البراقة: على اليمين وفي الغرب كان نهر سيلفرلود يتدفق متوجهاً، وعلى اليسار وفي الشرق كان النهر العظيم يدفع مياهه العظيمة، عميقاً، ومظلمة. وعلى الشواطئ البعيدة، كانت الغابات لا تزال تسير باتجاه الجنوب بعيداً قدر ما تستطيع العين أن ترى، ولكن كل الضفاف كانت كثيبة وجراء. لم ترفع أي شجرة مالورن أغصانها الذهبية المعلقة فيما وراء أرض لورين.

على ضفة سيلفرلود، على بعد مسافة معينة لأعلى من مجمع النهرين، كانت هناك كتلة من صخور بيضاء وأشجار بيضاء. وعندما كانت الكثير من القوارب والزوارق راسية. كان بعضها مطلباً طلاء ناصعاً، وكان يلمع بالألوان الفضية والذهبية والخضراء، ولكن كان معظمها إما أبيض أو رمادي. تم تجهيز ثلاثة قوارب رمادية صغيرة للمسافرين، وفي هذه القوارب قام أفراد الجن بتكريس لوازمهم. كما أضافوا أيضاً لفائف من الحالب، ثلاثة لكل مركب. كانت تبدو رفيعة، بيد أنها كانت قوية، حريرية الملمس، رمادية اللون مثل المعاطف الجنية.

«ما هذه؟» – سأله سام ذلك السؤال، وهو يتناول لفة كانت ترقد على المرجة الخضراء.

وأجابه جني من المراكب: «حال حقاً! لا تساور بعيداً مطلقاً دون أن يكون معك حبل! ولا بد أن يكون حالاً طوبيلاً ومتيناً وخفيقاً. هذه هي الحال كما ينبغي. قد تكون مصدر مساعدة وعون في احتياجات كثيرة».

وقال سام: «أنت لست بحاجة إلى أن تخبرني بذلك! لقد جئت دون أن يكون معي حبل، وقد أصابني القلق دوماً منذ ذلك. ولكن كنت أتساءل مما صنعت هذه الحال، حيث إنني أعرف بعض الشيء عن صناعة الحالب: إنها صناعة في العائلة إذا جاز التعبير».

فرد عليه الجن قائلاً: «إنها مصنوعة من الهيدلاين، ولكن ليس هناك وقت الآن لإعطائك درساً في كيفية صناعتها. لو أثنا كنا نعرف أن هذه الحرفة تعجبك، لكننا قد علمناك الكثير. ولكن الآن للأسف! ما لم تعد في وقت من الأوقات إلى هنا، لا بد عليك أن تكون قانعاً بعطيتنا. أتمنى أن تخدمكم جيداً وتكون مصدر نفع لكم!».

وقال هولديز: «هيا! كل شيء جاهز لكم الآن. ادخلوا القوارب. ولكن عليكم بالحذر قبل كل شيء!».

وقال أفراد الجن الآخرون: «أغيروا انتباهمكم للكلمات! هذه القوارب خفيفة البنيان، وهي بارعة الصنعة وليس مثل قوارب الأشخاص الآخرين. إنها لن تغطس، حملوها

كيفما تشاءون؛ ولكنها تجنب إن جرى التعامل معها بشكل خاطئ. سيكون من الحكمة أن تعودوا أنفسكم على الدخول والخروج منها، هنا حيث يوجد مكان للهبوط فيه، قبل أن تبدعوا رحلتكم عبر النهر».

وتم ترتيب المجموعة بهذه الطريقة: أراجون، وفرودو، وسام كانوا في قارب؛ وبورومير، وميري، وبين، في قارب آخر؛ وفي القارب الثالث كان ليجolas وجيملي، اللذان أصبحا الآن صديقين حميمين. في هذا القارب الأخير، تم تكديس معظم الأمتعة والأحزمة. كانت القوارب تتحرك وتوجه باستخدام مجاديف قصيرة المقابض لها أنصال عريضة بشكل أوراق الشجر. وعندما كان كل شيء جاهزاً، قادهم أراجون في تجربة عبر سيلفـلود. كان التيار سريعاً وكانوا يتقدمون ببطء. جلس سام عند مقدمة القارب، وهو يبعض على الجانبيين، وينظر للوراء في حزن إلى الشاطئ. كان ضوء الشمس المتوج على الماء ينهر عينيه. وبينما كانوا يمرون وراء الحقل الأخضر في اللسان، راحت الأشجار تتضاعل عبر ضفة النهر. كانت أوراق الشجر هنا وهناك تتفاوز وتطفو فوق المياه المترفرفة. كان الهواء صافياً وساكناً جداً، وكان هناك صمت، باستثناء أغاني القابير التي كانت تأتي من مسافة بعيدة.

وداروا في منحنى شديد في النهر، وهناك، رأوا إوزة عظيمة الحجم تبحر في فخر عبر الجدول باتجاههم. كانت المياه تقاطر على كلا جانبي الصدر الأبيض تحت الرقبة المقوسة. كان منقارها يلمع مثل ذهب مصقول براق، وكانت عينها تتوهج مثل كهرمانة سوداء موضوعة بين صخور صفراء؛ كان جناحها الأبيض الضخم نصف مرفوعين. كانت هناك موسيقى تناسب عبر النهر وهي تزداد قرباً منهم؛ وفجأة أدركوا أنها كانت سفينة، صُنعت وبنيت بمهارة الجن في صورة إوزة عراقية. كان جنيان يرتديان ثياباً بيضاء يوجهانها مستخدمين مجاديف سوداء. في وسط المركب كان يجلس سلبورن، وراءه كانت تقف جلدريل، طويلة وبيضاء؛ كان في شعرها تاج من زهور ذهبية، وفي يدها كانت تمسك بقيثارة، وكانت تغنى. كان صوتها حزيناً وحلوا في الهواء البارد الصافي:

غَنِيتُ لورق الشجر، لورق الشجر الفضي، وورق الشجر الفضي  
كان ينمو هناك:

وللريح غنيت، كانت هناك ريح جاءت تهب بين الفروع.

وراء الشمس، وراء القمر، كان الزبد في البحر،

و عبر شاطئ المارين نمت شجرة ذهبية.

Rahat Tastumتحت نجوم مساء دائم في الدامار،

في إلدمار بجوار جدران تيريون الجنية.  
 هناك نمت الأوراق الذهبية طويلاً فوق السنين المتشعبة،  
 بينما تذرف هنا وراء البحور الهادرة مثل الرعد دموع الجن،  
 آه يا لورين! الشتاء قادم، زمن أجرد عديم الأوراق؛  
 الأوراق تساقط في جدول الماء، النهر يتذدق بعيداً.  
 آه يا لورين! مكثت كثيراً جداً فوق هذا الشط الفريب  
 وفي تاج ذايل جدلَت زهور الإلأنور الذهبية.  
 ولكن، إذا كنت سأغنى الآن للسفن، أي سفينة ستأتي إلى،  
 أي سفينة ستحملني دائمًا عائدة عبر بحر واسع؟

أوقف أراجورن قاربه عندما اقتربت السفينة الإوزة وصارت جنباً إلى جنب معه.  
 أنهت السيدة أغنتها وحيتهم، وقالت: «لقد أتينا لنودعكم الوداع الأخير، وأن نساعدكم  
 ببركات من أرضنا».

وقال سليبورن: «على الرغم من أنكم كنتم ضيوفنا، فإنكم لم تأكلوا معنا بعد، ونحن  
 ندعوكم - بناء على ذلك - إلى حفلة وداع، هنا بين المياه المتداقة المناسبة التي ستحملكم  
 بعيداً عن لورين».

وراحت الإوزة تمر بطيئة إلى الهايد، وأداروا قواربهم وتبعوها. هناك في النهاية  
 الأخيرة من إجلاديل فوق العشب الأخضر عُقدت وليمة الوداع؛ ولكن فرودو أكل  
 وشرب قليلاً، حيث لم ينتبه إلا إلى جمال السيدة وصوتها. لم تعد تبدو خطيرة  
 أو رهيبة، أو ممتهنة بقوة خفية. كانت تبدو بالفعل، مثلاً لا يزال رجال من أيام لاحقة  
 يرون الجن في بعض الأوقات: حاضرة بيد أنها بعيدة نائية، طيف حي لذلك الذي قد  
 خلفته بالفعل وراءها ينابيع الز من المتداقة المناسبة.

بعد أن انتهوا من أكلهم وشرابهم، وجلسوا على الأعشاب، تحدث إليهم سليبورن مرة  
 أخرى عن رحلتهم، وأشار وهو رافع يده جنوباً إلى الغابة التي تقع وراء اللسان؛ وقال:  
 «بينما أنتم تذهبون عبر المياه، سوف تجدون أن الأشجار ستنتهي، وسوف  
 تصلون إلى أرض قاحلة. هناك يتدفق النهر في واد صخري بين مستنقعات عالية،  
 حتى يصل أخيراً بعد فراسخ كثيرة إلى جزيرة نيندروك الطويلة، التي نسميها نحن تول  
 براندier. وهناك تلقى بأذرعها حول شطآن الجزيرة شديدة الاتحصار، وتسقط عندئذ  
 محدثة ضجيجاً هائلاً ودخاناً فوق شلالات راورومن هابطة إلى نيندالف<sup>(1)</sup>، مستنقعات

Nindalf (1)

ويتوانج<sup>(1)</sup> – كما تسمونها بسانكم. وهي منطقة واسعة من المستنقعات الراكدة حيث يصبح الجدول أكثر تمواجاً والتواه وأكثر انقساماً. هناك يتدفق نهر إنتووش<sup>(2)</sup> داخلاً عن طريق مصايب كثيرة من غابة فانجورن في الغرب. وحول ذلك الجدول، على هذا الجانب من النهر العظيم، تقع روغان. على الجانب الآخر البعيد – تقع تلال إمين مويل الكثيبة. تهب الرياح من الشرق هناك، لأنها تطل على المستنقعات العميقة وأراضي نومان إلى سيريث جورجور والبوابات السوداء لموردور.

«بورومير، وأى أشخاص يذهبون معه للبحث عن ميناس تيريث، وسوف يحسرون صنعاً إن تركوا النهر العظيم فوق راوروس وعبروا نهر إنتووش قبل أن يصل إلى المستنقعات. ومع ذلك لا ينبغي عليهم أن يذهبوا بعيداً أكثر من اللازم عبر النهر، ولا يخاطروا بالتعرض للوقوع في شباك في غابة فانجورن<sup>(3)</sup>. إنها أرض غريبة، ومعروفة قليلاً الآن. ولكن بورومير وأراجورن بلا شك لا يحتاجان إلى هذا التحذير».

قال بورومير: «حقاً، لقد سمعنا عن فانجورن في ميناس تيريث. ولكن ما سمعته يبدو لي في الجزء الأعظم منها حكايات زوجات عجائز، مثل تلك التي نحكيها لأطفالنا. كل ما يقع إلى الشمال من روغان بالنسبة لنا الآن بعيد جداً لدرجة أن الخيال يمكنه أن يتجلو هناك بحرية. كانت فانجورن تقع منذ القدم على حدود مملكتنا؛ ولكن الآن مضت أجيال كثيرة من الرجال منذ أن قام أي واحد منا بزيارتها، لإثبات أو دحض الأساطير التي جاءتنا من سنين بعيدة».

«لقد ذهبتُ أنا نفسي إلى روغان ومكثتُ فيها لبعض الوقت، ولكنني لم أعبرها أبداً باتجاه الشمال. عندما أرسلتْ كرسول، مررتُ عبر الفجوة عن طريق ضواحي الجبال البيضاء، وعبرت نهر الآيزن ونهر الطوفان الرمادي إلى الأرض الشمالية. رحلة طويلة ومرهقة. أربعين سنة فرسخ في تقديرني، واستغرقتني في قطعها شهور كثيرة؛ لأنني فقدتْ حصاني في ثارباد، عند مخاضة نهر الطوفان الرمادي. بعد تلك الرحلة، والطريق الذي سرته مع هذه الصحبة، فإني لا أشك كثيراً أنني سأجد طريقاً عبر روغان، وفانجورن أيضاً، إذا لزم الأمر».

وقال سلبيوزن: «عندئذ لستُ أنا بحاجة إلى أن أقول أكثر من ذلك. ولكن لا تقل من شأن المعرفة التي جاءت من سنين بعيدة؛ لأنه قد يتصادف غالباً أن الزوجات

Wetwang (1)

(2) Entwash – يتصل بقمة الـ Ents – كائنات مثل الأشجار يسمون «رعاعة الأشجار»؛ أما wash – فهي جدول أو مستنقع [موقع؛ قاموس المورد <http://en.wikipedia.org/wiki/Fangorn> [المترجم]]

(3) Fangorn – للغاية نسبة إلى الشخص المسما بهذا الاسم (أو هو مسمى باسمها) – وهو واحد من الـ Ents (انظر أعلاه) [المترجم]

العجائز يحفظن في ذاكرتهن كلمات عن أشياء، حديث في وقت من الأوقات أن احتاج الحكماء إلى معرفتها».

وعندئذ نهضت جَلْدَرِيل من على العشب، وأخذت كأساً من إحدى خادماتها، وملأته من شراب الميد<sup>(1)</sup> الأبيض وأعطته إلى سليوزن، وقالت: «والآن حان الوقت لشرب كأس الوداع. اشرب، يا سيد جَلْدَهْرِيم! ولا تجعل قلبك يتقله الحزن، على الرغم من أن الليل لا بد أن يتبع الظهيرة، وقد قارب المساء بالفعل». عندئذ أحضرت كأساً لكل واحد من أفراد المجموعة، وطلبت منهم أن يشربوا نخب الوداع. ولكن عندما شربوا أمرتهم أن يجلسوا مرة أخرى على العشب، وتم وضع مقعدين لها ولسليوزن. وقت خادماتها صامتات حولها، ونظرت لوقت قصير إلى ضيوفها. وأخيراً تحدثت مرة أخرى، قائلة:

«لقد شربنا كأس الرحيل، والظلال تقع بيننا. ولكن قبل أن تمضوا، لقد أحضرت في سفينتي هدايا يقدمها لكم سيد وسيدة جَلْدَهْرِيم لكم في ذكرى لُوتُورِين». بعد ذلك نادت على كل واحد منهم باسمه.

«هذه هدية سليوزن وجَلْدَرِيل إلى قائد مجموعتكم»، قالت ذلك لأراجورن، وأعطته غمداً صُنع بحيث يُناسب سيفه. كان مفطى بزخرفة تشجيرية من الورود وأوراق الشجر صنعت من الفضة والذهب، وعليه وضع بحروف رونية جنية صيغت بكثير من الجوادر اسم أندوريل وتاريخ السيف ونسبة، وقالت:

«النصل الذي يُستل من هذا الغمد لا يتلطخ أو ينكسر حتى في حالة الهزيمة. ولكن هل هناك أي شيء آخر على الإطلاق ترغب في أن تطلب منه مني عند افتراقنا؟ لأن الظلمة ستتدفق بيننا، وربما لن تلتقي مرة أخرى، إلا إذا كان ذلك على البعد من هنا على طريق ليس به عودة».

وأجابها أراجورن قائلاً: «أيتها السيدة، إنك تعرفين كل ما أرغب فيه، وقد احتفظت لزمن طويل بالكنز الوحيد الذي أبحث عنه. ولكنه ليس ملكاً لك لتعطيني إياه، حتى لو أراك فعلت ذلك؛ ولن أصل إليه إلا عبر الظلمة».

وقالت جَلْدَرِيل: «ولكن ربما ينير ذلك فؤادك، لأنه ترك في رعايتي لكي أعطيه لك، إذا حدث ومررت عبر هذه الأرض». وبعد ذلك رفعت من حجرها حجرًا عظيماً لونه أخضر صاف، مرصع في بروش فضي كان قد صنع على شاكلة نسر أجنحته مفرودة؛ وبينما كانت تمسك به عاليًا، ومضت الجوهرة مثل الشمس تسقط عبر أوراق

(1) Mead - الميد: شراب مخمر يعد من عسل وملت وخميره (قاموس المورد) (المترجم)

الشجر في الربيع. «هذا الحجر أعطيته لسيلبريان ابنتي، وأعطيته هي لابنتها؛ والآن يصل إليك كعلامة على الأمل. في هذه الساعة، خذ الاسم الذي كان قد تتبئ به لك، إلى يسار، الحجر الجندي في منزل إلينديل!».

بعد ذلك أخذ أراجورن الحجر وشبك البروش على صدره، وتعجب الذين رأوه؛ لأنهم لم يلاحظوا من قبل قطُّ كم كان طويلاً وملكاً في وقته، وبدا لهم أن سنين كثيرة من الجهد والإرهاق قد ذالت من فوق كتفيه، وقال: «أشكرك على الهدايا التي أعطيتني إياها. يا سيدة لورين التي نشأت منها سيلبريان وأروين إيفينستار. أي مدح أكثر من ذلك يمكنني أن أقوله؟».

وحتى السيدة رأسها، وبعد ذلك التفتت إلى بورومير، وأعطيته حزاماً من ذهب؛ وأعطت ميري وبيبين أحزمة فضية صغيرة، كل منها به مشبك صنع مثل وردة ذهبية. وأعطت ليجولاس قوساً مثل ذلك الذي يستخدمه أهل جلاديم، أطول وأشد وأقصى من أقواس الغابة المظلمة، ووتره من شعرة جنية. وكانت معه جعبة من السهام.

وقالت لسام: «أما لك أيها الجناني الصغير ومحب الأشجار، فليس لدى سوى هدية صغيرة». ووضعت في يده صندوقاً صغيراً من الخشب الرمادي العادي، غير مزخرف باستثناء حرف رويني قضي واحد فوق الغطاء، وقالت: «هذا الحرف حرف (G) يمثل جلدريل، ولكن من الممكن أيضاً أن يمثل كلمة حديقة (Garden) بلغتكم. في هذا الصندوق، تربة من بستانى، والبركة التي لا يزال يتوجب على جلدريل أن تمنحها موجودة فيها. إنها لن تحميك في طريقك، ولا تدافع عنك ضد أي خطر، ولكن إذا أنت احتفظت بها، ورأيت ديارك مرة أخرى، ففي هذه الحالة ربما تمنحك مكافأتك. على الرغم من أنك ستجد كل شيء قاحلاً ومخرباً، فسوف تكون هناك بعض حدائق قليلة في الأرض الوسطى سوف تزهر مثل حديقتك، إذا قمت بتنثر هذه التربة هناك. بعد ذلك ربما تتذكر جلدريل، وتلمح نظرة من على بعد على لورين، التي لم ترها فقط إلا في شتاينا. لأن ربينا وصيفنا قد انقضيا، ولن يريا مطلقاً على الأرض مرة أخرى إلا في الذكريات والذاكرة».

واحمر وجه سام حتى أذنيه وتمنم بكلمات غير مسموعة، وهو يقبض على الصندوق وينحني كذلك محياً قدر استطاعته.

وقالت جلدريل، وهي تلتفت إلى جيولي: «وما هي الهدية التي يمكن أن يطلبها قزم من الجن؟».

وأجابها جيولي قائلاً: «لا شيء، أيتها السيدة. يكفيني أنني رأيت سيدة جلاديم، وأنني سمعت كلمات لطيفة».

وصاحت لأولئك الذين كانوا يحيطون بها: «لتسمعوا جميعكم أيها الجن! لا يقل أي أحد مطلقاً مرة أخرى أن الأقزام جشعون وبهم فظاظة! ولكنك على وجه التأكيد، يا جي ملي بن جولين، ترحب في شيء ما يمكنني أن أعطيه لك؟ سمه، إبني آمرك! إنك لن تكون الضيف الوحيد الذي يذهب بدون هدية».

وقال جي ملي: «ليس هناك من شيء، أيتها السيدة جلدريل»؛ وانحنى إلى أسفل وهو يتتمم: «لا شيء، إلا إذا كان بالإمكان – إلا إذا كان مسماً لي أن أطلب، كلا – أن أسمى شرة واحدة من شرك، تفوق كل ذهب الأرض مثلاً تفوق النجوم جواهر المنجم. إبني لا أطلب هذه الهدية. ولكنك أمرتني أن أذكر رغبتي».

وتحرك أفراد الجن وتمتموا في ذهول، وحدق سليوزن في القزم في دهشة، ولكن المسيدة ابتسمت، وقالت: «يقال إن مهارة الأقزام في أيديهم وليس في ألسنتهم؛ بيد أن هذا ليس صحيحاً فيما يتصل بجي ملي. لأنه لم يحدث قط أن طلب متى طلباً بهذه الجرأة ومع ذلك فهو في منتهي اللطف كهذا. وكيف لي أن أرفض، حيث إبني أمرته بالكلام؟ ولكن أخبرني، ما الذي ستفعله بمثل هذه الهدية؟».

وأجابها قائلاً: «احتفظ بها، أيتها المسيدة ككنز، في ذكرى كلماتك لي في أول لقاء بيننا. وإذا حدث وعدت مرة أخرى إلى دكاكين الحدادين في بلادي، فإنها ستتووضع في بلورة لا تقوى لتكون إرثاً خاصاً بي، وعهداً بحسن آلية بين الجبل وبين الغابة حتى نهاية الزمان».

فكت المسيدة واحدة من صفاتها الطويلة، وقطعت ثلاثة شعرات ذهبية، ووضعتها في يد جي ملي، وقالت: «هذه الكلمات ستذهب مع الهدية. إبني لا أتكهن بشيء، لأن كل التكهن الآن بلا جدوى: فمن ناحية يرقد الظلام، وفي الناحية الأخرى الأمل. ولكن إذا لم يتحقق الأمل، فإبني أقول لك، يا جي ملي بن جولين، إن يديك سوف تتدفق بالذهب، ومع ذلك فلن يكون للذهب أي سلطان عليك.

وقالت، وقد التفتت إلى فرودو: «وأنت، يا حامل الخاتم. أصل إليك أخيراً ولكنك لست آخرًا في أفكاري. بالنسبة لك، فإنني قد أعددت هذه». وأمسكت قبينة بلوريه صغيرة: كان تتوجه وهي تحركها، وقفزت أشعة من ضوء أبيض من يدها، وقالت: «في هذه القبينة، يوجد ضوء نجم إرينديل، موضوع في مياه فسيقي. سوف يظل يسطع أكثر إشراقةً عندما يكون الليل من حولك. لعله يكون ضوءاً لك في الأماكن المظلمة، عندما تخمد كل الأضواء الأخرى. تذكر جلدريل ومراتها!».

وأخذ فرودو القبينة، وراح تسطع للحظة بينهم، ورأى جلدريل مرة أخرى تقف مثل ملكة، عظيمة وجميلة، ولكنها لم تعد مرعبة. وانحنى، ولكنه لم يجد ما يقول من كلمات.

وعندئذ نهضت السيدة، وقادهم سيلبورن عائداً إلى الهايد. كانت الظهيرة صفراء ترقد على أرض اللسان الخضراء، وراحت المياه تتوجه وتلمع بالذهب. وتم إعداد كل شيء أخيراً. أخذ أفراد المجموعة أماكنهم في القوارب كما كانوا من قبل. ودفعهم أفراد جن لورين، وهم يصيرون بكلمات الوداع، بأعمدة رمادية طويلة إلى الخارج حيث النبع المتديق، وحملتهم المياه المتدققة بطيئاً بعيداً. وجلس المسافرون في سكون دون حركة أو كلام. على الضفة الخضراء بالقرب من اللسان، وقفت السيدة جلدريل بمفردتها في صمت. وعندما مروا بها، التفوا وراحت أعينهم تراقبها وهي تنطلق في سفينتها ببطء بعيداً عنهم. وذلك لأن الأمر هكذا بدا لهم: كانت لورين تنزلق للوراء، مثل سفينة مشرقة مزودة بصوار من أشجار مسحورة، تبحر إلى شواطئ منسية، بينما كانوا جالسين في بوس على حافة العالم الرمادي عديم الأوراق.

حتى بينما كانوا يحدقون، انطلق سيلفرلود إلى تيارات النهر العظيم، ودارت قواربهم وبدأت تسرع باتجاه الجنوب. وسرعاً أصبح شكل السيدة الأبيض صغيراً وبعيداً. كانت تستطع مثل نافذة من زجاج فوق تل بعيد في شمس الغريب، أو مثل بحيرة نائية ترى من على جبل: بللورة ساقطة في حجر الأرض. بعد ذلك بدا لفرودو أنها رفعت ذراعيها في تلویحة وداع أخيرة، ومن بعد، بيد أنه كان واضحاً وضوحاً تماماً، على الريح التي تتبعهم، جاء صوت يغنى. ولكن الآن كانت تغنى بلسان الجن القديم وراء البحر، ولم يفهم الكلمات التي كانت تغنى بها: كانت الموسيقى جميلة، ولكنها لم ترحة.

ولكن مثلها مثل كلمات الجن، ظلت محفورة في ذاكرته، وقام بعد ذلك بوقت طويل بترجمتها وتفسيرها، بقدر استطاعته: كانت اللغة لغة أغنية الجن، وتحدثت عن أشياء معروفة قليلاً في الأرض الوسطى.

*Ai! laurië lantar lassi súrinen,  
yéni únórimë ve rámar aldaron!  
Yéni ve líntë yuldar avánier  
mi oromardi lisse-miruvóreva  
Andúnë pella, Vardo tellumar  
nu luini yassen tintilar i eleni  
ómaryo airelári-lírinen.*

*Sí man i yulma nin enquantuva?*

*An sí Tintallë Varda Oiolosséo  
ve fanyar máryai Elenári ortanë,  
'ar ilyé tier undulávë lumbulë;  
ar sindanóriello caita mornië  
i salmalinnar imbë met, ar hisié  
uniúpa Calaciryo míri oialë.  
Sí vanwa ná, Rómello vanwa, Valimar!*

*Namárië! Nai hiruvalyë Valimar.  
Nai elyé hiruva. Namárië!*

«آه! مثل الذهب تسقط الأوراق في الريح، ستوات طويلة لا حصر لها مثل أجحة الشجر! مرت السنون مثل جرعات سريعة من شراب الميد الحلو في أبياء ساقمة وراء الغرب، أسفل قباب فاردا الزرقاء حيث ترتعش النجوم على الأغنية بصوتها، مقدسة وملكية. من سيقوم بملء الكأس ثانية لي؟ حيث إن المُعشِّلة، فاردا، ملكة النجوم، من جبل أبيض على الدوام قد رفعت يديها <sup>بـ</sup>مثل السحب، وغرقت كل الطرقات بعمق في الظل؛ ومن خارج بلد رمادي ترقد الظلمة على الأمواج المزبدة بيننا، ويغطي السديم جواهر كالاسيريا للأبد. الآن ضاعت، ضاعت لأولئك الذين يأتون من الشرق هي فاليمار! الوداع! ربما تجدون فاليمار. ربما حتى أنت يمكنك أن تتعثر عليها. الوداع!» فاردا هو اسم تلك السيدة التي يسميها الجن في أراضي المنفى هذه باسم البرث.

وفجأة انطلق النهر متدفعاً حول منحني، وارتقت الضفاف على كلا الجانبين، واختفى ضوء لورين. ولم يأت فرودو إلى هذه الأرض الجميلة مطلقاً مرة أخرى. وأدار المسافرون وجوههم عندئذ إلى الرحلة؛ كانت الشمس أمامهم، وكانت أعينهم منبهرة؛ لأنها كانت ممتلئة جميعاً بالدموع. وراح جي ملي يبكي صراحة، وقال لليجولاس رفيقه:

«لقد أقيمت النظرة الأخيرة على تلك التي كانت الأكثر جمالاً. من الآن فصاعداً، لن أقول عن أي شيء إنه جميل، ما عدا هديتها». ووضع يده على صدره.

«أخبرني، يا ليجولاس، لماذا جئتُ أنا في هذه المهمة؟ أنا ما أعرفه عن مكمن الخطر قليل! لقد تحدثت إلروند حقاً، حيث قال إنه ليس بإمكاننا أن نتكهن بما قد نقابله في

طريقنا، العذاب في الظلمة كان هو الخطر الذي خشيته، ولم يعقني ويمعني. ولكن ما كنت لأجيء، لو أتيت عرفت خطر الضوء والفرحة. والآن وقد جرحتُ أسوأ جرح في هذا الفراق، حتى ولو كنت ساذهباً في هذه الليلة مباشرة إلى سيد الظلام. وأحسرتاه على جي ملي بن جولين!».

وقال ليجولاس: «كلا! وأحسرتاه علينا جميعاً! وعلى جميع ما يمشي في العالم في هذه الأيام التالية. لأن هذه هي الطريقة التي تسير الأمور عليها: أن تجد وتفقد، مثلاً يبدو لأولئك الذين يجري قاربهم على الماء. ولكنني أعدك مباركاً يا جي ملي بن جولين: لأن خسارتك تعاني منها بمطلق وكامل حريتك، وربما كنت قد اخترت خياراً غير ذلك. ولكنك لم تتخلى عن رفاقك، فأقل مكافأة على ذلك هي أن تظل ذكري لورثوريتن دوماً واضحة ودائمة في قلبك، ولا تذبل ولا تتقادم».

وقال جي ملي: «ربما، وإننيأشكرك على كلماتك. كلمات حقيقة دون شك؛ ولكن كل هذه الراحة فاترة. الذاكرة ليست هي ما يشهيه القلب. إنها فقط مرآة، ولكنها صافية مثل خليلد - زارام. أو هكذا يقول القلب عن جي ملي القزم. قد يرى الجن الأشياء غير ذلك. حقاً، لقد سمعت أن الذكرى بالنسبة لهم أكثر لعالم اليقظة منها لعالم الحلم. ليس الأمر كذلك بالنسبة للأقزام».

«ولكن من الأفضل ألا نتكلم أكثر من ذلك. انظر إلى القارب! إنه غاص جداً في الماء لما عليه من أمتعة كثيرة، والنهر العظيم سريع. إنني لا أرغب في أن أغرق حزني في ماء بارد». وأخذ مجادفاً، وجذف باتجاه الضفة الغربية، وراء قارب أراجورن في المقدمة، الذي كان قد تحرك بالفعل خارجاً من وسط النهر.

وهكذا، وأصلت المجموعة سيرها في طريقها الطويل، عبر المياه الشاسعة المسرعة، محمولة على الدوام باتجاه الجنوب. كانت الأشجار الجرداء تحيط بهم من كلتا الضفتين، ولم يروا أي لمحه من الأرضي وراءهم. وحمد النسيم، وتدفق النهر دون صوت. لم يكسر الصمت صوتاً لأي طائر. أصبحت الشمس سديمية بينما تقدم اليوم، إلى أن راحت تومض في سماء شاحبة مثل لؤلؤة بيضاء عالية. بعد ذلك اختفت في الغرب، وجاء الغسق مبكراً، تبعته ليلة مظلمة لا نجوم فيها. وراحوا يسرون فوق الماء لوقت طويل في الساعات الهدئة المظلمة، وهم يديرون قواربهم تحت الظلال المعلقة للأشجار الغربية. كانت الأشجار العظيمة تمر بهم مثل الأشباح، ضاربة بجذورها المتوية العطشى عبر السديم إلى أسفل في الماء. كانت موحشة وباردة. جلس فرودو وأنصت لارتفاع الموج الخافت بالصخور وخرير ماء النهر يتدافع بين جذور الشجر وخطب الشجر الطافي بالقرب من الشاطئ، حتى انحنى رأسه نعاساً، وراح في نوم مضطرب.

## الفصل التاسع النهر العظيم

أيقظ سام فرودو. وجد فرودو نفسه يرقد، ملفوفاً جيداً، تحت أشجار طويلة لحاوها رمادي في ركن هادئ من الغابة على الضفة الغربية من النهر العظيم، أندوين. لقد نام طوال الليل، وكان ضوء الفجر معتماً بين الفروع الجرداء. كان جيولي مشغولاً يوقد ناراً صغيرة بالقرب منه.

وبدعوا سيرهم مجدداً قبل أن ينبلج الصباح. ليس لأن معظم المجموعة كانوا تواقين للإسراع باتجاه الجنوب: كانوا مقتنين أن القرار - الذي ينبغي عليهم أن يأخذوه بأقصى تقدير عندما يصلون إلى راوروس وجزيرة تيندروك، لا يزال بينهم وبينه مسيرة بضعة أيام؛ وتركوا النهر يحملهم على ظهره بسرعته هو، حيث لم تكن لديهم أية رغبة في الإسراع باتجاه الأخطار التي تتربص بهم فيما وراءه، أياً كان المسار الذي سلكوه في النهاية. تركهم أراجورن يسرون مع التيار حسبما يريدون، مذخراً قوتهم للتعب والإرهاق الذي سيقابلونه. ولكنهم أجهز أنهم على الأقل لا بد أن يبدعوا رحلتهم مبكرين كل يوم ويواصلوا سفرهم حتى وقت متأخر من المساء؛ وذلك لأنه كان يشعر في قلبه أن الوقت كان ملحاً وعاجلاً، وكان يخشى أن سيد الظلام لم يكن راقداً دون أن يفعل أي شيء بينما كانوا هم في لورين.

على الرغم من ذلك، لم يروا أي علامة على أي عدو في ذلك اليوم، ولا في اليوم التالي. مرت الساعات الكثيرة المظلمة دون أي حدث. وبينما كاد اليوم الثالث لرحلتهم ينقضي، تغيرت الأرض بيضاء، أصبحت الأشجار متقدمة قليلاً وبعد ذلك اختفت تماماً. على الضفة الشرقية على يسارهم، رأوا منحدرات عالية طويلة عديمة الأشكال تمتد عالياً وبعيداً باتجاه السماء؛ كانت تبدو بنية وذابلة، كما لو كانت النار قد مررت فوقها، ولم تترك أي ورقة شجر خضراء حية: دمار عدواني دون أن يخلف حتى شجرة مكسورة أو صخراً يخفف من الخواء والفراغ. لقد وصلوا إلى الأرض البنية التي ترقد - شاسعة وكثيرة - بين الغابة المظلمة الجنوبيّة وتلال إمين مويل. لم يستطع أي شخص حتى أراجورن أن يت肯ّ به الطاعون أو الحرب أو العمل الشرير الذي قام به العدو والذى قضى على كل هذه المنطقة ودمراها.

وفي الغرب على يمينهم، كانت الأرض لا شجر فيها أيضاً، ولكنها كانت مسطحة، وفي أماكن كثيرة خضراء بسهول واسعة من العشب. على هذا الجانب من النهر، مروا

بغابات من القصب الهائل، كانت طويلة للغاية لدرجة أنها كانت تحجب كل الرؤية باتجاه الغرب، بينما راحت المراكب الصغيرة تشق طريقها ولها حفيظ عبر حدودها المرتعشة. كان ريشها المظلم الدابل منحنياً وتنقاذها الريح الخفيفة الباردة، وراحت تهس في صوت منخفض حزين. هنا وهناك، عبر فتحات بينها، كانت تقع عين فرودو فجأة على مروج مختلفة، وبعيداً فيما وراءها، التلال في غروب الشمس، وبعيداً على حافة الإبصار خط أسود، حيث سارت صفوف الجبال الضبابية الموجودة في أقصى الجنوب.

لم تكن هناك أي علامة على أي كائنات حية تتحرك، سوى الطيور. كان هناك الكثير منها: طيور صغيرة تصقر وتغبني بين ثباتات البورص، ولكنها نادراً ما كانت تُرى. سمع المسافرون مرة أو مرتين اندفاع وعواء أجنة الأوز العراقي، ولما نظروا للأعلى رأوا جماعة كبيرة تتدفق بأعداد كبيرة عبر السماء.

قال سام: «طيور التم<sup>(1)</sup>! وهي طيور ضخمة عظيمة أيضاً!»

وقال أرجورن: «نعم، وهي سوداء كذلك».

وقال فرودو: «كما هي شاسعة هذه الأرض وخالية وحزينة! لقد تصورت دائمًا أنه عندما يرتحل الشخص جنوباً، فإن الجو يصبح أكثر دفئاً ومرحاً، حتى يترك الشتاء في الوراء إلى الأبد».

وأجابه أرجورن بقوله: «ولكتنا لم نذهب بعيداً في الجنوب بعد. لا تزال الدنيا شتاءً، ونحن بعيدون جداً عن البحر. هنا العالم بارد حتى قدوم الربيع المفاجئ»، بل وربما يسقط ثلج مرة أخرى. على بعد أسفل خليج بيلفلاس، الذي يتدفق إليه نهر أندوين، الدنيا هناك دافئة ومرحة، ربما، أو من الممكن أن تكون لولا وجود العدو. ولكتنا على بعد مسافة لا تزيد على ستين فرسخاً، في ظني، جنوباً من الربيع الجنوبي بعيداً في مقاطعكم، مئات من الأميال الطويلة هناك. إنك تنظر الآن باتجاه الجنوب الغربي عبر سهول ريدرمارك الشمالية، روحان أرض سادة الخيول. قبل أن يمضي وقت طويل سوف نصل إلى مصب نهر ليملait<sup>(2)</sup> الذي يجري هابطاً من فانجورن ليلتاح بالنهر العظيم. هذا هو الحد الشمالي لروحان؛ وفي الماضي كل ما كان يقع بين ليملait والجبال البيضاء كان ملكاً للرهيريبيين. إنها أرض غنية وطيبة، وعشبها ليس له مثيل؛ ولكن في هذه الأيام الشريرة، لا يسكن القوم إلى جوار النهر أو يسرون غالباً بالقرب من شطائه. نهر أندوين واسع كبير، ولكن الأوركيين يمكنهم أن يرموا

(1) التم swans - والتَّم: الأوز العراقي وهو جنس طيور أهلية من رتبة كفيات الأرجل. (القاموس المحيط، نسخة على الإنترنت <http://lexicons.sakhr.com/openme.asp?fileurl=/html/1097126.html>) (المترجم)

(2) Limlight - معنى light هنا حسب الكاتب ساطع أو متير أو مشرق؛ أما lim فترك دون ترجمة؛ نهر ليم المشرق/المتير. (المترجم)

بسهامهم بعيداً عبر الماء؛ وفي الماضي، يقال، إنهم قد تجرءوا وعبروا المياه وأغاروا على قطuan روهان وخبطها».

نظر سام من الضفة إلى الضفة في قلق. كانت الأشجار تبدو عدائياً أمامهم، كما لو كانت تخفي علينا سرية وأخطاراً كامنة مترصدة؛ والآن تمنى أن لو كانت الأشجار لا تزال هناك. أحس بأن المجموعة صارت مكشوفة أكثر من اللازم، عائمة على ظهر قوارب صغيرة مفتوحة في وسط أراض لا مأوى فيها ولا ملاذ، وفي نهر كان جبهة للحرب.

في اليوم التالي أو اليومين التاليين، بينما وصلوا سيرهم، تحملهم قواربهم باطراد باتجاه الجنوب، ازداد هذا الشعور بعدم الأمان وشمل جميع أفراد الصحبة. راحوا يعملون مجاذيفهم في الماء طوال يوم كامل وهم يسرعون السير للأمام. وانزلقت صافاف التهير للخارج. وسرعاً ازداد النهر اتساعاً وأصبح أكثر ضحالة؛ كانت هناك شواطئ صخرية طويلة ترقد في الشرق، وكانت هناك مخاطر خفية من الحجارة الصغيرة في الماء، ولذلك، كان من الضروري توخي الحذر في القيادة. وارتقت الأرضيات البشبية إلى سهول مرتفعة قائمة، كان يتدفق فوقها هواء بارد من الشرق. على الجانب الآخر، أصبحت المروج مرتفعات متكررة من عشب ذايل بين أرض من المستنقعات وكتل من الأعشاب. وارتعش فرودو، وهو يفكر في المروج الخضراء والفسقينات، والشمس الصافية والأمطار الرقيقة في لورين. كان هناك القليل من الحديث ولم يكن هناك أي ضحك في أي قارب من القوارب. كان كل فرد من أفراد المجموعة مشغولاً بأفكاره الخاصة.

كان قلب ليجو لاس يجري تحت نجوم ليلة صيف في فرج شمالي مكشوفة وسط أشجار الزان؛ كان جي ملي يقلب الذهب بأصابعه في عقله، ويتساءل إذا كان ملائماً ليصلاح سكناً لهدية السيدة. كان ميري وبيبين في القارب الأوسط متضايقين بشكل عصبي، لأن بور ومير جلس يتمتم مع نفسه، وأحياناً يقضم أظافره، كما لو كان بعض القلق أو الشك يلتهمه، كان أحياناً يمسك مجداً ويفود القارب وراء قارب أراجورن. بعد ذلك، لمح بيبيين - الذي كان يجلس في مقدمة القارب ينظر للوراء - ومضة غريبة في عينه، وهو ينظر للأمام محدقاً في فرودو. كان سام قد قرر منذ فترة طويلة - على الرغم من أن القوارب فيما يحتمل لم تكن خطيرة مثلاً حمل على الاعتقاد بذلك - أن القوارب غير مريحة أكثر بكثير حتى مما كان هو قد تخيل. كان متضايقاً وبائساً، حيث لم يكن لديه أي شيء لي فعله سوى أن يتحقق في أراضي الشفاء وهي تزحف مفتربة منهم والمياه الرمادية على كلا جانبيه. حتى عندما كانت المجاذيف قيد الاستخدام، فإنهم لم يكونوا يعهدون بوحدة منها إلى سام.

وبينما كان الغسق يتزل في اليوم الرابع، كان ينظر للوراء فوق رأس فرودو وأراجرن المنحنين والقوارب التالية؛ كان يشعر بالنعاس، وكان يتوق للتخبيب ولم يلمس الأرض تحت أصابع قدميه. وفجأة وقع بصره على شيء ما: في البداية حدق إلى هذا الشيء في همة وفتور، بعد ذلك نهض جائعاً وشك عينيه؛ ولكنه عندما نظر مرة أخرى لم يعد يرى ذلك الشيء مرة أخرى.

خيموا في هذه الليلة في جزيرة صغيرة قريبة من الضفة الغربية. وقد سام متفاعلاً بالبطانيات إلى جوار فرودو، وقال لفرودو: «لقد رأيت حلماً غريباً<sup>(1)</sup> منذ ساعة أو ساعتين قبل أن نتوقف، يا سيد فرودو. أو ربما لم يكن ذلك حلماً. على أيّة حال فقد كان غريباً». «حسناً وماذا كان هذا الحلم؟» - قال ذلك فرودو، وهو يعلم أن سام لم يكن ليستقر حتى يحكى له قصته، أياً ما كانت هذه الحكاية. «لم أر أو أفكّر في أيّ شيء يجعلني أبتسم منذ أن غادرنا لوتلورين».

«لم يكن غريباً بمعنى أنه مسل، يا سيد فرودو. لقد كان غير مألف. كل شيء خطأ، إن لم يكن ذلك حلماً. ومن الأفضل أن تسمعه. كان يسير على هذا النحو: رأيت زندًا خشبياً له أعين!».

قال له فرودو: «زند خشبي، لا يأس في ذلك. هناك الكثير منها في النهر. ولكن أبعد العينين جانباً!».

قال سام: «هذا ما لن أفعله. لقد كانت الأعين هي التي جعلتني أجلس منتصباً، إذا جاز القول. لقد رأيت ما ظنتُ أنه زند خشبي يطفو عبر النهر في الضوء شبه الخافت وراء قارب جميلي؛ ولكنني لم أعر ذلك كثيراً من الانتباه. بعد ذلك، بدا كما لو أن الزند الخشبي كان يحاول اللحاق بنا بطيناً. وكان ذلك متظراً غريباً وشاداً، إذا جاز لنا القول، وقد كنا جميعاً نطفو فوق نبع ماء معًا. في هذه اللحظة تماماً رأيت العينين: عينين شاحبتين مثل نقطتين، وكأنهما مصقولتان، في جزء مرتفع بالقرب من نهاية الزند الخشبي. والأكثر من ذلك، أنه لم يكن زندًا خشبياً، فقد كان له أقداماً يجذب بها، مثل إوزة تغريباً، الفرق الوحيد أنها كانت تبدو أكبر حجماً، وظللت تغطس في الماء وتخرج منه.

«كان ذلك عندما جلست منتصباً وفركت عيني، وكانت أنوي أن أطلق صرخة، إذ كان لا يزال هناك عندما فركت عيني لأطمر النعاس من رأسي. لأن ذلك كائنًا ما كان، فإنه كان قادماً سريعاً عندئذ وراح يقترب وراء جميلي. ولكنني لا أدرى إن كان هذان المصباحان قد لمحاني وأنا أحرك وأحدق، أو ما إذا كنت قد عدت إلى رشدي.

(1) Funny - معناها (1) غريب؛ أو (2) ظريف أو مسل أو مضحك.. المعنى الذي يقصد سام «1» (غريب)؛ المعنى الذي يقصد فرودو هو (ظريف، مسل، مضحك) (المترجم)

وعندما نظرت مرة أخرى، لم يكن موجوداً. ومع ذلك أعتقد أنتي لمحت، بطرف عيني، كما يقول المثل، شيئاً مظلماً ينطلق تحت ظل الضفة. لم أر أي عيون أخرى، على الرغم من ذلك.

وقلت لنفسي: «تلهم ثانية، يا سام جامجي»، هذا ما قلته؛ ولم أزد على هذا القول عند ذلك. ولكنني كنت أفتر من لحظتها، والآن لست متأكداً تماماً، بم تفسر ذلك يا سيد فرودو؟».

قال له فرودو: «إنتي لا أرى في ذلك أي شيء سوى زند خشبي والغسق والنعاس في عينيك، يا سام، إذا كانت هذه هي المرة الأولى التي شوهدت فيها هاتان العينان. ولكنها لم تكن المرة الأولى. لقد رأيتهما بعيداً وراءنا في الشمال قبل أن نصل إلى لورين. ورأيت مخلوقاً غريباً له عينان يصعد إلى المنصة الخشبية في تلك الليلة. ورأه هولديز أيضاً. وهل تذكر خبر الجن الذين راحوا يطاردون مجموعة الأوركين؟».

قال سام: «آه، أذكر، وأنذرك أكثر من ذلك أيضاً أنتي لا أحب أفكاري؛ ولكن بالتفكير في شيء آخر، وقصص السيد بيلبو وأخذ كل ذلك في الاعتبار، فإنني أتصور أن بإمكانني أن أضع اسماء لهذا المخلوق، مجرد تخمين. اسم قذر. جولام، ربما؟».

وقال فرودو: «نعم، هذا ما خشيته لبعض الوقت؛ منذ تلك الليلة في المنصة الخشبية. أعتقد أنه كان مختبئاً في موريا، وقد عثر على بليريقتنا عندئذ؛ ولكنني كنت أتمنى أن تبعده إقامتنا في لورين بعيداً وتفصله عن راحتنا مرة أخرى. لا بد أن المخلوق التعيس كان مختبئاً في الغابة قريباً من سيلفرلود، يراقبنا ونحن نبدأ رحلتنا!».

قال سام: «هو كذلك تقريراً. ومن الأفضل أن تكون نحن أنفسنا أكثر يقظة وحذرًا قليلاً، وإلا فإننا سنشعر ببعض أصابع قذرة حول رقابنا في ليلة من الليالي، هذا إذا حدث واستيقظنا على الإطلاق لنشعر بأي شيء. وهذا هو ما كنت أرمي إليه. ليس هناك داع لإبلاغ سترايدار أو الآخرين هذه الليلة. سوف أقوم بالحراسة والمرافقة. يمكنني أن أنام غداً، حيث لا يكون هناك المزيد من المتعة في القارب، إذا أمكنك القول».

قال فرودو: «ربما يمكنني القول بذلك، وربما يمكنني أن أقول «متعة له عينان». سوف تقوم بالحراسة؛ ولكن بشرط أن تُعد أن توقظني في نصف المسافة قبل حلول الصباح، إذا لم يحدث أي شيء قبل ذلك الوقت».

في الساعات المساكنة، خرج فرودو من نوم عميق مظلم، ليجد سام يهزه، وهمس سام قائلاً: «إنه من العار أن أوقظك، ولكن هذا الذي قلته أنت. ليس هناك من شيء أخبرك به، أو ليس هناك الكثير. ظننت أنتي سمعت بعض رشرشة خفيفة وصوت شم، منذ وقت قصير مضى؛ ولكنك تسمع الكثير من هذه الأصوات الغريبة عند النهر في الليل».

ونام هو، وانتصب فرودو في جلسته، وهو متلقي ببطانية، وراح يقاوم النوم. ومرت الدقائق أو الساعات بطيئة، ولم يحدث أي شيء. كان فرودو على وشك أن يستسلم لإغراء الهجوم مرة أخرى عندما راح شكل أسود لا يكاد يرى يطفو قريباً من القوارب الراسية. كانت هناك يد طويلة شبه بيضاء تُرى على نحو خافت وهي تنطلق وتمسك بالحافة العليا من جانب المركب؛ لمعت عينان شاحبتان مثل مصابيح ببرود وهم تحدقان نحو الداخل، وبعد ذلك ارتفعتا وحدقتا في فرودو في الجزيرة الصغيرة. لم تكونا على بعد أكثر من ياردة أو اثنتين، وسمع فرودو صوت هسيس منخفض للشهيق. ووقف، واستل سيفه سليجاً من غمده، وواجه العينين. وعلى الفور، انطلاع ضوؤهما. وكان هناك صوت هسيس مرة أخرى ورشše للماء، وانطلق الشكل المظلم الذي كان يشكل زند خشبي بعيداً مثل السهم عبر مجرى النهر مختفيًا في الليل. وتحرك أراجورن في نومه، والتفت، وجلس.

وقال هاماً، وقفز من مكانه سريعاً وجاء إلى فرودو: «ما الأمر؟ شعرت بشيء في نومي. لماذا سحبتك سيفك؟».

فأجابه فرودو قائلاً: «جولام. أو على أقل تقدير، هكذا أخمن».

وقال أراجورن: «آه! إذن أنت على علم بشأن قاطع الطريق الصغير الذي يتبعنا، أليس كذلك؟ كان يتبعنا متلصصاً طوال الطريق عبر موريا وإلى نيمروديل مباشرة. منذ أن ركبنا القوارب، وهو يرقد على زند خشبي ويجدف بيديه وقدميه. حاولت أن أمسك به مرة أو مرتين في الليل؛ ولكنه أكثر مكرًا من ثعلب، وجسمه متزلق مثل سمكة. كنت أأمل أن تظهره رحلة النهر، ولكنه مراكبي ماهر للغاية».

«سوف نحاول السير بسرعة أكبر غداً. لترقد أنت الآن، وسوف أقوم أنا بالحراسة ما تبقى من الليل. أتمنى أن لو وضعت يدي على ذلك التعيس. ربما يكون بمقدورنا الاستفادة منه. ولكن إن لم أستطيع الإمساك به، فسيكون لزاماً علينا أن نحاول أن نضيع منه. إنه خطير جداً. فبصرف النظر تماماً عن القتل ليلاً من جانبه، فإنه قد يرشد علينا أي عدو يتبعنا».

ومرت الليلة دون أن يظهر جولام أكثر من مجرد ظل مرة أخرى. بعد ذلك لجأت المجموعة إلى البقظة الشديدة والحدر، ولكنهم لم يروا جولام بعد ذلك طوال مدة الرحلة. إذ كان لا يزال يتبعهم، فإنه كان حذراً وماكرًا جداً. وبناء على أمر من أراجورن، فإنهم راحوا يجدفون الآن لفترات طويلة، وكانت ضفاف النهر تسير سريعاً إلى جوارهم. ولكنهم لم يروا سوى القليل من البلاد، وذلك لأنهم كانوا يرتحلون

في الغالب ليلًا وفي وقت الغسق، ويستريحون بالنهار، ويرقدون مختبئين بقدر ما تسمح به الأرض. وبهذه الطريقة، مضى الوقت دونما أي حدث حتى اليوم السابع. كان الطقس لا يزال كئيباً ومعتماً، وكانت الريح تهب من الشرق، ولكن عندما اقترب المساء واقترب دخول الليل، صفت السماء بعيداً باتجاه الغرب، وفتحت أحواض من ضوء خافت، أصفر وأخضر شاحب، تحت شطآن السحب الرمادية. هناك كانت ترى القشرة البيضاء للهلال وهي تتوهج في البحيرات البعيدة. نظر سام إليه وقطب حاجبيه.

في اليوم التالي، بدأت الأرض على كلا الجانبين تتغير سريعاً. بدأت الصفاف ترتفع وتصبح صخرية. وسرعاً كانوا يمررون عبر أرض صخرية شديدة الانحدار، وعلى كلا الشاطئين كانت هناك منحدرات شديدة الانحدار مدفونة في أحجام عميقه من الشوك ومن برقوم السياج، متشابكة بالعليق والنباتات المتسلقة. وكانت تقف وراءهم منخفضة جروف منها، وشروع صخرية كمدائن من صخر متخل بفعل عوامل الطقس، ومظلمة بسبب التفاف الليلاب حوله؛ وفيما وراء ذلك ارتفعت مرة أخرى سلاسل جبلية عالية على قمتها أشجار التوب التي لفتها الرياح. كانوا يقتربون من بلدة التلال الرمادية - إمين مويل، الحد الجنوبي لأرض التيه.

كانت هناك طيور كثيرة حول الجرف، وشروع المداخن الصخرية، وطوال اليوم راحت تحلق وتدور عالياً في الهواء أسراب من الطيور، سوداء قبالة السماء الشاحنة. وبينما كان أفراد المجموعة يرقدون في مخيّمهم، راح أراجورن يراقب الأسراب الطائرة في شك، متسائلاً إن كان جولام يقوم ببعض أعمال شريرة، وكانت أخبار رحلتهم عنده تنتقل في أرض التيه. وفي وقت لاحق، بينما كانت الشمس تأخذ في الغروب، وكانت المجموعة تتحرك وتستعد لبدء السير مرة أخرى، وسط بقعة سوداء في الضوء المتلاشي: طائر عظيم عالٍ وبعد، راح يدور آنا، ويطير آنا آخر، ببطء باتجاه الجنوب.

«ما هذا يا ليجولاس؟» - سأله أراجورن هذا السؤال، وهو يشير إلى السماء الشمالية. «هل هو - كما أظن - نسر؟».

فأجابه ليجولاس بقوله: «نعم. هو نسر، نسر صياد. إنني أتعجب بشأن ما يشير إليه ذلك أو يبني به. إنه بعيد جداً عن الجبال».

وقال أراجورن: «إننا لن نبدأ مسيرتنا حتى يحل الظلام تماماً».

وصلت رحلتهم إلى الليلة الثامنة. كانت الدنيا ساكنة ولا ريح فيها؛ كانت ريح الشرق المظلمة قد مرت. كان هلال القمر الرقيق قد سقط مبكراً في غروب الشمس الشاحب، ولكن السماء كانت صافية فوقهم، وعلى الرغم من أنه كانت هناك مساحات

كبيرة من السحب لا تزال تستطع في ضوء خافت، راحت النجوم تتوجه لامعة براقة في الغرب.

قال أراجورن: «هيا! سوف ن GAMER وتسير مرة أخرى في الليل. إننا في طريقنا إلى السنة من النهر لا أعرفها جيداً، لأنني لم أرتح أبداً في الماء في هذه الأجزاء من قبل، بين هنا والمنحدرات السريعة لنهر سارن جبير. ولكن إذا كنت على صواب في تقديرى، فإن هذه لا تزال على بعد أميال. لا يزال هناك أماكن خطيرة حتى قبل أن نصل إلى هناك: صخور وجزر صخرية في النهر. لابد أن تكون حذرين ويقطين تماماً وألا تحاول التجديف بسرعة».

أوكلت إلى سام في القارب الذي كان يسير في المقدمة مهمة المراقب. ورقد للأمام يحذق في الظلمة. وازدادت الليلة ظلمة، ولكن النجوم فوقهم كانت لامعة بشكل غريب، وكان هناك وميض في صفحة النهر. كان الوقت قريباً من منتصف الليل، وكانتوا يسرون برفق من غير جهد لبعض الوقت، لا يكادون يستعملون المجاريف، عندما صرخ سام فجأة بصوت عالٍ. على بعد ياردات قليلة فقط، لاحت أمامهم أشكال سوداء في النهر، وسمع الحركة الدوامية للمياه المتتسارعة. كان هناك تيار سريع دار شمالاً، باتجاه الشاطئ الشرقي حيث كانجرى الماء صافياً وخالياً. وعندما جروا جانباً، فإن المسافرين استطاعوا أن يروا، حيث صاروا عندئذ قريين جداً، الزبد الباهت للنهر يجد الصخور الحادة التي كانت بارزة وداخلة بشكل كبير في جريان الماء مثل سلسلة من الضروس. تم تجميع جميع المراكب معاً.

«أنت، هناك، يا أراجورن!» - صاح بورومير بهذه الكلمات، بينما ارتطم قاربه في القارب الذي كان في المقدمة. «هذا جنون! لا يمكننا أن نتحدى منحدرات النهر ليلاً! ولا يستطيع أي قارب أن ينجو في سارن جبير، سواء أكان ذلك ليلاً أم نهاراً». وصاح أراجورن: «للوراء، للوراء! در! در! إذا كنت تستطيع!» ودفع مدافنه في الماء، محاولاً أن يوقف القارب و يجعله يدور.

وقال لفرودو: «لقد فقدت تقديرى. إنني لم أكن أعلم أننا وصلنا إلى هذا الحد البعيد: أندوين يتتدفق أسرع مما كنت أظن. لا بد أن سارن جبير قريب من هنا بالفعل».

ويجهود عظيمة، أوقفوا القوارب، وببطء جعلوها تدور؛ ولكن في البداية لم يستطعوا أن يسروا للأمام إلا لمسافة قليلة ضد التيار، وكانوا دائماً يحملون إلى الضفة الشرقية أكثر قرباً وأكثر. كانت عندئذ تلوح في الليل مظلمة ومتزردة بسوء.

وصاح بورومير: «الجميع معاً، جدوا! جدوا! وإنما فسيجرنا التيار على المياه الضحلة الخطيرة». وبينما كان يتحدث أحس فرودو برافدة القص الخاصة بالسفينة تحتها تحاك بالصخر.

في هذه اللحظة، كان هناك رنين لأوتار القوس: راحت عدة سهام تنزق فوق رءوسهم، وسقط بعضها بينهم. ضرب أحدها فرودو بين كتفيه، ومال للأمام وهو يصرخ، وترك مجده من يده؛ ولكن السهم سقط في الخلف، حيث قهره درعه الخفي. ومر سهم آخر عبر غطاء رأس أراجورن؛ وضرب ثالث الحافة العليا من جانب القارب الثاني، قريباً من يد ميري. اعتقد سام أنه رأى أشكالاً سوداء تجري ذهاباً وإياباً فوق الصفاف الطويلة المغطاة بالحصى التي كانت تحت الشاطئ الشرقي. بدا أنهم قريبون جداً.

وصاح ليجولاس، وهو يتكلم بلغته هو: «بيركينون!».

وصاح جيولي: «أوركينون!».

وقال سام لفرودو: «إنه صنيع جولام، إنتي واثق من ذلك تماماً. والمكان هنا مكان لطيف لاختياره، أيضاً يبدو أن النهر عازم على أن يأخذنا بين أذرعهم!». ومالوا كلهم للأمام وهم يشدون المجاديف بقوة: حتى سام مد يد المساعدة. توقيعوا في أي لحظة أن يحسوا بعضة سهام سوداء مريرة. راح العديد منها ينزل فوق رءوسهم أو يضرب الماء قريباً منهم؛ ولكن لم تكن هناك أي إصابات أخرى. كانت الدنيا ظلاماً، ولكنها لم تكن مظلمة للغاية بالنسبة لأعين الأوركين، وفي ويمض التحوم لا بد أنهم أعطوا خصومهم الدهاء علامات معينة، ما لم تكن معاطف لورين الرمادية، والخشب الرمادي الذي صنع منه الجن القوارب، هي التي قهرت مكر أقواس موردور.

وواصلوا عملهم الكادح وهم يضربون بالمجاديف. في الظلمة كان من الصعب الوثيق أنهم كانوا يتحركون على الإطلاق؛ ولكن ببطء أصبحت حركة الماء دوامية، وتلاشى ظل الضفة الشرقية في الليل. وأخيراً، على البعد بقدر ما استطاعوا أن يحددوا، كانوا قد وصلوا إلى وسط النهر مرة أخرى وقدروا قواربهم عائدين لبعض المسافة فوق الصخور النائمة. بعد ذلك، وهي شبه منحرفة، دفعوها بكل قوتهم باتجاه الشاطئ الغربي. وتحت ظل الأجمات الذي كان يظلل للخارج فوق الماء، توافروا، والقطعوا أنفاسهم.

أنزل ليجولاس مجده وأخذ القوس الذي كان قد أحضره من لورين. بعد ذلك قفز على الشاطئ وصعد خطوات قليلة إلى الضفة. وشد وتر القوس، ووضع سهماً فيه، واستدار، وحدق للوراء فوق النهر عبر الظلمة. سمعت عبر الماء صرخات زاعمة حادة، ولكن لم ير أي شيء.

نظر فرودو لأعلى إلى الجي الذي يقف فوقه طويل القامة، بينما كان يحدق في الليل، يبحث عن علامة ليصوب عليها. كان رأسه مظلماً، متوجاً بنجم بيساء حادة كانت تتوهج في البرك السوداء للسماء وراءه. ولكن الآن تقدمت السحب العظيمة وهي

ترتفع وتبحر من الجنوب، مرسلة خيالة مراقبين إلى الحقول المليئة بالغيوم. وحل رعب مفاجئ بالمجموعة.

وصاح ليجولاس وهو ينظر لأعلى: «إلبيريث جيلثونيل!» حتى وهو يفعل ذلك، فإن شكلًا أسود، مثل سحابة بيد أنه ليس سحابة، حيث أنه كان يتحرك بسرعة أكبر كثيراً من السحابة، جاء من السوداد في الجنوب، وراح يسرع باتجاه المجموعة، حاجباً كل الضوء وهو يقترب منهم. وفي الحال ظهر كملوّق عظيم مجّنح، أكثر سواداً من الحفر في الليل. وارتعدت أصوات حادة شرسة لتحبيه عبر الماء. أحس فرودو بقشعريرة مفاجئة تسري عبر جميع جسده وتقبض على قلبه؛ كانت هناك برودة قاتلة، مثل ذكر الجرح القديم، في كتفه. وجأ على ركبتيه، كما لو كان يزيد الاختباء.

وفجأة غنى قوس لورين العظيم. انتطلق السهم زاعماً من الوتر الجنبي. نظر فرودو لأعلى. انحرف الشكل المجنح فوقه تقرباً. كانت هناك صرخة شديدة متدرمة، وهي تنزل من الهواء، وتتلاشى في الأسفل في ظلمة الشاطئ الشرقي. كانت السماء نظيفة مرة أخرى. كانت هناك جلبة صادرة عن أصوات كثيرة على البعد، تلعن وتولول في الظلمة، وبعدها حل الصمت. لم يأت بعد ذلك رمح، ولم تصدر صيحة مرة أخرى، من الشرق في تلك الليلة.

بعد فترة من الوقت، قاد أراجورن القوارب عائداً نحو أعلى النهر ضد التيار. راحوا يتحسّون طريقهم عبر حافة الماء لبعض المسافة، حتى وجدوا خليجاً صغيراً ضحلاً. كانت هناك أشجار قليلة نامية بالقرب من الماء، ونهضت وراء هم ضفة صخرية شديدة الانحدار. وهنا قررت المجموعة البقاء والانتظار حتى الفجر: كان من غير المجد محاولة الحركة أكثر من ذلك ليلاً. لم ينصبووا أي مخيم، ولم يوقدوا أي نار، ولكنهم رقدوا متضامين مع بعضهم في القوارب، وقد أرسيت كلها قريبة من بعضها.

وقال جيولي، وهو يمضغ رقاقة من اللييماس: «مبارك قوس جلدريل، ومبركة بـ ليجولاس وعينه! لقد كانت رمية عظيمة في الظلمة، يا صديقي!».

وقال ليجولاس: «ولكن من يمكنه القول ماذا أصابت؟».

وقال جيولي: «أنا لا أستطيع. ولكنني سعيد أن الشبح لم يقترب منا أكثر من ذلك. إنني لم أحبه على الإطلاق. لقد ذكرني كثيراً بالشبح في موريا - شبح العفريت العظيم!<sup>(1)</sup>»، وأنهي كلامه في همس.

(1) Balrog - معناها (Demon of Might) أي عفريت عظيم [موقع (المترجم)]

«إنه لم يكن عفريتاً عظيماً» - قال ذلك فرودو، وهو لا يزال يتنفس من البرودة التي حلّت به. «لقد كان شيئاً أكثر برودة وتباططاً للهمة. أعتقد أنه كان» ثم توقف والتزم الصمت.

«ما رأيك؟» - سأل بورومير في لهفة، وهو ينحني من قاربه، كما لو كان يحاول أن يلمع وجه فرودو.

فأجابه فرودو قائلاً: «أعتقد - كلا، لن أقول. أياً ما كان ذلك، فإن سقوطه قد أفرز أعداءنا».

وقال أراجورن: «هكذا يبدو الأمر. ولكن أين هم، وكم عددهم، وماذا سيفعلون بعد ذلك، إننا لا ندرى. هذه الليلة، ينبغي ألا ننام جميعاً! الظلمة تخفيانا الآن. ولكن ما الذي يمكن أن يظهره النهار؟ لا أحد يمكنه القول، لكن أسلحتكم قريبة في متناول أيديكم!».

جلس سام يربت على مقبرته كما لو كان بعد أصابعه، وينظر لأعلى إلى السماء، وقال متعملاً: «إنه غريب جداً. القمر هو نفسه في المقاطعة وفي أرض التي، أو ينبغي أن يكون كذلك. ولكن إما أن يكون خارج مساره، أو أنني مخطئ في تقدير حساباتي. تذكر، يا سيد فرودو، أن القمر كان يدخل في المحاق ونحن راقدون على المنصة الخشبية عالياً فوق تلك الشجرة: على بعد أسبوع من اكتمال القمر بدراً، فيما أعتقد. وقد مضى علينا أسبوع في الطريق الليلة الماضية، عندما ييزغ هلال جديد رقيق مثل قلامة الأظافر، كما لو كنا لم نمض أي وقت في بلد الجن.

«حسناً، يمكنني أن أتذكر ثلاثة ليالٍ هناك على وجه اليقين، وبيدو لي أنني أتذكر أيامًا عديدة أخرى، ولكني أقسم أنها لم تكن أبداً شهراً كاملاً. أي شخص سوف يعتقد أن الوقت لا يحسب هناك!».

قال فرودو: «وربما كانت هذه الطريقة التي تسير بها الأمور. في تلك الأرض - ربما - كنا في وقت كان قد مضى منذ زمن طويل في مكان آخر. ولم يحدث - في رأيي - إلا عندما حملنا سيلفرلود عائدين إلى أندوين أن عدنا إلى الوقت الذي يتدفق عبر الأرضي الفاني إلى البحر العظيم. ولا أتذكر أي قمر، سواء كان جديداً أم قديماً، في كراس جلديrim: لم يكن هناك سوى نجوم بالليل وشمس بالنهار».

وتحرك ليجو لاس في قاربه، وقال: «كلا، الوقت لا يتواتي مطلقاً، ولكن التغير والنمو ليس في الأشياء والأماكن متشابهاً. بالنسبة للجن، العالم يتحرك، ويتحرك سريعاً جداً، وبطيئاً جداً، على السواء. سريعاً، لأنهم هم أنفسهم يتغيرون قليلاً، وكل

شيء عدائم ينطلق مسرعاً: وهو مثار حزن لهم. وبطينا، لأنهم لا يحسبون السنين التي تجري، ليس لأنفسهم. الفصول المارة ليست سوى موجات صغيرة تتكرر دوماً في مجرى الماء الطويل، الطويل. ولكن تحت الشمس، ينبغي أن تبلى كل الأشياء لتصل إلى نهايتها في النهاية».

فقال فرودو: «ولكن البلى بطيء في لورين. قوة السيدة تسسيطر عليه. الساعات غنية، على الرغم من أنها تبدو قصيرة، في كاراس جلذون، حيث تستخدم جلذيريل الخاتم الجني».

وقال أراجورن: «لم يكن ينبغي أن يُقال ذلك خارج لورين، ولا حتى لي أنا. لا نتحدثوا أكثر من ذلك عن هذا الأمر. ولكن هكذا هي الأمور، يا سام: في تلك الأرض فقدت أنت حسابك. هناك، الوقت يتدفق سريعاً في مروره بنا، مثلما هي الحال بالنسبة للجن. انقضى القمر القديم، ونما الهلال وتضاءل في العالم الخارجي، بينما كنا نحن باقين هناك. وفي مساء أمس، طلع هلال مرة أخرى. لقد انقضى الشتاء تقريراً. الوقت ينساب إلى ربيع فيه القليل من الأمل».

انقضت الليلة في صمت وسكون. لم يسمع لا صوت ولا نداء مرة أخرى عبر الماء. أحس المسافرون الذين كانوا رابضين في قواربهم بتغير الطقس. أصبح الهواء دافئاً وساكتاً جداً تحت سحب رطبة عظيمة راحت تطفو عالياً من الجنوب ومن البحار البعيدة. بدا أن اندفاع النهر فوق صخور المنحدرات الصخرية في النهر يزداد علىاً وقرباً. بدأت أغصان الشجر فوقهم تساقط.

عندما طلع النهار، أصبح جال العالم من حولهم ضعيفاً وحزيناً. وبطينا تحول الفجر إلى ضوء باهت، منتشر ولا ظل فيه. كان هناك سديم على النهر، وكان الضباب الأبيض يلف الشاطئ؛ لم يكن بالإمكان رؤية الضفة البعيدة.

وقال سام: «لا أحتمل الضباب، ولكن هذا يبدو ضباباً سعيداً. الآن ربما يكون بإمكاننا أن نهرب دون أن يرانا أولئك العفاريت الملاغعين».

فقال أراجورن: «ربما يكون الأمر كذلك. ولكن سيكون من الصعب العثور على الطريق ما لم يرتفع الضباب قليلاً في وقت لاحق. وينبغي أن نعثر على الطريق، إذا كان لنا أن نعبر سارن جبير ونصل إلى إمين موبل».

وقال بورومير: «لا أدرك السبب الذي يحتم علينا أن نعبر المنحدرات النهرية أو نتبع النهر إلى أكثر من ذلك. إذا كان إمين موبل يقع أمامنا، ففي هذه الحالة يمكننا أن نترك هذه القوارب الصغيرة الخفيفة، ونسير باتجاه الغرب وباتجاه الجنوب، حتى نصل إلى إنتوش، ونعبر إلى بلادي».

وقال أراجورن: «يمكنا ذلك، إذا كنا متوجهين إلى ميناس تيريث، ولكن لم يتم الاتفاق على ذلك بعد. وهذا المسار قد يكون أكثر خطراً مما يبدو عليه. إن وادي إنتروش منبسط ممتد مستقعيّ، والضباب خطر قاتل هناك على أولئك» الذين يسرون على الأقدام أو محمولين. لن أترك قواربنا إلا إذا صار ذلك حتماً ولزاماً علينا. النهر على الأقل طريق لا يمكن أن نخطئه».

وعارضه بورومير قائلاً: «ولكن العدو يستولي على الضفة الشرقية. وحتى إذا مررت من بوابات أرجوناث ووصلت دون مضائقات إلى تيندروك، فما الذي ستفعله بعد ذلك؟ تقفز إلى أسفل الشلال وتنزل في المستنقعات؟».

فأجابه أراجورن قائلاً: «كلا! بل قل بالأحرى إننا سنحمل قواربنا عبر الطريق القديم إلى سفح راوروس، وهناك تلتزم الماء مرة أخرى. إلا تعلم يا بورومير أنك اخترت أن تنسى السلم الشمالي، والمقد عالي فوق أمون هين<sup>(١)</sup>، التي صنعت في أيام الملوك العظام؟ إنني على الأقل أفكر في الوقوف في ذلك المكان العالى مرة أخرى، قبل أن أقرر مسارى الآخر. هناك، ربما، سوف نرى علامة ما سوف ترشدنا».

وعارض بورومير هذا الخيار طويلاً، ولكن عندما أصبح واضحاً أن فرودو سيتبع أراجورن في أي مكان يذهب إليه استسلام، وقال: «ليس من شيم إنس ميناس تيريث أن يهجروا أصدقاءهم وقت الحاجة، وسوف تحتاجون إلى قوتي، إذا قدر لكم على الإطلاق الوصول إلى تيندروك. إلى الجزيرة الطويلة سوف أذهب، ولكن ليس أكثر من ذلك. هناك سوف أتجه أو دياري، بمفردي إن لم تكن مساعدتي قد نالت مكافأة أي رقة تصحبي».

راح النهار عند ذاك يتقدم، وارتفع الضباب قليلاً. لقد تقرر أن يذهب أراجورن وليجولاس في الحال للأمام عبر الشاطئ، في حين يبقى الآخرون عند القوارب. كان أراجورن يأمل في العثور على طريق ما يمكنهم أن يحملوا عبره كلاً من قواربهم وأمتعتهم إلى المياه الأكثر هدوءاً فيما وراء المنحدرات التهيرية، وقال:

«قوارب الجن لن تغطس في الماء – فيما يحتمل، ولكن هذا لا يعني أننا سنصل عبر سارن جبير أحياء. لم يفعل ذلك أحد قط بعد. لم يقم إنس جندور ببناء أي طريق في هذه المنطقة، لأنه حتى في عهودهم العظيمة لم يصل ملكهم إلى أندوين فيما وراء إمين مويل؛ ولكن هناك طريق للنقل في مكان ما على الشاطئ الغربي، إذا تمكنت من العثور عليه. لا يمكن أن يكون قد انذر بعد؛ لأن القوارب الصغيرة كانت ترحل من خارج

(١) Hill of the Eye – Amon Hen – أي تل العين. [موقع [http://en.wikipedia.org/wiki/Amon\\_Hen](http://en.wikipedia.org/wiki/Amon_Hen)]  
(المترجم)

أرض التيه إلى أوسيجليا، وكانت لا تزال تفعل ذلك حتى سنوات قليلة مضت، عندما بدأ أوركيو موردور يتكاثرون».

وقال بورومير: «نادرًا في حياتي أن خرج قاربي من الشمال، والأوركيون يجوسون خلسة على الشاطئ الشرقي. إذا تقدمت، فإن الخطر سيزداد مع كل ميل، حتى ولو وجدت طريقاً».

فأجابه أراجورن بقوله: «الخطر يتربص بنا في كل طريق جنوبى. انتظرونا لعدة يوم واحد. إذا لم نعد خلال ذلك الوقت، فسوف تعرفون أن الشر قد حاقد بنا حقاً. عندئذ ينبغي أن تأخذوا قائدًا جديداً وتتبعوه بأفضل ما يمكنكم».

كان فرودو حزيناً جداً وهو يرى أراجورن وليجولاس يصعدان الضفة شديدة الانحدار ويختفيان في السديم؛ ولكن ثبت أن خوفه كان بلا أساس. لم تمض سوى ساعتين أو ثلاث ساعات، وكان الوقت بالكاد في منتصف النهار، عندما ظهرت أشكاال ظلامية للمستكشفين مرة أخرى.

وقال أراجورن، وهو يتسلق هابطاً الضفة المرتفعة: «كل شيء على ما يرام هناك طريق يؤدي إلى رصيف جيد لا يزال قابلاً لل استخدام. المسافة ليست كبيرة: رأس منحدرات النهر لا يبعد إلا نصف ميل تحتنا، وهي لا تزيد على ميل واحد طولاً. وليس بعيداً جداً عنها، يصبح مجرى الماء صافياً وهادئاً مرة أخرى، على الرغم من أنه يجري سريعاً. إن مهمتنا الأكثر صعوبة ومشقة ستكون الوصول بقواربنا وأمعتنا إلى طريق النقل القديم. لقد عثروا عليه، ولكنه يقع على مسافة كبيرة وراء جانب الماء هنا، ويجري تحت جانب جدار صخري، على مسافة فرنج أو أكثر من الشاطئ. إننا لم نعثر على المكان الذي يقع فيه الرصيف: إذا كان لا يزال موجوداً فلا بد أننا مررنا به ليلة أمس. ربما نجهد أنفسنا في السير ضد التيار، ومع ذلك سوف نفقده في الضباب. أخشى أنه يتحتم علينا أن نترك النهر الآن، وننجه إلى طريق النقل بأقصى ما نستطيع من هنا».

ورد بورومير قائلاً: «لن يكون ذلك سهلاً، حتى ولو كنا جميعاً من الإنس».

قال أراجورن: «ولكن ونحن على ما نحن عليه، فإننا سوف نجريه».

وقال جيولي: «نعم، سوف نجريه. أرجل الإنس سوف تتواتي على الطريق الوعر، في حين يستمر القزم في السير، ولو كان الحمل ضعف وزنه، يا سيدي بورومير!».

وثبت أن المهمة شاقة فعلاً، ولكن في النهاية تم إنجازها. تم إخراج حاجياتهم من القوارب وإحضارها إلى قمة الضفة، حيث كانت هناك مساحة فضاء مستوية. بعد ذلك سحبوا القوارب من الماء وحملوها. كانت أخف بكثير مما توقعه أي منهم. ولا يعلم أحد، حتى ليجولاس نفسه، من أي شجرة تنمو في بلد الجن صنعت هذه القوارب؛ ولكن

الخشب كان صلباً، ومع ذلك خفيف بشكل غريب. استطاع ميري وبيبين بمفردهما أن يحملا قاربهما بسهولة عبر المساحة الفضاء المسطحة. ومع ذلك، احتاج الأمر إلى قوة الاثنين من الإناء لرفع القوارب وسحبها على الأرض التي كان يتحتم على المجموعة عندها أن تعبّرها. وراح الطريق يصعد منحدراً بشدة لأعلى بعيداً عن النهر، مخلفات مكونة من جلاميد الصخور الكلسية، وفجوات كثيرة خفية مخبأة بالأعشاب والشجيرات القصيرة؛ كانت هناك أجمات من العليق، ووهاد شديدة التحدّر؛ وهنا وهناك كانت توجد برك مستنقعة تغذيها المياه المتقاطرة من المصاطب البعيدة في داخل اليابسة.

وحمل بورومير وأراجورن القوارب واحداً واحداً، في حين راح الآخرون يكدون ويتسلقون وراءهما حاملين الأمة. وأخيراً تم إخراج كل شيء ووضعه على طريق النقل. بعد ذلك، مع قليل من الإعاقة الأخرى، باستثناء ما كان من الورد البري المتسلق والكثير من الصخور المتتساقطة، راحوا يتحركون للأمام معاً. لا يزال الضباب عالقاً في حجب فوق الجدار الصخري المنهار، وعلى يسارهم كان السديم يغلف النهر: كانوا يسمعونه يندفع ويزبد فوق الأرفف الحادة والبروزات الصخرية في سارن جيرين، ولكن لم يروه. قاموا بهذه الرحلة مرتين، قبل أن يتم إحضار كل شيء بسلام إلى الرصيف الجنوبي.

هناك، حيث دار طريق النقل للوراء إلى جانب الماء، رأى يجري برفق تدريجي هابطاً إلى الحافة الضحلة للبحيرة الصغيرة. كانت تبدو وكأنها قد جوفت في جانب النهر، ولم تصنع باليد، ولكن من فعل المياه التي تجرى في دوامات لأسفل من سارن جيرين على رصيف منخفض من صخر كان ناتتاً لبعض المسافة في مجرى الماء. وفيما وراءه راح الشاطئ يرتفع بشكل حاد حتى تحول إلى جرف رمادي، ولم يكن هناك أي ممر آخر لأولئك الذين يسيرون على الأقدام.

كانت فترة ما بعد الظهيرة القصيرة قد انقضت فعلاً، وكان غسق معتم ملبد بالغيوم يطبق عليهم. جلسوا إلى جوار الماء ينتصتون إلى التدافع والخريف المختلط للمنحدرات النهرية المخبأة في السديم؛ كانوا متبعين وينغلبهم النعاس، وكانت قلوبهم حزينة مكتوبة مثل النهار الذي كان يحضر.

وقال بورومير: «حسناً، ها نحن قد وصلنا، وهنا ينبغي علينا أن نمضي ليلة أخرى. إننا بحاجة إلى النوم، وحتى لو كان أراجورن يفك في عبور بوابات أرجوناث ليلاً، فإننا جميعاً متبعون للغاية ما عدا، بلا شك، قزمانا المتنين».

ولم يدر جيولي جواباً: كان يهز رأسه نعاساً وهو جالس.

وقال أراجورن: «دعونا نستريح أكبر قدر ممكن الآن. غداً ينبغي علينا أن نرحل بالنهار مرة أخرى. ما لم يتغير الطقس مرة أخرى ويخدعنا، سنكون أمامنا فرصة

طيبة في الأزلق والهرب، دون أن ترانا أي أعين على الشاطئ الشرقي. ولكن الليلة، ينبغي أن يتعاقب اثنان معاً في الحراسة: ثلاثة ساعات من النوم، وساعة في الحراسة.

لم يحدث أي شيء هذه الليلة أسوأ من سقوط المطر في رذاذ لمدة ساعة قبل الغرب. وبمجرد أن طلع النهار تماماً، بدءوا رحلتهم. كان الضباب يتشعّب بالفعل. وظلوا قريبين من الجانب الغربي قدر استطاعتهم، وكانوا يرون أشكالاً معتمة للجروف المنخفضة تزداد ارتفاعاً دائماً، جدران مثل الظلال سفوحها في النهر المسرع. في فترة الضحى نزلت السحب لأسفل وباتت أكثر انخفاضاً، وبدأت تمطر بغزاره. شدوا الأغطية الجلدية فوق أحذيثهم ذات الرقيقة للحيلولة دون غمرها بالماء، وواصلوا سيرهم؛ لم يكونوا يرون سوى القليل أمامهم أو حولهم عبر السياور الرمادية المسدلة والمساقطة.

بيد أن المطر لم يستمر طويلاً. وراح السماء فوقهم في بطيء تصبح أكثر إشراقاً، وبعد ذلك فجأة انفتحت السحب، وراح أطرافهم المتشعبية تسير بعيداً باتجاه الشمال إلى أعلى النهر. انقطع الضباب والسديم. كان يرقد أمام المسافرين وهم مسail واسع، وله جوانب صخرية عظيمة كان متعلقاً بها - على الأرفف وفي الشقوق الضيقة - أشجار قليلة ملتوية كثيبة. أصبح مجرى الماء أكثر ضيقاً، وأصبح النهر أكثر سرعة. راحوا عندئذ يسرعون في سيرهم ومعهم قليل من الأمل في أن يتوقفوا أو ينطوفوا، لأنما كان ما سيقابلونه أولاً من الخيارين. كان فوقهم مجاز ضيق من سماء زرقاء شاحبة، وكان يحيط بهم النهر المظلم الذي تكسوه الظلال، وأمامهم كانت تلال إمين موبل - سوداء تحجب الشمس - لم يكن بالإمكان رؤية أي فُرجة فيها.

ونظر فرودو للأمام محدقاً فرأى على البعد صخرتين عظيمتين تفترسان بجها مثمن قمتين عاليتين أو عمودين عظيمين من صخر. كانتا تتفان طويتين، وشديدة الانحدار، ومندرتين بالسوء، على كل جانب من جنبي مجرى الماء. ظهرت فجوة صغيرة بينهما، وراح النهر يجرف القوارب باتجاهها.

وصاح أراجورن: «انظروا إلى الأرجوناث، أعمدة الملوك! سوف نمر بها في الحال. اجعلوا القوارب في طابور واحد، ومتى بعد قدر ما تستطيعون! الزموا وسط النهر!».

وبينما كان فرودو يحمل باتجاهه العمودان العظيمان، فإنما راحا يرتفعان مثل أبراج لمقابلتهما. بدا العمودان عملاقين أمامه، أشكال رمادية ضخمة صامتة بيد أنها متوعدة. بعد ذلك رأى أنهما كانا حقيقة جي ملي الشكل والصنعة: لقد أنجزتهما صنعة وقوة الماضي، ولا يزالان يحتفظان، على الرغم من الشمس والأمطار عبر السنوات المنسية، بالأشكال العظيمة التي نحتوا عليها. وفوق القواعد الصخرية العظيمة التي أسست في المياه العميقـة، كان يقف مكان عظيمان من الصخر: لا يزالان ينتظران في

عبوس بأعينهما التي عليها غمامه، وحواجبهما المنحوته، إلى الشمال. كانت اليد اليسرى لكل منهما مرفوعة والكف للخارج في إيماءة تحذير؛ وكان في كل يد يمنى بلطة؛ وكان فوق كل رأس خوذة وتابع متهشمان. لا تزال القوة العظيمة والجلال تظهر عليهما، الوصيآن الأمينان لمملكة تلاشت منذ زمن طويل. حل بفروعه ورعبه وخوف، وانكمش مرتعداً، وأغلق عينيه، ولم يجرؤ على أن ينظر لأعلى والقارب يقترب منهما. حتى بورومير نفسه حتى رأسه بينما اندفعت القوارب تدور حولهما، ضئيلة وسريعة مثل أوراق الشجر الصغيرة، تحت الظل الدائم لحراس نومينور. وهكذا مروا إلى الهوة المظلمة للبوابات.

ارتفعت الجروف المخيفة بشكل شديد الانحدار إلى ارتفاعات يصعب تخمينها والتنبؤ بها على كلا الجانبين. وعلى بعد هنالك كانت السماء المعتمة فوقهم. جاء صوت المياه المظلمة بجأر، ويرجع صدى الصوت، وراح تردد ريح قوية تصرخ فوقهم. سمع فرودو، وهو منكمش فوق ركبتيه، سام في المقدمة يتتمم ويهمهم قائلاً: «يا له من مكان! يا له من مكان رهيب! فقط دعوني أخرج من هذا القارب، ولن أبلل أصابع قدمي بعدها على الإطلاق في بركة ماء صغيرة مرة أخرى، ناهيك عن أي نهر!».

«لا تخف!» - قال ذلك صوت غريب وراءه. التفت فرودو ورأى سترايدار، ولكنه ليس سترايدار؛ لأن الجوال الذي أبلته عوامل المطرقس لم يعد موجوداً. في مؤخرة القارب، كان يجلس أراجورن بن أراثورن فخوراً وشامخاً، يوجه القارب بضربات ماهره؛ كان غطاء رأسه مطروحاً للوراء، وكان شعره الأسود ييب مع الريح، كان هناك ضوء في عينيه: ملك يعود من منفاه إلى أرضه.

وقال: «لا تخف! لكم نقت إلى النظر إلى أشباح إيسيلدور وأراريون، سادتي في الماضي. تحت ظلهما ليس هناك من شيء يخشاه إلى يسار - الحجر الجندي بن أراثورن من منزل ابن فالانديل إيسيلدور، وريث المنديل!».

بعد ذلك تلاشى الضوء في عينيه، وراح يتحدث مع نفسه: «أتمنى أن لو كان جندي هنا! لكم يتوق قلبي إلى ميناس أنور وجدران مدبتني! ولكن إلى أين سأذهب الآن؟». كان الشق طويلاً ومظلماً، ومملوءاً بضباب الريح وتدافع الماء وصوت صدر الصخر. انحني بعض الشيء باتجاه الغرب وهكذا كان كل شيء في البداية مظلماً أمامهم؛ ولكن فرودو سريعاً ما رأى فجوة طويلة من الضوء أمامه، تزداد كبراً. وراح تقترب منه سريعاً، وفجأة انطلقت القوارب مندفعه عبرها، وخرجت إلى ضوء كبير صاف.

كانت الشمس - وقد مضى وقت طويل بالفعل منذ أن هبطت من الظهيرة - تسطع في سماء تهب فيها الرياح . راحت المياه المحبوسة تنتشر في بحيرة بيضاوية طويلة ،

تين هيدوويل الشاحبة، يحيط بها كسياج تلال رمادية شديدة الانحدار كانت جوانبها مغطاة بالأشجار، ولكن رءوسها كانت جرداً، توْمِضَ وَمِيَضَا بارداً في ضوء الشمس. عند النهاية الجنوبية البعيدة ارتفعت ثلاثة قمم. كانت القمة الوسطى تقف متقدمة للأمام بعض الشيء من القمتين الأخريتين ومنفصلة عنهما، جزيرة في الماء، طرح النهر المتذبذب حولها أذرعاً شاحبة وأمضة. جاءهم مع الريح يحمله صوت هادر بعيد يبد أنه عميق مثل تدague الرعد يسمع من على بعد.

وقال أراجورن، وهو يشير جنوباً إلى القمة العالية: «انظروا إلى تول براندير! على اليسار يقف أمون لهو<sup>(1)</sup>، وفي اليمين يقف أمون هين<sup>(2)</sup>، تلال السمع والرؤيا. في أيام الملوك العظام، كانت هناك مقاعد عالية فوقهما، وكانت الحراسة تجري هناك. ولكن يُقال أنه لم تطا أي قدم لإنس أو حيوان أبداً فوق تول براندير. قبل أن يحل ظل الليل، فإننا منصل إليهما. إنني أسمع صوت راوروس السرمدي ينادي».

واستراحت المجموعة عندئذ لفترة قصيرة، حيث راحوا يندفعون جنوباً بقوة الريح على التيار الذي كان يتدفق عبر وسط البحيرة. تناولوا بعض الطعام، وبعد ذلك عادوا إلى مجاديفهم وراحوا يسرعون في طريقهم. غابت جوانب التلال الغربية في الظل، وأصبحت الشمس دائرة وحمراء. وراح التجم السديمي ييزغ من وقت لآخر. لاحت القمم الثلاث أمامهم، مظلمة في الشفق. كان راوروس ينطلق هادراً وله صوت عظيم. كان الليل قد حل بالفعل على المياه المتذبذبة عندما وصل المسافرون أخيراً تحت ظل التلال.

انتهي اليوم العاشر من رحلتهم. كانت أرض التيه وراءهم. لم يكن بإمكانهم أن يسيراً إلى أكثر من ذلك دون الأختيار بين الطريق الشرقي والطريق الغربي. كانت المرحلة الأخيرة من مهمتهم أمامهم.

[http://en.wikipedia.org/wiki/Amon\\_Lhaw](http://en.wikipedia.org/wiki/Amon_Lhaw) (1) – ومعناها (Hill of Ear)! أي تل السمع [موقع #Amon\_Lhaw (المترجم)]

[http://en.wikipedia.org/wiki/Amon\\_Hen](http://en.wikipedia.org/wiki/Amon_Hen) (2) – ومعناها (Hill of the Eye)<– أي تل الرؤيا [موقع Hen (المترجم)]

## الفصل العاشر

### فضن الصحبة

قادهم أراجورن إلى الذراع الأيمن للنهر. هنا على جانبه الغربي<sup>١</sup>، تحت ظل تول براندier، كانت تجري مرجة خضراء لأسفل إلى الماء من سفوح آمون هين. ووراءها كانت ترتفع منحدرات تدرجية من التل مكسوة بالأشجار، وراحت الأشجار تسير بعيداً باتجاه الغرب عبر شطآن البحيرة المنحنية. كان هناك نبع صغير يسقط هابطاً ويغذى الحشائش.

وقال أراجورن: «هنا سنتريح الليلة. هذه هي مرجة بارت جلين: مكان جميل في أيام الصيف في الماضي. دعونا نأمل ألا يكون أي شر قد أتى إلى هنا بعد».

وسبحوا قواربهم على الضفاف الخضراء، وبجوارها صنعوا مخيمهم. وضعوا حراسة، ولكن لم يكن هناك مرأى ولا سمع لأعدائهم. لو كان جولام قد احتال للأمر وتبعهم، فقد ظل مختبئاً ولم يسمع له صوت. على الرغم من ذلك، وبينما راح الليل ينقضي، أصاب أراجورن القلق، وراح يهتز في نومه قلقاً في الغالب ويستيقظ. في الساعات القليلة نهض وأتى إلى فرودو الذي كانت نوبته في الحراسة.

وسأل فرودو: «لماذا أنت مستيقظ؟ إنها ليست توبيك في الحراسة».

فأجابه أراجورن قائلاً: «لا أدرى، ولكن شبّحاً وتهديداً انتاباني بشكل متّام في يومي. سيكون من الجيد أن تستَّل سيفك».

وقال له فرودو متسائلاً: «لماذا؟ هل الأعداء قرييون؟».

وأجابه أراجورن بقوله: «دعنا نرى ما قد يظهره ستينج؟».

بعد ذلك أخرج فرودو سيفه الجنبي من غمده. وما أصابه بالرعب أن السيف كان يومض وميضاً خافتَا في الليل، فقال: «أوركينون! ليسوا قريين جداً، ولكنهم قرييون أكثر من اللازِم، فيما يبدو».

قال أراجورن: «لقد كنت خائفاً من ذلك. ولكن ربما لا يكونون على هذا الجانب من النهر. ضوء ستينج ضعيف، وربما لا يكون ما يشير إليه أكثر من جواسيس لموردور يجوبون منحدرات آمون لهو. إنني لم أسمع قط من قبل عن أوركينون على آمون هين. ولكن من يدري ما قد يحدث في هذه الأيام الشريرة الآن، ولم تعد ميناس تيريث تحافظ على أمن مرات أندوين. ينبغي علينا أن نسير بحذر جداً».

وطلع النهار مثل نار ودخان. كانت هناك قضبان سوداء من سحاب - منخفضة في

الشرق - مثل أدخنة حريق هائل. أضاءاتهم الشمس من أسفل بأسنة لهب حمراء ضبابية؛ ولكن سريعاً ما صعدت فوقهم إلى سماء صافية. كانت قمة تول براندир مغطاة بالذهب. نظر فرودو باتجاه الشرق وحدق في الجزيرة الطويلة. كانت جوانبها مرتفعة بشكل حادٍ من المياه الجارية. وهناك عالياً فوق الجروف المرتفعة كانت توجد منحدرات شديدة التحدّر، كانت هناك أشجار تصعد فوقها، تصعد قمة فوق الأخرى؛ وفوقهم مرة أخرى كانت هناك أسطح رمادية لصخر لا يمكن الوصول إليه، على قمته قمة كبيرة من الحجر. كانت هناك طيور كثيرة تدور حوله، ولكن لم تكن هناك أي علامة على أي كائنات حية يمكن رؤيتها.

وعندما كانوا قد انتهوا من تناول طعامهم، نادى أراجورن على المجموعة معاً، وقال: «لقد جاء اليوم أخيراً، يوم الاختيار الذي آخرناه طويلاً. ما الذي ستتصير إليه صحبتنا الآن التي سافرت حتى الآن في رفقة معاً؟ هل سندور غرباً مع بورومير ونذهب إلى حروب جنُدُور؛ أو نذهب شرقاً إلى الخوف والشبح؛ أو نغضّ صحبتنا ونذهب في هذا الطريق أو ذلك حسبما يحلو لكل واحد أن يختار؟ أياً كان ما نفعله، فلابد أن نفعله سريعاً. لا يمكننا أن نتوقف هنا طويلاً. العدو على الشاطئ الشرقي، نحن نعرف ذلك؛ ولكنني أخشى أنه ربما كان الأوركُيون بالفعل على هذا الجانب من النهر». وساد صمت طويل لم ينطق خلاله أحد بكلمة أو يتحرك.

وقال أراجورن أخيراً: «حسناً، يا فرودو. أخشى أن يكون العباء قد ألقى عليك أنت. أنت حامل الخاتم الذي عينك المجلس. طريقك تختره أنت وحدك. في هذا الأمر، لا يمكنني أن أؤدي إليك أي نصيحة. أنا لست جندياً، وعلى الرغم من أنني حاولت أن آخذ دوره، فإني لا أدرِّي ما كان لديه من خطة أو أمل لهذه الساعة، إذا كان لديه أي شيء من هذا القبيل حقاً. في الأعم الأغلب، يبدو أنه لو كان هنا معنا الآن، فإن الخيار كان لا يزال يتوقف عليك أنت. هذا هو قدرك».

ولم يجبه فرودو في الحال. وبعد ذلك تحدث ببطء قائلاً: «أعلم أننا بحاجة إلى العجلة، ولكن لا يمكنني الاختيار. الحمل ثقيل. أعطوني ساعة أخرى، وسوف أتكلم بعدها. اتركوني وحدي!».

ونظر أراجورن إليه بشفقة عطفة، وقال: «حسناً جداً، يا فرودو بن دروجو. سمعتُك ساعة، وسوف تكون بمفردك. سوف تبقى هنا لبعض الوقت. ولكن لا تبعد بعيداً أو خارج نطاق المناذرة».

وجلس فرودو للحظة ورأسه مطلطاً. أما سام - الذي كان يراقب سيده بقلق عظيم - فهز رأسه وتمتم قائلاً: «الأمر واضح وضوح الشمس، ولكن الأمر غير مجد أن يتدخل سام في الحديث في هذا الوقت تحديداً».

وفي الحال نهض فرودو ومشى بعيداً، ورأى سام أنه بينما كبحوا أنفسهم ولم ينظر إليه؛ فقد كانت علينا بورومير تتبع فرودو بتركيز شديد، حتى اختفى بعيداً عن مجال الرؤية بين الأشجار عند سفح أمون هين.

وبينما كان فرودو يتجول دونما هدف أولاً في الغابة وجد أن قدميه كانتا تقودانه لأعلى باتجاه منحدرات التل. ووصل إلى مجاز ضيق، الأطلال المترعرجة لطريق كان منذ زمن طويل. في أماكن شديدة التحدّر، كانت قد شقت سلالم من حجر، ولكنها كانت الآن متصدعة وبالية، ومشقوقة بجذور الأشجار. وراح يصعد لبعض الوقت، غير آبه بالطريق الذي يمضي فيه، حتى وصل إلى مكان تملأه الحشائش. كانت أشجار السنن نامية حولها، وفي المنتصف كان هناك حجر عريض مسطح. كانت المرجة المرتفعة مكشوفة في الشرق وكانت معلوّة في ذلك الوقت بضوء الشمس المبكر. توقف فرودو وأطل من فوق النهر، إلى أسفل منه بكثير، إلى تول براندير والطيور تندفع وتدور في دوامة هائلة من الهواء بينه وبين الجزيرة غير المأهولة. كان صوت الراوروس هادراً عظيماً ممتزجاً بدوياً مرتجف عميق.

وجلس على الحجر ووضع ذقه بين يديه، وراح يحدق باتجاه الشرق ولكنه لم ير إلا القليل بعينيه. كل ما كان قد حدث منذ أن ترك بيلبو المقاطعة كان يمر عبر عقله، واسترجع كل شيء، وقلبه في ذهنه بإمعان، استطاع أن يتذكره من كلمات جنّدَلْف. ومضى الوقت، وما زال لم يدن من أي خيار.

وفجأة استيقظ من أفكاره، ألم به شعور غريب بأن شيئاً ما كان وراءه، إن هذه العين المعادية كانت تترقبه. وقفز من مكانه والفت، ولكن كل ما رأه لدهشه كان بورومير، وكان وجهه باسماً وعطوفاً.

وقال وهو يتقدم نحوه: «كنت خائفاً عليك، يا فرودو. إذا كان أراجورن على صواب وكان الأوركيون قربين منا، ففي هذه الحالة لا ينبغي أن يتجول أي منا بمفرده، وأنت على وجه الخصوص الكثير جداً يعتمد عليك. كما أن قلبي أيضاً متعلق بهم والأسى. هل يمكنني أن أبقى الآن وأتحدث لبعض الوقت، حيث إنني قد وجئتكم؟ سوف يريحني ذلك. حيثما يكون هناك أشخاص كثيرون جداً، فإن كل الحديث يصبح نقاشاً دون نهاية. ولكن اثنين معاً ربما يمكنهما أن يجدان الحكمة».

وأجابه فرودو قائلاً: «أنت عطوف. ولكن لا أظن أن أي حديث من شأنه أن يساعدني. لأنني أعلم ما ينبغي عليّ أن أفعله، ولكنني خائف من فعله، يا بورومير: خائف».

وقف بورومير في صمت. وراح راوروس يهدّر ويهدّر على نحو متصل. راحت الريح تددمد بين فروع الأشجار. كان فرودو يرتعش.

وفجأة جاء بورومير وجلس إلى جواره، وقال: «هل أنت متأكد من أنك لا تعاني دون فائدة؟ أتمنى أن أساعدك. أنت بحاجة إلى مشورة في خيارك الصعب. ألا تأخذ مشوري؟».

قال له فرودو: «أعتقد أنتي أعرف يا بورومير المشورة التي ستقدمها لي، وسوف تبدو بمثابة الحكمة لو لا تحذير قلبي».

وقال بورومير بحدة: «تحذير؟ تحذير من ماذا؟».

«من التأخير. من الطريق الذي يبدو أكثر سهولة. من رفض العمل الموضوع علىي. من – حسناً، إذا كان ينبغي القول، من الثقة في قوة وصدق الإنسان».

«ولكن هذه القوة حمتك طويلاً على مسافات بعيدة في بلدك الصغير، على الرغم من أنك لم تكن تعرفها».

«إنني لا أشك في بسالة قومك. ولكن العالم يتغير. قد تكون جدران ميناس تيريث قوية، ولكنها ليست قوية بالشكل الكافي. إنها إن أخفقت، فماذا سيحدث إذن؟».

«سوف تسقط في المعركة ببسالة. ولكن لا يزال هناك أمل أنهم لن يفشلو».

وقال فرودو: «ليس هناك من أمل طالما كان الخاتم موجوداً».

وقال بورومير وعيناه تشعلان ضوءاً: «آه! الخاتم. الخاتم! أليس ذلك قدرًا غريباً أننا ينبغي أن نعاني كل هذا القدر من الخوف والشك بسبب شيء صغير جداً؟ شيء صغير جداً! ولم أره إلا للحظة في منزل إلرون. ألا يمكنني أن ألقى عليه نظرة مرة أخرى؟

ونظر فرودو لأعلى. أصيّب قلبه بالوهن والبرود فجأة. ولمح الوميض الغريب في عيني بورومير، ولكن وجهه كان لا يزال عطوفاً ودوداً، وأجاب: «من الأفضل أن يظل مختبئاً».

قال بورومير: «حسبما شاء. إنني لا آبه بذلك. ولكن لا يُسمح لي حتى الحديث عنه؟ لأنك لا تفكّر دائمًا إلا في قوته في يدي العدو، في استخداماته الشريرة ليس في نفعه. العالم يتغير، حسبما تقول. سوف تسقط ميناس تيريث، إذا ظل الخاتم موجوداً. ولكن لماذا؟ على وجه التأكيد، لو كان الخاتم مع العدو. ولكن لماذا، لو كان معنا؟».

وأجابه فرودو قائلاً: «ألم تكن في المجلس؟ لأننا لا نستطيع أن نستخدمه، وما يفعل به ينقلب إلى شر».

ونهض بورومير في مكانه وراح يتجول في نفاد صبر، وصاح: «وهكذا فأنت تواصل السير. جنْدَلْف، إلرون – كل هؤلاء القوم علموك أن تقول ذلك؛ لأنهم هم أنفسهم قد يكونون على صواب. هؤلاء الجن، وأنصار الجن، والسحراء، سوف يحزنون، من المحتمل. ولكن غالباً ما أشك إن كانوا حكماء وليسوا فقط سوئي جبناء.

ولكن كل حسب نوعه. الإنسان صادقو الفواد، لن يكون بالإمكان إفسادهم. نحن قوم ميناس تيريث كنا مخلصين عبر سنتين طويلة من التجربة. إننا لا نرحب في قوة سادة المحرقة، كل ما نرحب فيه هو القوة للدفاع عن أنفسنا، القوة في قضية عادلة. وانظر! في حاجتنا تجلب المصادفة لنا خاتم القوة. إنه هدية، حسبيما أقول؛ هدية لخصوم وأعداء موردور. من الجنون ألا نستخدم هذا الخاتم، لنسخدم قوة العدو ضد العدو نفسه. الذي لا يعرف الخوف، الذي لا يعرف الرحمة، هذه فقط هي التي ستحقق النصر. ما الذي لا يمكن للمحارب أن يفعله في هذه الساعة، قائد عظيم؟ ما الذي لا يمكن أن يفعله أراجورن؟ أو إذا هو رفض لم لا يفعل بورومير؟ سوف يعطيوني الخاتم قوة القيادة. كيف سأطرد جيوش موردور، وجميع الإنسان سوف ينطرون تحت لوائي».

وخطا بورومير للأمام بخطوات واسعة جيئةً وذهاباً، وراح يتحدث بصوت عال طوال الوقت. كان يبدو أنه قد نسي فرودو تكريباً، في حين أن حديثه استقر على الجدران وعلى الأسلحة، وتجمعات الإنسان؛ ورسم الخطط لتحالفات عظيمة وانتصارات مجيدة ستأتي؛ وتخلص من موردور، وأصبح هو نفسه ملكاً عظيماً، خيراً وحكيناً. وفجأة وقف ولوح بذراعيه.

وصاح قائلاً: «ويطلبون منا أن نرميه ونتخلص منه! لا أقول دمره. قد يكون هذا حسناً، إذا كان للعقل أن يُظهر أي أمل في إنجاز ذلك. ولكن ليس الأمر على هذا النحو. الخطة الوحيدة المقترحة أمامنا هي أن يمشي نصف<sup>(١)</sup> في عمى وجهالة إلى موردور، ويقدم للعدو كل الفرصة للاستيلاء عليه لنفسه مرة أخرى. حماقة!». والتفت فجأة إلى فرودو مرة أخرى وقال «بكل تأكيد أنت ترى ذلك، يا صديقي؟ تقول أنك خائف. إذا كان الأمر كذلك، فإن أكثر الأشخاص جرأة عليه أن يذرك. ولكن ما يعرض ليس هو فطرتك السليمة؟».

ورد عليه فرودو بقوله: «كلا، إنني خائف. خائف بكل بساطة. ولكني سعيد لأنني سمعتُك تتكلم على وجه كامل جداً. عقلي أكثر وضوحاً الآن».

«عندئذسوف تأتي إلى ميناس تيريث» - صاح بورومير بذلك. وكانت له عينان تلمعان ووجه تواق.

قال له فرودو: «لقد أساءت فهمي».

وأصر بورومير متسائلاً: «ولذلك ستأتي معي، على الأقل لبعض الوقت، مدینتي ليست بعيدة من هنا الآن؛ وهي أقل بعضاً من هناك إلى موردور منها من هنا. لقد أمضينا وقتاً طويلاً في البرية، وتحتاج إلى أخبار عما يفعله العدو قبل أن تتحرك أي حركة.

(١) نصف - Halfling - يقصد به هنا فرودو (ولعل أفضل ترجمة الكلمة في اللهجة المصرية الدارجة هي - النص!) (المترجم)

تعال معي يا فرودو». وواصل كلامه قائلًا: «إنك بحاجة إلى الراحة قبل مغامرتك، إذا كان لزاماً عليك المغامرة». وضع يده على كتف الهوبيتي بطريقة ودودة؛ ولكن فرودو أحس باليد ترتعش في إثارة مكبّته. وتراجع للوراء سريعاً، ونظر في ذعر إلى الرجل الطويل، قدر طوله مرتين تقريباً ويفوقه مرات كثيرة في قوته.

وقال بورومير: «لماذا أنت غير ودي، ومعاد بهذا القدر؟ إنتي رجل مخلص، لست لصاً ولا محالاً. إنتي بحاجة إلى خاتمك: وأنت تعرف ذلك الآن؛ ولكنني أعطيتك كلمتي أنتي لا أرغب في الاحتفاظ به. ألن تدعوني على الأقل أجرب خطتي؟ أعرني الخاتم!».

وصاح فرودو: «لا! لا! لقد وضع المجلس مسؤولية حمله على أنا».

وصاح بورومير: «سيغلينا العدو بسبب حماقتنا نحن. لكم يغضبني ذلك! أيها الأحمق! أيها الأحمق العنيد! تسير طواعية من تلقاء نفسك إلى الموت وتدمير قضيتنا. إذا كان لأي فان الحق في المطالبة بالخاتم، فإن هؤلاء سيكونون رجال نومينور، وليس الأنصاف. لا بد أن يكون لي. أعطه لي!».

ولم يجبه فرودو، ولكنه تحرك بعيداً حتى وقف الحجر المسطح العظيم بينهما، وقال له بورومير في صوت أكثر انفاساً: «تعال، تعال، يا صديقي! لم لا تتخلص منه؟ لم لا تتحرر من شراك وخوفك؟ يمكنك أن تلقي باللائمة علىي، إذا شئت يمكنك القول أنتي كنت قوياً جداً وأخذته منك بالقوة. لأنني قوي أكثر من اللازرم بالنسبة لك، أيها النصف»؛ قال ذلك وهو يصبح فيه؛ وفجأة قفز فوق الحجر العظيم وقفز على فرودو. وتغير وجهه الجميل واللطيف بشكل يشع مخيف؛ كانت هناك نار متوجحة في عينيه.

وتفاداه فرودو وراغ منه وجعل الحجر بينهما مرة أخرى. لم يكن هناك سوى شيء واحد يمكنه أن يفعله: أخرج الخاتم في سلسلته، وهو يرتعش، ووضعه في إصبعه سريعاً، عندما كان بورومير يقفز عليه مرة أخرى. ولهمث الرجل، وحدق للحظة في ذهول، وبعد ذلك جرى في جنون في المكان، يبحث عنا وهناك بين الصخور وبين الشجر.

وصاح: «أيها المحتال التعيس. دعني أضع يدي عليك! الآن أفهم ما يدور في عقلك. سوف تأخذ الخاتم إلى ساورون وتبيننا جميعاً. إنك فقط انتظرت فرصتك لتدركنا في وضع حرج وصعب. اللعنة عليك». ووقع باسطاً يديه وقدمييه، ورقد على وجهه. كان للحظة ساكناً كما لو كانت لعنته قد حللت به وطرحته أرضاً؛ بعد ذلك انخرط في البكاء فجأة.

ونهض ومرر يده أمام عينيه، وهو يبعد الدموع عنه، وصاح: «ما الذي قلته؟ ما الذي فعلته؟ فرودو، فرودو!» واستمر ينادي عليه: «عد! لقد أصابتني نوبة من جنون، ولكنها مضت وانقضت. عد!».

ولم يأته أي جواب. بل إن فرود لم يسمع صيحاته. لقد كان بعيداً جداً بالفعل، يقفز في عمى صاعداً الطريق إلى قمة التل. راح الرعب والحزن يهزاًه، حيث كان يرى في فكره وجه بورومير الشرس المجنون، وعينيه اللتين كانتا تحترقان.

وسريعاً خرج وحده وظهر على قمة أمون هين، وتوقف، وهو يلهث ليد النفس. رأى كما لو كان خلال السديم، دائرة مسطحة واسعة، ممهدة بأحجار لوحية ضخمة، ومحاطة بشرفة مفرجة منهاوية<sup>(1)</sup>؛ وفي الوسط كان موضوعاً على أربعة أعمدة منحوتة مقعد عال، يتم الوصول إليه بسلم له درجات كثيرة. وصعد لأعلى وجلس على المقعد القديم، وهو يشعر كأنه طفل ضائع قد صعد على عرش ملوك الجبال.

في البداية، لم يكن يرى إلا القليل. كان يبدو أنه في عالم من سديم لم يكن فيه سوى الظلال: كان الخاتم في يده. بعد ذلك راح السديم ينقشع هنا وهناك، ورأى خيالات صغيرة واضحة كما لو كانت تحت عينيه فوق طاولة، ومع ذلك بعيدة نائية. لم يكن هناك أي صوت، لم يكن هناك سوى صور حية مشرقة. بدا العالم وقد انكمش وغرق في الصمت. كان يجلس فوق مقعد الرؤية، على أمون هين، تل الرؤية لإنس فومنيو. باتجاه الشرق نظر إلى أراضي مجهلة غير مدونة على خرائط، وسهول لا أسماء لها، وغابات لم يرتداها أحد. باتجاه الشمال نظر، وكان النهر العظيم يرقد مثل شريط تحته، وكانت الجبال الضبابية تقف صغيرةً وصلبةً مثل سن مكسورة. وباتجاه الغرب نظر ورأى مراعي روحان الشاسعة؛ وأورثانك، برج آيزنجارد، مثل مسمار أسود. وباتجاه الجنوب نظر وكان تحت قدميه مباشرة النهر العظيم ملتوياً مثل موجة منقلبة وراح يندفع بقوّة فوق شلالات راوريوس إلى حفرة مزبدة؛ راح قوس قزح المتوج يلعب فوق الأدخنة. ورأى إثير أندوين، دلتا النهر العظيمة، وعشرات الآلاف من طيور البحر تدور مثل سحابة غبار بيضاء في الشمس، وأسفل منها بحر أخضر وفضي، يترافق في خطوط لا نهاية.

ولكن في كل مكان نظر فيه رأى علامات على الحرب. كانت الجبال الضبابية تزحف مثل تلال النمل: كان الأوركيون يُصدرون خارجين من آلاف الحفر. تحت غصون الغابة المظلمة كان هناك تزاع قاتل للإنس والجن والحيوانات الضارية. كانت أرض البورينجيين تحترق؛ كانت هناك سحابة غبار بيضاء في الشمس، وأسفل منها بحر حدود لورين.

كان الخيالة يجررون بخيالهم عدواً فوق مراعي روحان؛ كانت الذئاب تنهال من آيزنجارد. ومن مرافق هاراد راحت البوارج الحربية تبحر منطقه في البحر؛ ومن

(1) – شرفة مفرجة: جدار ذو فتحات على سطح حصن يطلق منها النار. (قاموس المورد) (المترجم)

الشرق كان أليس يتحركون دون انقطاع: رجال بسيوف، ورجال بحراب، ورجال بأقواس فوق صهوات الجياد، العجلات الحربية للزعماء وعربات ضخمة محملة كانت كل قوة سيد الظلام في حالة حركة وهياج. بعد ذلك التفت جنوباً مرة أخرى، ورأى ميناس تيريث. بدت بعيدة جداً، جميلة: جدرانها بيضاء، بها أبراج كثيرة، أبية وجميلة على مقعدها فوق الجبل؛ كانت جدرانها الحربية تتوجه مثل الفولاذ، وكانت أبراج الهجوم الخاصة بها تلمع بالكثير من الرؤى. وقف أمل في صدره. ولكن كانت هناك قلعة حصينة أخرى تقود ضد ميناس تيريث، أعظم وأكثر قوة. وبعيداً، باتجاه الشرق، سُحبَت عينه دون رغبة منه. ومرت عبر جسور أو سجلات المدمرة، وببوابات ميناس مورجول العايسة، والجبال المسكونة بالأشباح، ونظرت على جورجوروث، وادي الرعب في أرض موردور. كان الظلام يرقد هناك تحت الشمس. كانت النار تتوجه وبسط الدخان. كان جبل الملاك يحترق، ودخان عظيم يرتفع في الجو. عندئذ توقف بصره أخيراً: جدار فوق جدار، جدار حربي فوق جدار حربي، سوداء، متينة على نحو يتذرع قياسه، وجبل من حديد، وبواحة من فولاد، وبرج من أدمنت، لقد رأها: يارد دور، قلعة ساورون. وتخلَّ عن كل الأمل.

وفجأة أحس بالعين. كانت هناك عين في برج الظلام لم تتم. علم أنها قد أدركت نظرته المحدقة وأحسست بها. كانت هناك إرادة شرسه توأمة. وقفزت باتجاهه؛ شعر بها مثل إصبع تقربياً، تبحث عنه. وسرعاً سوف توقع به، تعرف على وجه التحديد مكانه. ولمست أمون لهو. وحدقت في تول براندير - وألقى بنفسه من على المقعد، وجثا على ركبتيه، وغطى رأسه بغطاء رأسه الرمادي.

وسمح نفسه يصرخ عالياً: أبداً، أبداً! أو هل كان ذلك: حقاً أمْ، آت إليكم؟ لم يمكنه أن يحدد. بعد ذلك جالت بخاطره فكرة أخرى مثل وميض ضوء من نقطة أخرى من القوة: أخلعه! أخلعه! أيها الأحمق، أخلعه! أخلع الخاتم!

وراحت القوتان تتنازعان داخله. وللحظة، متوازنة تماماً بين نقاط القوتين اللتين تخترقانه، فإنه راح يتلوى ويتعذب. وفجأة أصبح على وعي بنفسه مرة أخرى. فرودو، لا الصوت ولا العين: حر الاختيار، ومعه لحظة واحدة متبقية يفعل فيها ذلك. وخُلِعَ الخاتم من إصبعه. كان جاثياً على ركبتيه في ضوء الشمس الصافي أمام المقعد العالي. كان هناك ظل أسود يبدو أنه يمر فوقه مثل ذراع؛ وأخطأ أمون هين وراح يتحسس غرباً، وتلاشى. بعد ذلك أصبحت السماء كلها خالية وزرقاء، وراحت الطيور تغنى فوق جميع الأشجار.

ونهض فرودو على قدميه. كان به إعياء شديد، ولكن إرادته كانت ثابتة راسخة. وكان قلبه أكثر خلواً من الهموم. وتحدث بصوت عال مع نفسه، قائلاً: «سوف أفعل

الآن ما يتحتم على قطعه. هذا على الأقل واضح؛ إن شر الخاتم يؤثر بالفعل حتى على صحبة الخاتم، ولا بد أن يتركهم الخاتم قبل أن يفعل المزيد من الضرر ويلحقه بهم. سوف أذهب بمفردي. بعضهم لا يمكنني الوثوق به، وأولئك الذين يمكنني الوثوق بهم أعزهم وأحبيهم كثيراً جداً: سام العجوز المسكين، وميري وبيبين. وسترايدار، أيضاً: قلبه يتوق إلى ميناس تيريث، وسوف يحتاجون إليه هناك، أما بورومير فقد سقط في الشر. سوف أذهب بمفردي. في الحال».

ومضى سريعاً هابطاً عبر الممر وعاد إلى المرجة التي وجده بورومير فيها. بعد ذلك توقف، وراح يصغي. ظن أنه سمع صرخات ونداءات من الغابة بالقرب من الشاطئ، أسفل منه.

وقال: «سوف يبحثون عنّي. أتمنى أن لو عرفتكم غبت عنّهم. ساعات، أظن ذلك». وتلعثم، وقال متعمتاً: «ما الذي يمكنني أن أفعله؟ ينبغي أن أذهب الآن وإنما أذهب أبداً. لن تكون أمامي أي فرصة مرة أخرى. إنني أكره أن أتركهم، وعلى هذا النحو دونما أي تفسير. ولكنهم سيفهمون بكل تأكيد. سام سوف يتفهم الأمر. وماذا أيضاً يمكنني أن أفعله؟».

وأخرج الخاتم بطيئاً، ولبسه مرة أخرى. وتلاشى، وبمضى هابطاً عبر التل، في أقل من خشخة ريح.

ظل الآخرون طويلاً عند جانب النهر. لزموا الصمت لبعض الوقت، وهم يتحركون فيما حولهم في قلق؛ ولكنهم كانوا عندئذ يجلسون في دائرة، وكانوا يتحدثون. كانوا يحاولون من وقت لآخر الحديث عن أشياء أخرى، عن طريقهم الطويل وعن مغامرات كثيرة؛ راحوا يسألون أراجورن عن مملكة جنودور وتاريخها القديم، وبقايا أعمالها العظيمة التي لا يزال بالإمكان رؤيتها في أرض إمين موبل الحدودية الغربية هذه: الملوك المصنوعة من الحجر ومقاعد أمون لهو وأمون هين، والسلم العظيم إلى جوار شلالات راوروس. ولكن كانت أفكارهم وكلماتهم تعود دائمًا إلى فرودو وإلى الخاتم. ما الذي سيختار فرودو أن يفعله؟ ولماذا يتردد؟

وقال أراجورن: «إنه يقلب الأمر على كل وجوهه بشأن المسار الذي يدفع إلى اليأس أكثر ما يكون، فيما أعتقد. وحسناً سيفعل. لقد بات الأمر الآن أكثر يأساً بالنسبة للمجموعة أكثر من أي وقت مضى أن يذهبوا شرقاً، حيث إن جولام كان يتبعهم، ولا بد أن نخشى أن يكون سر رحلتنا قد كشف للعدو بالفعل. ولكن ميناس تيريث ليست أكثر قرباً من النار وتدمير الحمل<sup>(1)</sup>.

(1) الخاتم (المترجم)

«ربما نظل هناك لبعض الوقت ونتخذ موقفاً شجاعاً؛ ولكن السيد دنثور ورجاله لا يأملون في أن يفطروا حتى ما قال إلروند أنه خارج نطاق قوته: إما أن يحتفظوا بالحمل سراً، أو أن يكبحوا قوة العدو بالكامل عندما يأتي ليأخذه. أي طريق سوف يختاره أي واحد منها لو كان في مكان فرودو؟ أنا لا أدرى. الآن حقاً نفتقر إلى جندي أكثر مما يكون».

وقال ليجو لاس: «كم هي فادحة خسارتنا! ولكن من اللازم اللازم أن تتخذ قرارنا دون مساعدة منه. لماذا لا يمكننا اتخاذ القرار، حتى نساعد فرودو؟ دعونا نستدعيه وبعد ذلك نجري اقتراحًا! إنني سأصوت لصالح ميناس تيريث».

وقال جيولي: «وأنا كذلك. إننا - بالطبع - لم نُرسل إلا لمساعدة الحامل<sup>(1)</sup> عبر الطريق، وألا نذهب إلى أي بعد مما نريد ونرغب؟ وليس منا من أحد ملتزم بقسم أو أمر أن يذهب إلى جبل الهلاك. لقد كان رحيلي من لوثوريين صعباً. ولكن قد وصلت إلى هنا، وإنني أقول هذا: الآن قد وصلنا الخيار الأخير إنه واضح لي أنني لا أستطيع أن أترك فرودو. سوف أختار ميناس تيريث، ولكنه إن لم يختارها، فإنني سأتابعه».

وقال ليجو لاس: «وأنا أيضًا سأذهب معه. ستكون خيانة أن نودعه هنا ونتخلى عنه». وقال أراجورن: «سنكون خيانة حقاً، إذا نحن جميعاً تخلينا عنه. ولكنه إذا ذهب شرقاً، ففي هذه الحالة لن يكون الجميع في حاجة للذهاب معه؛ ولا أعتقد أن الجميع سيتعين عليهم الذهاب معه. المغامرة يحفها اليأس: وهي كذلك بذات القدر بالنسبة لـ شيئاً، مثلما هي بالنسبة لثلاثة أو اثنين، أو واحد بمفرده. إنكم لو تركتموني أختار، فلائقني معاين ثلاثة من الرفاق: سام، الذي لن يتحمل أي شيء خلافاً لذلك؛ وجيولي؛ وأنا. سوف يعود بورومير إلى مدینته، حيث يحتاج إليه أبوه وشعبه؛ ومعه ينبغي أن يذهب كل الآخرين، أو على الأقل ميريادوك وبيريجرين، إذا لم يكن ليجو لاس راغباً في تركنا».

وصاح ميري قائلاً: «لن يحدث ذلك على الإطلاق. لا يمكننا التخلص عن فرودو! لقد اعتزرت أنا وبيبين الذهاب أينما ذهب هو، ولا تزال مصممين على ذلك. ولكننا لم ندرك ما الذي سيعنيه ذلك. كان يبدو مختلفاً بعيداً جداً في المقاطعة أو في ريفنديل. سيكون جنوناً وقسوة أن نترك فرودو يذهب إلى موردور. لم لا نمنعه من ذلك؟».

وقال بيبين: «ينبغي علينا أن نمنعه. وهذا ما هو قلق بشأنه، إنني واثق من ذلك. إنه يعلم أننا لن تتوافق على ذهابه شرقاً. وهو لا يحب أن يطلب من أي شخص أن يذهب معه، الرفيق المسكين العجوز. هل تتصورون ذلك: يذهب وحده إلى موردور!» وارتजف بيبين. «ولكن الهوببي العجوز السخيف العزيز، ينبغي عليه أن

(1) حامل الخاتم، أي فرودو (المترجم)

يعرف أنه ليس لزاماً عليه أن يطلب. ينبغي عليه أن يعلم أنتا إن لم تستطع منعه، فإننا لن نتركه يذهب وحده».

وقال سام: «أستميحك عذراً. لا أعتقد أنك تفهم سيدى على الإطلاق. إنه ليس متربداً بشأن الطريق الذي يريد أن يسلكه. بالطبع لا! ما هو صالح ميناس تيريث على أية حال؟ بالنسبة له، أقصد، مع اعتذاري، يا سيدى بورومير»؛ قال مضيقاً ذلك، واستدار. كانت تلك هي اللحظة التي اكتشفوا فيها أن بورومير، الذي كان في بداية الأمر يجلس صامتاً في الدائرة من الخارج، لم يعد موجوداً في مكانه.

وصاح سام، وقد بدا عليه القلق: «والآن، أين يكون قد ذهب؟ لقد كان غريباً بعض الشيء في الفترة الأخيرة، بالنسبة لعقلي. ولكن على أية حال هو ليس في هذا الشأن. إنه منطلق إلى دياره، كما كان يقول دائماً، ولا لوم عليه. ولكن السيد فرودو، يعلم أنه يجب عليه أن يجد شقوق الهلاك، إذا استطاع. ولكنه خائف. والآن لقد وصل الأمر إلى النقطة الحرجة، إنه ببساطة مرعوب. ذلك هو مثار قلقه واضطرابه. بالطبع قد يتلقى بعض التعليم والتدريب، إذا جاز لي القول – ونحن جميعاً تلقينا ذلك – منذ أن غادرنا ديارنا، وإلا لكان مرعوباً للغاية لدرجة أنه كان سيرمي الخاتم في النهر ويفر هارباً. ولكنه لا يزال خائفاً جداً بحيث لا يمكنه أن يبدأ الرحلة. وهو ليس قلقاً بشأننا أيضاً: سواء ما إذا كذا سنمضي معه أم لا فهو يعلم أنتا تريد ذلك. هذا أمر آخر يقلقه. إنه إذا أكره نفسه وقرر الذهاب، فإنه سيود الذهاب بمفرده. انتبهوا لكلماتي! سنكون في ورطة عندما يعود. لأنه سيكره نفسه ويقنعها بالذهاب تماماً، متأكد من ذلك مثلاً أنا متأكد من أن اسمه باجيتز».

وقال أراجورن: «أعتقد أنك تتكلم بشكل أكثر حكمة من أي واحد هنا يا سام. وما الذي ستفعله، إذا ثبتت صحة ما تقول؟».

وصاح بيبيين قائلاً: «نعم! لا تدعه يذهب!».

قال أراجورن: «وكيف ذلك يا ترى؟ إنه هو الحامل، ويقع عليه مصير الحمل. لا أعتقد أنه من دورنا أن ندفعه في هذا الطريق أو ذاك. كما أنتي لا أعتقد أنتا ستخرج، إذا نحن حاولنا ذلك. هناك قوى أخرى تؤثر عليه أكثر قوة بكثير».

وقال بيبيين: «حسناً، أتعنى أن يكره نفسه ويقنعها بالذهاب، ويعود، ويدعنا ننهي هذا الأمر. إن هذا الانتظار رهيب! بالتأكيد لقد حان الوقت؟».

وقال أراجورن: «نعم. لقد مرت الساعة منذ وقت طويلاً. الصبح يكاد ينقضى. ينبغي علينا أن ننادي عليه».

في تلك اللحظة، عاود بورومير الظهور. خرج من بين الأشجار وراح يمشي

باتجاههم دون أن يتكلّم. بـدا وجهه متوجهًا وحزينًا. وتوقف كما لو كان يقوم بعد أولئك الذين كانوا حضوراً، وبعد ذلك جلس بمعزز عنهم، وعيناه في الأرض.

وـسألـه أراجورن قائلاً: «أين كنت يا بورومير؟ هل رأيـت فـرودـو؟».

وتـردد بـورومـير لـمدة ثـانية، ثم أـجاب بـبطء: «ـنعم، ولاـ. نـعـمـ: وجـدـتهـ فيـ مـكـانـ ماـ صـاعـدـاـ عـبـرـ التـلـ، وـتـحـدـثـ مـعـهـ. وـأـلـحـتـ عـلـيـهـ أـنـ يـأـتـيـ إـلـىـ مـيـنـاسـ تـيـرـيـثـ وـأـلـاـ يـذـهـبـ إـلـىـ الشـرـقـ. وـزـادـ غـضـبـيـ وـتـرـكـنيـ. وـتـلـاشـيـ. إـنـتـيـ لـمـ أـرـ مـثـلـ هـذـاـ الشـيـءـ يـحـدـثـ مـنـ قـبـلـ أـبـدـاـ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـتـيـ قـدـ سـمـعـتـ عـنـهـ فـيـ الـحـكاـيـاتـ. لـاـ بـدـ أـنـهـ قـدـ لـبـسـ الـخـاتـمـ فـيـ إـصـبـعـهـ. لـمـ أـسـتـطـعـ العـثـورـ عـلـيـهـ مـرـةـ أـخـرىـ. أـعـنـدـ أـنـهـ سـيـعـودـ إـلـيـكـمـ».

وقـالـ أـراجـورـنـ، وـهـوـ يـنـظـرـ بـشـدـةـ وـلـكـنـ لـيـسـ بـعـطـفـ كـبـيرـ إـلـىـ بـورـومـيرـ: «ـهـلـ هـذـاـ كـلـ مـاـ يـتـوجـبـ غـلـيـكـ أـنـ تـقـولـهـ؟ـ».

وـأـجـابـهـ قـائـلاـ: «ـنـعـمـ. لـنـ أـقـولـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ بـعـدـ».

وـصـاحـ سـامـ، وـقـدـ هـبـ وـاقـفاـ: «ـهـذـاـ أـمـرـ سـيـءـ!ـ لـاـ أـدـرـيـ مـاـ الـذـيـ كـانـ هـذـاـ الرـجـلـ بـصـدـدـهـ. لـمـاـ يـلـبـسـ السـيـدـ فـرـودـوـ الـخـاتـمـ؟ـ لـمـ يـكـنـ يـنـبـغـيـ عـلـيـهـ أـنـ يـقـعـ ذـلـكـ؛ـ وـإـذـاـ كـانـ قـدـ فـعـلـ، فـمـنـ الـذـيـ يـدـرـيـ مـاـ قـدـ يـكـونـ قـدـ وـقـعـ لـهـ؟ـ».

وـقـالـ مـيرـيـ: «ـوـلـكـنـ لـنـ يـقـيـهـ فـيـ إـصـبـعـهـ. لـيـسـ عـنـدـمـاـ يـكـونـ قـدـ تـجاـمـعـ مـنـ الـزـائـرـ غـيرـ الـمـرـغـوبـ فـيـهـ، مـثـلـمـاـ اـعـتـادـ بـيـلـبـوـ أـنـ يـفـعـلـ».

وـصـاحـ بـيـبـيـنـ: «ـوـلـكـنـ أـيـنـ ذـهـبـ؟ـ أـيـنـ هـوـ؟ـ لـقـدـ مـضـىـ وـقـتـ طـوـيلـ جـدـاـ مـنـذـ ذـهـابـهـ الـآنـ؟ـ».

وـسـأـلـ أـراجـورـنـ: «ـكـمـ مـضـىـ مـنـ الـوقـتـ مـنـذـ أـنـ رـأـيـتـ فـرـودـوـ لـآخـرـ مـرـةـ يـاـ بـورـومـيرـ؟ـ».

وـأـجـابـهـ قـائـلاـ: «ـنـصـفـ سـاعـةـ، رـبـماـ. أـوـ رـبـماـ تـكـوـنـ سـاعـةـ. وـقـدـ تـجـولـتـ لـبعـضـ الـوقـتـ مـنـذـ ذـلـكـ. لـاـ أـدـرـيـ!ـ لـاـ أـدـرـيـ!ـ»ـ وـرـضـعـ رـأـسـهـ بـيـنـ يـدـيـهـ، وـجـلـسـ كـمـاـ لـوـ كـانـ قـدـ أـحـنـاهـ الـحـزـنـ.

وـصـاحـ سـامـ: «ـمـضـتـ سـاعـةـ مـنـذـ أـنـ اـخـفـيـ!ـ يـجـبـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـحاـوـلـ وـنـعـثـرـ عـلـيـهـ فـيـ الـحـالـ. هـيـاـ بـنـاـ!ـ».

وـصـاحـ أـراجـورـنـ: «ـانتـظـرـوـاـ الـحـظـةـ!ـ يـجـبـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـقـسـمـ أـنـفـسـنـاـ اـثـنـيـنـ، وـنـرـتـبـ هـنـاـ، اـنـتـظـرـوـاـ!ـ اـنـتـظـرـوـاـ!ـ».

لـمـ يـكـنـ ذـلـكـ مـجـدـيـاـ. إـنـهـ لـمـ يـلـاحـظـوهـ. وـانـطـلـقـ سـامـ أـوـلـاـ. وـتـبـعـهـ مـيرـيـ وـبـيـبـيـنـ، وـكـانـوـاـ بـالـفـعـلـ يـخـتـفـونـ بـاتـجـاهـ الـغـرـبـ بـيـنـ الـأـشـجـارـ إـلـىـ جـوـارـ الشـاطـئـ، وـهـمـ يـصـيـحـونـ: فـرـودـوـ!ـ فـرـودـوـ!ـ بـأـصـوـاتـهـ الـهـوـبـيـتـيـةـ الـواـضـحةـ الـعـالـيـةـ. كـانـ لـيـجـوـلـاسـ وـجـيـمـلـيـ يـجـريـانـ. بـدـاـ أـنـ الـمـجـمـوعـةـ قـدـ أـصـبـيـتـ بـسـعـارـ أـوـ جـنـونـ مـفـاجـئـيـنـ.

وـقـالـ أـراجـورـنـ فـيـ غـيـظـ: «ـسـوـفـ تـبـعـتـ جـمـيعـاـ وـتـنـوـهـ. يـاـ بـورـومـيرـ!ـ لـاـ أـدـرـيـ أـيـ دـوـرـ لـعـبـتـهـ أـنـتـ فـيـ هـذـاـ الـعـمـلـ الشـرـيرـ، وـلـكـنـ سـاعـدـنـاـ الـآنـ!ـ لـتـذـهـبـ وـرـاءـ هـذـيـنـ الـهـوـبـيـتـيـنـ

الصغيرين، وتحرسهما على أقل تقدير، حتى إذا لم تستطع أن تتعثر على فرودو. فعد إلى هذه النقطة، إذا وجدته، أو عثرت على أي آثار له. سوف أعود في الحال». وقف أراجورن واقفاً سريعاً وذهب يبحث عن سام. وعندما وصل إلى المرجة الصغيرة مباشرة بين أشجار السنُن لحق به، وهو يكدر صاعداً التل، وهو يلهث وينادى، فرودو!

وقال له: «تعال معي يا سام! لا ينبغي أن يكون أي منا بمفرده. هناك شر من حولنا هنا. إبني أشعر به. سوف أذهب إلى القمة، إلى مقعد أمون هين، لأرى ما يمكن رؤيته. وانظر! الأمر كما حدثني قلبي، ذهب فرودو في هذا الطريق. اتبعني، وأبق عينيك مفتوحتين!» وسار مسرعاً عبر الطريق لأعلى.

وبذل سام قصارى جهده، ولكنه لم يستطع أن يلحق بسترايدار الجوال، وفي الحال تأخر عنه كثيراً. إنه لم يذهب بعيداً قبل أن يختفي أراجورن عن الرؤية أمامه. وتوقف سام وهو يلهث. وفجأة ضرب رأسه بيده.

وقال بصوت عال: «قف، يا سام جامجي! إن رجليك قصيرتان للغاية، لذلك استخدم رأسك! لأرى الآن! بورومير لا يكذب، هذه ليست طریقته؛ ولكنه لم يخبرنا كل شيء. هناك شيء ما أخاف السيد فرودو إلى أبعد حد. لقد أحير نفسه بالأمر وأقنعوا به، بشكل سريع ومفاجئ. لقد اتخاذ قراره أخيراً - أن يذهب. إلى أين؟ نحو الشرق. ليس بدون سام؟ نعم، حتى بدون رجله سام. هذا صعب، قاسٍ وصعب».

ومرر سام يده فوق عينيه، وهو يدفع عنهم الدموع، وقال: «اثبت يا جامجي! فكر، إذا كنت تستطيع! لا يمكنه أن يطير عبر النهر، ولا يمكنه أن يقف فوق مساقط المياه. ليس لديه أي عتاد. ولذلك لا بد أن يعود إلى القوارب. يعود إلى القوارب. عد على القوارب، يا سام، مثل البرق!».

واستدار سام وانطلق مثل القذيفة عائداً هابطاً الطريق. ووقع على الأرض وجرحت ركبتيه. ونهض وواصل جريه. وصل إلى حافة مرجة بارث جالن إلى جوار الشاطئ، حيث كانت القوارب قد سُحبَت من الماء. لم يكن هناك أحد. كان يبدو أن هناك صيحات في الغابة وراءه، ولكنه لم يعرها اهتماماً. ووقف يتحقق للحظة، ساكناً تماماً، فاغرّاً فاه. كان هناك قارب ينزلق إلى أسفل الضفة من تلقاء نفسه تماماً. وبصرخة انطلق سام مسرعاً عبر الحشائش. وانزلق القارب إلى الماء.

ونادى سام عالياً: «إني قادم يا سيد فرودو! إني قادم!؛ وقدف بنفسه من على الضفة، وأمسك بالقارب الذي كان يرحل. ولكنه أخطأه بمقدار ياردة واحدة. وبصيحة منه ورششة ماء سقط وجهه لأسفل في المياه العميقه السريعه. ونزل في الماء وهو يغرغر، وأطبق النهر على رأسه المجد.

وجاءت صرخة رعب من القارب الحالي. ودار مجداف سريعاً وغير القارب اتجاهه. وصل فرودو في الوقت المناسب وأمسك سام من شعر رأسه وهو يطفو فوق الماء، ويبيقق وينازع الموج. كان الخوف يحدق في عينيه البنيتين الدائرتين.

وقال له فرودو: «اطلع لأعلى، يا سام يا رجلي العزيز! الآن خذ يدي!». وقال سام وهو يلهث: «أنقذني، يا سيد فرودو. إنتي أغرق. لا أستطيع أن أرى يدك».

«ها هي ذي. لا تقرص، أيها الرجل! لن أدعك تفلت مني. سر في الماء ولا تخبط، وإلا فإنك ستقلب القارب. هو ذا الآن، أمسك بجانب القارب، واتركني أستخدم المجداف!».

وبضربات قليلة، لحضر فرودو القارب للوراء إلى الصفة، واستطاع سام أن يتسلق خارجاً، مبتلاً مثل فأر الماء. وخلع فرودو الخاتم، وقفز على الشاطئ مرة أخرى، وقال:

«من بين كل الأشياء المزعجة البغيضة المخزية أنت أسوأها جميماً يا سام!».

وقال سام وهو يرتجف: «أوه، يا سيد فرودو، هذا قاس وصعب! هذا قاس وصعب، أن تحاول الذهب بدوني تماماً. ما لم أكن قد خمنت تخيينا صحيحاً، أين كنت الآن؟».

«في طريقي في سلام».

وقال سام: «في سلام! بمفردك تماماً بدوني لأساعدك؟ إنتي لم أكن لأتحمل ذلك، كان ذلك سيكون بمثابة الموت بالنسبة لي».

وقال له فرودو: «سيكون ذلك بمثابة الموت بالنسبة لك لو أنك جئت معى، يا سامي، وما كنت لأتحمل ذلك».

وقال سام: «ليس ذلك أكيداً مثل تركي هنا وراءك».

«ولكني ذاهب إلى موردور».

إنتي أعرف ذلك جيداً بالشكل الكافي، يا سيد فرودو. بالطبع أنت ذاهب إلى موردور. وأنا قادم معك».

قال له فرودو: «والآن، يا سام. لا تعقني! سوف يعود الآخرون في أي لحظة. وإذا هم أمسكوا بي هنا، فسوف يكون لزاماً عليَّ أن أجادل معهم وأشرح لهم، ولن تواتي الشجاعة أبداً أو الفرصة، لأنطلق في رحلتي. ولكن يجب عليَّ أن أذهب الآن في الحال. هذه هي الطريقة الوحيدة».

وأجابه سام قائلاً: «بالطبع، هي كذلك. ولكن ليس بمفردك. سوف آتي معك، وإنقل يذهب أي منها. سوف أخرق القوارب كلها أولاً وأدميرها».

كان فرودو يضحك فعلاً. لمس قلبه دفء وسرور مفاجئان، وقال له: «اترك واحداً سوف تحتاج إليه. ولكن لا يمكنك أن تأتي على هذا التحو دون عتاد أو طعام أو أي شيء».

وصاح سام في لهفة: «فقط انتظرني لحظة، سوف أحضر حاجياتي! كل شيء جاهز. كنت أظن أننا سنبدأ الرحلة اليوم». وانطلق مسرعاً إلى مخيمهم، وأخرج حزمه من بين كومة الأحزمة من المكان الذي وضعها فرودو فيه عندما قام بإفراغ القارب من حاجيات رفاته، وأخذ بطانية إضافية، وبعض علب إضافية من الطعام، وجرى عائداً.

وقال فرودو: «وهكذا فقد فسدت كل خططي. ليست هناك من فائدة في الهروب منك. ولكنني سعيد، يا سام. لا يمكنني أن أخبرك بمدى سعادتي. تعال معى! من الواضح أننا قد أعددنا لتذهب معاً. سوف تذهب، ولعل الآخرين يجدون طريقاً آمناً! معرف يعني بهم سترايدار. لا أفترض أننا سنراهم مرة أخرى».

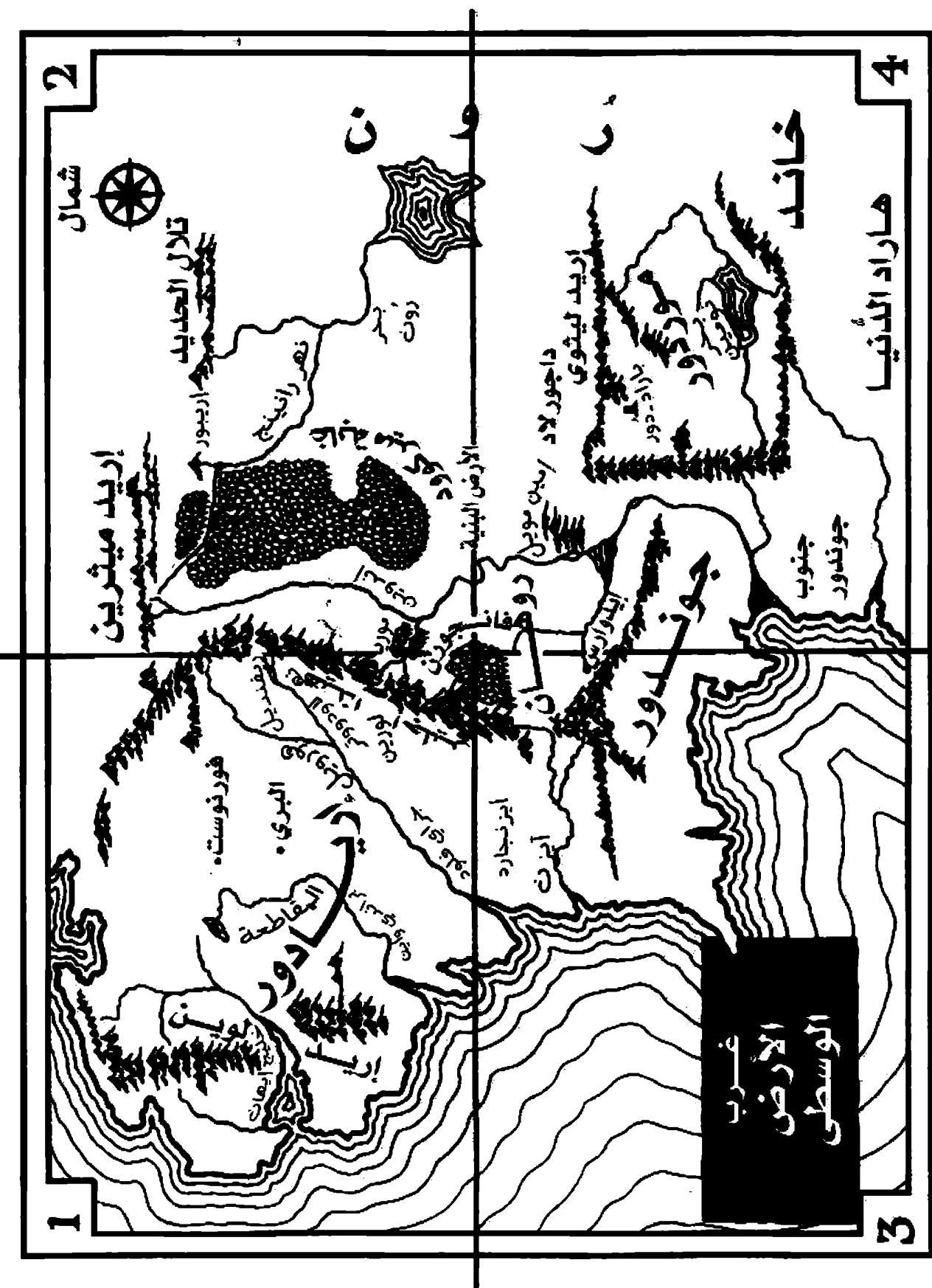
وقال سام: «ولكن، ربما، يا سيد فرودو. ربما».

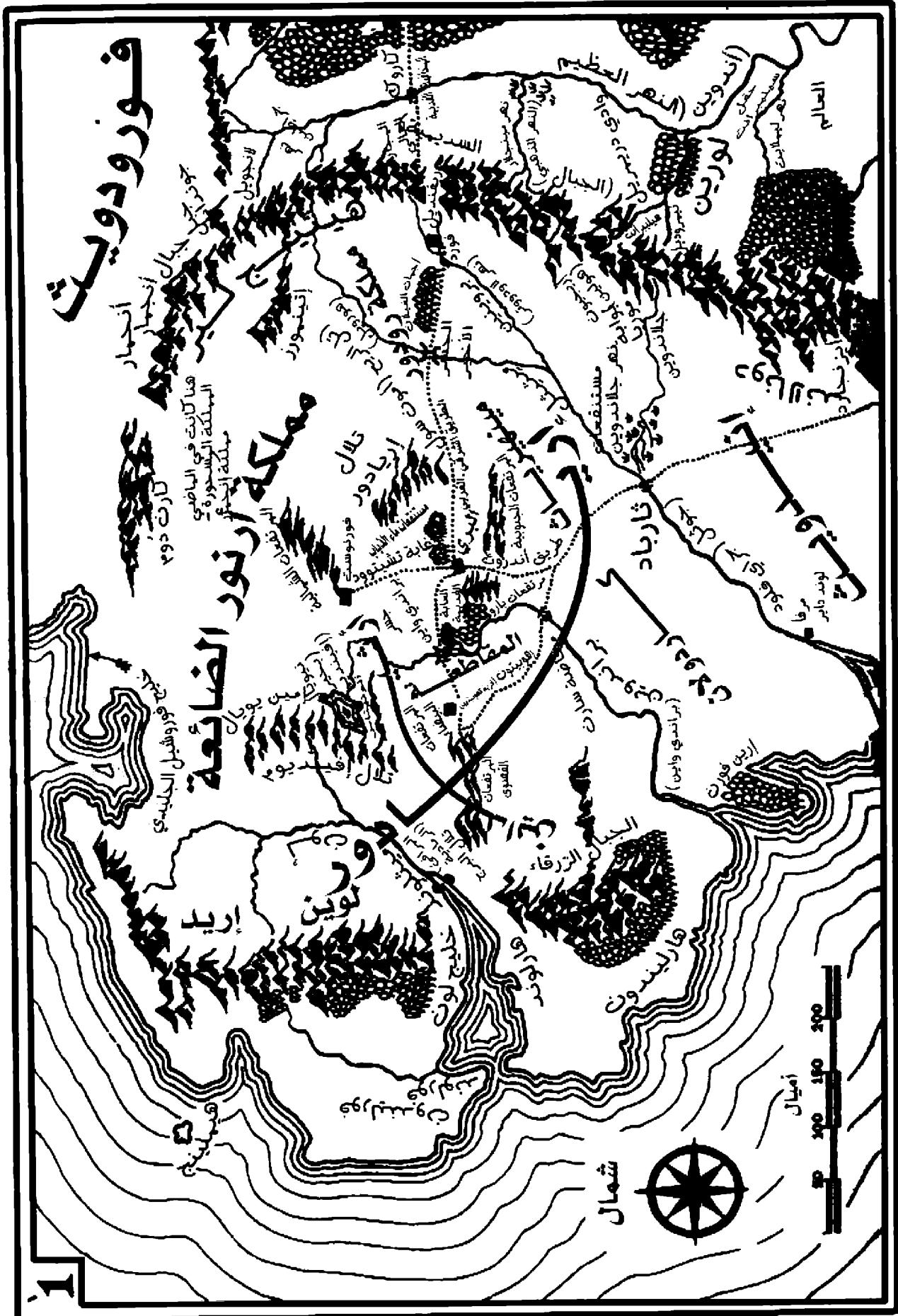
وهكذا انطلق فرودو وسام في آخر مرحلة من مراحل المهمة معاً. راح فرودو يجذف بعيداً عن الشاطئ، وحملهما النهر سريعاً بعيداً عبر ذراع النهر الغربي، ومروراً أمام جروف تول براندير العابسة. وازداد هدير المساقط العظيمة قرباً. حتى تلك المساعدة التي استطاع سام أن يقدمها، كان المرور عبر التيار في النهاية الجنوبية من الجزيرة وتوجيه القارب باتجاه الشرق نحو الشاطئ البعيد عملاً صعباً وشاقاً.

وأخيراً، وصلا إلى الأرض مرة أخرى فوق المنحدرات الجنوبية لأمون لهو. وهناك وجداً شاطئاً منحدراً، وسحبوا القارب من الماء، عالياً فوق الماء، وأخفياه جيداً قدر استطاعتهما وراء جلمود عظيم. بعد ذلك رفعاً أحmalهما، وانطلقاً في رحاتهما، يبحثان عن طريق يصل بهما إلى تلال إمين مويل الرمادية، ويبطئ بهما إلى أرض الظلام.

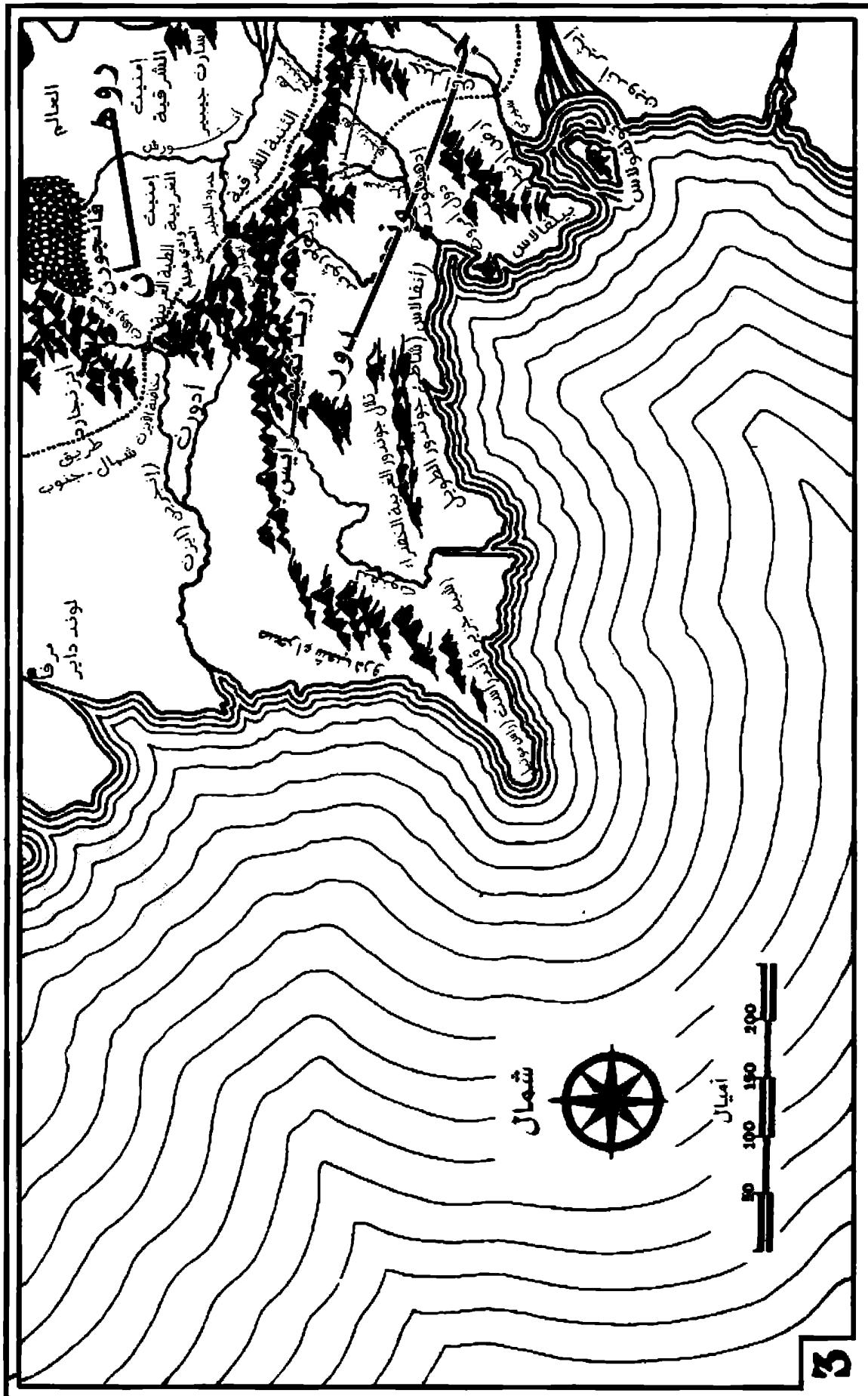


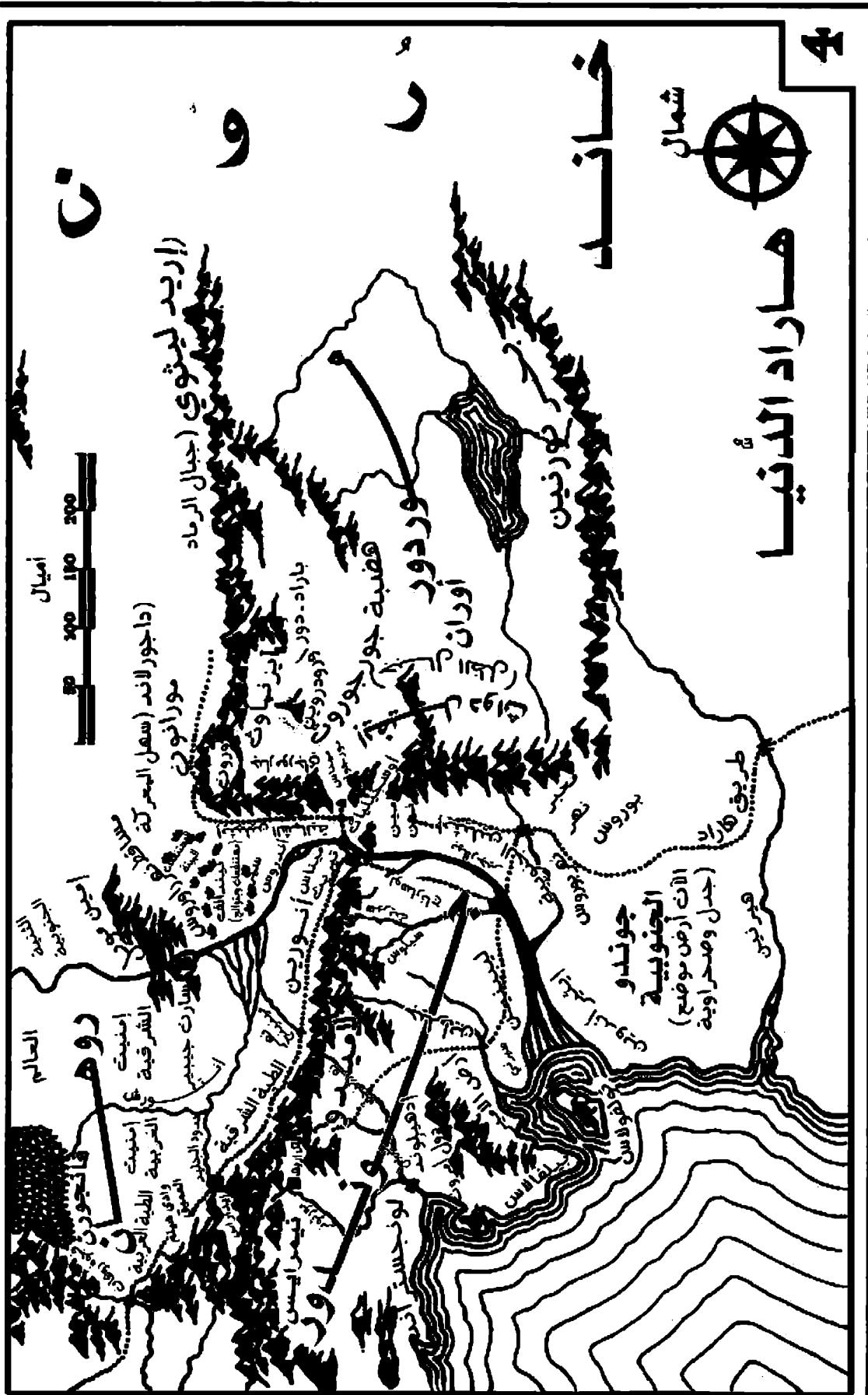
# الغرائب

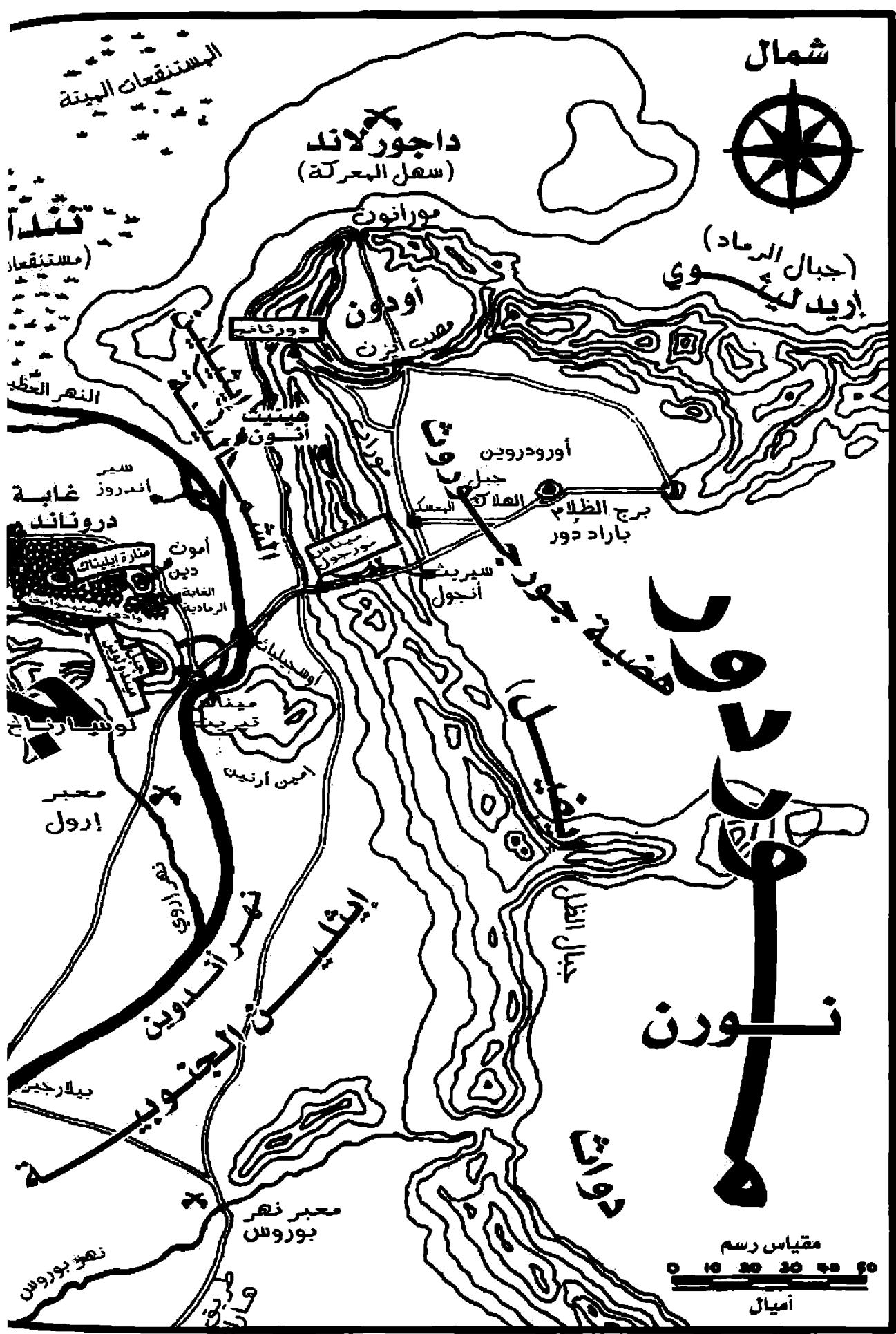














التحويل لصفحات  
فردية والمعالجة  
فريق العمل يقسم  
تحميل كتب مجانية

بقيادة  
\*\* معرفتي \*\*

[www.ibtesama.com/vb](http://www.ibtesama.com/vb)  
منتديات مجلة الإبتسامة

شكراً لأختنا الغالية رياحين  
التي قامت بسحب الكتاب  
وأختنا الغالية أملني  
التي أكملت الصفحات الناقصة

[www.ibtesama.com/vb](http://www.ibtesama.com/vb)

الجزء الأول من ملحمة جيه. آر. آر. تولكين الرائعة "سيد الخواتم"

قام سيد الظلام -ساورون- بحشد واستدعاء جميع خواتم السلطة إليه - وهي الوسيلة التي ينوي بها السيطرة على الأرض الوسطى وحكمها. وقد كان كل ما ينقصه في خططه للسيطرة هو الخاتم الأوحد ؛ الخاتم الذي يحكمها ويسيطر عليها جميعاً، والذي كان قد وقع في يدي الهوبيتي، بيلبو باجينز. في قرية ساكنة هادئة في المقاطعة، وجد فرودو باجينز الشاب الصغير نفسه مواجهًا بمهمة هائلة، حيث إن ابن عمه الكبير بيلبو عهد إليه بالخاتم ليكون تحت رعايته. ينبغي على فرودو أن يترك دياره ويخرج في رحلة خطيرة عبر الأرض الوسطى إلى «شقوق الهالك»، وهناك يقوم بدمير الخاتم ويهزم سيد الظلام ويحيط خططه وأغراضه الشريرة.

"تنقسم الشعوب الناطقة بالإنجليزية إلى الذين قرءوا الهوبيت وسيد الخواتم وأولئك الذين سوف يقرأونه."

ـ صندل ايجي تاليمين

"تحفة رائعة، بالتأكيد ما من شاك في ذلك."

ـ إيفاننج ستاندارد

[www.rewity.com](http://www.rewity.com)  
^RAYAHEEN^



6 221133 338691

منتديات مجلة الإبتسامة



[www.nahdetmisr.com](http://www.nahdetmisr.com)

